وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

الطفولة ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم التربية

إعداد الطالبة:
حورية جميلة تيقرين

تحت إشراف:
أ.د/ الطيب بلعربي

السنة الجامعية 2014-2015

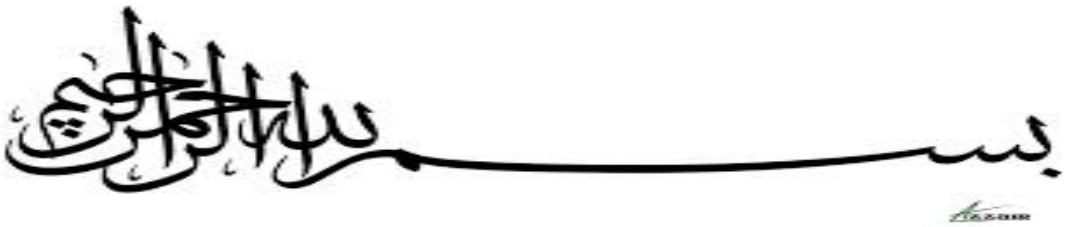
بسم الله الرحمن الرحيم

basrahcity.net

شكر وتقدير

لا يسعني في بداية هذا البحث إلاّ أن أتوجه بخالص الشكر والعرفان
لأستاذي الفاضل الدكتور الطيب بلعربي
على ما قدم لي من توجيهات مستنيرة ورعاية علمية، وعلى ما آثاره معي من مناقشات
في مشكلات هذا الموضوع أخذت بها في إخراج البحث على تلك الصورة،
ولقد كان لتوجيهات سيادته وإشرافه المستمر على فصول الرسالة دررا أفرزت في النهاية هذا العمل
المتواضع الذي آمل أن يجد مكانا بين الأعمال الأخرى
التي سبق لزملائي تقديمها من قبل
فشكرا لكم سيدي
كما أشكر كل من قدم لي يد العون من الأساتذة بالقسم وزملائي الذين وقفوا بجانبي
وأمدوني ببعض الكتب والمراجع من مكاتبهم الخاصة
فلهم شكري وتقديري جميعا، وجزاهم اله عني خير الجزاء

إهداء

إلى من كان السبب بعد الله في وجودي

إلى من أفنيا عمرهما وتفانيا في جهدهما لتوفير سبل الراحة والاطلاع لي

إلى من كيفاني مؤونة الدنيا وجعلاني أنقطع بكليتي إلى العلم

إلى المرحومين والديّ العزيزين أقدّم

حصيلة جهدي شكرا ووفاء وعرفانا لعّلي بذلك أكون قد حققت بعض أملهما فيّ

وإلى أخواتي البنات وإخواني البنين، وإلى أصدقائي الأساتذة والباحثين

أهدي بحثي وجهدي وكدّي وعرقي راجية أن يكون نبراسا للجميع للمضي قدما

في سبيل تلّمس الطريق الصحيح إلى غد أفضل في الدين والفكر والأدب

وآمل من الله عز وجل أن لا يحرمني ثواب الاجتهاد، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه

إنه ولي الهداية والتوفيق

الباحثة

تيقرين حورية جميلة

المقدمـــة

الحمد لله الذي جعل التربية مشتقة من اسمه وجعل أشرف الأعمال وأنبلها أعمال المربين وبعد:

الأطفال ثمرة من ثمار الزواج، وقد يكونون من أهم مقاصده وأهدافه، والأطفال أحد أركان الأسرة، وعن طريقهم يتم بقاء النوع الإنساني، والجنس البشري، وهم أعظم نعمة في الحياة وزينتها وقال الله عز وجل: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلا**﴾[1].

ويولد الطفل ضعيفًا وعاجزًا على تلبية حاجاته، فلا حول له ولا قوة، وشاءت الحكمة الإلهية أن يكون الإنسان أكثر المخلوقات حاجة لغيره بعد الولادة، ويظل لفترة طويلة معتمدًا على غيره، ومفتقرًا للرعاية والعناية، والحضانة وغيرها. لذلك أناط الله سبحانه وتعالى مسؤولية رعاية الطفل وحضانته والعناية به بالوالدين أولاً ثم بالمجتمع والدولة ثانيا، ووضع الإسلام لذلك منهجا تربويا كاملاً وشاملاً يتميّز بخصائص ومميزات لا توجد في المناهج الوضعية التي هي من صنع البشر. ولهذا فالمناهج البشرية مهما ارتقت وتطورت فإنها لن تغني عن المنهج الرباني لأنها مناهج عاجزة عن أن تقوّم معوجًا أو تصلح فاسدًا لأنها تبقى مناهج وضعية وضعها أُناس محدودي المعرفة والعلم لا يفقهون ولا يعرفون سوى بيئتهم التي يعيشونها.

وحتى معرفتهم ببيئتهم غير كاملة بل ناقصة محدودة بزمان ومكان، هذا من جهة ومن جهة ثانية فهي مناهج تركز على الجوانب المادية في الإنسان متجاهلة الجوانب الروحية، من أجل ذلك لم تخفف من أعباء الإنسان ولم تحقق سعادته بل إنها لتزيد من شقائه، فأمّا الإسلام بمنهجه المتكامل، ونظرته الشاملة إلى الإنسان جسمًا وعقلا وروحًا فهو يحقق سعادة النفس الإنسانية، ويواكب رغباتها المتجددة بلا إفراط ولا تفريط والنتائج التي حققتها التربية الإسلامية بهذه النظرة الشاملة، ستتضح لنا عند تناولنا لبعض صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع بعض من رجال السلف الصالح والتابعين.

هكذا أولى الإسلام الحنيف الإنسان في جميع مراحل حياته عناية ورعاية، لم يعهد التاريخ مثلها، وخصّ مرحلة الطفولة والشباب مزيدًا منها، فالأطفال امتداد للآباء والأمهات، صلة الحاضر بالماضي وبالمستقبل للتطلع إليه بالآمال العريضة والأمجاد الشامخة، لذلك نالت الطفولة في الإسلام مزيدًا من الرعاية الصحية والنفسية والدينية والتربوية، و الفكرية و الاجتماعية، فالأطفال زينة الحياة الدنيا و فلذات أكبادنا نكدّ من أجلهم، وها هو إبراهيم عليه السلام يسترحم الله عز وجلّ، ويستعطفه بقوله: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[2]

فأطفالنا اليوم شباب الغد وهم يشكلون من حيث التعداد ما يقرب من 50% أو أكثر من سكان مجتمعاتنا العربية والإسلامية. وهم كذلك رجال المستقبل الذين يتسلمون راية العمل والريادة والقيادة والبناء من سلفهم، فيزيدوا في بناء الحضارة وتماسكها وتنميتها...

---

[1] **سورة الكهف، الآية 46.**

[2] **سورة إبراهيم، الآية 37.**

ومنهج الإسلام في رعايتهم منهج متين متماسك، لا يبلغه أي منهج آخر ومع كثرة المواثيق واتفاقية حماية حقوق الطفل والتوصيات، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي صدرت في منتصف القرن 20 إلاّ أنه أفجَعنا ما يتعرض له الأطفال في بقاع مختلفة من العالم من أعمال يندي لها جبين الإنسانية، والفساد والانحلال يحصد القيم التي ننشدها لأطفالنا، ومزالق الغزو الفكري تنصب لهم... ويكاد الضياع يحيط بكثير منهم، وفي بعض البلاد لا يجدون الضروري لحياتهم... ففي إفريقيا السوداء وإيثيوبيا وريتيريا وغيرها من بلاد العالم الثالث تدفن فيها يوميا آلاف الأطفال ممن يموتون جوعا... و العدو الإسرائيلي الغاشم يمطر أطفال الحجارة ويقصفهم... ناهيك عن الأطفال الذين يموتون يوميا لفقدان الأدوية الضرورية نتيجة لعقوبات دولية... إنها فعلا لصور ومآسي تنزف لها القلوب وتدمع لها العيون. ويُسرق الصغار على حين غفلة من أهليهم، لتباع بعض أعضائهم لتموين بنوك الأعضاء البشرية في مختلف أنحاء العالم.

فأين هذا من إتفاقية حماية حقوق الطفل؟ وبهذا يمكننا أن نبيّن بأن الحضارة الإسلامية منذ فجر الإسلام وقبل أربعة عشر قرنا قد أقرت وأبرزت حقوق الطفل في كتابها الكريم وفي السنة النبوية الشريفة وفي تعاليم الصحابة وعلماء السلف الصالحين.

وفي بحثنا هذا نود أن نُبيّن أن المنهج الإسلامي في رعايته للطفل يقدّم نموذجا متكاملاً للحياة، حيث أبرز جميع حقوق الطفل إيمانًا منه أن هذا الوليد البشري ذكرًا كان أم أُنثى يكوّن وحدة واحدة متكاملة جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وسلوكيا، يمكن أن يسهم في بناء مجتمع صالح إذا أحسن بناؤه وتوجيهه، ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى –أول حق أقرّه للطفل في كتابه العزيز هو حقّه في الحياة داعيا إلى حماية أرواح الأطفال، محرّمًا قتلهم خشية الإملاق أو وأد البنات خشية العار... كما كان شائعا في مجتمع الجاهلية.

وإلى جانب حقه في الحياة أقرّ الدين الإسلامي والمنهج الإسلامي حقوقا أخرى لازمة لاستمرار هذه الحياة، كحق الرضاعة والحضانة والنفقة والتربية والتهذيب والتأديب، وتنشئة الطفل تنشئة دينية وروحية وأخلاقية واجتماعية صحيحة.

كما نحاول في هذا البحث التطرق إلى جوانب التربية التي اهتم بها الدين الإسلامي مستدلين على كل ما توصلنا إليه بأدلة مستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن منهج السلف الصالح، ممّا ينبغي أن يحتذى به من أمثلة في هذا المجال، مركزين على اهتمام النبي – صلى الله عليه وسلم– الشديد بتربية الطفل ورعايته، إيمانا منه أن الطفل هو اللّبنة الأولى في المجتمع. فإذا صلح صلح المجتمع كله، وإذا فسد فسد المجتمع أيضا. فوضع له منهجا تربويا يتناول جميع نواحي الشخصية من جسمية وعقلية ونفسية وخُلقية مؤكدا على ضرورة العناية بالتنشئة الأسرية الصالحة، وأثر كل البيئة والوراثة على سلوك الطفل وشخصيته. ولهذا وضع النبي –صلى الله عليه وسلم– الأسس التي من خلال تطبيقها، يتربى الطفل وتبنى شخصيته بناءً كاملا، يُنمي جسمه، وعقله، ويهذب نفسه.

إذا فما أحوجنا اليوم إلى نظام تربوي إسلامي يتماشى مع واقعنا ويتلاءم مع مثلنا وعقيدتنا. نظام يشمل المجتمع الإسلامي بكل طبقاته وأجناسه، وينهض به في كل ظروفه، والطفل باعتباره نواة المجتمع هو فرد في هذا المجتمع، وتعدّ رعايته وتربيته من "أصعب أنواع التربية على الإطلاق، إنها أشبه ما تكون بمعادلة صعبة، ذات طرفين بينهما من التباين والبُعد مثل ما بين السماء والأرض"[1].

وإن لمن أكبر همومنا وأخطرها في يومنا هذا هو ذلك النظام التربوي الحديث–الغربي– المعتمد في تعليم وتربية أطفالنا، بحيث نجد هذه التربية تقوم على أسس ومناهج بعيدة كل البعد عن الواقع الإسلامي الذي وضعه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بحيث نجد أن بعض المرّبين في دور الحضانة ورياض الأطفال يتهاونون في غرس مبادئ الإسلام وترسيخها في نفوس الناشئة.

فالطفل ينشأ وينمو ويترعرع بيننا وهو يلتمس القدوة الصالحة وقد يجدها وقد لا يجدها، ولهذا ارتأينا من الضروري الرجوع إلى الأصول التربوية الإسلامية، ونهج المنهج الإسلامي في تربية أطفالنا في جميع الوسائط التربوية ابتداءً من الأسرة إلى المدرسة إلى المجتمع ذلك لحماية أطفالنا من الضياع الذي يعيشونه أطفال الغرب بسبب ارتكاز نظمه التربوية على الجانب المادي دون الجانب الروحي. كما رأينا من الواجب أن نبحث في سيرة وأحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المليئة والزاخرة بالآراء والمواقف التربوية العظيمة لننهل منها الكثير في مجال التربية والتعليم.

هذا وحتى تكون دراستنا مجدية ومفيدة فقد عالجنا الموضوع في سبعة فصول:

الفصل الأول:

ويتضمن منهجية البحث وتتكون من: المقدمة– مشكلة البحث– أهمية البحث– أهداف البحث– منهج البحث– مصطلحات البحث– الدراسات السابقة.

الفصل الثاني: الزواج وبناء الأسرة

يتناول هذا الفصل كل ما يتعلق ببناء الأسرة المثالية انطلاقا من معرفة تعاريف الّأسرة في كل من اللغة والاصطلاح وغيرها من المفاهيم الأخرى إلى غاية الزواج المثالي والمعايير والأسس المتبعة لاختيار الزوجين، ويتعرض هذا الفصل في الاخير إلى القوامة والحقوق الزوجية.

الفصل الثالث: حقوق الطفل في المنهج الإسلامي

أولا: حقوق الطفل قبل الولادة

يبحث هذا الفصل في كيفية نيل الطفل في الإسلام كل اهتمام وعناية وهو جنين في بطن أمه، من بيان حقوقه قبل الولادة.

ثانيا: حقوق الطفل بعد الولادة إلى قبيل سن الرشد:

---

[1] **عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص5.**

كما ذكرنا أن الإسلام اهتم بالطفل عناية بالغة وهو جنين في بطن أمه فرتب له حقوقا، وكذلك أولاه مزيدا من العناية والرعاية بعد ولادته وخروجه إلى الدنيا فمنحه حقوقا أخرى تتحقق بها مصالحه وتكفل له الحياة الكريمة.

الفصل الرابع:

ويتناول هذا الفصل تحديد ورسم الأسس الهامة في بناء شخصية الطفل المسلم، وفي مقدمتها البناء العقائدي فمن خلال تعامل الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– مع الأطفال، نجد تسعة أركان أساسية في تثبيت العقيدة.

أولا: البناء العقائدي

إن التربية الدينية أو العقائدية تعد أسمى أنواع التربية لأنها تهدف إلى النمو الروحي. لأن عقيدتنا تدعونا إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء قدره وشره.

ثانيا: البناء العبادي

لا ينفصل البناء العقائدي عن البناء العبادي، لأن العبادة جاءت لإصلاح الحياة الروحية، فقد فرض الله تعالى على عباده العبادات التي تطهر روحهم، وتزكي نفوسهم، وتقوي أبدانهم وتمدّهم بالصحة والسلامة. لذا نجد أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من خلال توجيهاته، ركز على أربعة أركان هي: الصلاة – الصوم – الزكاة – الحج

ثالثا: البناء العلمي والفكري

اهتم واعتنى الإسلام بقيمة العقل وميدان عمله، ولذلك فهو يجعله تحت عنايته التربوية. فهذا البناء يبيّن حثّ الإسلام على العلم في كل من القرآن والسنة النبوية الشريفة.

رابعا: البناء الأخلاقي

من خلال البحث في الأحاديث النبوية نجد أنها تركز غلى ستة أركان وهي: خلق تأديب الأطفال، والحياء، والصدق والتحرز من الكذب، وخلق الأمانة والاحتراز من الخيانة، وحفظ الأسرار، وأخيرا خلق العفو والتواضع وسلامة الصدور من الأحقاد.

خامسا: البناء العاطفي والنفسي

يبحث هذا البناء في الأسس النفسية والعاطفية للتربية مبينا أهمية عمليات التعلم، وعمليات النمو لدى الإنسان، مع بيان كيفية بناء عاطفة الطفل حتى ينشأ قويا سويا في شخصيته، ولا يتحقق ذلك إلا بالرجوع إلى الأحاديث النبوية واستنباط أسس هذا البناء.

سادسا: البناء الجسمي والصحي

لا ينفصل البناء الجسمي عن الأبنية الأخرى في النمو المتكامل عند الإنسان، لأن تنمية الناحية الجسمية تتساوى في الأهمية مع تنمية النواحي الأخرى العقلية منها والاجتماعية والخلقية والنفسية

والعاطفية، فصحة الجسم يتطلبها العقل السليم، وتتطلبها النواحي الأخرى. لهذا وضع لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أسس مختلفة لاتباعها يبينها هذا البناء.

سابعا: البناء الاجتماعي

لقد خصص الرسول –صلى الله عليه وسلم–عدة أركان ليتم اتباعها في تكوين الطفل اجتماعيا والتي يتم تناولها في هذا البناء.

ثامنا: البناء الجنسي:

لقد حرص الإسلام على تنشئة الإنسان تنشئة متوازنة، بحيث يتكون تكوينا منسجما مع طبيعته التي خلقها الله، ومع فطرته التي فطره عليها، وهكذا كانت إحدى خصائصه المميزة التوازن في الامور كلها بلا إفراط ولا تفريط. ولكي يسير الدافع الجنسي في نفس الطفل بشكل هادئ، بلا تهيجات خارجية تغذيه نحو الإنحراف عن السلوك القويم، رعى الإسلام هذا الطفل، وطالبه بأوامر ونواهن وذلك لكي يتهذب الدافع الجنسي، ويبقى متوازنا طاهرا بلا انحراف، نقيا بلا تلوث.

الفصل الخامس: أساليب تربية الطفل ورعايته في المنهج الإسلامي

ويبحث هذا الفصل في أساليب التربية الإسلامية بصفة عامة، ثم بعد ذلك يركز على أمهات الأساليب التربوية المتبعة في تربية وبناء شخصية الطفل المسلم، مثل الأساليب المخاطب بها الوالدان والمربون، والأساليب الفكرية المؤثرة في عقلية الطفل، والأساليب النفسية المؤثرة في عواطف ونفسية الطفل.

الفصل السادس: مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام والأصول التربوية المتبعة

ويشمل هذا الفصل على قسمين اثنين:

القسم الأول: مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام، وتتناول التعليم الأولي في الكتاتيب، وتعليم الأطفال في المساجد بعد التعليم الأولي في الكتاتيب، والتعليم في المدارس النظامية، والتأديب في القصور والبيوت الخاصة.

القسم الثاني: الاصول التربوية التي اتبعها معلمو ومؤدبو الأطفال. ويتناول مراعاة الفروق الفردية، التكرار المتصل، مراعاة ميول واستعدادات الأطفال. تقنين البرنامج التعليمي من حيث الدوام وساعات الدراسة والعطل الرسمية والأعياد والترويح والترفيه عن النفس، والثواب والعقاب وما يتصل بهما.

الفصل السابع: الطفولة في فكر المربين المسلمين

وهو الفصل الأخير من الرسالة ويتناول تربية الطفل عند كل من أبي حامد الغزالي وعبد الرحمن بن خلدون، مبينا أهداف تربية الصبيان، منهج تربية الصبيان، وأساليب تربية الصبيان، والجزاء، مكانة المعلم وخصائصه. كل هذا في الفكر التربوي عند الغزالي، فأما عن ابن خلدون فقد يتناول الفصل الطبيعة الانسانية ومسألة التربية والتعليم، بعض الأساليب التربوية والتعليمية الخلدونية.

الفصل الأول

الفصـــل التمهيـــدي

الطفولة ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها

1- إشكالية البحث

2- أهمية البحث

3- أهداف البحث

4- حدود البحث

5- مصطلحات البحث

6- منهج البحث

7- الدراسات السابقة

1- إشكالية البحث:

كما ذكرنا أن حقوق الطفل قد أقرها الدين الإسلامي ثم أكدتها القوانين الوضعية والمواثيق الدولية، حيث أعلنت الأمم المتحدة أن عام 1979م، هو عام دولي للطفولة. بدأ فيه الانشغال والاهتمام بمكانة الطفولة،و وجوب رعايتها والعناية بها في جميع المجالات، غير أننا نتساءل.. هل حصل فعلاً الطفل في عالمنا الإسلامي هذا على حقوقه؟ وهل حصل فعلاً على الرعاية الكاملة والتربية المُثلى التي حثّ عليها نبيّنا الكريم –صلى الله عليه وسلم– كما نتساءل أيضا إلى أي مدى قد أمكن إشباع حاجاته الضرورية ومتطلبات نموه وبناء شخصيته وإعداده ليصبح مواطنا صالحًا في مجتمعه له حقوق وعليه واجبات.

ولكن للأسف الشديد وبصراحة، أنه رغم كل ما قدمه لنا الإسلام من توجيهات وما أقره لنا من حقوق لهذا الطفل... ورغم صدور الميثاق العالمي لحقوق الطفل وما تضمنه من حقوق للطفل في الحياة والمسكن والتعليم والعلاج والحماية واللعب والترويح والغذاء والكساء... إلاّ أننا نجد اليوم الملايين من أطفال المسلمين يعانون ويقاسون من الجوع والمرض بسبب سوء التغذية والحرمان من أبسط ضرورات الحياة الكريمة، والظاهرة واضحة في شوارع ومدن بعض المجتمعات والدول الإسلامية مثل الصومال ومصر والسودان وريتيريا والمغرب وكذا الجزائر...إلخ من البلدان الإسلامية بحيث نرى المئات من الأطفال يتسوّلون في الشوارع ملابسهم رثة وسخة، حفاة، و البأس على وجوههم.كما نشاهد كل يوم عبر القنوات التليفزيونية و المحطات الفضائية مئات بل آلاف من أطفال المسلمين يموتون جوعًا وبردًا في غزة وسورية...إلخ. فأليست الدولة معنية و مسؤولة عن حماية والحفاظ على هؤلاء وتأمين أبسط حقوق الطفولة لهم...وهذا ما يدفعنا أيضا إلى التساؤل عن أسباب هذا التردي والحرمان في أحوال أطفالنا اليوم؟ فالأمر لا يتوقف على إشباع الحاجات الأساسية للطفل، بل الأمر يتعلق بمستقبل شعوب العالم الإسلامي، لأن رعاية الطفولة و بناءها و تنميتها هي تنمية للموارد البشرية الصغيرة التي تعتبر هدفًا استراتيجيا للتنمية الشاملة.

وإذا تطلعنا كذلك إلى حال أمتنا اليوم وما تتخبط فيه من أزمات لا يساوي –جناح بعوضة– أمام أزمة التربية التي تعاني منها أمتنا الإسلامية، بحيث تعّد من أخطر الأزمات التي تواجهها. حيث غابت التربية الإسلامية عن الواقع وانفصلت عنه وراحت تستورد تربية غربية حديثة لا تمت صلة بثقافة ودين أمتنا، ممّا أدى إلى فشل أنظمتنا التربوية في أداء مهمتها كما ينبغي بتكوين جيل يخدم أمته الإسلامية بل أعدت لنا جيل منفصم الشخصية –لا هو بمسلم ولا هو بغربي– غير مميّز عن غيره وغير متقدم بسبب بعده عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ومن المؤسف فعلا أن نجد المرّبين اليوم في البيت والمدرسة والمجتمع قلّ ما يهتمون بالتربية الإسلامية و يعملون بأساليب التربية النبوية الإسلامية فينهلون من منهجها أثناء آداء أدوارهم ممّا يشكّل نقصًا في ثقافتنا التربوية الإسلامية. حيث أدى هذا الأخير إلى إخفاق التعليم في إنشاء جيل و نشئ متعلم وواعٍ مؤمن بأهداف دينه وأمته ووطنه.

ومن المؤسف أيضا أن التربية أصبحت في مجتمعاتنا الإسلامية خالية من الروح، لاتهتم سوى بمأكل وملبس الأطفال وحمايتهم من الأذى الخارجي كالمرض...الخ دون أي اهتمام بجوانبهم الروحية والخلقية والنفسية والعقلية...إلخ، ممّا أدى إلى انتشار ظاهرة (التدليل والإباحة) والتي نقصد بها مبالغة الآباء والأولياء في –تحقيق كل رغبات ونزوات أبنائهم باسم التربية الطبيعية والحديثة التي تنبذ الكبت والحرمان المؤدي حسب رأيهم إلى العقد النفسية– التي كانت سببا في ضياع أطفال الغرب حيث أدت بهم هذه الظاهرة إلى السماح لأنفسهم أن يكونوا غير مهذبين، وعصاة لآبائهم وأمهاتهم، بسبب إفراط الآباء في تحقيق كل رغبات وطلبات أبنائهم، ومن أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه المبالغة والإفراط، انتشار جرائم الأحداث، وتعاطي المخدرات والجرائم الجنسية...إلخ.

فأي ضياع للطفولة يفوق هذا الضياع؟

فإذا ضاعت الطفولة يضيع حتما المجتمع الصالح الذي ننشده، وكل هذا الضياع تلقى مسؤوليته على الأسرة، هذه الأخيرة التي لم تقم بالدور المنوط بها تجاه أطفالها كما يجب.

وحرصا على حماية أطفالا من الضياع بسبب اعتناقنا للتربية الحديثة البعيدة كل البعد عن تعاليمنا ومبادئنا الإسلامية، لابد أن نعرج إلى الأصول التربوية الإسلامية، والمنهاج الإسلامي في التربية لتصميم وتشكيل نظام تربوي يتلاءم مع بيئتنا وثقافتنا الإسلامية.

ولهذا كلّه نود أن نبيّن في هذا البحث أهداف هذه التربية من خلال منهج إسلامي وأساليب تربوية متبعة في رعاية وبناء شخصية الطفل المسلم حسب المواصفات المحدّدة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ونضعها بين يدي القارئ والمرّبي لعلّه يستفيد منها في رعايته لمن حوله أو تحت مسؤوليته، وأن يتخذ من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قدوة حسنة في تنشئته لأطفاله منذ لحظة الولاة إلى غاية سن الرشد.

وفي هذا الإطار يمكننا صياغة الإشكالية الرئيسية لهذا البحث على النحو التالي:

هل منهج الإسلام ضروري وكافٍ لبناء ورعاية الطفولة وحمايتها من الضياع في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة؟

وتتطلب الإجابة على الإشكاية الرئيسية، الإجابة عن تساؤلات البحث التالية:

أ– ما مظاهر اهتمام الإسلام بالطفولة ورعايتها؟

ب– ما حقوق الطفولة في الإسلام قبل الولادة؟

ج– ما حقوق الطفولة في الإسلام بعد الولادة؟

د– ماهي الأسس التي حددّها منهج الإسلام لبناء شخصية الطفل؟

ز– ماهي أهم وسائل وأساليب تربية الطفل ورعايته في الإسلام؟

هـ– ما مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام؟

و– ما الأصول التربوية التي اتبعها معلمو ومؤدبو الأطفال؟

ي- ما آراء المفكرين والمرّبين المسلمين حول رعاية الطفولة؟

2- أهمية البحث:

بما أن الإسلام لم يترك صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها، حيث وضع دستورا متكاملا شاملا لرعاية الطفولة بدءا بحق الطفل قبل الولادة بالحث على اختيار الأم الصالحة حتى تكون أرضا طيبة تنبت نباتا طيبا، إلى الإعداد لتكوين الأسرة و خروج الطفل إلى الدنيا حيث حثّ على حمايته و رعايته صحيا و نفسيا و روحيا و اجتماعيا و تربويا. فعلى ضوء ذلك، لبحثنا هذا أهمية كبرى و أهداف عليا يسعى البحث لتحقيقها نجملها بالآتي:

3- أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في ما يلي:

أولا: يسعى البحث إلى دراسة أوجه وجوانب الرعاية التي أحاط الإسلام بها الطفل، ومن ثم نضمن تنشئة أجيال من الأطفال تتحقق وتتجسد فيهم صورة المستقبل الذي ننشده، أجيال من النشئ سليمة الأبدان والعقول والأرواح، سوية الشخصية بفضل تنفيذنا لكافة حقوق الطفل التي أقرّها الإسلام.

ثانيا: تسليط الضوء على الجوانب التربوية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية بغرض توجيه ودفع المرّبين والباحثين إليها للاستفادة منها إن اعترضتهم مشاكل تربوية.

ثالثا: تهدف هذه الدراسة إلى استخلاص الآراء التربوية حول حقوق الطفل وحمايتها وحق الرعاية والكفالة للطفل اليتيم والمعاق وذلك قبل أن يعلن المجتمع الحديث في القرن العشرين (ميثاق حقوق الطفل) كما تهدف الدراسة إلى إبراز آرائنا التربوية الإسلامية التي حسبها المغربون نبتًا أجنبيًا.

رابعا: بيان تأثير الأسرة على تربية الطفل بتزويده بنماذج من الأنماط السلوكية والإتجاهات وهي المسؤولة عن طبيعة الإثارة التي يتعرض لها وعن خبراته الحياتية، بالرغم من أن الوظيفة التربوية للأسرة قد طرأ عليها عدة تغيرات في السنوات الماضية، غير أنها تبقى دائما وأبدًا المدرسة الأولى والأهم في حياة الإنسان أو الفرد، ممّا جعل أهداف هذا البحث توعية الأسرة لدورها الكبير والمهم في بناء شخصية الطفل وتوجيهها لرعاية أطفالها وفق المنهج الإسلامي.

خامسا: دعوة المرّبين إلى معرفة طبيعة كل طفل ومعرفة خصائص نموه معرفة فردية من النواحي الجسمية والنفسية والعاطفية والاجتماعية حيث يدرس ويحلل نفسية كل طفل ويتعرف على رغباته وميوله وقدراته، حتى يتسنى له التعامل معه فيوفّق في تربيته وبناء شخصيته بناءً سليما.

فرعاية الطفل وتنشئته ليس بالأمر الهيّن، بل إنها عملية معقدة تتم شيئا فشيئا وبالتدرج في البيت، حيث يُعدّ هذا الأخير المؤسسة التربوية الأولى ومدرسة الطفولة الأساسية التي يتم من خلالها صقل شخصية الطفل.

سادسا: دعوة المربين ولفت انتباههم إلى عدم استخدام العنف والشدة والقسوة والإكراه والضرب في تربية الطفل بل ينبغي التعامل معهم بحنان وعطف ورأفة، وذلك باستخدام أساليب تربوية إيجابية مثل القدوة والموعظة والنصيحة والإرشاد...الخ دون اللجوء إلى استخدام أسلوب العقاب لأن:

"سلطة الأهل العميقة حلال التنشئة تلعب دورًا مهمًّا في تكوين دوافع الشعور بالكراهية لدى الطفل وإلى بروز العدوانية والشعور بالذنب"[1].

سابعا: كما تهدف هذه الدراسة إلى إبراز محاسن آرائنا التربوية وإظهار أصالتنا في المجال التربوي، ومدى الاستفادة من الأفكار الإسلامية حول الطفولة وتفهمها في النظام التربوي الجزائري.

وأملنا من هذا كله أن يحصل الطفل المسلم في مجتمعاتنا على العناية والرعاية الكاملة حتى يشتدّ عوده ويكتمل نضجه فيصبح بعد ذلك قادرًا على خدمة نفسه بنفسه سائلين الله عز وجلّ أن يسهم هذا العمل ولو بقطرة ماء في بحر البحث التربوي.

4- حدود الدراسة:

بما أن البحث يتناول موضوع رعاية الطفولة وبناء شخصيتها في المنهج الإسلامي، رأينا من الضرورة و من المنطق الاعتماد على القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة كمصدرين أوليين وأساسيين لاستنباط الأحكام التشريعية المتعلقة بحقوق الطفل وأساليب رعايته، وأيضا لأن المنهج الإسلامي الذي نحن بصدد دراسته يقوم على مبادئ وتعاليم مشتقة أصلا من الكتاب والسنّة.

القرآن الكريم: هو آخر الكتب السماوية، أنزله الله تعالى على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم أنبيائه ورسله وقد تكفّل بحفظه في قوله تعالى: "إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون"[2].

إذا فمنهج القرآن هو منهج الإسلام جاء للناس كافة، ولبناء الأفراد والمجتمع لإيصالهما إلى درجة الكمال التي هيأها الله لهما لإعمار الأرض بقيم الحق والخير والصلاح ليكونا خليفته فيها، فهو كتاب المسلمين فيه جوهر العقيدة تنبثق منها أخلاقه ودينه وعباداته وشرائعه، فيه توجيه وإرشاد للسلوك الحسن الصحيح والطريق المستقيم. فالقرآن هو كتاب أخلاقي تربوي جاء لهداية الإنسانية جمعاء إلى سواء السبيل حيث فيه صلاح دنياهم وأُخراهم.

السنة النبوية الشريفة: كما أن السنّة النبوية هي مجال بحثنا: وهي ما ورد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير فيما يتعلق بالطفولة وعن بناء شخصيتها من جميع جوانبها: البناء الجسمي والصحي والبناء العاطفي والنفسي، والبناء العقائدي، والبناء العبادي، والبناء الأخلاقي، والبناء الفكري والعلمي، والبناء الاجتماعي، والبناء الجنسي (تهذيب الدافع الجنسي).

---

[1] فؤاد حيدر، الشخصية في الإسلام وفي الفكر العربي، ط1، الفكر العربي، بيروت، 1990م، ص175.

[2] سورة الحجر، الآية 9.

5- مصطلحات البحث:

أ- الطفولة

ب- منهج الإسلام.

ج- الرعاية.

د- البناء.

الطفولة: Baby hood مرحلة من مراحل الطفولة تبدأ من سن المهد إلى سن ما قبل المدرسة وتتميز تلك الفترة باضطراد مظاهر النمو الجسمي والعقل واللغوي والانفعالي عند هؤلاء الأطفال[1].

ويعرف علماء النفس والتربية الطفولة بأنها الفترة التي يقضيها الصغار في النمو والتي يعتمدوا فيها كل الاعتماد على آبائهم وذويهم في تأمين تكيفهم الحياتي حتى يبلغوا مرحلة الاعتماد على أنفسهم في تدبير شؤونهم وتأمين حاجاتهم النفسية والاجتماعية والبيولوجية[2]. كذلك تطلق على الفترة التي يمرُّ بها الطفل منذ الميلاد وحتى الرشد وهي تتباين من ثقافة لأخرى فقد تنتهي عند البلوغ أو الزوّاج[3].

وفي هذا البحث يقصد بالطفولة: المرحلة العمرية التي تقع ما بين الميلاد إلى مرحلة سن الرشد.

مفهومات عامة للمنهج:

يعرف "ابن منظور" المنهج بأنه الطريق البيّن الواضح. "ومنهج الطريق وضحه[4] والمنهاج كالمنهج". وفي التنزيل: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"[5].

والمنهاج كما يقول "ابن كثير": "هو الطريق الواضح السهل، والسنن والطرائق"[6].

وجاء تعريف المنهج في معاجم اللغة على أنه المنهج والمنهاج جمع مناهج: الطريق الواضح، ومنه منهج أو منهاج التعليم أو الدروس[7].

المنهج في الاصطلاح: يختلف الباحثون والعلماء في تعريف المنهج. هناك من يعرف المنهج Curriculum بأنه: "مجموعة من الخبرات التي يتم تشكيلها، والتي يتم إتاحة الفرصة للمتعلم المرور بها، وهذا يتضمن عمليات التدريس التي تظهر نتائجها فيما يتعلمه التلاميذ، وقد يكون هذا من خلال المدرسة

---

(1) أحمد زلط، معجم الطفولة "مفاهيم مصطلحية"، ط1، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، القاهرة، 1422هـ/2001م، ص43.

(2) أمينة منير جادو، البرامج التربوية للطفل، سلسلة إقرأ، العدد 475، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص475.

(3) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص55.

(4) ابن منظور، لسان العرب، جـ5، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، ص4554.

(5) سورة المائدة، الآية 48.

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ2، دار الأندلس، 1400هـ/1980م، ص588.

(7) المنجد في اللغة والأعلام، ط36، دار المشرق، بيروت، 1997، ص841.

ومؤسسات اجتماعية أخرى تحمل مسؤولية التربية، ويشترط في هذه الخبرات أن تكون منطقية وقابلة للتطبيق والتأثير"[1].

ويرى معظم المتخصصين المعاصرين في المناهج وطرق التدريس، أن المنهج التربوي هو "مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة تحت إشرافها للتلاميذ بقصد احتكاكهم بها وتفاعلهم معها، ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل يحدث تعلم أو تعديل في سلوكهم، ويؤدي هذا إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الذي هو الهدف الأسمى للتربية"[2].

المنهج الإسلامي: إن منهج التربية في التصور الإسلامي هو: نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيّرة التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها، بقصد إيصالهم إلى درجة الكمال التي هيأهم الله لها، وبذلك يستطيعون القيام بحق الخلافة في الأرض عن طريق الإسهام بإيجابية وفاعلية في عمارتها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله[3].

الرعاية:

يستفاد من معجم "لسان العرب" أن الرعاية تعني: الإشراف والحفظ والمراقبة والتأمل والمتابعة، ومراعاة الحقوق والنظر فيما يصير إليه الأمر[4]. وهذه المعاني في مجموعها تفيد في مجال بحثنا: أن الرعاية تعني حماية الطفل والمحافظة عليه، مراقبة ومتابعة سلوكه إلى أن يبلغ رشده.

كما أن الرعاية: هي الجهود التي تبذل لتحقيق الحاجات الأساسية للفرد والمجتمع من غذاء، وتعليم، وصحة، وتأمين...[5]الخ.

6- منهج البحث:

نظرا لطبيعة موضوع الدراسة وأهدافها، رأت الباحثة أن تستعين بالمنهج الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج في هذا الموضوع، والمنهج التاريخي حيث يمكننا من خلالهما الوقوف على المنهج الإسلامي وما قدمه لنا من حقوق وضمانات أقرها لبناء ورعاية الطفولة.

---

(1) أحمد حسن اللقاني، وعلي الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المنهاج وطرق التدريس، ط1، عالم الكتب، 1416هـ/1996م، ص182.

(2) محمد عزت عبد الموجود وزملاؤه، أساسيات المنهج وتنظيماته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م، ص11.

(3) علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ط1، ار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ/2002، ص81.

(4) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، مادة: رعى، المصدر السابق، ص

(5) معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص73.

كما استخدمت الباحثة المنهج المقارن حيث يمكن المقارنة بين التربية الإسلامية والإتجاهات التربوية المعاصرة من خلال دراسة أحاديث النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم–.

وأما عن مصدر بيانات الدراسة فقد استنبطت من آيات القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، التي ترتبط وتتصل بموضوع الدراسة وتؤكد مفهوم رعاية الطفولة في الإسلام وكيفية بناء شخصيتها من خلال إتباع الأساليب التربوية النبوية الصالحة لكل زمان ومكان. كما اعتمدت على أهم المصادر التربوية والمراجع الحديثة التي تناولت الموضوع.

7– الدراسات السابقة:

أولا: دراسة وفاء ابراهيم محمد الديب:

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة –كلية الحقوق– قسم الشريعة الإسلامية، جمهورية مصر العربية.

تحت عنوان "حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية –دراسة مقارنة–"

وقد قسمت الرسالة إلى عشرة فصول:

الفصل الأول: عبارة عن مدخل تمهيدي تناولت فيه مقدمات أساسية عن الطفولة والأسرة، وعن تكوين الأسرة وأهداف الزواج.

الفصل الثاني: يدور حول عناية الإسلام بالجنين وضمان حقوقه.

الفصل الثالث: ويدور حول حقوق الطفل بعد الولادة.

الفصل الرابع: ويتناول الحضانة وأهميتها ومكانتها ومجال تطبيقها.

الفصل الخامس: ويدور حول أحكام اللقيط في الإسلام.

الفصل السادس: ويدور حول عناية الشريعة الإسلامية باليتيم.

الفصل السابع: تحدثت فيه عن حق الطفل في النفقة وأسباب ثبوت الحق في النفقة وشروط وجوب النفقة للطفل.

الفصل الثامن: ويدور حول التسوية بين الأولاد، والتسوية بين الأولاد في ضوء القرآن والسنة، كما تطرقت فيه الباحثة إلى آراء الفقهاء في التسوية بين الأولاد، و إلى مساوئ التفضيل ومحاسن التسوية.

الفصل التاسع: و يدور حول تربية الصغار و تعليمهم و تحدثت عن عوامل التربية، و مقومات التربية في الإسلام، و تطرقت فيه إلى أنجع الوسائل في التربية القدوة الحسنة.

الفصل العاشر: وتطرقت فيه إلى التعليم، ومراحل التعليم، الشريعة تدعو إلى العلم، العلم في القرآن، العلم في السنة وبيان شرف العالم والمتعلّم، عناية النبي بالتعليم، كما تحدثت عن مسجد الرسول وأثره في حياة الأمة، كما أشارت في هذا الفصل إلى التعليم في نظر بعض مفكري الإسلام وهم: ابن خلدون ورأيه في تعليم الصغار، وإلى رأي القاضي ابن العربي وإلى التعليم عند ابن عبد البر و التعليم عند الغزالي، وعند القابسي.

ثانيا: دراسة إيناس عباس إبراهيم

هذا البحث نالت صاحبته درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من قسم الفقه والأصول بكلية البنات الإسلامية. (كلية الدراسات الإنسانية حاليا) بجامعة الأزهر وذلك في مارس 1980 الموافق 1400هـ.

تحت عنوان "رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية" وقد تكوّن بحثها من ثلاثة أبواب:

الباب الأول: ويدور حول حماية الإسلام للأسرة، ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: الإسلام وحماية الطفولة.

الفصل الثاني: وتحدثت فيه عن بيان حقوق الزوجين.

الباب الثاني: الموسوم برعاية الشريعة الإسلامية للطفل قبل ولادته ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: يدور حول العدة وأثرها في رعاية الشريعة للطفولة، ويتضمن هذا الفصل أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحكمة من تشريع العدة.

المبحث الثاني: تعريف العدة لغة وشرعًا.

المبحث الثالث: الأصل في مشروعية العدة.

المبحث الرابع: أنواع العدة.

الفصل الثاني: اهتمام الشريعة الإسلامية بالجنين وفيه المباحث الآتية:

المبحث الأول: تناولت فيه الباحثة تعريف الجنين لغة وعند الأطباء وفي الاصطلاح.

المبحث الثاني: أطوار الجنين في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: أطوار الجنين في رأي الطب الحديث.

المبحث الرابع: احترام حياة الجنين ورعايتها.

الفصل الثالث: حكم تحديد النسل وتنظيمه.وقسمته الباحثة إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسباب تحديد النسل.

المبحث الثاني: معنى العزل والأحاديث الدالة على جوازه.

المبحث الثالث: آراء بعض العلماء في مسألة العزل.

المبحث الرابع: الفرق بين التنظيم والإجهاض.

الباب الثالث: رعاية الشريعة الإسلامية للطفل بعد مولده.ويشتمل على عشرة فصول:

الفصل الأول: آداب الشريعة الإسلامية.

الفصل الثاني: ثبوت النسب.

الفصل الثالث: الرضاع

الفصل الرابع: الحضانة

الفصل الخامس: النفقة

الفصل السادس: الولاية على النفس

الفصل السابع: الولاية على المال

الفصل الثامن: وتطرقت فيه اباحثة إلى التربية ووسائل إصلاح الطفل وتنشئته نشأة دينية

الفصل التاسع: التشرد وعلاجه

الفصل العاشر: التشريعات الخاصة بالعناية باليتامى.

ثالثا: دراسة محمد علي أبو الحسن السنوسي (1981) رسالة ماجستير 1981 كلية أصول التربية جامعة الأزهر.

تحت عنوان: "عناية القرآن والسنة بتنشئة الطفل"

وتهدف الدراسة إلى المساهمة في لبنة لإعداد الإنسان الصالح لهذه المهمّة الشاقة منذ اختيار الأم والعناية بالأم الحامل وتوفير سبل الرعاية والعناية بالطفل وفترة الرضاعة وحضانته. ثم مراحل تعليمه التعاليم الدينية ومبادئ الإسلام والتعود على الأخلاق الحميدة.

المنهج الذي استخدمه الباحث:

يعتمد هذا البحث أساسا على أن تكون الدراسة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واستنباط الأحاديث النبوية التي عُنيت بتنشئة الطفل على القيم الدينية والأخلاق.

توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

1- العناية والتدقيق في اختيار الأم الصالحة.

2- يجب على كل من الزوجين قبل الزواج القيام بالفحص الطبي اللازم وذلك لتجنب الأمراض الوراثية.

3- العناية بالأم والجنين.

4- أهمية الرضاعة الطبيعية للطفل.

5- على القائمين بشؤون الدعوة الإسلامية اختيار من سيقومون بنشر الدعوة وخدمتها لصالح المجتمع.

رابعا: دراسة حسن ابراهيم عبد العال، سنة (1980) رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة طنطا كلية التربية.

تحت عنوان: "أصول تربية الطفل في الإسلام"

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف عن أصول تربية الطفل في الإسلام، حتى يمكن الوصول بمستوى تربية الطفل إلى الحد الذي يمكنهم في المستقبل من استثمار ما في مجتمعهم من إمكانات وموارد للمشاركة في صنع وبناء حياتهم وتشكيلها وتوجيهها مسترشدة بما لديهم من رصيد إيماني معرفي ووعي ذكي.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي الذي يتناول التراث الإسلامي فيما يتصل بتربية الطفل بالتحليل والنقد مع الاستعانة بالمقارنة القائمة على إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الفكر الإسلامي والفكر المعاصر.

وتعد أهمية هذه الدراسة في شمولها للجوانب المتعددة في التربية الإسلامية ذلك لأنه وضع فلسفة عامة لتربية الطفل في الإسلام بدءًا من تكوين الأسرة المسلمة، ثم واجبات هذه الأسرة نحو وليدها وتربيته تربية إسلامية صالحة.

كما تناولت أهداف تربية الطفل في الإسلام، ومجالات هذه التربية الجسمية، والاجتماعية والوجدانية والأخلاقية.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1- ضرورة ابتكار أنماط جديدة لتقديم الخدمات الأساسية للطفولة.

2- الاهتمام بتربية الطفل تربية إسلامية صحيحة.

3- الاهتمام بالرعاية الدينية للطفل.

علاقة الدراسات السابقة بالبحث:

تميز هذا البحث عن الدراسات السابقة بما يلي:

أولا: تناول البحث الجوانب التربوية التي اهتم المنهج الإسلامي بعلاجها ووضع الأسس السليمة لها مستدلين على كل ما توصلنا إليه بأدلة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن منهج السلف الصالح في التربية والأخذ بآراء بعض المربين القدامى والمربين في العصر الحديث، وبيان كيفية معالجة تربية الطفل على النظم الحديثة.

ثانيا: كما بيّنا الأحكام التي تتعلق بالزواج المثالي وبناء الأسرة المسلمة.

ثالثا: كا أشرنا في هذا البحث إلى عناية الإسلام بالجنين، ثم بيان حقوقه بعد الولادة.

رابعا: كما بيّنا القواعد الإسلامية للتربية العملية: مع بعض الآراء والمقترحات في المنهج النبوي.

خامسا: اهتم البحث بدراسة الأساليب التربوية التي بها يتشكل شخصية الطفل –(الفرد)– بحسب قيم المجتمع وعاداته واتجاهاته مع بيان الأسس الاجتماعية والنفسية للتربية، ومن ثم مساعدة الطفل على التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، وحمايته من المجتمع السيء، حتى لا ينحرف.

سادسا: تسليط الضوء على جوانب التربية من الكتاب والسنة، بهدف توجيه المربين والباحثين إليها لمعالجتها في حالة وجود مشاكل تتعرضها.

سابعا: وضع نتاج ومساهمات بعض رجال التلابية الإسلامية –أمثال أبو حامد الغوالي وابن خلدون–، بين يدي القارئ بهدف تكوين صورة معينة وفهم لمختلف الموضوعات التي تخص الطفل.

وختاما نقف بكل تقدير واحترام تجاه ذلك التشريع من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة، لأنه تراث غني بالمعطيات الإسلامية سواء في مجال التربية والرعاية والحقوق لأطفالنا. هذه المعطيات قد حددت أسس رعاية الطفولة وضمنت حقوقها من طرف الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي.

ورغم الجهد الكبير الذي بذلناه في البحث عن الطفولة، إلاّ أننا لا ندّعي أننا وصلنا إلى الغاية المنشودة، ولكن نرجو أن يكون في العمل ما يفيد.

الفصل الثاني

معنى الأسرة في اللغة:

جاء في لسان العرب: أسر، الأسرة: الدّرعُ الحصينة.... والجمع أسرٌ [1].

إن كلمة "أسرة" تحمل في معناها صورة مصغرة للحياة الاجتماعية في عهد ما قبل الأسرة، حينما كان الناس مرتبطين بالعشائر والقبائل والبطون، حيث كان واجب أفرادها جميعا أن تتناصر وتتآزر لحفظ تلك العشيرة أوالقبيلة...إلخ، ومن هنا جاء معنى الأسرة كما هو واضح في معنى الفعل "أسر" في القاموس العربي.

كما ذكر الفيروز آبادي: أن الأسرة: "بالضم ـ الدرع الحصينة، ومن الرجل الرهط الأدنون"[2]. ومن كل ما ذكر يتضح أن مفهوم الأسرة في اللغة يشمل جميع أرحام الرجل وأقاربه الذين يتقوى بهم مع أبناء الرجل وأهل بيته.

معنى الأسرة في الاصطلاح:

وقد اختلفت معاني الأسرة باختلاف المعرفين لها، فمنهم من قال أن "الأسرة هي الجماعة الأولى التي يتعامل معها الطفل، والتي يعيش معها السنوات التشكيلية الأولى من عمره"[3].

حيث أن الأسرة لها الأثر الكبير في التكوين الذاتي والنفسي للطفل ومن ثم تقويم سلوكه الفردي، حيث هي خير مكان للتكامل الإنساني والسلوك القويم.

ولقد قال بعض المربين "على الرغم من أن الأسرة وحدة اجتماعية صغيرة إلا أنها أساس وجود المجتمع وأقوى نظمه، فهي المهد الحقيقي للطبيعة الإنسانية"[4].

وقيل أن الأسرة تمثل: المدرسة الأولى لتشكيل وتوجيه سلوك الفرد وعاداته وطبائعه، فيترعرع الطفل مقلدا أبويه في عاداتهم وسلوكهم، كما يخضع لنمط التربية والبناء في سننه الأولى"[5].

إذن وظيفة الأسرة لا تنحصر في "بناء" الطفل بتعريفه وتلقينه المبادئ الخُلقية فحسب، بل في استغلال الإمكانيات التي منحتها الطبيعة له مثل الغرائز والذكاء والقدرة على التفكير...إلخ، وجعلها حجر الزاوية في توجيه هذه القدرات بحيث تتحقق صحة وسعادة الطفل.

الأسرة في علم الاجتماع:

"الأسرة" في علم الاجتماع رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد، وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة [6].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب،جـ4، (مادة أسر)، المصدر السابق. ص19،

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1407هـ/1984م، ص438

[3] محمد لبيب النجيجي، الأسس الاجتماعية للتربية، ط7، دار النهضة العربية، بيروت 1978م، ص66

[4] أحمد أبو هلال و آخرون ،المرجع في مبادئ التربية، ط1، دار الشروق للنشر، عمان، 1993، ص436

[5] عبد الله أحمد، بناء الأسرة الفاضلة، دار البيان العربي، بيروت، 1410هـ/1910م، ص62

[6] باقر شريف القريشي، النظام التربوي في الأسرة ، ط1 ، دار التعارف، بيروت، 1408هـ/1988م، ص64

وقيل العائلة وحدة اجتماعية تتصف بالاقامة المشتركة، والتعاون الاقتصادي، ومسؤولية الإنجاب وهي تضم كحد أدنى شخصين راشدين من الجنسين، وطفلا واحدا على الأقل منحدرا من علاقتهما الزوجية كأب وأم"[1]

الأسرة في الإسلام:

الأسرة هي أساس المجتمع في الإسلام "وقد وضع الإسلام الدعائم القوية لبناء الأسرة وتنظيمها حتى تكون قوية سليمة، تسعى لغاية نبيلة ومقصد سام شريف في بناء مجتمع متكامل، إذ هي منه الخلية الأولى[2].

ولذلك جعل الاسلام للأسرة قيمة اجتماعية مفروضة بحيث شرع لها القوانين التي تضبط هذه الاسرة ودعا إلى انزال أشد العقوبات على من يعتدي عليها.

وظيفة الأسرة:

لا يختلف اثنان في الأوساط التربوية والاجتماعية والنفسية على ضخامة دور الأسرة وأهميتها في تشكيل شخصية الفرد وسلوكه في كل مراحل حياته، والسبب في ذلك أن الأسرة تقوم بثلاث وظائف أساسية هامة في المجتمع:

أولا: "أنها تنتج الأطفال وتمدهم بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية.

ثانيا: أنها تعدهم للمشاركة في حياة المجتمع وفي التعرف على قيمه وعاداته.

ثالثا: أنها تمدهم بالوسائل التي تهيئ لهم تكوين ذواتهم داخل المجتمع"[3]

ومؤسسة الأسرة نظام اجتماعي لأنها "تقوم بوظيفة حيوية، إذ تلقن الطفل العناصر الأساسية لثقافة الجماعة ولغتها وقيمها وتقاليدها ومعتقداتها، كما تهيئ الطفل للحياة الاجتماعية، وتمكنه من السلوك بطريقة متوافقة مع الجماعة، ومن التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه. فالتنشئة الاجتماعية[4]، عملية تربوية تقوم على التفاعل بين الطفل والأسرة"[5].

---

(1) 3 باقر شريف القريشي، نظام الأسرة في الإسلام، ط1، دار الأضواء، بيروت، 1408هـ/1988م، ص18

(2) 4 الاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية، الإسلام وتنظيم الأسرة، ثبت كامل لأبحاث ومناقشات المؤتمر الإسلامي، الرباط من 24 إلى 12/29/ 1971م، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1973.ص20

(3) محمد لبيب النجيحي، المرجع السابق، ص68

(4) التنشئة الاجتماعية: " أولى العمليات الاجتماعية ومن أخطرها شأنا في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات شخصيته، وتبدأ العملية منذ ولادة الطفل، لأنه في مراحل حياته الأولى لا يعدوأن يكون كتلة من الغرائز والاستعدادات تتولاه الأسرة بالترويض على أن يكون كائنا اجتماعيا ومواطنا فاضلا، فتعلمه لغة الجماعة وعاداتها وعرفها وتقاليدها وتكمل الجماعات الأخرى (حلقات اللعب، المدرسة، الجمعيات والهيئات)، ووظيفة الأسرة في تنشئة الأفراد، انظر: مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1387هـ/1976م، ص202.

(5) 3 فايز قنطار، الأمومة "تموالعلاقة بين الطفل والأم"، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 166، ربيع الثاني، 1413هـ/، أكتوبر، تشرين أول 1992، ص156.

وكذلك الأسرة مسؤولة عن توفير الاستقرار والأمن والطمأنينة لأفرادها "وتظهر هذه الحاجة جلية عند الولد في ميله الشديد إلى الاستعانة بوالديه من الخطر والألم والبرد والجوع"[1].

فالبيت حمى الطفل وملاذه الذي يلجأ إليه بلهفة فيجد فيه الحب والعطف والطمأنينة والاستقرار.

تكوين الأسرة في الإسلام:

أولى الإسلام الأسرة عناية فائقة، ورسم لتكوينها منهاجا حتى يضمن لها السلامة والاستقرار والاستمرار، فالقرآن تناول في أكثر من موضع شأن الأسرة ووضع لها الأحكام والقوانين، والسنة أيضا أوضحت للناس تلك الأحكام والقوانين، لما في ذلك من تقوية الأواصر بينهم وإحكام الروابط التي تشد أزرهم، لأن المجتمع في الحقيقة يتألف من مجموع الأسر إذ الأسرة هي اللبنة الأولى في التكوين الاجتماعي فإذا كانت قوية متماسكة كان المجتمع قويا متماسكا، وإذا كانت ضعيفة متهالكة كان المجتمع ضعيفا متهالكا[2].

ولهذا حذر الله من أسباب القطيعة والفرقة بين أفراد الأسرة فقال: ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**﴾[3]. أي خافوالله الذي يناشد بعضكم بعضا به حيث يقول: أناشدك الله أو أسألك بالله واتقوا الأرحام أن تقطعوها فإن الله حفيظ مطلع على أحوالكم وأعمالكم.

كما دعا القرآن إلى أن تنهض الأسرة عل مبدأ المودة والرحمة، فقال عز وجل:

﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[4]

فمن الآيات الدالة على رحمة الله وعنايته بعباده وحكمته العظيمة أن خلق لنا من أنفسنا أزواجا تناسبنا ليحصل معنى السكن والراحة وجعل بيننا مودة ورحمة بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة لهما، فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة، والمنفعة بجلب الأولاد الذين هم زينة الحياة الدنيا، وسعادة المرء تتحقق في تربية الأولاد وتنشئتهم، حيث يشعر الأب بأبوته وتشعر الأم كذلك بأمومتها، وقد لا تجد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، وإنما يكون ذلك واضحا جليا عند من يعملون أفكارهم ويتدبرون آيات الله في خلقه[5].

---

[1] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ص239

[2] كمال الدين عبد الغني مرسي، الأسرة المسلمة والرد على ما يخالف أحكامها وآدابها، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،مصر ، 2002م، ص3

[3] سورة النساء، الآية 01.

[4] سورة الروم، الآية 21

[5] كمال الدين عبد الغني المرسي، المرجع السابق، ص 4.

كما قال تعالى: ﴿**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء...**﴾[1].

وكما قال تعالى: ﴿**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾[2].

وقال جلّ وعلا: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾[3].

هيأ الله الإنسان لعمارة الأرض، وجعله خليفة فيها، حيث أخبر الله الملائكة بخلق خليفة في الأرض يعمرها ويقيم شريعته فيها، ولا شك أن هذا الإخبار من الله للملائكة يدل على علوشأن هذا المخلوق وكرامته ودليل قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالو أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون**﴾[4].

وخلق فيه حاجات وميولا كثيرة تتطلب إشباعا حتى يباشر حياته ويحقق ذاته في أمن ومودة وبهجة. واقتضت سنة الله تعالى أن يتم ذلك بطريق مشروع، وأسلوب يتناسب ومكانة هذا الإنسان الذي أكرمه الله تعالى وخصه بخصائص نفسية وعقلية تتفق مع استخلافه في الأرض، مثل العقل والتكلم والقدرة على التخيل.....إلخ، ذلك العقل الذي يستطيع به أن يستغل كل ما حوله حتى تستمر عمارة الكون إلى أن يشاء الله[5].

وإذا كانت الشريعة الإسلامية تتصف بالربانية والشمول، وتختص بالتجديد والاستمرار، فإنها كذلك تعتني بتربية الإنسان تربية تقوده إلى الله وترشده إلى حياة أفضل وأكمل على وجه الأرض، لتصنع منه إنسانا يعبد ربه ويسهم في إقامة مجتمع كريم فاضل، تسوده الرحمة والمحبة، ويضلله الخير والسلام. وفي سبيل ذلك أراد الله أن يهيأ له السبيل القويم منذ أولى اللحظات التي وجد فيها على هذه الأرض، لتبدأ مرحلة إعداده وتكوينه، وتهيئته للقيام بأعباء المسؤولية التي أراد الله أن يقوم بها[6].

ومن أجل هذا كان الإتصال بين نوعي هذا الإنسان ـ الرجل والمرأة ـ ذلك الاتصال الذي لم تتركه شريعة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– عملا سائبا، بل وضعت له الأسس الحكيمة والتنظيم السليم الذي يكفل استمرار العلاقة بينهما على نحو ما أراده الله من الطهر و العفة و الصلاح ليكون منهما بعد ذلك ذرية تعمل في عمارة الكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

[1] سورة النساء، الآية 01

[2] سورة البقرة، الاية 187

[3] سورة النحل، جزء من الآية 72

[4] سورة البقرة، الآية 29

[5] سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الاسلامية ومنهج التربية النبوية، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1997م، ص100.

[6] أمين عبد المعبود زغلول، رعاية الطفولة في الشريعة الاسلامية، ط1، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، 1411هـ/1991م، ص 15ـ16

ولهذا فإن أول خطوة على طريق تربية الإنسان تبدأ بالزواج[1]، لأن الزواج يحدد معالم إنسان المستقبل ويرسم آفاق شخصيته، ويبرز معالم صلاحه، وعليه فقد وضعت الشريعة الإسلامية الأحكام والأسس التي تحقق هذا ويتمثل هذا في الضوابط الآتية:

1ـ الزواج فطرة إنسانية.

2ـ الزواج مصلحة اجتماعية.

3ـ الزواج انتقاء واختيار.

لأن مضون هذه الضوابط يوضح وجه ارتباط التربية بتحمل المسؤولية وإنجاب الذرية، والاعتراف بنسب الولد وسلامة جسمه، وأخلاقه، وتأجيج عاطفة أبويه نحوه، وتعاون الزوجين على تربيته، وتقويم اعوجاجه وإعداده إنسانا صالحا للحياة[2].

وسوف نتطرق بالتفصيل إلى كل ضابط من هذه الضوابط الثلاثة:

الزواج فطرة إنسانية:

قضت الفطرة التي فطر الله الناس عليها بضرورة اجتماع الذكور بالإناث دفعا إلى بقاء النوع الإنساني ليعمر الأرض ويستثمر كنوزها، ويسخر قواها الطبيعية طوال المدة التي أرادها الله تعالى أن تبقى إليها، ولولا ذلك لفنيت الأرض في أقصر زمان.

ولقد كان من الممكن أن يترك الله الناس إلى طبائعهم الحيوانية، يجتمع كل رجل بكل امرأة إذا أراد أن يجتمع بها، كما ترك عجم الحيوانات إلى هذه الطبيعة، ولكن ذلك يدعو إلى مفاسد عظيمة الخطر لا تتناسب مع الإنسان الذي كرمه في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[3].

ولو أن الله تعالى ترك الإنسان إلى طبيعته ـ كما ترك الحيوانات ـ لقلت عناية الإنسان بذريته وهم في مسيس الحاجة إلى العناية بهم، ذلك لأن الطفل حين يولد من غير أن يعلم له أب يكفله، ويعني بأمره، فيكون مشتركا بين الناس، ومن شأن الأمور المشتركة بين الناس ألا تنزل من نفوسهم منزلة الأمور الخاصة.

ومن أجل ذلك شرع الله تعالى الزواج على لسان أنبيائه منذ بعث إلى الناس رسلا يبلغونهم أوامر الله، ويبينون لهم سبيل الهدى ليكون هو الواسطة في اتصال الرجل بالمرأة، وليكون هوا لسبب في التزام كل واحد منهما القيام بما عليه من الحقوق قبل الآخر، وليكون هو النظام الذي يحدد علاقة كل منهما بالآخر.

ولقد تكفلت الشريعة الاسلامية بتبيان حدود هذه العلاقة وبوضع أسسها على أقرب نهج يحقق السعادة العائلية ويتفق كل الاتفاق مع معالم الحياة الاجتماعية، إذا أريد تهذيبها والسير بها صعدا إلى

---

[1] إبراهيم سعادة، الإسلام وتربية الإنسان، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1985م، ص12

[2] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام ، جـ1، ط3، دار إحياء الثراث العربي، بيروت، 1981م، ص29

[3] سورة الإسراء، الآية 70.

معارج الكمال، فإن يكن في حياة بعض المسلمين ما يؤاخذ عليه، فليس سببه تعاليم دينهم، ولكن السبب الحقيقي أن هؤلاء قد انحرفوا عن جادة هذه التعاليم، فساروا وراء شهواتهم غير مبالين بما اصطنعت لها الشريعة من تهذيب[1].

ونحن إذا تأملنا مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مراقبة أفراد المجتمع، ومعالجة النفس الإنسانية، إزددنا يقينا بأن هذه المراقبة وتلك المعالجة مبنيتان على إدراك حقيقة الإنسان، ورامیتان إلى تلبية أشواقه وميوله حتى لا يتجاوز أي إنسان حدود فطرته: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"[2].

فقد روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها[3] فقالوا: وأين نحن من النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: "**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم الله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**"[4].

فمن هذا النص يتبين لكل ذي عقل وبصيرة أن الزواج في الإسلام فطرة إنسانية ليحمل المسلم في نفسه أمانة المسؤولية الكبرى تجاه كل من له في عنقه حق التربية والرعاية "حينما يلبي نداء هذه الفطرة ويستجيب لأشواق هذه الغريزة حتى يساير سنن هذه الحياة".

الزواج مصلحة اجتماعية:

خلق الله آدم عليه السلام وهوأعلم بمدى حاجته إلى من يصلح له أمره، ويشد من أزره، ويؤنسه في وحدته، فخلق له من نفسه زوجه حواء ليسكن إليها ـ سكن اطمئن المستقر ـ وذلك أمر لا يستغني عنه الإنسان السوي، فبعد سعيه وكده في شؤون الحياة لابد له من العودة إلى مستقره ومأواه في آخر نهاره، وبعد انتهاء أعماله يجد في انتظاره زوجته التي تؤنسه وتخفف عنه آلامه ومتاعبه.

---

[1] محمد محي الدين عبد الحميد، الأحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية، ط3، مطبعة السعادة، 1386هـ/1969م، ص17

[2] سورة الأنعام، الآية 30

[3] تقالوها: وجدوها قليلة

[4] صحيح مسلم بشرح النووي "باب استحباب النكاح، جـ9، ط2، دار الفكر، 1392هـ/1972م، ص175، 176، سبل السلام، الصنعاني، رقم 911، جـ3، ط1، دار الكتاب العربي بيروت، 1405هـ/1985م، ص236/235، الشوكاني، نيل الأوطار،جـ6، دار الجيل، بيروت، ص220، فتح الباري شرح صحيح البخاري،العسقلاني، رقم (5063)، جـ9،المصدر السابق، ص104، سنن النسائي، جـ6، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص49- 50.

ولذلك فإن الزواج هوالنظام الإلهي الذي شرعه الله عز وجل لحكمة الهبة بالغة[1] تتمثل في الأمور التالية:

1. المحافظة على النوع الإنساني:

ولذلك فإن الزواج هوالنظام الإلهي الذي شرعه الله عز وجل يحقق استمرار بقاء النوع الإنساني ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا**﴾[2].

وبقاء النوع البشري وتكاثره معناه استمرار دورة الحياة الدنيا، وبالتالي تحقيق اللخافة الأرضية التي أرادها الله سبحانه وتعالى لبني آدم أن يحملوها، ويقوموا على أدائها وفق منهج الله، كما أنه طريق التكاثر، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وعد أمته المسلمة أنه سيباهي بهم الأمم الأخرى يوم القيامة بكثرتها فقال عليه الصلاة والسلام: **تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**". رواه أحمد وصححه ابن حيان[3].

وقد وصف الله الرسل مادحا لهم بقوله تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك، وجعلنا لهم أزواجا وذرية**﴾[4] فذكر الذرية في موطن الامتنان عليهم، كما كان دعاء الصالحين ما أخبر به الله تعالى في قوله: ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمام**﴾[5].

ونهى الإسلام أن يترك المسلم الزواج مخافة الفقر فقال عليه السلام: "**من ترك التزويج مخافة العيلة**[6] **فليس منا**"[7] لأن الله سبحانه وتعالى تكفل برزق الناس، فقال تعالى: ﴿**وفي السماء رزقكم وما**

---

[1] الكساني، بدائع الصنائع، تحقيق محمد عدنان بن ياسين درويش، جـ3، ط3، مؤسسة التلريخ العربي، بيروت، 1421هـ/2000م، ص1324، أبي بركات(الدردير)،الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، تحقيقف مصطفى كمال وصفي، جـ2، طبعة دار المعارف، مصر، 1392هـ/1976م ص230، الشرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، جـ2، ط3، طبعة مصطفى الحلبي، 1976م، ص43، الباجوري، حاشية الباجوري، جـ2، طبعة مصطفى الحلبي، 1343هـ/1927م ص93، انظر ابن القيم الجوزية زاد المعادفي هدي خير العباد، جـ4، طبعة المطبعة المصرية، 1379هـ/1963م، ص2.

[2] سورة النساء، الآية01

[3] سنن النسائي، جـ6، المصدر السابق، ص54، والصنعاني، سبل السلام، رقم (912)، جـ3، المصدر السابق، ص237.

[4] سورة الرعد، الآية 38

[5] سورة الفرقان، الآية:74

[6] العيلة: الفقر

[7] أبي داود، المراسيل من حديث أبي نجيح "من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا"، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 120

توعدون﴾[1]، وقال عليه السلام: "**لوأنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدوخماصا وتعود بطانا**"[2].

وذم الإسلام العقم ودعا إلى تزوج المرأة الولود، فقال عليه الصلاة والسلام: "**خير نسائكم الولود الودود**" وقال:"**سوداء ولود خير من حسناء لا تلد**"[3] لأن النسل عمارة الدنيا وبقاء الإنسان، ولذلك كان من أهم مقاصد النكاح النسل.

هذا وإن حفظ النوع الإنساني على الوجه الأكمل لا يكون إلا بالزواج، فإن العلاقة بين الرجل والمرأة بغير الزواج لا تنتج نسلا، وإذا أنتجت نسلا لا نتيجة قويا للألف الاجتماعي الذي يجعل من الأسرة لبنة في بناء المجتمع.

وأن التجربة أثبتت أن الولد الذي يعيش بين أبويه يكون أقوى جسما وعاطفة من الأطفال الذين يعيشون في الملاجئ[4].

من هنا تكون القيمة التربوية للطفل في المحافظة على النوع الإنساني وفي العمل على الإرتقاء بالتفكير الإنساني للاهتداء لمختلف الطرق والوسائل والأساليب التربوية التي تساعد على تربية الإنسان خلقيا، وعقليا، وجسميا من أجل المحافظة على النوع الإنساني تحقيقا لمهمة الخلافة كما أرادها الله له.

2. المحافظة على الأنساب:

وبالزواج الذي شرعه الله لعباده يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم، ولا يخفى ما في هذا الانتساب من اعتبارهم الذاتي واستقرارهم النفسي، ولولم يكن ذلك الزواج الذي شرعه الله لعج المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب، وفي ذلك طعنة كبيرة للأخلاق الفاضلة، وانتشار مريع للفساد والإباحة، بالإضافة إلى تفكك الأسرة وعدم قيامها بمسؤولية التربية الصحية للأبناء، وهذا بدوره يؤدي إلى تفكك المجتمع وانتشار الفوضى والانحلال[5].

أما قيمتها التربوية فتتجلى في تمزق الفرد وضياعه بأنه لا أب له ولا أم، مع فقدانه للترابط الأسري، الذي من شأنه أن يحافظ على كرامته الإنسانية ويعزز مكانته الأسرية، ويساعد على توازنه النفسي.

---

(1) سورة الذاريات، الآية 22

(2) بطانا:شبعان، سنن ابن ماجه، رقم (4164)، جـ2، دار التراث الاسلامي ،1395هـ/1975م، ص2394، سنن الترميذي ، رقم (2344)،جـ4، جمعية الكنز الاسلامي، ص573

(3) الشوكاني، نيل الأوطار، جـ6، المصدر السابق، ص226

(4) محمد أبوزهرة، تنظيم الاسلام للمجتمع،مطابع الدجوى ، القاهرة ،ط1975م ، ص64

(5) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ1، ط1، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1412هـ/1992م، ص23.

3. إقامة منهج الله في خلقه:

لقد رسمت الشريعة الإسلامية منهجا لسير الأسرة، ورتبت حقوقا مشتركة بين الزوجين، بحيث لا تتعارض مع الفطرة البشرية بين طبيعة الرجل والمرأة بما يتناسب مع قدرات كل منها وأعبائه، فالرجل يسعى ويكد ليوفر الحصول على الملل من أجل سعادة الأسرة ورفاهيتها، بينما تقوم الأم في البيت من أجل راحة الأولاد والزوج وتوفير كل مطالبهم التي تحقق للأسرة الأمن والأمان.

أقام الله هذه العلاقة على مبادئ ربانية، فكانت أسسا لدعم البيت المسلم لمراعاة تحقيق شرع الله ومرضاته في كل شؤونهما، وعلاقتهما، وحقوقهما وواجباتهما الزوجية تجاه الأولاد وسعادتهم.

وعندما تقوم الحياة الزوجية على هذا المنهج بتطبيق شرع الله، فإن لذلك قيمة تربوية كثيرة منها المحافظة على بقاء الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة على أحسن ما ينبغي أن تكون عليه هذه العلاقة.

من هنا يتماسك البيت المسلم بهذه الصورة، فيترجم مبادئ الإسلام بين جدرانه، وينشأ الطفل في جومشبع بالإيمان والصلاح فيتشبع بتلك المبادئ الإسلامية، ويتطبع بسلوكياتها عمليا لأن الطفل عادة يبدأ باكتساب القيم والمفاهيم عن طريق التقليد والمحاكاة التي ما يلبث أن تقتنع بها متى كبر واستوعب روعة وعظمة عقيدته[1] وهذا هوالأساس في اللبنة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي.

4. سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي والمرض:

لقد فرض الإسلام الزواج لرغبته في تحصين النفس الإنسانية، والبعد بها عن انتهاك المحرمات، وذلك بإباحة أن يقضي كل واحد حاجته الجنسية من طريق مباح حلال،

فليس أضر بالأمة، ولا ادعى إلى فنائها، ولا أشد تأثيرا في كيانها وأسباب حيويتها من انتشار الفسق والفوضى الجنسية، وترك حبل الشباب على الغارب وما نشاهده في هذه الآونة في المجتمعات المتحررة واللادينية التي نزعت إلى إباحة الجنس بين الرجل والمرأة بطرق غير مشروعة، فوقعت بأفرادها إلى الإنحلال والتمزق والاضطرابات لعدم وجود ضوابط حدود واضحة ترشدهم لتصريف طاقاتهم الجنسية في الطريق السليم.

فكانت النتيجة من ذلك انتشار الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر بين أبناء هذا المجتمع، مثل مرض الزهري[2]، وداء السيلان[3]، وغيرها من الأمراض الخطيرة التي تقضي على النسل، وتوهن

---

[1] المقدمة لابن رشد، جـ1، ص23، إحياء علوم الدين، جـ2، ص26، ط1، دار القلم، بيروت، الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية، ص101، ليلى عبد الرشيد عطار.

[2] مرض الزهري تسببه جرثومة لا تعيش إلا في الإنسان وتقوم بخرق الجلد في منطقة ضعيفة بحركة لولبية ـ كالبرغي ـ وتنتقل هذه الجرثومة من مريض إلى آخر أثناء الاتصال الجنسي المحرم، حيث تدخل الجسم بأعداد كبيرة عن طريق قضيب الرجل أوفرج المرأة، بعد مدة من دخولها تتراوح ما بين "20ـ 90" يوما تظهر أولى علامات المرض على شكل قرحة وتستمر مدة العدوى إلى خمس سنوات.

[3] هوشعور غير مريح في الإحليل يتبعه سائل صديدي أصفر، يبدأ بالتقاطر من فتحة القضيب،ويشعر المريض بضيق وحرقان عند التبول، وهو من الأسباب التي تؤدي إلى العقم، ويصاب الرجل بهذا المرض نتيجة الزنى بإمرأة مصابة به.

الجسم، وتنشر الوباء، وتفتك بصحة الأولاد، علاوة على ما يعاني منه المجتمعات الأوروبية الآن من انتشار مرض الإيدز[1] "فقدان المناعة" الذي هدد البشرية، وجعل العلماء أمامه حائرين لا يعرفون له علاجا.

من أجل المحافظة على البشرية من هذا الوباء شرع الزواج وقاية لصحة الإنسان وحفظا لكرامته لأنه يختص فيه الرجل بالأنثى لا يشاركه غيره، فيظل هذا الوعاء نظيفا طاهرا، بحيث يرضى كل منهما صاحبه ولا يجد في معاشرته شيئا مما ينغص عليه حياته، فكان من هذا السبيل أن نتجت مجتمعات فاضلة، وأجيال قوية، وهذا في حد ذاته يعتبر قيمة تربوية تسعى التربية الحديثة لإقراره.

5ـ السكن النفسي:

لقد تحدث الباحثون عن السكن النفسي والإطمئنان القلبي، باعتبار أن ذلك أثر من آثار الزواج، حيث يجد الزوج ذلك عندما تنموروح الألفة، والمودة والرحمة بين الزوجين، فالزوج حين يفرغ آخر النهار من عمله ويركن عند المساء إلى بيته، ويجتمع بأهله وأولاده ينسى الهموم التي اعترته في نهاره ويتلاشى التعب الذي كابده في سعيه وجهاده، وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها، وتستقبل في المساء رفيق حياتها، ويقوم بما يتطلبه المعاشرة، وتفرضه المؤازرة بينهما... فإن هذه الأمور توفر السعادة التامة بينهما.

وإذا نظرنا إلى الحياة الزوجية نظرة فاحصة مجردة من التصنع والتكلف والتعصب لوجدنا حقيقة لا شك فيها هي أن الزواج هوالراحة الحقيقية للرجل والمرأة على السواء، إذ أن المرأة تجد من يكفل لها الرزق فتعكف على البيت ترعاه، وعلى الأولاد ترأمهم، وفي ذلك ما يتفق مع طبعها، وكل ما يتفق مع طبيعة الإنسان يجد فيه راحته الحقيقية، وإن كان في ظاهره من المشقة أحيانا، والرجل بعد أن يأوي إلى بيته يجد فيه راحة الزوجية جنة الحياة، وكأنها واحة خضراء في وسط صحراء الدنيا ومتاعبها، ولولا الزواج لكان آفاقا لا مأوى له ولا سكن ولا مستقر[2].

وقد عبر القرآن الكريم عن كل هذه المعاني السامية، فقال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[3].

---

[1] الإيدز: هو"انهيار وسائل الدفاع الطبيعية في الجسم"، لقد ظهر هذا المرض وانطلق الفيروس المسبب له من عقاله.. فلا أحدا يعرف كيف بدأ، ولا من أين يأتي، وما علاجه إلا الله تعالى وهومن أكبر التحديات للطب الحديث، فالمصابون به يموتون أمام الأطباء دون أن يتمكن هؤلاء من إنقاذهم.

[2] محمد أبوزهرة، الأحوال الشخصية، ط3، دار الفكر العربي، 1377هـ /1957م، ص 56

[3] سورة الروم، الآية 21

وفي أحضان تلك العواطف النبيلة والجوالسكني المريح والواحة الخضراء تستقيم تربية الطفل، ويعتبر بيئة تربوية ملائمة لنموه، ونشأته نشأة سوية خالية من القلق والإضطراب[1].

الزواج انتقاء واختيار:

بعد حديثنا عن الزواج كفطرة إنسانية، ومصلحة اجتماعية، نأتي إلى حجر الأساس الذي يبني عليه دعائم البيت المسلم وبه يستقيم أمر الفطرة الإنسانية، وتتأكد فيه المصالح الاجتماعية المختلفة، ولما كان مستقبل الحياة الزوجية يتحدد من نقطة البدء، وعليه يتوقف نجاح أو فشل تلك الحياة الزوجية، وعلى الأسلوب الذي اتبع في اختيار وانتقاء كل من الزوجين للآخر.

فالاختيار أمر نفسي أولا وقبل كل شئ، إذ على من يريد الزواج أن يفكر في هذا الأمر الخطير الذي سوف يترتب عليه نتائج لا يمكن تداركها ولا الرجوع عنها، ولا التغيير فيها، وهذا هو الأساس الأول لبداية هذا الطريق.

وما أبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أجاب على سؤال أحد أبنائه عن حق الولد على أبيه قائلا: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن.

وبناءا على ذلك فقد وضع الإسلام القواعد والأحكام التي تنظم عملية الاختيار للزوجة المطلوبة.

وأول هذا التنظيم هو اختيار الزوجة الصالحة، وهو موكول إلى التقدير البشري، وهذا التقدير يعتريه دون شك، فقد يخطئ البشر في تقديره وقد يصيب.

فمن وافق اختياره صوابا فليحمد الله وليشكر فضله، وليتق الله في زوجه، وليعلم أنه يرتكب إثما عظيما إن حاول أن يحدث خللا في هذا العقد الذي وُفق فيه.

وإن كانت الأخرى فليبصر من أساء الاختيار على معاملة شريكه، وفي صبره على ذلك أجر عظيم، غير أنه قد يصل الضرر إلى حد بعيد يعكر صف وحياته، ويجعل فوق الطاقة البشرية، وبما أن الله شرع الأحكام لعباده على قدر طاقتهم، فقال تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾[2].

من هنا كان لابد من العناية في اختيار العشير والخضوع في اختياره لحكم العقل لا حكم الهوى، وأن الأزواج جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

ولقد شبه المرحوم الشيخ أبو زهرة الرجل والمرأة كنصف دائرة، كل نصف يسبح في هذا الوجود حتى يلتقي بتوفيق الله بالنصف الذي يلائمه ويتحد قطراها، فتتكون منها دائرة كاملة، وتلك هي دائرة الأسرة التي تكون دعامتها الحياة الزوجية[3].

وأنه في سبيل ذلك قد سن الإسلام نظما محكمة تمنع الشطط في الاختيار من أجل طفل أفضل.

---

[1] ليلى عبد الرشيد عطار، الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية، دار تهامة، جدة، ص108، الغزالي، احياء علوم الدين، جـ2، ط1، دار القلم، بيروت ص29.

[2] سورة البقرة، الآية 286

[3] محمد أبوزهرة، الأحوال الشخصية، المصدر السابق ، ص 56

وإليكم أهم هذه القواعد والأحكام:

1ـ الاختيار على أساس الدين:

فإذا كانت الشريعة الإسلامية قد حثت على الإكثار من النسل ورغبت فيه، كما رأينا أنها لم تترك الطفل دون عناية أو حماية بل عملت على رعايته، وحفظ حقوقه في مختلف مراحل حياته، من حيث نشأته أو تكوينه في بطن أمه، وبعد خروجه إلى الدنيا حتى يبلغ رشده، ويعتمد على نفسه، وليس هذا فحسب، بل عنيت الشريعة بالطفل قبل وجوده وذلك بدعوتها الصريحة للرجال إلى اختيار الزوجات ذوات الدين، والخلق الكريم والمنبت الحسن حتى تسري إلى الأولاد عناية الخير وصفات الكمال.

وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما وجه الشباب إلى اختيار الزوجة "**تنكح المرأة لأربع[1]، لمالها، ولحسبها، ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**"[2]. متفق عليه.

فينبغي على الرجل أن يختار المرأة ذات الخلق الحميد، والدين القويم فلا يكون همه الاقتران بامرأة ذات جمال وفتنة من غير النظر إلى المقومات الحقيقية للحياة الزوجية الصحيحى، فقد يختارها ملاحظا فيها درجة جمال معينة من غير النظر إلى الجانب المعنوي، فإن هذا الاختيار يجعل الحياة الزوجية غالبا عرضة للزوال، وذلك لأن الإعجاب الحسي قد ينتهي، أما النواحي المعنوية فإن الإعجاب بها يتجدد بتجدد الزمان، ولذلك حث النبي –عليه السلام– على هذا الجانب فقال: **إنما الدنيا متاع، وليس من متاع[3] الدنيا شئ أفضل من المرأة الصالحة[4]**.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**ألا أخبركم بخير ما يكنز الرجل؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته**"[5].

أنظر أخي المسلم في معنى هذا النموذج الذي طابق هذا الحديث " كان في عهد عمر بن الخطاب امرأة ذهب زوجها، وغاب عنها كثيرا، فتخيم عليها كربة الوحشة، ويثور في عروقها دم الأنوثة، وتتأجج فيها نار الغريزة، فلا يصدها عن ارتكاب المحرم إلا حاجز الإيمان، ووازع مراقبة الله، وفي جنح الله إليهم سمعها عمر تنشد:

لقد طال هذا الليل وأسود جانبه * وأرقــى ألا حبيــب ألاعبــه

---

(1) "لأربع": أي الناس يراعون هذه الخصال في المرأة أويرغبون فيها لأجلها "لحسبها" الحسب شرف الآباء، أوحسن الفعل "فاظفر" أي فاطلب أيها المسترشد ذات الدين حتى تفوز بها، "تربت" من ترب، إذا افتقر فلصق بالتراب، وهذه كلمة تجري على لسانها العرب في مقام المدح والذم، والمراد بها هنا الدعاء.

(2) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، رقم (5090)، جـ9، مصدر سابق، ص132، الصنعاني، سبل السلام، رقم (913)، جـ3، المصدر السابق، ص913، صحيح مسلم، شرح النووي، جـ10، المصدر السابق، ص51

(3) "متاع": أي محل للاستمتاع لا مطلوبة بالذات.

(4) سنن النسائي، جـ6، المصدر السابق، ص87، سنن ابن ماجه، رقم (1855)، جـ1، المصدر السابق، ص596، الشوكاني، نيل الأوطار، جـ6، المصدر السابق، ص226

(5) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، (باب في حقوق المال)، رقم(1664)، جـ2، المصدر السابق، ص 126.

فو الله لولا الله تخشـــى عواقبــه * لحرك من هذا السرير جوانبه

وفي اليوم التالي، دخل الفاروق عمر على ابنته حفصة أم المؤمنين فقال لها: كم تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب؟... فقالت: أربعة أشهر، فأرسل الخليفة إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم ألا يحبسوا جنديا عن أهله أكثر من هذه المدة[1].

فقد روى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أويصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه[2].

وبالمقابل أرشد النبي –صلى الله عليه وسلم– أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية، وتربية الأولاد، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق.

روى الترميذي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وإلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**"[3].

2. الاختيار على أساس الأصل والشرف:

كذلك نبهت الشريعة أن تختار الزوجة من الأسرة الصالحة التي عرفت بالشرف الرفيع، والدين القيم، والخلق الكريم والخالية من الأمراض الوراثية، والعاهات الجسمية، والشذوذ الأخلاقي، والضعف العقلي، والتخلف الفكري، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**تزوجوا**[4] **في الحجر**[5] **الصالح فإن العرق دساس**"[6].

وقوله –صلى الله عليه وسلم–: "**إياكم وخضراء الدمن**[7]**، فقالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء**"[8]. رواه الدارقطني.

---

(1) الإسلام وتربية الإنسان، ابراهيم سعادة، المرجع السابق، ص18، ابن قدامة المقدسي، الكافي في فقه الإمام المبجل احمد بن حنبل، رقم (1405)، جـ3، ط2، بيروت، 1399هـ/1979م، ص35

(2) جلال الدين السيوطي، الجامع الصغيرمن احاديث البشير النذير، رقم (21657)، تحقيق محمد محي الدين، جـ6، مكتبة الحلبوني، دمشق، ص327، رواه ابن حبان

(3) سنن الترميذي، رقم (1084)، جـ3، المصدر السابق، ص385، السنن الكبرى للبهيقي، جـ7،دار الفكر بيروت، ص82

(4) الجامع الصغير، رقم (10329)، جـ3، المصدر السابق، ص584، رواه أنس

(5) الحجر: الأسر

(6) دساس: دخال لأنه ينزع إلى أعراق الأبوين في لطف وخفاء

(7) خضراء الدمن: عشب المزابل.

(8) جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، رقم (9484)، جـ3، المصدر السابق، ص416.

ولعل السر في هذا حتى ينجب الرجل أولادا مفطورين على معالي المور، ومتطبعين بعادات أصيلة، وأخلاق إسلامية قويمة، يرضعون منهن لبان المكارم والفضائل: ويكتسبون بشكل قوي خصال الخير، ومكارم الأخلاق.

وهذا الانتقاء الذي وجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد من أعظم الحقائق العلمية، والنظريات التربوية في العصر الحديث، فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة، فعندما يكون انتقاء الزوج أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح فلا شك أن الأولاد ينشئون على خير ما ينشؤون من العفة والطهر والاستقامة، وعندما يجتمع في الطفل عوامل الوراثة الصالحة، وعامل التربية الفاضلة فإنه بلا شك يكون مضرب في المثل في التقوى والفضيلة ومكارم الأخلاق[1].

3. الاغتراب في الزواج:

ومن توجيهات الإسلام الحكيمة في اختيار الزوجة تفضيل المرأة الأجنبية على النساء ذوات النسب والقرابة حرصا على نجابة الولد، وضمانا لسلامة جسمه من الأمراض السارية والعاهات الوراثية وتوسيعها لدائرة التعارف الأسرية، وتثبيتا للروابط الاجتماعية.

ففي هذا تزداد أجسامهم قوة، ووحدتهم تماسكا وصلابة، وتعارفهم سعة وانتشارا، فما روى عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**لا تنكحوا[2] القرابة فإن الولد يخلق ضاويا**"[3].

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهيه عن زواج الأقارب حتى لا يضعف بنيانهم ويضووا، وتكثر فيهم العاهات.

قال الشاعر:

إن أردت الإنجاب فانكح غريبا * وإلى الأقربين لا تتوصل

فانتقاء الثمار حليبا حسنا * تمر غصنه غريب موصل[4]

وهكذا يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من زواج الأقارب وأنه كلما تباعدت الأنساب والقرابة بين الزوجين يبعد التشابه والتماثل بين عوامل الوراثة من كلا الأبوين، وهذا التشابه بين الإبن وأبيه أثبت العلم أن له قواعد مقررة تجري وفق قوانين ثابتة منذ آدم أبي البشر، إلى أصغر طفل يعيش

---

[1] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الاسلام، جـ1، المرجع السابق... الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية، د.ليلى عطار.

[2] قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا معتمدا، قلت إنما يعرف من قوله عمر أنه قال لآل السائب قد اضويتهم فانكحوا في النوابغ، رواه ابراهيم الحربي في غريب الحديث، جـ2، ص41

[3] ضاويا: أي نحيفا وضعيف الجسم بليد الذكاء.

[4] حاشية الباجوري، جـ2، المصدر السابق، ص94

في عصرنا الحاضر، وهذه الحقيقة قد قررها رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا، قبل أن يأتي العلم ليقول كلمته، ويظهر لذوي الأبصار حقائقه.

وهذه معجزة لرسولنا العظيم تضاف إلى جملة معجزاته الباهر وإخباراته الصادقة.

4. تفضيل ذوات الأبكار:

والحكمة من ذلك وردت في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "**عليكم[1] بالأبكار فإنهن أعذب أفواها[2]، وأنتق أرحاما[3]، وأقل خبثا[4]، وأرضى باليسير**"[5]. رواه الطبري.

والعلة في ذلك أنها تكون أكثر إنجابا، وأشد علاقة بالزوج، وترضى باليسير من النفقة، لأنها لم تجرب الرجال فتقارن بين زوجها هذا وبين زوجها ذاك.

علاوة على ذلك، فإن فيه حماية للأسرة مما ينغص عيشتها ويوقعها في حبائل الخصومات، وينشر في أجوائها ضباب المشكلات والعداوات، وفي الوقت نفسه تأكيدا لأواصر المحبة الزوجية لكون البكر مجبولة على الأنس والألفة بأول إنسان تكون في عصمته، وتلتقي معه وتتعرف عليه، بعكس المرأة الثيب، فقد لا تجد في الزوج الثاني الألفة التامة والمحبة المتبادلة، والتعلق القلبي الصادق للفرق الكبير بين أخلاق الأول ومعاملة الثاني.

فلا غرابة أن نرى عائشة –رضي الله عنها– قد وضحت لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– كل هذه المعاني لما قالت للرسول –صلى الله عليه وسلم– فيما رواه البخاري: "**يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بغيرك؟ قال –عليه الصلاة والسلام–: في التي لم يرتع منها. يعني أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لم يتزوج بكرا غيرها**"[6]، وتقصد بيان فضلها على باقي الزوجات، باعتبار أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يتزوج بكرا غيرها.

حقا، إن للإسلام في وضع هذه الأسس والضوابط التي تؤهل لقيام أسرة كريمة تشتمل على أسرار جليلة لإعداد الجيل المؤمن الذي سيحمل رسالة السماء... والمرأة الصالحة هي الأرض الخصبة التي تنتج الثمرة الصالحة القوية لتتعهد بالرعاية والتوجيه والتربية وفق منهج الله السماوي.

---

[1] السنن الكبرى للبهيقي، جـ7، المصدر السابق، ص8، سنن ابن ماجه، رقم(1961)، جـ1، المصدر السابق، ص598

[2] أعذب أفواها: طيب الكلام

[3] انتق أرحاما: كثرة الأولاد

[4] أقل خبثا: أقل مكرا وخديعة

[5] أرضى باليسير: المال والجماع ونحوهما.

[6] فتح الباري، صحيح البخاري، رقم (5077)، جـ9، ص120، السنن الكبرى للبهيقي، جـ7، ص71.

إذن فتربية الأولاد في الإسلام يجب أن تبدأ أولا بزواج مثالي يقوم على مبادئ ثابتة، لها في التربية وفي إعداد الجيل تكوين وبناء... ألا فليتذكر أولو الألباب؟

القوامة و الحقوق الزوجية

إن الزواج رباط وثيق بين الرجل والمرأة ، والشريعة تريد به الدوام والبقاء، كما تريد أن تنشأ عنه مودة ورحمة و لا يتيسر ذلك الدوام، ولا تنمو بوادي المودة و الرحمة إلا بقيام كل واحد من الزوجين بحقوق الأخر، قياما يكفل رضا النفس، واستتباب الطمأنينة وشمول المحبة.

وقد نظمت هذه الشريعة علاقة الزوجين نظاما دقيقا، فبينت ما يجب على كل واحد منهما للأخر، بحيث لو التزم بها المتزوجون التزاما صادقا في سرهما وعلانيتهما لنعمت حياتهما، ولعمت السعادة كل أفراد أسرتهما.

هذا وقد أوضح الإسلام أن حياة الرجل و المرأة معا في إطار الأسرة إنما قصد بها التعاون على تهيئة الظروف المثلى والحسنة التي يجد كل منها في ظلالها طلبته ومبتغاه، فليس الزواج شرك يبغى كل طرف فيها الربح له وحده ولا يبالي بخسارة الآخرين. بل هو ميثاق مؤكد وعهد مشهود بين الزوجين أن يعمل كل منها من أجل الآخر وأن يتعاونا لبلوغ السعادة المشتركة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة**﴾ [1]

وقد اهتم الإسلام بإبراز الصلة النفسية والروحية بين الزوجين وتأكيد ما بينهما من رباط قوي وميثاق متين. فبينهما صلات وطيدة تحملهما على التراحم والتآلف وتجنبهما البغي والعدوان. فهما من نفس واحدة، تربطهما كل خصائص هذه النفس وأواصرها. حيث قال سبحانه و تعالى: ﴿**خَلَقَكُمْ مِّن نَّفسٍ واَحِدة وخَلَقَ منها زَوْجَهَا وَبَثَّ منهما رِجَالاً كثيرًا و نِساءً**﴾[2].

ورعاية هذا الأصل الواحد تحيط علاقة الزوجين بالحب والرحمة وتوجههما إلى البر والتقوى. ولكل منهما لدى صاحبه السعادة والإعانة والإيناس، إن اتقى ربه فيه وأرقام علاقته به على الوفاء والإخلاص. وقد أوصى الإسلام الرجال بالنساء، واستثار فيهم عاطفة الرحمة خُلُق الوفاء.

فقد اخذوا النساء بأمانة الله، واستحلوهن بإذنه، وجدير بالمؤمن أن يحفظ الأمانة و يرعى العهد، ويتجنب الخداع والكيد والإيذاء[3].

---

[1] سورة الروم ، الآية 21

[2] سورة النساء ، الآية 01

[3] وفاء ابراهيم محمد الديب، حقوق الطفل في الشريعة السلامية (دراسة مقارنة) بما ورد في قوانين الأحوال الشخصية وقانون الطفل (القانون رقم 12 لسنة 1996)، رسالة لنيل درجة دكتوراه في الحقوق، كلية الحقوق، قسم الشريعة الاسلامية، جامعة القاهرة، 1428هـ/2007 م، ص 17

وقال رسول الله –صلى الله عليه و سلم– " **استوصوا بالنساء خيراً ، فإنكم اخذتموهن بأمانة الله و استحللتم فروجهن بكلمة الله** "[1].

فجعل للزوجة مسؤولية الأمانة وحرمة العهد، واعتبر رعايتها ورحمتها قربة إلى الله وسبيلا لرضاه. وهذه الوصية منظور فيها إلى قوة الرجل وقوامته.

وقال رسول الله –صلى الله عليه و سلم–: " **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**"[2]

فليرحم الرجل امرأته وليأخذها بالرفق والعطف، وليكن لها خيرا لها خيرا حتى يكون فيه الخير. وأسوته في ذلك الرسول الكريم –صلى الله عليه و سلم–.

وقد جعل الإسلام للزوج حقوقا على زوجته، كما جعل لها حقوقا عليه، واستيفاء الحق مشروط بأداء الواجب. قال سبحانه و تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم**﴾ [3].

أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي لهم من الطاعة فيما أوجب سبحانه وتعالى له عليها.

إذن فحقوق المنافع واللذة مشترك بين الجانبين، لأن المقصود من الزوجية السكن والألفة والمودة واشتباك الأنساب واستكثار الأعوان والأحباب، وحصول اللذة [4].

كما قال سبحانه و تعالى: ﴿**و لهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[5].

فهذا النص المحكم وضع الدعامة الأولى التي ترتكز عليها الحياة الزوجية، وهي تبادل الحقوق والواجبات بين الزوجين.

ومن هنا نشير إلى واجبات كل منهما حقوقه والى والحقوق المشتركة بينهما .

أولا : حقوق الزوج على زوجته :

يثبت الإسلام للزوج على زوجته الحقوق الثلاثة الآتية :

1. حق القوامة و التوجيه و الطاعة و القرار في البيت :

معنى ذلك أن تطيعه في كل ما يتعلق بالحياة الزوجية، باعتباره رأس الأسرة و رئيسها، وله بمقتضى هذه الرياسة إذا ما خرجت عن طاعته أن يتولى تعليمها وتوجيهها ومحاسبتها.

---

[1] من خطبة الوداع، صحيح مسلم، جـ7، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1960م، ص 401، وسنن ابن ماجة، جـ5، المصدر السابق، ص 446، والسنن الكبرى للبيهقي، جـ5، المصدر السابق، ص 372.

[2] سنن الترميذي، جـ5، المصدر السابق، ص 1987، وصحيح مسلم، جـ7، المصدر السابق، ص 401، وانظر أيضا، السنن الكبرى للبيهقي، جـ11، المصدر السابق، ص 135.

[3] سورة البقرة ، جزء من الآية 228 .

[4] وفاء ابراهيم محمد الديب ، المرجع السابق ، ص 18

[5] سورة البقرة ، جزء من الآية 228.

وإعطاء الرجل هذا الحق أمر طبيعي مادام هو القائم على أمر الأسرة وراعيها، والمكلف بأداء نفقاتها المالية وكل رئيس لابد له من سلطة تمكنه من أداء عمله، وفي حدود المصلحة، وارتفاع درجة الرجل على درجة المرأة في ماضي الحياة وحاضرها أمر واضح وملموس، لما زودته به الفطرة الإلهية من مزايا خاصة ليست موجودة عند المرأة ولها مزاياها الأخرى التي تتفرد بها[1].

فبين سبحانه و تعالى إن أساس العلاقة بين الرجل و المرأة يقوم على المودة و الرحمة .

يقول الله تعالى : ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[2].

وبين أن للرجل قوامة على النساء بقوله تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم**﴾[3].

قوامون: جمع قوام على وزن فعال للمبالغة من القيام على الشيء وحفظه، فيقال: قام فلان على الشيء وهو قائم عليه وقوام عليه إذا كان يرعاه ويحفظه ويتولاه: فيكون معنى القوامة في الآية أن الرجال يقومون علي شؤون النساء بالحفظ والرعاية والنفقة والتأديب وغير ذلك مما تقتضيه مصلحتهن فهي قوامة حب ورعاية لا قهر وإذلال[4].

ولهذه القوامة كما بين سبحانه وتعالى سببان:

أولهما: ما وهبه الله للرجال على النساء من قوة في الجسم وزيادة في العلم ، وقدرة على تحمل أعباء الحياة وتكاليفها ومتطلباتها[5]. قال: "الفخر الرازي"[6] واعلم أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة: بعضها صفات حقيقية وبعضها أحكام شرعية.

أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العلم والقدرة ولا شك أن عقول الرجال، وعلومهم أكثر، ولا شك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكثر، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل، والحزم والقوة، وأن منهم الأنبياء والعلماء، ومنهم الإمامة

---

(1) أمين عبد المعبود زغلول، المرجع السابق، ص 37

(2) سورة الروم، الآية 21

(3) سورة النساء، جزء من الآية 34

(4) الكاساني، جـ3، المصدر السابق، ص 1551

(5) القرطبي، تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، جـ1، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م، ص190.

(6) الرازي (فخر الدين): (ت 606هـ/1210م): إمام مفسر. ولد في الري – مدينة في شمال إيران بضاحية طهران، فتحها العرب في صدر الإسلام، كانت من عواصم الإسلام التجارية والثقافية والفنية. ازدهرت في عهد العباسين والبويهيين والسلاجقة – متكلم وفيلسوف واسع المعرفة بعلوم المعقول والمنقول. كان شافعيا أشعريا. له عشرات المؤلفات بالعربية والفارسية، منها "مفاتيح الغيب" المشهور "بالتفسير الكبير" و "معالم أصول الدين" ..الخ . انظر المنجد في اللغة العربية والأعلام، ط36، طبعة منقحة ومزيد عليها دار المشرق، بيروت، 1997، ص 259.

الكبرى والصغرى، والجهاد، والآذان، والخطبة، والولاية في النكاح، فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء[1].

والمراد بالتفضيل تفضيل الجنس على الجنس، لا تفضيل الآحاد على الآحاد ، فقد يوجد من النساء من هي أقوى عقلا وأكثر معرفة من بعض الرجال، وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**بما فضل الله بعضهم على بعض**﴾ للإشعار بأن الرجال من النساء والنساء من الرجال. وللإشارة إلى أن هذا التفضيل هو لصالح الفريقين. فعلى كل فريق منهم أن يتفرغ لأداء المهمة التي كلفه الله بها بإخلاص وطاعة حتى يسعد الفريقين.

وأما السبب الثاني للقوامة فهو كسبي، ويتمثل في إنفاقه على زوجته وأولاده. وقد بينه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**و بما أنفقوا من أموالهم**﴾[2]. أي أنه سبحانه وتعالى جعل قوام الرجال على النساء أيضا بسبب ما ألزم به الرجال من إنفاق على النساء، ومن تقديم المهور لهن عند الزواج بهن، ومن القيام بكافة الأعباء المالية للأسرة[3].

وكما جعل الإسلام للرجال قوامة على النساء فإنه أمرهم بحسن معاشرتهن والإنفاق عليهن بطيب نفس ورضا، والرفق معهن إن احتاجوا إلى تأديبهن، وبين لهم ثواب ذلك عند الله تعالى.

روي عن شبيب بن غردقة البارقي، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله –صلى الله عليه و سلم– فحمد الله واثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال: "**استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان، ليس تملكون منهم شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع و اضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن لكم من نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا. فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، إلا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**"[4].

---

(1) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، جـ 10، ط2، دار الفكر، بيروت، 1983م، ص91

(2) سورة النساء، جزء من الآية 34

(3) القرطبي، جـ 5، المصدر السابق، ص 168– 169.

(4)(عوان) جمع عانية بمعنى الأسيرة .(إلا أن يأتين) أي لا تملكون غير ذلك في وقت،إلا وقت ايتانهن بفاحشة مبينة،أي ظاهرة فحشا وقبحا، (والمضاجع) أي المراقد،(فلا يوطئن) قال الخطابي: معناه أن لا يأذن لأحد من الرجال يدخل فيتحدث إليهن.وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب،ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة.فلما نزلت آية الحجاب وصارت النساء مقصورات نهى عن محادثتهن والقعود اليهن.(لمن تكرهون) أي من تكرهون دخوله، سواء كرهتموه في نفسه أم لا. قيل: المختار منعهن عن إذن أحد في الدخول والجلوس في المنازل سواء كان محرما أو امرأة إلا برضاه. انظر سنن ابن ماجة، جـ1، المصدر السابق، ص 594.

وعن شقيق، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم– : "**خياركم خياركم لنسائهم**"[1].

وروي عن شعبة عن أبي قزعة، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه أن رجلا سال النبي –صلى الله عليه وسلم– ماحق المرأة على الزوج؟ قال: "**أن يطعمها إذا طعم، وأن يكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت**"[2].

فقد روى سفيان عن مزاحم بن زفير عن مجاهد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم–: "**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك**"[3].

وعن عبد الله بن يزيد عن أبي مسعود البدري عن النبي – صلى الله عليه و سلم– قال: "**إن المسلم إذا انفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة**"[4].

وإزاء هذا الإنفاق الذي كلف به الزوج وإزاء رئاسته على البيت أوجب الشارع على الزوجة إطاعة زوجها فيما لا معصية فيه، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، و يرشد إلى ذلك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**"[5].

ومثل ذلك ما روي أن امرأة قالت يا رسول الله إني وافدة النساء إليك، ثم ذكرت ما للرجال في الجهاد من الأجر والغنيمة ثم قالت: فما لنا من ذلك فقال: –صلى الله عليه و سلم–: "**أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج والاعتراف بفضله يعدل ذلك وقليل منكم يفعل**".

هذا وقوامة الرجل على المرأة فيما يتعلق بالحياة الزوجية، فليس له الحق في التدخل في شؤونها المالية، وليس له الحق في أن يخلط ماله بمالها إلا برضاها، لأن الولاية لها في ذلك مادامت كاملة الأهلية، فإن كانت قاصرة فالولاية لوليها كأبيها أو جدها، أو من يقوم مقامهما.

إذا هكذا يرتبط حق الطاعة ارتباطا وثيقا بحق القوامة، لأن القوامة لا تجدي ولا يكون لها نتيجة فعالة، إلا إذا أطاعت المرأة زوجها فيما يأمرها به أو يطلبه منها مما لا معصية فيه، وهنا كان تقرير حق

---

[1] سنن ابن ماجة، جـ1 ، المصدر السابق، ص 636

[2] (ولا يضرب الوجه) أي إن احتاج إلى ضربها للتأديب، أو لتركها بعض الفرائض. (ولا يقبح) أي صورتها بضرب الوجه. ولا ينسب شيئا من أفعالها وأقوالها إلى القبح، (ولا يهجر إلا في البيت) أي لا يهجرها إلا في المضجع، ولا يتحول عنها، ولا يحولها إلى دار أخرى. انظر سنن ابن ماجة، جـ1، المصدر السابق، ص 593

[3] رواه مسلم في صحيحه، جـ3، المصدر السابق، ص 34

[4] المصدر نفسه، جـ3، ص 40.

[5] سنن الترميذي، كتاب الرضاع، (باب ماجاء في حق الزوج على المرأة)، رقم(1161)، جـ 3، المصدر السابق، ص457، سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، (باب حق الزوج على المرأة)، رقم (1854)، جـ1، المصدر السابق، ص595.

الطاعة للزوج على زوجته من قبل الشارع الحكيم أمرا هاما، من أجل صالح الأسرة وتماسكها واستقرارها، ولذلك نجد أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يمتدح المرأة المطيعة لزوجها فيقول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– "**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيرا من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**"[1].

كما يقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– " **لو كنت أمر أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي امرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها**"[2] وفي رواية أخرى " **لو أمرت احد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**"[3]

وهكذا نستنتج بأنه لا تجوز أن تفهم القوامة هنا على أنها تعني التسلط والاستبداد، بل هي التوجيه والنصح والإرشاد من أجل فائدة الأسرة، ومواجهة الصدمات والتصدي للأزمات والمصاعب في حزم وحسن وتصرف .

وإذا كان البعض قد أساء فهم هذا الحق، ولم يستوعب معناه الحقيقي، وجعله وسيلة للتسلط على الزوجة ومعاملتها بأسلوب غير لائق، لا يتفق ومكانة المرأة في الإسلام، والمنزلة الرفيعة التي أنزلها الله تعالى، والتكريم الذي حظيت به ونالته على يد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وإن كان البعض قد فهم حق القوامة على هذا النحو الخاطئ، فالإسلام ليس مسؤولا عن هذا الاعوجاج والانحراف عن الفهم الصحيح، بل المسؤولية عن ذلك تقع على عاتق هؤلاء الأفراد الذين لم يعرفوا الإسلام ولم يفهموه على حقيقته، ولم يحاولوا معرفة مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه زوجاتهم وأسرهم، وما هي الطريقة السليمة التي بينها الإسلام لممارسة هذه الحقوق وأداء تلك الوجبات.

غير أن سوء الفهم وإساءة التطبيق والممارسة من بعض الأزواج لحق القوامة، لا يبرر سلب هذا الحق من الرجال وإسناده إلى النساء، أو ترك الأسرة بلا موجه أو قائد، لأن مصلحة الأسرة وحسن رعايتها، وحمايتها من التفكك والانحراف، يحتم أن يكون لها قائد يرعاها، وموجه يدير شؤونه، ويتفاعل مع جميع أفرادها، وليس أقدر ولا أجدر بالقيادة والرعاية والتوجيه من الرجال، لما امتازوا به من قوة في

---

[1] سنن ابن ماجة، جـ1، المصدر السابق، ص 596، انظر الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، جـ7، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص251.

[2] مسند أحمد بن حنبل، جـ 39، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1903م، ص 395، المستدرك للحاكم، جـ 17، المصدر السابق، ص171، والمعجم الكبير للطبراني، جـ 5، المصدر السابق، ص134

[3] وأن من حق الزوج على زوجته ألا تصوم تطوعا و هو حاضر إلا بإذنه لما رواه البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه– إن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال : "لا يحل للمرأة أن تصوم و زوجها شاهد إلا بإذنه" وفي رواية أخرى: "لا تصوم امرأة و زوجها شاهد يوما من غير رمضان إلا بإذنه"، صحيح البخاري، جـ 16، المصدر السابق، ص 193، و سنن الترمذي، جـ 3، المصدر السابق، ص311، و السنن الكبرى للنسائي، جـ 2، المصدر السابق، ص 175

البدن، ورجاحة في العقل، ومعرفة بشؤون الحياة، وحكمة في تصف الأمور، وحل ما يطرأ من مشكلات.[1]

وإذا كان الشارع قد اسند حق القوامة للرجال نظرا إلى الميزات السابق ذكرها، فإن الواجب عليهم أن يمارسوا هذا الحق في حزم وقوة دون ضعف أو تخاذل، والزوجة يوم تشعر بضعف القيادة عند الزوج، تشعر حينها بفراغ كبير في حياتها الزوجية، وتفتقد الإحساس بالحماية والشعور بالأمان في ظل الأسرة، وكذلك الأولاد لحظة يدركون عدم وجود الأب المهيمن على الأسرة لعدم قيامه بواجبه في التوجيه والقيادة، يسلكون مسالك الانحراف ويسيرون في دروب الفشل والضياع.[2]

2. القرار في بيت الزوجية :

قرار الزوجة في بيت الزوجية حق مقرر للزوج على زوجته في مقابل قيامه نحوها بواجب الإنفاق، وتدبير المال اللازم لذلك خارج البيت، فكان من واجبها أن تراعي بيت الزوجية من الداخل بالمكث فيه، لا تبرحه إلا بإذنه، وليس قرارها في البيت غبنا لها أو سجنا، كما فهمه البعض، وإنما هو إعانة لها على أداء وظيفتها التي خلقت لها، وهي التفرغ لتربية الأولاد في بداية حياتهم ليحيوا حياة سعيدة وسليمة، ومن قبل ذلك محافظة عليها من الفتنة والفساد، وليس معنى هذا أن تظل حبيسة البيت لا تخرج منه أبدا كما فهمه بعض الناس خطأ، ولكن لها أن تزور أبيوها كل أسبوع ولو لم يأذن لها، إذن لأن ذلك من صلة الرحم وصلة الرحم واجبة، وتركها عصيان، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإذا كان أحد أبويها مريضا فلها أن تعوده، ولها أن تقوم على تمريضه إذا لم يوجد من يقوم بتمريضه والقيام على شؤون حال مرضه، وجب عليها أن تقوم بذلك وأن تقيم عنده إذا لزم الأمر، ولو لم يرضى زوجها بذلك، لأن ذلك واجب عليها شرعا، ليس لزوجها أن يمنعها من واجب ديني عليها.[3]

وفي هذا الشأن يقول الله تعالى:﴿ **وقرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾[4]، أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة أو ضرورة، وإذا كانت هناك ضرورة للخروج فلا تخرجن متبرجات، ولكن متسترات محجبات.

---

[1] وفاء ابراهيم محمد الديب ، حقوق الطفل في الشريعة الاسلامية ، المرجع السابق ، ص 20

[2] محمد البهي، حقوق الانسان في القرآن في صلة الفرد بالجماعة، من بحوث المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر،مطبوع ضمن بحوث المؤتمر، بعنوان: حقوق في الاسلام ورعايته للقيم و المعاني الانسانية، ص56 ومابعدها

[3] محمد مصطفى شلبي، أحكام الأسرة في الاسلام ، ط2 ، دار النهضة العربية، مصر، 1367هـ/ 1977م، ص330، انظر محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام...، المرجع السابق، ص 78 .

[4] سورة الأحزاب ، جزء من الآية ، 33

وإذا كانت هذه الآية قد نزلت في نساء النبي–صلى الله عليه و سلم– فإن نساء الأمة تبع لهن في ذلك[1]، يقول "القرطبي": معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي–عليه الصلاة والسلام– فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى. هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشريعة قد اشتملت على العديد من النصوص التي تأمر بلزوم النساء بيوتهن وعدم الخروج منها إلا لضرورة.[2]

هذا ومما يتعلق بقرار ومكث الزوجة في بيت الزوجية قيامها على تدبير شؤون بيتها وحسن تسييره ورعايته والقيام على جميع أموره من تنظيف وترتيب وإعداد الطعم، وغير ذلك مما يحتاج إليه الزوجان وأطفالهما حسب استطاعتها.

وهذا من الأمور الواجبة على الزوجة، كما جرى به العرف في جميع الأزمنة والعصور، وأرشد إليه الهدي النبوي الشريف، فقد ورد في الآثار الصحاح أن نساء النبي –عليه الصلاة والسلام– كن يقمن بخدمة المنزل وكذلك نساء الصحابة –رضوان الله عليهم– كن يفعلن ذلك.

لكن إذا كانت الزوجة ممن لا تخدم نفسها ولا تستطيع تدبير منزلها، كان على الزوج أن يأتي لها بمن يقوم بخدمتها إن كان قادرا ميسور الحال لقوله تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾[3]، وإن من العشرة بالمعروف أن يوفر لها من يقوم بخدمتها ويعينها على تدبير شؤون منزلها.

3. حق التأديب :

ومن حق الزوج على زوجته ولاية التأديب الثابتة بقوله تعالى: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**﴾[4].

ولكن قبل أن نتحدث عن التأديب نود أن نبين هنا أمرا مهم جدا وهو العلاقة والربط بين التأديب والقوامة، حيث يرتبط حق الإصلاح والتأديب بحق القوامة والتوجيه السابق الحديث عنه. فحق التأديب مترتب على حق القوامة والتوجيه. فإذا لم يثبت للزوج على زوجته حق القوامة والتوجيه ما ثبت له حق الإصلاح والتأديب.[5] لقوله تعالى :﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله و اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع و اضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**﴾[6].

---

[1] ابن كثير، تفسير ابن كثير، مجلد 6، ط أسعد طربوني الحسيني، ص 405

[2] القرطبي، تفسير القرطبي، جـ4، المصدر السابق، ص 179

[3] سروة النساء، جزء من الآية 19

[4] سورة النساء، جزء من الآية 34

[5] وفاء ابراهيم محمد الديب، المرجع السابق، ص23

[6] سورة النساء، الآية 34

فقد تحدثت هذه الآية الكريمة عن القوامة أولا، بينت إنها حق مقرر للرجال على النساء، وقد اشرنا إليه فيما سبق، ثم ذكرت الآية بعد ذلك إن الصالحات من النساء هن المطيعات لله ولأزواجهن الحافظات لكل ما يغيب عن أزواجهن التزاما منهن بأمر الله تعالى. وقد ذكرت الآية نوعا آخر من النساء تظهر منه بوادر العصيان والنشوز من حين لآخر، ثم بينت طريقة إصلاحهن و كيفية ردهن إلى طاعة أزواجهن والالتزام بشرع ربهن، وذلك بوسائل ثلاث وهي: الوعظ، الهجر في المضاجع، والضرب وهو آخر وسيلة للعلاج.

وإنما تنوعت وسائل الإصلاح واختلفت طرق التأديب في الآية تبعا لتنوع النساء واختلاف طباعهن فمنهن من لا يردها إلى طريق الصواب إلا الهجر والحرمان، ومنهن من لا يجدي ولا ينفع معها شيء من ذلك، فلا ينفع معها كلام ولا وعظ، ولا يؤثر فيها هجر أو حرمان، بسبب عناد طبعها، فلهؤلاء وأمثالهن شرع الضرب وسيلة للإصلاح و طريقا للتأديب "إذا عرفنا ذلك أدركنا سر تنوع وسائل التهذيب في كتاب الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، والذي خلق المرأة وهو الخبير بإسرارها العليم بما يهذبها إذا ما التوي بها الأمر عن الجادة المستقيمة"[1] ويتبين لنا: أن وسائل التهذيب الثلاث التي نصت عليها الآية الكريمة هي وسائل إصلاح وطرق علاج لكل النساء، وليست كل امرأة تكون لها كل هذه الوسائل و تلك الطرائق، فما على الزوج إلا أن يكون حكيما ومتفهما لزوجته وينتقي من الوسائل ما يلائم طبعها ويتماشى مع سلوكها، ملتزما في ذلك بالترتيب الوارد في الآية الكريمة. الذي جاء في ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى: الوعظ:**

فإذا خرجت المرأة عن طاعة زوجها، وفعلت ما لا يجب وأتت بمكروه وعظها وذكرها بما يجب عليها من المصاحبة بالمعروف، وذلك كثيرا ما يفيد خصوصا إذا كانت المرأة تكفيها الإشارة[2].

إذا فعليه أولا توجيه النصح للزوجة، تنبيهها إلى المضار التي تعود عليها، وما يلحقها من الإثم نتيجة نشوزها وعصيانها لأوامر زوجها، ويباح هجرها ثم ضربها إذا لم يجد فيها الوعظ ولم تستجب للنصح.[3]

والوعظ درجات "أخفها التنبيه الديني أو الخلقي ... وأعلاها اللوم والتنبه إلى العيوب ونتائجها، ولكل حال نوع من القول وطريق في الخطاب، والعاقل من عرف لكل أمر علاجه ولكل داء دواءه"[4].

---

[1] محمد مصطفى شلبي، أحكام الأسرة في الإسلام، المرجع السابق، ص 333

[2] أبي البركات بن محمد بن أحمد الدردير، الشرح الصغير، جـ2، المصدر السابق، ص511-512

[3] الشيرازي، المذهب، جـ2، المصدر السابق، ص69، البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق ابراهيم أحمد عبد الحميد، جـ5، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط خاصة، 1423هـ/2003م، ص 165

[4] محمد أبو زهرة، الأحوال الشخصية، المرجع السابق، ص 163

- **المرحلة الثانية: الهجر:**

من النساء من تخرج على زوجها وتعصيه رغبة منها في اختبار زوجها هل هو يحرص عليها أم هو مُوله بها أو لا؟[1]

ومن النساء من يغريها أهلها على النشوز جريا وراء مأرب شخصي فعلاجا لهاتين الحالتين شرع الله الهجر إصلاحا لحال المرأة، وابتغاء أن تعود إلى رشدها، وتهبط من علياء سمائها.

وقد اختلف العلماء في الهجر فقيل أن يبيت الرجل بعيدا عن الحجرة التي تبيت فيها المرأة، أو يبيت معها في حجرة واحدة ولكن في غير فراشها، أو يبيت معها في فراشها ولكن يعطيها ظهره.[2]

وقد فسر بعض العلماء الهجر في المضاجع على أنه كناية عن ترك معاشرتها جنسيا مع هجرها في الفراش[3]، وزاد البعض على ذلك عدم الكلام والتحدث معها بشرط ألا يزيد ذلك على ثلاثة أيام، لما روي عن أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه و سلم– قال:" **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**".[4]

والهجر المشروع، كما نص القرآن، هو الهجر في المضاجع ﴿**واهجروهن في المضاجع** ﴾ وأما الهجر خارج البيت فهو غير مشروع، ولما روي أن النبي –صلى الله عليه و سلم– سأله رجل: ماحق المرأة على الزوج؟ فقال –عليه الصلاة و السلام–: " **تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**"[5].

والحكمة من نهي الزوج عن هجران زوجته خارج البيت ظاهرة، وذلك حتى لا يكون عرضة للانحراف والوقوع في حبائل الشياطين وأعوانهم من الإنس، إذا ما ترك بيته في هذا الظرف العصيب، وخاصة في هذه الأيام التي انتشر فيها الفسق وعمت الفاحشة، فسبحان من شرع هذه الأحكام لعباده في كل زمان ومكان، وكأنها تتحدث الآن في زمن انتشر فيه الفسق والفجور، وعمت البلوى وازدادت الشرور، فترك الرجل لبيته في مثل هذه الظروف معناه أن يكون عرضة للانحراف نحو الفسقة أو أعوان الشياطين، فكانت الحكمة من رب العالمين إلا يكون الهجر إلا في البيت.[6]

---

[1] الشوكاني، نيل الأوطار، جـ6، المصدر السابق، ص 365

[2] أمين عبد المعبود زغلول، المرجع السابق، ص41

[3] تفسير ابن كثير، مجلد 2، المصدر السابق، ص 257

[4] صحيح البخاري، جـ 19، المصدر السابق، ص9 ، صحيح مسلم، جـ 12، المصدر السابق، ص 418، وسنن ابي داود، جـ 13، المصدر السابق، ص 67، وسنن الترمذي، جـ7، المصدر السابق، ص 319 ، والسنن الكبرى للبيهقي، جـ 7، المصدر السابق، ص 303

[5] سنن ابن ماجة، جـ5، المصدر السابق، ص 444– 445، و مسند احمد، جـ40، المصدر السابق، ص 483 ، والسنن الكبرى للبيهقي، جـ7، المصدر السابق، ص 295

[6] يوسف قاسم، حقوق الأسرة في الفقه الاسلامي، دار النهضة العربية، مصر، ط1401هـ/1981م، ص214– 215

ومع أن هجر الزوج لزوجته لا يكون إلا في البيت، فإن الهجر المأذون به من قبل الشارع عند الحاجة إليه، وهو الهجر الجميل من غير جفاء ولا قسوة، وهو الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ **واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا** ﴾[1]

كما يجب ألا يغيب عن ذهن الزوج أن هجره هذا لا يزيد على أربعة أشهر لأن هذا هو أقصى مدة حددها العلماء للهجر، وذلك بناء على ما ورد في قوله:﴿ **للذين يؤولون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءو فإن الله غفور رحيم** ﴾[2].

ودلت الآية الكريمة على أن الحد الأقصى الذي لا يجوز للزوج ترك معاشرة زوجته بعده هو أربعة أشهر.

ولكن إذا استنفذ الزوج الحد الأقصى في هجر زوجته، واستمرت الزوجة، في نشوزها وعدم طاعتها لربها وزوجها، تبين له أن هذه الوسيلة في التأديب لم تجد شيئا مع هذه الزوجة، فعليه ان يجرب معها الوسيلة الثالثة، أو ينتقل إلى المرحلة الثالثة:

- **المرحلة الثالثة: الضرب:**

وهو علاج النساء الشرسات اللاتي لا يجدي فيهن الوعظ، ولا ينفع فيهن الهجر. فهو آخر المراحل التأديبية لا يلجأ إليها إلا عند الضرورة.[3]

ويستدل بعض الفقهاء على جواز ضرب الزوجة عند وجود دواعيه يقول تعالى لنبيه أيوب –عليه السلام–: ﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثا فَاضْرِبْ به وَ لاَ تَحْنَث إنَّا وَجَدْنَاهُ صَابرا نعْمَ العَبْدُ إنَّه أَوَّابُ**﴾ [4]

ويقول أبو بكر الجصاص[5]: في هذه الآية دلالة على أن للزوج أن يضرب امرأته تأديبا: لولا ذلك لم يكن أيوب –عليه السلام– ليحلف عليها ويضربها، ولما أمر الله تعالى بضربها بعد حلفه.

وروي أن رجلا لطم امرأته على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأراد أهلها القصاص[6] فأنزل الله تعالى: ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾[7]

---

[1] سورة المزمل، الآية 10

[2] سورة البقرة، الآية 226

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، جـ9، ص 302. وانظر الشوكاني، نيل الأوطار، جـ 6، المصدر السابق، ص365

[4] سورة ص، الآية 44

[5] أبو بكر الجصاص، (305–370 هـ/ 917– 980م): فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب "أحكام القرآن" وكتابا في "أصول الفقه"، انظر الزركلي، الأعلام، قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ1، ط3،1389هـ/1969م، ص 165

[6] أبوبكر الجصاص، أحكام القرآن، جـ3، طبعة دار الفكر، د.ت، ص 473

[7] سورة النساء ، جزء من الاية 34

يقول الإمام الشافعي: ومحل ذلك أن يضربها تأديبا إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته، فإذا اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، وكلما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام والوعيد لا يعدل إلى الفعل لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة.[1]

وتقول السيدة عائشة –رضي الله عنها– ما ضرب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– امرأة له ولا خادما قط، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا في سبيل الله، أو أن تنتهك محارم الله فينتقم لله.[2]

ويشترط في الضرب ألا يكون مبرحا مؤذيا، فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– خطب في خطبة الوداع فقال: "... **استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان[3] عندكم لا تملكون منهن شيئا إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** "[4].

وجميع هذه الوسائل الثلاث مرتبة حسب ذكرها في الآية الكريمة، بحيث لا يجوز الانتقال من وسيلة إلى الأخرى إلا إذا لم تجد الوسيلة التي قبلها، فلا يجوز الانتقال إلى الهجر إلا إذا لم يجد الوعظ، ولا يجوز اللجوء إلى الضرب إلا إذا لم يجد الوعظ والهجر[5].

ثانيا : حقوق الزوجة على زوجها :

وتتمثل هذه الحقوق في حقوق غير مالية وحقوق مالية، أي حقوق معنوية وحقوق مادية، حيث تتمثل الحقوق المعنوية في حق المعاشرة بالمعروف وحق العدل إذا كان الرجل متزوجا بأكثر من زوجة وتتمثل الحقوق المادية في النهر والنفقة.

1. حق المعاشرة بالمعروف :

حث الشارع على معاشرة الزوجة بالمعروف، ومعاملتها بحنان ولطف وذلك في قوله تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾[6].

---

[1] أمين عبد المعبود زغلول، المرجع السابق، ص 42

[2] الشوكاني، نيل الأوطار، جـ6، المصدر السابق، ص 251، مسند أحمد، جـ،53 المصدر السابق، ص 358، والسنن الكبرى للبيهقي، جـ 7، المصدر السابق، ص 45.

[3] "عوان" جمع عوان وهي الأسيرة، ومعناها أن النساء عند الرجال بمنزلة الأسرى فعليهم الإحسان إليهن "إلا أن يأتين" أي لا تملكون غير ذلك في وقت إلا وقت إتيانهن بفاحشة مبينة، "والمضاجع" أي المراقد كناية عن الجماع "غير مبرح" هو الشديد الشاق، "فإن أطعنكم" في ترك النشوز.

[4] سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، (باب حق المرأة على زوجها)، رقم (1851)، جـ1، المصدر السابق، ص 594، الشوكاني، نيل الأوطار، جـ6، المصدر السابق، ص 364، سنن الترمذي، كتاب الرضاع، (باب ماجاء في حق المرأة على زوجها)، رقم(1163)، جـ 3، المصدر السابق، ص459.

[5] تفسير بن كثير، المجلد 2، المصدر السابق، ص 258

[6] سورة النساء، جزء من الآية 19 .

ويقول ابن كثير[1] في معنى قوله تعالى: "**وعاشروهن بالمعروف**" أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت معها مثله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾ وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**". وكان من أخلاقه –صلى الله عليه وسلم– أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، يوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم كل واحدة تذهب إلى منزلها، وكان إذا صلى العشاء يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك –صلى الله عليه وسلم– فينبغي أن نقتدي به –صلى الله عليه وسلم– في ذلك وفي جميع أموره، لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** ﴾[4]. وقال النبي –صلى الله عليه و سلم–: "**استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع أعوج**[5]**، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه**[6]**، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا**"[7]. وقال النبي الكريم أيضا: "**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائه**"[8].

كما يقول –عليه الصلاة و السلام–: "**خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي**"[9].

---

[1] تفسير ابن كثير، المجلد 2، المصدر السابق، ص 211– 212.

[2] سورة الأحزاب ، جزء من الاية 21

[3] سورة البقرة ، جزء من الاية 228

[4] سورة البقرة ، جزء من الآية 231

[5] قال الفقهاء : أن المراة خلقت من ضلع آدم عليه السلام ، ويدل ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، الشوكاني، نيل الأوطار، جـ 6، المصدر السابق، ص 244

[6] يحتمل أن يكون ذلك مثلا لأعلى المرأة، لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها، وهو الذي يصدر من الإعوجاج

[7] صحيح مسلم، كتاب الحج، (باب الوصية بالنساء)، رقم(1468)، جـ 2، المصدر السابق، ص1091.

[8] سنن ابن ماجة، جـ 6، المصدر السابق، ص 120، وسنن الترمذي، جـ 4، المصدر السابق، ص 390، ومسند أحمد، جـ 15، المصدر السابق، ص 136، والبيهقي، شعب الإيمان، تحقيق وتصنيف محمد السعيد بسيوني زغلول، جـ1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ص34 ، المستدرك للحاكم، جـ1، المصدر السابق، ص 170، الطبراني، المعجم الكبير، جـ16، المصدر السابق، ص 341 .

[9] سبق تخريج الحديث، ص 45 من الرسالة.

وقوله –صلى الله عليه و سلم–: "**لا يفرك [1] مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر**"[2].

ويقول "الإمام الشوكاني": " في هذا الحديث الإرشاد إلى حسن العشرة، والنهي عن البغض للزوجة بمجرد كراهة خلق من أخلاقها، فإنها لا تخلو مع ذلك من أمر يرضاه منها وإذا كانت مشتملة على المحبوب والمكروه، فلا ينبغي ترجيح مقتضى الكراهية على مقتضى المحبة"[3].

فعلى الزوج أن يكون حليما مع زوجته، ويصبر على أذاها، ويحتمل غضبها، اقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم– وفي هذا المعنى يقول "الإمام الغزالي": "اعلم أنه ليس حسن الخلق مع الزوجة كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل"[4].

ومن حسن معاشرة الرجل لزوجته بالمعروف أن يلاطفها ويداعبها ويمزح معها، فإن المداعبة والمزاح مما يطيب قلوب النساء و يسعدهن.

2. حق العدل إذا كان الرجل متزوجا بأكثر من زوجة :

يثبت للزوجة على زوجها عدم الإضرار بها، بأن يعدل في معاملتها، فيعاملها بما يجب أن تعامل به، فيحافظ على حقوقها من غير إفراط ولا تفريط، وإنما وجب عليه العدل، وعدم الإضرار باعتبار ماله من السلطان والرياسة حيث وضعه الشارع في موضع القوامة، وأوجب له على زوجته الطاعة والقرار في البيت، ومنحه سلطة التأديب وهذه الأمور لا تتحقق ولا تستقيم إلا إذا توجها بالعدل من طرفه حتى تستقر الحياة الزوجية وتسير في طريق مستقيم لتحقيق الغاية المنشودة.

وقد ورد ت آيات كثيرة وأحاديث عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تنبه الزوج إلى أن يعدل ولا يظلم، وينفع ولا يضر فقال تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[5]. ويقول: ﴿**فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه**﴾[6].

---

[1] لا يفرك أي لا يبغض

[2] صحيح مسلم، جـ 7، المصدر السابق، ص 402، ومسند أحمد، جـ 17، المصدر السابق، ص 55، السنن الكبرى للبيهقي، جـ7، المصدر السابق، ص 295

[3] الشوكاني، نيل الأوطار، جـ 6، المصدر السابق، ص 244

[4] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ2، المصدر السابق، ص44

[5] سورة البقرة، جزء من الآية 228

[6] سورة البقرة، جزء من الآية 231

ويقول –صلى الله عليه وسلم–: "**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**"[1]. وفي حديث آخر يقول: ما حق المرأة على الزوج؟ فقال: "**تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح**[2]، **ولا تهجر إلا في البيت**"[3].

وحق العدل ثابت سواء كان متزوجا واحدة أم كان متزوجا أكثر من واحدة، فإن العدالة تتضاعف شعبها فلا يعاملها بالعدل بالنسبة لنفسه فقط، بل يعاملها بالمساواة مع الزوجة الأخرى فيسوي بينهما في المطعم والملبس والمسكن وأن يعاملها بالمساواة في القول ويبيت عند كل واحدة بالقدر الذي يبيته عند الأخرى ...إلخ.

وقد كان رسول الله، النبي الكريم يعدل بين زوجاته حتى في مرضه، فقد كان يقسم في مرضه، حتى أذن له زوجاته في البقاء عند عائشة –رضي الله عنها– وتنازلن عن حقهن في المبيت[4].

وهذا العدل في المبيت لا يطالب به الزوج في السفر فله أن يصطحب من زوجاته من يشاء، فليست كل واحدة منهن قادرة على السفر ومتاعبه، وإن كان الأولى أن يختار واحدة منهن بطريق القرعة تطييبا لخاطرهن وإذا لم يكن هناك ما يدعو إلى اختيار واحدة منهن، ولهذا لا تدخل مدة السفر في أيام القسم ولا يلزم الزوج المبيت عند الأخرى مدة تعادل مدة السفر[5].

أما سوى ذلك من المحبة الباطنية والميل القلبي فلا يطالب به، لأنه خارج نطاق التكليف وحيز الاستطاعة وفيه تقول السيدة عائشة –رضي الله عنها–: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقسم بين زوجاته فيعدل، ثم يقول: "**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**"[6]. و كان –صلى الله عليه و سلم– يقصد بقوله: فلا تلمني فيما تملك ولا أملك حبه للسيدة عائشة وميله القلبي إليها أكثر من غيرها من بقية زوجاته –عليه الصلاة والسلام–، وهو أمر لا يملكه، وإنما هو مملوك لله عز وجل مالك القلوب ومقلبها.

وأما الحقوق المادية للزوجة فتتمثل في المهر والنفقة .

3. حق المهر :

أن يوفيها عاجل مهرها قبل الدخول بها، فإن كان قد شرط لها في وقت تسمية المهر تعجيل جزء معين، فهذا الجزء المعين هو القدر الواجب تعجيله لها، وإن لم يكن قد شرط لها في وقت تسمية المهر تعجيل شيء منه، فإن الواجب حينئذ تعجيل الجزء الذي جرت العادة بتعجيله، أو جميع ماجرى العرف

---

(1) سبق تخريج الحديث، ص 45 من الرسالة

(2) ولا تقبح ، صورتها بضرب الوجه، ولا ينسب شيئا من أفعالها إلى القبح

(3) سبق تخريج الحديث، ص 53 من الرسالة

(4) الكساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، جـ3، المصدر السابق، ص 1547 – 1549

(5) أمين عبد المعبود زغلول، المرجع السابق، ص 46

(6) سنن أبي داود، كتاب النكاح، (باب في القسم بين النساء)، رقم(2134)، جـ2، المصدر السابق، ص 242.

بتعجيله، كما لها الحق أن تخرج من بيته بغير إذنه ما دام لم يوفها عاجل صداقها، ولا تعد بهذا الخروج في هذه الحالة خارجة عن طاعته ولا تسقط عنه نفقتها بهذا الخروج[1].

إذن فالمهر هو حق الزوجة وواجب على الزوج وهو أيضا حق مالي أوجبه الشارع للمرأة على الرجل في عقد زواج صحيح، أو بسبب شبهه أو بعد عقد زواج فاسد[2].

4. النفقة :

المراد هنا بنفقة الزوجة هو ما تحتاج إليه الزوجة في معيشتها من طعام وشراب وكسوة ومسكن وخدمة ونحو ذلك مما يلزم توفره لها حسبما اعتاده الناس وجرى به العرف الصحيح، وهي حق ثابت للزوجة على زوجها باعتبارها من الآثار المترتبة على عقد الزواج الصحيح، مقابل احتسابها وتفرعها للزوج، وعدم انشغالها بأي أمر آخر برضاه وموافقته، باستثناء التكاليف والواجبات الشرعية[3].

ثالثا : الحقوق المشتركة للزوجين

للزوجين ثلاثة حقوق مشتركة بينهما هي كالتالي :

1. حق الاستمتاع :

لكل من الزوجين حق الاستمتاع بصاحبه، فلا يمتنع أحدهما عن الآخر إلا لعذر شرعي كالحيض والنفاس والمرض... إلخ

ولا يلزم الرجل من ناحية الاتصال الجنسي بمرات معدودة كما ذهب إلى ذلك الفقهاء فقال: مرة كل أربع ليال، وقال بعضهم يلزم الاتصال بمقدار ما تعف به المرأة، وتبعد بسببه عن الحرام، فإن تنازع الزوجين في ذلك ورفع الأمر إلى القضاء كان للقاضي أن يقدره بما يراه تبعا لحال الزوجين وقدرتهما الجنسية[4].

2. حرمة المصاهرة :

فيحرم على الزوج أن يتزوج بأم امرأته ولو لم يكن قد دخل بامرأته، ويحرم عليه أن يتزوج ابنتها إن كان قد دخل بها و يحرم عليه أن يجمع بينها وبين أختها، أو بينها وبين عمتها أو خالتها، كما يحرم على الزوجة بعد طلاقها من زوجها أن تتزوج أبيه[5].

---

[1] الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج 3، المصدر السابق، ص 1549، وانظر ابي البركات، الشرح الصغير، جـ2، المصدر السابق، ص 428

[2] محمد مصطفى شلبي، أحكام الأسرة في الإسلام، المرجع السابق، ص 339

[3] محمد بلال مهران، أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي، ط1، دار الثقافة العربية، 1421هـ/2000م، ص 335

[4] أمين عبد المعبود زغلول، المرجع السابق، ص 47

[5] الكاساني، بدائع الصنائع، جـ3، المصدر السابق، ص 1547، وانظر حاشية الباجوري، جـ2، المصدر السابق، ص114

3. التوارث فيما بينهما :

فيرث الزوج نصف مالها إذا لم يكن لها ولد، والربع إذا كان لها ولد، وترث منه الربع إذا لم يكن له ولد، والثمن إذا كان له ولد[1].

[1] الكاساني، بدائع الصنائع، جـ 3، المصدر السابق، ص 1547، وانظر أبي البركات، الشرح الصغير، جـ 4، المصدر السابق، ص 621، و انظر الفيروزابادي الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، جـ 2، ط 3، طبعة مصطفى الحلبي، 1396هـ/1976م، ص 32 .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

رعاية المنهج الإسلامي لحقوق الطفل

أولا: حقوق الطفل في الإسلام قبل الولادة

1- تعريف الجنين

2- الأطوار التي يمر بها الجنين

3- حقوق الجنين (حقوق الطفل قبل الولادة)

أ- حق الطفل في حسن اختيار والديه

ب- حق الطفل في الحفاظ على حياته و صحته جنينا

ج- حق الجنين في العناية به و بأمه أثناء الحمل

د- حق الطفل في العناية بالصحة النفسية له و هو جنين

هـ- الحفاظ على الحق المالي للجنين

ثانيا: حقوق الطفل في الإسلام بعد الولادة و حتى سن الرشد

1- حق الطفل في الحياة

2-

تمهيد:

لقد كانت حقوق الطفل في الإسلام شاملة لكل احتياجاته الإنسانية، من احتياجات جسدية وفكرية ونفسية، كما كانت شاملة لمراحل حياته المختلفة منذ وجوده في بطن أمه جنينا حتى يصبح رجلا يتحمل مسؤولية طفل آخر أو مؤهلا لذلك.

ولقد كانت التشريعات الإسلامية المنظمة لحقوق الطفل كثيرة و متشعبة و من الممكن عرضها من خلال هذين المبحثين:

أولا: المبحث الأول: و هو يعالج حقوق الطفل في الإسلام قبل ولادته.

ثانيا: المبحث الثاني: و هو يعالج حقوق الطفل في الإسلام بعد ولادته.

المبحث الأول: حقوق الطفل في الإسلام قبل ولادته

ويتناول المسائل التالية:

1- تحديد مفهوم الطفولة: إن التعريف بالطفولة وتحديد مرحلتها يستلزم أن نعرض أولا تعريف الطفل في اللغة – في الإصطلاح، تعريف الطفل عند فقهاء الشريعة الإسلامية، ثم من خلال الاتجاهات التربوية والنفسية الحديثة.

الطفل في اللغة:

الطفل هو: "البنان الرخض المحكم: الطفل بالفتح، الرخص الناعم. والمصدر الطفالة، والجمع طفال وطفول. والطِّفل و الطِّفلة: الصغيران. والطِفل: الصغير من كل شيء بيّن. الطِفل والطَّفالة والطُّفولة والطُّفولية، ولا فعل له"[1].

وفي المعجم الوسيط: الطَّفل: الرخص الناعم الرقيق.. الطِّفل المولود ما دام ناعما رخصا. جمعها: أطفال وفي التنزيل العزيز: ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا**﴾[2].

والطفولة: المرحلة من الميلاد إلى البلوغ[3].

الطفل في الإصطلاح:

يعرف الطفل في الإصطلاح "بأنه عضوية وحيدة من نوعها وغير قابلة للانقسام، ولذلك فلابد من دراستها وقدرها بصورة منفصلة عن سواها"[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، جـ11، "مادة طفل"، المصدر السابق، ص 401.

[2] سورة النور، الآية 59.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ2، "مادة طفق"، المرجع السابق، ص 560.

[4] فاخر عاقل، التربية قديمها وحديثها، ط3، دار العلم للملايين، بيروت 1981م، ص 465.

وقيل: "إن الطفل عالم من المجاهيل المعقدة كعالم البحار الواسع الذي كلما خاضه الباحثون، كلما وجدوا فيه كنوزا وحقائق علمية جديدة، لازالن متخفية عنهم وذلك لضعف وضيق إدراكهم المحدود من جهة، واتساع نطاق هذا العالم من جهة أخرى"[1].

الطفل شرعا:

ومقابل كلمة الطفل كلمة صبي[2] رديفة لها "فالصبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم"[3] وقد دأب الفقهاء على استعمالها، ففي عرفهم أن الصبي يطلق على من لم يبلغ[4]. ومن هنا أن الحد الفاصل بين الصغير والكبير هو بلوغ النكاح أو ما يسمى بالبلوغ الطبيعي.

ويستخلص ممّا جاء في كتب[5] الفقه الإسلامي أن مرحلة الطفولة هي تلك المرحلة التي تبدأ بتكوين الجنين في بطن أمه وتنتهي بالبلوغ، والبلوغ قد يكون بالعلامات، وقد يكون بالسن وقد اختلف الفقهاء في تقديره.

وذكر "الشوكاني"[6]: أن الطفل يطلق على الضغير من وقت انفصاله إلى البلوغ[7]. ويقال له طفل إلى أن يحتلم. عند البعض يبقى هذا الإسم للولد حتى يميّز ثم لا يقال بعد ذلك طفل بل صبي ويافع ومراهق وبالغ.

ويعني الفقهاء عامة أن الطفل هو الولد حتى يبلغ وهو موافق لما قاله أهل اللغة[8].

جعلت الشريعة الإسلامية من بلوغ الحلم نهاية لمرحلة الطفولة. والحلم هنا يعني الاحتلام[9]. والاحتلام هو دليل البلوغ، والبلوغ في الشريعة هو سن التكليف لمعظم الاحكام الشرعية سواء في العبادات أو المعاملات.

---

(1) عبد الله أحمد، بناء الأسرة الفاضلة، دار البيان العربي، بيروت، 1990، ص 181.

(2) وجمعها (صبية) و(الصبيان) ويقال للجارية(صبية) والجمع(صبايا)، انظر مختار الصحاح، القاهرة، 1369هـ/1949م، ص 379.

(3) بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، جـ2، مكتبة لبنان، ص 1285.

(4) الصنعاني، الروض النظير شرح مجموع الفقه الكبير، جـ4، مصر، 1349هـ/1930م، ص 154، وابن منظور، لسان العرب، جـ13، المصدر السابق، ص 426.

(5) نبيلة رسلان، حقوق الطفل في القانون المصري، ص 35 وما بعدها.

(6) عبد المطلب عبد الرزاق حمدان، الحقوق المتعلقة بالطفل في الشريعة الإسلامية، دار الفكر الجامعي، ص 47.

(7) الشوكاني، فتح القدير، جـ3، طبعة دار المعرفة، بيروت، ص 437.

(8) الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، جـ4، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1355هـ/1936م، ص14، الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط4، دارالقلم، دار الشامي، 1430هـ/2009م، ص342.

(9) الاحتلام بإجماع العلماء: هو إنزال الماء الدافق، سواء كان بجماع أو غيره، وسواء كان في اليقظة أو في المنام. الاحتلام عند الحنفية: هو الإمناء، لأن خروج المني بغير النوم لا يسمى احتلاما. انظر سائر بصمه جي، معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق، سورية، 2009م، ص 25.

الطفل من خلال الاتجاهات التربوية والنفسية الحديثة:

يقول علماء النفس: "لقد تغيّر مفهومنا للطفل من النظرة الجامدة الاستاتيكية (Static) إلى نظرة ديناميكية (Dynamic)، خلال نصف القرن الماضي... كان ينظر إلى الطفل على أنه مخلوق قابل للتأثيرات الخارجية (Passive)، كقطعة الشمع التي يمكن تشكيلها بسهولة، وقد كانت هذه النظرة تتبع تعاليم الفيلسوف"لوك"[1](LOCK)، أمّا في علم النفس فقد كان الكلام يدور كثيرا عن الإحساسات والإنطباعات والإدراكات الحسية والمفاهيم...الخ[2].

أما اليوم فقد تغيّر كل شيء، فنحن نسمع القليل عن الاإحساسات والإدراكات الحسية، ولكننا نسمع الكثير عن الغرائز والإمكانيات والحوافز و الدوافع الحركية عند الطفل.

وترى التربية الحديثة أن الطفل "ليس مزودا بقدرات فطرية تعلن عن نفسها في الوقت المناسبن وليس جهازا ميكانيكيا يستجيب لمثيرات البيئة"[3]، كما تستجيب الآلة عندما يدار مفتاحها، وهو ليس روحا تسيطر على نواحي الجسم المختلفة، وليس مادة تفسر على أساسها العمليات التعليمية المختلفة، ولكنه كلّ متكامل متفاعل مؤثر متأثر بجميع أجزائه. ومفهوم علم النفس الحديث، مفهوم ميول مرنة متداخاة يمكن أت تتغيّر وأن توجّه في مسالك جديدة"[4].

ما هي الطفولة؟:

تعرف الطفولة بأنها: "تلك المرحلة التي يعتمد فيها الطفل على غيره في تأمين متطلباته الحياتية، فكلما كانت المجتمعات بدائية بسيطة، كانت مرحلة الطفولة قصيرة"[5].

نفهم من ذلك أن مدة الطفولة تختلف باختلاف المجتمع الذي ينتسب إليه الطفل، فإذا كان المجتمع متحضرا، فإنها قد لا تنتهي إلاّ عندما يبدأ الولد بالاعتماد على نفسه بكسب رزقه.

---

[1] جون لوك John Lock (1632-1704)، هو قبل كل شيء عالم نفس، وأستاذ حاذق في فن تحليل الأفكار ومصدرها وهو رأس المدرسة التجريبية في علم النفس، يبذل"لوك" جهدا كبيرا ليغدو أستاذا من أساتذة التربية. انظر عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 357.

[2] ج.ل.هادفيلد، الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد شوكت وعدنان خالد، دار الكتب، جامعة الموصل، لا.ط، لا.ت، ص15

[3] يقصد بالبيئة:"جميع المؤتمرات المادية والاجتماعية التي تحيك بها الفرد احتكاكا مباشرا ومن المعلوم أن أهم قوى البيئة هي الأسرة، وتحتل المدرسة المكان الثاني من عوامل البيئة أهمية..."، انظر أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، ط1، دار الشروق للنشر، عمان، 1993م، ص 168.

[4] محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، ط7، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م، ص 275.

[5] سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، ط1، جمعية المطابع التعاونية، عمان، 1409هـ/1989م، ص 37.

والمقصود من مرحلة الطفولة كما يقول "محمد تقي فلسفي": "الفترة التي لا يستغني فيها الطفل تماما عن أبويه، بل هو محتاج إليهما فيها"[1]. فمرحلة الطفولة من أهم مراحل التكوين نمو الشخصية، وهي مجال إعداد وتدريب للطفل للقيام بالدور المطلوب منه في الحياة، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة ودوره في الأرض هو أكبر وأعظم دور، اقتضت طفولته مدة أطول، ليحسن إعداده وتربيته للمستقبل... ومن هنا كانت حاجة الطفل شديدة لملازمة والديه في هذه المرحلة من مراحل رعايته وتكوينه وبناء شخصيته.

2- التعريف بالجنين:

الجنين كما جاء في كتب اللغة على اختلاف مواردها وفي كتب التفسير والفقه: هو المادة التي تتكون في الرحم من عنصري الحيوان المنوي والبويضة، وهذا هو ما يؤيده معنى مادة الجنين، فإنها راجعة إلى الإستتار المتحقق بهذا المعنى ومنه الجان لاستتاره عن أنظار الناس.

فالجنين في أصل اللغة المستور في رحم أمّه بين ظلمات ثلاث كما يقول الله جل وعلا في القرآن الكريم: ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْق فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ**﴾[2].

وقد كثر استعماله في الولد ما دام في بطن أمه. وهو أحد معانيه.

جاء في القاموس: **الجنين:** الولد في بطن أمه، والجمع أجِنَّة وأجن والجنين كل مستور، وجنّ في الرحم يجن جنًّا استتر، وأجنته الحامل سترته. وقد سبق إلى هذا الثعالبي في كتابه[3] لكنه لم يصرح بكلمة الولد.

هذا وقد جاء في لسان العرب: جنَّ الشيءَ: بحُبِّه جنًا، ستره وكلُّ شيء ستر عنك فقد جُنَّ عنك. وفي الحديث جن عليه الليلُ: أي ستَرَهُ. والجنين: الولد ما دام في بطن أمّه لاستتاره فيه، وجمعه أجنّةٌ.."[4]

قال القرطبي[5] عند قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾[6]. حيث قال: **الجنين الولد ما دام في البطن.**

---

[1] محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، جـ1، ط1، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1387هـ/1967م، ص235.

[2] سورة الزمر، جزء من الآية 7.

[3] الثعالبي، فقه اللغة، المطبعة الرحمانية، (د. ت)، ص141.

[4] ابن منظور، لسان العرب، جـ13، "مادة جنّ"، المصدر السابق، ص92-93.

[5] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ17، دار الكتب المصرية، (لا ط)، 1351هـ/1933م، ص110.

[6] سورة النجم، جزء من الآية 32.

وقال صاحب كتاب نيل المآرب[1]: الجنين هو اسم للولد في البطن مأخوذ من الإجنان وهو الستر لأنه أجنه بطن أمه أي ستره.

وعرّف ابن حجر العسقلاني[2]: الجنين بقوله: "الجنين هو حمِل المرأة ما دام في بطنها. سمي بذلك لاستتاره فيه، فإن خرج حيّا فهو ولد، أو ميتا فهو سقط وقد يطلق عليه جنين"[3].

و يقول الأطباء إنه يطلق على الحمل اسم الجنين بعد الشهر الرابع[4]، وعند الفقهاء أن الجنين يطلق على ما في الرحم من بدء التكون بحدوث التلقيح والاستقرار الذي جاء التعبير عنه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[5].

ويبدو أن إطلاق الجنين على ما قبل نفخ الروح إطلاق مجازي وأنه لا يسمى جنينا إلاّ بعد أن يفارق طور المضغة في بداية الشهر الخامس باعتبار أنه مقدمة للجنين الحقيقي.

ويرى الإمام الشافعي أن الجنين أقل ما يكون به جنينا أن يفارق المضجعة والعلقة حتى يتبيّن منه شيء من خلق آدمي، أصبع أو ظفر أو عينٌ أو ما أشبه ذلك.[6] وهو بهذا يشبه رأي الأطباء.

ثانيا: الأطوار التي يمر بها الجنين:

تكوين الجنين في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[7].

---

(1) الشيخ المرعي بن يوسف، نيل المآرب، جـ2، ص132.

(2) ابن حجر العسقلاني: (773-852هـ/1372-1449م): "هو أحمد بن علي بن محمد الكناني" العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالآداب والشعر ثم أقبل على الحديث، أمّا تصانيفه فكثيرة منها: "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لسان الميزان...الخ. وفي الحديث، فتح الباري في شرح صحيح البخاري.." أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ط6، دار العلم للملايين، بيروت 1984، ص178.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج15، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1408هـ/1988م.

(4) الطبيب الدكتور نجيب محفوظ، فن الولادة، ط 4، ص 88

(5) سورة الحج، الآية 5.

(6) مختصر المازني لهامش كتاب الأم للشافعي، ج5، ص143، نقلا عن محمد بن أحمد الصالح "الطفل في نظر الشريعة الإسلامية"، مجلة أضواء الشريعة، مجلة دورية تصدرها كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص26.

(7) سورة الحج، الآية 5.

وإذا أردنا أن نبحث ونكتب في مثل هذا الموضوع، فإنه ينبغي علينا أن نتجه إلى كتاب الله وما كتب الكاتبون في تفسير آياته، والتنويه بما يحتوي عليه القرآن من إشارات وحقائق، وسنجد أن الآيات التي وردت في هذا الموضوع قد تزيد على الثلاثين من تصوير بدء خلق في الإنسان وأطواره. فبعضها يفصل أطوار الجنين وبعضها يجمله. ومن يتمعن ويتأمل في تلك الآيات، فإنه يزداد ببيان هذه الأطوار التي لها أثر بالغ في ترسيخ العقيدة إيمانا بالله الحق جل جلاله.

فهذا الإنسان في بدء خلقه خلق ﴿من صلصال من حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [1] "**الصلصال**" كما يقول "سيد قطب" في تفسيره هذه الآيات: "هو الطين اليابس الذي يصلصل عند نقره، المتّخذ من الطين الرطب الآسن، ولقد كان خلق الإنسان من عناصر هذا الطين اللزج المتحول إلى صلصال" وقال تعالى: "﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[2].

﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا**﴾[3].

إلا أن هذا الإنسان ينوء به التفكير فلا ينظر في أصله وأنه ﴿**خلق من ماءٍ دافق يخرج من بين الصُّلب والترائب**﴾ [4] نتيجة لدافع الشهوة التي فطره الله عليها فكان الوجود الإنساني، وانتشر في الأرض فراح يعمرها ويدير شؤونها بأمر الله كما جاء في قوله عز وجل: ﴿**وَمِنْ آياته أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾[5].

ومهما يكن فإن التراب هو الأصل في تكوين الإنسان في مادته الأولى التي كان منها بلا واسطة وهو آدم –عليه السلام– وفي أفراده المتناسلة وسنقف عند هذا الأصل قليلاً كي يتقوى إيماننا وتترسخ عقيدتنا ونعرف أصلنا ومعدننا وكيف أننا من تراب وإليه عائدون حتى يكون إيماننا بالله عن يقين.

ثم لنرى قول النبي الكريم –عليه الصلاة السلام–: "**كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب**"[6].

فالطين هو أصل الإنسان في أفراده التناسلية، وفي مادته الأولى آدم عليه السلام، ولكن ليس طورًا من أطوار الجنين باعتبار أنه ليس أمرًا مباشرا لتكوينه، وإنما هو أصل بعيد نستطيع أن نعتبره أساسًا للطور الأول لا مرحلة تعد في سلسلة تكوينه وخلقه.

أما الأطوار التي يمر بها الجنين في الرحم من وقت التلقيح الذي هو أصل تكوين الجنين حتى مرحلة نفخ الروح، فهي الأطوار التي تناولها قوله تبارك وتعالى: "﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ**

---

[1] **سورة الحجر، جزء من الآية 26.**

[2] **سورة المؤمنون، الآية 12– 14.**

[3] **سورة غافر، الآية 67.**

[4] **سورة الطارق، الآية 6 – 7**

[5] **سورة الروم، الآية 19.**

[6] **أخرجه أبو بكر البزار في مسنده، أنظر فيض القدير، شرح الجامع الصغير، جـ5، ص37.**

طِينٍ[12] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ[13] ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

وثبت عن رسول الهدى سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**إنّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم علقة مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع: "برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح**"[2]. رواه البخاري في صحيحه.

ومن هذا يتبين أن الجنين يمر في بطن أمه بأطوار متعددة وحالات متباينة وهي:

أولا: النطفة: النطفة في اللغة: نطف الماء ينطف سال من باب قتل. و النطفة ماء الرجل و المرأة وجمعها نطف ونطاف...، نطف الماء: سال. والنطفة: الماء الصافي قلّ أو كثر. وسمي ماء الرجل وماء المرأة أي منيهما نطفة، وهو المراد بالنطفة في الكتاب العزيز حيث ورد التعبير بالنطفة في اثني عشر موضعا من كتاب الله[3] منها قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ** *مِن* **سُلَالَةٍ** *مِّن* **طِينٍ[12] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ...**﴾.

وقد وصف العلماء تلك النطفة بأنها جسم متناسب الأجزاء يخلق الله فيه أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وهذا يدل على مظهر من مظاهر قدرة الله وعظمته في تخليق هذه المتباينات المختلفة الصور والوظائف من تلك المادة الواحدة السائلة.

وجاء في دائرة المعارف "القوى كلها موجودة في نفس النطفة فإذا أخذت في الفعل أول الأمر أمعنت إمعانًا فصيرتها لحمًا، ثم أمعنت فتكونت الأغشية والأوعية التي فيها بإحداث النفخ ثم تتحرك جميع القوى فيها... وتعمل كلها عملها في وقت واحدٍ لا على التوالي"[4].

وقد اختلف المفسرون في النطفة فيذهب قليل منهم إلى أنها نطفة الرجل وحده استنادًا إلى أن الله وصف الماء بأنه دافق والدفق لا يكون إلاّ في ماء الرجل، ولذا فإنهم يستبعدون أن تكون النطفة الواردة في القرآن هي خليط من ماء الرجل وماء المرأة[5].

---

[1] سورة المؤمنون، الآية 12–14.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ11، المصدر السابق ص477.

[3] سورة النحل، الآية 46. سورة الكهف، الآية 37. سورة الحج، الآية 5. سورة المؤمنون، الآية 13–14. سورة فاطر، الآية 11. سورة يس، الآية 77. سورة غافر، الآية 67. سورة النجم، الآية 46. سورة القيامة، الآية 37. سورة الإنسان، الآية2. سورة عبس، الآية19. أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ج2، الصادر عن مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص534.

[4] دائرة المعارف الإسلامية، تأليف مجموعة من المستشرقين، جـ6، مطبعة معارف بيروت، ص569.

[5] دائرة المعارف الإسلامية، جـ1، المصدر السابق، ص569.

والذي عليه جمهور العلماء، والباحثون من المفسرين، وأيده علم الأجنة في الطب الحديث: أن هذه النطفة تخرج من صلب الرجل وترائب المرأة[1]، وأيده من رأى ذلك من المفسرين بالسنّة النبوية الكريمة في وصف الجنين بالذكورة والأنوثة إذ يقول –عليه الصلاة والسلام–: "**إذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرًا، وإذا غلب ماء المرأة يكون أنثى**"[2]، وواضح من هذا الحديث أن الجنين يتكون من النطفة الممتزجة من ماء الرجل وماء المرأة.

فلينظر الإنسان من أي شيء خلق وإلى أي شيء صار... إنه خلق من ماء دافق يخرج من الصلب والترائب خلق من هذا الماء الذي يجمع من صلب الرجل وهي عظام ظهره الفقرية و من ترائب المرأة و هي عظام صدرها العلوية... ولقد كان هذا سرّا مكنونا في علم الله لايعلمه البشر حتى كان نصف القرن الأخير حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته حيث عرف أن ماء الرجل وماء المرأة يلتقيان في قرار مكين فينشأ منهما الإنسان[3].

وأما علم الأجنة في الطب الحديث، فإن المشتغلين به متفقون على أن الحمل لا يتحقق إلاّ نتيجة اتصال الحيوان المنوي من الذكر بالبويضة التي يفرزها مبيض المرأة.

يقول الطبيب "نجيب محفوظ": "الحمل نتيجة اتحاد عنصري التوليد في الذكر والأنثى أي الحيوان المنوي والبويضة". ويقول: الحيوان المنوي العنصر الأكثر حركة لأنه يسعى وراء البويضة ليلقحها، ولذا فإن الله أمده بشكل يجعله سهل الحركة فجعله أصغر خلايا الجسم في حين أنه جعل البويضة أكبر خلايا الجسم لأنها هي المكلفة بامتصاص الغذاء[4].

مرحلة ما قبل الجنين أو مراحل تكوين النطفة:

وهي مرحلة الأسبوع الأول من الحياة، وبعد الأسبوع الأول من الحياة، وبعد أن يصل عدد الخلايا داخل الجنين 32 خلية تأخذ الكتلة البشرية أو الجنين في التشكل، وتظهر داخله فراغا وتكتلات في الخلايا ويصبح لتلك الخلايا خصائص وتخصصات، وبعد هذه المرحلة في الأسبوع الثاني من الحياة

---

(1) يقول الدكتور محمد أحمد سليمان رئيس الطب الشرعي بجامعة الرياض عن الصلب والترائب ماء الرجل وماء المرأة "أي البيضة" كلاهما يخرج من بين الصلب "أي العمود الفقري" والترائب "أي الضلوع" ذلك أن الخصية وإن كان موضعها في الرجل البالغ في الصفن تحت البطن إلاّ أنها بدأت كونيتها في الجنين بجوار الكلية في أعلى الجانب الخلفي من البطن، أي بين الصلب والترائب وكذلك مبيض المرأة الذي يوجد في البالغة في تجويف الرحم إلاّ أنه بدأ تكوينه كذلك في نفس الوضع السابق أي بين الصلب والترائب. أنظر محمد بن أحمد الصالح، الطفل في الشريعة الإسلامية، المصدر السابق، ص21. وأنظر أيضا، محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص114.

(2) ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ط حجازي، 1352هـ/1952م، ص336. ونصه من حديث ثوبان حيث سأله اليهود عن الولد فقال: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا امتزجا فعلا مني الرجل ومني المرأة، ذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة أنثى بإذن الله"

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ6، المرجع السابق، ص3878.

(4) نجيب محفوظ، فن الولادة، ط4، ص69، ص70.

يتكون جنين متكامل قابل إلى مواصلة الحياة، وإنتاج إنسان وهو في هذه المرحلة أكثر تعقيدًا، وخلاياه أكثر تخصصًا[1].

وقد وردت أحاديث عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيها بيان لبدء تصوير الجنين وتخليقه منها:

1– ما رواه ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو الصادق المصدوق،"**أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، و يؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله، وعلمه وشقي أو سعيد**"[2].

2– ماروي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها... ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء و يكتب الملك...**"[3]

وقد استدل "ابن جزم" بهذين الحديثين على أن العلقة هي أول خلق الولد قائلا: "معناه خلق الجملة التي تنقسم بعد ذلك سمعا وبصرا وجلدا وعظاما، فصح أن أول خلق الولد كونه علقة لا كونه نطفة وهي الماء"[4]

مكان النطفة:

ومما سبق يتبين مكان النطفة واضحا وهو ما بيّنه الله سبحانه وتعالى بقوله:﴿**في قرار مكين**﴾ ومعنى كون الرحم مكينا أنها متمكنة فهي لا تنفصل لثقل حملها ولا تمج بما داخلها، وهو كناية عن جعل النطفة مصونة، وهذا يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يهمل تلك النطفة منذ أول طور من أطوارها، ولكنه هيّأ لها ذلك المكان يحملها ويحميها حتى ينتهي بها إلى آخر المراحل باخراجه منه، على أنه برغم ذلك باق على مكانته معد لاستقبال غيرها من الوافدين حتى يرحل كما رحل النازل الأول، ولهذا لفت الله وتعالى الأنظار والبصائر إلى موضع العبرة والقدرة[5].

---

[1] عبد الله حسن باسلامة، الاستفادة من الأجنة المجهضة والفائضة في زراعة الأعضاء، ص6، نقلا عن أمين عبد المعبود زغلول، رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1411هـ/1991م، ص58.

[2] القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،كتاب القدر، رقم (2643)، جـ4، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص2036.

[3] المرجع نفسه، كتاب القدر، جـ4، ص2037.

[4] ابن حزم، المحلي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، جـ11، طبعة منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، ص640.

[5] محمد سلم مدكور، الجنين والأحكام المتعلقة في الفقه الإسلامي، ط1، دار النهضة بمصر، 1389هـ/1969م، ص53.

وفي هذا بيان لكمال قدرة الله سبحانه وتعالى بتصريفه أطوار خلقه، ويقر سبحانه وتعالى في الأرحام ما يشاء من الحمل، ومن المضغة إلى أجل مسمى يختلف بحسب جنين وجنين فثم من يسقط، وثم من يكمل أمره، ويخرج حيّا ثم "**نخرج كل واحد منكم طفلا**" والطفل يطلق من وقت انفصال الولد إلى البلوغ.

الطور الثاني: العلقة:

العلقة في اللغة: معنى العلقة يؤدي إلى الارتباط بالشيء والمتشبث به، والعلقة حركة الدم عامة أو الشديدة الحمرة، أو الغليظ أو الجامد والقطعة منه، وكل ما علق، والطين الذي يعلق باليد، وعلقت المرأة حبلت[1]. وفي التنزيل الحكيم ﴿**خلق الإنسان من علق**﴾ والقطعة منه علقة، والعلقة طور من أطوار الجنين وهي قطعة الدم التي يتكون منها. قال تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة**﴾[2]

ومن إطلاق العلق على الدم المذكور قول "زهير"[1]

إليك أعملتها فتلا مرافقها

شهرين يجهض من أرحامها العلق[2]

ويقول علماء التفسير استنادا إلى ما ورد في معنى العلقة أنها قطعة الدم الجامدة فيقول "القرطبي": "**العلقة هي الدم الجامدن والعلق الدم العبيط أي الطري. وقيل الشديد الحمرة**"[3]. ومثله في ذلك "الفخر الرازي"[4]

وجاء في تفسير أبي السعود "**العلقة قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى**"[5].وجاء في موضع آخر منه "**العلقة الدم الجامد بأن أصلها النطفة البيضاء إلى علقة حمراء**"[6].

وقد رجح "د/محمد سلام مدكور" في تفسير هذا الطور فقال: إن تلك النطفة منذ أن يبتدأ تعلقها بجدار الرحم و تشبتها به فتنتهي تسمينها بنطفة، وتسمى من ذلك علقة وإنما رجحنا ذلك لأنه بدء ذلك

---

[1] زهير، هو زهير بن أبي سلمى المزني:(نحو530-627)،أحد فحول الشعر الجاهلي ولد بنواحي المدينة ونشأ بين غطفان بنجد وأحاط به الشعراء.وهو من أصحاب المعلقات.دقيق الوصف متين التنسيق، ميال إلى الحكم.يعتبر من أشعر شعراء عصره.له "ديوان" يحوي المعلقة التي ذكر فيها حرب السباق، وفيها كثير من المدح والفخر.انظر المنجد في اللغة والأعلام، ط36، طبعة منفتحة ومزيد عليها، دار المشرق، بيروت، 1997م،ص281.

[2] محمد أمين الشنقيطي، أضواءالبيان في تفسير القرآن، جـ5، المرجع السابق، ص21.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، المصدر السابق، ص6

[4] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، جـ23، ط2، دار الفكر، بيروت، 1403هـ/1983م، ص8.

[5] تفسير أبي السعود، جـ18، ص13

[6] المرجع نفسه، جـ4، ص36

الطور من الناحية العملية، وقد أخذناه أيضا من تفسيرات اللغة كما يتبين ذلك من العرض السابق المنقول من كتب اللغة.

فهي إذا مجموعة الخلايا التي اتخذت لنفسها شكل التوتة، والتي أطلقنا عليها "الجرثومة التوتية و التي قلنا أنها ناتجة عن البويضة الملقحة والتصقت بجدار الرحم"[1]

العلقة: تركيبها:

يختلف تركيب العلقة عن تركيب الدم السائل فهي تتكون من خلايا نشأت بطريق الانقسام عن البويضة الملقحة التي تمثل الخلية الإنسانية الأولى، وهي تركيب من نواة وسيتوبلازم بصفة أساسية، بينما الدم السائل يتكون من سائل أصفر باهت يعرف "**بالبلازما**" تسعة أعشاره ماء و عشره مواد غذائية مهضومة بالإضافة إلى كميات قليلة من مخلفات عضوية، و يحتوي سائل البلازما على عدد كبير من خلايا دقيقة تعرف بالكريات الدموية الحمراء يعزى إليها لون الدم الأحمر[2].

بدء طور العلقة ومدته:

يبدأ طور العلقة بعد انتهاء طور النطفة، حيث أن هذا الأمر ينشأ عنها وهو التدرج في الخلق حيث يتبين ذلك من النصوص الواردة في القرآن والسّنة قال الله تعالى: ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة**﴾[3]

وقد صح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من حديث "عبد الله بن مسعود" –رضي الله عنه–قال: حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو الصادق المصدوق قال: "**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مُضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا...الحديث**"[4]

وإذا كان الطب الحديث يقدر مدة العلقة بأسبوعين تقريبا فإنه لا تعارض بين هذا وبين ما جاء في الحديث الصحيح السابق ذكره. ولذا يمكن أن يستفاد من الحديث أن مرحلة العلقة تكون متداخلة في نفس المدة الأولى مدة النطفة وبذلك يمكن التوفيق بين ما جاء في الحديث، وما ذهب إليه الطب الحديث من أن مرحلة العلقة تبدأ من اليوم الثامن من وقت التلقيح[5].

---

[1] محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، المرجع السابق، ص201، محمد سلام مدكور، الجنين و الأحكام المتعلقة به في الفقه الإسلامي، المرجع السابق، ص58.

[2] نجيب محفوظ، فن وعن الولادة، محمد سليمان، مذكرات في الطب الشرعي

[3] سورة المؤمنون، الآية 14.

[4] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، (باب ذكر الملائكة)، رقم(3036)، جـ3، المصدر السابق، ص1174.

[5] محمد بن أحمد الصالح، الطفل في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص29.

ثم يعقب ذلك في تطور الجنين بذاية تكون الجهاز العصبي فيه الذي يحس من خلاله، وقذ يتألم وهي تبدأ بعد مرور أسبوعين على الجنين في الغالب[1].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا بعد خلق**﴾[2].

ويقول جلّ شأنه: ﴿**خلق الإنسان من علق**﴾[3]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**ثم كان علقة فخلق فسوى**﴾[4]. فهذه الآيات كلها تشير إلى مراحل الخلق، وتبين أن مراحل النطفة والعلقة، والمضغة قبل مرحلة خلق الإنسان وهو ما يعنيه قوله نعالى: ﴿**ثم أنشأناه خلقا آخر**﴾[5].

وقد نقل كثير من المفسرين عن "ابن عباس" –رضي الله عنهما– و غيره من الصحابة، والتابعين أن المقصود بهذه الآية هو نفخ الروح بعد استكمال تخليقه[6].

الطور الثالث: المضغة:

تعريفها في اللغة، المضغة على وزن فعلة من مضغ كالأُكْلة فعلة من أكل. والمضغة هي القطعة الصغيرة من اللحم على قدر ما يمضغه الآكل، ومنه قوله –صلى الله عليه وسلم–: "**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسم كله...الحديث**"[7]

وجاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: المضغة. مضغ اللحم يمضغه ويمضغه مضغا، حركه في فمه وعالجه بأسنانه يقطعه ليبتلعه، ويقال لقطعة اللحم التي هي قدر ما يمضغ: ومن هذا قيل للجنينفي بطن الحامل حينما يصير قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم: مضغة– بعد أن كانت علقة وهو طور من أطوار خلق الإنسان[8].

﴿**إنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة**﴾[9] جاء في المعجم الوسيط: "المضغة: القطعة التي تمضغ من لحم وغيره... جمعها مضغ. ومضغ الأمور: صغارها"[10].

---

[1] محمد علي البار، التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب، بحث مقدم لمجمع الفقه مجلة المجتمع، جـ1، العدد2، ص274–301

[2] سورة الزمر، الآية 06.

[3] سورة العلق، الآية 06.

[4] سورة القيامة، الآية 38.

[5] سورة المؤمنون، الآية 14.

[6] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ12، المصدر السابق، ص109، ابن كثير مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، جـ2، ط8، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402هـ/1981م،ص561.

[7] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم(52)، جـ1، طبعة المعرفة، بيروت، ص126.

[8] مجمع اللغة العربية، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، جـ2، القاهرة، ص638

[9] سورة الحج، جزء من الآية05.

[10] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ2، "مادة المضغة"، المرجع السابق، ص875.

وقد اصطلح في "علم الجنين على تخصيص كلمة المضغة للدلالة على الولد في رحم الأم حتى آخر الشهر الثاني، وإطلاق كلمة الجنين على ما بعد ذلك في حياة رحمية"[1].

وقيل: "هو الطفل الغير مولود في رحم أمّه والذي تبدأ مرحلته في الأسبوع الثاني من الحمل"[2]

تخليق المضغة:

وهذه المرحلة إذا هي المرحلة التي يقع فيها التخليق أي التصوير بتقسيم أجزاء تلك المضغة، وقد يمتد ذلك التخليق حتى يصير في طور آخر بعد طور المضغة.قال الله تعالى: ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[3].

ولقد فسر علماء التشريح عندما تحدثوا عن أطوار نمو العلقة فقالوا أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها أجزاء زائدة حين تمتلء دائرة العلقة فتصير مضغة، وأنه ينبت فيها أطرافا كما ينبت النبات، ويخلق أعراضا غير الأولى، فهذا الخلق الجديد لم يتحقق إلاّ بالتطوير إلى المضغة[4].

ومدة هذا الطور كما جاء في حديث "ابن مسعود" هي أربعون يوما التي يحصل بها تمام أربعة أشهر من بدء الحمل، وهذه المضغة تكون مخلقة وغير مخلقة، فتكون عبارة عن قطعة لحم ملساء لا تصوير فيها، ولا اختلاف بين أجزائها ثم يبدأ في مرحلة التصوير والتخلق وهذا هو معنى قول الله عزّ وجلّ ﴿**ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة**﴾. فالمخلقة: هي التامة –وغير المخلقة: هي غير التامة.

قال الزمخشري[5] في الكشاف: والمخلقة المسواة الملساء من النقص والعيب. يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه، من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم[6].

---

[1] لبيب بيضون، خلق الإنسان، جـ1، دار زيدون للطباعة والنشر، لا.ط، دمشق، 1390هـ/1970م، ص81.

[2] أحمد دهمان، فن التوليد، مطبعة دار الحياة، دمشق، لا.ط، 1407هـ/1987م، ص34.

[3] سورة المؤمنون، الآية 13-14.

[4] أمين عبد المعبود زغلولن رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص65.

[5] الزمخشري: هو محمد بن عمر، (467هـ-538هـ) لغوي ومفسر للقرآن، ولد في خوارزم ومات بعاصمتها الجرجانية. ورغم فارسيته أحب العربية وتبحر بها وكتب في نحوها وصرفها. أخذ بمذهب الاعتزال، ألف كتابا أسماه "الكشاف عن حقائق التنزيل"، لقي نجاحا كبيرا حيث تأثر به كل المفسرين من بعده، واتد أثره للمغرب برغم معارضة المالكية له. ومن أهم مؤلفاته أيضا أساس البلاغة، المفصل ، مقدمة الأدب القسطاس، له ديوان شعر ومقامات، انظر الزركلي، جـ5، ص58.

[6] الزمخشري، أضواء البيان، جـ5، ص24.

وهكذا يأخذ الحمل طريقه في التطور والنمو، وبروز أجزائه حتى يتكامل خلقه، ويخرج طفلا سويا. وقد قرر الطب الحديث أن الحمل في نهاية الشهر الأول وهو مضغة تظهر فيه أربعة براعم تمثل الاطراف، ويبلغ طول المضغة سنتيمتر واحد تقريبا.

-وفي الشهر الثاني- تتميز اليدان والأصابع وتظهر الأذن الخارجية وتنفصل فتحة الفم عن الانف ويظهر مركز التنظيم في الترقوة والفك الأسفل ويكون وزن الجنين 28جراما وطوله 8سم.

-في الشهر الثالث- يظهر جفنا العين ملتحمين، وتظهر أعضاء التناسل الخارجية وإن كان لا يمكن تميّزها، وتكون الأطراف من مقطعين، وتظهر ملامح الأصابع، وفي هذه المرحلة يمكن تمييز الذكر من الأنثى وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**﴾[1].

-في الشهر الرابع- تتكون الأصابع والاذنين، وتتضح ملامح الوجه، ويأخذ الأنبوب الهضمي شكلا قريبا من شكله النهائي، ويبدأ الكبد بعمله الوظيفي فتمتلئ الأمعاء بالعصير الأخضر، وقد تشعر الحامل بأول حركة للجنين ويكون وزنه 114جرام تقريبا وطوله 15سم[2].

-في الشهر الخامس- ينفصل جفنا العينين، وتظهر الطبقة الدهنية على سطح الجلد، ويظهر مركز التعظم في عظم الكعب ويكون وزنه 227 جرام وطوله 25سم وتصبح حركة الجنين أكثر وضوحا بحيث من الممكن أن يسمع الطبيب دقات قلبه بسماعته الطبية.

-وفي الشهر السادس- تظهر أهداب الجفنين، وشعر الحاجبين، مع تقيض الجلد وتلونه بالحمرة ويبدأ شعر الرأس في النمو وينمو طوله إلى 30سم ووزنه 680 جرام تقريبا.

-وفي الشهر السابع- تتفتح عينا الجنين، وإذا ولد في هذا الشهر يغطي جسمه طبقة دهنية كثيفة[3] ولون جلد أحمر مائل إلى الزرقة، في الذكور تنزل الخصيتان إلى مكانهما الطبيعي ويبلغ طول الجنين 38سم، ووزنه 1000جرام تقريبا.

-وفي الشهر الثامن- ينبسط الجلد فيذهب تجعده، ويصير لونه ورديا لامعا، وتصل الأظافر إلى أطراف أصابع اليدين، ويظهر مركز العظم في نهاية الطرف السفلي لعظم الفخذ ويتخذ الوضع النهائي الذي سيولد به بأن تكون عادته الرأس إلى أسفل، ويبلغ طوله 42سم، ووزنه حوالي 2كغ تقريبا.

-في الشهر التاسع- يتم تخليق بقية الأجزاء بأمر الله سبحانه و تعالى، ويكون لون الجلد متوردا بدون احتقان، ويخف الدهن الذي على جسده، ويختفي الوبر الذي كان يغطي جسده، ويكون شعر الرأس طويلا قد يصل إلى 3سم، وتطول أظافره عن أطراف أنامله ويبلغ طوله 50سم ووزنه 3كغ تقريبا،

---

[1] سورة آل عمران، الآية 06.

[2] محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، المرجع السابق، ص366.

[3] الحكمة من تغطية الجلد بهذه الطبقة الدهنية حمايته من تأثير السائل الأمنيوم الذي يهيج الجلد، أمين عبد المعبود زغلول، رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص67.

ويصبح كامل الخلقة كما نشاهده حين الولادة، ويستقر الجنين في هذا الشهر أسفل البطن استعدادا للخروج إلى الحياة الدنيا[1].

فسبحان الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وتبارك الذي خلق الإنسان فأحسن صوره وصدق من قال: ﴿**وصوركم فأحسن صوركم**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾[3].

ويتضح لنا من ذلك اتفاق نظرة الطب الحديث مع ما قرره ديننا الحنيف في المراحل التي يمر بها تطور الجنين.

واجب رعاية الأم للجنين:

قال الله تعالى: ﴿**المال و البنون زينة الحياة الدنيا**﴾[4]. بحيث يتضح من الآية الكريمة أنها أعطت صورة واضحة عن الحياة الحياة السعيدة والتي تعتمد على دعامتين أساسيتين المال والبنون.. فالمال عصب الحياة، وحب المال غريزة أصلية في الإنسان. لذا يجعل الإسلام الدفاع عنه كالدفاع عن الدين والعرض. وإذا أحسن الإنسان التصرف به كان بذلك وسيلة وسببا للعيش حياة هانئة وسعيدة..أما الدعامة الثانية في هذه الدنيا الذرية الصالحة وهي أهم أهداف الحياة الزوجية. ولمّا كان من أسمى أهداف الزواج إيجاد النسل لحفظ النوع الإنساني و عمارة هذا الكون، فقد وضعت الشريعة الإسلامية القواعد والأسس التي تحمي الجنين منذ تكوينه في بطن أمه حتى يخرج إلى الحياة قويا مكتمل البنية كامل الخلقة والعقل، ويظهر واضحا قصد الشارع في المحافظة على الجنين و حماية حقوقه فيما يلي:

أولا: حقوق الطفل في الإسلام قبل ولادته

حقوق الطفل في الإسلام تبدأ قبل زمن ولادته، بل تبدأ قبل زواج الوالدين، وما سنذكره في النقاط التالية:

1- حق الطفل في حسن اختيار والديه في الإسلام:

لقد جعل الإسلام حُسن اختيار الوالدين كل منهما للآخر حقاً للطفل، ولذا أمر كُلاًّ منهما بإحسان اختيار الآخر، بل وضع قواعد ومعايير تحقّقُ هذا الحسن في الإختيار، وهذه القواعد نستطيع إجمالها في العناصر التالية:

---

[1] أمين عبد المعبود زغلول، رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص67، انظر إيناس عباس ابراهيم، رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، ط1، دار البحوث العلمية، مصر، 1405هـ/1985م، ص104-105، محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، المرجع السابق، ص366.

[2] سورة غافر، الآية 64.

[3] سورة التين، الآية 04.

[4] سورة الكهف، الآية 46.

أ- الإختيار على أساس الدين:

ونقصد بالإختيار على أساس الدين أن يكون الإختيار على أساس الفهم الصحيح والحقيقي للإسلام والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية، وأخلاقه الرفيعة والإلتزام الكامل بمنهجه الشرعي ومبادئه الخالدة.

فعندما يكون الزوجان أو المريدان للزواج على هذا المستوى من الفهم والتطبيق والإلتزام يمكن أن نطلق عليهما ذوا دين وخُلُقٍ[1].

وهذا الفهم مع التطبيق والإلتزام هو ما قصده النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك**"[2].

وهذا يعني أن النبيّ-صلى الله عليه وسلم-وضع القاعدة الأولى من قواعد حسن الإختيار للزوجة وهي الإختيار على أساس الدين.

وقد أرشد إلى هذه القاعدة أيضا في حقّ الزوج، فقال-صلى الله عليه وسلم-:"**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**"[3].

فقد قدّم الرسول-صلى اللّه عليه وسلم- اختيار الزوجين على أساس الدين على كل مسّوغات الإختيار الأخرى، وذلك لأن الإختيار على أساس الدين من أهمّ ما يحقق للزوجين سعادتهما المطمئنة، ويحقق للأولاد الظروف التربوية المستقرة لتربية فاضلة حسنة ينعم فيها الأطفال بالطمأنينة والأمان الإجتماعيين، ويتحقق لأسرتهم الشرف الثابت والإستقرار المنشود.

ب- الإختيار على أساس الشّرف والأصل:

فقد جاء في الحديث السابق ذكره أنّ النبيّ-صلى الله عليه وسلم-ذكر أسسا للإختيار منها(الحسب) فقال-صلى الله عليه وسلم-:"لحسبها".

وقد يتصور بعض الناس أو بعض القرّاء غير المتمعنين لهذا الحديث أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم-يرفض أن يُختار الزوج أو تُختار الزوجة إلاّ على أساس الدين، وهذا فهمٌ خطأ للحديث، بل الصواب في فهم هذا الحديث، أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-يوجّه المسلمين إلى أن لا يقصدوا شيئاً من الحسب أو المال أو الجمال لذاته ولو على حساب ضعف الدين، إنّما عليهم أن يقصدوا ذات الدين

---

[1] عادل محمد صالح أبو العلا، حقوق الطفل من وجهة نظر الإسلام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2005، ص33

[2] صحيح البخاري، ظبطه و رقمه، و شرح ألفاظه، ووضع فهارسه، مصطفى ديب البغا، رقم(4082)، جـ 5، دار الهدى للنشر و الطباعة والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 1958.

[3] سنن الترمذي، كتاب النكاح، (باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه)، رقم (1084)، جـ3، المصدر السابق، ص394.

أولاً، ولو توفّر في ذات الدين الحسب أو الجمال الباهر أو المال الوفير فذلك أفضل، لكن كل شيء من ذلك لا قيمة له إن لم يقترن بالدين.[1]

ولا شكّ أن الشرع الشريف عندما قبل أن يكون الأصل والحسب أساسين من أسس اختيار الزوجين، فقد كان ذلك لحكمة بالغة يمكن أن نستخلصها من خلال معرفتنا بأنّ تجارب الحياة الكثيرة تقطع بأهمية البيئة والوراثة في الأخلاق، حيث يبدو أن شيئاً من الأخلاق والصفات النفسية يورث في صورة إستعدادٍ عضويّ له.

ولذا كان اختيار الزوجة والزوج طيبي الأصل والناشئين في عائلة متديّنة شريفةٍ يُساعد الزوجين على الإتّصاف بالأخلاق الكريمة، مما يساعد بدوره على توفير الظروف المستقرّة لحياة أولادها فيما بعد[2]

ج- الإختيار على أساس الملاحة والجمال:

فينبغي أن تكون الزوجة على قدر من الملاحة والجمال، بحيث تعجب زوجها ويرضى بها، وليس في هذا الجانب قدر محدود عند جميع الناس يتفقون عليه، حيث يتفاوت الناس في تقديرهم شيئًا ما، ولكن هناك مقاييس عامة في الجمال يتفق الناس عليها، ولكن الجمال الذي يجعله الشرع الشريف أحد أسس الإختيار هو الجمال الذي يرضى عنه الزوج ليكون رضاه مُعيناً له على أن يغُضَّ بصره ويحصن نفسه؛ ولذا وجَّه النبيّ-صلى الله عليه وسلم-الصَّحابيَّ إلى النظر لوجه من يريد زواجها فقال-صلى الله عليه وسلم-: "**أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**"[3] أي تدوم المودة بينكما.

بل يجعل رسول الله -صلى الله عليه و سلم- من أسباب تفضيل المرأة أن تسر زوجها إذا نظر إليها، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "**خير نسائكم من إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله**"[4].

فالإسلام حريصٌ كلَّ الحرص على أن يوفّر للأولاد الظروف الأسرية المناسبة التي تُساعد على تنشئة صالحة طيّبة، ولذا يجعل من أسس حسن اختيار الزوجين الإختيار بناءً على اتصّاف الطرفين بالقدر الذي يرضى به الآخر من الملاحة والجمال؛ لكي يساعد هذا على استقرار الأسرة بدلاً من البحث الدائم من الزوجين عن إشباع الرغبات خارج الأسرة ممّا يزعزع الأسرة، وينال من أمانها الاجتماعي.

---

[1] عادل محمد صالح أبو العلا، المرجع السابق، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص35

[3] سنن الترمذي، كتاب النكاح، (باب ماجاء في النظر إلى المخطوبة)، رقم(1087)، جـ3، ص 397، قال أبو عيسى هذا حديث حسن، (أحرى أن يؤدم بينكما) قال: (أحرى أن تدوم المودة بينكما)

[4] سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، (باب في حقوق المال)، رقم(1664)، جـ2، المصدر السابق، ص126.

د- الإختيار على أساس الود وحسن الخُلُق:

فالزوجان إذا اتّصفا بالحرص على التوادِّ وحُسن الخلق فإنهما يعملان على إحسان العشرة بالمعروف، فلا يكون أحدهما صخّابًا ولا شتّاماً، بل يعرف كل منهما حقّ الآخر عليه، وقد ذكر النبيّ- صلى الله عليه وسلم-في الحديث السابق لوناً من ألوان حُسن العشرة في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "**وإذا أمرها أطاعته**".

وهذا كله ممّا يكلف به الزوجان؛ لقوله تعالى : ﴿**ولهُنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف**﴾[1].

ولقد حثّ الشرع الشريف على تحسين الخلق بشكل عام فقال-صلى الله عليه وسلم-: "**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً**"[2].

والإسلام حينما يجعل الود وتحسين العشرة، وتحسين الخلق أساساً لاختيار الزوجين فهو بذلك يريد توفير الحياة المستقرة الخالية من التنازع والاختلاف والفرقة في الأسرة وذلك حرصاً منه على توفير الظروف الاجتماعية المناسبة لتنشئة الأولاد تنشئةً سليمةً صالحة خالية من الظروف المساعدة على الإنحراف والجنوح.

وبهذا العرض المختصر يتّضح أن التشريع الإسلامي عمل على توفير ظروف شرعية مستقرة لتنشئة الأولاد، وذلك من خلال وضعه ضوابط وقواعد ومعايير لاختيار الزوجين، وجعل هذا حقّا من حقوق الطفل، ويدل على هذا قصة الرجل الذي جاء يشكو عقوق ولده "لعمر بن الخطاب" أمير المؤمنين -رضي الله عنه- فاستدعى عمر -رضي الله عنه- ولد الرجل، فجاءه، ثم ذكر لعمر -رضي الله عنه- أنّ أباه لم يحسن اختيار أمّة، فقال له عمر: عققت ولدك قبل أن يعقك. يعني أسأت إليه في هضمك حقوقه قبل أن يُسيء إليك.

وتمثّلت إساءة الرجل في حق ولده في عدم إحسانه في اختيار أم ولده. ولقد اتفق الإعلان العالمي لحقوق الطفل في صورته الجديدة عام 1989م، واتفاقية حماية حقوق الطفل عام1990م في هذا المعنى مع التشريع الإسلامي حيث نصّت الإتفاقية في موادها من (6) إلى (12) على حقوق الطفل من بينهما حق الطفل في الحفاظ على هويته بما في ذلك جنسيته واسمه وصلاته العائلية بأن ينشأ في ظروف شرعية مستقرة و في حالة حرمان الطفل من هذه الظروف فإن واجب الدول الموقعة على الإتفاقية تقديم المساعدة والحماية المناسبتين من أجل الإسراع بإعادة إثبات هويته[3].

---

[1] سورة البقرة، جزء من الآية 228.

[2] صحيح مسلم، بشرح النووي، (باب كثرة حيائه -صلى الله عليه و سلم-)، مجلد8، جـ 15، دار الكتاب الغربي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص 78.

[3] هدى محمد قناوي، حقوق الطفل بين المنظور الإسلامي والمواثيق الدولية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1998م، ص91

2- حق الطفل في الحفاظ على حياته وصحته جنيناً:

لقد حافظ الإسلام على حياة الطفل جنيناً، وعلى صحته أيضاً، وتظهر هذه المحافظة في كل تشريعات الشرع في مجال الطفل والطفولة.

وقد أخذ الحفاظ على حياة الجنين في الإسلام صوراً عدة منها اتفاق فقهاء المسلمين على أن حياة الجنين محفوظة ويحرم المساس بها، وذلك لأنهم اتفقوا على أن إسقاط الجنين وإجهاض الحامل للجنين بعد نفخ الروح فيه حرام، ولو كان هذا الإسقاط أو الإجهاض باتفاق الزوجين؛ لأن هذا الإجهاض والإسقاط قتل للنفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق، فيدخل الإجهاض للأم في التحريم الوارد في قوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق**﴾[1].

وقد جاءت نصوص فقهاء المسلمين صريحة في ذلك، فقد قال "ابن عابدين": "**لو أرادت إلقاء الماء بعد وصوله إلى الرّحم قالو: إن مضت مدة ينفخ فيها الروح لا يباح، وتأثم –أي الأم–إثم القتل لو استبان خلقه ومات بفعلها**"[2]

ويقول "ابن جزي": " **وإذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق، وأشد من ذلك إذا نفخ فيه الروح فإنه قتل نفسٍ إجماعاً**"[3].

ويقول "الزركشي": "**لو تركت النقطة حتى نفخ فيها فلا شك في التحريم**"[4]

ويقول ابن حزم: "**مسألة: المرأة تتعمد إسقاط ولدها.... وإن كان قد نفخ فيه الروح فالقود عليها**"[5]، لأنها قاتلة نفساً مؤمنة عمداً.

ومن خلال ما سبق من كلام الفقهاء يتبين مدى عناية الإسلام بالطفل ورعايته لحق الحفاظ على حياة الطفل وهو جنين فمنع التعدي عليه سواء بإسقاطه أو إجهاض أمه.

ولقد أخذ الحفاظ على حياة الجنين صورة أخرى تلك الصورة التي يقع فيها عقاب لمن يتعدى على حياته، فقد عاقب الشرع الشريف من يتعدى على الجنين بأن عليه غرة عبد أو أَمَة.

---

[1] سورة الأنعام، جزء من الآية 151

[2] ابن عابدين، رد المحتار على الدّر المختار شرح تنوير الأبصار، المعروف بعنوان "حاشية لبن عابدين"، درراسة وتحقيق و تعليق، عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، جـ 5، دار عالم الكتب، للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1423هـ/2003م، ص 319-329

[3] ابن جزي، القوانين الفقهية، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د ت،ص 212

[4] شمس الدين محمد ابن أحمد بن حمزة (الرملي)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، جـ 8، المكتبة الإسلامية، رياض الشيخ، ص416.

[5] ابن حزم الأندلسي، المحلى، جـ 11، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، ص31.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: إن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قضى في جنين امرأة من بني لحيان–سقط ميتاً– بغرة عبد أو أمةٍ... الحديث[1].

وفي رواية أخرى: **اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها**[2].

فهذا شكل آخر من أشكال حفاظ الشرع الشريف على حياة الجنين، بل لقد اعترض بعض المسلمين حديثي العهد بالإسلام على عقاب من أسقط جنيناً فقتله بأن عليه عرّة فقال: كيف ندي من لا صرخ ولا استهل، ولا شرب ولا أكل، فمثل ذلك يُطلّ. أي يهدر دمه. فرد عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**أسجع كسجع الأعراب؟!**"[3].

فقد رفض النبيّ –صلى الله عليه وسلم– ذلك القياس الفاسد الذي ينظر للجنين–لعدم وجود أثر له في خارج رحم أمه– على أنه شيء مهمل لا يستوجب الإعتداء عليه عقابا، ولكن الشرع الشريف ردّ هذا القياس الفاسد، وأوجب الغرة على من يتعدى على الجنين.

وهكذا فقد حافظ الإسلام على حق الجنين محافظة تامة، فحرّم التعدي على حياته، وعاقب على التعدي عليها.

3– حق الجنين في العناية به وبأمه أثناء الحمل:

لقد أعطى الإسلام الجنين حقا في العناية به وبأمه، أمّا العناية به فقد منع كل أذى يصل لأمّه أثناء حملها فيه، فمنع إيقاع العقوبة عليها التي تؤذي حياتها أثناء الحمل، **فقد أرجأ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–إقامة الحد على الغامدية حتى تلد**[4]. وما كان ذلك إلاّ حفاظا على حق العناية بالجنين أثناء حمله.

---

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم(6904)، جـ12، تصحيح و تحقيق محبة الدين الخطيب، رقم كتابه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص257، رواه الترمذي في سننه، كتاب الديات، (باب ما جاء في دية الجنين)، رقم(1410)، جـ4، المصدر السابق، ص23–24، وقال أهل العلم: الغرة عبد أو أمة أو خمسمائة درهم، و قال بعضهم أو فرس أو بغل.

[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، (باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ و شبه العمد على عاقلة الجاني)، رقم(1681)، جـ3، المصدر السابق، ص 1309.

[3] المصدر نفسه، رقم(1682)، جـ 3، ص 1310.

[4] تأخير الحد، أنظر ابن قدامة، المغني، جـ6، ص382، و الموطأ مالك، جـ5، ص 179، والحاكم، المستدرك، جـ18، ص 458، البيهقي، السنن الكبرى،جـ8، ص229، الطبراني، المعجم الكبير، جـ13، ص99، والدارقطني، سنن الدارقطني، جـ7، ص456.

وقد أجاز الفقه الإسلامي رعاية للجنين وأمّه للأم الحامل أن تفطر في رمضان وعليها القضاء دون الكفارة عند الحنفية، وعند الجمهور إن خشيت على نفسها فعليها القضاء دون الكفارة أو على جنينها فعليها القضاء مع الكفارة[1]. وذلك لحرص الإسلام على سلامة الجنين و تغذيته تغذية جيدة.

4- حق الطفل في العناية بالصحة النفسية له وهو جنين:

راعى الإسلام العناية بالصحة النفسية للجنين؛ لأن من الأمور المهمة التي يجب على الوالدين مراعاتها أثناء الحمل العناية بالصحة النفسية للجنين وذلك عن طريق العناية بالصحة النفسية للأم الحامل بابتعادها عن المنغصات والمزعجات والصّدمات النفسية. فقد أرشد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إلى حسن رعاية الرجل لأهله فقال -صلى الله عليه وسلم-: "**خيركم خيركم لأهله**"[2]، وهذه الخيرية تقتضي الخيرية في كل مناحي التعامل والرعاية.

كما أرشد-صلى الله عليه وسلم - أيضا الأزواج إلى الرفق بالزوجات، فقال: "**رويدك بالقوارير**"[3] وأرشد أيضا إلى صبر الأزواج على أخطاء الزوجات ليضمن الاستقرار للأسرة.

وعلى الأم أيضا ألا تكون عاملاً سلبيا على الصحة النفسية للجنين بأن لا تتقبل نفسياً وجود الجنين بأن لا ترغب فيه من البداية، فقد أرشد الشرع الشريف لتحصيل الأم للصحة النفسية إلا الرضا بما قسم الله لتكون من أغنى الناس.

وبيان الإسلام أن الرضا بقضاء الله خير وسيلة للصحة النفسية؛ لأن العبد بهذه الصفة (الرضا) يعلم أن ما نزل به هو خير له لأنه يوقن بقوله تعالى: ﴿**فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا**﴾[4].

وهكذا وفرّ الإسلام للجنين الصحة النفسية بأن أمر الزوج بحسن رعايته للأم والجنين، وأمر الأم بالصبر والرضا برزق الله لها.

إذن فواجب الوالد أن يعتني بزوجته في فترة حملها عناية زائدة، لأنها تكون في حالة تحتاج لمن يهتم بها ولمن يعتني بظروفها، فهي جسديا متعبة من جراء حملها، ونفسيا هي كذلك متعبة من التفكير في القادم الجديد، بل إنها تمر في حالات متقلبة من الحزن والفرح، لذا وجب على الأب مضاعفة صبره وجهده معاً بأن يجنبّها كل ما يمكن أن يسوقها إلى الإنفعال والضيق، إذ أن الإنفعالات الحادة، والتوترات العصبية والنفسية للأم يمكن أن تتنقل إلى الجنين، فقد ثبت علمياً كما يقول "باحا رثن" نقلا عن "أمين زويجة" في كتابه "**ولدك هذا الكائن المجهول**" ... كذلك فإن بعض المختصين قد أشاروا في هذا الجانب

---

[1] ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، المصدر السابق، جـ2، ص116

[2] سبق تخريج الحديث، ص 45 من الرسالة.

[3] صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، (باب رحمه النبي – ص- للنساء وامر السواق مطاياهن بالرفق بهن)، رقم(2323)، مجلد 8، جـ15، المصدر السابق، ص 81

[4] سورة النساء، جزء من الآية 19.

إلى أن ما يظهر على المولود في انفعالات الخوف والغضب والكسل وغيرها هو نتيجة للإنفعالات والعوامل النفسية أثناء الحمل[1]، ولعل كل هذه الأمور هي التي دعت الدكتور "زيدان عبد الباقي" إلى التأكيد على أن الأم الحامل تحتاج إلى قدر كبير من المساندة الإنفعالية[2].

وبالتأكيد فإن أقرب الناس إليها، والذي يمكنه أن يعطيها هذه المساعدة الإنفعالية هو الزوج، أو هو ما ينبغي أن يكون عليه. وهكذا يأمر الإسلام ولي الأمر برعاية ظروف الأم الحامل وشؤونها وتقدير حالتها النفسية، فالإحسان إلى الأم الحامل واجب حتى لو ارتكبت جناية وجريمة في حق المجتمع، وعلى ولي الأمر تأجيل عقابها وحسابها حتى لا يؤثر ذلك على الجنين. ودليلنا على ذلك أن النبي–صلى الله عليه وسلم–أمر ولي المرأة التي جاءته حبلى من الزنا أن يرفق بها[3]. ومن خلال كل هذا نستخلص مدى رأفة الإسلام ورحمته وعنايته بالأم الحامل، حرصا على جنينها وفي الوقت ذاته يكون قد وفّر الإسلام للجنين الرعاية والحماية التامة منذ تكوينه في بطن أمه حتى يخرج إلى الحياة قوياً مكتمل البنية كامل الخلقة والعقل.

5– الحفاظ على الحق المالي للجنين:

وكان من مظاهر رعاية الإسلام لحقوق الطفل قبل ولادته الحفاظ على حقوقه المالية وهو ما يزال جنيناً في بطن أمه، فلقد أوقف الإسلام التركات التي يكون للجنين –لو فرض نزوله حيًّا–نصيب فيها، وذلك خشية تقسيم التركة بين الورثة الأحياء وضياع نصيبه فيها.

وقد ذكر الفقهاء صورًا لذلك تبيّن حرص الإسلام على وصول حق الجنين في التركة إليه كاملاً، وإليك باختصار بعضها:

- إذا كان معه وارث آخر، وكان نصيبه في التركة يختلف باختلاف جنسه، ففي هذه الحالة يقدّر له التقديران، ويوقف له النصيب الأكبر، وبعد الولادة وتبيّن جنسه يأخذ الحصة التي يستحقّها، فإذا كان يستحق النصيب الأصغر أخذه ووزّع الباقي على الورثة.
- وإذا كان معه وارث آخر، وكان نصيبه من التركة لا يختلف باختلاف جنسه ذكراً كان أو أنثى، فإن التركة تُقسم ويترك له مقدار نصيبه حتى يولد حيّا ويستحق الميراث[4].

---

[1] عدنان حسن صالح باحا رثن، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة 1412هـ/1996 م، ص 15.

[2] زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة 1400هـ/1980م، ص104.

[3] عبد الرزاق حسين، الإسلام والطفل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1409هـ/1989م، ص18.

[4] محمد بشير المفشي، المواريث في الشريعة الإسلامية، دار العلم للملاين، بيروت، 1984م، ص185.

وقد اتفق ما جاء في الإتفاقية الدولية لحقوق الطفل في الحقوق السابقة مع ما نصّ عليه الشرع الشريف حيث مواد الإتفاقية من (6) إلى (12) على حقوق من ضمنها حق الطفل في الحياة، وحقه في البقاء، وإن زاد ما في التشريع الإسلامي بإثبات بعض الحقوق للجنين كحقه المالي والنفسي[1].

هكذا أقرأ الإسلام للجنين حقه في التملك بالوصية والإرث، فهو يرث ممن يتوفون قبل ولادته ونصح له الهبة والوصية ويتحمل فيما له كافة الحقوق التي من حقها على الإنسان.

المبحث الثاني: حقوق الطفل في الإسلام بعد الولادة بعد ولادته:

1) حق الطفل في الحياة:

يعد حق الحياة من الحقوق المقدسة التي أقرتها الشريعة الإسلامية وجاء التحذير تلو التحذير من قضية إهدار دم الإنسان، فمن قتل نفسا فكأنه قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنه أحيا الناس جميعا.

وقد إعتبر الإسلام أن الإعتداء على النفس بالقتل يعد من الموبقات والمهلكات التي تلقي صاحبها في نار جهنم.

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: "**اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتّولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**"[2].

ولهذا نجد أن أول حق قرّره الإسلام للطفل هو حق الحياة. وهذا الحق ثابت لا يجوز انتهاكه بأية صورة من الصور، فلا تجوز هدر حياة الطفل أو الإعتداء عليها لقوله تعالى: "**ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق**"[3].

وتبدو عظمة الإسلام في هذا المجال، حينما نراجع واقع الطفل وحياته قبل الإسلام، وخاصة في بعض الحضارات سواء عند العرب في الجاهلية أو عند الحضارة اليونانية ومنها الحضارة الإسبارطية فنجد:

أ- أن الأطفال كانوا يقتلون بسبب ضعف بنيتهم كما في إسبارطة باليونان، وتارة أخرى كانوا يقتلون خشية الفقر كما كان الحال عند قبائل عرب الجاهلية. وإلى هذا يشير الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم إنّ قتلهم كان خطأ كبيرا**﴾[4].

---

[1] هدى محمد قناوي، ومحمد محمد علي القرشي، حقوق الطفل بين المنظور الإسلامي والمواثيق الدولية، المرجع السابق، ص 91

[2] صحيح البخاري، كتاب الوصايا، (باب قول الله تعالى:"إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلما إنما يأكلون)، رقم(2615)، ج3، المصدر السابق، ص 1017.

[3] سورة الأنعام، جزء من الآية 151.

[4] سورة الإسراء، الآية 31.

أما البنات فقد كن يؤدن عند عرب الجاهلية لاعتقادهم أن البنات رجس من عمل الشيطان، وأن مخلوقا هذا شأنه يجب التخلص منه. وكانت الطريقة السائدة في وأد البنات عند العرب أن تحفر بجانب الموضع الذي اختير لولادة الأم حفرة عميقة، فإن تبيّن أن المولود أنثى قذف بها بعد ولادتها مباشرة في هذه الحفرة وهيل التراب عليها.

وإلى هذه العادة الذميمة أشار تعالى بقوله: ﴿**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم(٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه على هون أم يدرسه في التراب**﴾[1].

ولمّا جاء الإسلام حرّم قتل الأولاد خشية الفقر أو المرض كما حرّم وأد البنات لهذه الأسباب أو لغيرها كالخشية من العار أو السبي.

ب- أن الأطفال قبل الإسلام كانوا لا يرثون آباءهم عند وفاتهم ولما جاء الإسلام منع هذا الفعل، وقرر حق الطفل في الإرث من والديه حتى قبيل ولادته وهو جنين في بطن أمه.

جـ- أن الأطفال كانوا يباعون في الأسواق من أجل سداد الديون في بعض المجتمعات وخاصة المجتمعات الآسيوية كالهند والصين التي كان فيها بيع البنات أو إهداؤهن أو المقايضة بهن أمرا مألوفا.

وهكذا نجد أن الإسلام حفظ حق الطفل في الحياة، وحرّم قتله أو بيعه أو انتهاك كرامته[2].

إذا هكذا جاء الإسلام فأخرج الناس من ظلمات الجهل والعبودية إلى نور الحق المبين ومن عادات وتقاليد تبخس الحقوق وتجحدها، إلى أنظمة وقوانين بلغت من الرقي ما لم تبلغه الأنظمة البشرية.

2) حق الطفل في النسب

قال الله تعالى: ﴿**أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾[3]،وقال تعالى: ﴿**وهو الذي خلق من الماء بشر فجعله نسبا و صهرا وكان ربك قديرا(٥٤)**﴾[4]

ويشير مفهوم حق الطفل في النسب، إلى حقه في أن يكون له أب وأم معروفان، وأن ينتمي وينتسب إلى أسرة،ويعد حق النسب من أهم الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية وجعلتها من حقوق الطفل الشرعية.

---

[1] سورة النحل، الآية 58- 59.

[2] صالح ذياب الهندي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990، ص 76-77.

[3] سورة الأحزاب، جزء من الآية 5.

[4] سورة الفرقان، الآية 54

وحق النسب من الحقوق الأصلية التي يتفرع عنها جملة حقوق أخرى للطفل، ومنها حق النفقة، والرضاع، والحضانة، وإثبات كافة حقوقه في الإرث التي أوجب الله حمايتها ورعايتها[1]

ومن المعروف أن التبني كان شائعا في الجاهلية ،فلما جاء الإسلام أبطله وجعل البنوة محصورة في نسب الطفل إلى الأب والأم دون غيرهما من الناس. إن حق النسب هو حق للطفل، وحق للوالدين، وللمجتمع، إذ من خلاله يحصل الطفل على حقوق أخرى كحق الرضاعة والحصانة والميراث،ومن خلالهما يحصل الوالدان على حقوقهما ،فكثير من الحقوق التي تثبت لهما تكون بسبب نسب الولد مثل حق النفقة والعناية بهما في الكبر،وحق الميراث في حالة وفاة الابن قبل الأب ومن خلاله يتحقق حق المجتمع، لأن في هذا النسب محافظة على كيان الأسرة، وفيه أيضا انضباط لنظم المجتمع وبالتالي يتحقق من خلاله ما يسمى في القانون البشري _الوضعي_ بالنظام العام[2]،ومن هنا يمكن أن نستخلص جملة من الآثار التربوية والتي تترتب على ترك هذا الواجب الديني، وهي كالتالي:

1_ إن ضياع نسب الطفل يؤدي إلى الذل والعار حيث ينبذ و يستعر منه من قبل أفراد المجتمع.

2- إن عدم ثبوت نسب الطفل من شأنه أن يؤدي إلى ضياع أهم حقوقه، ولعل من أبرزها: حقه في الرضاعة والحضانة والميراث.

3-إن عدم انتساب الطفل إلى أسرة ترعاه يمكن أن يؤدي إلى حدوث مشكلات سلوكية تضر به وبالمجتمع،وبالتالي سيتأثر النظام العام من حوله.

4-إن عدم انتساب الطفل إلى والديه و تقبل المجتمع لهذه الظاهرة من شأنها أن تشجع الكثير من المفاسد الاجتماعية وعلى رأسها الزنى، وأطفال اللقطة.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بجملة من الأحكام من شأنها ضمان هذا الحق بالنسبة للطفل:ومنها:

وجوب العدة بالنسبة للمرأة المطلقة أو التي مات عنها زوجها، فجعلها للمطلقة ثلاثة أشهر و للميت عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة.[3]

وهكذا أحاط الإسلام بالنسب بسياج من الحصانة يحميه من الشك، ويدفع عنه الشبهة، فلم يقبل نفي النسب لمجرد اختلاف الشبه، فهذا الأعرابي من "فزارة" الذي شك في"الطفل" الذي ولدته زوجته، ويقول لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**إن إمرأتي ولدت غلاما أسودا فرفض رسول الله -صلى الله**

---

[1] كمال صالح البنا، (مرافعات الأحوال الشخصية للولاية على النفس في ضوء الفقد وأحكام النقض)، عالم الكتب، القاهرة، 1987م، ص67_ 168 نقلا عن كتاب المؤتمر الدولي في الإسلام من 09 إلى 12 أكتوبر، 1990، القاهرة، وانظر ياسين محمد يحي، المجتمع الإسلامي في ضوء فقه الكتاب والسنة، توزيع منشأة المعارف،الاسكندرية، د.ت، ص 199.

[2] باسم علي حوامدة ،أحمد رشيد القادر وأخرون، تربية الأطفال في الإسلام، ط 1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1426 هـ/2005م، ص 26-27

[3] باسم علي حوامدة وأخرون، تربية الأطفال في الإسلام، المرجع لسابق، ص27

عليه وسلم- ما يرمي إليه الأعرابي في محاولة نفي النسب والطعن فيه، وقال له -صلى الله عليه وسلم-:"هل لك من إبل؟"، قال: نعم، قال -صلى الله عليه وسلم-"ما ألوانها؟ ،قال: حمر، قال _صلى الله عليه وسلم_" فهل فيها من أورق؟" قال: نعم، قال -صلى الله عليه وسلم- "فأنى أتاها ذلك؟"، قال الرجل :عسى أن يكون نزعه عرق، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"وهذا عسى أن يكون نزعه عرق"[1]

وقد جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الطعن في النسب كالكفر، لأن الكفر يؤدي إلى الحرمان الأخروي، والطعن في النسب يؤدي إلى الحرمان الدنيوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**اثنان في الناس هما بهم كفر:الطعن في النسب، والنياحة على الميت**" [2]

وقد شدد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في التثبت والتأكد من النسب، وتوعد الذين يكتمون الحقيقة في الأنساب بالكفر وعدم دخول الجنة، وهذا التشديد يتماشى مع عناية الإسلام بصيانة الأسرة من كل شبهة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **لا ترغبوا عن أبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر**"[3] وعن سعد وأبي بكر -رضي الله عنهما- كلاهما يقول: "**سمعته أذناي ووعاه قلبي محمدا -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**"[4]

وصونا للإسلام من الضياع، وحفظا للحقوق الأسرية المرتبطة بالقرابة، فقد حرم الإسلام التبني، وهو: "أن ينسب الشخص إلى شخصه طفلا يعرف أنه ولد غيره وليس ولدا له، وكان العرب في الجاهلية يفعلون ذلك واستمر فترة في صدر الاسلام حتى نزل قول الله تعالى:﴿**وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل(٤) ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا أباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم**﴾[5] ومن هنا حرّم الإسلام التبني وأبطل العمل به، ونفى أن يكون طريقا لإثبات البنوة،كما لم تغفل الشريعة الإسلامية أولئك

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المحاربين من أهل الكفر و الردة، (باب ما جاء في التعريض)، رقم (6455)، جـ6، المصدر السابق، ص 2511-2512.

[2] البخاري، الأدب المفرد،(باب الطعن في النسب)، رقم (395)، خرّج أحاديثه محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1410هـ/1990م، ص124، أخرجه أحمد في مسنده، جـ2، المصدر السابق، ص431، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان،(باب إطلاق إسم الكفر على الطعن في النسب و النياحة)، رقم(67)، جـ1، المصدر السابق، ص82، ورواه الترمذي، كتاب الجنائز، (باب ماجاء في كراهية النوح)، رقم (1001)، جـ3، المصدر السابق، ص316.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، (باب من ادعى إلى غير أبيه)،رقم (6386)، جـ6، المصدر السابق، ص2485.

[4] المصدر نفسه، رقم (6385)، ص2485.

[5] سورة الأحزاب جزء من الآيتين 04 - 05 .

الأطفال الذين لا يعرف نسبهم وحرموا من الانتساب إلى أب يرعاهم –اللقطاء– وعالجت أمورهم علاجا واقعيا، فطالبت المجتمع برعايتهم على أساس الأمر الواقع، وقياما بواجب الأخوة الإنسانية، و في ذلك يقول الله تعالى:﴿**فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم**﴾[1]

وقرر الإسلام أن الملتقط أحق به، وعليه تربيته وتعليمه، فقد روى سعيد بن منصور ،رضي الله عنه في سننه، أن سنين بن جميلة قال: وجدت ملقوطا فأتيت به عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، فقال عريفي: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، فقال عمر: أكذلك؟ قال:" **اذهب به وهو حر ولك ولاؤه وعلينا نفقته**"[2]

وقد يرى البعض أن رفض الإسلام للتبني مناف لرعايته للطفولة، وحقيقة الأمر أن الإسلام اعترف بالبنوة الشرعية، أما ادّعاء أولاد إلى غير أبيهم، فهذا لا يعترف به الإسلام لما في ذلك من اختلاط الأنساب، وضياع الحقوق وارتكاب المأتم.

ولكن هذا لا يعني أن الإسلام يمنع من رعاية طفل مجهول أو معروف النسب، بالتربية والتعليم والإنفاق عليه، والوصية له، والهبة إليه، دون تغيير لنسبه إن كان معلوما، أو استلاحقه بنسب الغير إن كان مجهولا، فالتبني لا يمكن أن يولد ويوجد المودة والرحمة والشفقة التي توجدها الأبوة الحقيقية، وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾[3]

وإذا كانت الأسرة الحقيقية تحقق للطفل التفاعل الاجتماعي، الذي يحقق له الارتباط الاجتماعي والبيولوجي، فالطفل المتبنى رغم سعادته الاجتماعية في وسط الأسرة التي تبنته إلا أنه يظل يبحث عن عائلته البيولوجية، ويسأل عنها حتى يتعرف عليها.[4]

وبهذا يمكننا استخلاص سلبيات التبني من خلال النقاط التالية :

1–أن التبني يؤدي إلى اختلاط الأنساب، الذي عمدت الشريعة الإسلامية إلى وضع الأحكام والتشريعات لضمان عدم حصوله.

2–أن التبني يخالف الفطرة السليمة، المتمثلة برغبة الفرد في الانتماء إلى والديه الحقيقين.

3–أن التبني يؤدي إلى كثير من المفاسد الاجتماعية والعادات السيئة التي تخالف إنسانية الإنسان، وتهدد كرامته، وتعرّضه للامتهان والذّل، ومن الأمثلة على ذلك:

– أن التبني يفسح المجال لبيع البشر وشرائهم من قبل الأشخاص الذين يمتلكون المال، وهذا فيه امتهان لكرامة الإنسان، حيث يصبح كالسلع يباع ويشترى.

---

[1] سورة الأحزاب ،جزء من الآية 05.

[2] سيد سابق، فقه السنة، المجلد2، ج3، ط7، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م، ص 255–256 .

[3] سورة الأحزاب، جزء من الآية 4 .

[4] محمد لبيب النجيحي، في الفكر التربوي، ج3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1981م، ص122

- أثبتت بعض الأبحاث الاجتماعية أن التبني يستخدم لاستغلال الأطفال للتسول والاتجار بالمخدرات، وبالتالي يكون وسيلة إلى غاية فاسدة.[1]

3) حق الطفل في التسمية :

من الحقوق لتي جعلها الله للولد وأوكلها للوالدين، حقه بأن يخرج إلى نور هذه لدنيا مزودا باسم حسن جميل، يتميز به عن غيره، به ينادي، ويدعي به طيلة حياته وبعد مماته.

لقد أوجب الإسلام على الأبوين أن يحسنوا تسمية أبنائهم، ذكورا أم إناثا، لما للأسماء من أثار تنعكس على شخصية الطفل، فالأسماء القبيحة التي تمجها الأذواق، وتشمئز من وقعها النفوس، تجرح إحساس صاحب الاسم، فقد تكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية عليه، فينزوي عن المجتمع، أو يحاول أن يرد اعتباره بأساليب إجرامية.[2]

وقد ثبت أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد غير أسماء بعض من آمن به، فغير اسم العاصي بعبد الله، وبره بزينب[3]، وقد أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– أمته بتحسين أسمائهم، وأخبر أنهم يدعون يوم القيامة بأسمائهم، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: " **إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسمائكم**"[4]

وكان –صلى الله عليه وسلم– يستحب الاسم الحسن، ويروي أنه –صلى الله عليه وسلم– ندب جماعة إلى حبل شاة، فقام رجل لحلبها فقال له –صلى الله عليه وسلم–: "**ما اسمك؟، قال: مرة، فقال: "اجلس"، فقام آخر، فقال –صلى الله عليه وسلم–:"ما اسمك؟"، قال: حرب، فقال له: "اجلس"، فقام آخر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما اسمك؟"، قال:"يعيش"، فقال له رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:"احلب**"[5]

---

(1) باسم علي حوامدة وأخرون، المرجع السابق، ص 29.

(2) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،جـ2، المصدر السابق، ص 747 .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (باب تحويل الاسم إلى إسم أحسن منه)، رقم (5839)، جـ5، المصدر السابق، ص2289، و مسلم في صحيحه، مجلد7، جـ14، ص117.

(4) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان، جـ13، تحقيق شعيب الأرنؤوط، كتاب الحظر والإباحة، (باب الأسماء والكنى)، رقم(5818)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص135، ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، المصدر السابق، ص89.

(5)مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ برواية يحي الليثي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، جـ2 ، كتاب الاستئذان، (باب مايكره من الاسماء)، رقم(1752)، دار احياء الثراث العربي، مصر، دت، ص973، محمد متولي الشعراوي، منهج التربية في الإسلام، دار العودة، بيروت، د.ط، 1982م، ص15-16. وانظر سعود بن عبد الله الحزيمي، الأولاد وحقوقهم، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ،د.ت، ص231

وهكذا قدم الرسول –صلى الله عليه وسلم– بهذا السلوك أروع الأمثلة العملية على وجوب أن يراعي الآباء والأمهات ضرورة التسمية الحسنة لأبنائهم، حتى لا يكون هذا الاسم سببا لمضايقتهم مستقبلا.

هذا وقد تبين من خلال الدراسات النفسية، أن الاسم يترك آثارا نفسية عند الشخص المسمى، حيث يولد إما الثقة والاطمئنان إليه، أو النفور منه، لذلك فإننا نجد أن الشريعة الإسلامية بحثّها على حسن تسمية المولود ذكرا كان أم أنثى، قد لمست أحد الجوانب النفسية المهمة عند الإنسان.

4) حق الطفل في السرور والفرح بولادته:

ومن تمام إعطاء "الإسلام" للأطفال حقوقهم بعد ولادتهم، أن جعل من حقّ الأولاد أن يفرح الآباء بقدومهم، وأن يُعبّروا عن فرحهم هذا[1]، حيث تتجلّى مظاهر هذه الفرحة بما يلي:

أ– **عقيقة المولود:** لقد شرع "الإسلام" العقيقة عند قدوم المولود، وهي شعيرة من شعائر "الإسلام" يتميّز بها المسلومون في عاداتهم عن غيرهم، وهذه الشّعيرة تشتمل على إظهار الفرح بنعمة الله بالولد الذي أنعم له على الوالدين، والشّكر له تعالى بالتّصدّق بلحم العقيقة.

ومما يدلّ على أنّ الشّعيرة المُظهرة للفرح والسّرور حقّ المولود، قوله –صلى الله عليه وسلم–: "**العَقِيقَةُ حَقٌّ عَنِ الغُلاَمِ شاتَانِ وَعَنِ الجَارِيَةِ شَاة**"[2].

وهكذا تُعتبر العقيقة سنّة متّبعة، وهي ذبح شاة عن المولود يوم السّابع من ولادته، والحكمة هي إظهار البشرى، والسّرور بالنّعمة، ونشر النّسب للمولود، ويُعتبر هذا من بين حقوق "الطفل" التي كفلها "الإسلام"، وعن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**الغُلاَمُ يُعَقُّ عَنْهُ يَوْمَ السَّابعِ وُيسَمَّى بالإسْمِ الحَسَنِ وَيُمَاطُ عَنْهُ الأَذَى**". وقال –صلى الله عليه وسلم–: "**مع الغلام عقيقة، فأهرقوا هنه دما، وأميطوا عنه الأذى**"[3]

---

[1] عادل محمّد صالح أبو العلا، حقوق الطّفل من وجهة نظر الإسلام، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، ص48.

[2] رواه الترمذي سننه،كتاب الأضاحي،(باب ما جاء في العقيقة)،رقم1599،جـ1، المصدر السابق، ص411، سنن النسائي، جـ13، ص128،و مسند أحمد، جـ13،ص464،و السنن الكبرى للبيهقي،جـ9،ص300، شعب الإيمان للبيهقي، جـ185،ص142، المعجم الكبير للطبراني،جـ18،ص340، و المعجم الأوسط للطبراني،جـ4،ص346

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم (5154)، جـ5، ص2082، شرح الحديث: (مع الغلام عقيقة) يذبح عن المولود ذبيحة بعد ولادته.(فهريقوا) أسيلوا، و معناه إذبحوا. (أميطوا) ازيلوا. (الاذى) قيل: هو الشعر الذي يكون على رأسه عند الولادة. وقيل: قلفة الذكر التي تقطع عند الختان. أنظر هامش، ص2083 من صحيح البخاري، جـ5.

ومن الأحكام التي شرعها "الإسلام" للمولود لحظة ولادته، أن يُؤذن في أُذنه اليمنى، ويُقام في أذنه اليُسرى، ليكون أوّل ما يتلقّاه سمعه في الدّنيا هو ذكر الله تعالى، ويقول الرّسول –صلى الله عليه وسلم–: "**مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذّنَ فِي أُذُنِهِ الْيمْنَى وَأَقَام في اليُسرى لَم تَضُرُّهُ أُمُّ الصَّبِيأَتِ**"[1].

"ولعلّ الفائدة من العقيقة أنّها قُربان يتقرّب به عن المولود في أوّل أوقات خروجه إلى الدّنيا، فالمولود ينتفع بذلك غاية الإنتفاع، كما ينتفع بالدّعاء له، والإحرام عنه في الحجّ"[2].

"وفي "**العقيقة**" سرّ بديع موروث عن نداء إسماعيل –عليه السّلام– بالكبش الذي ذُبح عنه، وفداه الله به، فصار سنّة في أولاده أن يُفدى أحدهم عند ولادته بذبيحة تُذبح عنه، وقد يكون هذا الرجل حرزاً من ضرر الشيطان، كما يقول صاحب تحفة المودود في أحكام المولود"[3].

ولماّ كانت "العقيقة" بهذه الأهمية بالنسبة للمولود، نجد بأنّ النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– لم يكتف بالحثّ عليها، بل جسّد ذلك بنفسه في إبنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما، قالت عائشة رضي الله عنها: "عقّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الحسن والحسين –رضي الله عنهما– يوم السّابع، وسمّاهما، وأمر أن يُماط عن رؤوسهما الأذى"[4] – أي يُحلق الشّعر الذي ولدا به.

وهذا ولقد استخلص المؤلّف "عبد الله ناصح علوان"، صاحب كتاب "تربية الأولاد في الإسلام" الحكمة التّشريعية من "العقيقة وفوائدها الآتية:

- قُربان يتقرّب منها المولود إلى الله في أوّل لحظة يستنشق فيها نسائم الحياة.
- فدية يُفدى بها المولود من المصائب والآفات، كما فدى الله تعالى إسماعيل عليه السّلام بالذّبح العظيم.
- فِكاكٌ لرهان المولود في الشّفاعة لوالديه.
- إظهارٌ للفرح والسّرور بإقامة شرائع "الإسلام"، وبخروج نسمة مؤمنة يكاثر بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الأمم يوم القيامة.
- تمتين لروابط الألفة والمحبّة بين أبناء المجتمع، لاجتماعهم على موائد الطّعام، ابتهاجاً بقدوم المولود الجديد[5].

---

[1] أنظر ابن السني، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، (باب فضل الذكر في أذن المولود)، تحقيق وتصحيح محمد خليل هراس، جـ1، دار الفكر، ص303.

[2] محمد بن أحمد الصّالح، الطّفل في الشريعة الإسلامية: نشأته–حياته–حقوقه التي كفلها له الإسلام، عدد2، مجلة دورية تصدرها كلية الشريعة بالرياض، جامعة بن محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ/1983م، ص97.

[3] ابن القيم الجوزية، تحفة المودود في أحكام المولود، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط1، مكتبة دار البيان، دمشق، 1391هـ/1971م، ص58.

[4] رواه الترمذي في سننه، كتاب الأضاحي، (باب العقيقة)، رقم(1650)، جـ1، جمعية المكنز الإسلامي، 1421هـ/2001م القاهرة، مصر، د.ت، ص412.

[5] محمد بن أحمد الصّالح، الطّفل في الشّريعة الإسلاميّة...، المرجع السّابق، ص97.

ب- حلق رأس المولود: من السّنة حلق شعر رأس المولود في اليوم السّابع عند ذبح "العقيقة"، والتّصدّق بوزنه فضّة، لحديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم- أمر بحلق رأس الحسن والحسين يوم سابعهما، فحلقان وتصدّق فضّة[1].

وقد نلتمس الحكمة من حلق شعر المولود بأنّها لتنظيف رأسه، وإماطة الأذى عنه، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: "أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر أن يُماط عن رأسي الحسن والحسين الأذى"، ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة الصّحيّة للولد، وأمّا التّصدق بوزن شعره فضّة، ففي ذلك إشعار بشكر الله على ما وهب، والتّعبير عن ذلك بتلك الصّدقة، والله أعلم.

وفي الأخير نستخلص بأنّ كلّ هذه الشّعائر، ما هي إلاّ مظاهر للفرح والسّرور بقدوم الولود السّعيد، وهذا ما يبيّن ويؤكّد لنا مدى إهتمام "الإسلام" بالطّفولة، التي تبدأ برعاية "الطّفل" منذ حمل الأمّ به، وتزداد هذه العناية بوضوح مع نموّه، ولذا شرع "الإسلام" الفرح والسّرور بالطّفل المولود، كمظهر من مظاهرر إعطاءه حقوقه النّفسية.

جـ- الختان:

"الختان": هو قطع وإزالة الجلدة التي تُغطي حشفة الذّكر بالنّسبة للذّكر، وأمّا بالنّسبة للأنثى، فهو قطع جلدة في أعلى الفرج بين الشّفرتين، فوق مدخل المهبل ومخرج البول، مثل عرف الديك، ويُسنّ في ختان الذّكر استئصال القلفة التي تُغطي الحشفة بالقطع من أصلها، حتّى تبرز الحشفة من جلدها[2].

إذاً "الختان" هو موضع القطع من الذّكر والأنثى، وختن الصّبيّ ختناً وختاناً، أي قطع قلفته، ويقال: ختنتُ الصّبيّ، فهو مختون، وهي ختين[3]

و"الختان" من محاسن الشّرائع التي شرعها الله سبحانه لعباده، وكمّل بها محاسنهم الظّاهرة والباطنة، فهو مكمّل الفطرة التي فطرهم عليها، وقد ورد الكثير من النّصوص التي تحثّ عليه، وتبيّن أهمّيته، فثبت عن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- أنّه قال: "**الفِطْرَةُ خَمْسُ 1- الخِتَانُ، 2- الإسْتِحْدَادُ، 3-قَصُّ الشَّارِب، 4- تَقْلِيمُ الأَظَافِر، 5-نَتْفُ الإِبِط**"[4].

فجعل "الختان" رأس خصال الفطرة التي فطر الله النّاس عليها، وهذا يتّفق مع تأويل من تأوّل قوله تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)**﴾[5].

---

[1] **ابن قيّم الجوزية، تحفة المودود...، المصدر السابق، ص58.**

[2] **سليمان بن قاسم الفيفي، (قول الرّشاد في إنجاب وتربية الأولاد، تذكرة، توعية، وأحكام)، دار الثّقافة والنّشر، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السّعودية، 1412هـ/1992م، ص 158.**

[3] **مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ2، "مادة ختن"، المرجع السابق، ص 425.**

[4] **رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، (باب:الختان بعد الكبر، و نتف الإبط)، رقم (5939)، جـ5، المصدر السابق، ص 2320**

[5] **سورة البقرة، الآية 138**

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من رواية عمّار بن ياسر، أنّ النّبي –صلى الله عليه وسلم– عدّ "الختان" من بين الأمور التي هي من الفطرة، وقد جاء عن ابن عبّاس –رضي الله عنهما– في تأويل قوله تعالى: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن**﴾[1]، أنّه ابتلاه بالطّهارة، وهي خمس في الرّأس وخمس في الجسد.

في الرّأس:1–قصّ الشّارب، 2–المضمضة، 3–الإستنشاق، 4–السّواك، 5–فرق الرّأس.

وفي الجسد: 1– تقليم الأظافر، 2–حلق العانة، 3– الختان، 4– نتف الإبط، 5– غسل أثر الغائط والبول بالماء[2]. ولهذا ذهب فريق من الفقهاء إلى القول بأنّ "الختان" واجب على كلّ مسلم، وعندهم أنّ من لم يختتن تُردّ شهادته، ولا تُؤكل ذبيحته، ولا يكون للنّاس إماماً[3]، وقد قال الرّسول –صلى الله عليه وسلم–: "**مَنْ أَسْلَمَ فَلْيَخْتَتِنْ وَ إِنْ كاَنَ كَبِيراً**"[4].

وروى "ابن المنذر" من حديث أبي برزة عن النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– في الأقلف[5]: "**لاَ يَحُجّ بَيْت الله حَتّى يَخْتَتِنْ**"، وقال ابن عبّاس –رضي الله عنهما–: "**الأقلف لا تحلّ له صلاة، ولا تُأكل له ذبيحة، ولا تجوز له شهادة**"[6]، وإذا كانت الشريعة الإسلامية أوجبت "الختان" للذّكر، فإنّها قد جعلته مستحبّا للأنثى، وقد ورد بيان كيفيّة ختان الأنثى وجانب من فوائده، في حديث أمّ عطّية قالت: "أمر النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– الخاتنة فقال: "**إذا ختنت فلا تنهكي فإنّ ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل**"[7].

وقد أكّد "الإسلام" على أهمّية "الختان"، لما فيه من الطّهارة، والنّظافة، والتّزيّن، وتحسين الخلقة، وتعديل الشّهوة، التي إذا أفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عُدمت تماماً ألحقته بالجماد، فالختان يُعدّلها.

هذا وقد أثبت الطّبّ الحديث فوائد "الختان" ومنافعه الكبيرة والكثيرة، فقد جاء في كتاب: "review of medical microbiology " وكتاب "Antibiotic Sensitivity testing " أنّ من فوائد "الختان":

1– عدم تراكم المفرزات العرقية والدّهنيّة ما بين الحشفة وجلد القضيب، التي تؤدّي إلى التهابات جلديّة، أو التهابات تحسّسية.

2– عدم تراكم آثار البول، الذي يؤدّي إلى التهاب احمراري جلدي.

---

(1) سورة البقرة، جزء من الآية 124.

(2) تفسير ابن كثير، جـ1، ط2، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ص165.

(3) ابن قيّم الجوزية، تحفة المودود ...، المصدر السّابق، ص95 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ص95.

(5) الأقلف: غير المختون، والقلفاء: الأنثى غير المختونة.

(6) ابن قيّم الجوزية، تحفة المودود ...، المصدر السّابق، ص96.

(7) المصدر نفسه، ص115.

3- عدم تراكم آثار المفرزات المنويّة وعودتها من جديد إلى الإحليل، ممّا يسبّب ا التهابات إحليليّة قد تُسبّب تضييقاً في مجرى البول، أو التهابات تناسلية.

4- يُعرّي الحشفة فيزيد من حساسية القضيب أثناء الجماع.

5- يمنع انتقال بعض الأمراض الجلديّة إلى الأنثى أثناء الجماع[1].

وقد ذكر المزيد من فوائد "الختان" والتّنبيه على مساوئ انعدامه في المراجع الآتية:

1- بحث علم الجراثيم الطّبيّة للمؤلّفين: "إيرنست جاوتيز"، "جوزيف ميلتيك"، "أدوارد ألدبرغ"، في ص247-256 من منشورات بلاك ويلل العلميّة، لوس أنجلس عام 1972م[2].

2- إختبار الحساسيّة لمضادّات الحيوية تجاه الجراثيم المرضيّة، بمنشورات سكاندنيان عام 1971م[3].

أنّ "الختان" Circumcision يجري للذّكور تبعاً لأواصر الشّريعة، وأنّ منافعه الكثيرة ليس فقط للذّكور، ولكن للإناث أيضاً.

أماّ للإناث فهي:

أ- اجتناب خطر الإصابة بسرطان عنق الرّحم (Cancer Cervix):

فقد ثبت أنّ الإصابة بسرطان الرّحم تقلّ بين النساء اللّواتي قد ختنّ أزواجهنّ، وأظهرت دراسات إحصائية فرقا في معدّل الإصابة بسرطان عنق الرّحم بين النّساء وفقًا لديانات أوزاجهنّ، فإنّ ظهوره يندر بين النّساء اللّواتي تمّ ختان أزواجهنّ في الأيّام القليلة الأولى من أعمارهم وفقاً لتعاليم "الإسلام"[4].

ولقد أُجريت دراسات مستفيضة للعثور على تفسير للظّاهرة المشار إليها، منها اختبارات كيميائيّة وحيويّة للمادّة المفرزة (Smiging) التي توجد عادة بين القلفة وحشفة القضيب في الرّجال غير المختونين، واستبان من نتائج تلك الاختبارات أنّ هناك مادّة محدثة للسّرطان ضمن هذه الإفرازات، تهيئ لظهور الإصابات المرتفعة بسرطان عنق الرّحم بين زوجات الأقباط، و يستنبط من ذلك أن ختان الذّكور يمكن أن يخفّف من ظهور الإصابة بسرطان عنق الرّحم[5].

ب-الإصابة بالالتهابات المهبليّة (incidence of cancer cervix)

تُعتبر الثّنايا الجلديّة -القلفة- في القضيب الذي لم يختتن، جيباً حاضناً للجراثيم التي قد تجد طريقها إلى داخل المهبل أثناء الجماع، فتُحدث التهابات خطيرة، لا سيما إن كانت جراثيم مرضيّة (Pathogenic).

---

(1) محمد بن أحمد الصالح، مجلّة أضواء الشّريعة، حقّ الطّفل في النظّافة -أي الختان-، المرجع السّابق، ص48.

(2) المرجع نفسه، ص49.

(3) محمد بن أحمد الصالح، مجلة أضواء الشريعة، حق الطفل في النظافة، المرجع السابق، ص49.

(4) المرجع نفسه، ص49.

(5) المرجع نفسه، ص49.

جـ- ضعف التّحسّس الجنسي (Sexual Sensitivity):

وهناك بعض التّقارير تشير إلى أنّ الحساسيّة الجنسيّة تزداد عند المرأة المتزوّجة برجل مختّن أكثر من المتزوّجة بغيره.

وأمّا للذكور فهي:

أ- أثبتت الدّراسات الحديثة أنّ الثّنايا الجلديّة –القلفة- في القضيب الذي لم يختّن، إنّما يُشكّل جيبا حاضناً لكلّ أنواع الجراثيم.

ومن الضّروري أن نذكر هنا أيضا، أنّ الجراثيم في ذلك العضو إذا ما وُجدت وتكاثرت في الثّنايا الجلديّة، سوف تبعث رائحة كريهة في الأعضاء التّناسلية، وتجعل حدوث الالتهابات في حالة الجرح من جرّاء حادثة، أو جراحة، أمرًا سهلاً، ورغم القيام بالغسل الجيّد من أجل التّنظيف... فإنّ القضاء على هذه الجراثيم بشكل كاف يبدو صعباً.

ومن الحجج التي تقدّم في صالح "الختان" ما يتعلّق بفائدته الصّحيّة، فإنّ القفلة الملتفّة بإحكام حول الحشفة، تستبقي إفرازاتها التي تهيّج الأغشية الحسّاسة المُغطّية للحشفة، بينها وبين القفلة.

أمّا الحجّة الأقوى والأكثر ترديداً في صالح "الختان" فهي فائدته في الوقاية من سرطان القضيب... فإنّ حوالي نصف الإصابات بأورام القضيب الخبيثة مرتبط ظهورها بحالات وجود القفلة... وعلى أيّ حا ل فمن المؤكّد أنّ "الختان" يجب أن يتمّ مُبكّراً لكي يكون ذا أثر فعّال في الوقاية من سرطان القضيب[1].

ب- الأمراض المعدية (Transmtting Diseades):

ومن الحجج أيضًا ظهور نسبة عالية من مضاعفات الأمراض الجنسيّة بين الرّجال الذين لم يُختتنوا.. فقد ذكر كلّ من ميللر " Miller "، وستاندر(Stander) أنّ 75% من تقرّحات القضيب جميعها تظهر على القلفة.. إنّ الإصابة بقرحة القضيب، وبالسّيلان، بين غير المختونين تظهر أربعة أضعاف الإصابة عند غيرهم.

جـ- إلتهابات المسالك البوليّة (Urinary Tract Intera ctiou):

تذكر بعض التّقارير أنّ الجراثيم التي توجد على الجلد في الأعضاء التّناسلية يُمكنها أن تُحدث التهاباً للمسالك البوليّة من خارجها (Exagenous Urinary).

إذاً فمن هنا نستنتج بأنّ الجراثيم المجتمعة بين الثّنايا الجلديّة في الشّخص غير المختون، هي التي تزيد في سهولة الإصابة بهذه الإلتهابات[2].

ومن خلال ما ذكر من فوائد "الختان" التي قدّرها الأطبّاء المُختصين، والأضرار النّاشئة عن إهماله وعدم القيام به، يتبيّن لنا سموّ تعاليم "الإسلام" إزاء عمليّة "الختان"، وأنّها جاءت بهذه السنّة قبل أن

---

(1) محمد بن أحمد الصالح، مجلّة أضواء الشّريعة، حق الطفل في النظافة، المرجع السّابق، ص51.

(2) المرجع نفسه، ص51-52.

يكون هناك طبّ أو أطبّاء، وأنّ الطّب لا يزال يكتشف المزيد من الفوائد التي جاءت بها تعاليم "الإسلام"، وحسبك أنّها تعاليم الحكيم، الخبير.

5) حق الطفل في الرضاعة الطبيعية من الأمّ.

لقد شملت عناية الخالق المُدبّر، الحكيم، جميع مخلوقاته، حيث جعل اللّبن يدرُّ من ثدي الأمّ بمجرّد وضع حملها، فمنذ اللّحظات الأولى من نزول الولد من رحم الأمّ، يُفرز هرمون "البرولكتين" المسؤول عن إفراز الحليب من الثّدي، فما أن يخرج الجنين الذي تعوّد في رحم الأمّ على تلقّي الغذاء الجاهز المهضوم، والذي لايستطيع بمعدّته الضّعيفة أن يقوم بعمليّات الهضم المُعقّدة، حتى يجد هذا الغذاء الإلهي الجاهز، والغنيّ بالمواد العذائية اللاّزمة له، فتبارك الله أحسن الخالقين[1].

ولقد أمر "الإسلام" الأمّهات بالرّضاعة الطّبيعية لأولادهنّ، فقال تعالى:﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ [2].

و"الرّضاع" هو: مصّ "الطفل" اللّبن من ثدي أمّه في العامين الأولين بعد الولادة، فالطّفل في بداية حياته بعد ولادته لا يمكنه أن يتغذّى الغذاء الذي يحفظ عليه حياته يجعله ينمو إلاّ عن طريق رضاع لبن الأمّ.

والله تعالى يمدّ المرأة إذا وَلدت باللّبن الكافي لتغذية المولود، وأودع في قلبها من الشّفقة والحنان ما يحملها على المواظبة على إرضاعه وعدم التّضرّر منه، ومع هذا فقد أوجب الله تعالى على المرأة إرضاع "الطّفل"، ولم يتركها فيه لفطرتها وعاطفتها التي قد تُفسدها الخلافات الزّوجية، فيقع الضّرر على هذا الصّغير[3].

ويفرض الله تعالى للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين، لأنّه سبحانه وتعالى يعلم أنّ هذه المدّة هي المُثلى من جميع الوجوه الصّحيّة والنّفسية للطفل ﴿**لمن أراد أن يتم الرّضاعة**﴾.

وتُثبت البحوث الطبية اليوم:أن مدة عامين ضرورية لنمو "الطفل" نموّا سليما، من النّاحيتين البدنيّة والنفسيّة.. ولكن نعمة الله على المسلمين، وعنايته تعالى الفائقة بهم، ورأفته بهؤلاء الأطفال الصّغار الضّعفاء، المحتاجين للعطف والرّعاية، جعلته يُقر بحق "الطفل" في هذا الغذاء الطبيعي "الرّضاع"[4].

---

[1] عادل محمّد صالح أبو العلا، المرجع السّابق، ص49.

[2] سورة البقرة، جزء من الآية 233 .

[3] محمد بن أحمد الصالح، الطفل في نظر الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص39.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ1، طبعة دار الشّرق، ص253.

ومما يدل على عناية الشريعة الإسلامية برضاعة "الطفل"، أن منحت المرضعة الحقّ في الفطر في رمضان، كما أوجبت عليها تناول الغذاء الذي يؤدي إلى إدرار اللّبن الذي يحفظ حياة "الطفل" ويحصل به نموّه[1].

وعلى هذا الأساس فقد ذهب فريق من الفقهاء إلى أنّ "الرضاع" واجب على الأمّ ديانة وقضاء، ولهذا فهي تُجبر على إرضاعه إذا امتنعت عنه، لقوله تعالى: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾[2]، فالآية –عند هذا الفريق– مقصود بها "الأمر"، وإن جاءت بصيغة الخبر.

وإذا كان الله تعالى قد أوجب على الأمّ إرضاع "الطّفل".. فإنّه قد جعل لها في مقابل ذلك حقّاً على والده، وهو أن يرزقها ويكسوها بالمعروف والمحاسنة، فكلاهما شريك في الأعباء، وكلاهما مسؤول تجاه هذا الصّغير الرّضيع، وكلاهما عليه واجب عظيم تجاه صغيرهما.

فمسؤولية الأم: القيام بحضانته، وإمداده باللّبن.

ومسؤولية الأب: إمدادها بالغذاء والكساء، لتتمكّن من رعايته.

وكلّ منهما يؤدّي واجبه في حدود طاقته محافظة على مصلحة الرّضيع الموكول إليهما رعايته، والمفروض عليهما حمايته، بحيث كما قال تعالى: ﴿**لا تكلف نفس إلا وسعها**﴾[3]، ولا يجوز لأحد الوالدين أن يتّخذ الولد ال الرّضيع سبباً لمضارّة الطرف الآخر، قال تعالى: ﴿**لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده**﴾[4].

وانطلاقا من هذه الآية، فإنّه لا يجوز للوالدة أن تستغلّ عطف الأب على إبنه، وحبّه له، لتثقل كاهله بمطالبها، وفي نفس الوقت لا يجوز للأب أن يستغلّ حنان الأمّ، وعواطفها، ولهفتها على طفلها، ليهدّدها بأخذه، لتقبل إرضاعه بلا مقابل.

وكذلك إذا رَغب الوالد في أن يُحضر لطفله مُرضعا حين تتحقّق مصلحة "الطّفل" في هذه الرّضاعة، فله ذلك على شرط أن يُوفي المرضع أجرها، وأن يُحسن معاملتها، قال تعالى: ﴿**وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلّمتم ما ءاتيتم بالمعروف واتقوا الله و اعلموا أنّ الله بما تعملون بصير**﴾[5]، فذلك ضمان لأن تكون للطّفل ناصحة، وله راعية.

---

[1] النووي، المجموع شرح المهذّب، جـ6، المصدر السابق، ص293 وما بعدها. وابن قدامة المقدسي، (المغني)، جـ5، المصدر السابق، ص369.

[2] سورة البقرة، جزء من الآية 233 .

[3] سورة البقرة، جزء من الآية 233.

[4] سورة البقرة، جزء من الآية 233.

[5] سورة البقرة، جزء من الآية 233.

وإذا توفيّ الأب، فإنّ المسؤولية تنتقل إلى وارثه، قال تعالى: ﴿**وعلى الوارث مثل ذلك**﴾[1]، فهو المكلّف أن يرزق من تقوم بإرضاع "الطّفل"، ويكسوها بالمعروف والحسنى..تحقيقًا للتكافل العائليّ الذي يتحقّق طرفه بالإرث، ويتحقّق طرفه الآخر بتحمل تبعات الموروث.

وهكذا تولّي الشّريعة الإسلاميّة عنايتها واهتمامها بالطّفل، وتعمل على حفظه، فلا يتعرّض للضّياع إن مات والده، فحقّه وحقّ من تقوم بإرضاعه مكفوف في جميع الحالات[2].

ومن الأهمية بمكان تحديد الفترة التي ينبغي للأمّ أن تُرضع خلالها طفلها، ومعنى ذلك أنّ الفطام يُمكن أن يحدث قبل انتهاء العام الثاني، ومع ذلك تظلّ فترة "الحولين الكاملين" هي مرحلة رضاعة بالنّسبة للطفل، حتى لا يقتصر المعنى على مجرّد الإطعام والتّغذية بالأسلوب المعروف بالرّضاعة فحسب، وإنّما يمتدّ ليشمل "الطّفل" وتنشئته في أحضان أمّه، وفي كنف رعايتها، وعدم اللّجوء إلى طرق التّربية غير الطّبيعية، التي تُبعد "الطفل" عن "الأمّ" وتفصله عنها، فهذه المرحلة تُعدّ مرحلة التّنشئة في حجر الأمّ[3].

ومن رحمة الله تعالى بهذا الصّغير، أنّه شرط في جواز فطامه من الشّروط ما يدفع الضّرر عنه من أحد الأبوين، يقول الله تعالى: ﴿**فإن أراد فصالاً عن تراض منهما وتشاورمر فلا جناح عليهما**﴾[4]، فقد دلّت الآية على أنّ الفطام في أقلّ من حولين لا يجوز، إلاّ عند رضا الوالدين، وعند المشاورة، وذلك لأنّ الأمّ قد تملّ من الرّضاعة فتحاول الفطام، والأب أيضاً قد يملّ من إعطاء الأجرة على الإ رضاع ويُحاول الفطام، ولكنّها قلّما يتوافقان على الإضرار به، وهذا يوضّح ويُبيّن لنا مدى إحسان الله تعالى بهذا الصّغير[5].

ويستنبط الإمام "ابن كثير" من هذه الآية حكماً شرعياً، وهو أنّ إنفراد أحدهما بالفطام دون مشاورة الآخر، لا يكفي ولا يجوز، وهذا فيه احتياط للطّفل، وإلزام للنّظر في أمره[6].

ويرى أنّ الله تعالى اعتبر رضا المرأة شرطاً في فطام "الطّفل" قبل الحولين، مع أنّ والد "الطّفل" هو الأب، وصلاحه منوط بنظره، وذلك مراعاة لصلاح "الطّفل"، لأنّ الوالدة لكمال شفقتها على الصّبيّ ربّما لا ترى ما فيه المصلحة[7].

---

(1) سورة البقرة، جزء من الآية 233.

(2) سيّد قطب، جـ1، المرجع السّابق، ص 254.

(3) آمال صادق، فؤاد أبو الحطب، نموّ الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنّين، مركز التّنمية البشريّة والمعلومات، القاهرة، 1988م، ص 179- 180.

(4) سورة البقرة، جزء من الآية 233.

(5) فخر الدّين محمد بن عمر الرّازي، التفسير الكبير، جـ6، ط6، دار الكتب العلميّة، طهران، د.ت، ص 123.

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ1، المصدر السابق، ص 284.

(7) أبو الفضل محمود الألوسي، روح المعاني، جـ1، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، د.ت، ص 146.

وعن أهميّة لبن الأمّ بالنّسبة للطّفل، فقد أصبح من الحقائق العلميّة أنّه لا بديل للطّفل من اللّبن الذي خلقه الله تعالى، لما يتضمّنه من مكوّنات تختصّ بنموّ المّخ والأعصاب، والقدرات الذّهنيّة بالدّرجة الأولى، فضلاً على أنّه يتناسب مع جنس المولود، علاوة على درجة الحرارة المناسبة[1].

وقد أثبتت الدّراسات الحديثة، أنّ أهميّة عمليّة الرّضاعة لا تقتصر على مجرّد إطعام "الطفل" وتغذيته، إذ أنّ الاتّصال البدني بين الأمّ وطفلها أثناء الرّضاعة له آثاره الإيجابيّة عليه من النّاحية النّفسيّة، لذا ينصح علماء النّفس الأمّهات اللاّتي يُرضعن أطفالهنّ بالزّجاجة أن تحمل طفلها وتضمّه إلى صدرها، كما هو الحال في الرّضاعة الطّبيعية حتىّ يشعر "الطفل" بحنانها وحرارتها، ممّا يُقلّل من حالات القلق والتّوتّر لديه[2].

ولعلّ هذه النتائج تسدّ الطّريق على من يُنادون بإنشاء بنوك للبن الأمّهات، تقوم بشراء لبن الأمّهات ثمّ تخلطه، وتبيعه كي يتغذّى به الأطفال بدلاً من الرّضاعة من ثدي الأمّ، أو المُرضعات المأجورات[3].

فبالإضافة إلى أنّ العلماء قد حرّموا هذا الأمر –حيث أنّه يؤدّي إلى إختلاط الأنساب، والوقوع في الزّنا، في حالة ما إذا تزوّد من شرب اللّبن بصاحبة اللّبن، أو بأصولها أو بفروعها– فإن لهذا اللّبن تأثيراً في أخلاق "الطفل"[4].

وفي هذا قال عمر بن عبد العزيز: "اللّبن يشتبه، فلا تستق من يهوديّة، ولا نصرانيّة، ولا زانية، ولأنّ لبن الفاجرة ربّما أفضى إلى شبه المرضعة في الفجور، ويجعلها أمّاً لولده فتعيّر بها..كما يُكره الإرتضاع بلبن الحمقاء كي لا يُشبهها الولد في الحمق، فإنّ الرّضاع يُغيّر الطّباع[5].

وفي هذا الشأن حذّر المؤتمر العلمي الأوّل لجمعيّة أصدقاء لبن الأمّ المصريّة– الّذي انعقد يومي 28–29 مارس سنة1985م– من الرّضاعة الصّناعية، وأعلن أنّها إن لم تفتكّ بالطّفل وتودي بحياته، فإنّها سوف تقضي بإنتاج أطفال دون المستوى الصّحي الطّبيعي، الذي سوف يمتدّ حتماً إلى شبابهم وسنوات إنتاجهم[6].

---

(1) السيد عبد الحكيم السيد عبد الله، أهمية الرضاعة الطبيعية دينيا وصحيا، هديّة مجلّة الأزهر، ذو القعدة 1406هـ/1985م، ص 34.

(2) سعد جلال، الطفولة والمراهقة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص126، وأنظر أيضا، محمد كمال عبد العزيز، الرضاعة والفطام في الطب والقرآن، ط1، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر، القاهرة، 1998م، ص 36–37.

(3) رمضان حافظ السّيوطي، موقف الشّريعة الإسلاميّة من بنوك بيع لبن الأمّهات، هديّة مجلّة الأزهر، ذو الحجّة 1407هـ، ص3.

(1) عبد الله مبروك النّجار، موقف الإسلام من بنك لبن الأمّهات، مجلّة الأزهر، ربيع الآخر، 1407هـ، ص447، ص455.

(5) رمضان حافظ الأسيوطي، المرجع السّابق، ص49.

(6)السيّد عبد الحكيم السيّد عبد الله، المرجع السّابق، ص91–92.

وخلاصة الأمر:

أنّه لمّا كانت الرّضاعة الطّبيعية حقًّا من حقوق "الطفل"، فمن الظّلم تقديم بدائل أخرى لهذا الوليد العاجز عن التّعبير عن رغباته وحقوقه.

6) حق الطفل في الحضانة:

الحضانة في اللغة: جاء في المعجم الوسيط: حضانة: جعله في حضنه.

يقال: حضن الطائر البيض رقد عليه للتفريخ، وحضن الرجل الصبي: رعاه وربّاه، فهوحاضن. جمعه حضنة، وحضان وهي حاضنة جمعها حواضن.

احتضن الشيء: حضنه ويقال: احتضن هذا الأمر: تولى رعايته والدفاع عنه.

الحضانة: الولاية على الطفل لتربيته وتدبير شؤونه.

ودور الحضانة: مدارس ينشأ فيها صغار الأطفال.

وحضنت الأم طفلها، ضمته في جنبها أو صدرها ومن معانيها النصرة.. يقال: حضنه واحتصنه أي آواه ونصره[1].

والحضانة حق من حقوق الطفل لاحتياجه إلى من يرعاه ويتولى تربيته، كما أنها حق للحاضن أيا كان أبا أو أمّا، وفوق ذلك كلّه حق لله تعالى، امتثالا للأمر بإلتزام الطفل بالإرضاع كما نصت عليه الآية الكريمة[2]: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾[3].

وقد عرفها الفقهاء: "**بأنها القيام بحفظ الصغير الذي لا يميّز ولا يستقل بأمره وتعهده بما يصلحه، ووقايته ممّا يؤذيه ويضرّه وتربيته جسميا ونفسيا وعقليا كي يقوم على النهوض بتبعات الحياة والإضطلاع بمسؤوليتها**"[4].

والحضانة على الترتيب الذي استقر عليه الفقه الإسلامي تقدم مصلحة الطفل، وتتلائم واحتياجاته الصحية، والنفسية، وهي أن الأم أولى بحضانة الطفل ما لم تتزوج، فقد روى "أبو داود" في سننه من حديث "عمرو بن شعيب" عن أبيه عن جده "عبد الله بن عمرو" أن إمرأة قالت: "**يا رسول الله إنّ ابني**

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ1، "مادة حضن"، المرجع السابق، ص182، الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، جـ1، ط3، "حضن"، دار الفكر، بيروت،1701هـ/1981م، ص662.

[2] سمير محمد محمود عقبي، الحضانة في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، دار المنار، القاهرة، 1986م، ص34.

[3] سورة البقرة، جزء من الآية 233.

[4] السيد سابق، فقه السنة، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص338.

هذا كانت بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له حواء، وأن أباه طلّقني فأراد أن ينزعه مني، فقال لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: أنت أحقّ به ما لم تنكحي"[1].

إذن الحضانة هي رعاية وتربية الطفل والعناية به والقيام بكل ما يصلح أمره ووقايته مما يؤذيه في سن معين ممن له الحق في ذلك. وتربية الطفل في أحضان والديه تهيئ له كل أسباب النمو الصالح جسميا وعقليا، وتعدّه نفسيا لاستقبال الحياة والنجاح فيها "لقد أوضحت العديد من الدراسات في البلدان الصناعية الآثار الإيجابية لدور الحضانة على نمو الطفل وتطوره وتهيئة الفرصة له للتفاعل مع الأتراب. إذ يندر توفر ذلك خارج دور الحضانة.... إن التوازن العقلي للطفل يرتبط بضرورة تمتعه بعلاقة حميمة ومستقرة وثابتة مع أمّه أو مع المرأة التي تحلّ محلها بشكل دائم علاقة تمكّن الطرفين من العيش بسعادة ورضى"[2].

لذا عنيت الشريعة الإسلامية بترابط الأسرة وتماسكها، ورسمت لها الطريق السوي كي يدوم الود والمحبة والصفام.....فيعيش الأولاد في أحضان الوالدين، أوالأبوين عيشة كريمة، فتربية الطفل في أحضان أبويه تهيئ له كل أسباب النمو السويّ الصالح جسميّا وعقليا، وتعدّه نفسيا لاستقبال الحياة، والنجاح فيها.

وقال ابن القيم: "**لما كانت النساء أعرف بالتربية وأقدر عليها وأصبر وأفرغ لها، لذا قدمت الأم في ولاية الحضانة، وذلك من محاسن الشريعة والإحتياط للطفل**"[3].

أمّا عن دور الأب فقد جعل الشارع واجبه إبان مدة الحضانة إلى كونه مكلفا بالإنفاق على الطفل وحاضنته، متابعة حياة ونمو الطفل ومراقبته هو ومن تحضنه في سائر أحواله، حتى يتمكن من تخطي مرحلة الضعف[4].

ولمّا كانت الحضانة حقا للصغير فإن الأم تُجبر عليها إذا تعينت بأن يحتاج الطفل إليها ولم يوجد غيرها، كي لا يضيع حق الطفل إليها ولم يوجد غيرها، كي لا يضيع حق الطفل في التربية والتأديب[5].

---

[1] الشوكاني، نيل الأوطار، جـ6، المصدر السابق، ص388. وانظر سامية دولة، حقوق البنوة على الأمومة، مجلة الأحوال الشخصية أصالة وحداثة، مركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة، وزارة شؤون المرأة والأسرة والطفولة والمسنين، الجمهورية التونسية، الكريديف، تونس، 2006م، ص158.

[2] فايز قنطار، "الأمومة"، نمو العلاقة بين الطفل والأم، مجلة عالم المعرفة، العدد 166، يصدرها المجلس للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ربيع الثاني 1413هـ/أكتوبر 1992م، ص204.

[3] ابن القيم الجوزية، زاد الميعاد من هدي خير العباد، جـ4، المصدر السابق، ص121.

[4] سمير محمد محمود عقبي، المرجع السابق، ص8.

[5] زكريا البري، الأحكام الأساسية للأسرة في الفقه والقانون، ط4، دار الشباب للطباعة، القاهرة، 1984، ص193–194.

ولمّا كان الطفل في فترة الحضانة بحاجة إلى عناية البالغين به بدرجة تفوق في مدّتها وحدّتها طفولة كل الكائنات الحية، على جميع مستوياتها، فإن لهذه الفترة دلالة إجتماعية تربوية إذ أنها هي الأساس الذي يقوم عليه إرتقاء الوليد الإنساني من الناحيتين الإجتماعية والنفسية، وعلى هذا يظل الوليد الإنساني فترة طويلة بحاجة شديدة إلى استمرار عناية البالغين به كشرط لاستمرار بقائه أولا، ثم لبقائه فردا إنسانيا ثانيا وبدون هذه العناية من جانب البالغين ودون استمرارها لا يستطيع الفرد الإنساني أن يتعدى مرحلة الفردية البيولوجية وحدها دون أن يكتسب الصفات الإجتماعية والنفسية التي تجعل منه إنسانا له مقومات وصفات الإنسانية[1].

ولما كانت مرحلة الطفولة المبكرة قوامها العلاقات الشخصية مع عدد محدود من الأفراد خصوصا الوالدين، فإن نفسية الطفل تنطبع بانعكاسات سلوك الوالدين وانفعالاتهما، فالحنان والهدوء والتعاطف لها أثرها النفسي البالغ الأهمية في توافق الطفل البيولوجي وصحته الجسمية. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الحرمان من الأمومة يجعل الطفل بليدا نافرا خمولا، ومهما أُعطي من غذاء ينقُصُ وزنه وتذبل صحته[2].

هذا ولقد أثبتت بعض الدراسات وأكدت أيضا على حقيقتين: أولهما- أن الطفل الذي لا يتربى في أسرة بين أحضان أمّه الطبيعية مهما يكن الغذاء صالحا وكاملا وتحت رعاية طبّية دقيقة، يكون بعد السنة الأولى أقلّ نموا في جسمه ممن يتربى في أحضان أمّه ولو كان دون الأوّل غذاءً ورعاية صحية- وأمّا نمو النطق والإدراك فإن التفاوت يكون كبيرا، إذ أن عطف الأم يدفع الطفل إلى مبادلتها تلك العاطفة، ويحاول محاكاتها فينطق متلعمثماً ثم ينطق سليماً....أما طفل الملجأ، فإنه لا يجد ذلك المعين الخصب من العواطف، فتخبوا نوازعه الإنسانية، ويبطئ نطقه، لأنه لا يجد ذلك المحرّك الحاني إلى النطق والمحاكاة..."[3].

- ومرحلة الحضانة هذه قد حافظ فيها الإسلام على مصلحة الطفل أولا، وعطف فيها على الأم ثانيا، رعاية لحنانها، وتقديرا لمشاعرها وعاطفتها التي تنظر إلى طفلها أنه جزء منها، "فعندما ترضع الأم، تشعره بحرارة جسدها وبحنو لمساتها وبرقّة عباراتها ومناغاتها، ثم قد يتحول ذلك إلى تفاعل معقد، فتبحث الأم لالتقاط بصر الطفل، وتقوم بدغدغته، وبتوجيه إبتسامتها نحوه، ويظهر بدوره علامات الرضى والارتياح لسلوك الأمّ، ممّا يشجعها على الإستمرار في التفاعل معه"[4]، "فجعل للأم لقرابتها الأقرب، حضانة الطفل حتى يبلغ سبع سنين، وبعدها يدخل مرحلة أخرى يصدر فيها حكماً، يجعله لأبيه أو لأمّه أو يخيّر بينهما، وذلك عدل ورحمة ووضع الأمور في مواضيعها"[5].

---

(1) محمد لبيب النجيحي، في الفكر التربوي، جـ2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م، ص108.

(2) كمال دسوقي، علم النفس ودراسة التوافق، ط2، مطبعة جامعة الزقازيق، مصر، 1979م، ص293.

(3) محمد أبي زهرة، "الحضانة"، مجلة العربي، العدد 33، الكويت، صفر 1381هـ/ أغسطس 1961م، ص56.

(4) فايز قنطار، الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم، المرجع السابق، ص41.

(5) محمّد بن أحمد الصالح، نظام الأسرة للشيخ ابن تيمية، لا.ط، 1395هـ/1975م، ص 546.

ولما كانت الحضانة هي تربية ورعاية الطفل، والقيام عليه بتدبير شؤونه، ولما كان الطفل في بدء حياته يحتاج إلى عناية ورعاية وشفقة وحنان وحب الأم أكثر من أبيه وكان هذا متوفرا عادة في النساء أكثر من الرجال، كان الأحق بحضانته في هذه الفترة الأولى من عمره هي الأم ثم أقاربه من النساء ممن تتوفر فيهنّ شروط أهلية الحضانة.

-كما أثبتت الدراسات والبحوث حقيقة أخرى: "أن الطفل الذي يتربى بين أبويه وخصوصا في حُضن أمّه أو من يقوم مقامها من قرابته تتهذّب غرائزه في حجرها، فهي تغذيه أيضا بأجزاء من نفسها بنظراتها وإيثارها، ولذلك كانت هي أحق النّاس بحضانته"[1].

ومن الآثار والأحاديث النبوية التي وردت بشأن النساء وفي مقدمتهن الأم أحق النساء بالحضانة "فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص أن إمرأة جاءت النبي -عليه الصلاة والسلام- تشكو زوجها الذي طلّقها ويريد ضم طفلها إليه فطلبت منه أن يفتيها في ذلك وينصفها فقال: -صلى الله عليه وسلم- "أنت أحق به -أي بحضانته- مالم تنكحي" أي ما لم تتزوجي غيره. كما سبق وأن أشرنا وذكرنا هذا الحديث من قبل.

والدليل الثاني بعد السّنة هو الإجماع فقد قضى أبو بكر-رضي الله عنه- لزوجة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بضمّ ابنها عاصم إليها بعد أن أدّى كل من أبويه حضانته فقال له أبو بكر: "ريحها ومسها خير له من الشهد عندك"، وكان هذا القضاء بحضور الصحابة ولم ينكر أحد منهم ذلك فكان إجماعا"[2].

وهذا وقد أثبتت أيضا دراسات أخرى أن الطفل البعيد عن أسرته في دور الحضانة لا يتمكن من تشرب كل دقائق العلاقات الإجتماعية التي تتم في ظل أسرته وتحت إشراف الأمهات على تربية أطفالهن ولا يعتمدون على المربّيات لأن وجود الأم المستمر يساعد الطفل على تكوين عادات إنفعالية ثابتة وصحيحة[3].

---

[1] محمد أبي زهرة، "الحضانة"، مجلة العربي، العدد، 33، المرجع السابق، ص57.

[2] كان عمر بن الخطاب يسير في المدينة، بقامته المديدة، وجسمه الضخم القوي، فرأى في ناحية من الطريق ابنه الطفل، "عاصما" ذلك الذي أنجبه من إمرأة أنصارية طلّقها، رآه يسير مع جدّته أم أمّه، فانتزعه منها بقوة بدنه وشخصه، ولكن العجوز لم تتركه، بل أخذت بتلابيب الفاروق تُنازعه الأمر وتُخاصمه بين يدي أبي بكر خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فانتزع الصدّيق الطفل من يده بقوة وقال قوله"، أنظر محمد أبي زهرة، الحضانة، مجلة العربي، العدد 33، المرجع السابق، ص56.

[3] رواه الترمذي في سننه، (باب في كراهية التفريق بين السبي)، رقم (1566)، جـ4، المصدر السابق، ص134.

وقد نجد أن بعض الأسر قد تضطرها الظروف إلى إلحاق أبنائها بدور الحضانة، وهنا يقع على هذه الأسر دور كبير في إعداد هؤلاء الأطفال لتجنب بعض الآثار الجسمية والنفسية والإجتماعية التي قد يتعرض لها الطفل في هذه الفترة، ويمكن تحديد هذا الدور في النقاط التالية:[1]

1- إثارة اهتمامات الطفل نحو دار الحضانة وترغيبه فيها وعدم جعلها نوعا من العقوبة إذا ارتكب الطفل خطأً في المنزل، فقد يشعره ذلك بأنها مكان مخيف يفقده الثقة بالنفس أو أنها وسيلة من وسائل العقاب.

2- تدعيم العلاقة بين الأم وبين من تعملن في دار الحضانة من مشرفات مكلفات برعاية الطفل، فإن ذلك يجعل الصغير مطمئناً إلى حدّ ما.

3- تشجيع الطفل على الإشتراك في الأنشطة الإجتماعية التي تقوم بها دار الحضانة لأن ذلك يؤدي إلى إتساع الفهم لديه وتنمية معارفه.

ولمّا كانت الحضانة على هذا القدر الكبير من الأهمية بحيث يعتمد عليها الطفل في مستقبله، ولها شأن في تكوينه وبناء شخصيته، كان لا بد من توفر شروط تؤهل الشخص للحضانة "إنّ الحاضنة يشترط بصلاحيتها للحضانة ثلاثة شروط:

أوّلها: ألا تكون متزوجة من أجنبي عنه، لأن ذلك الأجنبي في الغالب لا ينظر إليه نظرات عاطفة، وكثيرا ما تكون نظراته من شأنها أن تثير فيه عوامل الكره والنفور ممن حوله، فيكون الشذوذ وكراهية المجتمع.

ثانيها: أن تكون قادرة على حمايته والمحافظة عليه، فإذا كانت عاجزة إمّا لشيخوخة فانية، أوة لضعف عقل ظاهر، أو لعدم التفرّغ، والانشغال أكثر الوقت فإنها لا تكون صالحة للحضانة...

ثالثها: أن تكون أمينة على خلقه ودينه، فإذا كان يخشى على دين الطفل من بقائه تحت رعايتها أو على خُلُقه منها، فإنه يُنزع من يدها، وينتقل إلى من يليها في حق الحضانة[2] .

وهكذا لمّا كان القصد بحضانة الصغير تربيته ورعايته، والقيام بأمر طعامه ولباسه ونظافته في المرحلة الأولى من عمره، حيث يكون عاجزاً عن تدبير أموره في هذه المرحلة.

فقد جعلت الشريعة الإسلامية حضانة الطفل من حق الأم، فهي أولى بها من سائر الأقارب، يها الجدّة للأم، ثم الجدّة للأب....ثم سلسلة طويلة من الأقارب من النساء للأم وللأب[3].

وتأتي الأم في المرتبة الأولى في أحقيتها بحضانة إبنها، لأنها أعطف الناس على صغيرها، وأكثرهم تحمُّلا لمتاعب رعايته، ويشير نبي الله –صلى الله عليه وسلم– إلى هذا بقوله: "**من فرّق بين**

---

[1] أسامة حسين إبراهيم باهي، دور الأسرة تجاه متطلبات طفل ما قبل المدرسة، مجلة التربية للأبحاث التربوية، العدد15، كلية التربية، جامعة الأزهر، السنة 1989م، ص115.

[2] محمد أبي زهرة، الحضانة، مجلة العربي، العدد 33، المرجع السابق، ص57.

[3] زكريا أحمد البري، الأحكام الأساسية للأسرة في الفقه والقانون، المرجع السابق، ص40.

والدة وَوَلَدِهَا فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة"[1]. وفي هذا تنفير شديد من نزع الولد من يد أمّه في المرحلة الأولى من حياته.

والفرق بين الحضانة والرضاعة هو أن الغرض من الإرضاع تغذية الطفل باللبن الذي يناسبه، وهذا متحقق برضاعه من أي مرضعة.

أمّا الحضانة فإن المقصود منها تربية الطفل، والعناية به ورعايته وخدمته، ولا تتحقق تلك الأغراض على الوجه الأكمل إلاّ من الأم، التي تتحمل المتاعب في سبيل ذلك بصدر رحب، ولهذا كان حق الحضانة للأم أولا ثم لمن تليها عطفاً وحناناً من المحارم، فلا يعدل عنها إلاّ لعذر قوي[2].

وتنتهي حضانة الصغير باستغنائه عن خدمة النساء، وقدرته على القيام بحاجاته الأولية من أكل ولبس ونظافة، وتنتهي حضانة الصغيرة ببلوغها سن الأنوثة. ولم تحدد لذلك سن معينة، ويجعل بعض الفقهاء المدة الواجبة لحضانة الطفل تتراوح بين السابعة والتاسعة، ولكن دلّت التجارب على أن هذه السن قد لا يستغني فيها الصغير أو الصغيرة عن الحضانة، لأنهما ربّما يكونان في خطر من ضمّهما إلى النساء، خصوصا إذا كان والدهما متزوجا بغير أمهما.

وفي هذه الحالة تدعو المصلحة إلى أن يترك للقاضي حرية النظر في مدّة حضانة الصغير بعد بلوغه سن التاسعة إلى سن الحادية عشر بحسب ما يرى أنه يحقق مصلحة الصغير أو الصغيرة[3]

والمعيار في ذلك يعتمد على مصلحة الحضين، فإذا كانت التربية السليمة، والمصلحة الكاملة هي في وجود الطفل بين أبويه غير المتنازعين، فإنه إذا قامت عوامل النزاع بينهما حائلا دون تحقيق ذلك، الأولى والأوفق أن تطول مدة الحضانة أو تقصّر بما يحقق له النفع والخير، وذلك يختلف باختلاف الظروف والأحوال.

ومن هنا يمكننا القول: بأن موضوع الحضانة ليس صراعاً بين الأب والأم حول حضانة الطفل بل هو اختيار أفضل السُبل لتأمين مناخ تربوي ينشأ فيه الطفل بعناية وودّ وحب كل من أبويه معاً... هذا ومن خلال كل ما ذكرناه نستنتج بأن الحضانة حق من حقوق الطفل، فمن خلالها تتم العناية والرعاية التربوية للطفل من طرف الأم خاصة ومن طرف الكبار المحيطين به في بيت هادئ متزن سعيد.

فالطفل الحضين إذا تشبع بالحب والعطف والخدمات الضرورية في كنف أمّه يكون في المستقبل شابا وكهلا مستقيما سويا، لما في هذه المرحلة الحضانية من أهمية قصوى في تكوين ونمو لشخصية الطفل في جميع الجوانب الجسمية والعقلية والإنفعالية والنفسية....الخ.

ولهذا أقرّ الإسلام بحق الطفل في الحضانة حتى ينمو نموا سليماً صحيحاً.

---

[1] السيوطي، المرجع السابق، جـ2، ص176.

[2] زكريا أحمد البري، المرجع السابق، ص50.

[3] المرجع نفسه، ص 44 – 45.

7) حق الطفل في النفقة:

إن رعاية الأطفال الصغار صحيا وإرضاعهم، وحضانتهم، وحسن تربيتهم، والإنفاق عليهم، يعتبر حقا أساسيا من حقوق الطفل والطفولة على الآباء وأولياء الأمور فإن الواجب عندئذ ينتقل إلى القضاء. وقد فرض الإسلام الانفاق على الأولاد –إذا لم يكن هناك مال خاص بهم– على الآباء ثم الأقرب فالأقرب لهم من أولياء الأمور، إذا لم يكن لهم آباء أو كان الآباء فقراء[1].

وتشمل النفقة كل ما يحتاجه الطفل من مأكل وملبس وعلاج وغيره لقول الله تعالى: ﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾[2] واستمرار النفقة واجبة للطفل الصغير من جانب الوالد أو من يقوم مقامه حتى يبلغ سن الرشد، ويستطيع الكسب.أما البنت فإن النفقة عليها تستمر على والدها أو من يحل محله حتى تتزوج أو تعمل[3].

ويرى فقهاء المذاهب الأربعة أن نفقة الأبناء ذكوراً كانوا أو إناثا واجبة على الأب واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع[4].

-أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿**فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن**﴾[5].

ووجه الدلالة في هذه الآية أن إيجاب الأجرة لإرضاع الأولاد يقتضي إيجاب مؤونتهم[6].

-ومن السنة: ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**تصدقوا قال رجل عندي دينار. قال تصدق به على نفسك، قال عندي دينار آخر. قال تصدق به على زوجتك، قال عندي دينار آخر. قال تصدق به على ولدك. قال عندي دينار آخر، قال تصدق به على خادمك. قال عندي دينار آخر، قال أنت أبصر به**"[7].

---

(1) رابح تركي، حقوق الطفل بين التربية الإسلامية والتربية الغربية الحديثة، مجلة العلوم الإجنماعية، العدد2، السنة الثامنة،الكويت، جامعة الكويت، تموز، 1980م، ص107.

(2) سورة البقرة، جزء من الآية 233.

(3) ابن قدامة، المغني، راجع تفاصيل النفقات، جـ7، المصدر السابق، ص 175–250.

(4) رشاد حسن خليل، نفقة الأقارب في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، دار المنار، القاهرة، 1987، ص47.

(5) سورة الطلاق، جزء من الآية 6.

(6) محمد الشربيني الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، جـ4، طبعة مصطفى الحلبي،1377هـ/1958م، ص447.

(7) سنن أبي داود، جـ5، ص11، وسنن النسائي، جـ8، ص300، ومسند أحمد بن حنبل، جـ15، ص153، والسنن الكبرى للبيهقي، جـ7،ص466، وشعب الإيمان للبيهقي، جـ7، ص425، وسنن الدرامي، جـ8، ص468، والمستدرك للحاكم، جـ4، ص43.

-وبالإجماع قال: "ابن المنذر" أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أنه على المرء نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم، لأن ولد الإنسان بعضه وهو بعض والده، فكما يجب عليه أن ينفق على نفسه وأهله، يجب عليه كذلك أن ينفق على بعضه وأهله[1].

وقد سما الإسلام بالنفقة على الأولاد حتى جعلها أفضل من النفقة في سبيل الله، فعن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك**"[2].

ولأن الله يعلم أن بعض الآباء أكثر ميلا للذكور من الإناث، فقد جعل ثواب الآباء في النفقة على الإناث عظيما، فعن عائشة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– قالت: "**جاءتني إمرأة معها إبنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين إبنتيها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي –صلى الله عليه وسلم– فحدثته فقال: "من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كنّ له سترا من النار**"[3].

فنستخلص من هذا كله أن للأولاد حق النفقة، ومن فرط في ذلك من الآباء فقد لزمه إثم كبير فقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**كفى بالمرء إثما أن يُضيّع من يقوت**"[4].

8) حق الأطفال في الإعاشة من بيت مال المسلمين عند الحاجة:

إن رعاية الأطفال من حيث حضانتهم وحسن تربيتهم والإنفاق عليهم تعتبر حقا أساسيا من حقوق الطفل على الآباء وأولياء الأمور. وقد فرض الإسلام النفقة للأولاد إذا لم يكن لهم مال خاص بهم على الآباء ثم الأقرب فالأقرب لهم من أولياء الأمور إذا لم يكن لهم آباء.

وتشمل النفقة كل ما يحتاجه الطفل من طعام وكسوة وعلاج، وتستمر النفقة للطفل على والده أو من يقوم مقامه حتى يبلغ ويستطيع الكسب، أمّا البنت فتستمر النفقة لها حتى تتزوج أو تعمل.

---

[1] عبد الرحمن العدوي، الوسيط في الفقه الإسلامي أحكام الأسرة والمواريث، عالم الفكر، القاهرة، 1989، ص167.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي،كتاب الزكاة،(باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم)، رقم (995)، مجلد4، جـ4، المصدر السابق، ص89-90

[3] أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الادب،(باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته)، قم (5649)،جـ5،المصدر السابق، ص2234، أخرجه مسلم بشرح النووي،كتاب البر و الصلة و الآداب،(باب فضل الإحسان إلى البنات)، رقم(2629)، مجلد4،جـ8،المصدر السابق،ص182-183.

شرح: (يلي): من الولاية،و هي القيام بالشؤون و العناية،و في رواية أخرى جاء (من بُلي)من البلاء وهو الإختبار،لأن الناس غالبا لا يرغبون في البنات فكان وجودهن إختبارا للرضى بعطاء الله تعالى.

[4] رواه مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة،(باب فضل النفقة على العيال ...)،رقم(996)، مجلد4، جـ7،المصدر السابق، ص90

وإذا لم يكن للأطفال آباء ولا أولياء فإن واجب الإعاشة والإنفاق ينتقل إلى المجتمع ويصبح من مسؤولية الدولة بمؤسساتها المالية المعروفة وعلى رأسها بيت مال المسلمين.

كما أن هذه المسؤولية تجب على الدولة وبيت مال المسلمين لصالح اليتامى واللقطاء الذين لا ولي لهم.

فعن "أبي أمامة بن سهل" –رضي الله عنه– قال: كتب "عمر بن الخطاب" إلى "أبي عبيدة" – رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له**"[1].

وبناء على هذا الحكم فإن عل بيت مال المسلمين واجب الإنفاق على كل من ليس له ولي ينفق عليه، فإن لم يقم بذلك الواجب من تلقاء نفسه، وجب على القاضي أن يحكم عليه[2].

إذن لكل مولود عطاء من بيت المال، حيث يعبّر هذا عن فكرة الضمان الإجتماعي الذي كان سائدا في المجتمع الإسلامي منذ أربعة عشر قرنا.

فنقول للذين يعتقدون أن فكرة الضمان الإجتماعي، والمساعدات التي تقدّم للأسر بمناسبة ميلاد كل طفل، لم تكن معروفة للقوانين الوضعية إلاّ من وقت قريب[3].

ولكن فكرة الضمان الإجتماعي، في جميع صوره سواء بالنسبة للمواليد، أو الشيوخ المسنين، أو للمحتاجين بصفة عامة، جاء بها القرآن منذ أربعة عشر قرنا كاملة.والآيات القرآنية التي توجب أو تحث على مساعدة اليتامى والفقراء والمساكين والمحتاجين بصفةعامة، كثيرة ومتعددة، ومن أهمها آية الزكاة[4]، والآيات الآخرى التي تجعل الزكاة حقا معلوما للمحتاجين[5].

وما ينبغي ملاحظته أنه في العصور التي طبقت فيها التعاليم الإسلامية تطبيقا صحيحا، وتعاون فيها المسلمون على البرّ والتقوى كما يأمرهم الله تعالى[6]، أن أصبح جميع المسلمين أغنياء بالدرجة التي لم يوجد بينهم فقراء يستحقون توزيع الزكاة عليهم[7].

---

[1] ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق رضوان محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972م، ص174– 175.

[2] محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1965م، ص136.

[3] طبق نظام الضمان الإجتماعي في صورته الحديثة، لأول مرة في ألمانيا على يد "بسمارك"، في أواخر القرن التاسع عشر، انظر سمير عبد السيد تناغو، نظام التأمينات الإجتماعية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص1، وأنظر أيضا، زكي بدوي، أصول الخدمة الإجتماعية، دار الفكر العربي، 1956م، ص86 وما بعدها.

[4] يقول الله تعالى: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم"، سورة التوبة، الآية: 60.

[5] يقول الله تعالى: "والذين في أموالهم حق معلوم، للسّائل والمحروم"، سورة المعارج، الآية24–25.

[6] يقول الله تعالى: "وتعاونوا على البرّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" سورة المائدة، جزء من الآية 2.

[7] سيد قطب، العدالة الإجتماعية في الإسلام، دار الشروق، 1394هـ/1974م، ص241.

وليس هذا بالنسبة للمسلمين فقط، بل كان ذلك أيضا بالنسبة لأهل الكتاب أو أهل الذمة، المقيمين في الدولة الإسلامية[1].

وهذا عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين –رضي الله عنه– "يفرض لكل مولود عطاء من بيت المال...وكلما نما الولد زاد العطاء".

وقد جرى عليه من بعد عثمان وعلي والخلفاء من بعدهم[2].

وقد روي عنه قوله: "لا تعجلوا صبيانكم على الفطام"، وفرض للمولود عطاء بمجرد ولادته، بعد أن كان قد فرض له منذ فطامه[3].

وإلى جانب هذا الضمان الإجتماعي الذي شاع في المجتمع الإسلامي، والحرص الدائم للإسلام على حماية الطفولة إليكم بعض مظاهر التكافل الإجتماعي الإسلامي الخاصة بالأطفال:

رأينا أن الدين الإسلامي قد أحاط الطفولة والأمومة بالرعاية الكاملة والحرص الشديد على تهيئة كل السبل والوسائل التي تكفل هذه الحماية، وتحقق عمليا تلك الرعاية.

ولما كان نظام الوقف الإسلامي، يقوم على أساس تخصيص أغنياء المسلمين جزءا من أموالهم لأعمال الخير العامة كالتعليم والصحة، فإن بعضهم قد أنشأ أوقافا خاصة لمساعدة الأطفال في بعض الحالات العامة، والخاصة. ومن المصلحة العامة توزيع الحليب على الأطفال، ومن الخاصة مساعدة متعلمي الحرفة من الأحداث[4].

أ- **توزيع الحليب على الأطفال:** الثابت تاريخيا أن من بين الأوقاف الخيرية التي أوقفها "صلاح الدين الأيوبي"، "وقفا لإمداد الأمهات بالحليب اللازم لأطفالهن، حيث جعل في أحد أبواب قلعة دمشق ميزاباً يسيل منه الحليب، وميزابا آخر يسيل منه الماء المذاب بالسكر. فتأتي الأمهات يومين في كل أسبوع فيأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر"[5].

---

(1) سيد قطب، العدالة الإجتماعية في الإسلام، المرجع السابق، ص241.

(2) محمد بن البشير، نحو تطبيق النظام الإقتصادي والإجتماعي الإسلامي، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1979م، ص69.

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطاء، جـ3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص217.

(4) محمد عبد الجواد محمد، حماية الطفولة في الشريعة الإسلامية، والقانون الدولي العام، والسوداني، والسعودي، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1379هـ/1977م، ص73.

(5) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، 1397هـ/1977م، ص127.

ب- مساعدة متعلمي الحرفة من الأحداث: ذكر الرحالة المشهور "ابن بطوطة"[1] أنه شاهد في دمشق أوقافا خيرية، كان منها "وقف مايكسر من صحون الفخار وغيرها لمتعلمي الحرفة من الأحداث".

القصد منه جبر خاطر الطفل، ودفع العقاب عنه، وتعويض الصانع عمّا كسر له[2].

ويذكر بعض الكتّاب أن مثل هذا الوقف "بقي موجوداً في المغرب إلى عهد قريب جدّا"[3].

فهكذا وجد نظام الوقف منذ عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وبدأ بما يمكن أن نطلق عليه الوقف للمصلحة العامة. ولم يخل بلد إسلامي من الوقف الخيري الذي أصبح من أشهر المؤسسات الإسلامية، والذي عم وشمل جميع أوجه التكافل الإجتماعي في المجتمع الإسلامي. حيث كانت هناك مؤسسات لرعاية اللقطاء واليتامى، ومؤسسات للمقعدين والمكفوفين والعجزة، يعيشون فيها بكرامة، لهم ما يحتاجون من مأوى وغذاء ولباس وتعليم أيضا[4].

9) حق الطفل في المساواة:

أوجبت الشريعة الإسلامية حق المساواة بين الأطفال سواء أكانوا ذكورا أم إناثا، حيث أن التعبير القرآني يصف التفريق بأنه سوء في الحكم ونقص في العدالة قال تعالى: ﴿**وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون**﴾[5].

ويأمر النبي المصطفى –صلى الله عليه وسلم– بوجوب العدل والمساواة بين الأبناء سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً فيقول: "**من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة**"[6].

---

(1) ابن بطوطة:(703هـ-779هـ/1304م-1377م)، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله ،رحالة، مؤرخ، ولد و نشأ في طنجة، طاف بلاد الشام والحجاز وغيرها ، واتصل بكثير من الملوك و الأمراء – وكان ينظم الشعر–واستعان بهيباتهم على أسفاره، ألف كتابا سماه "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار"، وترجم هذا الكتاب إلى لغات كثيرة اجنبية كالانجليزية والألمانية. وكان يحسن اللغة التركية والفارسية، ومات في مراكش.وتلقبه جمعية "كمبردج" بأمير الرحالين المسلمين" انظر الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، جـ7، ط12، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997م، ص114.

(2) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، المرجع السابق، ص127.

(3) محمد بن البشير، نحو تطبيق النظام الإقتصادي والإجتماعي الإسلامي، المرجع السابق، ص69.

(4) مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص127.

(5) سورة النحل، الآية: 58-59.

(6) سنن أبي داود، (باب في فضل من عال يتيما)، جـ4، المصدر السابق، ص337.

وجاء عنه –صلى الله عليه وسلم– قوله: "**أعدلوا بين أبنائكم كما تحبون أن يعدل بينكم في البرّ واللطف**"[1].

فالله سبحانه وتعالى جعل الذكور والإناث منحة يهبها الله للآباء لذلك كان من الواجب على الجميع أن يرضوا بهذه الهبة قال تعالى: ﴿**لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكورَ(٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنّه عليم قدير**﴾[2].

لذلك فقد أنكر –صلى الله عليه وسلم– أي نوع من التمييز بين الأولاد بسبب الجنس أو غيره، قال –صلى الله عليه وسلم–: "**اعدلوا بين أولادكم في العطية**"[3].

لقد قدم الإسلام بذلك أروع الأمثلة على أهمية المساواة والعدل بين الجنسين، فقد جاء الإسلام على عادات وأعراف لا تعترف بأي حق من حقوق الأنثى وتعتبرها سلعة تباع وتشترى وهي للمتعة والخدمة وليس لها من الحقوق شيء يذكر، بل وصل الأمر إلى اعتبارها عاراً ينبغي التخلص منه لذلك انتشرت عادة وأد البنات، وفي أفضل الحالات التي يمنح لها حق البقاء على قيد الحياة فإنها تعيش مبخوسة الحق مهانة مذلولة لا قيمة لها.

لقد جاء الإسلام ثورة على ذلك كلّه فأثبت للمرأة وللأطفال حقوقا لم تعرف سابقا، فقد شاع عند العرب قبل الإسلام أن جميع الحقوق تعطى للكبار من أهل الحرب وأمّا الصغار فلا شيء لهم فما يلبثوا أن يكبروا حتى يجدون أنفسهم وقد حرموا من كامل حقوقهم لصالح إخوتهم الكبار فلا يستدركون ما فاتهم[4].

لقد كشفت الآيات الكريمة بأن الذكر والأنثى من طبيعة واحدة في النشأة وهذا يقتضي المساواة بينهما قال تعالى: ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدىً(٣٦) ألم يك نطفة من منّيّ يمنى (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوّى (٣٨) فجعل منه الزّوجين الذّكر والأنثى**﴾[5].

لقد أخبر القرآن الكريم أن الناس جميعهم خلقوا من نفس واحدة وهذا يعني أن أصلهم واحد لذلك فقد أمر الإسلام بالمساواة بين الذكر والأنثى قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس**

---

[1] سنن أبي داود، جـ2، ص315، وسنن النسائي، جـ6، ص573، ومسند أحمد، جـ5، ص345، وصحيح البخاري، جـ9، ص37، والسنن الكبرى للبيهقي، جـ7، ص177.

[2] سورة الشورى، الآية 49-50.

[3] رواه البخاري في صحيحه، (باب الهبة للولد، وإذا أعطى بعض ولده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم و يعطي الآخرين مثله)، رقم(2446)، جـ2، المصدر السابق، ص913.

[4] باسم علي حوامدة، أحمد رشيد القادري وآخرون، المرجع السابق، ص36.

[5] سورة القيامة، الآية 36-39.

واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساءً واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا﴾[1].

10) حق الطفل في حسن المعاملة:

من حق الطفل على والديه حسن معاملته وتربيته وإحاطته بالعطف والمودة والرحمة، وإدخال السرور على قلبه، لما له من أثر بالغ في تنشئته وتفتح مداركه شريطة ألا يفضي إلى التدليل المفرط الذي يؤثر على سلوكه الجاد في الحياة.

وقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– أعطف الناس بالأطفال وأرق قلب عليهم يحبهم ويحنو لهم ويبالغ في مؤانستهم وملاطفتهم. فعن ثابت عن أنس –رضي الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**أخذ إبنه إبراهيم فقبله وشمه**"[2].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "قبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم قال "**من لا يَرحم لا يُرحم**"[3].

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت جاء أعرابي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال:تقبّلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي –صلى الله عليه و سلم–: "**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**"[4].

كما كان رسول الله –صلى الله عليه و سلم– يصلي وهو حامل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع من بنته زينب "**فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها**"[5].

وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فقال: "**إن إبني قد إرتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**"[6].

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن الأطفال الذين لا يتمتعون بالتفاعل الحار مع أسرهم وتبادل الابتسامات معهم واحتضانهم للطفل وتدليله ينشؤون ببلادة عاطفية وخمود في النشاط والذكاء، كما ثبت

---

[1] سورة النساء، الآية 01.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته)، رقم(5648)، جـ5، المصدر السابق، ص223، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، (باب رحمنه–صلى الله عليه وسلم– على الصبيان وتواضعه)، رقم(2315)، مجلد8، جـ15، المصدر السابق، ص76.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته)، رقم(5651)، جـ5، المصدر السابق، ص2235.

[4] المصدر نفسه، كتاب الأدب، (باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته)، رقم(5652)، جـ5، ص2235

[5] المصدر نفسه، كتاب الأدب، (باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته)، رقم(5650)، جـ5، ص2235

[6]سنن النسائي، جـ4، ص241، ومسند أحمد، جـ33، ص241، والسنن الكبرى للبيهقي، جـ2، ص263، والمستدرك للحاكم،جـ11، ص87، والمعجم الكبير للطبراني، جـ6، ص424

من مقارنة أطفال الملاجئ بأطفال الأمهات السجينات التي سمح لهن برعاية أطفالهن أثناء تواجدهن في السجن، أن أطفال الملاجئ المحرومين من حب الأم وحنانها ورعايتها أقل نشاطا وذكاء[1].

إن الآباء والأمهات الذين ينبذون أطفالهم نبذا صريحا أو مضمرا بالقول أو الفعل يكون نتيجة ذلك إفتقار الطفل للإحساس بالأمن وتنمية روح العدوان والرغبة في الانتقام وزيادة حساسيته في المواقف ليصبح عنيدا أنانيا منبوذا من زملائه وقد يؤدي به إلى الإنحراف والجنوح أو يؤدي به إلى الإستكانة والإستسلام ويصبح متهيبا لا يستطيع التركيز الذهني في دراسته في المستقبل مما يؤدي إلى تخلفه عن أقرانه وتظهر لديه إضطرابات الشخصية في مراحل الشباب[2].

إذن فحسن المعاملة للصغار أدب وخلق إسلامي عظيم يتحلى به المؤمنون بالله والمقدرون لسنّة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– الذي يوصي بحسن معاملة الأطفال، عن أنس بن مالك عن رسول الله –صلى الله عليه و سلم–: "**أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم**"[3].

لقد وردت الآثار الكثيرة عن رسولنا الكريم والتي تؤكد على حسن معاملة الأطفال وهي بذلك تشريع يراد منه التأسي والإقتداء من قبل المسلمين. فقد ورد عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه كان إذا صلى سجد فيأتي أبناء "الزهراء" (فاطمة) –رضي الله عنها– "الحسن والحسين" يركبان على ظهره – صلوات الله وسلامه عليه– فلا يرفع رأسه من سجوده حتى ينزلا –رضي الله عنهما–. وروي عنه أيضا أنه لما أوحي إليه باستشهاد قائد مؤتة "جعفر بن أبي طالب"، جاء –صلى الله عليه وسلم– إلى بيت جعفر وطلب أبناءه فأخذ يمسح على رؤوسهم فعرفت زوج جعفر أن رسول الله قد بلغه شيئ عن "جعفر" –رضي الله عنه–[4].

فهكذا نستخلص أنه إذا كان الطفل بحاجة إلى الطعام والشراب والملبس والمسكن ليعيش فإن حسن معاملته لا تقل أهمية عن ذلك كله، فلا قيمة للباس والشراب والطعام وهو يعامل معاملة سيئة، فلا شك أن حياته ستكون بائسة لا قيمة لها، فحسن المعاملة وجه من وجوه الأمن الذي يعد من الحاجات الأساسية للطفل بل للإنسان بشكل عام. قال –صلى الله عليه وسلم–: "**من لا يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا**"[5]

---

[1] سعد جلال، الطفولة والمراهقة، المرجع السابق، ص143.

[2] كلير فهيم غبريال، أطفالنا وحاجاتهم النفسية، كتاب اليوم الطبي، أخبار اليوم، العدد13، مارس 1983م، ص17–18.

[3] السندي شرح سنن ابن ماجة القزويني،(باب بر الوالدين و الاحسان إلى البنات)، جـ2، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص391.

[4] باسم علي حوامدة وآخرون، المرجع السابق، ص38.

[5] مسند أحمد بن حنبل، جـ2، المصدر السابق، ص222، ورواه الترمذي في سننه بنفس العبارة،كتاب البر و الصلة،(باب ماجاء في رحمة الصبيان)، رقم(2045)، جـ2، المصدر السابق، ص503، ورواه أبي داود في سننه،(باب الرحمة)، جـ4، المصدر السابق، ص286.

إذن فالرحمة بالأطفال والرفق بهم والعطف والحنان، وحسن المعاملة و الشفقة عليهم يجب أن تكون دستور جميع الآباء والمربين في توجيه أبنائهم والتعامل مع أطفالهم كما كان ذلك السلوك النبوي مع جميع الأطفال بل مع كافة الناس.

11) حق الطفل في التأديب والتهذيب

أمر الإسلام الآباء والأمهات بتأديب وتهذيب أولادهم وبناتهم وقد وردت تأمر بذلك منها ما يلي: قال –صلى الله عليه وسلم–: "**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**"[1].

وقال: "**رحم الله والدا أعان ولده على بره**"[2] وقال: "**أعينوا أولادكم على البر من شاء إستحراج العقوق لولده**"[3] **وقال:"ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن**[4]. وقال: "**حق الولد على والده أن يحسن إسمه ويحسن من مرضعه، ويحسن أدبه**"[5]، وقال: "**لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع**"[6].

ومن التأديب توجيهه إلى الصدق وترك الكذب، فقد أمر الإسلام الآباء والأمهات بتعويد أولادهم على الصدق فعن "عبد الله بن عامر" قال: "**دعتني أمي يوما، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– قاعد في بيتنا، فقالت: تعالى أعطيك، فقال لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما أردت أن تعطيه؟ فقالت: أعطيه تمرا، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: أما أنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة**"[7].

وقال –صلى الله عليه وسلم–: "**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ وإن البرّ يهدي إلى الجنّة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى النّار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**"[8].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، رقم(853)، جـ1، المصدر السابق، ص304، سنن الترمذي، (باب ما جاء في الإمام)، رقم(1705)، جـ4، المصدر السابق، ص208

[2] المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، جـ4، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص29، انظر الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ2، المصدر السابق، ص217.

[3] الطبراني، المعجم الكبير، رقم(4088)، جـ5، المصدر السابق، ص51.

[4] سنن الترمذي، رقم(1952)، جـ4، المصدر السابق، ص337

[5] البيهقي، شعب الإيمان، جـ6، المصدر السابق، ص402

[6] رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، (باب ماجاء في أدب الولد)، رقم(1951)، المصدر السابق، ص337

[7] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب،(باب في التشديد في الكذب)، رقم(4991)، جـ2، المصدر السابق، ص716، وأخرجه أحمد في مسنده، جـ3، ص447.

[8] صحيح مسلم بشرح النووي، (باب قبح الكذب و حسن الصدق و فضله)، جـ16، المصدر السابق، ص160.

ومن التأديب توجيهه إلى الأمانة وترك الخيانة، فمن الواجب على الوالدين تربية أولادهم على الأمانة وتحذيرهم من الخيانة وإبعادهم عنها بكل السبل وبشتى الوسائل وذلك لأن الأمانة خلق حميد والخيانة خلق ذميم، يقول الله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[1].

ويقول: ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾[2]. وعن أبي هريرة قال: بينما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يحدّث إذ جاء أعرابي فقال: "**متى الساعة؟ فقال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال كيف إضاعتها؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**"[3]. وقال –صلى الله عليه وسلم–: "**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**"[4].

والأمانة معانيها كثيرة، ولها مجالات متعددة، وأنماط مختلفة، فحواس الإنسان أمانة وأجزاء جسمه أمانة وعقله أمانة وعمله أمانة ووظيفته أمانة وغير ذلك كثير والله سبحانه وتعالى نهى عن الخيانة فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تخاونوا الله والرسول و تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾[5]. ويقول تعالى: ﴿**إن الله لا يحب الخائنين**﴾[6].

ومن التأديب تعويذ الطفل على الاستئذان قبل الدخول على أحد منذ صغره، فالله عز وجل أمر الآباء والأمهات أن يعودوا أطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم على الاستئذان قبل الدخول عليهم في ثلاثة أوقات: قبل صلاة الفجر، حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة، أو أنهم يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج، ووقت الظهيرة عند القيلولة، حيث يخلعون ملابسهم في العادة ويرتدون ثياب النوم والراحة، وبعد صلاة العشاء حين يخلعون ملابسهم ويرتدون ثياب الليل، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضهم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**﴾[7].

وقد سماها الله عز وجل (عورات) لإنكشاف العورات فيها فلا بد أن يستأذن فيها الخدم، والصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات

---

[1] سورة النساء، جزء من الآية58.

[2] سورة المؤمنون، الآية: 8.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، جـ1، المصدر السابق، ص151.

[4] رواه الإمام أحمد في مسنده، جـ3، المصدر السابق، ص135، البيهقي، السنن الكبرى، جـ6، المصدر السابق، ص288.

[5] سورة الأنفال، الآية 27.

[6] سورة الأنفال،جزء من الآية 58.

[7] سورة النور، الآية 58.

السادة، وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسانيون –بعد تقدم العلوم النفسية– أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها.

والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب، وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات، ويخصص هذه الأوقات الثلاثة دون غيرها، لأنها مظنة انكشاف العورات، ولا تجعل إستئذان الخدم والصغار في كل حين منعا للحرج، فهم كثير الدخول والخروج على أهليهم بحكم صغر سنهم، أو قيامهم بالخدمة، "طوافون عليكم بعضكم على بعض" وبذلك تجمع بين الحرص على عدم انكشاف العورات، وإزالة الحرج والمشقة لو حتم أن يستأذنوا كما يستأذن الكبار[1].

فأما حين يدرك الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون في حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت حسب النص العام[2]في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون(٢٧) فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم و إن قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم (٢٨)**﴾[3]. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**﴾[4].

12) حق الطفل في التعليم والتربية.

يخلق الطفل ميالا بطبعه للحركة واللعب ميالا بطبعه للمعرفة والإستطلاع. فالحركة واللعب وحب المعرفة والإستطلاع تمثل أنواعا من الحاجات النمائية الأصيلة عند الطفل[5].

وقد أوضح المنهج التربوي في الإسلام حق الطفل في التربية والتعليم والتنشئة السلوكية. وجعل ذلك واجباً من الواجبات الأساسية في الأبوة والأمومة أو من يقوم مقامها. فللأسرة أثر كبير وعميق في تربية البنين والبنات[6] ودعوة الإسلام للعلم والتعليم هي دعوة أساسية تستهدف إيجاد المجتمع المسلم المثقف الواعي، فإن أول آية من القرآن الكريم ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ هي دعوة صريحة للتعلم

---

(1) أحمد عبد الغني محمد النجولي الجمل، "تربية الطفل ورعايته في الإسلام"، مجلة كلية التربية، العدد 44، جامعة المنصورة، سبتمبر 2000م، ص 273-274.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ4، ط8، طبعة دار الشروق، بيروت، 1399هـ/1979م، ص2532.

(3) سورة النور، الآية 27-28.

(4) سورة النور، الآية 59.

(5) فوزية دياب، نمو الطفل و تنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1979م،ص65.

(6) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، ط1، دار الثقافة للجميع، دمشق، سوريا، 1401هـ/1981م، ص126.

والأخذ بأسباب العلم والمعرفة. ويوضح الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– أهمية تعليم الأطفال وقابليتهم للتعلم في قوله: "**العلم في الصغر كالنقش على الحجر**" رواه البهيقي والطبراني، ذلك لأن قابلية الطفل للتعلم وهو صغير أكثر من قابليته وهو كبير[1].

وحق الطفل في التربية والتعليم حق عظيم وكبير وهو من المسؤولية التي سيسأل عنها الأبوين. والدليل حديث النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**" متفق عليه[2].

وتحدثنا السيرة النبوية أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– طلب من أسرى قريش في غزوة بدر ممن يعرفون القراءة والكتابة أن يفدي كل واحد منهم نفسه بتعليم عشرة أطفال من أبناء المسلمين القراءة والكتابة حتى إذا قام بهذا العمل أصبح حرّا من الأسر وهذا مما يدل على مسؤولية المجتمع على وجوب توفير التعليم والثقافة للطفل[3].

13) حق الطفل في التعليم بما يناسب مراحله العمرية

لقد وضع الإسلام خطة من التشريعات ترسم صورة دقيقة لتعليم الطفل في مراحل عمره المختلفة بما يناسب وهذه المراحل، وأوضح مثال على ذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة النور: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليسأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم**﴾. النور، من الآية(58)، فالآية توضح أن الطفل الذي لم يبلغ الحلم يعلم الأخلاق الحميدة، لأنه مؤهل في هذه الفترة لتعلم هذه الأخلاق.

ثم يؤكد على معنى تعليم الأطفال بما يناسب مراحلهم العمرية حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**علموا أولادكم الصلاة لسبع، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**"[4]. فحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يرشد على السن الذي يعلم فيها الطفل القيام بالعبادات والسن الذي يحاسب على تقصيره فيها. وكذلك هناك أخلاق عامة، وهي الحفاظ على العورات والحياء، وهي أخلاق يجب أن تصاحب الطفل في كل مراحل حياته، ولذا يفرق بين الأطفال في المضاجع من أول عمرهم.

---

[1] عبد الله ناصح علوان، جـ2، المرجع السابق، ص936.

[2] سبق تخريج الحديث في ص 115 من الرسالة.

[3] رابح تركي، المرجع السابق، ص 108.

[4] سنن أبي داود، كتاب الصلاة، (باب متى يؤمر الطفل بالصلاة)، رقم(495)، جـ 1، ص 133.

ومن الأفضل في التصور الإسلامي لتعليم الطفل أن يسعى الوالدان إلى تعليم الولد القرآن منذ السنوات الأولى لتقويم نطقه بصورة صحيحة، وترديد آيات القرآن أمامه والإكثار من إسماعه إياها[1].وفي ذلك المعنى يقول ابن سينا: "إذا تهيأ الطفل (الصبي) للتلقين، ووعى سمعه، أخذ في تعليم القرآن له"[2].

وإن عناية الإسلام بتعليم الأطفال من الصغر عناية حكيمة، حيث يبدأ التعليم في الصغر في التصور الإسلامي بالأسلوب المناسب لمراحلهم العمرية، حيث يبدأ التعليم في الإسلام بما لا يحتاج لمزيد عناء وفكر، مما يجعل الطفل ينفر من التعليم، بل يستخدم في تعليم الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة أداة التلقين في التعليم، وهي أداة مناسبة جدا لهذه المرحلة، وهذا "ابن عباس" –رضي الله عنهما– يحفظ القرآن صغيرا، فيكون لذلك أثره الكبير في رسوخ هذا العلم في ذهنه وصعوبة تفلّته منه مهما بلغت سنه، وفي ذلك يقول –رضي الله عنه–: "سلوني عن سورة النساء فإني قرأتها وأنا صغير"[3].

ولذا نستطيع أن نقول: إن الإسلام أعطى الطفل حقه في التعليم كاملا، وذلك بأن جعله تعليما مناسبا في مادته، وفي أداته للمرحلية التي يمر بها الطفل.

ولقد جاءت المادتان (28،29) من مواد الإتفاقية الدولية لحقوق الطفل موافقة التشريع الإسلامي في إرسائها حق الطفل في التعليم.

14) حق الطفل في اللعب:

يعتبر اللعب حقا أساسيا من حقوق الطفل ولذلك منح الإسلام هذا الحق للطفل منذ أربعة عشرة قرنا وأوصى بضرورة توفيره له، يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**روحوا على أنفسكم ساعة فساعة فإن القلوب إذا كلت ملت**". فاللعب في الواقع يعتبر مظهرا من مظاهر سلوك الطفولة الطبيعية لأن الطفولة هي مرحلة اللعب و المرح في حياة الإنسان و اللعب في مرحلة الطفولة المبكرة له أهمية كبرى لعظمة تأثيره في مراحل النمو بالنسبة للطفل[4].

وهذا الحق الذي كفله الإسلام للأطفال ليتمتعوا بطفولتهم، أوصانا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأمرنا باللعب مع الأطفال وملاطفتهم وتفهم احتياجاتهم، والنزول لمستوى الأولاد واللعب معهم بما يحبون، وهذا مبدأ تربوي جديد نادى به علماء التربية في أواخر القرن العشرين، حيث يقول علماء التربية للآباء[5]: اتركوا الأطفال يلعبون والعبوا أنتم معهم، والرسول –صلى الله عليه وسلم– وهو قدوتنا قرر هذا

---

(1) عادل محمد صالح أبو العلا، المرجع السّابق، ص60.

(2) ابن سينا، كتاب السياسة: (مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين و نصارى)، لويس شيخو وآخرون، ط3، دار العرب بستاني، القاهرة، 1985م، ص1074.

(3) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، جـ2، المصدر السابق، ص301.

(4) ليلى يوسف، سيكولوجية اللعب والتربية الرياضية، ط2، الأنجلو مصرية،1992م، ص6.

(5) إسماعيل عبد الفتاح، الإبتكار و تنميته لدى أبنائنا، مكتبة الدار العربية، القاهرة، 2003م، ص71–72، وانظر أيضا، علي أسعد وطفة، تربية الأطفال في الإسلام، التنبيهات التربوية في السنة و القرآن الكريم، "التربية العاطفية والانفعالية، مجلة الطفولة العربية، مجلة علمية بحثية محكمة، تصدر عن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، المجلد5، العدد18، مارس2004م،ص77

المبدأ ودعانا إليه منذ 14 قرنا، كما سبق وأشرنا إلى ذلك، ففي حديث شريف روى عن "سعيد بن أبي راشد" عن "يعلى العامري" "**أنه خرج مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى طعام دعوا له قال فاستمثل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال عفّانُ قال وُهَيْبٌ فاستقبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمام القوم و حُسَيْنٌ مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن يأخذه قال: فَطَفَقَ الصبيّ ها هنا مرة، و ها هنا مرة فجعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يضاحكه حتى أخذه، قال: قوضع إحدى يديه تحت ذقنه فوضع فاه على فيه فقبّله، وقال: "حُسَيْنٌ مني وأنا من حُسَيْن، أَحبَّ حُسَينا، حُسَيْنٌ سبطٌ من الأسباط**"[1]. و بذلك أكدّ الإسلام الحق في اللعب للأطفال.

وقد أكد المربون المسلمون على ضرورة السماح للطفل بالعب لما له من تأثير بالغ في صحته النفسية والعقلية والجسمية.

ونادى علماء التربية الإسلامية بحق الطفل في اللعب والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه. فحجرة الدراسة يسودها الهدوء والإصغاء للدرس والسكون مما يؤدي إلى إحساس الطفل بالملل و التعب. ولهذا فهم يسمحون للطفل خارج حجرة الدراسة بالكلام والحركة والنشاط والمرح واللعب ليروح عن نفسه ويزيل ما يحس به من السأمة والملل أو التعب[2].

ويقول الإمام "الغزالي" في مؤلفه "إحياء علوم الدين": "ينبغي أن يؤذن للطفل بعد الإنصراف من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب و منع الصبي من اللعب و إرهاقه بالتعليم دائما يميت قلبه و يبطل ذكاءه و ينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة من الخلاص منه"[3].

و"الغزالي" في هذا الرأي سبق علماء النفس وفلاسفة التربية الحديثة منذ منتصف القرن التاسع عشر حيث أكدّ "فروبل" على أهمية اللعب في التعليم حيث يرى أن أهم سمة مميزة للطفل هي رغبته الفطرية في النشاط أو ما يسمى باللعب، وينصح بضرورة استخذام اللعب في التعليم[4].

و"الغزالي" لا يرى أن اللعب مجرد نشاط تلقائي يقوم به الصغار فحسب ولكن له ثلاث وظائف أساسية: فاللعب يساعد على ترويض جسم الصغير و تنمية عضلاته وتقويتها، كما أنه يساعد على إدخال السرور في قلب الصغار، ثالثا فهو مريح للصبية من تعب الدروس في الكُتّاب[5].

---

[1] سنن الترمذي، كتاب المناقب،(باب مناقب الحسن و الحسين عليهما السلام)، رقم(3775)، المصدر السابق، ص658

[2] محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية و فلاسفتها، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص193.

[3] فتيحة حسن سلمان، المذهب التربوي عند الغزالي، دار الهنا، القاهرة، 1956م، ص62.

[4] سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1975م، ص412.

[5] المرجع نفسه، ص285.

ولهذا يعتبر اللعب من أهم وسائل الطفل في تفهمه للعالم من حوله و هي إحدى وسائله الهامة التي يعبّر بها عن نفسه حين يشعر بالتعب[1]. وبذلك يتفق الرأي السابق مع الإمام الغزالي في أهمية اللعب في حياة الطفل باعتباره وسيلته الأساسية في الترويح عن نفسه.

15) حق الطفل في الرحمة به والترويح عنه والملاعبة.

من المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلوب الآباء والأمهات شعور الرحمة بالأولاد والرأفة بهم والعطف عليهم وهو شعور كريم له في تربية الأولاد وتكوينهم النفسي أثره العظيم.

ولهذا نجد الشريعة في جميع التشريعات تُرسِّخ مشاعر الرأفة والرحمة، وتحضُّ الكبار من الآباء والأمهات عليها، فنجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يجعل الرحمة حقّاً للصغار حتى يسلب ممّن لا يرحم الصغار انتسابه التّام للإسلام فيقول –صلى الله عليه وسلم–: "**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**"[2].

وهذا أعرابيّ يأتي النّبي –صلى الله عليه وسلم– فيقول له الأعرابي: تقبلون الصبيان؟! فما نقبلهم. فقال النّبي –صلى الله عليه وسلم–: "**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟!**"[3]

16) حق الطفل في تنمية ثقته بنفسه:

الحاجة إلى تأكيد الذات لدى الطفل من الحاجات النفسية الأساسية التي تنمي ثقته بنفسه وبالآخرين.

ويؤكد علماء النفس على أن استقلال الطفل وحريته تجعله قادرا على تسيير أموره بنفسه دون معونة من الآخرين ممّا يزيد من ثقته في نفسه ويوجب تشجيع التفكير الذاتي المستقل لدى الطفل ومعاملته على أن له شخصيته المستقلة ووجهة نظره الخاصة[4].

وتدلنا السيرة النبوية الشريفة على أن هناك عدة وسائل أو طرق تحقق حاجة الطفل المسلم لتنمية ثقته بنفسه، وتتمثل هذه الوسائل أو الطرق فيما يلي:

أ. تقوية إرادة الطفل:

وذلك بتعويده على أمرين إثنين هما:

- **تعويده حفظ الأسرار:** كما فعل "أنس" –رضي الله عنه–، إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار ولا يفضحها فإن إرادته تنمو وتقوى وبالتالي تكبر وتزيد ثقته بنفسه.
- **تعويده الصيام:** عندما يصمد أمام الجوع والعطش في الصوم يشعر الطفل بنشوة الظفر والإنتصار على النفس وبالتالي فإن إرادته تقوى على مواجهة الحياة مما يزيد في ثقته بنفسه.

---

[1] حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، ط4، عالم الكتب، القاهرة ، 1971م، ص 271–273.

[2] سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، (باب ماجاء في رحمة الصبيان)، رقم(1919) ، ج4، المصدر السابق، ص32

[3] سبق تخريج الحديث، ص 113 من الرسالة.

[4] حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، ط4، المرجع السابق، ص269.

ب. تنمية الثقة الإجتماعية:

عندما يقضي الطفل حاجيات المنزل وأوامر الوالدين أو يجالس الكبار ويجتمع مع الصغار فإنه تنمو ثقته الإجتماعية بنفسه.

جـ. تنمية الثقة العلمية:

وذلك بتعلمه للقرآن ولسنّة رسوله –صلى الله عليه وسلم– وسيرته العظيمة، فينشأ الطفل وقد حمل علما عزيزا في صغره فتنمو ثقته العلمية بنفسه لأنه يحمل حقا العلم بعيدا عن الخرافات والأساطير[1].

وتمنح التربية الإسلامية الطفل قدرا كبيرا من الحرية في اختيار ما يتناسب مع ميوله الفطرية واستعداداته العقلية حيث أن من أهم مبادئها أنها تربية استقلالية ترمي إلى تعويد الأطفال الإعتماد على أنفسهم في التعليم والقراءة والفهم والبحث[2].

وهو ما يسهم في تنمية ثقة الطفل بنفسه وإحساسه بأهمية التعليم ونفعه له وتكوين شخصيته المستقلة.

17) حق الطفل في التقدير والإحترام من الآخرين:

من حق الطفل أن يشعر بإحترام ذاته وأنه جدير بالإحترام وأنه كفء يحقق ذاته يعبّر عن نفسه في حدود قدراته وإمكانياته وهذا يصاحبه عادة إحترامه للآخرين وإحترام الآخرين له[3].

والإحترام والحب والحادة إلى النجاح من الحاجات الأساسية للطفل فإذا توافرت تلك الحاجات النفسية والإجتماعية في الصغر نشأ نشأة نفسية وعقلية سليمة أمّا إذا حُرِم منها جميعا أو حرم البعض منها فإنه ينشأ نشأة غير طبيعية[4].

ويؤكد الإسلام على هذا الحق إنطلاقا من إحترامه لذاتية الطفل فعلى الأسرة أن تحترم ذاتيته وتقدّر ما يفعله وتحترم أسئلته عن عالمه والإجابة عليها حتى يتمكن من فهم عالمه وإستيفاء المعاني وتأكيد القيم تجاه هذا العالم.

كما يحتاج الطفل إلى من يتقبل أفكاره الجديدة وإحترام حبه للإستطلاع دون التقليل من شأنه وإحتقاره[5].

---

[1] محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ط2، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1408هـ/1988م، ص 351-352.

[2] محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، المرجع السابق، ص 32-33.

[3] حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص270.

[4] رابح تركي، حقوق الطفل بين التربية الإسلامية والتربية الغربية الحديثة، المرجع السابق، ص110.

[5] علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، 1408هـ/1988م، ص162.

18) حق الطفل في توفير الصحبة والرفاق

يحتاج الطفل إلى رفاق من سنه، يتفاعل معهم ويشترك في ألعابهم إشتراكا فعليا، ولابد من إشباع هذه الحاجة بإتاحة الفرصة للطفل، وأن يتصل بغيره من الرفاق في مثل سنه تقريبا على أن يكون ذلك تحت رقابة الكبار وإرشادهم وهو أمر بالغ الأهمية في نموه الإجتماعي والخلقي[1].

ويحرص الطفل في سلوكه على إرضاء أقرانه ليكسب حبهم وترحيبهم به كعضو في جماعتهم، ويجب الإهتمام بإشباع هذه الحاجة عند الطفل بإتاحة فرص التفاعل الإجتماعي مع أصحابه والمشاركة معهم في اللعب والعمل[2].

وحديث الرسول الكريم –عليه الصلاة والسلام– في أهمية اختيار الصديق والرفيق في قوله: "**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**" –رواه الترمذي– ويفهم من هذا الحديث أن الصديق للصديق إن كان صالحا تقيا فيكسب منه الصلاح والتقوى، وإن كان فاسدا تأثر به وأخلاقه.

وفي هذا الحديث الشريف ما يؤكد على أهمية مراعاة التربية الإسلامية لحق أساسي من حقوق الطفل في المجتمع المسلم في اختيار الصحبة والرفاق.

ويعبّر عن تأثير الرفاق والصحبة على الطفل المسلم قول "ابن سينا" المعلم الرئيسي حين قال: "ينبغي أن يكون الصبي في مكتبه صبية من أولاد الجلة، حسنة آدابهم مُرضية أخلاقهم فإن الصّبي يأخذ عن الصبي[3].

19) حق الطفل في التوجيه والإرشاد

إن حاجة الطفل للتوجيه والإرشاد السليم من الحاجات النفسية التي يؤكد عليها علماء النفس في تربية الطفل، فتقبل الأم والأب لطفلهما وحبهما له ورعايتهما له يؤدي بهما إلى القيام بالتوجيه والإرشاد السليم لسلوك الطفل سواء داخل المنزل أو خارجه[4].

ولو نظرنا للطفل نجد أنه مخلوق عاجز عن معرفة ما يضرّه وما ينفعه في سنوات عمره الأولى كما أنه عاجز كذلك عن التمييز بين الأشياء الصالحة وغير الصالحة بالنسبة لحاضره ومستقبله على السواء، ولذلك منحه الإسلام الحق على الوالدين والكبار بصفة عامة في التوجيه السليم والإرشاد القويم إلى كل ما يفيده جسميا وعقليا وإجتماعيا ونفسيا حاضراً ومستقبلا[5].

---

[1] فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، المرجع السابق، ص104.

[2] حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص268.

[3] ابن سينا، كتاب السياسة، نشر لويس معلوف، مجلة المشرق، عدد 21–22–23، 1906م، ص1074–1075.

[4] حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص268.

[5] رابح تركي، المرجع السابق، ص111.

وتهتم التربية الإسلامية اهتماما جليا وواضحا بحق الطفل في المجمتع المسلم بالتوجيه والإرشاد بما يتناسب مع ميوله واستعداداته، ويتضح هذا الإهتمام في آراء "ابن سينا" حول دراسة ميول الطفل، وجعلها أساسا لإرشاده وتربيته، كما أوصى "الزرنوجي" في كتابه "تعليم المتعلم" ألا يختار الطفل وحده المادة التي يدرسها، بل يشترك معه المُعلم بما أوتي من خبرة وتجربة في اختيار وإرشاد الطفل للمواد التي يميل إليها بشرط ألاّ تهمل ميول الطفل واستعداداته[1].

20) حق الطفل في تعويده على الشجاعة والحرية في إبداء الرأي.

حرص الإسلام على تعويد الأطفال بعض الأخلاق الإجتماعية وترسيخها في نفوسهم. ومن هذه الصفات:

•الشجاعة:

فقد ربى الإسلام المسلمين بما فيهم الأطفال على الشجاعة، وذلك من خلال ترسيخ قاعدة الخوف من الله فحسب...تلك القاعدة التي أرستها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة من هذه قوله تعالى: ﴿**ولايخافون لومة لائم**﴾[2]، فلقد تربى أطفال المسلمين على معاني عدم الخوف إلاّ من الله، وكذلك على معنى الجهاد في سبيل الله الذي يبث في نفوس المؤمنين القوة والشجاعة، فقد قال تعالى: ﴿**إنّ الله يُحبُّ الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بُنيان مرصوص(٤)**﴾[3].

ولمّا ترسخت الشجاعة في نفوس أطفال المسلمين، طلبوا من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن يخرجوا في الجهاد في سبيل الله، وهذا ما فعله "عبد الله بن عمر" –رضي الله عنهما– عندما عرض نفسه على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليخرج معهم في الجهاد في سبيل الله.

وكذلك كان أطفال المسلمين يربيهم رسول الله على حرية الرأي، ويظهر ذلك عندما يسأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن شجرة مثلها مثل المسلم أصلها ثابت فرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحتُّ ورقها، فلا يعرف الصحابة –رضي الله عنهم– الإجابة، وكان من بينهم ابن عمر –رضي الله عنهما–، فلمّا انصرفوا قال لأبيه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "**يا أبتاه، وقع في نفسي أنها النخلة، قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها كان أحبّ إليّ من كذا وكذا، قال: ما منعني إلاّ أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت**"[4].

والمعروف أنّ السؤال وجِّه لجميع الصحابة بما فيهم الصغار، مما يكشف عن حرص الإسلام على أن يربي أبناءه على الحرية في إبداء الرأي، وفي ذلك أيضا حُسن أدب ابن عمر وتوقيره لأكابر الصحابة الحاضرين.

---

[1] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ1، ط6، دار السلام للطباعة والنشر، 1938م، ص191.

[2] سورة المائدة، جزء من الآية 54.

[3] سورة الصف، الآية 4.

[4] صحيح البخاري، (باب ما جاء في أن الكبير يبدأ بالكلام)، رقم (6144)، جـ8، المصدر السابق، ص63.

كما ربّى الإسلام أطفال المسلمين على احترام الكبار كما ذكرنا من قبل في حديث: "**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا**"[1].

وعموما فقد حرص الإسلام على تنشئة أطفال المسلمين على مكارم الأخلاق ومعاليها وذلك إنطلاقا من قوله –صلى الله عليه وسلم–: "**إنّ خياركم أحاسنكم أخلاقاً**"[2].

فلنعلم أولادنا الإقدام دون الخوف مع الإحتشام والأدب.

ولننشئهم على الصراحة التامة، والجرأة الكاملة في حدود الأدب، ولنعلمهم الفرق بين الحياء والخجل "**إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء**"[3].

وينبغي علينا أن نحرر أولادنا من ظاهرة الخوف ونعلمهم الشجاعة، وذلك بإتباع القواعد التالية:

- عدم تخويفنا الأطفال بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة.
- عدم دلالنا المفرط للأطفال وقلقنا الزائد عليهم، وتحسسنا الشديد.
- عدم تربية أولادنا على العزلة والإنطواء.

ولكم في أبناء الصحابة الشجعان قدوة في:

- ولدي عفراء وتسابقهما في قتل أبي جهل في غزوة بدر.
- ودور عائشة وأسماء وعبد الله أبناء أبي بكر في الهجرة.
- سمرة ورافع وتدافعهما للمشاركة في غزوة أحد (رافع بن جذع وسمرة بن جندب) [4].

21) حق الطفل في حمايته من الجنوح والإنحراف:

لقد عمل الإسلام على تجفيف منابع الجنوح والإنحراف في محاولة منه للحفاظ على حقوق الأطفال، ويتأكد هذا المعنى بصورة واضحة إذا نظرنا إلى أسباب جنوح الأطفال وانحرافهم وكيف تعامل معها الإسلام.

فمن الأسباب المعروفة للإنحراف والجنوح لدى الأطفال:

أ- المشكلات الأسرية والإضطراب الأسري:

فكثيرا ما تتسبّب المشكلات الأسرية وحالات عدم الإستقرار في البيت في انحراف الأولاد وجنوحهم، ولقد عالج الإسلام هذا السبب معالجة ناجعة، وذلك بتجنبه في أول أمره، بأن أمر الزوجين

---

[1] سبق تخريج الحديث، في ص 121 من الرسالة

[2] صحيح مسلم بشرح النووي، (باب كثرة حيائه–صلى الله عليه وسلم)، مجلد8، جـ15، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص78.

[3] السندي، شرح سسن ابن ماجة القزويني، (باب الحياء)، جـ2، دار الجيل، بيروت، ص554

[4] حسني حمدان الدسوقي، مقالات في تربية الطفل، الرسول محمد "صلى لله عليه وسلم" قدوة للآباء في تربية الأبناء، مجلة رعاية وتنمية الطفولة، المجلد1، العدد1، مركز رعاية وتنمية الطفولة، جامعة المنصورة، 2003م، ص223.

بحُسن الإختيار عند الزواج كما أشرنا في حقوق الطفل قبل الولادة، وكذلك أمر الوالدين بحُسن المعاملة بعد الزواج وكل ذلك لتجفيف منابع الإنحراف والجنوح عند الأولاد[1].

ب- إنفصال الزوجين:

وقد يتسبب إنفصال الزوجين في إحداث خلل في نفسية الأولاد مما يساعد في كثير من الأحيان على الجنوح والإنحراف، ولذلك نظم الإسلام رعاية الطفل والأولاد في حالة انفصال الزوجين، فرتب حق الحضانة بشكل يتناسب وحاجيات الأولاد، وأوجب على الوالد النفقة على الأولاد، لكي يضمن لهم أسباب الحماية من الإنحراف، فقال تعالى: ﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾[2].

جـ- الفقر:

وقد يتسبب الفقر ومتطلبات الحياة تحت ضغط الظروف الصعبة في جنوح وانحراف كثير من الأطفال، ولقد واجَهَ الإسلام مشكلة الفقر على محاور عدة، منها التكافل الإجتماعي في مثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم-: "**من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، من كان له فضل مال فليعد به على من لا مال له**"[3]، وكذلك الزكاة وتعريفه -صلى الله عليه وسلم- إيّاها بأنها: "**صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**"[4].

وكذلك عالجه في محور الحث على العمل والإنتاج، فنجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرشد من جاء ليسأل الصدقة: "**إن المسألة لا تحلّ إلاّ لذي فقر مدقع أو عزم مفظع**"[5].

وقال له بعد أن يحصل ثمرة عمله: "**هذا خير لك من أن تأتي المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة**"[6].

د- الفراغ:

فالفراغ هو النعمة المغبون فيها كثير من الناس؛ ولذا أمر الشرع الشريف من لديه فراغ أن يقوم بشغله بما ينفع، وفي إنقاذ للطفل والأولاد من الجنوح والإنحراف، فقد جاء التوجيه العام من الشرع الشريف للأمة بأن تشغل فراغها بالعبادة فقال تعالى: ﴿**فإذا فرغت فانصب(٧) وإلى ربك فارغب (٨)**﴾[7].

---

(1) عادل محمد صالح أبو العلا، المرجع السابق، ص61.

(2) سورة البقرة، الآية 233.

(3) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، (باب استحباب المِاساة بفضول المال)، رقم(1728)، بيت الأفكار الدولية للنشر و التوزيع، 1421هـ/2000م، ص1113

(4) صحيح البخاري (باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وتردّ في الفقراء حيث كانوا)، رقم(1425)، جـ2، المصدر السابق، ص544.

(5) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، (باب من تحل له المسألة)، رقم(1044)، المصدر السابق، ص658

(6) سنن أبي داود، (باب ما تجوز فيه المسألة)، رقم(1641)، جـ2، المصدر السابق، ص123.

(7) سورة الشرح، الآية 7-8.

ووجّه الرسول –صلى الله عليه وسلم– الأمة أيضا إلى اغتنام فرصة فراغها في العبادة، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "**خذ من صحتك لسقمك، ومن فراغك لشغلك**"[1].

هـ– الخُلطة الفاسدة ورفاق السوء:

من العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى إنحراف الأولاد وجنوحهم رفاق السوء والخلطة الفاسدة، وخاصة إذا كان الطفل بليد الذكاء ضعيف الدين متميِّع الأخلاق، فسرعان ما يتأثر مثله بمصاحبة الأشرار ومرافقة الفُجّار، وسرعان ما يكتسب منهم أحط العادات وأقبح الأخلاق.

والإسلام بتعاليمه التربوية وجّه الآباء والمربّين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة.

وكذلك وجّه الشرع الشريف إلى خطورة رفقاء الشر وقرناء السوء والفساد، فقال تعالى: ﴿**الأخِلاّءُ يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين(٦٧)**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**ياويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا(٢٨) لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جاءني وكان الشّيطان للإنسان خذولا(٢٩)**﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿**قال قرينُهُ، ربّنا ما أطغَيتُهُ، ولكن كان في ضلال بعيد**﴾[4].

وقوله –صلى الله عليه وسلم–"**مثلُ الجليس الصالح والجليس السُّوء، كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يُحذيك، أو تشتري منه، أو تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، أو تجد منه ريحاً منتنة**"[5].

وبهذه المعالجات لأسباب الجنوح والإنحراف لدى الأولاد عالج الإسلام هذه المشكلة وجفّف منابعها.

22) حق الطفل في عدم إيذائه بالضرب:

إن الإسلام دين قائم على الرفق في كل تشريعاته؛ ولهذا حينما أراد أن يستخدم الضرب كوسيلة من وسائل الإرشاد إلى الخطأ كما ورد في حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**"[6].

ولكنه جعل الضرب يخضع لقاعدة الرفق في التشريع الإسلامي، حيث لم يقصد بالضرب تعذيب الولد أو الطفل على خطئه، بل القصد منه توجيهه وإرشاده؛ ولذا لابد أن يكون الضرب موصلا للرسالة

---

(1) أخرجه الحاكم، في المستدرك على الصحيحين، جـ4، المصدر السابق، ص306.

(2) سورة الزخرف، الآية 67.

(3) سورة الفرقان، الآية: 28–29.

(4) سورة ق، الآية: 27.

(5) صحيح البخاري، كتاب البيوع، (باب في العطّار وبيع المسك)، رقم(1995)، جـ2، المصدر السابق، ص741.

(6) سنن أبي داود، (باب متى يؤمر الغلام بالصلاة)، رقم(495)، جـ1، المصدر السابق، ص130.

المرجوة وهي تجنُّب الخطأ؛ ولذلك قيّد الضرب كوسيلة من وسائل الإرشاد إلى الخطأ بأن يكون غير مؤثِر في الأعضاء.

وألاّ يُكسر بهذا الضرب العظم، وأن يتجنّب الوجه، وقد جاءت السنة المطهرة بهذه الضوابط، ومنها ما ورد في هذه الأحاديث:

-ما رواه مسلم عن أبي مسعود أنه كان يضرب غلامه، فجعل يقول: أعوذ بالله. قال فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول الله. فتركه، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**والله لله أقدر عليك منك عليه**" **فقال: أعتقه**[1].

-ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**إذا ضرب أحدكم أخاه فليتجنب الوجه**"[2].

وكان هذا الإرشاد النبوي الضابط لإستخدام الضرب كوسيلة من وسائل الإرشاد إلى الخطأ لابد أن يُنظر إليه من خلال أن الإسلام عندما أقرّ الضرب أمر بالرفق في كلّ شيء، فقال الرسول–صلى الله عليه وسلم–:"**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[3].

ويجب على من يستخدم هذه الوسيلة أن يراعي أيضا أن هذه العقوبة تأتي في المرحلة الأخيرة من مراحل النصح والإرشاد إلى الخطأ بعد الوعظ والهجر، وهذا الترتيب يفيد أن المربي لا يجوز له أن يلجأ إلى الأشد كالضرب إذا كان يكفي الأخف كالوعظ والهجر؛ ليكون الضرب هو أقصى عقوبة على الإطلاق، ولا يجوز اللجوء إليها إلاّ بعد استنفاذ كل وسيلة للتقويم والإصلاح واليأس منها.. علما بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– ما ضرب إمرأة من نسائه قط، ولا غلاماً من غلمانه[4].

وكل هذا يبيّن لنا أن الضرب في الإسلام وسيلة للتحذير من الخطأ، وتلك الوسيلة لها ضوابطها التي تمنع أن يكون الضرب متسبّبا في إيذاء الأولاد أو الأطفال الذين تقع عليهم هذه العقوبة.

23) حق الطفل في أن تكون عقوبته تهذيبيّة:

الطفل إنسان له مشاعر وأحاسيس، يجب مراعاتها حتى أثناء عقابه على أخطائه؛ لأنّ العقوبة للطفل المقصد الأساسي فيها هو الإرشاد والتوجيه والتهذيب، وليس المقصود منها التشفّي ولا التعذيب؛ ولذا ينبغي عند معاقبة الأطفال مراعاة عدة أمور أهمهما:

---

[1] سنن الترمذي، الجامع الصحيح، (باب النهي عن ضرب الخدم و شتمهم)، رقم(1984)، جـ4، المصدر السابق، ص335

[2] صحيح مسلم، بشرح النووي، مجلد8، جـ16، المصدر السابق، ص165

[3] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (باب فضل الرفق)، رقم(2594)، جـ4، المصدر السابق، ص 2004.

[4] عادل صالح أبو العلا، المرجع السابق، ص70.

أولا: أن الرفق أو اللين بالطفل هو الأصل:

وهذا ما أشرنا إليه في تحدثنا عن الضرب في العنصر السابق، ولكن نؤكد على هذا المعنى بذكر ما رواه مسلم عن "أبي موسى الأشعري" أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بعثه "ومعاذا" إلى اليمن وقال لهما: "**يسّروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا**"[1].

ثانيا: يجب مراعاة طبيعية الطفل المخطئ في استعمال العقوبة:

لأن الأطفال يتفاوتون في درجة الإدراك والذكاء، وكذلك تختلف ميولهم، ولذا فبعض الأطفال تصلح معهم النظرة العابسة للزجر والإرشاد، وبعضهم يجتاج إلى كلمة جافة، وثالث لا يفيد معه إلاّ استعمال العصا.

وفي ذلك يقول الشاعر:

إنّ اللبيب من الإشارة يفهمُ

وسواه يدعى بالنداء العالي

وسواهما بالزجر من قبل العصا

ثم العصا هي رابح الأحوال

وهذا التناسب بين العقاب ونفسية وشخصية الطفل أشار إليه كثير من علماء المسلمين المهتمين بشؤون التربية من أمثال "ابن سينا" و"العبدري" و"ابن خلدون"، حيث ذكروا بأنه لا يجوز للمربّي أن يلجأ إلى العقوبة إلاّ عند الضرورة القصوى، وأن لا يلجأ إلى الضرب إلاّ بعد التهديد والوعيد وتوسّط الشفعاء؛ لإحداث الأثر المطلوب في إصلاح الطفل، وتكوينه النفسي والخلقي[2].

ثالثا: التدرج في العقوبة من الأخف للأشد:

وهذا التدرج الذي أشرنا إليه من قبل يعني أن هناك مراحل من المعالجة والتأديب يجب مراعاتها، وعدم اللجوء إلى وسيلة قبل المرور بالتي قبلها؛ لأنّ المربّي كالطبيب –كما يقول الإمام الغزالي– لايصلح أن يداوي كل المرضى بعلاج واحد، بل لا بد أن تتعدّد الأدوية بالنظر لطبيعة جسم كل مريض وحالته الصحية والمرضية.

ولذا فقد تنوعت وسائل الإرشاد والتهذيب تنوُّعاً واسعا، فنجد مثلا التوجيه بالكلمة المرشدة، وذلك ما فعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع الغلام الذي كانت يده تطيش في الصحفة، فقال له –صلى الله عليه وسلم–: "**لا يا غلام، سمّ الله وكل مما يليك**"[3].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب يسروا و لا تعسروا)، رقم(5774)، جـ5، المصدر السابق، ص2269، وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، (باب في الأمر بالتيسير و ترك التنفير)، رقم(1734)، جـ3، ص1359.

[2] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ2، المرجع السابق، ص564.

[3] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، (باب التسمية على الطعام و الأكل باليمين)، رقم(5061)، جـ5، المصدر السابق، ص2056.

وكذلك وجّه النبي –صلى الله عليه وسلم– بالفعل اللطيف اليسير، وهذا ما فعله مع "الفضل بن العباس" –رضي الله عنهما– عندما كان "رديف"[1] رسول الله –صلى الله عليه وسلم في الحج، فجاءت إمرأة من "خثعم"[2]، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر.

24) حق الطفل في عدم تحميله ما لا يطيق وعدم استغلاله:

إن الإسلام عندما نظر إلى الطفل نظر إليه نظرةً راعى فيها طاقته التي لا تزال في طوْر النّشأة واحتياجه الشديد للغير؛ ولذا أوجب على الوالدين رعاية الأطفال لما يتّصفون به من ضعف واحتياج لمعاونة وإرشاد الآخرين.

وقد كان الشرع الشريف إذ ينطلق من هذه النظرة المدركة لحقيقة الطفل يراعي في كل تشريعاته الرفق والرحمة والعطف والحنان على الطفل، وقد نهى الشرع الشريف لأجل هذا عن تحميل الطفل ما لا يُطيق، ويظهر هذا بوضوح في قوله تعالى: ﴿**فأمّا اليتيم فلا تقهر**﴾[3].

فقد نهت هذه الآية عن قهر اليتيم، وذلك بتحميله ما لا يطيق من أي شيء، فنهى الشّرع عن كل صور القهر، حتى وصل العطف على الطفل إلى أن يجعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من حق الطفل أن يقبّله ويعطف عليه ويكون من لا يفعل ذلك قد نزع الله الرحمة من قلبه، كما سبق أن ذكرناه من كلامه –صلى الله عليه وسلم–.

وبهذا قد أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المؤمنين أن يساعدوا خدّامهم فيما يكلّفونهم له من أعمال، وهذا من رحمة الإسلام التي تقتضي عدم التكليف بما فوق الطاقة، ولا شك أنّه إذا كان الشرع أمر بإعانة العبد إذا كلّفْناه، فهو من باب أولى يحرص على عدم تحميل الأولاد والأطفال فلذات الأكباد ما لا يُطيقون ويحضُّ ويدعو إلى إعانتهم إذا كلفناهم بشيء، أو عمل ما.

ولقد كان من رحمة التشريع الإسلامي أيضا عدم تكليف العباد بما لا يطيقون فقال تعالى: ﴿**لا يُكلّف الله نفسا إلا وُسعها**﴾[4].

وبهذا يمكننا أن نقول: إن الإسلام لا يكلّف الأطفال مالا يطيقون، بل لقد رفع التكليف كلية عن الصبي حتى يبلغ.

---

[1] الرديف، جمع رِداف ورُدفاء: الراكب خلف الراكب، انظر المنجد في اللغة والأعلام، ط36، طبعة منقحة ومزيد عليها، دار المشرق، بيروت، 1997م، ص256.

[2] خثعَم، قبيلة عربية قَحطانية. كان معبودهم في الجاهلية ذو الخلصة، انظر، المنجد في اللغة والأعلام، المرجع نفسه، ص299.

[3] سورة الضحى، الآية 09.

[4] سورة البقرة، الآية 286.

25) حق الطفل في عدم استغلاله جنسيا:

لقد وقف الإسلام ضدّ الممارسات الجنسية المنحرفة وقفة جادة صارمة أراد من خلالها أن يحفظ للطفولة كرامتها وبراءتها التي يسلبها الإستغلال الجنسي الذي لا يدل على أدنى معاني الكرامة الإنسانية لدى المتجرئ عليه، حيث يصبح الطفل بفعل هذا الإستغلال كآلة أو لعبة يلعب بها أناس نُزعت من قلوبهم الرحمة والعِّفة وفقدوا الحياء.

والإسلام وقف ضدّ كل ما يُخِلُّ بكرامة الإنسان سواءٌ أكان طفلا أم غيره وقفةً شرع فيها حدود التعدي على الأعراض والتعزيزات في خدش الحياء العام والخاص، فقال تعالى: ﴿**قل إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾[1].

ولذا عمل الإسلام على حفظ وحماية حق الطفل والطفولة ضدّ كل ما يساعد على الإنحرافات الأخلاقية والجنسية، فمهّد له طريق العفة والحياء من أول إدراكه لمعنى الحياة، فأمر الوالدين بالتفريق بين الأطفال في المضاجع، وأمر الأطفال بالاستئذان عند الدخول على الوالدين والأهل لكي يُجنّب الأطفال مفسدة الإطّلاع على العورات في مثل هذه السن المبكرة.

فديننا الإسلام يمنع من ارتكاب الفواحش بعامة ويجرّم فعلها، ثم يأتي ويزيد الإحتراز في حق الأطفال فيأمرهم بالاستئذان ومفارقة أمثالهم من الأطفال في أماكن النوم.

ولا شك أن الإسلام وهو يحيط الأطفال بهذه الرعاية التامة فإنه يمنع منعاً قطعيّاً استغلالهم جنسيا أومنحرفا[2].

ولقد التقى التشريع الإسلامي في هذا مع الإتفاقية الدولية لحقوق الطفل، وذلك في مادتها رقم (34) التي تنص على منع استغلال الطفل في جميع أشكال الإستغلال الجنسي والانتهاك الجسمي[3].

ثالثا : حقوق الاطفال اليتامى في الرعاية الكاملة.

حق الأطفال اليتامى في الحياة الكريمة أسوة بنظرائهم حق إسلامي أصيل، فلقد أوصانا الإسلام الحنيف برعاية اليتامى والاهتمام بهم أشد الاهتمام، لأنهم في حاجة إلى رعاية وعطف وحنان، وقد حرموا من ذلك بوفاة الأب وهذا هو اليتيم، أمّا من فَقَدَ الأم فيسمى لطيما، كما اليتيم عموما هو المتفرد من الكائنات وهو من افتقد أبويه أو والده في سن تبدأ من الميلاد وتنتهي عند بلوغ الذكر أشده، سواء كان ببلوغ سن الزواج أو فوقه، أو بالزواج للأنثى[4]، فالاهتمام الإسلامي بحقوق الطفل اليتيم اهتمام واسع جدّا، ولم لا..؟؟ فلقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يتيما فقد والده قبل مولده وهو جنين في بطن

---

[1] سورة الأعراف، الآية 33.

[2] عادل محمد صالح أبو العلا، المرجع السابق، ص75.

[3] المرجع نفسه، ص75.

[4] لطفي محمود عبد الحليم، حقوق الإنسان بين إعلان الأمم المتحدة والقرآن، المصباح للنشر والترجمة، القاهرة، 1992، ص202.

أمه وفقد أمه في سن السادسة وفقد جدّه بعد ذلك، ولذلك فلقد رباه خالقه وامتن الله عليه بذلك بأنه كان يتيما فأواه، وأمره ألاّ يقهر اليتيم، وبالتالي لا يقهر مسلماً يتيما أبداً[1]، وقال الله تعالى: ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى، ووجد ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث**﴾[2]، ولماّ كان فقد اليتيم بليغا في نفسه لعوزه للتربية طوال مرحلة يُتمِه، عناية وغذاءً وإرواءً نفسيا وروحيا ومعنونيا وإيواءً وتعليماً، وبليغاً في تأثيره على المجتمع إن هو عانى من يتمه، مما يُرسب في نفسه نوازع الشر لبراءته من أي ذنب يستحق عليه المعاناة، فقد احتسب القرآن هذه الحالة خاصة إنصافاً ورحمةً باليتيم وحماية للمجتمع من ردّ الفعل[3]، فأوصانا الله خيراً بمال اليتيم بحيث نستثمره لهم، ونقوم على تنميته ورعاية شؤونهم، فقال الحق سبحانه: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده...**﴾[4]، وقول الحق: ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطّيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا**﴾[5]، بل دعانا إلى إطعام اليتيم بحب وحنان، قال تعالى: ﴿**ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾[6]، ونستخلص من الآيات القرآنية الخاصة باليتامى الحقوق التالية لليتيم[7]:

يُخوّل لليتامى معاملة خاصة، فلا يحق للأوصياء عليهم أكل شيء من أموالهم المورثة المؤتمن عليها، إلاّ بما يقابل ولاية شأنهم إن كان هؤلاء الأوصياء فقراء، فإذا بلغوا سن الزواج ورأى الأوصياء فيهم النضج الفكري فتُدفع لليتامى أموالهم، وإن كان اليتامى إناثًا وأراد الأوصياء الزواج بهن فتُوفى لهنّ مُهُورَهُن، وعموما يتولى شؤون اليتامى بالقسط، ويجب الإنفاق على اليتامى إلى حد الإكرام، سواء من الزكاة أو صدقات التطوع ومال الغنائم، وذلك في المرتبة الثانية مباشرة بعد ذوي القربى، ويشمل الإنفاق إيوائهم بإتخاذهم إخوانا في الدين أو بالمأوى المستقل، ويجب الإحسان إليهم بالفعل والقول أو على الأقل عدم التجبر عليهم أو معاملتهم بفظاظة، وينبغي الإصلاح لشؤونهم ومخالطتهم اجتماعيا، فالمعاملة الطّيبة واجبة لكل يتيم على كل المسلمين، والمحافظة على حقوقهم واجب أيضا على الجميع..[8].

---

[1] هدى قناوي ومحمد محمد علي قريش، حقوق الطفل بين المنظور الإسلامي والمواثيق الدولية، جـ1، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998، ص71-73.

[2] سورة الضحى، الآياتان 6-11.

[3] لطفي محمود عبد الحليم، المرجع السابق، ص203.

[4] سورة الأنعام، الآية 152.

[5] سورة النساء، الآية 2.

[6] سورة الإنسان، الآية 8.

[7] إسماعيل أمين الحاج نواهضة، الرؤية الإسلامية لحقوق الإنسان، في المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: مستقبل الأمة الإسلامية، من 9-12 مايو 2003م، القاهرة، الهيئة العامة للإستعلامات والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 2003م، ص365-366.

[8] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الطفولة والمستقبل، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2005م، ص127.

ورغبنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالعناية باليتيم، وبكفالة اليتيم، والاهتمام بشؤونه، وبالمسح على رأسه، وبمراعاته والإنفاق عليه، وأن خير البيوت بيت فيه يتيم يُحسن إليه، والعكس بالعكس، ففي حديث شريف قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**أنا وكافِلُ اليتيم في الجنّة هكذا و أشار بالسّبابة والوُسطى وفرّج بينهما شيئا**"[1].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه و سلم– أنه قال: "**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه**"[2].

كما روي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**إجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن، قال: الشّرك بالله، والسّحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم، والتّولي يوم الزحف، وقذف المُحصنات المؤمنات الغافلات**"[3]، هذا ولا ينقطع عن اليتيم إسمُ اليُتْمِ حتى يبلغ ويُؤنس منه رشد، وعن سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس قال: "لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه**﴾[4]، و﴿**إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما**﴾[5] قال إجتنب النّاس مال اليتيم وطعامه فشقّ ذلك على المسلمين فشكوا ذلك إلى النّبي –صلى الله عليه وسلم– فأنزل الله ﴿**ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير**﴾[6] إلى قوله: ﴿**إنّ الله عزيز حليم**﴾، وعن أبي هُريرة أن رجلا شكا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قسوة قلبه فقال له: "**إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**"[7]، وعن "السّائب بن عبد الله" قال جيئ بي إلى النّبي –صلى الله عليه وسلم– يوم فتح مكة جاء بي "عثمان بن عفان" "وزهير" فجعلوا يثنون عليه فقال لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**لاتُعلموني به قد كان صاحبي في الجاهلية، قال: نعم يا رسول الله فنِعم الصاحب كُنتَ، قال، فقال: يا سائب أنظُر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية فاجعلها في الإسلام أقْر الضيف وأكرم اليتيم وأحسن إلى جارك**"[8].

ونكتفي بهذه الأحاديث النبوية الشريفة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– والتي تعطي لليتيم واليتيمة كافة حقوقهما الشرعية والاقتصادية والانسانية وتُعلي من شأنهما، فالإسلام لم ينس الطفل اليتيم وشدّد على الاهتمام به وإعانته على التربية السليمة القويمة، وهذه حقوق لليتيم (سواء ذكر أو أنثى)

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب فضل من يعول يتيما)، رقم(5659)، جـ5، المصدر السابق، ص2237.

(2) السندي، شرح سنن ابن ماجة القزويني، جـ2، المصدر السابق، ص393.

(3) سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، (باب حق اليتيم)، رقم(3679)، جـ2، المصدر السابق، ص1213.

(4) سورة الأنعام، الآية 151– 152.

(5) سورة النساء، جزء من الآية 09.

(6) سورة البقرة، جزء من الآية 220.

(7) رواه أحمد في مسنده، رقم(7260)، جـ2، ط1، المصدر السابق، ص318.

(8) المصدر نفسه، رقم (14506)، ص519.

وليست هبات من الأفراد ولم يأت بها قانون دولي ولم تأت في ميثاق لحقوق الطفل، وإنّما اختص بها الإسلام لأنه شريعة سماوية متكاملة للدين والدنيا وللعقيدة والحياة، فبالرغم من الاهتمام العالمي لحقوق الإنسان برعاية حقوق الطفل في صيغة عامة، حيث نص في الفقرة الثانية من المادة الخامسة والعشرين على حق الطفولة في المساعدة والرعاية الخاصة، وعلى تمتع كل الأطفال بقدر متساو من الحماية الاجتماعية، وهو نفس الاهتمام الذي أعطاه الإسلام للطفولة أيضا، إلاّ أن الإسلام قد تميّز بإعطاء عناية خاصة لليتامى، حيث حرص، كما رأينا على التوصية بالاهتمام بهم ورعايتهم وحفظ حقوقهم وعدم الإعتداء على أموالهم والإحسان إليهم بكل وسائل الإحسان[1].

وهكذا فإن التربية الإسلامية تدرك أن الطفل اليتيم أحوج الأطفال إلى التقبل، وأكثرهم حاجة إلى الإنتماء إلى أناس يحبهم ويحبونه، ويظهرون نحوه مشاعر المودة، ويتواصلون معه، ويبعدون بسلوكهم الطّيب معه كل مشاعر الإهمال والحرمان وعدم الأمان، وفي هذا الصدد يقول القرآن في شأن معاملة اليتيم: ﴿**وأما اليتيم فلا تقهر**﴾[2].

ويندد القرآن الكريم بمن يسيء إلى هذا اليتيم: ﴿**كلا بل لا تكرمون اليتيم**﴾[3]

وتؤكد التربية الإسلامية أهمية أن يتربى اليتيم في بيئة تُهيئ له ظروف النمو السليم، وتتقبله وتبعد عنه كل ما يهدر حياته من مشاعر النبذ والإضطهاد، يقول تعالى: ﴿**يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير، وإن تخالطوهم فإخوانكم**﴾[4].

ولعل في قوله تعالى: ﴿**إصلاح لهم خير**﴾ إشباعا لحاجة اليتيم إلى الأمن والحماية والرعاية والعطف والقبول والتقدير وغيرها، فذلك كله إصلاح له، ثم أي معنى لحرص التربية الإسلامية على إشباع حاجة الطفل اليتيم للتقبل والحب أوفى من قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن فيه إليه، وشر بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء فيه إليه، وأنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، يُشير بأصبعيه**"[5].

ولقد وعى المسلمون الأوائل هذه المعاني جميعا، فكانوا لليتامى من الأطفال آباء، يتوحدون معهم، ويقدمون لهم ما يحتاجونه من الحماية والرعاية والعطف. روى الإمام البخاري عن "أبي عبيد" قوله: "قلت لابن سرين عندي يتيم، قال اصنع به ما تصنع بولدك"[6].

---

[1] إسماعيل أمين الحاج نواهضة، المرجع السابق، ص131.

[2] سورة الضحى، الآية 09.

[3] سورة الفجر، الآية 17.

[4] سورة البقرة، الآية 220.

[5] سبق تخريج الحديث، ص 133 من الرسالة.

[6] صحيح البخاري، الأدب المفرد، جـ8، المصدر السابق، ص48.

رابعا: حقوق اللقيط في الإسلام

تعريفه: اللقيط هو الطفل غير البالغ الذي يوجد في الشارع أو ضال الطريق ولا يعرف نسبه[1].

حكم التقاطه:

والتقاطه فرض من فروض الكفاية كغيره من كل شيء ضائع لا كافل له لأن في تركه ضياعه. ويحكم بإسلامه متى وجد في بلاد المسلمين[2].

من الأولى باللقيط:

والذي يجده هو الأولى بحضانته إذا كان حُرّا عدلاً أميناً رشيداً، وعليه أن يقوم بتربيته وتعليمه.

روى "سعيد بن منصور" في سننه أن "سُنين بن جميلة" قال: وجدت ملقوطا فأتيت به "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه– فقال: عريفي يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح. فقال "عمر": أكذلك هو؟ قال: نعم. قال: إذهب به، وهو حر ولك ولاؤه[3]، وعلينا نفقته، وفي لفظ: وعلينا رضاعه. فإنه كان في يد فاسق أو مبذر أخذ منه وتولى الحاكم أمر تربيته.

النفقة عليه:

وينفق عليه من ماله إن وجد معه مال، فإن لم يوجد معه مال، فنفقته من بيت المال لأن بيت المال مُعد لحوائج المسلمين، فإن لم يتيسر فعلى من علم بحاله أن ينفق عليه، لأن ذلك إنقاذ له من الهلاك ولا يرجع على بيت المال إلاّ إذا كان القاضي أذِن له بالنفقة عليه، فإن لم يكن أذن له كانت نفقته تبرعا[4].

ميراث اللقيط:

وإذا مات اللقيط وترك ميراثا ولم يُخلف وارثا كان ميراثه لبيت المال، وكذلك ديته تكون لبيت المال إذا قُتل، وليس لملتقطه حق ميراثه[5].

وموقف التربية الإسلامية من الطفل اللقيط الذي لا أسرة له هو نفس موقفها من الطفل اليتيم، من حيث حاجة الطفل اللقيط إلى التقبل والحب، ودفع الظلم والقسوة والإهمال عنه.

وبهذا ترى التربية الإسلامية أنه واجب المجتمع كله تقبل اللقيط وحمايته، وتأمين مصيره، فما ذنب اللقيط وهو ضحية نزوة لبعض أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿**فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين**﴾[6]

---

[1] السيد سابق، فقه السنة، المجلد3، ج3، ط1، المرجع السابق، ص240.

[2] المرجع نفسه، ص240.

[3] ولك ولاؤه: أي ولايته وحضانته، المرجع نفسه، ص240.

[4] السيد سابق، فقه السنة، المجلد 3، ج3، ط1، المرجع السابق، ص240.

[5] المرجع نفسه، ص240.

[6] سورة الأحزاب، الآية 05.

حيث السقطة التي يقع فيها الزانيان ينبغي ألاّ يؤخذ بجريرتها الطفل الذي يولد، فإنه في حاجة إلى أن تنمو خبراته وتتشكل شخصيته متمتعة بالاستقرار ككل طفل شرعي في المجتمع، ولذا أعطى الإسلام الطفل اللقيط ما أعطى الطفل الشرعي من حقوق في التربية والرعاية والتوجيه، وتضمنت تعاليم الإسلام وتشريعاته هذه الحقوق، حتى لا يشعر بالإهمال، ولا يعاني آلام الصراع والنبذ والقلق والخوف والاضطراب، ولا يساء في النهاية تقديمه للمجتمع.

فلقد حمل رجل لقيطا إلى الخليفة الراشد "عمر بن الخطاب" فقال عمر –رضي الله عنه–: "إذهب به فهو حرٌ، وعلينا نفقته، وولاؤه للمسلمين يرثونه ويتعلون عنه"[1]، وكان –رضي الله عنه– إذا أتى باللقيط فرض له من بيت المال، وفرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه، ثم ينقله من سنة إلى سنة، وكان يوصي بهم خيرا، ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال"[2].

خامسا: حقوق المعاقين في الإسلام:

تعريف الإعاقة، كما جاءت في برنامج العمل العالمي المتعلق بالمعاقين، أنّ الإعاقة أو العوق هي: فقدان الفرد القدرة كلها أو بعضها، على الحصول على فرص المشاركة في حياة المجتمع، على قدم المساواة مع الآخرين، ممن هُم في مثل سنه وجنسه وظروفه الاجتماعية والاقتصادية، بسبب وجود عاهة أو عجز....(فالعاهة هي نقص أو خلل نفسي أو وظيفي أو تشريحي مؤقت أو دائم، والعجز هو تحديد أو نقص أو قصور ففي قدرات الفرد على تأدية نشاط ما بصورة طبيعية) [3]، فهؤلاء المعاقين، قد يكونون معاقين وعاجزين في الجانب العقلي أو الجسدي أو اللغوي أو الإنفعالي أو الإجتماعي أو الحركي، وقد يجمع المعاق –وغالبا ما يجمع– بين هذه الجوانب في آن واحد[4]، فمن فئات المعاقين المعاق سمعيّا، وبالتالي الأصم الأبكم، والمعاق بصريّا، والمعاق بالعجز الجسماني، والمعاق بتخلف عقلي، والمضطرب نفسياً، وغيرهم من المعاقين بإصابات مختلفة مؤقتة أو دائمة[5].

والمعاقين في الإسلام يلقون عناية خاصة، تؤكد حقهم الإنساني في العيش والحياة جنباً إلى جنب مع الأصحاء، وأعطى الإسلام حقوقا عديدة إضافية للمعاقين تعينهم وتساعدهم على مواجهة مشاكل

---

[1] ابن قدامة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي و عبد الفتاح محمد الحلو، جـ2، ط2، مطبعة القاهرة، مطبعة عالم الكتب، بيروت، 1401هـ/1989م، ص112، الإمام مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، جـ2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة، 1370هـ/1951م، ص118.

[2] البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر)، فتوح البلدان ،تحقيق، صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص252 وانظر ابن الهمام، فتح القدير، جـ6، ط1، طبعة مصطفى الحلبي، 1389هـ/1970م، ص110.

[3] إسماعيل عبد الفتاح، الذكاء وتنميته لدى أطفالنا، ط3، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002م، ص6.

[4] فايز فرح، عباقرة هزموا اليأس، ط2، دار الثقافة، القاهرة 1989، ص43-44.

[5] إسماعيل عبد الفتاح، التنمية الفكرية والثقافية لذوي الإحتياجات الخاصة، الدار الثقافية للنشر،القاهرة، 2004م، ص43-44

الحياة وتحدياتها؛ ولذلك نجد أن نظرة الإسلام إلى المعاق نظرة إنسانية شاملة، وذلك من عدة جوانب ومنها[1]:

-حق المعاق في المساواة بغيره ليحيا حياة كريمة، فلا يُفضّلُ عليه أحد مهما كان مركزه الإجتماعي، فلا يفضل غنيّا على فقير ولا قويّا على ضعيف، وإنّما على الشخص أن يقيم التوازن بين الجميع، ولك أن تقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**عبس وتولى(١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يدريك لعله يزّكّى (٣) أو يذّكّر فتنفعه الذّكرى**﴾[2]، ويقول المفسرون عن هذه الآيات وما بعدها أن سبب نزولها أن سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– اهتم بالحديث إلى الأغنياء، وترك عبد الله بن أم مكتوم، وهو كفيف، فنزلت هذه الآيات، لِتلفت النظر أن هذا الأعمى خيرٌ عند الله و أحسن مكانة من هؤلاء الأغنياء، الذين استغنوا عن الله بأموالهم وحسبهم، أمّا هذا الأعمى فهو جاءك يسعى ليُحصّل الخير، فهو أولى منهم وأحق بحسن الاستقبال.

-التخفيف عن المعاقين في الالتزامات الشرعية بقدر طاقاتهم، يقول الله عز وجل: ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يُدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولّ يعذّبه عذابا أليما**﴾ [3].

إنّ كل إنسان مطالب بالعمل في حدود طاقته، وفي حدود قدرته وإمكانيته قال تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾[4]، وروى عن الْمِقدام وضي الله عنه –عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**ما أكل أحد طعاما قطُّ خيرا من أن يأكل من عمل يده وإنّ نبيّ الله داود عليه السّلام كان يأكل من عمل يده**"[5].

ومن هنا كان العدل مطلوبا في كل شيء، والعدل للمعاق من باب أولى لكي تسود علاقات التعاون والتكامل والحب والرحمة، ولم يدع الإسلام المعاقين للتسول، والعيش عالة على غيرهم، بل دعاهم لتلمس أسباب الحياة بالعلم والعمل والكسب الشريف في حدود طاقاتهم، كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه "الزُّبير بن العوام" –رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–

---

[1] إسماعيل عبد الفتاح، التنمية الفكرية والثقافية لذوي الإحتياجات الخاصة، المرجع السابق، ص50–51، وانظر أيضا ديفيد درنر، رعاية الأطفال المعوقين، ترجمة عفيف الرزاز، ورشة الموارد العربية للرعاية الصحية وتنمية المجتمع، لبنان، 1992م، ص99.

[2] سورة عبس، الآيات 1– 4.

[3] سورة الفتح، الآية 17.

[4] سورة البقرة، جزء من الآية 286.

[5] صحيح البخاري، (باب كسب الرجل و عمله بيده)، رقم (1966)، المصدر السابق، ص730.

"لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيجيئ بحُزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بثمنها خير له من أن يسأل النّاس أعطوه أو منعوه"[1].

ولما كان المعاقون ضعفاء بلا ذنب جنوه، فإن الإسلام لا يحرمهم من أجورهم على ضعفهم، ففي حديث لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– بيان شافٍ ووافٍ، فقد روي عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف وفي كلّ خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإنّ لو تفتح عمل الشيطان**"[2].

أي أن هناك خيرا في المؤمن الضعيف إذا عمل على قدر طاقته، وحاول التعلم واستعمل العقل واجتهد في اكتساب المعرفة والعلم وحاول العمل بما علم، بل دعانا الإسلام بكل رحابة إلى تجنب الأسباب التي تؤدي للإعاقة مثل الحوادث والمهلكات وغيرها، لقول الله تعالى: ﴿**وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكة وأحسنوا إنّ الله يحبُّ المحسنين**﴾[3]، فالوقاية خير من العلاج، ولذلك أمرنا الإسلام بالوقاية من الأمراض والحوادث وغيرها والتي تؤدي إلى الإعاقة، بل وأمرنا أن ندفع الشرور ونتلافى أضرارها.

ولكن إذا ما أصيب الطفل أو الشاب أو الرجل أو المرأة بالإعاقة، ففي هذه الحالة تتقرر له حقوق كبيرة في المجتمع، أهمها التعاون والتكافل ومساعدته على مواجهة الحياة وتيسير الأمر له، حتى ينال قسطا من التعليم،وتوفير فرص العمل المناسبة لحالته، وذلك من باب التعاون، بل أمرنا الله أن نشعر بشعور هؤلاء المعاقين،ونقدم لهم يد العون، قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾[4].

ويُلفت الله نظر أفراد المجتمع إلى أن الإعاقة نوع من البلاء يجب الصبر عليه، ويجب العمل على تجاوز المحنة ومواجهة الحياة بقلب مسلم قوي وعقيدة قوية وعزيمة أكيدة، وذلك مصداقا لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي روي عن "عبد الرحمان بن أبي ليلى" عن "صهيب" قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "**عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير وليس ذاك لأحد إلاّ للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له**"[5].

---

[1] صحيح البخاري، (باب بيع الحطب و الكلإ) رقم(2244)، جـ2، المصدر السابق، ص836، وسنن ابن ماجة، (باب كراهية المسألة)، جـ1، ص563.

[2] صحيح مسلم، (باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله)، المصدر السابق، ص461.

[3] سورة البقرة، الآية 195.

[4] سورة المائدة، الآية 2.

[5] صحيح مسلم، (باب المؤمن أمره كله خير) جـ2، المصدر السابق، ص596.

ويضرب لنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مثلا عن هذا الإبتلاء عن إصابة العيون بالعمى أو بضعف النظر، فأوصانا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالصبر لنحصل على المكافأة الجزيلة في حالة فقدان نعمة البصر؛ لأن للمصاب أجْراً عظيماً عند الصبر والرضا، فقد رويَّ عن "أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ" – رضي الله عنه– قال: سمعت النبي –صلى الله عليه و سلم– يقول: "**إن الله قال إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنة– يريد عينيه**"[1].

وطالبنا الإسلام بتوفير فرص العمل المناسبة للمعاقين في نطاق التقدير ومساعدتهم على البلاء، ويشمل ذلك توفير التعليم والتدريب المناسب لهم، وتوفير أدوات العمل والتدريب والتعليم والكُتب المناسبة لكل حالة، وذلك حتى يصبح المعاقون طاقة غير مُهْدرة وطاقة يستفيد منها المجتمع، ويكتسب المعاق رزقه، فيفيد نفسه وأسرته والمجمتع بأسره؛ وذلك لأن الله يعين العبد إذا استعان بالله واجتهد وقوى نفسه وساعدها على ذلك، بالحركة قدر جهده، وخطَّطَ لنفسه، ولم يركن للكسل والخمول، وهو يعلل ويقنع نفسه بأنه مُعاق، بل هو يتخطى ويتجاوز الإعاقة ويقوّي صلته بالله وكلّه ثقة بنفسه أنه يستطيع أن يتكيف مع هذه الإعاقة، وإن تخاذل وتباطأ فإن الله سيسأله عن قوته وقدرته وعمره وعمله[2] مصداقا لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي روى عن "أبي بَرْزة الأسلمي" قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه**"[3].

-ودعا الإسلام المعاقين أنفسهم إلى الصبر وتجاوز المحن وتكييف أوضاعهم مع الحياة والإيمان، لأن الإعاقة هي محنة في داخلها رحمة، ومنحة ربانية للاختبار النفسي وللصبر بعد ذلك، ونلتمس ذلك من حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي يقول فيه: "**إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبّره حتى يُبلِغَهُ المنزلة التي سبقت له منه**"[4]، فمن حكمة الله أن يبتلي بعض عباده في أبدانهم، وجعل جزاء من يصبر على هذا البلاء جزاءً عظيماً، فالصبر على البلاء والمصائب مثل زوال الصحة بالمرض ونقصان الأعضاء من أعلى مقامات الصّبر، وهذا الابتلاء دليل على حبّ الله سبحانه وتعالى لعبده.

---

[1] سنن الترمذي، الجاع الصحيح، كتاب الزهد، (باب ماجاء في ذهاب البصر)، رقم(2401)، جـ4، المصدر السابق، ص603، وانظر صحيح البخاري، كتاب المرضى، (باب فضل من ذهب بصره)، رقم(5329) جـ5، المصدر السابق، ص2140.

[2] منصور الرفاعي عبيد، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، حقوق....، المرجع السابق، ص85.

[3] سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، (باب في القيامة) رقم(2416)، جـ4، المصدر السابق، ص612

[4] رواه أحمد في مسنده، رقم (22392)، مجلد5، ص272، وأبو داود، كتاب الجنائز، (باب الأمراض المكفرة للذنوب)، رقم(3090)، مجلد3، ص183.

ففي الحديث الشريف يقول –صلى الله عليه وسلم–: "**إنّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده قال أبو داود زاد ابن نفيل ثم صبّره على ذلك ثم اتّفقا حتى يُبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى**"[1].

-تلك كانت بعض الحقوق الواسعة التي قرّرها الإسلام من خلال القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشريفة للمعاقين، وهي حقوق متكاملة وحيوية، تُدمِجُ المعاقين في مجتمعاتهم، ولا تجعلهم عالة على أحد، وتُؤمّنُ لهم معيشة كريمة، وكافة الحقوق على الأسوياء، وتعطيهم الحق في مراعاة ظروفهم من جانب أفراد المجتمع، والأخذ بيدهم ومساعدتهم على القيام بواجباتهم الدينية والدنيوية، ويُنبه الإسلام أن على كل إنسان أن يأخذ حذره ويبتعد أو يتجنب أي شيء قد يُحدث له إعاقة، لأن الوقاية خير من العلاج، فإذا ما أصيبَ الإنسان صبَر، فإن الإسلام يؤجر المعاقين جزيل الأجر وعظيم الثواب في الدنيا والآخرة، ولكن الوضع الدولي يعطي للمعاقين اليوم بعض حقوقهم وليس كل ما قرره الإسلام، الذي مَنَحَ المعاقين أكثر مما أعطتهم الحقوق الوضعية، وأنظر مثلا إلى الإعلان الخاص بحقوق الأشخاص المتخلفين عقليا والذي تبنّتْهُ الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها 2856 لعام 1971م، والذي نصَّ على أن للشخص المتخلف عقليا بأقصى درجة يمكن تحقيقها عملا بنفس الحقوق للكائنات الإنسانية الأخرى. وهناك الإعلان العالمي الخاص بحقوق المعوقين والذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة قي قرارها 3447 لعام 1975م، والذي ينص على تكافؤ الفرص للمعاقين، وكذلك مبادئ حماية الأشخاص المصابين بمرض عقلي وتحسين العناية بالصحة العقلية والذي تبنَّتْهُ الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها 119/46 لسنة 1991م[2].

وهذه الحقوق القليلة التي منحتها المواثيق الدولية لهم نجد أنها بالنسبة للمعاقين لا ترقى إلى الحماية الشاملة والحقوق الواسعة لهم في المنهج الإسلامي المتكامل، الذي أضفى على المعاقين كل الرعاية وكَفَلَهُم كفالة شاملة، لأن التساؤلات تدور حول: عدم اهتمام القوانين الوضعية الإنسانية الدولية بباقي فئات المعاقين غير حالات التخلف العقلي؟، وما هي الضمانات الدولية لإعطاء هؤلاء المعاقين حقوقهم؟... وغير ذلك من الأسئلة التي تؤكد على القصور الإنساني الدولي لحقوق المعاقين.

سادسا: حقوق الأطفال العرب:

وهذه مجموعة من الحقوق التي يعيش أطفال العالم في ظلها اليوم، فهل قدّم الإسلام إلاّ حقوقا أكثر اتساعا من هذه الحقوق، لقد قدم الإسلام حقوقا للطفل قبل أن يولد وهو في بطن أمّه وحقوقا متنوعة متكاملة أضعاف ما في الإتفاقية الدولية لحقوق الطفل من حقوق لأطفال العالم، ويجدر بنا هنا أن نستعرض بعض حقوق الأطفال العرب الآن.. الذي يطبق ويجسد أغلب وليس كل الحقوق الإسلامية

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الجنائز،(باب الأمراض المكفّرة للذنوب)، رقم(3092)، أنظر، جـ2، المصدر السابق، ص538.

[2] أحمد أبو الوفا، الحماية الدولية لحقوق الإنسان، في إطار منظمة الأمم المتحدة والوكالات الدولية المتخصصة، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 200م، ص69-70.

الواسعة للطفل، كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكما أعلنها وزراء الشؤون الاجتماعية في الوطن العربي من خلال ميثاق حقوق الطفل العربي..

ففي مجال حقوق الطفل العربي: أقر مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية العرب ميثاق حقوق الطفل العربي في ديسمبر 1984م انطلاقا من عقيدة الإسلام والحضارات العربية الإسلامية، وتضمن الحقوق الأساسية للطفل الآتية[1].

- تأكيد وكفالة حق الطفل في الرعاية والتنشئة الأسرية القائمة على الإستمرار الأسري ومشاعر التعاطف والدفء والتقبل.
- تأكيد حق الطفل في الأمن الإجتماعي والنشأة في صحة وعافية قائمة على العناية الصحية والوقاية العلاجية.
- تأكيد وكفالة حق الطفل في أن يعرف بإسم وجنسية معينة منذ مولده.
- تأكيد وكفالة حق الطفل في التعليم المجاني والتربية في مرحلتي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي كحد أدنى، وتأكيد وكفالة حق الطفل في الخدمة الإجتماعية والمؤسسة المتكاملة والمتوازنة والموجهة لكل قطاعات الطفولة.
- تأكيد وكفالة حق الطفل في رعاية الدولة وحمايتها له، من الاستغلال والإهمال الجسماني والروحي، ومن حيث تنظيم عمالته، بحيث لا تبدأ إلاّ في سن مناسبة، بحيث لا يتولى عملا أو حرفة تضُرُ بصحته، أو تُعرضه للمخاطر، أو تعرقل تعليمه، أو تحجب فرص نموه، من الناحية البدنية أو الجسدية أو العضلية أو النفسية أو الإجتماعية أو الخلقية.
- حق الطفل في أن يتفتح على العالم من حوله، و أن ينشأ على حب خير الإنسان وأن يدرك أهمية السلام والصداقة بين الشعوب ومحبة إخوانه في الإنسانية.
- الأخذ بالمناهج التنموية والوقائية في صيانة حقوق الطفل.
- الأخذ بمبدأ التكامل في توفير الحاجات الأساسية للطفل، وتقديم الخدمات وشمول وعدالة توزيعها.
- إن الهدف الأسمى لهذه الحقوق هو ضمان تنشئة أجيال من الأطفال العرب، تتجسد فيهم صورة المستقبل الذي تريده لهم أمتهم العربية وتأمين حياة الأسرة وتوفير حاجاتها الأساسية وتوفير الرعاية الصحية الكاملة وقائية أم علاجية، وإقامة نظام تعليمي سليم في كل دولة عربية، وتأسيس خدمة اجتماعية متقدمة، وتأسيس نظام للرعاية والتربية الخاصة للأطفال المعوقين.

---

[1] نتيلة راشد، مسيرة ثقافة الطفل العربي، دراسة توثيقية حول جهود خبراء ثقافة الطفل وتوصياتهم المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، 1988م، ص 554- 560.

سابعا:حقوق الطفل العالمية:

فالبرغم من الاهتمام العالمي لحقوق الإنسان برعاية حقوق الطفل في صيغة عامة وفي عبارة مقتضبة، حيث نص في الفقرة الثانية من المادة الخامسة والعشرين على حق الطفولة في المساعدة والرعاية الخاصة، وعلى تمنع كل الأطفال بقدر متساوٍ من الحماية الاجتماعية، وهو الإهتمام نفسه الذي أعطاه الإسلام للطفولة أيضا، إلاّ أن الإسلام قد تميّز بإعطاء عناية خاصة لليتامى، حيث حرص –كما رأينا– على التوصية بالاهتمام بهم ورعايتهم وحفظ حقوقهم، وعدم الإعتداء على أموالهم، والإحسان إليهم بكل وسائل الإحسان[1]..

لقد أقرت الجمعية العامة للأم المتحدة إعلانا عالميا لحقوق الطفل في العشرين من شهر نوفمبر عام 1959م، وهو اليوم الذي يحتفل به العالم أجمع بأنه عيد للطفولة. ومن هذه الحقوق[2]:

– حق الطفل في أن يستمع بوقاية خاصة، وأن تُتاح له فرص وتسهيلات تؤدي إلى تنشئته على نحو يكفل له رعاية طبيعية وصحية كاملة في ظل الحرية والكرامة.

– حق الطفل في أن يكون له إسم وجنسية من وقت ولادته.

– حق الطفل في الاستماع بمزايا الأمن الاجتماعي.

– حق الطفل في التغذية الكاملة والمأوى والرياضة والخدمات الطبية.

– حق الطفل في العلاج الخاص والتعليم والرعاية إذا أُصيب بعجز، وأن ينشأ في جو من العطف والأمن وفي حدود الإمكان وفي رعاية والديه وفي نطاق مسؤوليتهما.

– حق الطفل في أن يكون أول من يحصل على الوقاية والإغاثة في الأوقات التي تحدث فيها النكبات.

– حق الطفل في أن يُتاح الوقاية من كافة ضروب الإهمال والقسوة والإستقلال والوقاية من الأعمال التي قد ينجم عنها نوع من التمييز.

– حق الطفل في إتاحة الفرصة له، لكي يتعلم مجانا على الأقل في المرحلة الأولى.

– الواجب يقتضي أن تتم تنشئة الأطفال وفقا لروح التفاهم والتسامح والصداقة، بين الشعوب والسلام والأخوة العالمية الشاملة.

– يجب أن يحظى الطفل بالمحبة والتفاهم لكي تكون له شخصية كاملة متناسبة.

هذا... وقد تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 1989/11/21م بقرارها رقم 44/25 لسنة 1989م، الإتفاقية الدولية لحقوق الطفل أو ما يسمى ميثاق حقوق الطفل الدولي والعالمي، وهو يمثّل أول

---

[1]إسماعيل أمين الحاج حمد نواهضة، المرجع السابق، ص364–365.

[2] نتيلة راشد، مسيرة ثقافة الطفل العربي، المرجع السابق، 551–553، وأنظر أيضا، فؤاد بسيوني متولي، الأمومة والطفولة، الطفولة، سلسلة المكتبة التربوية الكتاب السادس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1998، ص 63–64.

وثيقة في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة، وفي تاريخ العالم المتحضر، تفرض على الدول الإلزام القانوني حقوقاً ترعاها للطفل، وتتقيد بها في شؤونه، بعد أن أقرت الإتفاقية أغلب الدول وأعلنت إلتزامها بتنفيذها، كاتفاقية دولية ترعى حقوق الطفل، وهذا الميثاق الدولي أعلن ما يلي[1]:

- الطفل هو مادون الثامنة عشرة من العمر، وضرورة سيادة المصالح الأفضل للأطفال.
- إقرار مبدأ رعاية الصالح العام للطفل، أي تغليب الصالح العام للطفل عند تفسير نصوص الميثاق.
- ضرورة توفير وسط عائلي لكل طفل (أصيل أو بديل)، أي يكون للطفل مسؤولا عن تنشئته، ويلتزم برعايته، ويسهر على تربيته ونموه وتعليمه وتثقيفه.
- مبدأ التعاون الدولي في مجال الطفولة، وذلك بتبادل المعلومات.
- العمل على توفير كل ما يسهم في تنمية شخصية مستقلة ومتميزة للطفل وتدريب الطفل على أن تكون له آراؤه الخاصة بحيث يعبّر عنها بحرية، وأن يكون لرغباته الإعتبار الأول وفقا لسنّه ودرجة نضجه.
- ضمان الحقوق المدنية والسياسية للطفل مثل حقه في أن يكون له إسم، وأن يحمل جنسية وحريته في التعبير والتجمع وتحريم فصله عن والديه وحمايته ضد التعذيب وسوء المعاملة..
- ضمان الحقوق الإقتصادية مثل حق الطفل في مستوى معين من المعيشة وحمايته ضد الإستغلال في العمل...
- حماية حقوقه الإجتماعية مثل توفير مستوى كافٍ من الرعاية الصحية والخدمات الطبية ورعاية المعوقين..
- حقوق الطفل الإقتصادية مثل التعليم وحصوله على المعلومات الصحية والراحة والإندماج في النشاط الفني والثقافي..
- حقوق البقاء والمعيشة للطفل وهي حقوق لصيقة بشخص الطفل كحقه في الغذاء والحياة والصحة..
- حقه في التنشئة وهي الحقوق التي تؤمن للطفل نموه وتقدمه مثل التعليم والإندماج والحرية..
- حقوق الحماية والتي تؤمن الطفل ضد مخاطر الحياة وشرورها لحماية الطفل ضد سوء الإستغلال في العمل.
- حقوق المساهمة وهي التي تؤهل الطفل لأن يكون عضواً عاملا ذا نشاط إيجابي في مجتمعه.
- عدم التعسف بالطفل أو إهماله، وكذلك التبني والكفالة.
- صحة الطفل الجسمانية والبدنية والعقلية والمراقبة الدورية الجادة لأماكن إقامة الطفل.

---

[1] أحمد أبو الوفا، الحماية الدولية لحقوق الإنسان، المرجع السابق، ص57 – 59.

- حماية الطفل ضد مساوئ المخدرات والبعد به عن أن يقع فريسة لمن ينتج تلك المواد أو يوزعها.
- العناية بتأهيل الطفل المعوق جسمانيا ونفسيا.
- ضرورة استئصال ظاهرة اختطاف الأطفال والاتجار بهم..
- حق الطفل في وقت للراحة وفرص متساوية للنشاط الثقافي والفني.
- عدم تطبيق عقوبة الإعدام أو السجن المؤبد على ما يرتكبه الأطفال من جرائم.
- عدم السماح للأطفال في الإشتراك في أعمال العدوان المسلح.
- حق تمتع أطفال الأقليات بثقافتهم الخاصة.

وإذا قارنا ببين الحقوق الإسلامية للطفل والحقوق الدولية، نجد أن الفرق كبير بين حقوق حضارية إسلامية دائمة ومستمرة منذ 1425 سنة، وبين حقوق تشريعية طفيفة، وغير قابلة للتنفيذ، ويغلب عليها الطابع الإنشائي في العصر الحديث، ويكمن التمييز بين حقوق الطفل في الإسلام، وبين مجموعة الحقوق الوضعية الدولية للطفل من خلال ميثاق أو إتفاقية حقوق الطفل العالمية فيما يلي:[1]

- إن حقوق الطفل في الإسلام مصدرها إلهي فهي ليست منحة أو هبة من أحد أو قرار صادر من سلطة محلية أو منظمة عالمية، وإنما هي شريعة الله سبحانه وتعالى، الذي له الخلق والأمر، ومن ثم فهي دائمة الإلزام للحاكم والمحكوم على السواء، فلا تقبل خرقا ولا تعطيلا، وذلك بعكس المواثيق الدولية التي تخضع لتوجهات الدولية السياسية والموارد المالية والقيم الإجتماعية الخاصة بها.

- الحفاظ على الحقوق للطفل في الإسلام واجب على ولي أمر الطفل، ويلزم عليه حفظ تلك الحقوق بعكس المواثيق الدولية التي ليس فيها عنصر واحد للإلزام.

- إن الوثيقة الإسلامية لحقوق الطفل تفوق الإعلان العالمي لحقوق الطفل ببُعدها الإيماني، ذلك لأن الوثائق الوضعية تستمد قوتها من الضمانات القانونية أي الرقابة الخارجية، بعكس الوثيقة الإسلامية التي تستمد قوتها من الضامنين الإلهي والقانوني معاً، أي أن الرقابة الذاتية والخارجية، وبالتالي فإن الدفاع عن حقوق الإنسان في الإسلام، يُعد جهاداً في سبيل الله، كما أن الإستشهاد من أجل هذه الحقوق جزاؤه الفوز بالجنة.

- كافة الوثائق والمواثيق الدولية والإعانات الوضعية تتطلب شرط المصلحة الشخصية المباشرة أمام أية دعوى تمس حقوق الإنسان، بخلاف النظام الإسلامي الذي يجعل من كل فرد ضمير مجتمعه، ويكون من واجبه مباشرة إقامة دعوى، إعمالا للمبدأ الإسلامي بشأن الأمر بالمعروف والنهي المنكر.

- إن الإسلام قد نادى بالمساواة الكاملة بين جميع أفراد المجتمع، ويكون التميّز بالتقوى كما قال الحق سبحانه وتعالى:

---

[1] هدى قناوي ومحمد قريش، حقوق الطفل، المرجع السابق، ص120-125.

﴿**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير**﴾[1]، فهذا القسطاس يُنشئ للإنسانية حقوق المساواة بين أبنائها دينيا وعلميا وفلسفة وشريعة وإلهاماً من الوحي الإلهي، ومكانة الوحي الإلهي في هذه المساواة أنها قد شرعت للإنسان شريعتها وحقاً من حقوق الخلق والتكوين لم تشرعه له وسيلة من وسائل الحكم.

– إن المواثيق الدولية قد مرت خلال حقبات طويلة من الزمن أُزهقت خلالها ملايين الأرواح من أجل الحصول على هذه الحقوق، بينما نجد الإسلام قد قرر هذه الحقوق منذ أربعة عشر قرناً، وفقا لمكانة الإنسان في الأرض بإعتباره خليفة الله سبحانه وتعالى فيها.

– إن الوثيقة الإسلامية لحقوق الإنسان قد تضمنت ما عجزت عنه سائر الوثائق الوضعية لحقوق الإنسان، وهو بيان حكمة الخالق في خلق الإنسان، ومهمة الإنسان ورسالته في الحياة، مما يعكس الحقوق الواسعة التي أعطاها الله له.

– إن المواثيق الدولية نصت على التركيز على حقوق الطفل وأهمية حمايته، ثم جعلت حدّا أدنى من الحقوق بينما الإسلام أعطى كل الحقوق للطفل وللجميع، فالشريعة الإسلامية ضمنت كل الحقوق في تكامل متقدم اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، وضمنت حدّ الكفاية أي المستوى اللائق لمعيشة كل إنسان، وليس مجرد حد الكفاف أي المستوى الأدنى للمعيشة الذي وضعته الإنسانية في مواثيقها العالمية الحديثة!!!

– إن الإسلام لم يُقرّ التبني الذي يخْلط الأنساب، بعكس الحقيقة والواقع، بخلاف المواثيق العالمية التي قررت حُرية التبنّي، ومع ذلك قرر الإسلام الرعاية الكاملة من خلال الصدقة والزكاة للأيتام والفقراء والمساكين، وقرر أهمية التربية والتعليم والتوجيه والإنفاق لكل الأطفال، وخصوصا مجهولي النسب.

– كما أن الإسلام أعطى حماية فعلية للأطفال أثناء الحروب، فحرّم قتلهم وحرّم تجويعهم والمساس بطعامهم، والمساس بهم، وأكدّ على ضرورة استمرار تعليمهم، وعدم إزعاجهم أو إهدار حقوقهم، واعتبر غير ذلك جريمة في حق شرع الله عز وجل، وهي جريمة إنسانية ضخمة، وحاولت البشرية من خلال حقوق الطفل ومن خلال إتفاقيات جنيف شمول الأطفال بالرعاية والحماية أثناء الحروب، إلاّ أنه في التطبيق العملي لم تفلح هذه الجهود الدولية في إيقاف نزيف قتل الأطفال أثناء النزاعات المسلحة[2]، ومازالت الأغلبية الكبيرة من القتلى من الأطفال، مثل قتلى مدرسة بحر البقر المصرية التي تعرضت لقصف مباشر من قوات العدو الإسرائيلي أثناء حرب الإستنزاف، ومثل قتل الأطفال في الإنتفاضة الفلسطينية ومن بينهم الطفل محمد الدرة المسالم في الأراضي الفلسطينية المحتلة والشهداء من أطفال العراق الذين يتساقطون كل يوم رغم المواثيق الدولية في منع إيذاء الأطفال!

---

[1] سورة الحجرات، الآية 13

[2] عامر الزمالي، حماية الأطفال في حالات النزاع المسلح، في مفيد الشهاب (تقديم) دراسات في القانون الدولي الإنساني، ط1، دار المستقبل العربي واللجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، 2000م، ص125 وما بعدها.

- إن الإسلام جاء بمنظومة متكاملة من الحقوق لكل إنسان وخصوصا حقوق الطفل، بينما جاءت حقوق الطفل في المواثيق والاتفاقيات الدولية مبعثرة وسطحية وغير متكاملة وغير إلزامية، ويمكن الفكاك منها بسهولة، سواء بالتبرير أو الاعتذار عن الأخطاء، أو التأكيد على أن قتل الأطفال كان دفاعا عن النفس.

فالإسلام في مجال الطفولة، كما في بقية الحقوق الإنسانية، كان حاسماً منتصراً لكل الحقوق، مؤكداّ على ضرورة تقديم الحقوق المتكاملة للطفل، لأنه لا يستطيع طلب حقوقه، ولذلك قدّس الإسلام هذه الحقوق، وطلب من المسلم أن يوفرها لكافة الأطفال، مسلمين وغير مسلمين، وأثناء الحياة العادية (في حالة السلم)، أو أثناء الأزمات أو في أثناء الصراعات والحروب والمواجهات العسكرية المختلفة، فهذه الحقوق واجبة التنفيذ الفوري للجميع وبدون تأخير أو تفسير، وهذا جانب مُهم من جوانب عظمة التشريع الإسلامي الإلهي، الذي أنزله الله تعالى للناس كافة.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

الفصل الرابع: بناء شخصية الطفل الإسلامية منذ استكماله حولين إلى قبيل سن الرشد وفق المنهج النبوي (أي في السنة النبوية الشريفة)

أولا: البناء العقائدي

ثانيا: البناء العبادي

ثالثا: البناء الأخلاقي

رابعا: البناء العلمي والفكري

خامسا: البناء الجسمي والصحي

سادسا: البناء العاطفي والنفسي

سابعا: البناء الإجتماعي

ثامنا: البناء الجنسي (تهذيب الدافع الجنسي)

أولا: البناء العقائدي

تمهيد:

تتميز العقيدة الإسلامية بالإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشرّه من الله سبحانه وتعالى –بأنها كلها غيب، يحار المرء أو المربي كيف يقدمها للطفل، وكيف سيتعامل معها الطفل؟ وكيف يمكن تبسيطها؟ وكيف يعرضها ويلقنها لهذا الطفل؟ فأمام كل هذه التساؤلات، يقف الوالدين والمربين حائرين مستفسرين عن هذه الكيفيات وعن الطرائق والأساليب التي تمكنه من تقديم أركان الإيمان وغرس بذور الفطرة والتوحيد وتنمية الشعور الديني في نفس الطفل.

غير أن الجواب يكون بالنهل من هدي وتربية وسيرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لأطفاله وأطفال الصحابة.

حيث وضع وبيّن لنا ما هي الأسس التربوية في تثبيت هذه الأركان والتي تتكون منها العقيدة من خلال سنته القولية والفعلية والتقريرية.

هذا وسوف نبيّنها على النحو الآتي:

الأساس الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد بالآذان في **أذنه اليمنى والإ**قامة في أذنه اليسرى.

الأساس الثاني: تثبيت اعتقادهم بالله الواحد وترسيخ حب الله تعالى.

الأساس الثالث: ترسيخ حب النبي الكريم وحب آل بيته، وصحابته الكرام.

الأساس الرابع: الإيمان بالملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقون بالقول وهم بأمره يعملون.

الأساس الخامس: الإيمان بكتب الله ورسله.

الأساس السادس: الإيمان باليوم الآخر.

الأساس السابع: الإيمان بالقدر خيره وشره.

الأساس الثامن: تعليم الطفل القرآن الكريم.

الأساس التاسع: الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها.

إذن كل طفل يولد على أساس الفطرة الإسلامية أي أنه يولد طيب النفس طاهر الروح.

ويقول "محمد متولي الشعراوي": "كل مولود يولد على الفطرة: نقية لا هو خيّر بطبعه ولا هو شرير بطبعه بل هو صالح لأن يكون خيّرا ولأن يكون شريرا، لذلك يعطينا الرسول –صلى الله عليه وسلم– المثل في البيئة الأولى للإنسان، البيئة الأولى أبواه، يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه إذن فهو مخلوق على الفطرة صالح، ولكن البيئة تتلقفه، هذه البيئة فيها بيئة قريبة، وبيئة أقرب، البيئة الأقرب هي التي حسب الطفل عليها أمام المجتمع.

فإذا تحمل كل أب وكل أم قطاعه من بنوته استطاع المجتمع أن يتكوّن من قطاعات ناجحة متماثلة واستطاع المربّي أن يجد من عاطفته ما يملأه إخلاصاً ومحبّة ليزوّد ذلك الوليد صاحب الفطرة السليمة الصالحة للخير وللشر بما يجب"[1].

لذلك فمسؤولية التربية الدينية والروحية والتنمية العقائدية هما من أهم ما يجب على الأبوين أن يتكفلا به لأن: "الأطفال أمانة في عنق آبائهم، فالأطفال يولدون على الفطرة وأباؤهم هم الذين يشكّلون منهم عنصراً نافعاً أوضاراً في المجتمع"[2].

لذا يقول الإمام علي –رضي الله عنه–: "وإنما قلبُ الحديث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته"[3]. "وهذه حقيقة إهتم بها الإسلام وشرع لها أسلوباً فذّاً في زرع المفاهيم والأفكار الإسلامية، فإن الشارع المقدّس قد رسم للطفل عند ولادته سنناً رائعة، إنه ندب إلى الآذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى...يدخل الطفل الحياة وتدخل قلبه ترانيم الآذان كي يلتقي الدخولان دفعةً واحدة فيشكّلان توافقا وانسجاما مع بعضهما"[4]. فعلى الأبوين إيقاظ فطرة الوليد، وغرس العقيدة السليمة الصحيحة الصالحة في نفسه منذ الصغر وتحصينه بها، حتى يستطيع أن يظل صامداً أمام التيارات التي تواجهه حينما يخرج إلى المجتمع الكبير. فلنحرص على غرس الإيمان في نفوس أطفالنا وتثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة عندهم لأن هذه الأخيرة تعد الدعامة الأولى لبناء الشخصية المسلمة المتكاملة:

"إنّ للإيمان بالله ...وهو إحياء لأعظم قوة وجدانية عند الإنسان آثاراً ونتائج مهمة في إحياء سائر النظريات الخُلُقية والمُثل العليا"[5].

ومن ثم يصبح الإنسان المشبع والمزوّد بالإيمان قادراً على مواجهة المحن والفشل والإحباط، لأنه سوف يفتح له باب الأمل في المستقبل. وتأتي العبارات لتزوّد الفرد بزاد يومي واتصال مستمر مع الخالق. إنّها بمثابة محطات للتزويد بالطاقة الإيمانية...وتؤدي هذه المحطات إلى تقوي الجانب الإيماني لدى الفرد "إن مفهوم الفطرة يولّد في المربّين نظرة إيجابية نحو الأطفال ويصبح هدفهم إبعاد العناصر الدخيلة التي تفسد ضياء الفطرة"[6].

ويعرض أحد الباحثين للحاجات الدينية، والأخلاقية للأطفال فيقول: التدين ميل مركوز طبيعي في نفس الطفل، مستقر في ذاته تماما مثل ميله إلى الحياة الإجتماعية، وكما أن الإنسان لا يستطيع الحياة

---

(1) محمد متولي الشعراوي، الإسلام حداثة وحضارة، المرجع السابق، ص44.

(2) سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، المرجع السابق، ص79.

(3) محمد عبده، نهج البلاغة، جـ3، المرجع السابق، ص40.

(4) عباس علي الموسوي، الوصية الخالدة، (شرح وصية الإمام لولده الإمام الحسن)، المرجع السابق، ص65.

(5) محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، المرجع السابق، ص415.

(6) عبد الرحمن صالح عبد الله، المنهاج الدراسي؛ أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1406هـ/1986م، ص128.

بعيدا عن المجتمع، فإنه بالمثل لا يستطيع الحياة بدون دين وهذا الميل الديني هو الذي ينشأ عنه فعل ما"[1].

وهذا ومن المعروف أن الطفل المولود حديثا يكون عقله صفحة بيضاء ويخط عليها المجتمع ديانته ولغته وآدابه...وفي هذا يقول –صلى الله عليه وسلم–:"كل مولود يولد على الفطرة..."بمعنى أن المولود يستجيب إلى نوع الإيمان الذي يتجه له الأبوان ويتولى الأبوان نيابة عن المجتمع غرس هذا الدين في ذات الطفل.

إن تعليم الأبناء في الإسلام من الحقوق المهمة التي يُسأل عنها الآباء سؤالاً عسيرا، وهذا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يبيّن حق الولد على والده فيقول: "**حق الولد على والده إذا كان ذكراً أن يستفره[2] أمّه ويستحسن إسمه، ويعلّمه كتاب الله ويطهره ، ويعلّمه السباحة**"[3]. لذلك نجد أن أي دعوة فيها خير وصلاح يبدأ الإنسان بأهله أولا. وهذا سيدنا إبراهيم –عليه السلام– عني عناية فائقة بعقيدة أبنائه كما يشير ذلك قوله تعالى:﴿**ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكمُ الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتهم مُسلمون**﴾[4].

"أي أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالبا على مكان عليه، ويُبعث على ما مات عليه"[5].

فكان رسول الله –صلى لله عليه وسلم– شديد الاهتمام بالأطفال: "فكان المربّي الموجّه لعلي –رضي الله عنه– منذ طفولته إلى آخر لحظة من حياته... لقد تولاه الرسول الكريم بالتعليم وبثّ في روحه دقائق الحكمة وأسرار الكون والمعرفة، وبصّره بخلق السموات والأرض حتى أدرك من الحقائق مالم يدركه بعد الرسول إنسان سواه...."[6]. ومن شدة اهتمامه بالأطفال أنّه في زيارته وعيادته للأطفال المرضى كان يدعوهم إلى الإسلام وبحضور آبائهم الغير مسلمين. "فعن أنس، أن غلاما من اليهود كان مريضا، فأتاه النبي –صلى الله عليه وسلم– يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال

---

(1) عبد الباري محمد داود، التربية النفسية للطفل، ط1، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص424.

(2) يستفره أمه: أي يستكرم أمه ولا يدعو بالسب لأمه واللعن والفحش، أنظر الكليني، الأصول من الكافي، جـ6، باب الأولاد، المصدر السابق، ص49.

(3) المصدر نفسه، ص49.

(4) سورة البقرة، الآية: 132.

(5) مختصر ابن كثير، اختصار وتحقيق محمّد علي الصابوني، جـ1، ط8، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402هـ/1981م، ص131.

(6) هاشم معروف الحسيني، سيرة المصطفى، دار التعارف، بيروت، 1410هـ/1990م، ص81.

"له أبوه": أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– وهو يقول: "**الحمد لله الذي أنقذه بي من النارّ**"[1].

لذلك من واجب الآباء تلقين أطفالهم منذ الصغر المبادئ الأساسية لدينهم والتي تنسجم مع فطرتهم التي ما تزال نقية في سن طفولتهم، بحيث: "أن الطفل صفحة بيضاء تستطيع أن ترقّم عليها الإسلام حكماً حكماً وشرعة شرعة، كما تستطيع أن تُرقّم عليها الكفر والضلال والإنحلال. والخيار يرجع إلى المربّي الكامل، فإن كان صالحاً حال جهده في سبيل أن يزرع في نفس الطفل الخير والصلاح. وكل المعاني الطّيبة من الوفاء وأداء الأمانة والحبّ والبذل والعطاء، وإن كان فاسداً زرع أضداد هذه المحاسن"[2]. لأن الطفل في هذه المرحلة من حياته يكون خالي الفكر من الشوائب والشبهات "لأن الطفل الصغير لا يملك لنفسه: نفعاً ولا ضرراً. فهو يستطيع أن يُميّز الخبيث من الطيّب. وبالتالي ليس عنده البُعد العقلي الذي يستطيع بواسطته أن يُخطط لمستقبله وأن يتزوّد من العلم والمعرفة والإيمان في صغره. ليكون له عدّة في كبره. إن ذلك كلّه يتطلب أن يرعاه الوالدان ويتدبرا أمره ويزوّداه بالمعارف والمعلومات، ويغرسا في نفسه حبّ الله والدين..."[3].

وصدق ابن خلدون حين يقول في مقدمته:"أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده.."[4].

والآن نتطرق إلى بيان الأساس الأول من البناء العقائدي:

الأساس الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد بالآذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى:

تمهيد: مسؤلية التربية الإيمانية:

كما قلنا إن تربية الطفل دينيا وإيمانيا يعد من أهم جوانب التربية، لأنه يربط الطفل بالله سبحانه وتعالى، عن طريق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وعن طريق العبادات التي تقرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى، ولأهمية التربية الإيمانية وأولويتها على كافة جوانب التربية الأخرى نجد لقمان –عليه السلام– بدأ بها في تربية ابنه، قال تعالى: ﴿**إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾[5]. إذ الأبوان مسؤولان مسؤولية كاملة عن تربية الطفل تربية صحيحة صالحة نافعة، وهما المسؤولان الأولان عن أي انحراف أو فساد يقع فيه الطفل عندما يكبر، نعم قد يوجد عوامل خارجية تؤثر في انحرافه وفساده ولكن هذه عوامل ثانوية، فالمؤثر الأول في توجيه سلوك الطفل وإرشاده هما أبواه، فالطفل ينزل من بطن أمه لا يدري ولا يعي عن الآخرة أو الدنيا

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الجنائز، (باب في عيادة الذمي)، رقم (3095)، جـ3، المصدر السابق ،ص185.

[2] عباس علي الموسمي، الوصية الخالدة، المرجع السابق، ص39.

[3] سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، المرجع السابق، ص77– 78

[4] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص538.

[5] سورة لقمان، الآية 13.

شيئا، وهو ينزل من بطن أمه خاليا من أي طبع أو سلوك أو نقش، وينشأ في أسرته الصغيرة المكونة من أبويه وإخوته، فيحاكي من حوله، ويتأثر بهم، فإن عوّده أبواه الخير ألفه وتعود عليه ومال إليه، وإن عوداه الشر ألفه وتعوّده ومال إليه، وقد أشار النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى هذا المعنى في حديثه الشريف كما مرّ معنا من قبل، حيث قال: "**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**"[1].

فالأولاد أمانة عند أبويهم، وهما مسؤولان أمام الله عن هذه الأمانة، وأيضا النبي –صلى الله عليه وسلم– أشار إلى مسؤولية هذه الأمانة حيث يقول –صلى الله عليه وسلم–: "**الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**"[2].

ونبّه النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى أن الله سيسأل كلاًّ من الرجل والمرأة عما استرعاه، فقد أخرج "ابن حبان" في صحيحه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:"**إنّ الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**"[3].

وهكذا نجد أن الأبوين مسؤولان عن تربية أولادهما تربية حسنة طيّبة، فإن أحسن ذلك كان النشء صالحاً طيّبا وسعد في الدنيا والآخرة وسعد معه أبواه جزاء ما فعلا، وإن أساءا كان النشء فاسداً خبيثاً، شقى وتعس في الدنيا والآخرة وتعس معه أبواه لسوء ما صنعا، وقال الله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**﴾[4].

فهذا أمر الله إلى عباده المؤمنين بأن يحفظوا أنفسهم وأهليهم من النار، وكيف يكون حفظ الأهل من النار؟ بالأدب والتربية الحسنة القائمة على التمسك بتنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه.

إن الأبوين يستطيعان بتوفيق الله لهما، والعمل على حسن تربية الولد عن طريق القدوة الحسنة أولا ثم تلقينه الآداب الحسنة وغرسها في نفسه وأن يحفظا الأمانة الملقاة على عاتقيهما.

فطرة التدين عند الأطفال:

إن من فضل الله تعالى على هذا الإنسان أن زوّده بالفطرة الصافية النقية حيث قال تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدّين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله...**﴾[5]

---

[1] **صحيح البخاري، كتاب الجنائز، (باب ما قيل في أولاد المشركين)، رقم(1319)، جـ1، المصدر السابق، ص 465.**

[2] **المصدر نفسه، كتاب الجمعة، (باب الجمعة في القرى والمدن)، رقم(893)، جـ2، ص5.**

[3] **المنذري، الترغيب والترهيب، جـ2، المصدر السابق، ص65.**

[4] **سورة التحريم، الآية 06.**

[5] **سورة الروم، جزء من الآية 30.**

ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآية الكريمة: "وبهذا يرتبط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله... والفطرة ثابتة والدين ثابت فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلاّ هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر، وفطرة الوجود"[1].

وقد أكد النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الفطرة أيضا فيقول: "**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه أو يمجسانه**"[2].

والسؤال المطروح: ما هي الفطرة وكيف تقود الناس إلى الإيمان بالله والدين؟

"إن فطرة التدين تعني: ميل الإنسان بطبيعته إلى الاعتقاد بوجود قوة أو قوى فوق القوى الطبيعية مسيطرة عليها وعلى القوى البشرية.. ومعظم الباحثين أجمعوا على أنها خاصة بالنوع الإنساني دون غيره من الحيوان"[3]. وقد نجد جماعات ليس لها فنون ولا علوم ولا فلسفة لكن لا نجد جماعة دون ديانة لهذا كان من فضله ورحمته على خلقه أن يرسل إليهم رُسلا منهم مبشرين ومنذرين، ومصلحين لمسار الفطرة المنحرفة، وتطهيرها من شوائب الشرك والوثنية.

"فمن الأمور المسلّم بها لدى علماء التربية والأخلاق أن الطفل حين يولد على فطرة التوحيد[4]، وعقيدة الإيمان بالله، وعلى أصالة الطهر والبراءة..فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية، والخلطة الإجتماعية الصالحة، والبيئة التعليمية المؤمنة.. نشأ الولد.. ولا شك على الإيمان الراسخ، والأخلاق الفاضلة، والتربية الصالحة.."[5].

لذا ينبغي على الآباء والأمهات والمربّون أن يضعوا التربية الإيمانية والخلقية نصب أعينهم، بحيث تكون غايتهم المنشودة وهدفهم السامي الذي يسعون لتحقيقه.

والسؤال الآن: كيف نحيي بذرة الفطرة في نفوس أطفالنا؟ ومن الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى، وذلك حين الولادة مباشرة. حتى يكون أول شيء يلقن لهم ويطرق أسماعهم، أعذب الكلام وهو ذكر الله، أي كلمة التوحيد. وفي هذا يقول الرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم–:"كما روى "أبو داود" عن "أبي رافع" أنه قال:"رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أذّن في أذن الحسين بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة –رضي الله عنهم– وعن الحسين بن

---

(1) سيد قطب، في ضلال القرآن، جـ5، المرجع السابق، ص2767.

(2) سبق تخريج الحديث، ص 153 من الرسالة

(3) حامد عبد القادر وآخرون، علم النفس التربوي، جـ1، المرجع السابق، ص173.

(4) التوحيد: "أن الله واحد لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير والملك": أنظر عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص177.

وعلم التوحيد: علم يعرف الله بالدليل وليس بالتقليد لأن: التقليد وإن كان صحيحا في بعض المذاهب فهو إثم إذا ترك الإستدلال. فكان الزرنويجي يشدد على تعلم علم التوحيد لكونه ينمي الفكر والنظر العقلي في مجالات معرفة الله وصفاته وتنزيهه وعلاقته بالبشر، أنظر علي زيعور، التربية وعلم نفس الطفل في الذات العربية، المرجع السابق، ص159.

(5) عبد الله ناصح علوان، جـ1، المرجع السابق، ص152.

علي–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**من ولد له مولود فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لم تضرّه أم الصبيان**"[1].

وسرّ التأذين والإقامة "أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات الآذان المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإنسان فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقى كلمة التوحيد عند خروجه من الدنيا"[2].

لهذا يجب اعتبار تربية الطفل على الإيمان وإشعاره بوجود الله هو الأساس الأول لتربية الطفل إذ أنه فُطر على التوحيد. فعن أبي عبد الله –عليه السلام– قال: قال موسى–عليه السلام– يا رب أي الأعمال أفضل عندك؟ قال:حبّ الأطفال فإني فطرتهم على توحيدي فإن أمتهم أدخلتهم جنّتي برحمتي"[3].

فإذا انتعشت نفس الطفل بالإيمان بالله الواحد فإنها تكون قد سارت وفق فطرته، وعندما "يعرف طعم الإيمان وعمل وفق الأحكام الإسلامية الأصيلة حبّبه الله إلى قلوب الآخرين.

ومثال على ذلك نبي الله "يوسف" –عليه السلام– الذي تربّى في حجر النبي "يعقوب" تربية دينية، فعندما أُلقي في البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير "روبيل" وكما عمره كما يروى ابن تسع سنين كان يفترض من طفل في عمره أن يخاف ويهلع لكن من تربّى على الإيمان بالله واللجوء إليه يمتلك مقدارًا عجيبا من الاطمئنان إلى نجاته وخروجه من هذا البئر في الحديث لما أخرج يوسف من الجب واشتري قال لهم قائل: استوصوا بهذا الغريب خيرًا فقال لهم يوسف:"من كان مع الله فليس في غُربة"[4].

وهكذا نستنتج في الأخير بأن الإيمان بالله الواحد والإقرار بوجوده والاعتراف بوحدانيته هو حجر الزاوية في التربية الإسلامية.

وفي البيت يدرك المربّون هذه الحقيقة فيبذلون قصارى جهدهم بغرس تلك المبادئ في نفوس أطفالهم لأنه إذا "أصبح هذا الإيمان مقياس الإنسان في الحياة عرف به حقيقة إنسانية... وحقيقة الحياة، ومن أدرك الحقيقة صحّ سيره، واستقام أمره ومارس إنسانيته التي صقلها الإيمان"[5].

والآن ننتقل إلى الأساس الثاني من البناء العقائدي وهو: تثبيت اعتقادهم بالله الواحد الأحد، وترسيخ حب الله تعالى:

---

[1] محيي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، الأذكار، دار الكتاب العربي، بيروت، لا.ط، لا.ت، ص253.

[2] ابن القيم الجوزية، تحفة المودود في أحكام المولود، المصدر السابق، ص21.

[3] الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، المرجع السابق، ص237.

[4] نعمة الله عبد الله الموسوي الجزائري، قصص الأنبياء، لا.ط، لا .ت، ص159.

[5] عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، المرجع السابق، ص 348.

الأساس الثاني: تثبيت اعتقادهم بالله الواحد الأحد، وترسيخ حب الله تعالى:

تمهيد:

لا يكفي أن يعرف الطفل وجود الله وقدرته وعظمته لكن يجب أن نغرس في قلبه حب الله وبشكل يفوق كل حب لما عندهم من الاستعداد الفطري والطبيعي للتصديق، فمن الواجب إذا تعلم الطفل تدريجيا مبادئ دينه ويكون أساس المعرفة هو محبة الله تعالى والخضوع له. ومن الضروري علينا كمربّين أن نغرس في قلوب أطفالنا محبّة الله تعالى ليشبّوا عليها ويكبروا على طاعة الله وعلى رجائه وشكره وعائه والخوف منه...الخ.

وتعد عاطفة الحب وعاطفة الخوف من أهم هذه العواطف في ميدان التربية الإيمانية، إذ أنهما من أكبر الدوافع والحوافز التي يمكن استخدامها في عمل الخيرات وتنفيذ المأمورات وترك الشرور المنهيات. ويتحدث الدكتور "ألكسيس كارل" عن أثر هاتين العاطفتين في السلوك ويقول: "وليس هناك سوى عاطفتين قادرتين على البناء وهما عاطفة الحب وعاطفة الخوف. فحب الطفل الصغير لأمه هو الذي يدفعه إلى حب الإستقامة في سلوكه. والمؤمن بدينه يخضع لأشق النظم الخُلقية من أجل حُبّه لربّه"[1]. ولهذا يجب أن نجعل الطفل يُحبّ الله ويحبّ المبادئ الأخلاقية باعتبارها أوامر إلاهية وأن نجعله يخاف الله في الوقت نفسه من أن يعصيه بترك أوامره وارتكاب محرماته وهذ ما فعله الإسلام حين دعا إلى حبّ الله وحبّ رسوله ليس مجرد الحب؛ بل يجب أن يحبهما الإنسان أكثر من حب أي شيء آخر؛ فقال تعالى:﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾[2].

وقال الرسول الكريم: "**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النّار**"[3]. ذلك إنّ الإنسان المحب يطيع أوامر محبوبه عن حبّ ورغبة ويخاف عصيانه، لأن عصيانه يزيل حبه فإن المحب لمن يحبه مطيع ثم أن الإسلام يريد تكوين عاطفة مخافة الله بالدرجة التي أراد تكوين عاطفة المحبة له وذلك ليخاف من عصيان أوامر الله تعالى، لأن هذا الخوف يمسكه عن السقوط في الرذيلة التي تكون سببا لنيل نقمة الله وعذابه الأليم[4].

---

[1] إلكسس كارل، تأملات في سلوك الإنسان، ترجمة محمد القصاص، مكتبة مصر، القاهرة، ص139-140

[2] سورة التوبة، الآية 24.

[3] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، (باب حلاوة الإيمان)، رقم(16)، جـ1، المصدر السابق، ص14.

[4] يوسف مصطفى القاضي، ومقداد يالجن، المرجع السابق، ص280.

ولهذا نرى الله سبحانه وعد الأشرار بأشد صنوف العذاب والعقاب في الآخرة. فقال تعالى: ﴿**ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارًا خالداً فيها وله عذاب مُهين**﴾[1]. ﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**﴾[2].

لكن نستطيع تكوين عاطفة الحب عند الأطفال أو لمن نريد تربيتهم، ومن ثم كيف نجعلهم عن طريق هذه العاطفة يحبون الله ويحبون المبادئ الإسلامية فيلتزمون بها؟

فهناك عدّة وسائل منها: بيان حاجة الطفل الدائمة إلى الله على أساس أن الأمور بيده تعالى وأن جميع الأرزاق بيده كذلك، وهو الذي يستطيع أن يجعل الإنسان سعيداً أو شقيا، وذلك حسب ارتباط عبده بربّه أو انقطاعه عنه، إذ أن الشعور بالحاجة إلى إنسان ما يجعله يرتبط به أكثر من غيره، وإذا شعر أنه يحقق حاجته أحبّه، ولهذا يجب أن نضع حاجات الطفل في يد الله ونقول له أنه لا يوجد هنالك من يستطيع تحقيق جميع حاجاته في كل الأحوال إلاّ الله وحده، كما ينبغي أن نبيّن له بأن كل هذه النعم هي نِعمُ الله خلقها رزقاً للعباد، ولهذا يقول المربّي الكبير "بستالوزي:" باللغة الفرنسية، "إن الطفل يحب والدته ويشكرها ويعتمد عليها مادام يشعر باحتياجه إليها، كذلك هو يحب الخالق تعالى ويشكره ويعتمد عليه ما دام يشعر باحتياجه إليه"[3]. كما أنه لا يهتم بارتباطه بوالدته إذا شعر أنّه استغنى عنها.

ولهذا قال تعالى: ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى(٥) أن رآه استغنى**﴾[4].

ولهذا يبيّن الله أن الإنسان في حاجة إليه باستمرار بحيث لا يمكنه أن يستغني عنه بأي حال من الأحوال، ويبيّن كذلك أنّه –سبحانه– ليس بحاجة إلى أحد. كل ذلك قد بيّنه الله تعالى في حديث قدسي فقال: "**يا عبادي كلكم ضال إلاّ من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلاّ من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي إنّكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وأنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا..يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلاّ كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إيّاها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسه**"[5].

---

[1] **سورة النساء، الآية 14.**

[2] **سورة الجن، جزء من الآية 23.**

[3] **أبادير حكيم، التربية الأخلاقية، مطبعة السعادة، القاهرة، ص117.**

[4] **سورة العلق، الآية:6-7.**

[5] **الأحاديث القدسية رواية مسلم، جـ1، ط1، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص264.**

وقال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**أحبوا الله لما يغذيكم من نعمه وأحبوني بحب الله**"[1].

ومن ثم يجب أن يكون شعور المرء بالنسبة إلى الله في هذا المجال هو أن يقول دائما عن الله: ﴿**الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾[2].

ثم إن إشعار من نربيهم بآيات الله ونعمه وتبصيرهم بها، دافع إلى الارتباط بالله والسير في طريقه المستقيم، ولهذا نرى الله سبحانه عندما يذكر نعمه على عباده يذكرهم بأنها آيات لقوم يعقلون أو يتفكرون فمن تلك الآيات مثلا قوله تعالى: ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إنّ في ذلك لآيات لقوم يذكرون**﴾[3]. ثم يقول بعد أن يذكر كثيرا من تلك الآيات: ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون. وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفورُ رحيم**﴾[4].

ثم إن الله يذكر من الصلات بينه وبين عباده بصورة تجعل الإنسان يرتبط به ويخجل من عصيانه والخروج من طريقه فمن ذلك ما ذكره في الحديث القدسي الذي قال فيه: "**يا ابن آدم إن ذكرتني ذكرتك وإن نسيتني ذكرتك...فتعرض عني وأنا مقبل عليك. من أوصل إليك الغذاء وأنت جنين في نطن أمك لم أزل أدير فيك تدبيرا حتى أنفذت إرادتي فيك، فلما أخرجتك إلى دار الدنيا أكثرت من المعاصي ما هكذا جزاء من أحسن إليك**"[5].

ولهذا قال الرسول ما معناه: "**إن الله أرحم بعباده من الأم بولدها الرضيع**" وفي رواية أخرى: "**إن الله أرحم بعباده من هذه (إشارة إلى إمرأة) بولدها**"[6].

ثم إن الحب الذي شرعه الإسلام بين العباد والخالق لا يقتصر على طرف واحد، بل حب متبادل، فكما يحب الإنسان الله فإن الله بدوره يحب من يحبه ويسير في طريقه وفقاً لحبّه ﴿**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[7]. وهو....لا يحب من لا يطيعه ولا يقبل دينه ﴿**قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا**

---

[1] سنن الترمذي، كتاب المناقب، (باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم(3789)، جـ5، المصدر السابق، ص664.

[2] سورة الشعراء، الآية 78– 82.

[3] سورة النحل، الآية 10– 13.

[4] سورة النحل، الآية 17– 18.

[5] المنوي، الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، محمد المدني، رقم(182)، ط2، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ص40.

[6] محمد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، جـ3، كتاب التوبة، المرجع السابق، ص40.

[7] سورة آل عمران، الآية 31.

فإن الله لا يحب الكافرين﴾[1]. لأن دليل الحب الطاعة وليس مجرد الكلام إذ كل واحد يمكن أن يدعى بلسانه الحب، وإذا أحبّ الله عبده بناء على حبه الصادق له يرعاه ويحفظه وينصره ويهديه.

وهنا يجب أن نفرق بين حب الإنسان للأبويه وأصدقائه وبين حب الله، فهذا الحب الأخير يجب أن يكون مع الإجلال والتعظيم، وهذا يجمع بين الترغيب والترهيب أي أنه يحبّه لنعمه ورعايته ويعظمه لصفته الألوهية الخالقة القادرة على كل شيء وبيده ملكوت كل شيء ويخاف عذابه الشديد الذي لا يعذب مثله أحد إن عصاه وتنكب الطريق الذي رسمه من أجله[2].

وهنا يقول الإمام "القرطبي" عند تفسير قوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم**﴾ "إنه لما كان اتصافه تعالى برب العالمين ترهيبا قرنه بالرحمن الرحيم لما تتضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع"[3].

ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**ياعبادي إني أنا الغفور الرحيم وإن عذابي هو العذاب الأليم**﴾[4].

وقوله أيضا: ﴿**غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلاّ هو إليه المصير**﴾[5].

ويقول "كانط" "Emmanuel Kant" هنا مؤيدا هذه الفكرة من الناحية التربوية: "يجب أن نعلّم الصبيان أن التفكير في جمال الله عز وجلّ، يجب أن يملأ قلوب الناس بالاحترام والتبجيل في أي وقت يسمعون ذكره، ومن توقيره سبحانه ألاّ يذكر اسمه إلاّ قليلا على شرط أن يكون مع التعظيم والإجلال"[6]. وهذا حق، ذلك أنه لو كان حب الإنسان لربّه كحبه لأي بشر؛ دون أن يكون مقرونا بالرهبة والتقديس والإجلال والتعظيم تكون مخالفته لأوامره سهلة وخاصة إذا اعتقد أنه لا يعاقبه إذا خالفه أو لا يستطيع معاقبته إذا أراد ذلك، كما يحصل هذا أو ذاك كثيرا فيما بين الناس ولهذا نرى خوف الطفل من مخالفة أوامر والده أكثر من خوفه من مخالفة أوامر والدته لإعتقاده في لينها وعدم معاقبتها إياه، كما ينتظر ذلك من والده وعلى العكس من ذلك فإذا اقترن الحب مع الإجلال والتعظيم كما هو الشأن مع الله فإنه ولا شك يكون أكثر حملاً على طاعته وأكثر ردعاً من معصيته ولهذا قال تعالى عن سلوك الذين تكونت عندهم عاطفة الحب والرهبة: ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**﴾[7].

ولهذا كله فإذا أردنا أن نجعل الناس يسارعون في الخيرات ويسارعون إلى تجنب الشرور يجب علينا أولا وقبل كل شيء أن نغرس في قلوب أطفالنا الصغار ذلك الإيمان اليقيني المطلق بالله بجميع تلك

---

(1) سورة آل عمران، الآية 32.

(2) يوسف مصطفى القاضي، ومقداد يالجن، المرجع السابق، ص284.

(3) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ1، ط3، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص139.

(4) سورة الحجر، الآية 49- 50.

(5) سورة غافر، الآية 03.

(6) كانط، كتاب التربية، ترجمة الشيخ طنطاوي جوهري، المطبعة السلفية، القاهرة، 1355هـ/1936م، ص93-94.

(7) سورة الأنبياء، الآية 90.

الصفات التي يتصف بها ذلك الخالق العظيم، وأن نغرس في نفوسهم عاطفة الحب لله والخشوع له وربطهم به لا بغيره واللجوء إليه في كل شيء رغبة في تحقيق حاجاتهم واجتنابا لكل لون من ألوان المعاصي والشرور رهبة من عذابه.

وإذا كانت فطرة الإنسان السوية تدفعه لأن يحبّ من أحسن إليه ويسعى لإرضائه، وإن الحب يزداد كلما ازداد الإحسان، فلا شك فيه إن الله تعالى أولى وأجدر بأعلى درجات الحب، لأنه تعالى هو الذي وهب لنا الحياة، وهو صاحب الفضل والنعمة، سخّر لنا سائر المخلوقات وكرّمنا عليهم ورزقنا من الطّيبات وأعطانا من النّعم ظاهرها وباطنها مالا يُعدّ ولا يُحصى حيث قال تعالى: "**وءاتاكم من كل ما سألتموه و ان تعدّوا نعمة الله لا تُحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفّار**"[1].

فلنعمل على ترسيخ حب الله تعالى في أعماق أطفالنا ولنقل لهم يجب أن تحبوا الله أكثر منّا لأن الله هو الذي خلقنا لكم فنوفّر لكم ما تريدون وترغبون...

وهذا نموذج لأطفال السلف الصالح.. فيما يُروى أن أمير المؤمنين علي–رضي الله عنه–: "كان جالساً يوما في يبيته وقد جلس إلى جانبه طفلاه الصغيران: العباس وزينب قال علي –رضي الله عنه– للعباس: قل واحد.اثنان.فقال: واحد. فقال: قل إثنان. قال: أستحي أن أقول باللسان الذي قلت واحد. إثنان!فقبّل علي عينيه ثم التفت إلى زينب وكانت على يساره والعباس على يمينه فقالت: يا أبتاه أتحبنا؟ فقال: نعم يا ابنتي، أولادنا أكبادنا! فقالت: يا أبتاه حبّان لا يجتمعان في قلب المؤمن، حب الله وحب الأولاد، وإن كان لابد فالشفقة لنا، والحبّ لله خالصاً فازداد علي –رضي الله عنه– بهما حباً "[2].

ونعم التربية التي ربّى بها الإمام علي –رضي الله عنه– أولاده حيث جعل قلوبهم ومشاعرهم تنبُض بحبّ الله وتوحيده.

ولنرسخ في أذهان أطفالنا أن حب الله تعالى يكون باتباع الآتي:

أولا: تنزيه الله تعالى وطاعته ومراقبة الله في السّر والعلن:

جاءت الديانات السماوية كلها تؤكد تنزيه الخالق، فهو منزّه عن الشركاء، له الألوهية وحده، وله الربوبية وحده، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيراً... وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[3].

يقول "سيد قطب" في تفسير هذه الآية: فليس هنالك من شيء يماثله سبحانه وتعالى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.. والفطرة تؤمن بهذا بداهة..فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه"[4] لأنه

---

[1] سورة إبراهيم، الآية 34.

[2] ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، (باب أحكام الأولاد)، جـ2، المكتبة الإسلامية، طهران، المكتبة العلمية، النجف الأشرف، 1383هـ/1964م، ص635.

[3] سورة الشورى، الآية 11.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ5، المرجع السابق، ص3146.

الواحد في ربوبيته الواحد في ألوهيته، وبغير هذه الوحدانية يفسد الكون ويختل نظام الحياة. قال تعالى:﴿**لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا..**﴾[1].

والرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– يؤكد هذه الحقيقة، فعن "عبد الله بن مسعود" –رضي الله عنه– قال: "**سألت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أي الذنب أعظم عند الله قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال: قلت له: إن ذلك لعظيم قال: ثم أي؟ قال: قلت: ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال: قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تزاني حليلة جارك**"[2].

فلا بد إذن أن نغرس في نفوس أطفالنا تنزيه الله على أن لا يكون له شريك أو مثيل، معترفين بوحدانيته مقرّين له بجميع صفات الكمال التي وصف بها الله نفسه ليكون التوجه إليه تعالى بالعبادة والإخلاص الكامل ﴿**إياك نعبد وإيّاك نستعين**﴾ وليكون التماس الخير أو دفع الضر منه وحده. قال تعالى: ﴿**فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص...**﴾[3].

وإذا رسخ في ذهن الطفل أن الله وحده الذي يُعبد وأن الله على كل شيء رقيباً، يبدأ بطاعته ومراقبته في السّر والعلن، فعلى الوالدين أن يُشعروا أطفالهم بأن الله سبحانه وتعالى يسمعهم ويراهم ويعلم ما يسرّون وما يجهرون من القول، يقول تعالى: ﴿**عالم الغيب والشهادة الكبيرُ المُتعالي(٩) سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار(١٠)**﴾[4]. فالآية تُبين علمه تعالى بأحوال الناس في الكون فتقرر أنه يستوي في علمه تعالى: المسر بقوله أو الجاهر فيه، ويستوي كذلك عنده تعالى المستخفي بعلمه في ظلمات الليل أو المعلن عنه في وضح النهار. لم يخبرنا الله تعالى بصفاته عبثًا، فقد تنزّه الله عن العبث في أقواله وأفعاله، وإنما أخبرنا تعالى بها كي نوجه نفوسنا نحوها، ونوقن بها.

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لمن سأله ما الإحسان؟ قال: "**أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك..**"[5].

وهذا لقمان العبد الصالح يقول لابنه: "يا بني إذا أردت أن تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه، فيه إشارة منه له أنك لا تجد مكاناً لا يراك فيه لا تعصه"[6].

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 22.

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده)، رقم(141)، جـ1، المصدر السابق، ص90.

[3] سورة الزمر، الآية: 2– 3.

[4] سورة الرعد، الآية: 9،10.

[5] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب الإيمان ما هو وبيان خصاله)، رقم(9)، جـ1، المصدر السابق، ص39.

[6] محمد الحسن بن محمد الديلمي، إرشاد القلوب، مرجع سابق، ص128.

وكان بعض العلماء يرفع شابا على تلاميذه كلهم فلاموه في ذلك فأعطى كل واحد منهم طيراً وقال:"اذبحه في مكان لا يراك أحد فجاءوا كلهم بطيورهم، وقد ذبحوها فجاء الشاب بطيره وهو غير مذبوح، فقال له، لم لا تذبحه؟ فقال: لقولك: لا تذبحه إلا في موضع لا يراك فيه أحد ولا يكون مكانًا إلاّ يراني فيه الواحد الأحد الفرد الصمد، فقال له: أحسنت، ثم قال لهم: لهذا رفعته عليكم وميّزته عنكم"[1].

وحرصا على ترسيخ هذه العقيدة الإسلامية، فقد علمها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى "ابن عباس" –رضي الله عنهما–: حيث وجده أهلاً للوصية مع صغره فقال له:

"**يا غلام! إني أعلمك كلمات: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجُفت الصحف**"[2].

فقول الرسول الكريم: "احفظ الله يحفظك" ومعناه: "كن مطيعاً لربّك مؤتمراً بأوامره، منتهيا عن نواهيه"، ثم قوله: "احفظ الله تجده تجاهك" أي اعمل له بالطاعة ولا يراك في مخالفته فإنك تجده تجاهك في الشدائد[3].

والسؤال ماذا يجني أطفالنا منم غرس روح المراقبة في نفوسهم؟

والجواب:

–إن مراقبة الله في السر والعلن توقظ في ضميره الخوف فيبعده عن ارتكاب الذنوب والمعاصي فإذا أخطأ أو زلّ بسبب ضعفه البشري فإنه سرعان ما يبادر إلى التوبة والاستغفار.

– والمراقبة تؤدي إلى الحياء. وقد حكي أن لقمان قال لابنه: "إذا راقبت الله تعالى لم تقدم على معصية أبداً، لأنه بمجرّد التفاتك إلى أنه يراك ويطلع عليك يمنعك الحياء منم مخالفته"[4].

وما أحوج الولد وهو صغير إلى هذا التوجيه حتى يواجه الحياة بنفسية مطمئنة وضمير يقظ واع يفسح أمامه الطريق ليخدم نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه.

ثانيا: حسن الظن بالله واللجوء إليه والخوف منه:

إن حسن الظن بالله، صفة يجب أن يتحلى بها كل مسلم ومسلمة.روى "البخاري" و"مسلم" عن "أبي هريرة"–رضي الله عنه–، فيما يرويه النبي–صلى الله عليه وسلم– عن ربّه عز وجل: "**أنا عند ظن**

---

[1] محمد الحسن بن محمد الديلمي، إرشاد القلوب المرجع السابق، ص128.

[2] النووي، شرح الأربعين النووية، المصدر السابق، ص75.

[3] المصدر نفسه، ص76.

[4] عبد الله المامقاني، مرآة النجاة، علّق عليه وحقّقه محيي الدين المامقاني، ط3، مطبعة الخيام، قم، إيران، 1397هـ/1977م، ص32.

عبدي بي"[1]. أي أن الله يعامل الإنسان حسب ظنّه به، فإن ظنّ أن الله سيعفو عنه فإنّ الله سيحقق له العفو. ونجد في قصة الرسول الكريم مع مرضعته "حليمة السعدية" –مثالا لحسن الظن بالله وروح مطمئنة بأن لا لجوء إلاّ لله.

تقول حليمة السعدية: لما بلغ محمد–صلى الله عليه وسلم– الثالثة من عمره قال لي: يا أمّاه أين يذهب إخوتي كل يوم؟ فأجبته: يخرجون إلى الصحراء لرعي الأغنام قال: لماذا لا يصحبوني معهم؟ فقلت له: هل ترغب في الذهاب معهم؟ قال: نعم، فلما أصبح دهنته. وكحّلته، وعلقت في عنقه خيطاً فيه جزع يمانية، فنزعها ثم قال لي: "**مهلاً يا أمّاه فإن معي من يحفظني**"[2]. وهذا دليل على أنه يحسن الظّن بالله بأن الله كافله وحافظه.

وروى "أبو داود" عن "أبي هريرة" –رضي الله عنه– أن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: "**حسن الظّن من حسن العبادة**"[3]. لأنه ظن بربّه ما هو أهل له من الخير.

فإذا وعى الطفل أنّ الله يراه، ويسمعه، ويعلم ما يعمله من خير وشرّ فإن ذلك يمنعه عن القبيح من الأعمال. وفي هذا الشأن يقول الله تعالى:﴿**وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى(٤٠) فإن الجنة هي المأوى(٤١)**﴾[4].

والسؤال المطروح هو لما رغب الإسلام في الخوف من الله ودعا إليه؟ الجواب لما له من آثار طيّبة وثمار حسنة في حياة الفرد والجماعة.

– إن الخوف من الله يحيي ضمير الإنسان على اليقظة والخشية، ومراقبة الله عز وجل، فيمنع الإنسان من الإسترسال في المعاصي والآثام، ويجنّبه الوقوع في الحرام. ويبعث في الإنسان روح الشجاعة، ويدفعه إلى الهجر بالحق، فلا يحسبون للخلق حسابا و يتهيبون من أحد، ولا يخافون من مخلوق، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿**الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا**﴾[5].

فالإنسان إذا خاف من الله فإنه سوف يكف لسانه عن الغيبة والنميمة والكذب والغش والنفاق، وطهر القلب من الغل والحسد، وطهر يده عن أكل الحرام، وامتنع عن كل الصفات القبيحة التي يبغضها الله ويمقتها الإسلام.

ولهذا يجب على الآباء والمربّين أن يغرسوا في نفوس الأطفال صفة الخوف من الله وخشيته ليستيقظ ضميره من صغره ويصمد أمام مغريات الدنيا. وأن يبعدوا عنهم الخوف المذموم، الخوف الناشئ

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الذكر والتوبة والاستغفار، (باب الحث على ذكر الله تعالى)، رقم(2675)، جـ4، المصدر السابق، ص2061.

[2] المجلسي، بحار الأنوار، ج15، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1403هـ/1983م، ص392.

[3] سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في حسن الظن)، رقم(4993)، جـ4، المصدر السابق، ص298..

[4] سورة النازعات، الآية 40– 41.

[5] سورة الأحزاب، الآية 39.

من الضعف والعجز، وفي حياتنا اليومية كثيرا ما نلاقي من الناس ممن قعد بهم الخوف وقد سمحوا للخوف أن يأخذ منهم كل مأخذ، وأن نعلّم أطفالنا أن لا يخافوا من الناس، فإنه مما يذمّه الإسلام ويحذر منه، لأنه يمنع أطفالنا من الجهر بالحق، ويجعله إنساناً متملقا تافهاً، لا يرجى خيره، ولا يؤمن شرّه. وما أكثر ما نشاهد من الأطفال الذين امتنعوا عن الإشتراك والمساهمة في الفعاليات والنشاطات الإجتماعية على أثر خوفهم من أنفسهم أو من الناس وهؤلاء إذا كبروا فإنهم سوف يتخلّوا عن حمل أي مسؤولية تعطى لهم.

وكثيراً ما نجد من الطلاب والتلاميذ يسألون معلمتهم وقد استولت عليهم الرهبة والخوف ويستولي عليهم ذلك أيضا في الإمتحانات بحيث لا يستطيعون معه أن يبينوا أو يكتبوا ما كانوا يعلمونه، فلنبعد عن أطفالنا شبح الخوف الغير محمود ولننمي فيهم الجرأة في مواجهة أي موقف كان بأسلوب مهذّب مقبول.

لأن هذا الخوف السلبي قد يقلّل من قدرتهم على التفوق والتغلب على الصعاب التي تواجههم في حياتهم اليومية ممّا تزداد مشاكلهم وتتفاقم يوماً بعد يوم، لأن الخوف يدمر الإنسان.

فلنربي أطفالنا على الشجاعة والشهامة والجرأة، والأفضل أن تحصل هذه الجرأة في الطفولة، حيث تعمل الأسرة والمدرسة معاً على بناء الشخصية القوية السوية للطفل المملوءة بالجرأة والشجاعة، ولهذا فعلينا كمربين أن نعمل بكل ما هو ضروري ولازم للتحصيل والتفوّق وأن نمحي من نفوس أطفالنا الخوف والرعب الزائد.

ثالثا: شكر الله اعترافا بالجميل:

واجبنا كمربّين أن نلفت دائما أنظار أطفالنا إلى هذا الإنسان وما فيه من نعم ربانية لا تُحصى، وأن نعلّمهم أن عليهم واجبا نحو ربّهم تعالى الذي تفضّل عليهم بالنعم وهذا الواجب يتمثّل بشكره تعالى على نِعَمه وأن نخبرهم بأن الشكر يتحقق ويتجسد بالطاعة والعبادة.

ولننظر في سيرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو يعلّم أمّته واجب الحمد والشكر لله فيقول: "**عن أنس رضي الله عنه–: إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**"[1].

ومن خطب سيدنا عمر –رضي الله عنه– في هذا المجال أنه قال: الحمد لله الذي أعزّنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيّه –صلى الله عليه وآله وسلم– فهدانا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، وألّف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا، ومكّن لنا في البلاد وجعلنا به إخواناً متحابين، فاحمدوا الله على هذه النعمة، واسألوه المزيد منها والشكر عليها، فإنّ الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم، وإيّاكم والعمل بالمعاصي والكفر بالنعمة، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلاّ سلبوا

---

[1] **سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، (باب ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه)، رقم(1816)، جـ4، المصدر السابق، ص265.**

عزّهم وسلّط عليهم عدوّهم: "أيها الناس إنّ الله قد أعزّ دعوة هذه الأمّة، وجمعها كلمتها وأظهر فلاحها وشرفها ونصرها، فاحمدوه عباد الله على نعمه واشكروه على آلائه، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين"[1].

فهذه الخطبة المأثورة تضمن توجيهات قيّمة، وحِكَم صائبة تدل على فهم وسداد قول، والتي صدرت عن قلب عامر بحب الله، عامر بالإيمان، وفهم للحياة، فهي خير موجّه ومعين لأبنائنا على الحثّ على العمل الصالح، والشكر لله على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى وأوّل هذه النعم أن الله كرّم آدم على كثير من خلقه. قال تعالى: ﴿**ولقد كرّمنا بني آدم وحملناه في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[2].

فإن هذا التكريم والتفضيل والرزق يوجب على الإنسان أن يتوجّه إلى الله تعالى بالشكر اعترافا بالجميل والفضل.

وإخبارنا لأولادنا وأطفالنا بسيرة السّلف الصالح يدعوهم إلى الاقتداء بهم والسّير على نهجهم بحيث يحقق للنشئ تربية إسلامية صحيحة قوية.

ويمكننا أن نتساءل ما الذي نجنيه من شكر الله تعالى: إن شكر الله تعالى على نعمه يؤدي إلى الحفاظ عليها، وأماّ الكفر فقد يؤدي إلى زوالها: قال تعالى:﴿**وضرب الله مثلا قريةً كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رِزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾[3].

فلنعوّد أطفالنا على شكر الله تعالى ولنعلّمهم أن شكر الله لا يحفظ النعمة فقط بل يزيدها أيضا والشاكر لله يلاحظ المزيد، قال تعالى:﴿**لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد**﴾[4].

وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- يؤكّد هذه الحقيقة فيقول: "**ما فتح الله على عبد باب شكر فخزن عنه باب الزيادة**"[5].

كما أن شكر الله تعالى على نعمه يكسبه الجزاء الحسن في الآخرة أيضا، قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم-:"**الطُّهور شطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض...**"[6].

---

[1] **ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ4، المرجع السابق، ص130.**

[2] **سورة الإسراء، الآية 70.**

[3] **سورة النحل، الآية 112.**

[4] **سورة إبراهيم، الآية 7.**

[5] **محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، باب الشكر، جـ2، المصدر السابق، ص94.**

[6] **صحيح مسلم، كتاب الطهارة، (باب فضل الوضوء)، رقم(223)، جـ1، المصدر السابق، ص203.**

يقول سيد قطب: "إنما هو صلاح الحياة يتحقّق بالشكر، ونفوس الناس تزكو بالاتجاه إلى الله، وتستقيم بشكر الخير، وتطمئن إلى الاتصال بالنعم، فلا تخشى نفاذ النعمة وذهابها، ولا تذهب حسرات وراء ما ينفق أو يضيع منها، فالمنعم موجود والنعمة بشكره، تزكو وتزيد"[1].

إذن من واجبنا كمربّين أن نعلّم أطفالنا أن شكر الله تعالى يكون باللسان كأن يحمد الله تعالى ويثني عليه بما هو عليه. فعن "الحسن بن علي" –رضي الله عنهما– قال: "شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشرك قول الرجل: "الحمد لله ربّ العالمين"[2].

كما أن الشكر يكون بالعمل: فهو استعمال النعمة فيما يرضي الله.. وشكر الله تعالى مثلا على نعمة البصر يكون في سماع الخير والإعراض عن سماع المنكر...وشكر الله تعالى على نِعمة المال يكون بإنفاقه فيما يرضي الله...وهكذا...

وحتى نكون قدوة صالحة لأطفالنا علينا برفع أيدينا دائما إلى الله بالدعاء والرجاء والحمد والثناء ليسيروا على نهجنا وليقتدوا بصفة الحمد والشكر لله وليصبح الشكر والثناء عادة يرددوها دائما...

رابعا: الدعاء: وبيان بركته وفضله:

بعدما وضحنا لأطفالنا أن على الإنسان واجبا نحو ربّه الذي تفضّل عليه بالنعم وهو الشكر لله اعترافا بالجميل...علينا أن نغرس ونرسم صفة أخرى وهو التوجه إلى الله بالدعاء لأنه تعالى دائما يقول: ﴿**وقال ربّكم أدعوني أستجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين**﴾[3].

ويقول "سيد قطب" في تفسير الآية: للدعاء أدب لابد أن يراعى إنه إخلاص القلب لله و الثقة بالاستجابة مع عدم اقتراح صورة معينة لها، أو تخصيص وقته أو ظرف، فهذا الاقتراح ليس في أدب السؤال. والاعتقاد بأن التوجّه للدعاء توفيق من الله، والاستجابة فضل آخر. وقد كان عمر –رضي الله عنه– يقول: "أنا لا أحمل همّ الإجابة إنما أحمل همّ الدعاء. فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه" وهي كلمة القلب العارف، الذي يدرك أنّ الله حين يقدّر الاستجابة يقدّر معها الدعاء فهما –حين يوفق الله– متوافقان متطابقان"[4].

كما أنه من واجبنا كمرّبين أن نُفهم أطفالنا أن الإنسان ضعيف وفقير، فهل هناك أقوى من الله تعالى يلجأ إليه؟! وهل هناك أغنى من الله يستمد منه؟.

فالله إذن هو وحده الجدير بأن يرفع العبدُ يديه إليه ضارعاً، وهو وحده الحق بأن يوجه قلبه إليه راجيًا، وهو وحده، الكفوء أن تقصده النفس سائلة، لأنه المالك القادر الغني الوهّاب...ولنخبرهم أن الآيات

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ4، المرجع السابق، ص2089.

[2] محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، (باب الشكر)، جـ2، المصدر السابق، ص95.

[3] سورة غافر، الآية 60.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ5، المرجع السابق، ص3091.

القرآنية قد أخبرت أن الله تعالى قريب منهم، وأنه كريم يجيب دعوة سائله، قال تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾[1].

وتصوير الرسول للدعاء تصوير عجيب، يبيّن عن مدى فضل الله وبرّه وكرمه وحرصه على دعاء عباده إياه فيقول: "**يتنزل ربّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له.. من يسألني فأعطيه.. من يستغفرني فأغفر له**"[2].

ومن أسباب الغفران، هذا الذكر الذي رواه "البخاري" و"مسلم" عن "أبي هريرة" –رضي الله عنه– أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: "**من قال سبحان وبحمده، في يوم مائة مرّة، حُطّت خطاياه، وإن كانت مثل زَبَدِ البحر**"[3].

أثر الدعاء التربوي:

السؤال هنا ما فائدة تعليم أطفالنا الدعاء وما هو فضله وبركته؟

– الدعاء من أسباب رفع البلاء وسبب ذلك أنّ الإستغفار يدفع الشر عن الإنسان. ويقدر ما يندفع عنه الشكر، يكثر الخير في نفسه ويزداد. يقول –صلى الله عليه وآله وسلم–: "**أنه سبحانه وتعالى يبتلي العبد حتى يسمع دعاءه وتضرّعه**"[4].

– وقال –عليه السلام–: "**من سر أن يكشف عنه البلاء فليكثر من الدعاء**"[5].

– ففي الدعاء تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله وصلتها به، ومن ثمّ كانت حياة الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– دعاء دائما، يدعو مع كل عمل وكل حركة بالليل أو بالنهار ولهذا كان الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– يعلّم أصحابه الدعاء فيقول: "**اللهم أنت ربي لا إله إلاّ أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت أعوذ بك من شرّ ما صنعت...**"[6].

وهكذا نجد بأن حب الله تعالى، والإستعانة به، ومراقبة الله، و الإيمان بالقضاء والقدر هو السبيل الوحيد الذي نستمد منه القوة والقدرة على مواجهة الحياة ومجابهة الصعاب، ونحن نعلم أن لكل طفل مشكلاته الخاصة به، سواء منها النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية والمدرسية، وتختلف هذه المشكلات بين طفل وآخر، في حدّتها وشدّتها، وطراوتها.. وقد يعبّر الطفل عن مشكلاته بشكل شعوري أو

---

[1] **سورة البقرة، الآية 186.**

[2] **صحيح البخاري، كتاب الدعوات، (باب الدعاء نصف الليل)، رقم(6321)، جـ8، المصدر السابق، ص81.**

[3] **صحيح البخاري، كتاب الدعوات، (باب فضل التسبيح)، رقم(6405)، جـ8، المصدر السابق، ص86.**

[4] **محمد الديلمي، إرشاد القلوب، المرجع السابق، ص148**

[5] **المرجع نفسه، ص149.**

[6] **صحيح البخاري، كتاب الدعوات، (باب ما يقول إذا أصبح)، رقم(6323)، جـ8، المصدر السابق، ص71.**

لاشعوري، فبأي وسيلة يمكن معالجته من الداخل؟ وبأي طريقة يستطيع الطفل، أن يخفّف من آلامه –إن وجدت– ويخلصه من مشكلاته إن حصلت؟

إنّها بترسيخ حب الله تعالى؛ والإستعانة به؛ ومراقبته؛ والإيمان بالقضاء والقدر، وهذا هو أسلوب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وليس ابتكاراً من أحد غيره.

فبتعميق هذا الحب والاستعانة في نفسه، وتأصيل هذه المراقبة في قلبه، وغرس الإيمان بالقضاء والقدر في لبه وفؤاده، يستطيع الطفل مواجهة حياته الطفلية الآن، ومستقبل رجوليته، –أو أموميته– فيما بعد:

1- ماورد في حضّ الأطفال على ذلك:

عن ابن "عمر" –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**لا ترفع العصا من أهلك، وأخفهم في الله عزّ وجل**"[1] –رواه الطبراني

وأخرج "الترمذي" عن "ابن عباس" –رضي الله عنهما– قال: كنت خلف النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– يوما فقال: "**يا غلام! إني أعلمك كلمات:**

"**إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجدْه تُجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم؛ أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف**"[2].

وفي رواية غير الترمذي زيادة:

"**إحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّخاء، يعرفك في الشّدة. واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأما أصابك لم يكن ليخطئك. واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسرا**".

فإذا حفظ الطفل هذا الحديث، وفهمه جيّدا، لم تقف أمامه عثرة، ولم يعقه شيء؛ في مسيرة حياته كلّها. فأي تربية هذه– قديمة وحديثة– تستطيع أن تبلغ من نفس الطفل كما بلغها هذا الحديث.

إنّ لهذا الحديث قوة كبيرة على حلّ مشاكل الطفل، بفضل تأثيره، وروحانيته، وله القدرة في دفع الطفل نحو الأمام، بفضل استعانته بالله، ومراقبته له، وإيمانه بالقضاء والقدر، وإنّ أطفال الصحابة تلقوا هذا التوجيه النبوي، فهم يستعينون بالله على ما أصابهم من قدره، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب، ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلاّ بالله، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا.

وإليك بيان ذلك عمليا لا بالكلام النظري:

---

[1] رواه الطبراني، المعجم الصغير، (باب ما اسمه أحمد)، رقم (114)، جـ1، المصدر السابق، ص86.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 162 من الرسالة.

أورد "ابن رجب الحنبلي" في كتابه: –جامع العلوم والحكم[1]– عن "آدم بن أبي إياس" في تفسيره عن "محمد بن إسحاق"[2] قال: جاء "مالك الأشجعي" إلى النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– فقال: أُسِرَ ابني عوف، فقال له: "أرسل إليه: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يأمرك أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله" فأتاه الرسول فأخبره، فأكبّ عوف يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وكانوا قد شدوه بالقدِّ، فسقط القدّ عنه، فخرج، فإذا هو بناقة لهم، فركبها، فإذا هو بسرح القوم الذين كانوا شدوه، فصاح بها، فأتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلاّ وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف ورب الكعبة! فقالت أمّه: واسوْأتاه! عوف كثيب بألم ما فيه من القدِّ، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصّ على أبيه أمره، وأمر الإبل، فأتى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "**إصنع بها ما أحببت، وما كنت صانعا بإبلك**"[3].

ونزل: ﴿**ومن يتّق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾[4].

فهكذا كان اهتمام السلف الصالح بترسيخ الإيمان وحلاوته، وأن الطريق إلى ذلك الوصول إلى درجة اليقين بالقضاء والقدر.

والآن ننتقل إلى الأساس الثالث من البناء العقائدي وهو: ترسيخ حب النبي –صلى الله عليه وسلم –وآل بيته:

الأساس العقائدي الثالث: ترسيخ حب النبي–صلى الله عليه وسلم–وآل بيته الأطهار وأصحابه الكرام:

وبها يتحقق الشطر الثاني من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. وقد سار السلف الصالح وخلفهم في تركيزها وتثبيتها في نفس الطفل، إذ بها تتحرك مشاعر الطفل، وأحاسيسه، وتزيد حرارة الشعور الإسلامي، وتدفع به إلى كل خير، وتحلّ له مشكلاته كلها، وتهوّن عليه كل مصيبة.

ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها، وذلك لتقتدي بها، وتسير على هداها، وتقلّدها في كل حركاتها. والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول –صلى الله عليه وسلم– إذ هو القدوة الثابتة الراسخة، التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله جميعا. "ومن أصدق من الله قولا" حيث توالت الآيات الكريمة تشيد بأخلاق صاحب الرسالة. قال تعالى ﴿**وإنّك لعلى خلق عظيم**﴾[5]. وإذا

---

[1] ذكره ابن كثير في تفسيره وقال: رواه ابن أبي حاتم، نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص214.

[2] محمد ابن إسحاق، وهو ثقة عند الحنفية، نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص214.

[3] محمد نور السويد، المرجع السابق، ص214.

[4] سورة الطلاق، الآية 2– 3.

[5] سورة القلم، الآية 04

كان الله سبحانه قد خص نبيّه –عليه الصلاة والسلام– بهذا الخلق العظيم، وميّزه بهذه الأسوة الحسنة.. فمن الطبيعي أن تنجذب القلوب له، وأن تتأسّى النفوس به، وأن يجد الناس في شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم– القدوة الكاملة والمثَل الأعلى في كل ما يرتبط بحياتهم الدينية والدنيوية والاجتماعية"[1].

إذن فواجبنا كمربّين أن نرسخ في نفوس أطفالنا حبّ رسول الله وحب آل بيته، وأن نبيّن لهم أن حب رسول الله يفوق كل حب وأن حبّه من الإيمان مصداقاً لقوله –عليه أفضل الصلاة والسلام–: "**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**"[2].

وإن مظاهر حب الله محبة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، إذ أنه مبلغ الرسالة، وقائد الخلق إلى الصراط المستقيم، والهادي إلى الحقّ، يقول الإمام علي –رضي الله عنه–: "فبعث الله محمد –عليه الصلاة والسلام– بالحق، ليخرج عبادة من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بيّنه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه"[3].

وعنه أيضا أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيّكم وحبّ آل بيته وقراءة القرآن**"[4].

فبحب رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يتحقّقُ الشطر الثاني من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وبترسيخ محبّة رسول الله تتحرّك مشاعر الطفل وأحاسيسه ويوقى لديه الإنتماء إلى هذا الدين وترسخ لديه عقيدة الإيمان به كرسول منزّل. ولنبيّن لأطفالنا أن محبة رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– لا تتحقّق بالأقوال دون الأفعال ولكن تتحقّق محبته باتباع الآتي:

1- الإستجابة القوية لأوامره وتنفيذها واجتناب نواهيه بالبعد عنها:

للظفر بمحبة الله منهج مرسوم، وطريق معلوم، وإنّ في طليعة هذا المنهج متابعة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وحسن الاقتداء به، والتأسي به في أقواله وأفعاله والتحلّي بمكارم أخلاقه. فذلك اكتمال الإيمان والمحبة وصدق اليقين به.

ويأتي التزام منهج النبوة مكملاً لسلوك المسلم. قال تعالى: ﴿**وأطيعوا الله والرّسول لعلكم تُرحمون**﴾[5]. وطاعة الرسول أصل من أصول العقيدة. قال تعالى: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع**

---

[1] **عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ2، المرجع السابق، ص648.**

[2] **صحيح البخاري، كتاب الإيمان، (باب حب الرسول من الإيمان)، رقم(15)، جـ1، المصدر السابق، ص12.**

[3] **محمد عبده، نهج البلاغة، جـ2، المرجع السابق، ص20.**

[4] **محمد الرّي شهري، ميزان الحكمة، (باب تربية الولد)، جـ10، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، وبيروت، 1405هـ/1985م، ص721.**

[5] **سورة آل عمران، الآية 132.**

الله...﴾[1]. والطاعة للرسول –صلى الله عليه وسلم– تتمثل في قوله تعالى: ﴿**... وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾**[2].

يقول "سيد قطب" في تفسير هذه الآية: "فهي كذلك تمثّل النظرية الدستورية الإسلامية. فسلطان القانون في الإسلام مستحق من أن هذا التشريع جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– قرآنا أو سنة. والأمة كلّها والإمام معها لا تملك أن تخالف عمّا جاء به الرسول. فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لشريعها هذا سلطان لأنه فقد السند الأول الذي يستمد منه السلطان"[3].

وقال تعالى: ﴿**...وإن تطيعوه تهتدوا..﴾**[4].لأنه يدعو إلى صراط مستقيم، والرسول الكريم يأمر باتباع أوامره واجتناب نواهيه. يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهْلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**"[5].

أمثلة من حياة الصحابة وأطفالهم تدل على سرعة الإستجابة لرسول الله ومحبّته:

– روى "الإمام أحمد" عن زهرة بن معبد عن جده قال:كنا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو آخذ بيد "عمر بن الخطاب" فقال: والله يا رسول الله أنت أحبّ إليّ من كل شيء إلاّ من نفسي، فقال عمر: فأنت الآن والله أحبّ إليّ من نفسي، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الآن يا عمر"[6]. "الآن تم إيمانك".

– دخل علي فرأى محمداً وخديجة يصليان صلاة لم يكن رآها من قبل، فوقف حتى أتمآ صلاتهما فقال: لمن تسجدان؟ فأجابه الرسول: "**إنّما نسجد لله الذي بعثني نبيّاً وأمرني أن أدعو الناس إليه**"[7]. ودعاه الرسول إلى اعتناق الإسلام وتلا عليه من آيات الذكر الحكيم، فأخذ على نفسه وملأ عقله جمال الآيات، ولكنه استمهل ابن عمّه حتى يشاور أباه. وبات علي ليله مفكر، وفي اليوم التالي، أعلن لرسول الله اعتناقه للدين الجديد دون أن يشعر بحاجة إلى استشارة أبيه وقال: "لقد خلقني الله من غير أن يشاور

---

[1] سورة النساء، جزء من الآية 80.

[2] سورة الحشر، جزء من الآية 7.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ6، المرجع السابق، ص3525.

[4] سورة النور، جزء من الآية 54.

[5] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، (باب توقيره –صلى الله عليه وسلم– وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه)، رقم(1337)، جـ4، المصدر السابق، ص1337.

[6] تفسير ابن كثير، جـ2، المصدر السابق، ص131.

[7] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص212.

"أبا طالب" فما حاجتي أنا إلى مشاورته لأعبُدَ الله؟"[1]. هذا الإمام "علي" كان في سن حداثته فكّر تفكير المستقلين واستنتج استنتاج المتحررين.

وكان من نتيجة هذه المحبة المخلصة لرسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– أن آثاروها على محبتهم لأنفسهم. روى البيهقي عن عروة قال: "ولما أخرج أهل مكة –زيد بن الدّثنة– وكانوا قد أسروه ليقتلوه، قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمّدا الآن مكانك تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمّدا في مكانه، الذي هو فيه تصيبُه شوكة، وإني لجالس في أهلي! فقال أبو سفيان: "ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمدّ محمّدا"[2].

مبايعة أطفال الصحابة للرسول –صلى الله عليه و سلم– وهم في سنّ مبكرة:

أخرج مسلم عن عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر ابن الزبير أنهما قالا: "خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت وهي حبلى بعبد الله بن الزبير فقدمت قُباء فنفست بعبد الله بقُباء ثم خرجت حين نفست إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليحنّكه فأخذه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– منها فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة، قال: قالت عائشة فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها فمضغها ثم بصقها في فمه فإن أول شيء دخل بَطْنه لريق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم قالت أسماء: "ثم مسحه، وصلى عليه، وسمّاه: عبد الله ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليُبايعَ رسول الله وأمره بذلك الزبير فتبسّم رسول الله –صلى الله عليه و سلم– حين رآه مُقبلاً إليه ثم بايعه"[3].

هكذا نشأ أطفال الصحابة على محبة رسولهم –صلى الله عليه وسلم–، يدفعم إلى ذلك الآباء والأمهات، ومن شبّ على شيء ساب عليه.

قال الإمام "النووي" –رحمه الله– معلقا على هذا الحديث: "**هذه بيعة تبريك، وتشريف، لا بيعة تكليف، فإنه دون سن التكليف**"

وروي أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لم يبايع صبيا **إلا الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير** –رضي الله عنهم–.

2– التأسي برسول الله–صلى الله عليه وسلم– في أقواله وأفعاله باتخاذه القدوة الحسنة:

إن من مظاهر حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن نتأسى بأقواله و أفعاله باعتباره المرسل والقدوة والمرجع، لذلك يقال أنّ: "القدوة في التربية هي من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خُلقيا وتكوينه نفسيّا واجتماعيا..ذلك لأن المربّي هو المثل الأعلى في نظر الطفل والأُسوة الصالحة في عين الولد، يقلّده سلوكيا، ويحاكيه خُلُقيا من حيث يشعر أو لا يشعر.. بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته

---

[1] محمد حسين هيكل، حياة محمد،، ط9، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م، ص140.

[2] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ2، المرجع السابق، ص649.

[3] صحيح مسلم،كتاب الآداب، (باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته)، رقم(2146)، جـ3، المصدر السابق، ص1690.

القوليّة والفعليّة والحسيّة والمعنويّة من حيث يدري أو لا يدري"[1]. ولهذا يجب أن يكون المقلّد قدوة طيّبة ونموذجا حسنا، حتى لا يترك أثراً سيئاً في نفس الطفل المقلّد، فللمحاكاة أثر كبير في التربية الخُلُقية والعقلية، والتقليد عاممل مهمّ في المرحلة الأولى لتكوين العادة.

فالتربية الحديثة لم تصل إلى أبدع من اتخاذ القدوة الحسنة وسيلة إلى تعليم الأخلاق وغرس أصول الفضائل في النفوس. وبالتأكيد فإن خير قدوة وأسوة لنا هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فتعاليمه ومبادئه التربوية ما زالت إلى يومنا هذا المرشد والدليل لنا في كل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾[2].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي –صلى الله عليه وسلم– في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: "**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**"[3] أي هلا اقتديتم به وتأسيتُم بشمائله –صلى الله عليه وسلم–.

فالإسلام يعتبر القدوة من أهم وأعظم وسائل التربية محاكاة وتأثيرا ورسوخا لذا جعل الله سبحانه وتعالى التأسي بنبيّه مفتاحاً لرضوانه وطريقا إلى جنّاته وإن باتباعه واقتفاء أثره سببا لمحبته، ووسيلة إلى رحمته مصداقا لقوله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله..**﴾ [4].

فالطفل حين يرى من أبويه ومربّيه القدوة الصالحة في كل أفعالهم وأقوالهم فإنه سوف يحاكيهم فيما يقولون وما يفعلون ويأنس بما يأنسون، وقد ثبت في علم النفس أن الطفل بطبيعته يحاكي ما يحدث في المجتمع الذي يحيط به حسناً كان أو قبيحا، فهو يحاكي ويُقلّد من يعيشون معه أو يتصلون به، ولهذا ينبغي أن يشرب الطفل مبادئ الخير.. والأخلاق الحميدة من المقلّد الصالح، ومن هنا كانت القدوة عاملاً قويا في صلاح الطفل أو فساده.

فلنعلّم أطفالنا وأبناءنا التأسي برسول الله ولنخبرهم أنّ من تأسي بنبي الهدى يؤمن الهلكة في الدنيا والآخرة، وخرج من الدنيا سليماً وورد الآخرة مغموراً.

والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول –صلى الله عليه وسلم– إذ هو القدوة الثابتة الراسخة، التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين.

---

[1] عبد الله ناصح علوان، جـ2، المرجع السابق، ص633.

[2] سورة الأحزاب، الآية 21.

[3] ابن كثير، تفسير ابن كثير، جـ3، المصدر السابق، ص88.

[4] سورة آل عمران، جزء من الآية 31.

وما العذاب الذي تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك، إلاّ أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة، وعدم التشبه برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش في فراغ في الشخصية، تلهث وراء الموضات المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة، وتركض وراء الممثلين المائعين المنحرفين البعيدين كل البعد عن المنهج الرّباني، وتهرول خلف بعض من يُسمّون أنفسهم مفكري العصر، وهكذا نجد أهمية شخصية حية يقتدي بها الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟!

وروى الإمام أحمد والشيخان عن أنس –رضي الله عنه–: **أن رجلا سأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– متى الساعة؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "وما أعددت لها؟ فقال: لاشيء، إلاّ أنّي أحب الله ورسوله، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "أنت مع من أحببت". قال أنس: "فأنا أحبّ النبي –صلى الله عليه وسلم– وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم، بحُبّي إيّاهم" ومعلوم أن أنس خدم النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو طفل صغير عمره عشر سنين ولمدة عشر سنين"**[1].

ثم إن أنس –رضي الله عنه–، وهو الطفل الصغير قام على خدمة النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر سنين يتخلى عن أحب شيء لدى الأطفال، ويستجيب للنداء، ويسارع لتنفيذ الأمر النبوي، فيترك اللعب، وينصاع للأمر، فقد أخرج أحمد ومسلم عن ثابت عن أنس –رضي الله عنه– قال: "**أتى عليّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأنا ألعب مع الغلمان، فسلّم علينا، فبعثني في حاجتة..**"[2].

بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر، وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى في الحب الصادق، وذلك بترقب حاجيات حبيبهم –صلى الله عليه وسلم– ليسارعوا إلى وضعها أمامه، دون أن يتكلم، أو يسمع أمراً، وهذا من قيم الحب الخالدة.

أخرج البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: **أن النّبي –صلى الله عليه وسلم– دخل الخلاء، قال: فوضعتُ له وضوءاً، فقال: "من وضع هذا؟" فأخبر، فقال–صلى الله عليه وسلم– " اللهم فقهه في الدين"**[3]

حب آل بيت النبي –رضوان الله عليهم–: من هم أهل البيت:

يقول تبارك وتعالى: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيرا**﴾[4].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المناقب، (باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي)، رقم(3688)، جـ5، المصدر السابق، ص12.

[2] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، (باب من فضائل أنس بن مالك –رضي الله عنه–)، رقم(2482)، جـ4، المصدر السابق، ص1929، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، (باب مسند أنس بن مالك –رضي الله عنه–)، رقم(12060)، جـ19، المصدر السابق، ص116.

[3] صحيح البخاري، كتاب الوضوء، (باب وضع الماء عند الخلاء)، رقم(143)، جـ1، المصدر السابق، ص41.

[4] سورة الأحزاب، جزء من الآية 33.

ويقول "ابن كثير" في تفسير هذه الآية: أنها نزلت في نساء النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– خاصة، وليس المراد أنهن المراد فقط دون غيرهن، فقد روى ابن أبي حاتم عن العوام ابن حوشب – رضي الله عنه– عن ابن عم له قال: **دخلت مع أبي على عائشة رضي الله عنها– فسألتها عن علي – رضي الله عنه– فقالت –رضي الله عنها–: تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم– وكانت تحته ابنته وأحبّ الناس إليه، لقد رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دعا عليّا وفاطمة وحسناً وحسيناً –رضي الله عنهم– فألقى عليهم ثوباً فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً" قالت: فدنوت منهم فقلت: "يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟ فقال –صلى الله عليه وسلم–: تنحي فإنك على خير"**[1].

ويقول "الطباطبائي" في الميزان في تفسير القرآن: "إنّ الروايات إنما تدل على شمول الآية لعلي وفاطمة والحسين –رضي الله عنهم – ولا ينافي ذلك شمولها لأزواج النبي–صلى الله عليه وسلم– كما يفيده وقوع الآية في سياق خطابهن"[2]. ﴿**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى...**﴾[3].

فواجبنا كجيل اليوم أن ننهج نهج أهل البيت ونسير سيرهم في الجهاد والتضحية والصبر، والدفاع والثبات، وليكن مثلنا "حمزة بن عبد المطلب" آمن بدين محمد ودافع عنه، فقد ورد في سيرة "ابن هشام" أنّ "أبا جهل" مرّ برسول الله –صلى الله عليه وسلم– عند الصفا فآذاه وشتمه... فلما مرّ بالمولاة وقد رجع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى بيته قالت له: "يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمّد آنفاً من أبي الحكم بن هشام؟ وجده ها هنا جالسًا فآذاه وسبّه...فاحتمل حمزة العضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، معد لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به... فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه به فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردّ ذلك عليّ إن استطعت"[4].ورأيناه يوم أُحُد يقاتل ويذود عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى سقط شهيداً.

ولهذا فعلينا أن نخبر أبناءنا لماذا نحبّ آل بيت النبي ونتأسى بهم؟ وذلك لأنهم أعلم المسلمين وأعبدهم وأروعهم وأتقاهم، وأكرههم وأحلمهم وأشجعهم إلى جميع الصفات الفضلى. "إن هذا الرعيل من الصالحين كانوا يمثّلون الطلائع الواعية في مجتمعهم، لم تكن تصرفاتهم خاضعة للأهوال والميول أو العصبية والمزاج –إنما كانت تنطلق من قناعات صحيحة وسليمة، فأخذوا بما عرفوا من شرائع الدين وأحكامه وقوانينه وسننه وكفّوا عما لم يكلفوا فيه مما هو محجوب عنهم أو غير مطلوب منهم"[5]. ومن ثم

---

[1] تفسير ابن كثير، جـ3، المصدر السابق، ص94.

[2] محمد حسن الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، جـ16، المرجع السابق، ص311.

[3] سورة الأحزاب، جزء من الآية 33.

[4] عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ط6، مكتبة السنة، القاهرة، 1409هـ/1989م، ص59، 60.

[5] عباس علي الموسوي، الوصية الخالدة، المرجع السابق، ص52.

إذا علموا أطفالنا محامدهم وصفاتهم فإنهم سوف يعرفون لهم فضلهم ويتبعون في آثارهم، ومن ثم تتعلق قلوبهم بمحبّتهم..

أحاديث في إكرام بيت رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–:

قد ورد عن النبي الكريم أن حبّهم علامة الإيمان، وأنّ بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبّهم أحبّ الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله، قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– لأصحابه: " **أي عُرى الإيمان أوثق"؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم الجهاد.فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لكلّ ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله وتوالي أولياء الله، والتّبري من أعداء الله"**[1].

كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أما بعد: ألا أيّها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم"[2].

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق**"[3] وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– عن أبي بكر الصديق–رضي الله عنه– موقوفاً عليه أنه قال: "ارقُبوا محمداً –صلى الله عليه وسلم– في أهل بيته". رواه البخاري ومعنى ارقبوا: راعوه واحترموه وأكرموه والله أعلم[4].

ولذلك ينبغي على الوالدين أن يربطا طفلهما بقدوة الرعيل الأول من الصالحين من صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والسلف الصالح.

وبعدما أنهينا الأساس الثالث من البناء العقائدي وهو ترسيخ حب النبي –صلى الله عليه وسلم– وحبّ آل بيته يمكننا الانتقال إلى بيان الأساس الرابع من هذا البناء وهو الإيمان بالملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهو بأمره يعملون:

---

[1] محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، (باب الحب في الله والبغض في الله)، جـ2، المرجع السابق، ص 125–126

[2] النووي، رياض الصالحين، (باب إكرام أهل بيت رسول الله وبيانت فضلهم)، المرجع السابق، ص 127–128

[3] الكليني، الأصول من الكافي، (باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته عليهم السلام)، جـ5، المرجع السابق، ص492.

[4] النووي، رياض الصالحين، المرجع السابق، ص128.

الأساس الرابع: الإيمان بالملائكة بأنهم:

تمهيد:

لقد ركزنا في ذكرنا للأسس السابقة على بناء التربية بالإيمان بالله وذلك بغرس بذور التوحيد تبعا لفطرته التي فطره الله عليها، وعندما تلاءمت وتناسبت فطرته مع توحيده لله، شرعنا في ترسيخ حبّ الله تعالى باللجوء إليه ومراقبته والخوف منه، ثم انتقلنا إلى ترسيخ حب رسول الله وطاعته وتنفيذ أوامره، ثم حبّ آل بيته ثم نصل الآن إلى دعوة أطفالنا إلى الإيمان بالملائكة شيئا فشيئا، حيث قال "ابن خلدون" في مقدمته "إعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلاً...ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يردُ عليه..."[1].

وما علينا إلاّ أن نجلس إلى أطفالنا ونتحدث إليهم بصدر رحب لنفهمهم أركان عقيدتهم، وأن نقول لهم: أي بني أو يا ولدي لو أردت أن تفوز برضا الله في الدنيا والآخرة فما عليك إلاّ أن تلتزم بكل أركان عقيدتك من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه.

إذ يجب الإهتمام بالتربية العقلية لأطفالنا حتى يستوعبوا ما سوف نقول لهم عن حقيقة الملائكة. ومن هم وممّ خلقوا؟ وبيان طبيعتهم وتفاوتهم وعملهم في عالم الأرواح وعالم الطبيعة، ففي الحقيقة إنّ المعرفة هي تربية مستمرة، متجددة، سواء في التربية العقلية أو التربية الأخلاقية "فالمعرفة حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس...فالمعرفة تشبه التصور"[2]وبعد أن نعطيهم صورة شاملة عن كل ما يتعلق بالملائكة نبيّن ونوضح لهم أن الإيمان بهم هو ركن من أركان العقيدة، وقد نتساءل ما الحكمة من إخبار أطفالنا بوجودهم ووجوب الإيمان بهم؟ فلنتعرف الآن على الملائكة..

من هم الملائكة:

قرر القرآن الكريم فيهم أنهم عالم غيبي، ليس ماديا من طبيعته أن يبرز في العالم المادي ﴿**قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملك رسولا**﴾[3].

"لا نتصل بهم عن طريق الحسّ اتصالا يفيد العلم اليقيني، حتى نكشف حقيقتهم ونحدّ تكوينهم، وحسبنا في العقيدة أن نقتصر على ما وردت به النصوص، دون أن نجري وراء التكهنات"[4].

أي ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم م عوالم ما وراء الطبيعة، أو غير المنظورة التي لا يلم حقيقتها إلاّ الله سبحانه وتعالى. وهم ليسوا كالبشر فلا يتناكحون ولا يتناسلون، وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، ولا يتّصفون بالذكورة أو الأنوثة، لذلك فقد ذمّ الله الكافرين الذين جعلوا الملائكة إناثاً

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص535.

[2] محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، المرجع السابق، ص.28

[3] سورة الإسراء، الآية 95.

[4] عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص267.

وتوعّدهم بكتابة شهادتهم الكاذبة فقد قال تعالى: ﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون**﴾[1].

ولهم القدرة على أن يتمثّلوا بصورة بشرية، وغيرها من الصور الحسيّة، فقد جاء سيدنا جبريل إلى السيّدة مريم متمثلا في صورة بشرية قال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا(١٦) فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا(١٧)**﴾[2].

مم خلقوا:

الملائكة خلقهم الله من نور، كما خلق آدم من طين، وكما خلق الجان من نار. روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**"[3].

أما مسكنهم في السماء وينزلون منها بأمر الله، روى "أحمد" و"البخاري" عن "ابن عباس" أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لجبريل: "**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟**"[4]. قال: "**فنزلت:** ﴿**وما نتنزّلُ إلاّ بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا**﴾[5].

وإن خلقهم متقدم على خلق الإنسان و الدليل على ذلك قصة خلق آدم عندما أخبر الله -عزّ وجل- الملائكة بخلق خليفة على الأرض، يعمّرها، ويقيم شريعته فيها.

قال تعالى: ﴿**و إذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون**﴾[6]. ولا شك أن هذا لإخبار من الله للملائكة يدل على علوّ شأن هذا المخلوق وكرامته.

طبيعتهم:

تتمثل طبيعة الملائكة في الطاعة التّامة لله، ومبادرتهم لامتثال أمره: فالملائكة تأتمر بأمر الله، وهي بذلك قوى مؤمنة بالله مصداقا لقول الرسول -صلى الله عليه وآله و سلم-: "**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه صلصلة على صفوان**"[7]. وهم يتصرفون في

---

[1] **سورة الزخرف، الآية 19.**

[2] **سورة مريم، الآية 16- 17**

[3] **صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (باب في أحاديث متفرقة)، رقم(2996)، جـ4، المصدر السابق، ص2294**

[4] **صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، (باب ذكر الملائكة)، رقم(3218)، جـ4، المصدر السابق، ص112، ورواه أحمد في مسنده، كتاب ومن مسند بني هاشم، (مسند العباس بن عبد المطلب عن النبي-صلى الله عليه وسلم-)، رقم(2078)، جـ3، ص502.**

[5] **سورة مريم، الآية 64.**

[6] **سورة البقرة، الآية 30.**

[7] **صحيح البخاري، كتاب التوحيد، (باب قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلخ)، رقم(7043)، جـ6، المصدر السابق، ص2720.**

شؤون العالم بإرادة الله ومشيئته. فهم دائمو التسبيح بحمد الله، والتعظيم المستمر له قال عزّ وجلّ: ﴿**ونحن نُسبّح بحمدك ونقدس لك**﴾[1].

وقد وصفهم الله بأنهم لا يستكبرون عن عبادته، ولا يتعبون فيها، وأنهم يسبّحون ربّهم دائما من غير انقطاع، قال تعالى: ﴿**وله من في السماوت والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون(١٩) يسبحون الليل والنهار و لا يفترون(٢٠)**﴾[2].

تفاوتهم:

وهم يتفاوتون في الخلق، كما يتفاوتون في الأقدار تفاوتا لا يعلمه إلاّ الله. قال تعالى: ﴿**الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير**﴾[3]. لقد جاء في كتاب "نهج البلاغة": "...أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات، ذوي أجنحة تسبح جلال عزّته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته، ولا يدّعون أنّهم يخلقون شيئا مما انفرد به، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه.."[4].

كما روى "مسلم" عن "ابن مسعود" أن "رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح"[5].

عملهم:

للملائكة عمل في عالم الأرواح، وعمل في عالم الطبيعة، ولهم صلة خاصة بالإنسان كما قلنا. لذا يجب علينا أن نبدأ بتعليم أبناءنا ما يختص بالملائكة شيئا فشيئا حتى يتم الإستيعاب والفهم بهم قليلا قليلا عن عملهم –الملائكة– وصلتهم بالإنسان.

فعن عملهم في عالم الأرواح يتلخص في الآتي:

التسبيح والخضوع التام لله: يقول تعالى: ﴿**وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربّهم....**﴾[6].

حملة العرش: قال تعالى: ﴿**والملك على أرجائها ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾[7].

---

[1] **سورة البقرة، الآية، 30.**

[2] **سورة الأنبياء، الآية 19–20.**

[3] **سورة فاطر، الآية 1.**

[4] **محمد عبده، نهج البلاغة، جـ1، المصدر السابق، ص168– 169.**

[5] **صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب في ذكر سدرة المنتهى)، رقم(174)، جـ1، المصدر السابق، ص157.**

[6] **سورة الزمر، جزء من الآية 75.**

[7] **سورة الحاقة، الآية 17.**

التسليم على أهل الجنة: ففي وصف أهل الجنّة قال تعالى: ﴿...**والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب**﴾[1].

تعذيب أهل النار: "**واسمهم الزبانية**" قال تعالى: ﴿**وما أدراك ما سقر (٢٧) لا تبقي ولا تذر (٢٨) لواحة للبشر (٢٩) عليها تسعة عشر(٣٠) وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة...**﴾[2].

النزول بالوحي: ملك الوحي: هو جبريل عليه السلام. فهو صاحب الوحي إلى الأنبياء والرسل – عليهم السلام– قال تعالى: ﴿**وإنّه لتنزيل رب العالمين(١٩٢) نزل به الروح الأمين(١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين(١٩٤)**﴾[3].

عملهم في الطبيعة وصلتهم بالإنسان:

للملائكة عمل في تدبير أمور الكون بإذن الله من إرسال الرياح والهواء، ومن سوق السحب وإنزال المطر، ومن إنبات النبات، وهي أعمال خافية لا تقع تحت الحواس والأنظار[4].

بالنسبة للإنسان: فهم يلازمون الإنسان في حياته كلها، وبعد مماته، يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**ما من أحد إلا وقد كل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**"[5].

والموكلون ببني آدم: وهؤلاء أصناف ولكل صنف منهم وظائف وردت بهم النصوص. فمنهم الموكلون بنفخ الأرواح في الأجنّة وكتابة مستقبل أعمالهم وآجالهم وأرزاقهم... إلخ

فعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو الصادق المصدوق: "**إنّ خلق أحدكم يجمع في بطن أمّه أربعين يوما وأربعين ليلة، ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات: فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح.....**"[6].

ومنهم من يكتبون أعمال الناس، ويحصون عليهم الحسنات والسيئات: وهؤلاء ملازمون لنا ويسجلون الأعمالل عندهم في سجل لكل فرد، ثم تُعرض يوم الحساب وفي أثناء العرض يشهدون على

---

[1] سورة الرعد، جزء من الآية 23.

[2] سورة المدثر، الآية27– 31.

[3] سورة الشعراء، الآية: 192– 194

[4] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص224.

[5] صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وإن مع كل إنسان قرين)، رقم(2814)، جـ4، المصدر السابق، ص2168.

[6] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، (باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)، رقم(7016)، جـ6، المصدر السابق، ص2713.

عمل الإنسان من خير أو شر. قال تعالى: ﴿**إذا يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفّظ من قول إلا لديه رقيب عتيد(١٨)**﴾[1].

ومنهم ملائكة يتعاقبون على الإنسان لا يفارقونه كما جاء في الصحيح: "**يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار**".

وقال مجاهد: أمن عبد الله إلاّ له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلاّ قال له الملك، وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه[2].

ومنهم موكلون بقبض الأرواح: قال تعالى: ﴿**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رُسلنا وهم لا يُفرطون**﴾[3]. وهم يحيّون الطّيّبين تحية طيّبة عند قبض أرواحهم. قال تعالى: ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم...**﴾[4].

الحكمة من الإخبار بوجودهم ووجوب الإيمان بهم:

بعد أن وضحنا وشرحنا أن الهدف من ذكر الملائكة في القرآن الكريم وفي كثير من أحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– هو التصديق بهم بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ثم من أنكر بعد ذلك وجود الملائكة فهو منكِر لكلام الله ورسوله كافر لا محالة..ولعلّ أطفالنا يسألوننا عن الفائدة أو الحكمة من الإخبار بوجودهم ووجوب الإيمان بهم، فتكون إجابتنا على النحو التالي:

– نخبرهم أن من عدل الله و برّه بخلقه أوجب على نفسه أن يرسل رسلا ليعلموهم ويرشدوهم إلى ما يريد منهم وينهوهم عما يستقبحه منهم، وقد اقتضت حكمة الله أن يرسل لهؤلاء الرسل رسلا من الملائكة يكونوا سفراء بينهم وبين الله ليبلغوا رسالات ربهم، وليتعلم منهم البشر كل ما يحتاجون إليه من أجل الوصول إلى السعادة والكمال النهائي.

– ومن الثابت لدى جميع الناس أن العقل مفطور على التساؤل والبحث عن الحقيقة، ومن الممكن أن يسأل أطفالنا عن كيفية أشكالهم –الملائكة– وكيفية كتابتهم للحسنات والسيئات، وكيفية تعاقبهم وما الوسائل الخاصة بهم لكتابة أقوالنا وأفعالنا، فيجب علينا أن نتولى الإقناع وذلك بالقول لهم أن الله أمرنا أن نؤمن بهم كما جاء في القرآن والسّنة النبوية الشريفة دون الخوض في أشكالهم وطريقة كتابتهم وأدواتهم، فلا يجب أن نزيد على ذلك شيئا من تخيلاتنا وأن نضع لهم صوراً وأشكالاً حسب تخيلنا.

– إن الحكمة من الواجب بالإيمان بوجودهم هو محاولة الاتصال بهم عن طريق تزكية النفس وتطهير القلب وعبادة الله عبادة خاشعة، وفي الاتصال بالملائكة كذلك سمو الروح وتحقيق للحكمة التي من أجلها

---

[1] **سورة ق، الآية 17– 18.**

[2] **تفسير ابن كثير، جـ2، المصدر السابق، ص273.**

[3] **سورة الأنعام، جزء من الآية 61.**

[4] **سورة النحل، جزء من الآية 32.**

خلق الإنسان وهي عبادة الله والقيام بالخلافة عن الله في الأرض، ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البر، ومن دلائل الصدق والتقوى قال تعالى: ﴿**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنّبيين...**﴾[1].

– وأخيرا نبيّن للأطفال أن لله حكمة من إخباره لنا بوجود الملائكة وأمرنا بالإيمان بهم وذلك اختبار لنا حتى يرى ربّنا إيماننا بمخلوقات غيبية عنا، وإن الإيمان لا يكون حقيقة إلاّ إذا آمن الإنسان بهذا العالم الروحي إيمانا لا يصل إليه الشك ولا تتسرّب إليه الظنون، وأن نبيّن لهم أن كل ما يجب الاهتمام به أن نؤمن بهم، كما أمرنا الله.

– والسؤال المطروح الآن هو: ما الثمار التي يجنيها أطفالنا من اخبارهم بالملائكة وصفاتهم وأعمالهم ووجوب الإيمان بهم؟.

– إن الإيمان بالملائكة على النحو الصحيح الذي جاء في القرآن الكريم والسّنة النّبويّة، وبنيت عليه التربية الإسلامية، يجعل الطفل يعمل بما أمر الله ويجتنب ما نهى الله عنه، لا يعصي الله ويخافه في السر والعلن، ويصبح عابدا مسبحا، لجلاله، وذلك تأسيا بالملائكة الكرام، الذين لا يسبقون القول وهم بأمره يعملون، ومن الله يخافون وعلى عبادته قائمون–قال تعالى: ﴿**ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته..**﴾[2].

فيتربّى الطفل على الخوف من الله ويعمل الصالحات لعلمه أن هناك من يسجّل أعماله وأفعاله وأقواله فيصبح مؤمناً أنّ الحياة مزرعة للأعمال يحصد الإنسان نتاجها يوم القيامة، فهو يعمل جادّا وكادّا بما يرضي الله ورسوله، ويتصف بصفة الملائكة من التسبيح والعبادة وأدب المخاطبة مع الله[3].

إذن فما على المربّي إلاّ أن يفهم الطفل أن أعظم الواجبات الإنسانية هي جلب وكسب رضى الله ومحبته ولا يتحقق ذلك إلاّ بطاعة أوامره التي بثها إلينا عن طريق رسله الكرام، وكذلك ينبغي على المربّي أن يوقظ إحساس الطفل بالمسؤولية أمام الله عز وجلّ منذ نعومة أظافره، ويحثّه على الشعور بواجبه، وإشعاره بالأسلوب البسيط السهل أنّ الله يُراقبه في كل حال. ويطلع على أفعاله الصالحة وغير الصالحة عن طريق ملائكته الكرام لأن الله لا تخفى عليه خافية لا في السماء ولا في الأرض.

وبذلك يكون الآباء والأمهات قد قاموا بأول واجباتهم في التربية الإسلامية السليمة والصحيحة.

والآن ننتقل إلى بيان الأساس الخامس من البناء العقائدي وهو الإيمان بكتب الله ورسله.

---

[1] سورة جزء من البقرة، الآية 177.

[2] سورة الرعد، جزء من الآية 13.

[3] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص227.

الأساس الخامس: الإيمان بكتب الله ورسله:

تمهيد:

كما ذكرنا سابقا علينا بتعليم أطفالنا أركان عقيدتنا ويكون التعليم والافهام والتلقين تدريجيا شيئا فشيئا. فبعد أن أعلمناهم أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة وبدأنا بهم أولا: وذلك لأن الملائكة سفراء التبليغ بين الله ورسله من البشر، وكان الحديث عنهم من أركان الإيمان يستدعي القديم على باب الإيمان بالرسل والكتب السماوية لأنهم حملة الرسالات، وكذلك كان ترتيب الملائكة أولا قبل الإيمان بالكتب والرسل حسبما جاء في نصوص أركان الإيمان من قرآن وسنة.

فلنبدأ بتوضيح أن الإيمان بكتب الله ورسله ركن من أركان العقيدة، فعقيدة الإيمان بالله لا تنفك عن الإيمان بجميع كتب الله وأنبيائه عليهم السلام.

وجوب الإيمان بالكتب السماوية:

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الكتب السماوية التي أوحى الله بها إلى رسله، إنّ الله سبحانه وتعالى له تعاليم ووصايا، أوحاها إلى رسله وأنبيائه "والرسالات هي الكتب السّماوية رسم الله للعقائد والعبادات، وأصول الحلال والحرام، ومن هنا طلب الإسلام الإيمان بالكتب، سواء ما أنزل على محمد وما أنزل على إخوانه السابقين"[1].

وهذه التعاليم والوصايا منها ما دوّن في كتب، ومنها مالا علم لنا به، فلكل نبيّ رسالة بلغها قومه. قال تعالى: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النّبيين مُبشرين ومُنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**﴾[2].

ولذا يخاطب الله تعالى المؤمنين أن يؤمنوا بكل الكتب السّماوية فيقول تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله و الكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا**﴾[3].

يقول "سيد قطب": "والإيمان بالكتاب كله –يوصف أن الكتب كلها كتاب واحد في الحقيقة– هو السمة التي تنفرد بها هذه الأمة المسلمة، لأن تصوّرها لربِّها الواحد، ومنهجه الواحد، وطريقه الواحد:هو التصور الذي يستقيم مع حقيقة الألوهية، ويستقيم مع وحدة البشرية"[4].

---

[1] محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، المرجع السابق، ص40.

[2] سورة البقرة، جزء من الآية 213.

الرعيل: هو اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال أو طير أو صف من الجنود يوضع خلف صف آخر ليدعمه عند الإقتضاء.

[3] سورة النساء، الآية: 136.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن ،جـ2، المرجع السابق، ص778.

معنى الكتاب لغة وشرعا:

الكتاب في اللغة: الكتاب معروف والجمع: كُتُبٌ، وكتب الشيء يكتبه كتباً وكتاباً، وكتابة اكتبه... والكتابُ ما أثبت عن بني آدم أعمالهم والكتاب الصحيفة والدواة...فالكتاب ما يكتبه فيه"[1].

الكتاب شرعا: "كلام من كلام الله تعالى، فيه هدى ونور، يوحى الله به إلى رسول من رسله ليبلغه للناس، ويطلق اسم الكتاب شرعا: على ما يشمل الصحف والألواح، وجميع أنواع الوحي الفظي أو الكتابي، التي ينزلها الله على أي رسول من رسله ليبلغها إلى الناس، وبأية لغة من اللغات نزلت، صغيرة كانت أو كبيرة، مدوّنة أو غير مدوّنة، فيها صفة الإعجاز اللفظي للناس، أو ليس فيها ذلك"[2].

فواجبنا كمربيّين أن نربّي أطفالنا على الإيمان بالكتب السماوية جميعها وأن نقول لهم أنّها جميعا من عند الله، وأنّ الرسالات كلها هدى ونور نزلت ليحكم بها عباد الله وإننا لا نفرّق بين رسل الله، "لذلك كان الإيمان بالرسل السابقين وكتب الله التي أنزلها إليهم جزءا من الإيمان في كل شريعة، وأن التفريق بين رسل الله بالإيمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر مخالف للإيمان الصحيح"[3].

أما الكتب السماوية التي يجب الإيمان بها والتي ذكرها القرآن الكريم هي:

-صحف إبراهيم-عليه السلام- قال تعالى: ﴿**وقد أفلح من تزكى(١٤) وذكر اسم ربّه فصلى(١٥) بل تؤثرون الحياة الدنيا(١٦) والآخرة خير وأبقى(١٧) إنّ هذا لفي الصحف الأولى(١٨) صحف إبراهيم وموسى(١٩)**﴾ [4].

- **التوراة** التي نزلت على سيدنا موسى -عليه السلام-: "ولفظ التوراة" لفظ عبراني معناه: التعليم أو الشريعة. قال تعالى: ﴿**إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء..**﴾[5].

- **الزبور:** وهو الكتاب الذي أنزله الله على سيدّنا داود -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿**وءاتينا داود زبورا**﴾[6].

- **الإنجيل:** الذي نزل على سيدنا عيسى -عليه السلام-" والإنجيل الذي نزل على سيدنا عيسى -عليه السلام- هو مثل التوراة التي نزلت على موسى، كلاهما كلام الله، وفيهما هدى ونور إلاّ أن الإنجيل قد لحقه ما لحق التوراة من التحريف، قال تعالى: ﴿**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين**

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، جـ1، مادة (كتب)، المصدر السابق، ص70.

(2) عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص537.

(3) محمد مصطفى شلبي، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، مطبعة دار التأليف، مصر 1385هـ/1966م، ص20.

(4) سورة الأعلى، الآية 14إلى19.

(5) سورة المائدة، جزء من الآية 44.

(6) سورة النساء، جزء من الآية 163.

يديه من التوراة وأتناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾[1].

– **القرآن الكريم:** وهو آخر الكتب السماوية نزولا. قال تعالى: ﴿**الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم(٢) نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل(٤) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان...﴾**[2].

– وأخير، نتمنى من المربيّين إعلام أولادهم أن للقرآن الكريم مزايا تميّز بها عن الكتب السّماوية التي تقدمته بالآتي:

1) أنه جاء شاملا لكل التعاليم الإلهية التي تضمنتها التوراة والإنجيل، وسائر الكتب التي أنزلها الله، وأنه جاء هدى وموعظة للمؤمنين. كما وصف الله تعالى بالحق والصدق، لأنه يصدق ما قبله من الكتب، لأنها من مشكاة واحدة أي مصدر ضوء واحد فيقول الله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه..﴾**[3].

2) وأن تعاليم القرآن خالدة لا تمتد إليها يد التحريف والتبديل والتغيير. وقد تكفّل بحفظه في قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزّلنا الذكر و إن له لحافظون﴾**[4].

3) أن هذا القرآن الذي أراد الله له الخلود لا يتعارض مع العلم، بمعنى أن الحقائق القرآنية لا تتصادم مع الحقائق العلمية، ومن ثم فقد جاءت الحقائق العلمية مصدّقة لما سبق به الكتاب، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿**سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾**[5].

والآن ننتقل إلى الحديث عن الإيمان بالأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام–:

ومن واجبنا كمربّين أن نعلم أولادنا أن الإيمان برسل الله كافة، ركن من أركان العقيدة الإسلامية، لا يجهله مسلم، شأنه شأن الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر.

ونخبرهم بأن لكل أمة رسول: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**... وإن من أمَّة إلاّ خلا فيها نذير﴾**[6]. "وبذلك تعاقبت الرسالات على الإنسان أمّة بعد أمّة، وجيلا بعد جيل، وكلّها ذات هدف واحد، وهو توجيه الإنسان إلى طريق الكمال"[7]. فلم تخل أمة من رسول يدعوها إلى الله، ويرشدها إلى الحق.

---

(1) سورة المائدة، الآية 46.

(2) سورة آل عمران، الآية 2–4.

(3) سورة المائدة، جزء من الآية 48.

(4) سورة الحجر، الآية 9.

(5) سورة فصلت، الآية 53.

(6) سورة فاطر، جزء من الآية 24.

(7) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، المرجع السابق، ص35.

كما نفهّمهم أن الرسول يكون من الأمة نفسها أي بشر منها، فالرسل ليسوا إلاّ بشرا مثلنا ميّزهم الله بالوحي، مبلغين عن الله معصومين من الخطأ وكانوا أسوة لأقوامهم.

وكما يجب أن نخبرهم ان الرسول رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، والرسول يتزوج ويولد له أولاد كغيره من البشر.. والرسول يتعرّض لما يتعرّض له أيّ إنسان من مرض وصحة وضعف وقوة وحياة وموت... إلخ وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا...

ثم بعد ذلك نبين لهم الغرض من بعثة الرسل بأنه هو الدعوة إلى عبادة الله وإقامة دينه: فإذا كان الإنسان متدينا بطبعه، فهو عاجز عن إدراك الحقيقة الإلهية إدراكا واعيا، وعاجز عن معرفة شرع الله، وصور عبادته وما يعده الله له في الآخرة من ثواب وعقاب، لهذا كان فضل الله على خلقه ورحمته بهم أن يرسل إليهم رسلا منهم.

ويبيّن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وظيفة الرسول فيقول: "**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلّمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلّمه لهم**"[1]

وختاما نتوصل إلى الثمار التربوية التي يجنيها الطفل من وراء إيمانه بكتب الله ورسله:

- إن الإيمان بكتب الله ورسله يربّي عقل أولادنا عن طريق تدبّر كلام الله، والتفكر و التأمل بمعانيه، وتذكر ما فيه من وعد ووعيد، وأمر ونهي، وعبادة وطاعة، قال تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليتدبروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب**﴾[2].
- يربّي مشاعر أولادنا على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، لينالوا وعد الله وهو إما الشهادة وإما النصر، قال تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وعدا عليه حقا...**﴾[3].
- إن الإيمان برسول الله "يقتضي تربية جميع أبناء الأمة على أنهم أتباع مخلصون لهذا الرسول الذي أرسله الله رحمة للعاملين، تجتمع القلوب على ذلك، ويفيده الجميع، كل ما أوتوا فهي تربية مبنية على النظام والطاعة وجمع الكلمة حول قائد واحد"[4]

الأساس العقائدي السادس: الإيمان باليوم الآخر

مفهوم اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بفناء هذا العالم، فيموت كل من فيه من الأحياء، وتتبدل الأرض غير الأرض والسموات، فيخطر على بال أطفالنا أشياء كثيرة وقد يتبادر إلى ذهنهم أسئلة كثيرة قد يتساءلون عن وضع الأرض أو الشمس أو النجوم فينبغي علينا أن نجيب على أسئلتهم ونفهمهم بأن السماء والأرض سيتبدلان

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، (باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء)، رقم(1844)، جـ3، المصدر السابق، ص1472

[2] سورة ص، الآية 29.

[3] سورة التوبة، جزء من الآية 111.

[4] عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المرجع السابق، ص38.

عما هي عليه الآن تبدلا كليا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**يوم نطوي السّماء كطي السّجل للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وهداً علينا إنّا كنّا فاعلين**﴾[1].

ثم نوضح لهم بعد ذلك أن الله ينشىء النشأة الآخرة، فيبعث الله الناس كافة، ويردّ إليهم الحياة مرة أخرى، وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما فعل من خير أو شر. قال تعالى: ﴿**كلّ نفس كما كسبت رهينة**﴾[2]. هذه حقيقة قرآنية تؤكد مسؤولية الإنسان عن عمله يوم القيامة، وهذه حقيقة يؤكدها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الشريف في قوله: "**لا أغني عنكم من الله شيئا**"[3]. وبهذا الخطاب يشارك النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم– إخوانه الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام– فيقرر هذه الحقيقة التي أكدتها مواقف (نوح) من ابنه، و(ابراهيم) من أبيه، و(لوط) من زوجه، كما أكّدها موقف آسية من زوجها فرعون !!

وكلها تؤكّد أن قدر الإنسان عند ربّه لا يرتفع بحسب ولا نسب، وإنّما يرفعه الإيمان والتقوى.

اهتمام القرآن باليوم الآخر:

يهتم القرآن اهتماما بالغا بتقرير الإيمان بهذا اليوم، ويتجلى هذا الاهتمام فيما يلي:

- يربط الله تعالى الإيمان بالله واليوم الآخر قال تعالى: ﴿**ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر...**﴾[4]

ولقد وضع الله تعالى لهذا اليوم أسماء كثيرة، فهو يوم البعث، ويسمى القيامة، ويسمى السّاعة، ويسمى الآخرة، ويوم الحساب، ويوم الدين، ويوم الفتح، ويوم التلاق، ويسمى الآزفة والطامة ويوم التناد، والصاخة والحاقة، والغاشية والواقعة.

والذي ينبغي أن نركّز عليه ونؤكده لأبنائنا هو حكمة الاهتمام باليوم الآخر.

واجبنا كمربين أن نعرف أطفالنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية اهتمّا باليوم الآخر لأن الإيمان به يجعل لحياتنا معنى وغاية سامية، وهدفا أعلى. وهذه الغاية هي فعل الخيرات، وطاعة الله، بالمسارعة إلى تنفيذ شرعه وتلبية أمره، وترك المنكرات، والتحلي بالفضائل والأخلاق، والتخلّي عن الرذائل والموبقات، وكذلك تقوية الوازع الديني والنّفسي لديهم الذي يرغب في الخير ويصدّ الشر.

"إن هذه العقيدة تفرض على الإنسان أن ينظر إلى هذه الحياة نظرة إيجابية، وأن يراها حلوة، مثمرة، باعتبار أنها مزرعة للآخرة، فله أن يستغل منها أحسن استغلال، وأكثره، فيخلص نفسه من الكسل

---

[1] **سورة الأنبياء، الآية 104.**

[2] **سورة المدثر، الآية 38**

[3] **صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب في قوله تعالى:"وانذر عشيرتك الأقربين")، رقم(206)، جـ1، المصدر السابق، ص192**

[4] **سورة البقرة، جزء من الآية 177.**

واليأس والنظرة السلبية، ويستعد لأن يستفيد من جميع أوقاته ولحظاته ومواهبه وقواه وإمكانياته"[1].

وجاء أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يخاطب ابنته فاطمة، أحب نساء الدنيا إلى قلبه فيقول: "**يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أنّ لكم رحماً سأبلها ببلالها**"[2]. ومعنى ذلك أنني أصلكم في الدنيا، ولا أغني عنكم من عذاب يوم القيامة شيئا – إنه يجامل في برّ الدنيا وما لها، ولا يجامل في دين الله شيء. إنها عاطفة الأبوة، التي لا تبخل بمال، ولا تجامل في حق.

فهكذا يجب على الوالدين أو المربّين أن يخاطبوا أبناءهم وبالأسلوب التالي:

فليكن يا بني خوفك من الله سبحانه أن يؤاخذكبذنوبك وإن ملأت حسناتك الدنيا، وأن ترجو مغفرة الله ورضوانه وإن ملأت سيئاتك الدنيا، واحذر أن بغلب رجاؤك على خوفك فتعمل السيئات، فتلقى الله سبحنه ذلك اليوم بصحف سوداء. قال تعالى: ﴿**فأمّا من أوتي كتابه بيمينه(٧) فسوف يحاسب حسابا يسيرا(٨) وينقلب إلى أهله مسرورا(٩) وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره(١٠) فسوف يدعوا ثبورا(١١) ويصلى سعيرا(١٢)**﴾[3]. فيكون مصيرك إلى النّار، ولا يغلبخوفك رجائك فتيأس من رحمة الله تعالى: ﴿**لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون...** ﴾[4]. وتلقى الله عز وجلذ في ذلك اليوم وهو عليك غضبان، وقد أوصى لقمان –عليه السلام– ولده قائلا: "**يا بني خف الله خوفا لو أتيته بعمل الثقلين خفت أن يعذبك وارجه رجاء لو أتيته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك**"[5].

فلنعمل إذن على ايقاع الخوف في نفوس أطفالنا من نار جهنّم ولنزرع في قلوبهم الرغبة والأمل في جنات النّعيم.

هذا وقد نسأل أنفسنا ما الفئدة من تلقين أبنائنا الإيمان باليوم الآخر وما هي الأهداف التربوية أو الثمار التي يجنيها الطفل من وراء إيمانه باليوم الآخر هي كالآتي:

1- غرس الاعتقاد بأن الله تعالى يحيينا بعد الموت لمجازاة المحسن احسانا والمسيء هوانا، ولولا المعاد لكان التكليف بالواجبات، والنهي عن المحرمات عبثا، ولكان حال النّاس أشبه بحال البهائم، يأكل القوي فيها الضعيف، ولولا المعاد لتساوى البّر والفاجر، والمحسن والمسيء، والظالم والمظلوم، ولا كان للجنة والنار معنى، وهذا الاعتقاد ينمي عند الطفل الحذر من معصية الله، ويزيد غي عاطفته.

---

[1] محمد رضا الحكيم وآخرون، الحياة، جـ1، ط2، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، 1400هـ/1980م، ص 473.

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب وانذر عشيرتك الاقربين)، رقم(204)، جـ1، المصدر السابق، ص 192.

[3] سورة الانشقاق، الآية7 – 12.

[4] سورة يوسف، جزء من الآية 87.

[5] محمد الديلمي، إرشاد القلوب، المرجع السابق، ص105.

لذا ما قاله لقمان لابنه: "**يا بني من أطاع الله خافه، ومن خافه فقد أحبّه، ومن أحبّه فقد اتبع أمره ومن ومن اتبع أمره استوجب جنته ومرضاته، ومن لم يتبع رضوان الله فقد هان عليه سخطه نعوذ بالله من سخط الله...**"[1].

2- إيقاظ الشعور بالمسؤولية عند الأطفال والاخلاص والاستقامة والتفاني في سعادة أفراد جنسه، والبعد عن كل ما يغضب الله ورسوله ليفوز بالنّعيم الذي أعده الله لعباده التقين الطائعين المخلصين الخائفين من ربهم.

3- والتربية على أساس الإيمان باليوم الآخر "تنظم الدوافع نحو تحقيق مرضاة الله واجتناب غضبه، فيبتعد الإيمان عن الفوضى والأنانية ليحقق لمصلحة العامة والعدالة والخير، ويتراحم الناس ويسود التواصي بالحق والتعاون".

ولذلك فمن حق الطفل على والديه أن يعلماه أصول دينه وأركان عقيدته لتؤتي البذرة ثمارها.

والآن نتطرق إلى الأساس السابع من البناء العقائدي وهو الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه:

الأساس السابع: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه:

تعريف القدر لغة: القدير والقادر: من صفات الله عزّ وجلّ، يكونان من التقدير وقوله تعالى: ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾[2]، من القدرة، فالله عزّ وجلّ على كل شيء قدير، والله سبحانه مقدّر كل شيء وقاضيه[3].

أما القضاء والقدر في مدلولهما الشرعي: "هو إرادة الله إيجاد الأشياء على وجه مخصوص ثم إيجادها فعلا على وفق المراد"[4]

إن الإيمان بالقضاء والقدر من عقيدة المسلم ووجوب الإيمان به، كما يعد الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين يكفر منكره، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الإيمان بالقدر جزء من العقيدة. فقد روي أن "عبادة بن الصامت" –رضي الله عنه– قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**إن أول ما خلق القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**"، ثم قال عبادة: "يا بني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**من مات على غير هذا فليس مني**"[5]. أي أن الله تعالى كتب عنده أزلا في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء.

---

[1] عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المرجع السابق، ص39.

[2] سورة البقرة، جزء من الآية 109.

[3] ابن منظور، لسان العرب، (باب قدر)، جـ5، المصدر السابق، ص74.

[4] عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص73.

[5] سنن أبي داود، كتاب السنة، (باب في القدر)، رقم(4700)، جـ4، المصدر السابق، ص225- 226.

والإيمان بالقدر يري الإنسان أن كل شيء في الوجود إنّما يسير فوق حكمة علبا فيواجه الحياة ويجابه الصعاب آملا في الله متوكلا عليه، راجيا منه النجاح والتيسير، والمسلم إذا مسّه الضر فأنه لا يجزع وإذا أصابه النجاح والفلاح فأنه يفرح ولا يبطر، فهو رضي النفس بما تأتي به المقادير، مقتنع بالنتيجة على كل حال، لأن الله لا يضيع عبده المؤمن، مصداقا لقوله –عليه الصلاة والسلام–: "**عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلاّ للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له**"[1].

والإيمان بالقدر يملأ صدر صاحبه بالثقة والطمأنينة، وحب البطولة والتضحية، إيمانا بأن الرجل لا يدينه إقدامه، ولا يطيله إحجام وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم...**﴾[2].

وما يجب أن نفهمه من القدر وهو مقتضى فهم فم الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وفهم أصحابه –رضوان الله عليهم– ومع أنه –صلى الله عليه وسلم– أعظم خشية لله، وأعرفهم بالقدر، وأقواهم وأكثرهم إيمانا به، فإنه ما ترك الأخذ بالأسباب في حياته، في سلمه أو حربه، في بيعه أو شرائه، في حلّه وترحاله، في عهوده ومواثيقه وكذلك شأن صحابته الكرام والسلف الصالح –رضي الله عنهم أجمعين–[3]. والأمثلة كثيرة، فهذا "أبو عبيدة بن الجراح" يسأل "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنهما– حين تراجع عمر عن دخول بلدة، علم أن بها طاعونا، فقال "أبو عبيدة": "أفرّا من قدر الله؟" فقال عمر: "نفرّ من قدر الله إلى قدر الله"[4].

وهذا الفهم الصحيح للقدر –كما أراد الله– أن يكون مبعث قوة وعزم وثقة وثبلت، فعمر –رضي الله عنه– يقول: "إني أفر من قدر المرض والعدوى إلى قدر الصحة والوقاية وما أشبه هذا من كونه المسلك الإيماني المعقول بالراعي ينتقل بقطيعه من الأرض القاحلة إلى حيث الزرع والمرعى والخصب، فيتحول بذلك من قدر الله إلى قدر الله.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا: ماهو الأثر الذي يتركه الإيمان بالقضاء والقدر على نفوس أطفالنا؟

فنجيب: –عندما علم الطفل أن إيمان المؤمن يتجدد كلّما مرت به المحن والشدائد، فهو يعلم ابتداء كثمرة لإيمانه الصادق، أن لله ففي كل صرف إرادة، وأن الله لا يريد به إلاّ خيرا فهو على موعد في

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (باب المؤمن أمره كله خير)، رقم(2999)، جـ4، المصدر السابق، ص2295

[2] سورة آل عمران، جزء من الآية 154.

[3] سهام مهدي جبار ، المرجع السابق، ص247.

[4] صحيح البخاري، كتاب الطب، (باب مليذكر في الطاعون)، رقم(5397)، جـ5، المصدر السابق، ص2163.

هذه الحياة مع أقدار الله، فإن نفسه لا تضيق ولا تجزع، إنما يواجه الصعاب والشدائد بنفس راضية بقضاء الله وقدره، كيف لا؟ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا...**﴾[1].

-كذلك عندما يعلم اطفالنا، أن مجريات الأمور بيد الله سبحانه، وبأنه سبحانه يفعل ما يشاء لأن له مطلق التصرف في ملكه وخلقه فأن ذلك يزيد فا ارتباطه بخالقه وافتقاره إليه ومن ثم تعلّق آماله ودعاءه ورجاءه به.

-إن الإيمام بالقضاء والقدر له أثر كبير في تحقيق التوازن النفسي والاطمئنان القلبي داخل الإنسان. يقول عبد الرحمن الميداني: "عندما يعلم المؤمن أن ما يجري به القضاء والقدر كله خير، وليس شيء منه في الحقيقة شرّا، لذلك يكون المؤمن مستقر النفس، مطمئنا سعيدا في حالتي النعمة والمصيبة والرخاء والشدّة"[2].

"فإنه يستشعر النعمة التي مَنَّ الله بها عليه، ويتولد في داخله إحساس العرفان والشكر للخالق، والاقرار بفضله وإحسانه. ومن ثم يتحلى الإنسان بشمائل الصفات العالية، من تواضع، وصدق وإحسان، وعدم التعالي"[3].

إذن فغرس الإيمان بالقضاء والقدر وترسيخه في ذهن الطفل وقلبه يساعده في مواجهة مشاكله وهمومه وشدائده بصدر رحب بقضاء الله وقدره.. ومن ثم يسلم أمره إلى الله فيعيش بعد ذلك مطمئن لنفس وهادئ البال.

الأساس العقائدي الثامن: تعليم الطفل القرآن الكريم

ينبغي للوالدين تعليم أولادهما الذكور والإناث القرآن الكريم قراءة وحفظا له أو لبعضه وتفسيرا لمعانيه، وقد جاء في فضل قراءته وتعلمه أحاديث كثيرة، منها: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**"[4]، "**إقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**"[5]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أيضا: "**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**"[6].

---

[1] سورة التوبة، جزء من الآية 51.

[2] عبد الرحمن الميدانب، المرجع السابق، ص779

[3] عاطف سالم، الوحدة العقائدية عند السنة والشيعة، ط1، دار البلاغة، 1407هـ/1987م، ص143.

[4] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، (باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، رقم(5039)، جـ4، المصدر السابق، ص1919، ورواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، (باب ما جاء في تعليم القرآن)، رقم(2909)، جـ5، المصدر السابق، ص175، وأبي داود في سننه، كتاب الصلاة، (باب في ثواب القرآن)، رقم(1452)، جـ2، المصدر السابق، ص80.

[5] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة)، رقم(804)، جـ1، المصدر السابق، ص553.

[6] سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، رقم(2913)، جـ5، المصدر السابق، ص177.

الحكمة من تعليم الطفل القرآن:

1- القرآن أصل الإسلام، ومرجع الدين وقراءته تزيد الإيمان وتقوي اليقين والعلم بالله سبحانه وتعالى وصفاته.

2- القرآن الكريم يثير في قارئه وسامعه ما يوجّه النفس إلى الخير ويعودها على الصلاح.

وهذا وأمثاله كثر حفّز همم المسلمين وحرّك عزائمهم إلى حفظ القرآن واستظهاره والمداومة على تلاوته من أجل الحصول على الثواب، ومخافة الوقوع في وعيد النسيان.

ولقد أكد علماء المسلمين على ضرورة تعليم الصبيان لقرآن الكريم، وقالوا: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم نور الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال[1].

وكما أشار "ابن خلدون" في مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن فقال: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن التعليم أشدّ رسوخا وهو أصل لما بعده لأنه السابق الأول للقلوب..."[2].

نماذج من حفظة القرآن من الأطفال:

إن عناية المسلمين من السلف الصالح واهتمامهم بتعليم القرآن ونشره وخرّجت لنا نماذج فريدة من أطفال كثيرين حفظوا القرآن منذ الصغر وتربوا على حبّه وتلاوته، ومنهم:

1- الصحابي الجليل ابن عباس –رضي الله عنه-:

فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أنه قال: "توفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم"[3].

2- الإمام الشافعي:

قال الشافعي: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر[4].

3- الإمام النووي:

يقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي عنه: رأيت الشيخ النووي وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحال فوقع

---

[1] محمود حمدي بن داود الدمشقي، أدب الخلق في الغسلام، تحقيق علي عبد الحميد، ومعروف زريق، ط2، دار الخير، 1990م، ص116.

[2] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص537- 538.

[3] ابن كثير، المختار من فضائل القرآن، هدية مجلة الأزهر المجانية، رمضان1412هـ، ص83.

[4] السيوطي، طبقات الحفاظ، مكتبة وهبة، القاهرة، 1994م، ص154.

في قلبي محبته وكان قد جعله أبوه في دكان فكان لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلّمه فوصيته به، وقلت له: "أنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به، فقال لي، أفمنجم أنت؟! فقلت: لا وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالد فحرص عليه إلى أن ختم وناهز الحلم"[1].

إذا فإن أعظم ما يقدمه الأهل لأبنائهم أن يخلفوا منهم أشخاصا تتحرك بالقرآن وتعمل به. ولذلك يجب تعويد الطفل على حفظ صغار السور من القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية التي تخص سلوكه ومعاملته مع الآخرين لأن "السّنة النبوية الشريفة تدعوهم إلى الله وتطبيق شريعته لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم وتوحيد طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو"[2].

وهذا "ابن سحنون"[3]، يشير بوضوح إلى الأسباب الداعية إلى تعلم القرآن وتعليمه مصداقا لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**إن أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه**"[4].

الأساس العقائدي التاسع: تربية الأولاد على الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها:

إن ظاهر النصوص الشرعية تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إنّما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربّهم يتوكلون**﴾[5].

فزيادة الإيمان تؤدي إلى الثبات على العقيدة والتضحية لها، ولذلك كان واجبا على المربي أن يوفّر ما يزيد عنده الإيمان، وأن يربيه على الإسلام وأن ينشئه على الارتباط بالعقيدة والإيمان فيصير ذلك له منهجا ونظاما في حياته كلها. وبهذه التربية يتحقق القيام الحسن بتربية الأولاد وتنشئتهم.

أسباب زيادة الإيمان والثبات عليه:

وإذا كان الهدف من تربية الأولاد تحقيق هذه المعاني، وكان واجبا علينا أن نوضّح الأسباب التي توفّر لنا ذلك على النحو التالي:

1- إسماع الأولاد الألفاظ الإسلامية ذات المعاني المعبرة منذ الصغر ليتعود الطفل عليها وتعلق بذهنه معانيها فيحفظها ويرددها.

2- تعليم الأولاد منذ الصغر القرآن الكريم وتعويدهم على حفظه ومعرفة معانيه.

---

(1) النووي، رياض الصالحين، المصدر السابق، ص9.

(2) عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص76- 77.

(3) ابن سحنون: أبو عبد الله محمد بن سحنون، ولد بالقيروان سنة(202هـ/817م)، اشتغل بالتعليم بالقيروان وقد توفي سنة(256هـ/871م) مخلفا وراءه تراثا كبيرا في مختلف الفنون ومن أهم ما كتب: "آداب المناظرين، الجامع في فنون العلم والفقه..."، انظر الإمام الذهبي، سير أعلم النبلاء، ص

(4) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، (باب خيركم من تعلّم القرآن وعلمه)، رقم(4740)، جـ4، المصدر السابق، ص1919.

(5) سورة الأنفال، الآية 02.

3- تعليم الاولاد فرائض الإسلام وتدريبهم على آدائها.

4- تعليم الأطفال بعض الأدعية المأثورة كالأدعية التي تقال عند النوم، والاستيقاظ منه، وأدعية الطعام والشراب، والأدعية التي تقال في الصباح والمساء، وعند دخول بيت الخلاء وغير ذلك.

5- تحفيظ الأولاد منذ الصغر بعض الأحاديث المعبرة كقوله -صلى الله عليه وسلم- "**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**"[1].

وقوله -عليه الصلاة والسلام- "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**"[2].

كما يجب على الآباء أن يُحَفّظا أولادهما بعض الجمل الإسلامية التي تتضمن أصول العقيدة مثل: الله أكبر، الله ربنا، والإسلام ديننا، ومحمد نبيّنا والقرآن كتابنا والكعبة قبلتنا ونحو ذلك من العبارات[3].

6- استخدام أسلوب القدوة الحسنة في تربية الأولاد على العقيدة، ومن ذلك:

أ- قصص الأنبياء والصالحين من القرآن والسنة.

ب-الإقتداء بالرسول -صلى الله عليه وسلم- في جميع أحواله. وقد قال تعالى: ﴿**لقد كان** لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[4].

جـ- ضرب الأمثلة بتضحيات الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم ومنوالهم إلى يوم الدين، ومن ذلك:

حديث خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال: "**شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة في ظل كعبة، فقلنا: ألاّ تستنصر لنا، ألاّ تدعو لنا فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه**"[5].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، (باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، رقم(10)، جـ1، المصدر السابق، ص13، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل)، رقم(40)، جـ1، المصدر السابق، ص65.

[2] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، (باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، رقم(13)، جـ1، المصدر السابق، ص14، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (باب الدليل على أن من خصال الإيمان أ يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير)، رقم(45)، جـ1، المصدر السابق، ص67.

[3] عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة مؤسسة الرسالة، جـ10، 1993م، ص117- 119.

[4] سورة الأحزاب، الآية 21.

[5] صحيح البخاري، كتاب الإكراه، (باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر)، رقم(6544)، جـ6، المصدر السابق، ص2546.

وهذا ياسر العنسي: والد عمّار وكان من السابقين إلى الإسلم هو وابنه وزوجته وكانوا يعذبون في الله من قبل قريش، ولقد كان يمر بهم رسول الله ويقول: "**صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**"[1].

وهكذا كان أثر العقيدة واضحا وبارزا.. حتى من تربية النساء وغرس روح التضحية والفداء في نفوسهم، فهذه الخنساء كانت في جاهليتها بالغة الحزن على وفاة أخيها (صخر)، فقد أثر الإسلام بها فأصبحت باعتناقه امرأة قوية الإيمان آمنت بالله ورسوله وبذلت أبناءها في الدفاع عن الإسلام فهي دفعتهم إلى معركة القادسية دفعا، وحثتهم على القتال في سبيل الله، وعندما بلغها نبأ استشهادهم قالت في فرح: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم"[2].

وأخيرا لا يسعنا إلاّ أن نقول بأن مسؤولية التربية العقائدية لدى الوالدين والمربّين.. لهي مسؤولية هامة تحمل رسالة الإسلام إلى العالم بكل ما فيه من فضائل وأخلاق.. وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية ولا يتّصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل..".

فلنعمل على غرس وثبات العقيدة في نفوس أطفالنا لأنها تجعلهم أعزّة فلا يذلّون، بل ترفع رؤوسهم أما كل قوى الأرض لا يرهبون سلطانا ولا يخضعون لهوى ولا يركظون وراء الشهوات والملذات.

والآن ننتقل إلى البناء الثاني من منهج التربية النبوية للأطفال هو البناء العبادي.

ثانيا: البناء العبادي:

الأساس العبادي الأول: "الصلاة"

- الصلاة لغة وإصطلاحا.
- مراحل تعليم الصلاة.
- المرحلة الأولى: مرحلة الأمر بالصلاة.
- المرحلة الثانية: مرحلة تعليم الطفل الصلاة.
- المرحلة الثالثة: مرحلة التطبيق وذلك بأمره بالصلاة والضرب على تركها.

أسرار الصلاة النفسية والخلقية والإجتماعية.

- المرحلة الرابعة: مرحلة إصطحاب الأطفال إلى المساجد وتدريبهم على حضور صلاة الجماعة.

الأساس العبادي الثاني: "الصوم"

- الصوم في اللغة والشرع.
- آيات الصوم في القرآن.
- الصوم في السنة النبوية المطهرة.

---

[1] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ1، المرجع السابق، ص163.

[2] انظر علي أسعد وطفة، تربية الأطفال في الإسلام، التنبيهات التربوية في السنة والقرآن الكريم، مجلة الطفولة العربية، مجلد5، عدد18، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، مارس2004، ص 74.

- الحكم السامية من عبادة الصوم.
- إستحباب تمرين الطفل على الصوم.
- أحكام الفقهاء في صيام الصبيان.
- الفوائد التي يجنيها الأطفال من التمرين وممارسة عبادة الصوم.

الأساس العبادي الثالث: "الزكاة"

- في مشروعية الزكاة.
- آيات قرآنية في الزكاة.
- الزكاة في السنة النبوية المطهرة.
- الزكاة في اللغة والشرع والإصطلاح.
- مكانة الزكاة في الإسلام.
- من تجب عليه الزكاة.
- حكمة وفرض الزكاة وأثرها.

الأساس العبادي الرابع: "الحج"

- الحج في اللغة والشرع.
- آيات الحج في القرآن الكريم.
- الحج في السنّة النّبوية المطهرة.
- شروط الحج.
- هل يجب الحج على الصبي مميزا كان، أو غير مميّز.
- هل يجوز لولي الصبي غير المميّز أن يحج به.
- هل يصح الحجّ من الصبي المميّز سواء أذن الولي، أم لم يأذن.
- لو بلغ الصبي قبل الموقف هل يجزيه عن الفرض أم لا.
- هل إذا أخطأ الصبي في أعمال الحج عليه كفارات.
- ما ورد في حجّ الأئمة والصحابة.

البناء العبادي:

تمهيـد:

إن البناء العقائدي والبناء العبادي مرتبطان فيما بينهما إرتباطا وثيقا ولا ينفصلان عن بعضهما، فالإيمان بالله كما قلنا يجعل المسلم قادرا على مواجهة الفشل والإحباط فهو العلاج الشافي من اليأس، وهو تحصين ضد الندم والفشل والأسف على ما فات، إنه يفتح له باب الأمل فيجابه الحية آملا في الله متوكلا عليه، راجيا منه التوفيق، فهو رضى النفس عن القدر والمكتوب.

"وتأتي العبادات لتزود الفرد بزاد يومي، إنها بمثابة محطات للتزويد بالطاقة الإيمانية، ويؤدي تنوع هذه المحطات إلى تقوية الجانب الإيماني"[1].

فالإسلام عقيدة وشريعة، وقد وضح النبي –صلى الله عليه و سلم– عندما تلقى عن ربّه الأصل الجامع للإسلام في عقائده وتشريعه وهو القرآن الكريم، أن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة تقوم على إعتناق شعبتان أساسيتان هما: العقيدة والشريعة...

– والقرآن الكريم يعبّر عن العقيدة بالإيمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح: قال تعالى: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفِردوس نزلا (١٠٧) خالدين فيها لا يبغون عنها حولا**﴾[2].

– فالعقيدة "إنما هي قضايا صادقة أو هي حقائق من الوجود ورب الوجود، فليست العقيدة من قبيل ما نسميه في المنطق والبلاغة "إنشاء" إنّما هي من قبيل "الخبر" لأنها خبر عن القضايا الكبرى في الوجود: عن الله وأسمائه وصفاته، عن عوالم الغيب، عن مستقبل حياة الإنسان، عن الجزاء وأنواعه وصوره، وغير ذلك ما وراء الطبيعة المشاهدة مما لا يدركه الحس، ولا يهدي إلى تفضيله العقل"[3].

لذا مضى رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يغرس العقيدة في نفوس أمته وأطفاله، فقد حرص على إكمال الشريعة قبل أن يُفارق الدنيا، فعن الحسين –عليه السلام– قال: "ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سنّة"[4]. إيمانا منه أن العقيدة الصادقة تكون حجر الزاوية في بناء الأمة الإسلامية المثمرة.

والعقيدة تمثل الجانب النظري من الدين وقد دعا الرسول –صلى الله عليه وسلم– الناس إليها في بدء رسالته، أمّا الشريعة فهي الجانب العملي من الدين، "والشريعة هي جملة الأحكام المشروعة، فإن كان مصدرها السماء بأن نزل بها الوحي سميت شريعة سماوية، وإن كانت من وضع البشر سميت شريعة وضعية"[5].

إذن الإسلام يحتم تعانق الشريعة والعقيدة بحيث لا ينفصل إحداهما عن الأخرى، لذلك أسّس التشريع الإسلامي على ركائز قوية، وقواعد متينة من أبرزها تشريع لا يوقع المؤمنين والعاملين بأحكامه في حرج وضيق فجاءت تكاليفه في حدود الاستطاعة يقول تبارك وتعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[6]. لذا يقوم الإسلام على خمس ركائز:

---

(1) أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، دار الشروق للنشر، عمان، ط1، 1993م، ص486.

(2) سورة الكهف، الآية 107–108.

(3) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة 1397هـ/1977م، ص40.

(4) الكليني، الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم، (باب الرد إلى الكتاب والسنة)، جـ1، ط4، دار صعب، دار التعارف، بيروت، 1980/1401م، ص59.

(5) محمد مصطفى شلبي، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي وقواعد الملكية والعقود فيه، مطبعة دار التأليف، مصر، 1385هـ/1966م، ص15.

(6) سورة الحج، الآية 78.

1. الركيزة الأولى:

عقيدة لإصلاح الحياة العقلية وتحرير العقل من الوثنية والخرافات والأوهام: فالعقيدة :"هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات ويوجّه السلوك...فالعقيدة دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات، وإنفراجا هائلاً عن سوى الصراط..."[1]، ولهذا يعتبر سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته فإذا سيطرت هذه العقيدة على كل جوارحه أثمرت عن الفضائل الإنسانية العليا، فما من فضيلة إلاّ تصدر عنها، ولا صالحة إلاّ ترد إليها لأنها مصدر العواطف النبيلة ومغرس المشاعر الطّيبة ومنبت الأحاسيس الجيّاشة، لذا مضى رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يغرس العقيدة في نفوس أمته وأطفاله وما حديث ابن عباس إلاّ مثالا حيّا، حيث لفت نظره ووجّه فكره ونبّه عقله ونبّه فطرته، فالنبي الكريم يعلّم ابن عباس أن على الإنسان أن يتوجّه إلى الله تبارك وتعالى في كل شؤونه وعليه أن يجتهد في القيام بالأوامر والنواهي ويحرص على أن يسلم وجهة لله وليكون مع الله ليكون الله معه، فقال له: "**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...**"[2].

فغرس هذه الكلمات في نفوس الأطفال بواسطة التربية والتعليم والتنمية حتى بلغ الغاية من النجاح.. ثم راح يغرس العبادة والتي تمثل الركيزة الثانية من الإسلام.

2.الركيزة الثانية:

هي العبادات وجاءت لإصلاح الحياة الروحية، وهي العمل الذي يتقرب به المسلمون إلى ربّهم ويكون دليلا على صدقهم في الإيمان به ومراقبة النفس وتذكيرها باليوم الآخر، حتى لا تُغريها المفاسد والشهوات. "فهي ليست قاصرة على مناسك التعبّد المعروفة من صلاة وصيام وزكاة...وإنّما هي أعمق وأوسع من ذلك جدّا..إنها العبودية لله وحده، والتّلقي من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة كله...ثم هي تُعدّ الصلة الدائمة بالله في هذا كله..إنها منهج حياة يشمل كل الحياة"[3].

إذ أن العبادات تُعدّ من الأمور المهمّة التي لابد من أخذها باهتمام كبير وجدّية على أساس تكملة بناء الإنسان المسلم، وتكون هذه العملية من مسؤولية الوالدين والمربّين بأن يعوّدا الطفل على ممارسة الأمور العبادية من صوم وصلاة وما شابه ذلك، والغاية من ذلك تعويد الطفل وتمرينه على فعل العبادات والطاعات حتى وإن لم يدرك معناها، أو الفائدة منها، أو المنفعة المترتبة عليها، غير أن ممارسته على فعلها وتشجيعه عليها بحيث تُصبح عادةً لديه حتى لا يصعب عليه تطبيقها مستقبلا حين يبلغ سن التكليف هذا من جهة ومن جهة أخرى فالطفل عندما يتوجه لنداء ربّه ويجتهد في الإستجابة لأوامر الله فإنه بذلك يُلبّي غريزته الفطرية المتأصلة في نفسه فيقوم على إشباعها، كل هذا ممّا سيولّد في نفس

---

[1] عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، دار ابن حزم، بيروت، 1410هـ/1990م، ص9.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 162 من الرسالة.

[3] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جـ1، ط7، دار الشروق، بيروت 1403هـ/1983م، ص34.

الطفل إيمانا وتسليما وقناعة ذاتية بهذه الأمور بحيث يُقبل على فعلها والتمسك بها بكل حرّيته وإرادته، بعد أن يكون والداه قد غرسا في نفسه أهمية العبادات بحيث يصبح متعلقا بها قبل بلوغه فلا تشق عليه البلوغ، لأن الطفل في فترة الطفولة يكون فطريا بحتًا ومستعدا لأن يتقبل كل ما يُلقى إليه من قبل والديه وصدق الإمام علي كرم الله وجهه–حين قال: "**وإنّما قلبُ الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبِلتْهُ...**"[1].

إن رسول الله –صلى الله عليه و سلم– لَيُبشّر الأطفال الذين نشؤوا على عبادة الله عز وجل بشارة عظيمة.

روى الطبراني عن أبي أمامة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: "**ما من ناشئ ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت، إلاّ أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صدّيقا**"[2].

3. **الركيزة االثالثة:**

قانون إلزامي ينظّم العلاقات، يصون الحقوق ويقيم العدل، وهذه الناحية هي المعروفة في الإسلام باسم "**المعاملات**" وتشمل ما يتعلق بشؤون الأسرة والميراث، وما يتعلق بالأموال والمبادلات، وما يتعلق بالعقوبات، وما يتعلق بالجماعة الإسلامية وعلاقتها بغيرها، ويمكن أن نقول أن التشريعات الإسلامية جاءت: "لضبط الحياة الفردية والأسرية، والاجتماعية والدولية، تشريعات ربانية، أعني في أسسها ومبادئها، وأحكامها الأساسية، التي أراد الله أن ينظّم بها سير القافلة البشرية، ويقيم العلاقات بين أفرادها وجماعاتها على أمتن القواعد، وأعدل المبادئ، بعيدا عن تصرفات البشر، وأهوائهم، وتناقضاتهم"[3].

ومن ثم يهدف التشريع إلى معالجة مشاكل الناس وتنظيم العلاقات بنحو يبعد التصادم بين مصالح الناس المختلفة على أساس العدل المتمثل بإعطاء كل ذي حقّ حقه، ووضع الأمور في نصابها الصحيح.

4. **الركيزة الرابعة:** قواعد أخلاقية موجّهة إلى الأفضل من الكمالات الإنسانية بصورة غير إلزامية.

5. الركيزة الخامسة: سيادة حاكمة تقوم على صيانة الركائز الأربعة وحمايتها من العبث بها من الداخل والخارج.

وانفرد الإسلام بكونه تشريعا مستمرا صالحا لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، وتكفّل الله بحفظ كتابه بإعتباره المصدر الأول للتشريع، والتعامل في الشريعة الإسلامية يختلف عن التعامل في القوانين الوضعية حيث إن التعامل في شريعتنا ليس مجردا عن الأخلاق، إنما تحكمه الأخلاق، بالإضافة إلى التنظيم المادي والقضائي، فالتعامل في الإسلام يتميّز بأنّ له حكماً دنيويا، وحكما أخرويا...[4].

---

[1] محمد عبده، نهج البلاغة، جـ3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص40.

[2] ابن عبد البر، جامعة بيان العلم وفضله، جـ1، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ،لا ط، لا ت، ص82.

[3] يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، المرجع السابق، ص45.

[4] سهام مهدي جبّار، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1417هـ/1997م، ص267.

إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بيّنه أن أمّهات العبادات خمس حيث يقول: "**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت**"[1].

وإذا كانت العبادات جزءا مكمّلا للشخصية فإن ذلك يتجلى فيما تم ذكره من بعض حكم العبادات العلمية وأسرارها النفسية والخُلقية والإجتماعية كما جاء ذلك في الكتاب والسّنة.

ونبدأ بالأساس العبادي الأول: "**الصلاة**"، لأن الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلاّ به.

الأساس العبادي الأول: الصلاة:

- معنى العبادة وأثره:
- مسؤولية الإنسان من الصلاة.
- العبادة حقّ الله.
- الصلاة لغة وإصطلاحا.

مراحل الصلاة:

- المرحلة الأولى: مرحلة الأمر بالصلاة.
- المرحلة الثانية: مرحلة تعليم الطفل الصلاة.
- المرحلة الثالثة: مرحلة التطبيق وذلك بأمره بالصلاة والضرب (عليها) على تركها.
- المرحلة الرابعة: مرحلة إصطحاب الأطفال إلى المساجد وتدريبهم على حضور صلاة الجماعة.

الأساس العبادي الأوّل: الصلاة:

تمهيد:

تعتبر الصلاة فريضة من فرائض الإسلام وهي الركيزة أو عماد الدين وقبل أن نبدأ بتعليم أطفالنا العبادات يجب علينا أن نوضح لهم معنى كلمة عبادة وما مسؤولية الإنسان عنها–ولماذا العبادة حق الله؟.

معنى العبادة وأثرها:

يقول "محمد قطب": "**العبادة:**معناها: العبودية لله وحده، والتلقّي من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة كله، ثم هي الصلة الدائمة بالله في هذا كلّه، وهذه الصلة في الحقيقة هي منهج التربية كلّه، تتفرع منه جميع التفرعات وتعود في النهاية كلّها إليه"[2].

إذن العبادة تعني طاعة الله والتقرب إليه والخضوع له..والتزام ما شرعه من الدين. إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿**إِنِ الحُكْمُ إلاّ للّه أمر ألا تعبدوا إلاّ إيّاه...**﴾[3].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب قول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم بُني الإسلام على خمس)، رقم(16)، جـ1، المصدر السابق، ص 45

[2] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص34.

[3] سورة يوسف، جزء من الآية 40.

آثارهـــا:

تمثل العبادة في الأساس علاقة الإنسان بربِّه وهي العمل الذي يتقرب به المسلمون إلى ربّهم، يستحظرون عظمته فتجعلهم لا يخضعون إلاّ للحق تبارك وتعالى، منفذين بها أمره محقّقين رسالته، قال تعالى: ﴿**قلْ إنّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين**﴾[1].

"لذلك عرّفوا العبادة بأنها "كل عمل يُرضي الله"، وبذلك تشمل العبادة جميع أعمال الإنسانن، إذا قُصد بها إرضاء الله، وتحقيق العبودية له والخضوع لأمره وشريعته، والقرب منه، واتقاء غضبه والنجاة من عذابه.."[2]

والعبادة في الوقت ذاته تذكير بالله، والتذكير بالله يعمر القلب بعظمته، وإذا عمر القلب بمعرفة الله وعظمته وجه قوى النفس إلى البرّ والخير، ومنعها من الإثم والشر، " إنما قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة، قيمتها أن العبادة خطة سلوك وخطة عمل وخطة فكر وخطة شعور..."[3] ومن ثم كانت العبادة ركنا أساسيا في بناء الشخصية المتكاملة التي يريدها الله، وكانت أساسا قويا للمجتمع الصالح، وكانت هي غاية الحياة الكريمة...[4].

مسؤولية الإنسان من الصلاة:

نرى بأن الإسلام حين يطلب من الناس القيام بالعبادة لا يحملهم عليها إكراها، ولا يجبرهم عليها، ولكي يصل الإنسان ويحقق هذه الغاية (العبادة) نجد بأن الله تعالى قد زوّده بالعقل والاختيار والإرادة، وأرسل له رسلا مبشرين ومنذرين، ليبلغونه الرسالة، وجعله بعد ذلك أهلا لحمل مسؤولية العبادة، ليقطع عذره، ويقيم عليه الحجّة...قال تعالى:﴿**رُسلا مبشرّين ومنذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرسل...**﴾[5]. "إن الإرادة والإدراك..هي ميزة هذا الإنسان على كثير من خلق الله، وهي مناط التكريم الذي أعلنه الله في الملأ الأعلى..ولقد كرّمنا بني آدم"[6].

وبفضل تلك الحرية، وهذا الإختيار كلّفه بالعبادة وأرسل إليه الرسل لتهديه وترشيده.

العبادة حق لله:

---

[1] سورة الأنعام، الآية 162.

[2] عبد الرحمان النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص42.

[3] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جـ1، المرجع السابق، ص34.

[4] سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص269.

[5] سورة النساء، جزء من الآية 165.

[6] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ5، المرجع السابق، ص2885.

يقول تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلك لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢)**﴾[1].

يقول "سيد قطب" في تفسير هذه الآية الكريمة: "إنه النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم. ربّهم الذي تفرّد بالخلق، فوجب أن يتفرّد بالعبادة، وللعبادة هدف لعلهم ينتهون إليه ويحققوه..."[2].

إذا من عرف الله عرف استحقاقه للحب والتعظيم والحمد، والثناء والشكر والعبادة، لأنه هو الذي وهب الإنسان الحياة وأمدّه بما يحفظها مثلما أشارت إليه الآية الكريمة السابقة.

فعن مُعاذ بن جبل قال: كنت مردفٌ أي راكباً خلف النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "**يا مُعاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟**" **قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئا –وحق العباد على الله عزّ وجلّ أن لا يُعذّبهم**"[3].

وإذا كانت العبادات جزءا مكمّلا للشخصية الإسلامية فإن ذلك يتجلى من بعض حكم العبادات العملية ولنبدأ بالأساس العبادي الأول، وهي الصلاة:

الصلاة لغة وإصطلاحا:

الصلاة في اللغة: الركوع والسجود... والجمع صلوات والصلاة: تعني الدعاء والإستغفار... والصلاة من الله تعالى: الرحمة، وصلاة الله على رسوله: رحمته له وحسن ثنائه عليه..والصلاة أصلها الدعاءُ في اللغة فسميت ببعض أجزائها، وقيل أصلها في اللغة التعظيم.."[4].

الصلاة في الإصطلاح:

"الصلاة معراج المؤمن إلى الله تعالى، وشكره الذي يقدّمه أمام نِعم الله، ووسيلة التعبير عن الخضوع لسلطانه، وهي أيضا مدرسة تربوية شاملة لأنها درع عن المعاصي وصحة في الجسد"[5].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿**وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نرزُقك والعاقبة للتقوى**﴾[6]، ويقول "سيد قطب" في تفسير هذه الآية الكريمة: "فأول واجبات المسلم أن يحوّل بيته إلى بيت مسلم، وأن يوجّه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم بالله،فتوحّد إتجاههم العلوي في الحياة وما أروع الحياة

---

[1] سورة البقرة، الآية 21–22.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ1، المرجع السابق، ص46.

[3] صحيح البخاري، (باب إرداف الرجل خلف الرجل)، جـ7، المصدر السابق، ص312.

[4] ابن منظور، لسان العرب، جـ14، مادة (صلا)، المرجع السابق، ص464–465– 466.

[5] محسن محمد عطوي، زاد المبلغين، دار التعارف، بيروت، لا.ط، 1409هـ/1989م، ص198.

[6] سورة طه، الآية 132.

في ظلال بيت أهله كلّهم يتجهون إلى الله"[1]. وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا، صلوا. قال ثابت: "وكان الأنبياء إذا حل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة"[2].

إذن فإشباع الحاجات الروحية للطفل من أهم واجبات الوالدين، وهي ضرورية لحياة الطفل، إذ يشعر بدونها بنقص ذاتي داخلي. ويوجّه الإسلام الفرد منذ الطفولة الباكرة إلى فهم أركان الإسلام ومن ثم ممارستها على الوجه الأكمل، حيث راعى الإسلام في ذلك التدرج في أساليب التنشئة الدينية للطفل فيعلم الأساس الأول للعبادة وهي الصلاة من خلال مراحل عدة:

المرحلة الأولى: مرحلة الأمر بالصلاة:

يتفق الأئمة في قضية الأمر بالصلاة حيث يقولون: "فمن واجبات الأهل إلمام أطفالهم بالقضايا الدينية حسب التدرج بالسّن فيجب أن يعلما الطفل كلمة التوحيد لثلاث سنين، ومن الرابعة يعلّماه الشهادة بالرسالة، وفي الخامسة يوجهاه إلى قبلة ويأمراه. فإذا تمت له ست سنين علم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين فإذا تم له سبع سنين قيل له: اغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما قيل له صل"[3].

إذن لابد أن تقوم التربية والرعاية في البيت عن طريق المحاكاة والقدوة والتلقين، ذلك أن الطفل ينشأ فيعمل ما يعمله أبواه فإذا كانا يقيمان الصلاة فعل مثلهما وانطبعت في ذهنه تلك الصورة وتأثر بها مدى الحياة...فيبدأ الوالدان بأمر طفلهما بأن يقف معهما في الصلاة في مرحلة وعيه وعند إدراكه يمينه عن يساره.

أخرج أبوا داود عن مُعاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني قال: راوية هشام بن سعد: دخلنا عليه فقال لامرأته: متى يصلي الصبي؟ قالت: نعم كان رجل منا يذكر عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنّه سُئل عن ذلك؟ فقال: "**إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة**"[4].

المرحلة الثانية: مرحلة تعليم الطفل بالصلاة:

"التعليم بالعمل والممارسة أو الطريقة التطبيقية الفعّالة في التربية هي آخر ما دعت إليه التربية الحديثة، وهي الطريقة التي يسندها علم النفس الحديث فتكون أخلاق الإنسان وروحياته وبناء علاقاته الإجتماعية لا تقوم ولا تكفى بالوعظ وحده ولا بالحفظ والتلقين وحده بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتكوين أخلاقه عمليا وسلوكيا وليبني علاقاته مع بني الإنسان بالواقع"[5].

---

(1) سيد قطب، جـ4، المرجع السابق، في ظلال القرآن، ص2357.

(2) مختصر تفسير ابن كثير،جـ2، المصدر السابق، ص499.

(3) الطبرسي، مكارم الأخلاق، علق عليه محمد الحسين الأعلمي، ط6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1392هـ/1972م، ص 222.

(4) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، (باب متى يؤمر الغلام بالصلاة)، رقم(497)، جـ1، المصدر السابق، ص134.

(5) محمد فاضل الجمالي، توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية للنشر، 1492هـ/1972م، ص104.

لهذا ينبغي على الوالدين والقائمين على تربية الأطفال بتعليم أطفالهم أركان الصلاة وتعريفهم بالأمور التي تسبق الصلاة من طهارة ولباس ومعرفة القبلة... إلخ ثم بيان كذلك مفسدتها...

وقد حدّد النبي–صلى الله عليه وسلم– سن السابعة بداية مرحلة التعليم حيث قال: "**مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً**"[1].

وكان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يعطي لأصحابه النموذج الحي في أسلوب التربية والتعليم. فقد روى البخاري حديثا ذكر فيه أنه –صلى الله عليه وسلم– صلّى مرة بالناس إماما وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم، وليتعلموا من أفعاله ومشاهداته، فلما فرغ أقبل الناس فقال: "**يا أيها الناس إنّما صنعتُ هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي**"[2].

المرحلة الثالثة: مرحلة التطبيق بأمره بالصلاة والضرب على تركها:

يجب على الوالدين والمربّين أن يلحظوا جانب التطبيق للعبادة وذلك بأمر الطفل بالصلاة وهو في سن السابعة إمتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام: "**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع**"[3].

إنّ الصلاة تعد من أعظم العبادات أجرا وأهمّ ما أكّد عليه الأنبياء في رسالاتهم لقد أوصى لقمان إبنه بالصلاة قال تعالى: ﴿**يا بُنيّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف...**﴾[4]

فما السّر إذن من وراء قوله تعالى: مروا أولادكم بالصلاة وقول لقمان لإبنه أقم الصلاة؟ والجواب: لأهميتها وأسرارها، النفسية، والخُلقية والإجتماعية[5]:

1. الصلاة ضرورة نفسية:

من ينظر في النصوص الواردة في الكتاب والسّنة يجد فيهما حكم الصلاة النفسية، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**إنّ المصلي يناجي ربّه عز وجلّ فلينظر بما يناجيه...**"[6] والمناجاة مخاطبة الله مباشرة..يدعوه فيستجيب له وهذه المناجاة خمس مرات في اليوم توقظ في المرء قواه الروحية.. وتشعره بالقوة فتقوى عزيمته وإرادته... إلخ"فالإنسان إذا لم تصل روحه بمبدعها ظهرت عليه عوارض القلق

---

[1] الطبرسي، مستدرك الوسائل، (باب إستحباب الصبيان بالصلاة)، جـ1، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران والمكتبة العلمية، النجف الأشرف، 1383هـ/1963م، ص 171.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجمعة، (باب ما جاء في الخطبة على المنبر)، رقم(917)، جـ2، المصدر السابق، ص9.

[3] سنن أبي داود، كتاب الصلاة، (باب متى يؤمر الغلام بالصلاة)، رقم(495)، جـ1، المصدر السابق، ص133.

[4] سورة لقمان، جزء من الآية 17.

[5] سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة، المرجع السابق، ص274.

[6] مسند أحمد بن حنبل، جـ2، المصدر السابق، ص67.

والإكتئاب بسبب ما يلاقيه من مصائب وخيبة أمل فيحاول التغلّب على ما يعانيه من قلق بتعاطي المخدرات، وشرب الخمر..."[1].

2. **آثارها الخلقية:**

إن مواظبة المسلم على الصلاة والمداومة عليها تربّي فيه الضمير الحي، الذي يبعث على الخير ويحثّ عليه، ويمنع الشر، ويحذر منه. لهذا نجد الآية الكريمة تقول:﴿**إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر...**﴾[2]. "فالصلاة في الإسلام بما تحتويه من مراقبة لله وقيام وسجود له، وما تشمل عليه من معاني القربى له، تربط المصلي بخالقه وتشعره بعلو مكانته في نظر نفسه حتى يرى من آثار الكرامة ما يستقذر معه الإتيان بالقبائح"[3].

3. **آثارها الإجتماعية:**

من اطبع بحسن الخُلق أصبح عضواً نافعا في المجتمع الذي يعيش فيه يعمل وينتج ويعمّ خيره على الناس كافة.

وما إن حث الإسلام على صلاة الجماعة، وأوجب صلاة الجمعة كل أسبوع لما لهما من تقوية الروابط الاجتماعية وتوطيد الصلات بينهم.

ونظرا لأهمية الصلاة يجب علينا أو على جميع الأولياء والمربين أن نأمر أولادنا بالصلاة وهم في سن العاشرة فإذا تهاونوا وتكاسلوا عنها حينئذ يجوز للوالدين إستخدام الضرب والعقاب، غير أنه لا يضرب الطفل قبل أن يبلغ سن العاشرة آخذا بالحديث الشريف الذي سبق بيانه، لأن الإسلام يهتم بسن الطفولة، لأنها أكثر مرحلة عمرية لها قابلية كبيرة للتعليم والتأثر والمحاكاة، ومن هنا يأمر الرسول –صلى الله عليه وسلم– المربّين بتدريب الأطفال على العبادات وأداء فرائضها، وفعل الخيرات متى بلغوا سن التمييز. كما أمرهم بأخذهم بالحزم والشدة إذا قاربوا سن المراهقة[4].

والضرب هنا ليس مقصودا لذاته، وإنّما المراد به إشعار الولد أو الطفل بأهمية ما يؤمر، وجدية الوالد في أمره به، وتعويد الطفل على الحرص في تنفيذ ما يؤمر به، ولهذا جاء الأمر بالضرب لإشعار الطفل بأن الأمر جدّ لا هزل فيه، وهو فعل لا قول، والضرب المطلوب هنا له شروط:

– أن يؤلم ويوجع، ولكنه لا يشوّه ولا يجرح، ولا يؤذي إيذاءا شديدا، يقول ابن سينا: "وليكن أول الضرب قليلا موجعا كما أشار به الحكماء قبلُ بعد الإرهاب الشديد وبعد إعداد الشفعاء، فإن الضربةالأولى إذا

---

[1] عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الصلاة في الإسلام، ط14، دار العلم للملايين، بيروت ، 1982م، ص28.

[2] سورة العنكبوت، جزء من الآية 45.

[3] عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص32.

[4] سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة..، المرجع السابق، ص276.

كانت موجعة ساء ظنُّ الصبي بما بعدها واشتد منها خوفه وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنّه بالباقي فلم يحفل به"[1].

ويقول أحد المربّين: "لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أشواط شيئاً...لأن إرهاف الحد بالتعليم مضرٌ بالمتعلم و سيما في أصاغر الولد..ومن كان قرباه بالعسف والقهر..سطا به القهر، وضيق على النفس انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث.. خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلّمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخُلُقا.. فينبغي للمعلّم في متعلّمه، والوالد في ولده، أن لا يستبدّ عليهما في التأديب..."[2].

– وتدريب التلاميذ عمليا على العبادات يتم في ضوء قدرات الطفل وإستعداداته وحاجاته. والسؤال المطروح هو كيف يُعلّم الطفل الصلاة في المدرسة ومن قبل المعلّم؟

– يعلم الطفل الصلاة في المدرسة بأن يُخصص غرفة تُقام فيها الصلاة، يؤذن لصلاة الظهر في ميكرفون إذاعة المدرسة بوضع شريط للأذان ومن ثمّ يخصص مقدار ربع ساعة للطلاب الذين يريدون الصلاة ينزلون مع معلمهم إلى المكان المعد لإقامة الصلاة بعد ان تعلموها نظريا وعمليا مع معلمهم داخل الصف، بحيث نتمنى أن يدرب التلاميذ على ذلك في كل مدرسة إسلامية تحرص على تعليم أولادها على أداء الفرائض لتصبح كما قلنا عادة لهم[3].

وهذا هو المفروض أو ما ينبغي أن يكون...ويقول بعض المربّين: "الطلبة الذين يتاح لهم الصلاة في المدرسة يدركون بصورة أفضل معنى الإنضباط والمساواة"[4].

المرحلة الرابعة: مرحلة إصطحاب الأطفال إلى المساجد وتدريبهم عل حضور صلاة الجماعة:

إن واجب الآباء إن وجب الآباء والمربّين اصطحاب أبنائهم إلى المساجد وتدريبهم وتعويدهم على صلاة الجماعة لأن غاية المسجد "طهارة النفس من الآثام والمعاصي والعداوة والحسد، وهذه كلها تمحو المساجد إذ يجتمع الناس مراراً ف يكل يوم على سلامة الصدر وبراءة القلب وروحانية النفس، ولا تدخله إنسانية الإنسان إلاّ طاهرة منزّهة، مسبغة على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطهر الذي يسمّى الوضوء كأنّما يغسل الإنسان آثار الدنيا من أعضائه قبل دخوله المساجد"[5].

والغاية من صلاة الجماعة تربية الإنسان على المساواة الحقيقية فكلهم عباد الله اجتمعوا في بيته تظللهم ظلال الأخوة والمحبة والمصالح المشتركة.

---

[1] لويس شيخو وآخرون، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى، المرجع السابق، ص13.

[2] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط3، المطبعة الأدبية، بيروت، 1900م، ص540.

[3] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص277.

[4] أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية،المرجع السابق، ص487.

[5] عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص221.

ولقد بيّن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فضل صلاة الجماعة فقال: "**من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة زيادة ثلاثة أيام ومن مسّ الحصى فقد لغا**"[1].

وتدريب الطفل وحرصه على حضوره صلاة الجمعة يجعل له عدة منافع منها:

يقول "علي بن أبي طالب" –كرم الله وجهه– من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخا مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفا، أو آية محكمة، أو يسمع كلمة تدل على هدى، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى، أو يترك ذنبا خشية أو حياءً[2].

فمن كلام "علي" –كرم الله وجهه" أن حضور المسلم إلى المسجد يجني من ورائه منافع كثيرة، واصطحاب الأطفال إلى المساجد تطبعهم بالآتي:

1. شعور الطفل أنه أخ لكل من في المسجد، وأنه مساوِلَهُ، فتنمو عنده روح المساواة الحقيقية لا امتياز لأحد على أحد فالكلّ سواسية بين يدي الله.

2. يربي فيه النزعة الاجتماعية فيحس بقوة الجماعة ووحدتها وأخوّتها في ظل هذا اللقاء الطاهر في ضيافة الله: يقول محسن عطوي: "بيت الله تعالى في الدنيا هو المسجد، وهذا يشرف المكان ويجعل القاصد له زائرا لله تعالى في ضيافته وأداء العبادة في المسجد يضفى عليها روحانية خاصة، كذلك فإن رؤية المؤمن لإخوانه يوميا وعشيّة في رحاب الجماعة ينمي فيه النزعة الاجتماعية، ويخرج الإنسان من فرديته وعزلته في بيته إلى حركة المجتمع اليومية، وهذا يجعل المسجد من أهم موقع التكامل الديني والإجتماعي الدائم"[3].

3. يتعود الطفل في صلاة الجماعة التنظيم، وتوحيد الصفوف من خلال أداء أعمال واحدة وراء إمام يرمز إلى القائد الذي ينبغي له أن يُطاع، وما يعكسه ذلك من روح محبة للنظام والطاعة في مختلف جوانب الحياة، وهذا نوع من الجهاد ضد التعنت وحبّ النفس.

4. تطبعه بطابع خلقي جميل تصنع منه مستقبلا عضوا حيا يعمل وينتج ويعم خيره على الناس.

5. تدريبه على استماع الوعظ والإرشاد من خلال خطبة الجمعة وسماع أحكام الله فيما يحلّ وما لا يحلّ، وبذلك أخذت هذه الصلاة لون المحاضرات والدروس الدينية.

والآن ننتقل إلى الأساس العبادي الثاني "**الصوم**".

---

[1] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة)، رقم(857)، جـ2، المصدر السابق، ص 588.

[2] الحر العاملي، وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، (باب استحباب الاختلاف إلى المسجد وملازمته وقصده)، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، جـ2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص480.

[3] محسن عطوي، زاد المبلغين، المرجع السابق، ص202.

الأساس العبادي الثاني" الصوم":

- الصوم في اللغة والشرع.
- آيات الصوم في القرآن.
- الصوم في السنة النبوية المطهرة.
- الحكم السامية من عبادة الصوم.
- استحباب تدريب الطفل على الصوم.
- أحكام الفقهاء في صيام الصبيان.
- الفوائد التي يجنيها الأطفال من التمرين وممارسة عبادة الصوم.

الأساس العبادي الثاني" الصوم":

تمهيـــد:

الصوم هو العبادة الدينية الثانية "وهو فرض من فرائض الإسلام وركن من أركانه، علم من الدين بالضرورة، يكفر جاحده، ويُفسّق تاركه، شرع في السنة الثانية للهجرة بعدما حوّلت القبلة إلى الكعبة على رأس ثمانية من الهجرة"[1].

ويعد الصيام مدرسة تربوية عالية الأهداف ووسيلة روحية فعالّة وناجحة لمصلحة الإنسان.

لذلك أجمع المسلمون على وجوب صيام رمضان لقوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رمضانَ الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه...**﴾[2].

وقد جمع القرآن آيات الصوم في مكان واحد وفي إطار واحد من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا كُتب عليكم الصّيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون**﴾[3].

وثبتت فريضة أيضا عن طريق المربّي الأكبر رسولنا–عليه أفضل الصلاة والسلام– حين قال: "**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصوم رمضان**".[4]

ولو تأملنا بالآيات الكريمة وبأحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– لتبينت لنا الحكم السامية من هذه العبادة.

1. الصوم عبادة قديمة كتبها الله سبحانه وفرضها على هذه الأمة كما فرض على من تقدمها من الأمم "فهو ليس خاصا بطائفة دون طائفة، ولا برسالة دون رسالة، وربما كان شأنا فطريا يشعر بالحاجة إليه في

---

[1] كامل موسى، أحكام العبادات ،ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1411هـ/1910م، ص343.

[2] سورة البقرة، جزء من الآية 185.

[3] سورة البقرة، الآية 183.

[4] سبق تخريج الحديث، ص 200 من الرسالة.

فترات متتابعة أو متفرقة كل كائن حي وإن اختلفت صوره وأوقاته باختلاف العصور والأمم"[1].

2. والغاية الكبيرة من الصوم، بأنها التقوى: يقول سيد قطب: "...فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة طاعة الله، وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية"[2].

والصوم تربية للضمير، فليس على الصائم رقيبٌ إلاّ الله، فيعتاد الأمان بعد ذلك في كل أمور الحياة، وهذا من شأنه يورث خشية الله، وينمي ملكة المراقبة، ويوقظ الضمير، ومن ثم إعتبره القرآن الكريم سبيلا إلى التقوى بقوله تعالى: "تتّقون".

3. والغاية أيضا من الصوم هو هجر المعاصي والسيئات، فالصيام ليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب إنّما هو تهيئة النفس، فلا يتكلم إلاّ حسنا، فلا لغو ولا غيبة ولا نظر ولا رفث حتى إذا اعتدى عليه أحد حال صومه بينه وبين ردّ الإعتداء، فلا يقول إلاّ خيرا، ولا يفعل إلاّ جميلا ويؤكد ذلك قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**الصيام جُنّة[3] فلا يرفث ولا يجهل و إن إمرؤ قاتله وشامته فليقل إنى صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أُجزي به، والحسنة بعشر أمثالها**"[4].

ومن أسرار الصيام الأخرى، يقول "كامل موسى": ومن فوائده ومحاسنه اكتساب الأخلاق، لأن قلة الأكل من محاسن الأخلاق، إذا لم يحمد أحد على كثرة الأكل، يحمد على قلة الأكل، يحمد كل ذي دين في كل حين، ولم يرد عن أحد من الأنبياء كثرة الأكل"[5].

4. **فيه تربية اجتماعية:** لأن الصيام فيه المساواة بين الأغنياء والفقراء في الحرمان، وترك التمتع بالشهوات، فرمضان "فقر إجباري يتساوى فيه الناس جميعا فيشتركون في الآلام المنبعثة عن الشعور بالواقع، لا عن التخيّل بالفكر، ومن الآلام تنشأ الرحمة، ومن الرحمة تنبعث العدالة...[6]، وهذه الآلام آلام الجوع والعطش تجعل المرء يفكّر في حاجة الفقير والمحتاج، فيشعر الغني بالرحمة والعطف، ويبعثه

---

(1) محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، المرجع السابق، ص107.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ1، المرجع السابق، ص168.

(3) الصيام جُنّة: "أي وقاية من الأخلاق الردئية" أي ستر ووقي من المنكرات والشرور، أنظر: مصطفى السباعي، أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسّنة، ط2، دار القرآن الكريم والمكتب الإسلامي، بيروت، 1392هـ/1972م، ص15.

(4) صحيح البخاري، كتاب الصوم، (باب فضل الصوم)، رقم(1790)، جـ2، المصدر السابق، ص670.

(5) كامل موسى، أحكام العبادات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1411هـ/1910م، ص346.

(6) مصطفى السباعي،أحكام الصيام...، المرجع السابق، ص62.

على مواساة الذين ضاقت بهم سبُل العيش، كما يرفع من نفس الفقير إذ يجد الغني مثله في القيام بهذه الفريضة، فتتآلف القلوب، ويتعاونون على النهوض بالمجتمع وتوفير الطمأنينة له.

– ولقد كان سيدنا يوسف –عليه السلام– أمينا على خزائن الأرض، وكان يكثر من الصيام فسئل عن ذلك فقال: "**أخاف أن أشبع فأس الجائع**"[1].

التعريف بالصوم:

الصوم في اللغة:"هو الإمساك عن الشيء والترك له، وقيل للصائم صائم لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح... والصوم ترك الطعام والشراب والنكاح، وصوم هو إسم للجمع"[2].

الصوم في الشرع: هو الإمساك عن أشياء خاصة، نهى عنها الشرع، كالأكل والشرب والجماع في زمن مخصوص، يبتدئ بطلوع الفجر، وينتهي بالغروب، على أن يكون الإمساك بنيّة التقرب إلى الله وطاعته وامتثال أمره"[3].

أما الصوم في الإصطلاح: "هو ترك الأكل والشرب والجماع من الصباح إلى الغروب بغية من أهله"[4].

إستحباب تمرين الطفل على الصوم:

لعبادة الصوم أهمية عظمى إذ تعتبر من العوامل التي تؤثر تأثيرا فعّالا في تنمية الروح عند الطفل كالصلاة وتلاوة القرآن والقيام بالواجبات الدينية التي تطهر القلب والروح والنفس والبدن، فقد ورد عن "علي" –كرم الله وجهه– قوله: "الصلاة قُربان كلّ تقي والحج جهادُ كل ضعيف لكل شيءٍ زكاة وزكاة البدن الصّيام"[5].

وكما ذكرنا يهتم الإسلام بسن الطفولة لأنها أكثر قابلية للتعليم والتأثير والمحاكاة، لذا يأمر الآباء والمربّين بتدريب أطفالهم على الطاعات وأداء الفرائض متى بلغوا سن التميّز، ويؤمر الصغير باالصيام متى أطاقه ويقول "الحسين" –رضي الله عنه– في حديث له: "إنّا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين، فإن كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقل، فإذا غلبهم العطش والفرت أفطروا حتى يتعوّدوا الصوم ويُطيقُوه، فمُروا صبيانكم إذا كانوا بنيي تسع سنين بالصوم ما أطاقوا من صيام فإذا غلبهم العطش أفطروا"[6].

---

[1] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص282.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة "صوم"، جـ12، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 350–351.

[3] محمد جواد مغنية، فقه الإمام جعفر الصادق، جـ2، ط4، دار الجواد، بيروت، 1402هـ/1982م، ص7.

[4] كامل موسى، أحكام العبادات، المرجع السابق، ص346.

[5] محمد عبده، نهج البلاغة، جـ4، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص34.

[6] الكليني، الأصول من الكافي، (باب صوم الصبيان ومتى يؤخذون هبه)، صححه وعلق عليه أكبر الغفاري، جـ4، ط4، دار التعارف، بيروت، 1401هـ/1980م، ص124–125.

والحكمة من ذلك أن نعوّد الطفل ونمرّنه على فعل هذه العبادة، لذا نرى الصحابة –رضوان الله عليهم– قد ربّوا أطفالهم على عبادة الصوم، ففي البخاري، باب صوم الصبيان: "عن الربيع بنت معود قالت: أرسل النبي –صلى الله عليه وسلم– غداء عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم قالت: "فكنّا نصومُه بعدُ ونصومُ صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن[1]، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار"[2].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني معلقا: "وفي الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام، كما تقدّم لأن من كان مثل السّن الذي ذُكر في هذا الحديث فهو غير مكلّف وإنما صنع لهم ذلك للتمرين"[3].

الفوائد التي يجنيها الأطفال من التمرين وممارسة عبادة الصوم:

1. لم يكن الهدف من افتراض الصوم على المسلمين هو مجرد الحرمان من الطعام و الشراب بل هنالك حكمة حقيقية وهي غرس خلق المراقبة والصبر والاستقامة.

يقول بعض المربّين: "المدرسة التي تشجع طلبتها البالغين على الصوم تطوعا يوماً أو يومين في الأسبوع تُهذّب نفوسهم وتحثهم على الإستقامة، بخلاف المدرسة التي تقف على الحياد من القيم الإسلامية، أو تلك التي تقدم لطلبتها نماذج هابطة من القيم الوضعية"[4].

وما أحوج طلابنا إلى ممارسة هذه العبادة وبيان فوائدها وحكمها من قبل معلمين لأنهم يتعلمون منها الإخلاص الحقيقي لله ومراقبته له في السّر....وما أحوجهم إلى أن يتحلوا بالصبر ليثبتوا في مواجهة الحياة وتحديات العصر.

2. يتعود النظام والطاعة والإلتزام لأن العبادات تأتي في أوقات محددة حيث يخضع فيها لنظم ثابتة فلا تصح العبادة إذا أخلّ المؤمن بنظامها: "فالمسلم في رمضان يأكل بنظام، وينام بنظام، ويستيقظ بنظام، والمجتمع الإسلامي في رمضان مجتمع يتجلى فيه النظام بأروع مظاهره...إنه نظام لا مثيل له في أمة من الأمم..نظام يستوي فيه الكبير والصغير، والعالمُ والجاهل، والحاكم والرعية، والغني والفقير، لا تمتاز فيه طبقة عن طبقة، ولا فرد عن فرد..[5].

3. يتعود الأمانة في كل أمور الحياة لأن الصوم تربية للضمير، يشعر أن الله رقيب عليه في كل أفعاله وأقواله، فيحرص على مرضاة ربه في كل الأحيان والأحوال: في سرّه وعلانيته، في نهاره وليله..مما تجعله مرتاح الضمير، ناعم البال بطاعة خالقه.

---

[1] العهن: "هو الصوف المصبوغ"، أنظر صحيح البخاري، (باب صوم الصبيان)، جـ3، المصدر السابق، ص 82.

[2] صحيح البخاري، (باب صوم الصبيان)، جـ3، المصدر السابق،ص82.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، جـ4، المصدر السابق، ص163.

[4] بشير التوم، تدريس القيم الخلقية، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، 1403هـ/1983م، ص8، ص23.

[5] مصطفى السباعي، أحكام الصيام...، المرجع السابق، ص51 – 52.

4. عبادة الصوم تشعره بمساعدة الفقير والمحتاج وتذكره بضرورة مساعدته، وتربي مشاعره على الإحساس بآلام غيره. فيسعى لمواساته ولهذا سمى النبي –صلى الله عليه وسلم– شهر رمضان شهر الصبر والمؤاساة لأنه "موجب للرحمة والعطف على المساكين.

الأساس العبادي الثالث: الزكاة:

- في مشروعية الزكاة.
- آيات قرآنية في الزكاة.
- الزكاة في السنة النبوية المطهرة.
- الزكاة في اللغة والشرع والإصطلاح.
- مكانة الزكاة في الإسلام.
- من تجب عليه الزكاة.
- حكمة فرض الزكاة وأثرها.

الأساس العبادي الثالث: الزكاة:

في مشروعية الزكاة:الزكاة فرض من فرائض الإسلام وركن من أركانه، "شرعت هذه الفريضة في السنة الثانية للهجرة بعد زكاة الفطر وثبت شرعيتها بالدليل من القرآن والسّنة والإجماع"[1].

آيات قرآنية في الزكاة:

قال تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأطيعوا الرّسول علّكم تُرحمون**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وءاتوا الزّكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا**﴾[3].

الزكاة في السنة النبوية"

عن ابن عمر –رضي الله عنهما–: "أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتون الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دمائهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله**"[4].

وفي قوله –صلى الله عليه وسلم–: "**بُني الإسلام على خمس شهادة أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصوم رمضان**"[5].

---

[1] كامل موسى، أحكام العبادات، المرجع السابق، ص279.

[2] سورة النور، الآية 56.

[3] سورة المزمل، جزء من الآية20.

[4] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)، رقم(22)، ج1، المصدر السابق، ص53.

[5] سبق تخريج الحديث، ص 200 من الرسالة.

الزكاة في اللغة:

"الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل في القرآن والحديث...وزكاة المال معروفة، هو تطهيره، والفعل منه زكى يزكي تزكية: إذا أدّى عن ماله زكاته. والزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره به، زكى المال"[1].

الزكاة في الشرع:

"إسم للصدقة الواجبة من المال، لأن فاعلها، يزكو بفعلها عند الله سبحانه، ويصير بين الطاهرين المطهرين"[2].

وتومئ إلى هذا المعنى الآية الكريمة: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تُطهرهم وتُزكيهم...**﴾[3]

الزكاة في الإصطلاح:

"هي تمليك المال من فقير مسلم غير هاشمي ولا مولاه بشرط قطع المنفعة عن المملّك من كل وجه اللّه تعالى"[4].

مكانة الزكاة في الإسلام:

الزكاة هي أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، وفريضة من فرائضه، ولذا قرنها سبحانه في كثير من الآيات بالصلاة وقرنها وشهادة التوحيد وكانت ثلاثتها عنوان الدخول في الإسلام وعنوان الأخوة الدينية لقوله تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصّلاة وءاتوا الزّكاة فإخوانكم في الدين...**"[5].

شروط وجوب الزكاة:يشترط فيمن تجب عليه الزكاة توفر مل يلي:

1. الإسلام

2. العقل والبلوغ:

قال الحنفية والإمامية: العقل والبلوغ شرط في وجوب الزكاة، فلا تجب في مال المجنون والطفل "إلا أن العقل والبلوغ غير معتبرين في زكاة الزرع والثمار عند الحنفية"[6].

وقال المالكية والحنابلة والشافعية: "لا يشترط العقل ولا البلوغ، فتجب الزكاة في مال المجنون والطفل، وعلى الولي أن يخرجها منه"[7].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، جـ14، مادة: "زكا"، المصدر السابق، ص258.

(2) محمد جواد مغنية، فقه الإمام جعفر الصادق، جـ2، المرجع السابق، ص59.

(3) سورة التوبة، جزء من الآية 103.

(4) كامل موسى، أحكام العبادات، المرجع السابق، ص284.

(5) سورة التوبة، جزء من الآية 11.

(6) محمد جواد مغنية، الفقه على المذاهب الخمسة، ط7، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1402هـ/1982م، ص166.

(7) المرجع نفسه، ص166.

3. **الحرية:** فلا تجب الزكاة على العبد لأنه لا يملك، وننوه أن العبودية قد قضى عليها الإسلام فا تجدها في زمننا هذا.

4. **الملك التام:** معناه أن يكون المال مملوكا لصاحبه مستقرا عنده.

5. **بلوغ النصاب:**ويختلف مقداره باختلاف الأنواع التي تجب فيها الزكاة"[1].

6. **الحول:** معناه أن يمر على امتلاك النصاب عام هجري.

حكمة فرض الزكاة وآثارها على الفرد والمجتمع:

نجد في الزكاة خاصة وفي الصدقات والإنفاق عامة تربية روحية كبيرة، وقد سميت الزكاة بهذا الإسم الذي معناه الطهارة أو التطهير، فهي تطهر القلوب وتزكي الطبائع، وفيها تنمية لحب الخير في النفوس، وتطهيرها من الطمع، والصدقة تكفّر الخطيئة.

وعن "عمر" –رضي الله عنه–. قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفّرها الصلاة والصدقة والمعروف..**"[2] منهاج تربوي، وعلاج عملي أصيل لضعف النفس وتطهيرها من داء الشح والأثرة وعبادة المال.

"والزكاة تطهير لرأس المال، وهي المادة المطهرة له، ولولا إخراجها لبقي هذا المال مالا ملوثا، والمال الملوّث آيل إلى التلف، كما أنّ المال النقي مايل إلى النمو والبركة"[3]، وفي هذا قوله: –صلى الله عليه وسلم–: "**ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللّهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا**"[4]. ورسول الله يعلّم أسماء بنت أب بكر كيف تنفق، ولعلّها سألته كيف تنفق، فعن فاطمة بنت المنذر عن أسماء قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم–: "**انفحي أو انضجي أو انفقي ولا تحصي فيحصى الله عليك ولا توعي فيوعى الله عليك**"[5]. أي أنفقي مالك في سبيل الله وابذليه في طاعته، ولا تمسكي فيمسك الله عليك.

– **وقيمة الزكاة:** "أنها ترد الحياة مجال تعاون لا معترك تطاحن، وأنها تؤمّن العاجز والضعيف والقاصر، وتشعرهم أنهم يعيشون بين قلوب ووجوه ونفوس، لا بين أظافر ومخالب ونيوب"[6].

– فعن "الحسين بن علي" قال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل للفقراء في أموال الأغنياء ما يكفيهم ولولا ذلك لزادهم وإنّما يؤتون من منع من منعهم"[7].

---

[1] **محمد جواد مغنية، الفقه على المذاهب الخمسة، المرجع السابق، ص167.**

[2] **صحيح البخاري، كتاب الزكاة، (باب الصدقة تكفّر الخطيئة)، رقم(1368)، جـ2، المصدر السابق، ص 520.**

[3] **كامل موسى، أحكام العبادات، المرجع السابق، ص282.**

[4] **صحيح مسلم، كتاب الكسوف، (باب في المنفق والممسك)، رقم(1010)، جـ2، المصدر السابق، ص 700.**

[5] **المصدر نفسه، كتاب الكسوف،(باب الحث على الإنفاق وكراهية الإحصاء)، رقم(1029)، جـ2، ص713.**

[6] **سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ1، المرجع السابق، ص40.**

[7] **الكليني، الأصول من الكافي، (باب فرض الزكاة وما يجب في المال من حقوق)، جـ3، المصدر السابق، ص497.**

– وأخيرا... لو طبّق المسلمون بجد وحزم هذه الفريضة الهامة في الإسلام لقضي على ظاهرة التسول التي تفشت بشكل رهيب في بلدان الإسلام، حيث نرى في كل يوم أطفالا صغارا ونساءً وكهولاً منتشرين هنا وهناك في الشوارع العامة وفي الطرقات، وصورة الفقر والبؤس ترسم وجوههم ممّا يؤذي مشاعرنا وأحاسيسنا، فياليت نعمل كما يقول فاضل الجمالي:

"إن جمع الزكاة والصدقات وتوزيعها بعدالة هي تربية عملية واقعية، وأن المدرسة الحديثة تستطيع تربية الطلاب على جمع التبرعات والصدقات في صناديق توضع في المدرسة وتشرف عليها هيئة من الطلاب بإشراف مدرّس أو أكثر ويقرر توزيع هذه الصدقات على مستحقيها بصورة منتظمة، ففي ذلك تربية روحية واجتماعية ثمينة للجيل الصاعد"[1].

كما يرى محمد فاضل الجمالي بأنه يصدق الشيء نفسه على المساجد والجوامع فلو وضعت فيها صناديق لجمع الصدقات أو لو تطوع أشخاص أتقياء لجمع التبرعات وتوزيعها على الفقراء لساد المجتمع جو روحي اجتماعي صحيح في البلاد الإسلامية ومما لفت نظره أنه رأى في سويسرا أطفال المدارس في شتى المناسبات يجمعون التبرعات من الناس في صناديق يحملونها لقاء شالات يعلقونها على صدور المتبرعين، وذلك لشتى الأغراض الخيرية والإنسانية.

وكما لفت نظره أنه في كنائس أوربا وأمريكا يقوم أشخاص محترمون بجمع التبرعات للأغراض الخيرية وللفقراء المعوزين[2]. ولكننا لا نحتاج إلى أخذ دروس في روح التعاون وفي الإنسانية من أوروبا. فقرآننا الكريم مملوء بالآيات التي تحث على الزكاة والإنفاق ولا سيما عن طريق الصدقات.

ولنا في تراث أسلافنا ثروة إنسانية جسيمة فيا حبذا لو أحييناها وعملنا بموجبها وها نحن فيما يلي نذكر بعض الآيات الكريمة على سبيل المثال:

﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون..﴾[3].

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض..﴾[4].

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[5].

---

[1] محمد فاضل الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي...، المرجع السابق، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص107.

[3] سورة البقرة، الآية 1-3.

[4] سورة البقرة، جزء من الآية 267.

[5] سورة البقرة، الآية 261.

﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾[2].

﴿وأقيمو الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾[3].

﴿قد أفلح من تزكى﴾[4].

﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله واللهعليم حكيم﴾[5].

الأساس العبادي الرابع: للحج

1. الحج في اللغة والشرع.
2. آيات الحج في القرآن الكريم.
3. الحج في السنة النبوية الشريفة.
4. شروط الحج.
5. هل يجب الحج على الصبي مميزا كان أو غير مميّز.
6. هل يجوز لولي الصبي غير الممّيز أن يحج به.
7. هل يصح الحج من الصّبي الممّيز سواء أذن الولي، أم لم يأذن.
8. لو بلغ الصبي قبل الموقف: هل يجزيه عن الفرض أم لا؟
9. هل إذا أخطأ الصبي في أعمال الحج عليه كفارات.
10. ما ورد في حج الأئمة والصحابة.

الأساس العبادي الرابع: الحج.

مشروعية الحجّ: "شرع الحج في السنة السادسة للهجرة"[6].

التعريف بالحجّ:

الحج لغة:"هو القصد: حجّ إلينا فلان أي قدم، وحجّة، يحجّه حجّا، قصده، وحججتُ فلانا واعتمدته أي قصدته، ورجل محجوج أي مقصود، ثم تعرف استعماله في القصد إلى مكة للنسك والحجّ إلى البيت

---

[1] سورة البقرة، الآية 274.

[2] سورة آل عمران، الآية 92.

[3] سورة البقرة، الآية 43.

[4] سورة الأعلى، الآية 14.

[5] سورة التوبة، الآية 60.

[6] الشوكاني، نيل الأوطار، جـ5، المصدر السابق، ص3.

خاصة.. والحجّ قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضا وسنّة"[1].

وأمّا في الشرع: "هو زيارة مكان مخصوص في زمن مخصوص بفعل مخصوص"[2]. إذن الحجّ زيارة أمكنة مخصوصة في زمن معلوم ابتغاء التقرب للإله المعبود، وهو صورة قديمة من صور العبادات اتخذتها الشعوب والقبائل[3].

"والحج ممارسة حركية وفكرية ذات فاعلية كبيرة في تدريب الشخص على اكتساب السِّمات السوِّية من السلوك"[4].

آيات الحج في القرآن الكريم:

الحج ركن من أركان الإسلام، تماماً كالصلاة والصوم والزكاة وهو من أعظم المواسم العبادية ذات الطابع الاجتماعي، هذا الطابع الذي يظهر جليا في معظم العبادات في الصلاة اليومية، وصلاة الجمعة الأسبوعية، وفي صلاة العيدين الموسمية، حيث تصل الروح الاجتماعية إلى ذروتها في فريضة الحج السنوية ليكون ذلك تتويجا لانفتاح المسلم على العالم أجمع...وهو خلاصة جامعة لأصول الإسلام كلها.. في العبادة والسياسة والإقتصاد والجهاد"[5].

والآيات كثيرة في الحث عليه والإلتزام به قال تعالى:﴿**وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربّنا تقبل منا إنّك أنت السميع العليم**﴾[6].

وقال تعالى:"**ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**"[7].

كما قال تعالى: ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود(٢٦) وأذّن في النّاس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق(٦٧)**﴾[8].

---

(1) **ابن منظور، لسان العرب، جـ2، مادة "حج"، المصدر السابق، ص226.**

(2) **محمد بن عابدين، حاشية ابن عابدين، جـ2، المصدر السابق، ص138.**

(3) **سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص294.**

(4) **محمود البستاني، دراسات في علم النفس الإسلامي، جـ2، ط1، دار البلاغة، بيروت، 1408هـ/1988م، ص95**

(5) **محسن عطوي، زاد المبلغين، المرجع السابق، ص217.**

(6) **سورة البقرة، الآية 127.**

(7) **سورة آل عمران، جزء من الآية 97.**

(8) **سورة الحج، الآية 26-27.**

الحج في السنة النبوية المطهرة:

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجّوا**"، **فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: لو قلت نعم لوجبت**"[1].

شروط وجوب الحجّ: على من يجب الحجّ؟

من شروط وجوب الحجّ:

أولا: الإسلام "لأن الكافر غير مخاطب بفروع الإيمان في حق الأداء، وسواء كان الكفر أصليا أو طارئا"[2].

ثانيا: الحرية:

أجمع أهل العلم أن المملوك إذا حجّ في رقه ثم أعتق فعليه الحجّ إذا وجد إلى ذلك سبيلا، ولا نجزئ عنه ما حجّ في حالة رقه، فعن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**أيّما رجل مملوك حجّ به أهله فمات أجزأنا عنه فإن أُعتق فعليه الحجّ**"[3].

ثالثا:

كما أجمع أهل العلم أن الصبي إذا حجّ قبل أن يدرك فعليه الحج إذا أدرك لا تجزئ عنه تلك الحجة عن حجة الإسلام. "وهذا قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق"[4]، فعن النبي–صلى الله عليه وسلم–: قال: "**أيما صبي حجّ به أهله فمات أجزأت عنه فإن أدرك فعليه الحجّ..**"[5]، و أجمع أئمة الفتوى على "سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ إلاّ أنه إذا حجّ كان له تطوعا عند الجمهور وقال أبو حنيفة: لا يصح إحرامه ولا يلزمه شيئ من محظورات الإحرام وإنّما يُحج به على جهة التدريب.

رابعا: القدرة:

من شروط الحجّ الاستطاعة، لأن غير المستطيع لا يجب عليه الحجّ لقوله تعالى: ﴿**ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا...**﴾[6]، "إذن من يجب عليه الحج أن يكون ذا قدرة على آدائه فإذا كان ذا قدرة بدنية وذا قدرة مالية، فقد تحققت القدرة المطلوبة، ولا خلاف فيها"[7].

---

[1] **صحيح مسلم، كتاب الحج، (باب فرض الحج مرة في العمر)، رقم(1337)، جـ2، المصدر السابق، ص975.**

[2] **كامل موسى، أحكام العبادات، المرجع السابق، ص 394.**

[3] **الشوكاني، نيل الأوطار، جـ5، المصدر السابق، ص19.**

[4] **سنن الترمذي، (باب ما جاء في حج الصبي)، جـ2، المصدر السابق، ص203.**

[5] **الشوكاني، نيل الأوطار، جـ5، المصدر السابق، ص19.**

[6] **سورة آل عمران، جزء من الآية 97.**

[7] **كامل موسى، أحكام العبادات، المرجع السابق، ص394.**

ما ورد في حج أطفال الصحابة:

عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس –رضي الله عنهما– يقول: "**بعثني أو قدّمني النبي –صلى الله عليه وسلم– في الثقل من جمع بليل**"[1].

وعن السائب بن يزيد قال: "**حج بي أبي مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حجة الوداع وأنا ابن سنين**"[2].

- **والسؤال الذي يطرح نفسه، ما دور المدرسة تجاه الطفل بالنسبة للحج؟**

يجب على معلمي التربية الإسلامية في المدارس أن يشرحوا للتلاميذ كيفية الحج ليعرفوا أعمال الحج وهي متعددة، منها الفرائض ومن الواجبات ومنها السّنن والآداب.

وخلاصة القول هو أن حج بيت الله الحرام فيه تربية روحية وتربية ثقافية إنسانية وتربية إجتماعية وتربية خلقية وتربية رياضية جسدية، فالحج بما يتضمنه من طاعة وتحمل مشاق وبذل نفقات فيه إطاعة مخلصة لله وتطهير للنفوس من الخطيئات والآثام وتجديد العزم على اتباع حياة جديدة فيها تقرب إلى الله وتجنب للمعاصي. و الحج يرمز إلى الوحدة وحدة الروح ووحدة الهدف الأعلى لجميع المسلمين.

وفيه توسيع للأفق الثقافي والإجتماعي إذ يلتقي الإنسان بأبناء بلاد أخرى قد يختلفون عنه في اللون واللغة والعادات ولكنه يرتبط بهم بشعور الأخوة والمساواة التي يضمنها القرآن لجميع البشر. فلا فرق بين الأبيض والأسود والأحمر، ولا بين الغني والفقير والضعيف والقوي إلاّ بالتقوى.

ثالثا: البناء الأخلاقي

الأساس الأول: خُلُق تأديب الأطفال:

- تعريف الخُلُق – الأدب – التهذيب
- ما ورد عن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – في غرس الأدب في الأطفال
- ما ورد عن السلف الصالح في تأديب وتهذيب الأطفال
- أنواع الآداب النبوية للأطفال:

الأدب الأول: الأدب مع الوالدين

الأدب الثاني: أدب احترام والتوقير

الأدب الثالث: أدب الاحترام والتوقير

الأدب الرابع: أدب احترام المعلم

الأدب الخامس: أدب الجار

الأدب السادس: أدب الإستدّان

الأدب السابغ: أدب الحديث والسلام

---

[1] **صحيح البخاري، أبواب الإحصار وجزاء الصيد، (باب حج الصبيان)، رقم(1757)، جـ2، المصدر السابق، ص657.**

[2] **سنن الترمذي، كتاب الحج، (باب ما جاء الصبي)، رقم(925)، جـ3، المصدر السابق، ص255.**

الأدب الثامن: أدب مظهر الأطفال

الأدب التاسع: آداب الطعام والشراب

الأدب العاشر: آداب المشي والجلوس

الأدب الحادي عشر: أدب الإنصات أثناء تلاوة القرآن

الأساس الخلقي الثاني: خُلُق الحياء

الأساس الخلقي الثالث: خُلُق الصدق والتحرز من الكذب

الأساس الخلقي الرابع: خُلُق الأمانة والاحتراز من الخيانة

الأساس الخلقي الخامس: خُلُق حفظ الأسرار

الأساس الخلقي السادس: خُلُق العفو والتواضع وسلامة الصدور من الأحقاد

البناء الأخلاقي

تمهيد:

تعد التربية الخلقية روح التربية الإسلامية، وعناية هذه الأخيرة بالتربية الخُلُقية لا يعني إهمال الجوانب الأخرى في الشخصية الإسلامية، إذ لابد من العناية بكل ما يتصل بالطفل إذ أنه بحاجة إلة قوة في جسمه وعقله وروحه وعلمه، لذا نجد أن الجانب الروحي والعبادي لا ينفصلان عن الجانب الأخلاقي، لأن تدريب الأطفال وتعويدهم على الفضيلة وإبعادهم عن التلّوث بالذنوب والمعاصي، عاملاً قويا في تثبيت الإيمان والعقيدة لديهم.

"والتربية الخلقية هي أولى، وليست منفصلة عن التربية الدينية، فالأخلاق والدين واحد، هما غير منفصلين، والمقصود بالدين تربية الأخلاق أي تهذيب النفس الذي يجب أن يبدأ باكراَ قبل أن تهجد المذمومات على الصبي"[1]. لذا أمر الإسلام أن نرّبي الأبناء على الفضائل الإسلامية ونعوّدهم على الآداب السامية، وأداء الواجبات والفرائض الدينية منذ الصغر أو منذ نعومة أظافرهم حتى ينشأوا وقد اصطبغوا بصبغة الإسلام.

وإذن المقصود بالتربية الأخلاقية للأطفال هو أن نعدّ ونرّبي أطفالنا ليس فقط لمواجهة ما هو أمامهم مباشرة ولكن نعدّهم أيضا للتكيف مع ما هو آت وأن يواجهوا التغيرات التي سيرونها في حياتهم.

كما تعني التربية الأخلاقية تربية الطفل على المبادئ السامية والفضائل السلوكية والمشاعر الوجدانية التي يجب أن يتلقاها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ صغره إلى أن يصبح فرداُ ذو شخصية متكاملة سوية.

---

[1] علي زيعور، التربية وعلم النفس الطفل في الذات العربية، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1405هـ/1985 م، ص154.

إن الطفل يحتاج لهذا البناء الأخلاقي لتربية الخلُق والوجدان والإرادة والشخصية لديه، لذا دعا نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم – إلى تأديب الأطفال وغرس الأخلاق الكريمة في نفوسهم، وتعويدهم على التحلي بالطهارة والأمانة والصدق والصبر واحترام الكبير فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منّا**"[1].

"ليس للطفل عند ولادته مما نسميه "الضمير" أو "القيم الأخلاقية" ومن ثم فهو كائن لا أخلاقي أو غير خُلُقي فقبل أن يسلك بطريقة أخلاقية ينبغي له أن يتعلم ما الذي تعتبره الجماعة صوابا وما الذي تراه خطأ، وهو إنّما يتعلم ذلك أولا من خلال علاقة البنوة والوالدين في الأسرة، وتوضع أُسس النمو الأخلاقي إذن قبل أن يكبر الصغير ويتصل بجماعة الرفاق"[2].

فالولد أو الطفل أمانة عند أبويه وهو معدنٌ نفيس خال من كل نقش، وقلبه الطاهر النظيف قابل لما يلقى إليه من خير أو شر، لأن "**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرّانه أو يمجسانه**"[3]، فإن الأبوين يستطيعان بتوفيق الله لهما، العمل على حسن تربية الطفل عن طريق القدوة الحسنة أولا، ثم تلقينه الآداب الحسنة.

وقد أشار إلى هذا المعنى كبار العلماء، منهم أبو حامد الغزالي، ومنهم ابن القيم الجوزية في كتابه –تحفة المودود في أحكام المولود– حيث قال: "وممّا يحتاج إليه الطفل، أشد الاحتياج، الإعتناء بأمر خُلُقه، فإنه ينشأ على ما عوّده المرّبي في صغره: من حَرَد[4]، وغضب، ولجاج، عجلة وخفة مع هواه، وطَيش، وحدّة، وجشع، فيصعب عليه في كبره تلاقي ذلك. وتصير هذه الأخلاق، صفات، وهيئات، راسخة له، فإن لم يتحرز منها، غاية التحرز، فَضَحَتْهُ لابد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها"[5].

وبهذا تكون التربية الأخلاقية هي عملية تنشئة الفرد وتكوينه إنسانا متكاملا من الناحية الأخلاقية بحيث يصبح في حياته مفتاحا للخير مغلاقا للشر في كل الظروف والأحوال ويسارع إلى الخيرات كما يتسابق إلى إزالة الشرور.

---

(1) سبق تخريج الحديث، ص 114 من الرسالة.

(2) Elisabeth, Hurlock. Child devellop, 5th.ed,mc Granhill, 1972, p 376.

(3) سبق تخريج الحديث، ص 153 من الرسالة.

(4) الحرد، الاعتزال والتنحي، يقال: حرد يحرد حرودا: إذا غضب، فهو: حارد، وحرود، وحردان، نقلا عن محمد نور سويد، في كتابه منهج التربية النبوية للطفل، ابن كثير، دمشق، بيروت، مرجع سابق، ص 286.

(5) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود ...، المصدر السابق، ص.

وكذلك هي تعليم المبادئ الأخلاقية وممارستها أو هي تكوين بصيرة أخلاقية عند الطفل يمكنه بها التمييز بين سلوكي الخير والشر[1].

ونجد بأن الأخلاق في السنة النبوية لم تدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية إلّا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع، وأفضل طريق للوصول إلى مكارم الأخلاق هو طريق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والذي خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿**وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُق عَظِيم**﴾[2]، فلنتتبع أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– ومنهاجه الذي رسمه للبناء الأخلاقي حتى نتوصل في نهاية الأمر إلى أهداف التربية الأخلاقية للطفل وأهميتها، ودورها في بناء الفرد والمجتمع ... ولمعرفة كيفية البناء الأخلاقي عند الطفل، نعرف كل من الخلق، والأدب، والتهذيب.

أولا: تعريف الخُلُق

الخُلُق في اللغة: "الخُلُق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه.. والجمع أخلاق.. والخُلُق: السجية.. الخُلُق بضم اللام وسكونها: وهو الدّين والطبع والسجية ..."[3].

"وقيل الخُلُق: صفة نفسية لا شيء خارجي، أما المظهر الخارجي للخُلُق فيسمى سلوكا أو معاملة، والسلوك دليل الخُلُق ومظهرهُ" [4].

يقول مسكويه[5] في مطلع كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف" إنّ عرضه فيه هو "أن نحصل لأنفسنا خُلُقا تصدر به هنُا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كُلفة فيها ولا مشقة، ويكون ذلك بضاعة وعلى ترتيب تعلمي"[6] .

ويعرف الخُلُق بأنه "حال للنفس داعية إلى أفعالها من غير فكر ولا روّية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت بطرق سمعه .. ومنها

---

(1) إيمان عبد الله شرف، التربية الأخلاقية للطفل، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2008م، ص 22.

(2) سورة القلم، الآية 4.

(3) ابن منظور، لسان العرب، جـ 1، المصدر السابق، ص 85– 86.

(4) أحمد أمين، كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974 م، ص 63.

(5) مسكويه، هو أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه،ويطلق عليه اسم أبي علي الخزن،لأنه كان خازنا لكتب عند الملك عضد الدولة بن بويه..كان أثيرا عنده ومقربا إليه.ولد في " الري " ولد حوالي سنة 330 هـ، أو قبل ذلك بقليل... انظر:أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، الحكمة الخالدة، تحقيق وتقديم عبد الرحمان بدوي، ط 2، دار الأندلس، بيروت، 1980، ص 20–21.

(6) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 27.

ما يكون مستفادا بالعادة والترتيب، وربما كان مبدوءة بالفكر، ثم يستمر عليها أولا فأولا، حتى يصير ملكة وخُلُقا"[1].

تعريف الأدب:

قال الحافظ بن حجر العسقلاني: "والأدب، استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعُبّر عنه بأخذ مكارم الأخلاق، وقل الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تنظيم من فوقك والرفق بمن دونك، وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام سمي بذلك لأنه يُدعى إلي"[2] ولأهمية الأدب يوصي أمير المؤمنين علي –كرم الله وجهه– ولده الحسن فيقول له: "يا بني احرز حظك من الأدب وفرغ له قلبك فإنه أعظم أن يخالطه دنس وأعلم أنك إذا اقترفت عشت به وإن تغربت كان لك كالصاحب الذي لا وحشة معه، يا بني الأدب لقاح العقل وذكاء القلب وعنوان الفضل"[3].

أما التهذيب: فيعرفه "كانط" "Kant"[4].فيقول: هو "السعي إلى منع الحيوانية من أن تكون خسارة للإنسانية، من الإنسان المفرد وفي الإنسان الاجتماعي، فالتهذيب لا يقوم إلّا في كبح التوحش" [5]

وبعد هذه التعريفات نتوصل إلى المدلول التربوي للأخلاق.

وهو كما قلنا أن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية وهي من أهم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها التربية الإسلامية وإبرازها بالشكل اللائق بها. ومن خلال كل هذا نفهم بأن التربية الأخلاقية تستهدف بناء إنسان ذو خلق طيّب وبناء مجتمع تسوده القيم والمثل العليا فهي تحرص على تنشئة الفرد المتمسك بقيم دينه وتتضح هذه التنشئة من خلال سلوكياته.

وأيضا تستهدف التربية الأخلاقية للأطفال تكوين القيم الأخلاقية لديهم والتي تؤثر بدورها لاحقا في سلوكهم كأفراد صالحين في المجتمع[6].

---

[1] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المصدر السابق، ص 51.

[2] ابن الحجر العسقلاني، الفتح الباري في شرح صحيح البخاري، جـ 13، المصدر السابق، ص 3.

[3] محمد الديلمي، إرشاد القلوب، ط 4، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1398 هـ / 1978 م، ص160.

[4] إمانويل كانط، من أعلام الفلسفة الحديثة، وتُعدّ فلسفته نقطة تحول الفكر الفلسفي بأسره ... وقد وسمت فلسفة " كانط " بأنها فلسفة نقدية .. والنقد عنده في غاية العمق. فهو دراسة تحليلية يستهدف بها الكشف عن مقومات العقل البشري، ولد في لونيجيسرج بألمانيا .. من مؤلفاته: "الدين في حدود العقل الخالص" ..انظر إمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق.ترجمه وقدم له من تعليقات " فيكتور دلبوس ". محمد فتحي الشنيطي. ط 2، دار النهضة العربية، بيروت 1969م، ص20.

[5] عبد الرحمن بدوي، فلسفة الدين والتربية عند كانط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980 م، ص126.

[6] إيمان عبد الله شرف، التربية الأخلاقية للطفل، المرجع السابق، ص 24.

وعليه يتضح أن التربية الأخلاقية لأطفالنا أمر ضروري وحتمي حتى تكون هذه الأخلاق هي الموّجهة لتصرفاتهم وسلوكياتهم داخل المجتمع في جميع مراحل حياتهم بما يتطلب ذلك من ضرورة التحلي بالأخلاق الحميدة التي تعمل على تطهير النفوس من الرذائل والشرور وتَحلّيها بالفضائل ومكارم الأخلاق.

وفي ضوء ما سبق نصل الآن إلى تبيان أسس البناء الأخلاقي للأطفال كما وضحتها السنة النبوية الشريفة حيث يتركز هذا البناء على ستة أسس هي كالتالي:

الأساس الأول: خُلُق تأديب الأطفال.

الأساس الثاني: خُلُق الحياء.

الأساس الثالث: خُلُق الصدق والتحرز من الكذب.

الأساس الرابع: خُلُق الأمانة.

الأساس الخامس: خُلُق حفظ الأسرار.

الأساس السادس: خُلُق العفو والصفح وسلامة الصدور من الأحقاد.

الأساس الأول: خُلُق تأديب الأطفال

الأطفال أمانة وضعها الله بين يدي الآباء، وهم مسؤولون عنها، فإن أحسنوا إليهم بحسن التأديب، كانت لهم المثوبة، وإن أساءوا تهذيبهم تأديبهم استوجبوا العقوبة، والأبناء يخلقون مزودين بقوى فطرية تصلح أن توّجه للخير، كما تصلُح أن توَّجه للشر، وعلى الآباء أن يستغلوا هذه القوى ويوجهونها وجهة الخير، ويعودوهم الفضائل والعادات الحسنة، حتى ينشأ الطفل خيّرا ينفع نفسه وأمتّه. "فالتأديب هو الترويض على الأعمال والأخلاق الحسنة حتى تصبح عادة مستقرة في النفس"[1].

"والخُلق لا يمكن أن يكون وليد مصادفة، ونتيجة اتفاق،لأن الأخلاق ملكات، ولابد للملكات من أسس كما لابد للبناء من قاعدة، وأسس الخُلُق؛ الغريزة والوراثة، والبيئة والتربية، والعادة"[2].

ومن مستلزمات التربية والرعاية على الآباء والمرّبين تأديب أولادهم بآداب الإسلام. فليكونوا قدوة حسنة أمامهم في أقوالهم وأفعالهم، لأن الطفل بطبعه ميّال إلى التقليد ومحاكاة كل ما يراه ويقع تحت حسّه أو سمعه.

وقد وضع نبي الأمة –عليه أفضل الصلاة والسلام– إرشادات وتوجيهات في التربية الخلُقية ضمن أحاديثه الشريفة.

---

[1] محمد الباليساني، واجب الآباء والأمهات تجاه الابناء والبنات في الإسلام، مطبعة شفيق، دمشق، 1408هـ/1988م، ص109.

[2] محمد أمين زين الدين، الأخلاق عند الإمام الصادق، منظمة الإعلام الإسلامي، قسم العلاقات الدولية، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 19.

ما ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في غرس الأدب في الأطفال:

تتجلى أهمية الأدب وغرسه، ونحله للطفل، أكثر فأكثر، عندما نرى أنّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– أعطاه أهمية عظمى في البناء الأخلاقي، حتى جعل غرسه في الطفل، وتعويده عليه، ليصبح طبيعة من طبائعه الخُلُقية، وسجية من سجاياه الطبيعية، أفضل من عملية الصدقة التي تطفئ الخطيئة، مع ما في الصدقة من أهمية في الإسلام. روى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**لأن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع**"[1].

وإن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يبين للوالدين أن أعظم هدية للطفل هي الأدب، وأفضل توريث له هو الأدب الحسن: حيث يقول –صلى الله عليه وسلم–: "**الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**"[2] والرسول الكريم يوضح أن أعظم توريث للأبناء هو الأدب فهو خير من توريث المال، لأن حُسن الخلق فيه فوائد عظيمة، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حُسن الخُلُق**"[3].

ولعل البعض يغفل عن أهمية الأدب ويعده من الأمور البسيطة، يمكن التساهل فيها، أو يجوز تناسيها، وما يدري هذا أنه يهيئ ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على أبيه، كواجب حق الطعام والشراب.

روى ابن ماجة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي –صلى الله عيه وسلم– أنه قال: "**أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم**"[4].

ووعى السلف الصالح أهمية الأدب، ومقداره، وسمو رفعته، فأيقظوا أطفالهم عليه، وشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة به، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما–[5] يوجه نداءه للوالدين، بخطاب رقيق، يضع لهم معادلة رياضية، ومساواة حسابية، فيقول: "أدَّب ابنك فإنك مسؤول عنه ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برّك، وطواعيته لك".

أما لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بالأدب، وأن يصبح سجية طبيعية في نفس الطفل فلأنه:

---

[1] سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، (باب ما جاء في أدب الولد)، رقم(1951)، جـ4، المصدر السابق، ص 337.

[2] أحمد بن عبد الرحمن البنا، الشهير بالساعاتي، الفتح الرباني لترتيب: مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، جـ 19، ط1، مطبعة الإخوان المسلمين، 1371 هـ/1959م، ص 45.

[3] الكليني، الأصول من الكافي، (باب حسن الخلق)، جـ2 المصدر السابق، ص 99.

[4] سبق تخريج الحديث، ص 114 من الرسالة

[5] ابن القيم الجوزية، تحفة المودود...، المصدر السابق، ص 225.

يكتسب من الأدب الصالح: العقل النافذ، ومن العقل النافذ؛ حسن العادة؛ ومن حسن العادة، الطباع المحمودة، ومن الطباع المحمودة؛ العمل الصالح، ومن العمل الصالح؛ رضا الرب، ومن رضا الرب؛ الملك الدائ.

ويكتسب من الأدب السوء: فساد العقل، ومن فساد العقل؛ سوء العادة، ومن سوء العادة؛ رداءة الطبع، ومن الطباع الرديئة سوء العمل، ومن العمل السيئ؛ غضب الله، ومن غضب الله وسخطه؛ الذل الدائم[1].

ما ورد عن السلف الصالح في تأديب وتهذيب الصغار:

قال رُوَيْم بن أحمد البغدادي[2] لابنه: "يا بني اجعل عملك ملْحاً، وأدبك دقيقا، أي استكثر من الأدب، حتى تكون نسبته في سلوكك، من حيث الكثرة كنسبة الدقيق إلى الملح، الذي يوضع فيه، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح، خير من كثير من العمل مع قلّة الأدب"[3].

وقال إبراهيم ابن الحبيب بن الشهيد قال لي أبي: "ائت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، وأخلاقهم، وهديهم، فإنّ ذاك أحبّ إليّ من كثير من الحديث"[4].

وذلك حتى يتعلم الابن الأدب مع الحديث، قبل أن يتعلم الحديث بلا أدب، فيؤدي به إلى عدم التأدب مع حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – مما يورث في قلبه الظلال.

وقال بعض السلف لابنه:" يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب، أحبّ إليّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم "[5].

---

[1] الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1403هـ/1983م، ص173. الماوردي:هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي(364هـ-450هـ/974م-1058م)، ولد بالبصرة، وكان أكبر قضاة آخر الدولة العباسية (عهد الخليفة العباسي القادر بالله ومن بعده ابنه القائم بأمر الله)كما كان من أكبر فقهاء الشافعية في عصره. من أهم مؤلفاته: كتاب الحاوي الكبير في فقه الشافعية،كناب نصيحة الملوك، كتاب التفسير، كتاب أعلام النبوة، وكتاب في النحو ...إلخ.

[2] رويم بن أحمد البغدادي من أعظم مشايخ بغداد، كان مقرئا و فقيها على مذهب داود بن علي الظاهري الاصبهاني، قال عنه جعفر بن أحمد الرازي أنه"أحد أئمة زمانه" له أقوال في الزهد والتصوف، توفي سنة 303هـ، انظر الموسوعة الحرة"ويكيبيديا"، www.wikipidia.org.com.

[3] المحاسبي، رسالة المسترشدين، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي رغدة، ط 2، ص 31، نقلا عن محمد لور سويد، في منهج التربية النبوية للطفل، المرجع السابق، ص 290.

[4] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد الطحان، جـ 1، مكتبة المعارف، الرياض، ص 17.

[5] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 290.

وقال أبو زكريا العنبري[1]:"علمٌ بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم، كروح بلا جسم" [2].

*والسؤال الذي يطرح نفسه: متى يؤدب الصغار وما الغرض من تأديبهم؟

يرى "ابن سينا" أن التربية الخُلُقية تبدأ منذ الفطام، حتى يكتسب الطفل الأخلاق والعادات الحسنة فيقول:" فإذا فطم الصبي عن الرضاع بُدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة .." [3]. وذلك ممّا يدل على عناية المرّبين المسلمين بالتربية الخُلُقية، لأن تأديب الطفل صغيراً يكون ذلك وقاية له من مساوئ الأخلاق، ولذلك ففي الإسراع بإعطاء وتدريب الولد العادات الحسنة والصالحة والأخلاق المحمودة. "لغنم يجنبه مقابح الأخلاق وينكب عنه معايب العادات.."[4].

ويوضح مسكويه الأمر نفسه قائلا: " إنّ نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة، وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء إلى شيء، فإذا نُقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها "[5].

فمسكويه هذا يدعو إلى المسارعة في بتأديب الصبي وإعطائه المحمودات سلوكا وأفكارًا وأفعالاً .. وما دام طفلاً فيكون سهل التأديب والتهذيب وبعبارة أخرى سهل بتطبيقه " دستور تهذيب الأخلاق "[6].

ويقول محمد عماد الدين إسماعيل: "وتبدأ بوادر الضمير في السنة الثانية من عمر الطفل، عندما يبدأ يكتسب تحريم أفعال معينة. "لا تقترب من الكتب" لا تفتح الخزانة إلى آخر ذلك من التحريمات التي يمتصها الطفل تدريجيا" [7].

---

[1] هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة، من بني العنبر، من تميم، أبو عبد الله العنبري، قاضي له شعر رقيق، وعلم بالفقه والحديث. من أهل البصرة. سكن بغداد، وولى بها قضاء الرصافة، وكفّ بصره في أواخر أعوامه، توفي عام (245هـ-860م) ببغداد. انظر خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ1، ط3، بيروت، 1389هـ/1969م، ص 213.

[2] السمعاني، أدب الإملاء والإستملاء، تحقيق ماكس فيسفايلر، ط1، 1401هـ/1981م، ص180.

[3] لويس شيخو وآخرون، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى، المرجع السابق، ص 12.

[4] المرجع نفسه، ص 13.

[5] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، المصدر السابق، ص 48.

[6] المصدر نفسه، ص 7.

[7] محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفيسي الاجتماعي للطفل)، في سنوات التكوينية، عالم المعرفة، العدد 99، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الثانية، 1406هـ/مارس1986م.

ويقول المرّبي "واطسن"[1] ".J.B. watson ": في هذا الصدد ما معناه: "لقد درستُ مئات عديدة من الأطفال، فخرجت من دراستي الطويلة بهذه النتيجة وهي أنه بإمكاننا أن نكوّن شخصية الطفل أو نحطّمها قبل بلوغه سن الخامسة وفي معتقدي أننا عند نهاية السنة الثانية من عمره نكون قد رسمنا الأسس الشخصية المستقبلية" [2].

ومن هنا نستنتج بأن التهذيب هو نقل الآداب الحسنة والقواعد الفضلى وغرس السلوك الحسن واللائق في الفرد والجماعة، ويبدأ ذلك بإبعاد الطفل عن رفقاء السوء.

وقد سجل القرآن الكريم أن بعض الناس دخلوا النار بسبب قرناء السوء، وبعض كادوا أن يدخلوها. فعن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال : "**المرء على دين خليله ويقينه**"[3].

وكما ذكرنا أن "ابن سينا" اهتم بالجانب الخُلُقي من التربية حيث يقول في هذا الصدد " وينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية من أولاد الجلة حسنة آدابهم مرضية عاداتهم فإنّ الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس .." [4]، لذلك فمن واجب الآباء والمرّبين إبعاد أطفالهم عن مخالطة قرناء السوء، لأن قرين السوء يعدي قرينه، فالرفيق ينقل إلى رفيقه سلوكا، وإن الطفل يرى الشيء يفعل أمامه فيحاكيه ويقلده ويكرره حتى تصبح عادة له، وهذا "الغزالي" يقول: "وعلى الوالي أن يصون الصبي عن الآثام بأن يؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء" [5]. وعليه يجب علينا أن نختار الصديق الصالح والرفيق المؤمن لأبنائنا، وألاّ نترك الحبْل على الغارب ليختار صديقه بنفسه، وقد يكون اختياره في غير محلّه، لأن الصديق له أكبر تأثير على صديقه، كما سبق وأن أشرنا إلى قول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم–: "**المرءُ على دين خليله، فلينظُرْ أحَدُكُمْ منْ يُخالل**" [6].

---

[1] واطسن Johm, Broadus watson: عالم سيكولوجي أمريكي ولد في سنة 1878 م. وعلّم في جامعة شيكاغو .. اشتهر بكونه مؤسس المدرسة السلوكية، قام هو ومساعدوه بأولى الدراسات العلمية في نمو الولد وسلوكه انظر، حنان غالب، التربية المتجددة وأركانها، مطبعة عيتاني الجديدة، بيروت، 1965 م، ص 175.

[1]Ovoted in brubacher, J.d, "A History of the Problemes of education" . P.384. 1960.

[2] الكليني، الأصول من الكافي، (باب العشرة)، جـ2، المصدر السابق، ص652.

[4] لويس شيخو وآخرون، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب ...، المرجع السابق، ص 13.

[5] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 3، ط 1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1412 هـ/1992م، ص110.

[6] رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، (باب من يؤمر أن يجالس)، رقم(4833)، جـ4، المصدر السابق، ص261، ورواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، رقم(2378)، جـ4، المصدر السابق، ص589، ورواه البيهقي، كتاب شعب الإيمان، رقم(9436)، جـ7، المصدر السابق، ص55.

إذن ففي مرحلة الطفولة، يجب على الأب أن يكون له فيها دورًا بارزًا في مساعدة ولده على اختيار صديقه، والأم في مساعدة ابنتها لانتقاء صديقتها "والوسيلة التربوية لذلك أن يصطحب الوالدان أولادهما في زيارة الأصدقاء الصالحين، ليقيم الأولاد مع بعضهم جسور الصداقة، والتعاون، والمحبة، وتبادل الكتب والأفكار، فإن تمت العلاقة بين الأولاد توارى الآباء عن المسرح ، ويفعلُ الأبُ مثل ذلك مع الجيران الصالحين والأقارب الملتزمين بالإسلام ثم يتابع الأب ذلك بالإرشاد إلى الأندية الرياضية الملتزمة، وحضور الدروس المفيدة، والبرامج الإسلامية، واقتناء المجلات الهادفة، والقصص البنّاءة ... الخ.

وفي المقابل يقطع الأب كل آصرة لا تُرضي الله عن طريق الإقناع والتوعية، والحوار، وليس بالصراخ، والتهديد [1].

يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**مَثَلُ الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير...**" [2].

ولهذا يهمنّا جدا اختيار الصاحب للأولاد الذين نرعاهم ونكون على بيّنة من تصرفات من نختاره للصُّحبة، كما يجب علينا أن نلاحظ ميل الولد لمن يكون؟ لنراقب سلوكه الاجتماعي، عندها نرحب بالرفاق الأخيار منهم "ونحفظه من قرناء السوء" [3].

قال الشاعر:

عن المرْء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مُقْتدي

وكما يجب على المرّبين لنجاح تقويم الأخلاق أن يوضع الولد تحت رعاية الأخيار وقد شبّه "أفلاطون" المعلّم بالمرآة النقية، تنعكس عنها صورة المتعلّم فقال مخاطبا معشر المعلمين: "كونوا لهؤلاء التلاميذ مرآة صافية مضيئة .. وامتنعوا من الشهوات المذمومة ومن أفعال الخطايا ولا تقربوا شيئا يلحقكم منه عذل، ولا تكونوا سببا لعادة مذمومة يجترئ عليكم بها تلاميذكم .. فمن قصر في هذه الوصيا فليكن مبعدا متنحي هذا التعليم .." [4].

كما يصف "ابن سينا" المؤدب (المعلم) أن "يكون عاقلا ذا دين بصيرا برياضة الأخلاق حاذقا بتخريج الصبيان وقورا رزينا بعيدا عن الخفة والسخف قليل التبّذل والاسترسال بحضرة الصبي..." [5].

---

[1] محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، ط 2، دار ابن كثير ودار الكلم الطيّب، دمشق،1997م، ص 250.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 127 من الرسالة

[3] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ3، المصدر السابق، ص 63.

[4] لويس شيخور وآخرون، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب، المرجع السابق، ص 54،56.

[5] المرجع نفسه، ص 13.

وأمّا الغرض من تأديب الصبيان والصغار عند "الغزالي" هو أن يقوى بها على طاعة الله عز وجلّ ... وأنّ الكيّس العاقل من تزوّد من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى، ويتّسع نعيمه في الجنان، فإن كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر. وإن وقع النشوء بخلاف ذلك، ألف الصبي اللعب والفحش، والوقاحة وشره الطعام واللبّاس والتزّين والتفاخر عن قبول الحق بنوة الحائط عن التراب اليابس. فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تُراعى، فإن الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشرّ جميعاً. وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين ..[1] فالصغير إذا تأدب مبكّراً انتفع به كثيرا وتحصن بالأفعال الحسنة والأخلاق الحميدة.

أنواع الآداب النبوية للأطفال:

تمهيد:

تتميز الآداب عن الحقوق بعدة أمور:

أ- "إنّ الآداب هي مظاهر مجسمة ومبرزة للقيم وللحقوق .. بالقول أو الفعل أو الإشارة أو غيرها من قبيل .. فمثلا (الرحمة) قيمة أخلاقية، وجذر نفسي، ينبثق عنها (حق) هو الاحترام، فيظهر هذا الحق (بآداب) من قبيل القيام، السلام، إحناء الرأس، ونحو ذلك من اللّياقات الاجتماعية المبرزة للحقوق" [2].

ب- "إنّ الكثير من الآداب تتعلق بالعبادات وبالأفراد أنفسهم.. مثل آداب النظافة والطعام والصحة والنوم وما أشبه.. بينما يغلب على الحقوق الطابع الاجتماعي ويقلّ فيها جدّا الحقوق الفردية.." [3]

والسؤال المطروح الآن، هو كيف نؤسس ونغرس الأخلاق والآداب في الطفل؟

الجواب: لتكوين الخلق السوي والحسن في الطفل، ينبغي لنا أن نعلّمه الواجبات التي يجب عليه القيام بها، وهذا التعليم يتم بالقدوة الحسنة والتربية والتوجيه. والواجبات التي يجب على الطفل أداؤها ليست إلاّ الواجبات المعتادة نحو نفسه بالتحلي بالصدق والأمانة والكرامة.. والحياء...الخ مما يحافظ على مكانته الإنسانية.. وواجباته نحو الآخرين من احترام لحقوقهم منذ وقت مبكر.. حتى يكون فاضلا في تصرفاته محترما لحقوق الغير[4].

إذن فكيف يمكن للطفل أن يتعلم السلوك الأخلاقي والواجبات المطلوبة منه اتجاه نفسه والآخرين؟ يقول كما دسوقي: "ولا صحة لما اعتقده القدماء والعامة من أن الطفل يأتي إلى الحياة مُزوّداً

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 3، المصدر السابق، ص 112.

[2] محين محمّد عطوي، زاد المبلغين، المرجع السابق، ص 517.

[3] المرجع السابق ، ص 517.

[4] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 313.

بالضمير أي القدرة على معرفة الخطأ والصواب وتمييز الخير من الشر، وبالتالي الاعتقاد بأن السلوك المنحرف نتيجة ضعف وراثي يرجع إمّا إلى الأب أو الأم في مجال الأسرة .."[1].

فالمُسَلَّم به اليوم أن "الإنسان لا يولد ومعه ضمير، بل إن الخطأ والصواب يكتسيب معرفتهما وارتكابهما بالتعلّم" [2].

"فهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا يستطيع أن يُميّز بين الخير والشر والحلال والحرام إنّما يتعلم الطفل السلوك الأخلاقي، كما من أين يعلّم مهارة عملية، إمّا بالمحاولة والخطأ وإمّا بالتلقين والتعليم المباشر، وإمّا من خلال التقمص أو التمثّل والتوحد Identification"[3].

فيجب إذن بث فكرة الواجب في نفس الطفل، ولعلّ أهم الآداب التي نتعلمها لأطفالنا نحو الآخرين وأقرب الناس إليهم هو:

أولا: الأدب مع الوالدين

من أفضل أنواع الإحسان انتقاء واختيار العبارات الحسنة، والألفاظ النظيفة والكلمات الرقيقة المهذبة في مخاطبة الناس، والتحدث إليهم والتي تشمل على مضمون القيم الرفيعة، فإن ذلك يوطد الصلات ويقوي الروابط ويعود بالنفع والفائدة للدنيا والآخرة، ويبعد عن نزعات الشياطين التي تفسد العلاقات وتقطع ما أمر الله أن يوصل، قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾[4].

ولقد حدّد النبي –صلى الله عليه وسلم– من خلال أحاديثه النبوية الشريفة الخطوط الرئيسية لأدب المسلم، وخلُق المسلم من رعاية حقوق الوالدين وخاصة إذا بلغا الكبر، والأقربين والجيران، والأصدقاء، والفقراء، والخدم، وتلك الحقوق من أعظم ضروب الإحسان، وقد قرنها الله عز وجل بعبادته ليلفت النظر إلى هذه الرعاية وليؤكد حقوق الجماعة على المسلم[5]، فقال تعالى: ﴿**واعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ..** ﴾[6].

وعلى رأس الحقوق برّ الوالدين واحترامهما. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "**بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله**".[7]

---

(1) كمال الدسوقي، النمو التربوي للطفل المراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1979 م، ص 310.

(2) المرجع نفسه، ص 311.

(3) المرجع نفسه، ص 314.

(4) سورة الإسراء، الآية53.

(5) سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 314.

(6) سورة النساء، الآية 36.

(7) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ2، المصدر السابق، ص 310.

وقد جاء الإسلام داعيا الأولاد إلى النهوض بهذه الحقوق نحو آبائهم ولافتا أنظارهم إلى القيام بها، ليكونوا بررة مستحقين لبرّ الله ومثوبته، فعن ابن مسعود–رضي الله عنه– قال: سألت النبي –صلى الله عليه وسلم– أي العمل أحبّ إلى الله تعالى؟ قال: "**الصلاة في وقتها**" **قلت: ثم أي؟ قال:**"**بر الوالدين**". **قلت: ثم أي؟ قال:** "**الجهاد في سبيل الله**"[1]. وعلى الأولاد أن يتخيّروا في مخاطبة آبائهم أجمل الكلمات وألطف العبارات وأن يكون قولهم كريما، لا يصحبه شيء من العنف.

أورد النووي –رحمة الله– في الأذكار، باب نهي الولد والمتعلّم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– **رأى رجلا معه غلام، فقال للغلام:**" **من هذا؟**" **قال: أبي، قال:** "**فلا تمشي أمامه ولا يستسب له**" أي لا تفعل فعلا – يتعرض فيه يسبك أبوك زاجراً لك وتأديبا على فعلك القبيح وهذا شرح النووي – ولا تجلس قبله ولا تدعُهُ باسمه"[2]. هذا توجيه الرسول الكريم –عليه أفضل الصلاة والسلام– للطفل أن لا يمشي أمام والده فكيف إذن يكون أدب خطاب الوالدين؟

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾[3]. وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألّايند من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يشير بالإهانة وسوء الأدب.. ﴿**وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾ وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والاحترام[4].

والآية الكريمة ورد النهي عن نهرهما بغلظة وزجرهما بخشونة وإن كان بكلمة أفّ الدالة على بالضجر والتبرّم، وإذا كانت كلمة " أف " مُنها عنها فما بالك بغيرها؟ وهذا النهي خاصّا بحالة الكبر، وإنّما هو نهي عام في جميع الأحوال والأوقات.

ومن آداب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– للأطفال أيضا: أدب النظر إلى الوالدين فقد أورد "المناوي" في "فيض القدير" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**ما من رجل ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلّا كتب الله بها حجة مقبولة مبرورة**"[5].

---

[1] النووي، رياض الصالحين، المصدر السابق، ص 117.

[2] النووي، الأذكار، (باب نهي الولد والمعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1399هـ/1979 م، ص227 – 258

[3] سورة الإسراء، الآية 23.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ 4، ط 17، دار الشروق، بيروت، 1412هـ/1991م، ص 2221.

[5] محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، المرجع السابق، ص 163.

ثانيا: الأدب مع العلماء:

لقد وضحت السنة النبوية آداب تحض على احترام وتوقير العلماء،حيث أورد "النووي" في كتابه "الأذكار": (باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه) فقال: "وإنّ مما ذكرناه عن الأدب مع الوالدين، يماثله الأدب مع العلماء، بل ويزيد؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، فاحترامهم، وتوقيرهم، وخفض الجناح لهم، والمسارعة في خدمتهم؛ وعدم رفع الصوت في مجالسهم، واللطف في معاشرتهم، ولين الجانب لهم، كل ذلك يحتاج لأن يتعوده الطفل " [1].

وأورد الإمام "الغزالي"[2] –رحمه الله تعالى–، قول يحي بن معاذ في فضل العلماء: "العلماء أرحم بأمة محمد –صلى الله عليه وسلم– من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آبائهم، وأمهاتهم، يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة".

وهكذا نجد أهمية الأدب في حضرة العلماء وتوقيرهم، وتبجيلهم، حيث أُلفت كتبٌ عديدة بهذا الشأن، منها: كتاب "أدب الإملاء والإستملاء" للإمام "السمعاني"، ومنها كتاب "أدب العالم والمتعلم" لابن قتيبة، وغيرهما كثير.

أ- ما ورد في الأدب مع العلماء:

روى الطبراني عن أبي أمامة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**إنّ "لقمان" قال لابنه: يا بني ! عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإنّ الله يحيي القلب الميّت، بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة، بوابل المطر**"[3].

وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال:"**ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**" [4].

وكل ما نستخلصه بشأن احترام العلماء وتبجيلهم يتلخص في الآتي:

1- بما أن مجالس العلماء تحضرها الملائكة لقوله – عليه الصلاة والسلام–: "**وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم**" [5]، إذن فالمطلوب أن نعلم أبناءنا أن يحترموا قدسية هذه المجالس:

---

[1] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 293.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ1، المصدر السابق، ص 11.

[3] المرجع نفسه، ص294.

[4] رواه أحمد في مسنده، كتاب تتمة مسند الأنصار، (باب حديث عبادة بن الصامت)، رقم(22755)، جـ37، المصدر السابق، ص 416.

[5] محمد الزّي شهري، ميزان الحكمة، جـ2، (باب الجليس)، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، 1405هـ/1985م، ص61. وانظر ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، جـ1، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص106.

فمن وصية لقمان لابنه قوله: "**يا بني جالس العلماء وزاحمهم بربتك، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور العلم كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر**" [1].

2- وإذا جالسهم يجب أن يتحلى بالسكينة والوقار والتواضع لهم. روى أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء**[2].

3- ومن الحقوق الاجتماعية الهامة التي يجب أن يتبين المربون لها تربية أولادهم على احترام المعلم وتوقيره بالقيام له، والسلام، وعدم رفع الصوت، وحسن الجلوس، وعدم فعل ما يكره، والمبادرة إلى خدمته فيما يطلبه ويريده.

4- نعلّم أولادنا أن ينظروا إلى معلميهم بعين الإجلال مع إظهار فضائله ومحاسنه. وعدم التحدث في مجلسه، بالإصغاء إليه وعدم التلهي والانصراف عنه، والاستفهام منه بلطف.

وكان الإمام "الشافعي" –رحمه الله– يقول: "كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحا رقيقا هيبة لئلا يسمع وقعها".

وهذا الإمام "أبو حنيفة" –رضي الله عنه– من وصاياه التي تدل على وفائه وولائه لذوي الفضل عليه: يقول: "واستغفر لأستاذك ومن أخذت عنهم بعلم"[3].

أبي حنيفة مترحما، ثم أخذ يصلي ركعتين على مشارف القبر دون أن يرفع يديه مع التكبير خلافا لمذهبه في رفع اليدين مع تكبيرات الإحرام، والركوع والقيام منه. وحين يُسأل عن ذلك يقول: "ليس أدبا مع الإمام أن أظهر خلافه في حضرته"[4]، وهذا يدل على وفائه وتوقيره للعلماء.

فهذه هي الآداب الفاضلة التي يجب أن يتلقنها الولد من معلميه ومرّبيه، ومن الواضح أن الطفل إذا فتح عينيه على تلقين هذه الآداب منذ معومة أظافره إقتداء بوالديه فلا ريب في أن يشب وهو عارفا بحقوق الآخرين عليه وما يتطلبه الأدب والذوق اتجاههم.

ثالثا: أدب الاحترام والتوقير

من الاتجاهات الخُلُقية التي يجب على الأسرة مراعاتها وغرسها في نفس الطفل الاحترام والتوقير للكبير والصغير .. وفائدة هذه الخصال أنها وبمرور السنين والأعوام لا ينحصر هذا الاحترام للأشخاص

---

[1] **ابن عبد البر، جـ1، المصدر السابق، ص 135.**

[2] **عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ 1، المرجع السابق، ص 408.**

[3] **مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1399هـ/1979م، ص208.**

[4] **المرجع نفسه، ص581.**

فقط. بل يتناول المُثل العليا والمبادئ المُثلى والقيم الروحية .. فيحترم نفسه ومن ثم يحترم ويوّقر الآخرين ثم يحترم الحياة والكرامة الشخصية والقانون وغير ذلك...[1]

ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– نادى بخُلُق الاحترام والتوقير وطالب أمّته بالعمل به، أخرج "الترمذي" عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: جاء شيخ يريد– النبي صلى الله عليه وسلم– فأبطأ القوم أن يوسعوا له، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–:" **ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوّقر كبيرنا**" [2]

فحديث رسول الله يعلمنا الرحمة، واحترام الصغير، وإعطائه حقوقه وتوفير الاطمئنان له، ومن ثم يعلمنا كذلك احترام وتوقير الكبير، وهذا ابن عربي ، يقول في وصاياه: "وصية احترام الكبير" "وأعط الصغير حقه من الرفق به، والرحمة له والشفقة عليه، وأعط الكبير حقه من الشرف والتوقير، فإنّ من السّنة رحمة الصغير وتوقير الكبير ومعرفة شرفه "[3].

وفي رواية أحمد والترمذي عن "ابن عمر ثبت" عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قوله: "**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف شرف كبيرنا**"[4].

وقيل لما دخل يعقوب على يوسف –عليهما السلام– لم يقم له: فأوحى الله إليه "أتتعاظم أن تقوم لأبيك، وعزّتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيّا"[5].

وهكذا نصل إلى أن حق الكبير: "توقيره لسنّه وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى الطريق ولا تتقدمه ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الإسلام وحرمته"[6].

روى الشيخان عن أبي يحي الأنصاري قال: انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خيبر فتفرّقا في النخّل فقتل عبد الله بن سهل فجاء عبد الرحمان بن سهل وحويصةُ ومُحيصة ابنا مسعود إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فتكلموا في أمر صاحبهم فبدأ عبد الرحمان وكان أصغره القوم فقال

---

[1] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 316.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 121 من الرسالة.

[3] ابن عربي، الوصايا، منشورات الأعظمي للمطبوعات، بيروت، لا ط، لا ت، ص 52.

[4] سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، (باب ما جاء في رحمة الصبيان)، رقم(2045)، جـ 2، المصدر السابق، ص503.

[5] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 2، المصدر السابق، ص 31.

[6] عبد الله شبُر، الأخلاق، دققه جواد شبر، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لا ط، لا ت، ص 84.

النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**كبر الكُبُر**"[1]: أي ليتكلم الأكبر سنّا، وهذا الحديث يدل على أهمية أدب الاحترام والتوقير للكبار، وتقديم الكبير للكلام.

– وهكذا وجدنا أهمية أدب الاحترام والتوقير، للكبار وللعلماء، وتقديم الكبير للكلام، إلّا إذا طلب من الصغير الكلام، أو كان المقام مقام السؤال.

أما حق الصغير فيكون: "رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة"[2]. لذا يجب علينا كمربّين أن نُعلم أولادنا أن يُعاملوا من هم أكبر منهم بالتوقير والاحترام ومن هم أصغر منهم بالرحمة والعفو.

رابعا: أدب الأخوة

تحدثنا عن الاتجاهات الخُلُقية التي يجب غرسها في نفس الطفل وهو أدب احترام الصغير للكبير وتوقيره، ورحمة الكبير للصغير، وكذلك من الاتجاهات الخُلُقية التي يعمل البيت أو الأسرة على بثّها وغرسها في نفوس أطفالهم الحب والود والاحترام بين الأخوة جميعا كبارا أم صغارا ... وهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لا يسمح لأي أخ، سواء كان صغيرا أم كبيرا أن يشهر أي نوع من السلاح لتخويف أخيه، وإلقاء الرعب في قلبه: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– "**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأُمّه**"[3].

ويؤكد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– للأبناء أن الأخ الكبير له منزلة خاصة في الإسلام وما ذاك إلّا لتحمله أعباء الأسرة ومسؤولية تربية إخوته الصغار ورعايته لهم:

روى "الطبراني" عن "كليب الجهني" –رضي الله عنه–، وكانت له صحبة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– "الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب"[4]، فإذا ما غرس الوالدان في نفس الابن الكبير: العطف والحب لإخواته الصغار، وغرسا في نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير، فإنه بذلك تسير الأسرة سيرا متوازنا، كل يعرف واجبه نحو الآخر قبل أن يعرف حقه عليه.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال)، رقم(5791)، جـ 5، المصدر السابق، ص2275.

[2] عبد الله شبُر، الأخلاق، المرجع السابق، ص 84.

[3] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم)، رقم(2616)، جـ4، المصدر السابق، ص 2020.

[4] قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه الواقدي، وهو ضعيف، انظر مجمع الزوائد (جـ 8، ص 149) ، نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 296.

ولهذا "ينبغي أن لا يغرب عن بال الأبوين أنّ التركيز على إصلاح ولدهما الأكبر هو من أبرز المؤثرات في إصلاح باقي الأولاد، لأن الولد الصغير يحاكي عادة ما يفعله الأكبر، بل ينظر إليه انه المثل الأعلى في كل شيء ..."[1].

إذن فمن واجب الأسرة أن تحرص وتسهر داخل البيت على بث روح التعاون والثقة والمودّة والاحترام بين أفراده جميعا فيشعر الولد بأن إخوانه أصدقاء له يتبادل معهم الحب والاحترام، ومن ثم يصبح الكل متفاهمين ومتضامنين ومتعاضدين، بالإضافة إنّ "التبادل بين الإخوة والتفاعل الذي يمكن أن يحصل بينهم في أي وقت كونهم يعيشون تحت سقف واحد، يمكن لهذا التفاعل أن يلعب دورا هاما في سياق التطور الاجتماعي للطفل"[2].

خامسا: أدب الجـار

من الأخلاق الإسلامية الفاضلة أن يكون المسلم ذو سمات فاضلة، وطبائع رفيعة، وأفكار سليمة، ومن ذلك أن يكون لجاره عونا وصديقا، وبهذا يكون التطبيق للقرآن الكريم والحديث الشريف.

قال الله تعالى: ﴿**واعبدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**[3] **وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إنَّ الله لَا يُحبُّ كمَنْ كَانَ مُخْتَلاً فَخُورًا** ﴾[4].

يأمرنا الله عز وجل بعبادته دون الّشرك به، ثم يوصينا بالوالدين بأن نحسن صحبتهما، وليس فقط الوالدين، بل بالأقرباء واليتامى والفقراء، ومع هؤلاء الجار القريب والبعيد، وهذا كله من سمات المؤمن الفاضلة.

وعن ابن عمر وعائشة –رضي الله عنهما– قالا، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**مازال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنّهُ سيوَرّثُهُ" متفق عليه**[5].

---

[1] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ 2، مرجع سابق، ص 662.

[2] فايز قنطار، الأمومة، نمو العلاقة بين الطفل والأم، عالم المعرفة، مرجع سابق، ص 228.

[3] الجار الجُنُبُ، رفيقك في السفر، الصاحب بالجُنُب، القريب منك، وصاحبك في السفر، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص138.

[4] سورة النساء، الآية 36.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب الوصاءة بالجار)، رقم(5669)، جـ5، المصدر السابق، ص2239، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، (باب الوصية بالجار والإحسان إليه)، رقم(2625)، جـ4، المصدر السابق، ص2025.

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن النبي –صلى اله عليه وسلم– قال: "**والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ!**" **قيل: من يا رسول الله؟ ! قال: "الذي لا يأمَنُ جاره بوائقهُ" متفق عليه**[1]. وفي رواية لمسلم: "**لا يدخل الجنّة من لا يأمَنُ جَارَهُ بوائقهُ**". وعنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "**يا نساء المسلمات! لا تَحْقرَنَ جارةٌ لجارتها ولو فرْسنَ شاة" متفق عليه**[2].

ومن الآداب الإسلامية: حُسنُ المجاورة، يقول أبو عبد الرحمان السُّلمي: من آداب العشرة حُسنُ المجاورة، وأن يؤمنُك جارُك في كل أسبابه، في نفسه، ودينه، وأهله، وماله، وولده، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضَيْفَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقُلْ خيراً أو ليسكُتْ**"[3].

ولا تأخذ جارَك بلسانك أيضا، ولا تحسده في شيء من أحواله وأفعاله. واشفق عليه، وعلى أهله وولده، كشفقتك على نفسك وأهلك خاصة، وتحفظ ماله، كما تحفظ مال نفسك.

خير الجيران عند الله:

محبة الجار والمحافظة على صداقته وحمايته واجبة، مع الحرص على عدم إزعاجه، أو التسبب بالأذى والضرّ له، ولو ظهرت بعض الهفوات علينا التسامح، وإبداء المحبة. وفي المثل: "الجَارُ ولو جارَ" وهذا عنترة العبْسي الشاعر الفارس يبدي حماية جاره ومسامحته فيقول:

وإنّي لأحمي الجارَ من كُلّ ذلّة وأفرج بالضّيف المقيم وأبهجُ[4]

وعنترة لم ينس جاره وهو في غمار الحرب، فيذكر سمات رفيعة عن حمايته للجار، وإكرام الضّيف، فما بالنا الآن وقد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام وأنار لنا الطريق في إتباع الصفات الحميدة، والأخلاق النبيلة، ومنها: ودّ الجار والسؤال عنه؟!... وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (باب من لا يأمن جاره بوائقه)، رقم(5670)، جـ5، المصدر السابق، ص2240 ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان،(باب بيان تحريم إيذاء الجار)، رقم(46)، جـ1، المصدر السابق، ص68. الشرح:(لايؤمن): لايكمل إيمانه.(يأمن):من الإيمان وهو السلامة من الشيء.(بوائقه):جمع بائقة وهي الظلم والشر والشيء المهلك.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (باب لاتحقرن جارة لجارتها)، رقم(2017)، جـ8، المصدر السابق، ص10.

[3] المصدر نفسه، (باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، رقم(6018)، جـ8، ص11، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (باب الحث على إكرام الجار والضيف)، رقم(47)، جـ1، المصدر السابق، ص68.

[4] محمود حسن أبو ناجي، شعراء العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام، ط 1، مؤسسة علوم القرآن، دمشق – بيروت، 1404هـ/1984م، ص 66.

رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**خيْرُ الأصحاب عند الله تعالى خيرُهم لصاحبه لجاره**" رواه الترمذي وقال:حديث حسن [1].

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قلت: **يا رسول الله، إنّ لي جارَيْن، فإلى أيُّهما أُهدي؟ قال: "إلى أقربهما منك بابا"** [2]، رواه البخاري وغيره.

فالودُّ للجار، وإماطة الأذى عنه، والمحافظة على راحته يزيد من المحبة بين الجيران، زمن صفاء القلوب.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– شدّد كثيرا على أن يكون الإنسان لجاره صديقا صدوقا له، أمينا في معاملته معه، لأن الجار أقرب للناس، والإمام "الغزالي" يقول: "ليس حق الجوار كُفّ الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإنّ الجار أيضا قد كُفّ أذاه فليس من ذلك قضاء حقه، ولا يكفي احتمال الأذى، بل لابد من الرّفق، وإسداء الخير والمعروف، إذ يُقال: إنّ الجار الفقير يتعلق بجاره الغنيّ يوم القيامة، فيقول: يا رب! سَلْ هذا لمَ منعني معروفه، وسدّ بابَهُ دوني؟"[3].

هذا كله مضافا إلى حقوق الجار المتقدمة ففي الحديث الشريف: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، إن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستعمل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلّا بإذنه ...**"[4].

وقد أغرى حسين –رضي الله عليه– الناس بحسن الجوار فقال:"حسن الجوار يزيد في الرّزق".[5]

وهكذا نجد بأنّ للجار حقوق كبيرة في الشريعة الإسلامية، وما ذلك إلّا لتقوية روابط المجتمع الإسلامي، وقد كان للطفل آداب مع أطفال جيرانه قد ندب إليها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الآباء لتنشئة أطفالهم عليها وتعويدهم عليها من حسن التحسس بآلامه، وعدم إيذائه بأي طريقة من طرق الإيذاء "وفي مقدمتها عدم خروج الطفل وبيده شيء من الطعام يأكل منه، أو فاكهة يتناولها ليغيظ بها ولد الجار الذي قد لا يملك والداه أن يشتريا له، أو أن يكون الجار في ضائقة مالية لا تمكنه من الشراء الفوري، وبذلك يتعود الطفل ألاّ يأكل في الطريق، وإنّما بالبيت ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام بالآداب العامة"[6].

---

[1] رواه الترمذي في سننه، (باب ما جاء في حق الجوار)، رقم(1944)، جـ4، المصدر السابق، ص333.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (باب حق الجوار في قرب الأبواب)، رقم(6020)، جـ8، المصدر السابق، ص11، ورواه أبو داود، (باب في حق الجوار)، رقم(5155)، جـ4، المصدر السابق، ص339.

[3] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ2، المصدر السابق، ص 306.

[4] المصدر نفسه،ص306.

[5] الكليني، الأصول من الكافي، (باب حق الجوار)، جـ2، المصدر السابق، ص 666.

[6] محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، المرجع السابق، ص 116، 117.

فمما رواه "الطبراني" عن "عمر بن شعيب" قوله –صلى الله عليه وسلم–: "**وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا يخرج ولدك بها ولده**" .[1]

فعدم إغاظة الطفل لجيرانه من الأطفال مطلب نبوي لكل طفل مسلم يحبّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولكل أب وأمّ في أن يغرسا ذلك في قلوب أطفالهم.

فهذه هي أهم حقوق الجار في الإسلام فما علينا كمربين إلاّ أن نبذل قصارى جهدنا في تربية وتأديب أولادنا منذ نعومة أظافرهم على أدب حسن الجوار وذلك بتعريفهم شفويا بالمناسبات وغيرها أو تطبيقها عمليا كلما سنحت الفرصة لذلك وبذلك سوف ينشأ على مراعاة الحقوق الاجتماعية لغيره من الناس.

سادسا: أدب الاستئذان

لقد حثّ الإسلام على التزاور بين الجيران، والأصدقاء، والأقارب حتى يتم التآلف بينهم. ولقد وضع الإسلام آدابا للزيارة، ومنها أدب الاستئذان، ليكون الزائر موضع ترحيب. ومن آداب الاستئذان: ما رواه "أبو هريرة" –رضي الله عنه–: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**الاستئذان ثلاث فبالأولى تتنصّتون، وبالثانية تستصلحون، وبالثالثة: تأذنون، أو تردّون**"[2].

ولمّا خص الله سبحانه بني آدم بالكرامة، وفضّلهم بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على انفراد، وحجر على الخلق أن يطّلعوا على ما فيها من خارج، أو يلجوها من غير إذن أربابها، أدّبهم بما يرجع إلى الستر عليهم، لئلا يطلع أحد منهم على عورة [3].

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[4].

وعن "ربعيّ بن حراش" قال: حدّثنا رجلٌ من بني عامر استأذن على النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو في بيت، فقال: أَأَلِجُ ! فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–لخادمه: "**اخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان، فقل له: قل: السّلامُ عليكم، أأدخل؟**" فأذن له النبي –صلى الله عليه وسلم– فدخل. رواه أبوداود بإسناد صحيح [5].

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 2، المصدر السابق، ص 306.

[2] ذكره الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق البجاوي، جـ3، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1963م، ص215،216، وانظر، المناوي، فيض القدير، جـ3، المصدر السابق، ص 173.

[3] يوسف بديوي محمد محمد قاروط، تربية الأطفال ... ، المرجع السابق، ص 645.

[4] سورة النور، الآية 27.

[5] رواه أبو داود، (باب كيف الاستئذان)، رقم(5177)، جـ4، المصدر السابق، ص344.

وآداب الاستئذان أخلاق نبيلة تؤدي إلى شفافية المشاعر، وآفاق الطُّهر البريئة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ**﴾[1].

وجاء في شرح هذه الآية: ... يجب أن تأمروا الذين لم يصلوا إلى حد البلوغ ألا يدخلوا عليكم إلا بعد الاستئذان في ثلاثة أوقات، وهي: قبل صلاة الفجر، وحين تتخفّفون من ثيابكم وقت القيلولة، ومن بعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم، فهذه الأوقات يتغير فيها نظام اللّبس باستبدال الثياب، ويبدو من عورات الجسم ما لا ينبغي رؤيته، ولا حرج عليكم ولا عليهم في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات لأن العادة جرت بأن يتردّد فيها بعضكم على بعض لقضاء المصالح، وبمثل هذا التوضيح يوضّح لكم الله سبحانه وتعالى بآيات القرآن لبيان الأحكام، وسبحانه واسع الحكمة، يعلم ما يصلح لعباده، يُشرّع لهم ما يناسبهم [2].

إذن يأمر الله تعالى الآباء المربين في هذا النص القرآني أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا الحلُم أن يستأذنوا على أهليهم في ثلاثة أوقات: من قبل الفجر، وعند القيلولة في وقت الظهر، ومن بعد صلاة العشاء، لأن هذه الأوقات يأوي الناس فيها عادة إلى فراشهم، وقد يكون الإنسان في هذه الحالة على هيئة لا يجب آن يراه عليها أحد "والسبب بأن يستأذن الصغار المميزون كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وأدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية، والعصبية، والخُلُقية، ظانين أنّ الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السّادة، وأنّ الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم بعد تقدم العلوم النفسية، أنّ بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثّر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية، وعصبية يصعب شفاؤهم منها، والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب، وهو يريد أن يبني أمّة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذّبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات"[3].

فعن "ابن عباس": أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أرسل غلاما من الأنصار إلى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وقت الظهيرة، ليدعوه، فرأى عمر على كل حال كره عمر رؤيته عليها فقال:

---

[1] سورة النور، جزء من الآية 58.

[2] المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط 7، دار العربية، بيروت، ولجنة القرآن والسنة – القاهرة، نقلا عن يوسف بديوي ومحمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 646.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ 4، المرجع السابق، ص 2532.

"يا رسول الله: وددت أن الله أمرنا ونهانا في حالة الاستئذان فنزلت: ﴿**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاث ...**﴾[1].

إذن أدب الاستئذان واجب الكبير والصغير، وله مكانة خاصة في التشريع الإسلامي حتى خصه الله تعالى، بآيات تتلى على مرّ الأجيال، وتعاقب الزمان، وله أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية والأسرية، لذلك كان يعرفه صغار الصحابة مثل "أبي سعد الحذري" فضلا عن كبارهم –رضي الله عنهم–

روى البخاري في كتابه "الأدب المفرد" عن "عبيد بن عمير" أن "أبا موسى الأشعري" استأذن على عمر بن الخطاب فلم يؤذن له، وكأنه (أي عمر) كان مشغولا، فرجع "أبو موسى"، ففرغ عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ائذنوا له قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال تأتيني على ذلك بالبيّنة، فانطلق إلى مجلس الأنصار، فسألهم فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري، فذهب بأبي سعيد، فقال عمر: اخفي علي من أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ألهاني الصفق بالأسواق، يعني الخروج إلى التجارة، فنسي عمر أمير المؤمنين، أنه عندما لا يؤذن للشخص بالدخول، فعليه الرجوع من حيث أتى، دون غضب أو سخط، فكان الشاهد المذكر على سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبو سعيد الخدري –رضي الله عنهم– أجمعين[2].

وقد درّب القرآن الكريم الطفل على الاستئذان، غامر الوالدين بتعليم الطفل الاستئذان، وتدرج في أحكام الاستئذان، فقبل الاحتلام: يستأذن الطفل في ثلاث أوقات حرجة في حياة الوالدين الزوجية، هي: قبل الفجر، وعند الظهيرة، وبعد العشاء، أي في الأوقات التي يخلوا فيها الوالدان إلى النوم، حيث يكون كل من الوالدين في لباس خاص فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[3]. حتى إذا بلغ الطفل الحُلُم، وقرب منه، ودخل سن التكليف، أُمر بالاستئذان، في كل آن، في البيت وغيره، وكلما وجد أمامه الباب مغلقا، وإلى هذا أشارت الآية: ﴿**وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[4].

---

[1] سورة النور، جزء من الآية 58.

[2] محمد نو سويد، المرجع السابق، ص 298.

[3] سورة النور، الآية 58.

[4] سورة النور، الآية 59.

وللاستئذان آداب جمّة على المؤمن أن يتبعها ومنها: المشي بجانب الجدار، ولا يُقابل الباب، والتسبيح والتحميد قبل الدّق: والسلام بعده، وترك السمع إلى من في المنزل، واستئذان بعد السلام[1]، فإن أُذن له وإلا رجع ولم يقف، ولا يقول: "أنا" بل يقول "فلان"[2] إذا استفهم[3].

لماذا الاستئذان؟

أدب الاستئذان عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يرينا أن المؤمن يجب أن يكون حريصا لئلا يقع في مكروه أو محرَّم.

فعن "سهل بن سعد" –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**إنما جُعلَ الاستئذان من أجل البصَر**" **متفق عليه**[4].

فمن أدب الاستئذان أن يتحول الزائر عن الباب عند الاستئذان، وذلك لئلا يرى الإنسان امرآة أجنبية لا تحلّ له، وغضا للبصر، فلا يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من رُكنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: "السلام عليكم" وفي الوقت الحاضر وضع في معظم أبواب البيوت ما يسمى: "العين الساحرة"، فيرى منها أصحاب البيت من يقرع الباب، ومن المستحسن في حال وجود العين الساحرة أن يقف الزائر أو المستأذن، أو من يقرع الباب – أيّا كانت صفته – قُبالة هذه العين ليتمكن من في داخل البيت من رؤيته ومعرفته، فإذا أحسّ بفتح الباب تنحّى إلى اليمين أو إلى اليسار حسب المناسب، وخاصة بعد وقوع بعض الحوادث الناتجة عن فتح الباب قبل التحقق من شخصية ذاك الذي يقرع[5].

ومن أدب الاستئذان أن يرجع إذا قيل له ارجع لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[6].سواء كان الباب مغلقا أو مفتوحا، لأن الشرع أغلقه بالتحريم للدخول حتى يفتحه الإذنُ من رب المنزل[7].

---

[1] يقول النووي: روينا في صحيحي البخاري، ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول (ص): "الاستئذان ثلاث، فإن أون لك، وإلا فارجع" [البخاري(6245) ومسلم(2153)]. نقلا عن يوسف بديوي ومحمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 647.

[2] يقول النووي، ينبغي إذا استأذن على إنسان بالسلام أو بدق الباب فقيل له، من أنت؟ أن يقول فلان بن فلان، أو فلان الفلاني، أو فلان المعروف بكذا... ويكره أن يقتصر على قوله أنا، وما أشبه ذلك، راجع الأذكار للنووي، ص328.

[3] الغزالي، الأدب في الدين، تحقيق عبد الناصر هارون، دار الملايين، ص 75.

[4] رواه البخاري ، كتاب الأدب، (باب الاستئذان من أجل البصر)، رقم(6241)، جـ8، المصدر السابق، ص54، ورواه مسلم، كتاب الآداب، (باب تحريم النظر في بيت غيره)، رقم(2156)، جـ3، المصدر السابق، ص1698.[

[5] يوسف بدوي ومحمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 648.

[6] سورة النور، الآية 28.

[7] محمد ناصرة وخولة درويش، تربية الأطفال في رحاب الإسلام، ط 2، مكتبة السوادي، جدة، 1992، ص 301–302، وانظر أيضا، يوسف بديوي، حق الوالدين على الأبناء، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 1997م، ص177.

يقول سيد قطب: "إن الإسلام منهاج حياة كامل، فهو ينظم حياة الإنسان، في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها، ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة، وينسّق بينها جميعا، ويتجه بها إلى الله في النهاية"[1].
قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**﴾[2].

ومن آداب الاستئذان أيضا أن نعلّمه ألّا يدق الباب بعنف فيقرع الباب قرعةً خفيفة تدل على أدبه ولطفه... وإذا طلب منه رب المنزل أن يرجع فلنعلّمه الرجوع دون حرج ولا تذّمر....

هذه هي آداب الإسلام في الزيارة، وإنها لآداب عالية بلغ بها حس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، بما علّمهم الله من ذلك الأدب الرفيع المشرق بنور الله. لذا ينبغي علينا أن نحرص عليها، ونهتم بها ونعلّمها أولادنا حتى تجعلهم أناس ذوي أخلاق فاضلة سوية.

الرسول القدوة يستأذن الأطفال:

إنّ الحق، لا يعرف كبيرا ولا صغيرا، واتباع السنة واجب على الجميع، مهما علت درجاتهم، وبلغت منازلهم، فهذا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو قائد الأمة ومعلمها، يرشد الكبار والصغار في الأمة كلها، ويعرفها حق الطفل: أخرج البخاري ومسلم عن "سهل بن سعد" –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أتى بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: "أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟" فقال الغلام: لا والله يا رسول الله! لا أوثر بنصيبي منك أحداً فتلّه – أي وضعه– رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في يده[3].

سابعا: أدب الحديث والسلام

لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان، وفضلّه على سائر المخلوقات، وجعل لسانه يُعبّر به عن مكنوناته، وهذه ميزة الإنسان بالتكلم، وهي إحدى الميزات التي فرّق الله بها بين الإنسان والحيوان، وهذا اللّسان الذي نحرّكه بكلمات وأحاديث ينبغي أن ترتبط بالآداب الإسلامية التي تُعلمنا كيفية الحديث، ونبتغي صدقه، وأدبه، وكيف ننتقي الكلمات الطيّبة والمعاني الجميلة السامية.

قال تعالى: ﴿**الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا...**﴾[4]. وتعتبر المحادثة مهارة لغوية تحقق للإنسان التعبير عمّا يجول في نفسه من أفكار وعواطف، كما تحقق له الاتصال الاجتماعي مع الآخرين.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ 4، المرجع السابق، ص 2531.

[2] سورة النور، الآية 29.

[3] صحيح مسلم، (باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوها عن يمين المبتدئ)، جـ2، المصدر السابق، ص 210.

[4] سورة الزمر، جزء من الآية 23.

والمحادثة أداة للتعبير يستخدمها الصغار والكبار على حدّ سواء، ولها ظائف كثيرة أهمها: نقل ما في الفكر إلى الآخرين، وتبادل وجهات النظر، والتأثير في النفوس، والشعور بالاعتزاز إذا أحس المتحدث أنه قادر على قضاء حاجاته النفسية في تفاعله مع أفراد المجتمع[1].

ويأتي دور الوالدين في النهوض بالمحادثة بمراقبة طفلهم ونشاطاته العقلية شفويا وكتابيا... وعلى الوالدين أيضا والمرّبي كذلك ابتكار مواقف جيّدة للطفل، واستثارة دوافعه ليعبّر بالكلام، مع الملاحظة لتصحيح الخطأ.

وللحديث آداب ينبغي لفت نظر الطفل إليها، ومنها:

الكلمة الطيبة:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**والكلمة الطيّبة صدقة**"[2].

التمهّل أثناء الكلام:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كلاما فصلا، يفهمه كلّ من يسمعُهُ. رواه أبو داود [3].

– قال ابن المقفع: "لا يتم حُسنُ الكلام إلا بحُسنُ العمل، كالمريض الذي قد علم دواء نفسه، فإذا لم يتداوى به لم يغنه علمه"[4].

وقال أيضا: "... وجُلُّ الأدب بالمنطق، وجُلُّ المنطق بالتعلُّم.. فمن جرى على لسانه كلامٌ يستحسنُهُ، أو يُستحسنُ منه، فلا يعجبن إعجاب المخترع المبدع .. ومن أعين على حفظ كلام المصبين فقد بلغ الغاية... لأنه للأخذ عن الحكماء... كالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة.."[5].

والآن ننتقل إلى الأساس الثاني من البناء الأخلاقي وهو خلق الحياء.

الأساس الخلقي الثاني: خلق الحياء

الحياء في اللغة: "التوبة والحشمة، وقد حيى منه حياء واستحيا واستحى، يقولون: استحيا منك، واستحياك، قال جرير:

---

[1] يوسف بديوي ومحمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 652.

[2] رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، (باب من أخذ بالركاب ونحوه)، رقم(2989)، جـ4، المصدر السابق، ص56، ورواه مسلم، كتاب الكسوف، (باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف)، رقم(1009)، جـ2، المصدر السابق، ص699.

[3] رواه أبو داود، كتاب الأدب، (باب الهدي في الكلام)، رقم(4839)، جـ4، المصدر السابق، ص261.

[4] ابن المقفع، الأدب الصغير، ط 1، تحقيق احمد زكي، مطبعة جمعية العروة الوثقى، القاهرة، 1911 م، ص 45.

[5] المصدر نفسه، ص11.

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك الحبيب يزار[1]

الحياء في الإصطلاح: يقول ابن عربي في وصاياه: "وعليك بالحياء فإن الله حيّ، والحياء خير كلّه وإن الله يستحي من ذي الشيبة يوم القيامة، فإن العبد إذا اتصف بالحياء من الله ترك كل ما لا يرضي الله وما يشينه عند الله تعالى وعند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والحياء معناه الترك..."[2]

والحياء بهذا المعنى، هو الذي عناه الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– وهو يحضّ صحابته على الاستمساك بعروته بقوله: "**استح من الله حق الحياء**" **فقيل: يا رسول الله ومن يستحي من الله حق الحياء؟ فقال: "من استحى من الله حق الحياء فليكتب أجله بين عينيه، وليزهد في الدنيا وزينتها، ويحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ولا المقابر والبلى"**[3].

إذا فالحديث يشير إلى أنّ الحياء ليس هو التغيّر والانكسار الذي يعتري الإنسان من خوف يندم عليه ولكن يتمثل في أمور: حفظ الحواس، حفظ البطن من الشراهة، ترك ما حرّم الله من زينة الدنيا.. فهذا الحياء الكامل الذي يريده الله للناس.

والسؤال هنا: إذا تجرّد الإنسان من خلق الحياء ماذا تكون العواقب؟

الجواب هو: إذا تجرد الإنسان من الحياء جهر بذنبه، والجهر بالذنب فسوق، يجلب سخط الله، فيقول من السوء ما يشاء، ويفعل من الشر ما يريد، لأنه قد نزع قناع الحياء من وجهه، فصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "**إذا لم تستح فافعل ما شئت**"[4].

وكذلك إذا تجرد الإنسان من الحياء فإنه يرتكب كل منكر وشرّ، يندفع في تصرفاته وراء هواه.. ويمشي في طريق الفساد يروي للناس في وقاحة ما سوّل له الشيطان، وما أغراه به من معصية الله، يحكيها بافتخار.. ممّا يشجع غيره على تقليده، لذلك يخرج **أمثال** هؤلاء من عفو الله وستره حيث يشير الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى ذلك بقوله: "**كل أمتي معافى إلا المهاجرين**"[5].

وكذلك روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**إن الله عزّ وجلّ إذا أراد عبد نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلاّ خائفا مخوفا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلاّ شيطانا ملعونا**"[6]. إذن من الآداب التربوية العظيمة التي ينبغي أن نربّي الطفل عليها: الحياء، لأن الحياء من الإيمان، وهل هناك حلية أجمل من الحياء؟!

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة(حيا)، جـ14، المصدر السابق، ص217.

(2) ابن عربي، الوصايا، المصدر السابق، ص62–63.

(3)محمدي الري الشهري، ميزان الحكمة، باب حق الحياء، جـ2، المرجع السابق، ص568 –569.

(4) سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في الحياء)، رقم(4797)، جـ4، المصدر السابق، ص252.

(5) صحيح البخاري، كتاب الأدب، (بابستر المؤمن على نفسه)، رقم(5721)، جـ5، المصدر السابق، ص2254.

(6) الطبرسي، مستدرك الوسائل، (باب استحباب الحياء)، جـ2، المصدر السابق، ص69.

وقد استدلّ أدباء المسلمين وعلماؤهم في عصور سابقة على تجابة الطفل بكثرة حيائه، وأبه مع الكبار، وعدم التحديق في وجوههم بطرفه، بل تراه مطرقا نظره إلى الأرض[1]، وعلى المربّي أن يستغلّ هذه الفرصة في سجيه الطفل، فيؤدبه مستعينا على ذلك بكمال حيائه وتمييزه. وفي هذا يقول بعض الحكماء: الحياء في الصبيّ يدلّ على العقل.

وقد امتدح رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الحياء وأهل الحياء، وأثنى على معلّمه أيضا، فقد أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مرّ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**دعه فإن الحياء من الإيمان**"[2]. وأثنى –صلى الله عليه وسلم– على خلق الحياء فقال: "**لكل دين خلقا، وخُلُقُ الإسلام الحياء**"[3].

لذا يجب على الآباء والمربّين أن يأخذوا أبناءهم بهذا الخُلق، ويرشدوهم إلى ما ينبغي تركه من الأقوال والأفعال، لأن كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "**الحياء لا يأتي إلاّ بخير**"[4].

وممّا يجب التنبيه إليه: أنه ينبغي على المربّين أن يكون حكيما، فلا يبالغ في أخذ الناشئين بهذا الخلق إلى حدّ يصل بهم إلى الخجل وضعف الشخصية، وصرف النفس عن اقتحام المشاق والجرأة في الحق. وهذا النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم– يشيد بنساء الأنصار فيقول عن عائشة –رضي الله عنه– قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**"[5]. وبهذه التربية الواعية نصل بنفوس أطفالنا إلى أعلى مراتب السمو والفضيلة.

الأساس الخلقي الثالث: خلق الصدق

الصدق في اللغة: نقيض الكذب، صدق يصدق صدقا ومصداقا، وصدّقه. قبل قوله، وصدقه الحديث: أنبأه بالصدق.. ويقال صدقتُ القوم: أي قلت لهم صدقاً"[6].

خلق الصدق أصل هام من أصول الأخلاق الإسلامية، وهو دعامة الفضائل، ومظهر من مظاهر السلوك النظيف.. ودليل الكمال وعنوان الرقي، بالصدق يوطد الثقة بين الأفراد والجماعات، لا يستغني عنه حاكم ولا تاجر، ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير.. ماداموا يعيشون في مجتمع يعطي كل ذي حق حقه.

وقد اهتم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بتثبيت هذا الخلق في الطفل، وهو يراقب تصرفات الوالدين مع الطفل، وذلك لتجنب وقوع الوالدين في رذيلة الكذب على الطفل، ويضع قاعدة عامة: أن

---

[1] مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المصدر السابق، ص69.

[2] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، (باب الحياء من الإيمان)، رقم(24)، جـ1، المصدر السابق، ص17.

[3] سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، (باب الحياء)، رقم(4181)، جـ2، المصدر السابق، ص1399.

[4] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب الحياء)، رقم(5766)، جـ5، المصدر السابق، ص2267.

[5] المرجع نفسه، كتاب العلم، (باب الحياء في العلم)، جـ1، ص60.

[6] ابن منظور، لسان العرب، (مادة صدق)، جـ10، المصدر السابق، ص193.

الطفل إنسان، له حقوقه في التعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعه بأية وسيلة كانت، واللامبالة في التعامل معه.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوما، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**ما أردت أن تعطيه؟**" قالت: أردت أن أعطيه تمرا، فقال لها: "**أما أنك لو لم تعطه شيئا، كتبت عليك كذبة**"[1].

فواجبنا كمربين أن نربي ونعوّد أطفالنا الصدق لأن "لا يولد الأطفال صادقين، لكنهم يتعلّمون الصدق والأمانة شيئا فشيئا من البيئة الأسرية التي يعيشون فيها إذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم.." والطفل الذي يعيش في وسط أسري لا يساعد على تكوين اتجاه الصدق والتدرّب عليه، يسهل عليهم الكذب، خاصة إذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان... وعلى هذا الأساس فإن الكذب صف أو سلوك مكتسب، نتعلّمه كما نتعلم الصدق، وليس صفة فطرية أو سلوكا موروثا"[2].

والمسلم ينهج نهج الصالحين الذين أثنى الله تعالى عليهم في كتابه الكريم بقوله: ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾[3].

وقوله: ﴿**يا أيها الذن آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[4]، والذين يمتثلون أمر الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم–: "**عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البر وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة، وإنّ الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صدّيقا، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى النّار وإنّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابا**"[5].

مظاهر الصدق: للصدق مظاهر كثيرة منها:

1– صدق الحديث: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**"[6].

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في التشديد في الكذب)، رقم(4991)، جـ4، المصدر السابق، ص298.

[2] كتاب العربي، مرآة العقل العربي: (الطفل العربي والمستقل)، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الكويت، الكتاب23، 15إبريل،1989م، ص53– 54.

[3] سورة الأحزاب، الآية 23.

[4] سورة التوبة، الآية 23.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، رقم(6094)، جـ8، المصدر السابق، ص25.

[6] صحيح البخاري، كتاب الوصايا، (باب قول الله تعالى:من بعد وصية يوصى بها أو دين)، رقم(2598)، جـ3، المصدر السابق، ص1010، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (باب بيان خصال المنافق)، رقم(59)، جـ1، المصدر السابق، ص78.

2- صدق المعالمة: بحيث لا يغش ولا يخدع ولا يحتال. وفي الحديث الشريف: "**من غشنا فليس منّا**"[1].

3- صدق الوعد: وقد مرّ أن خُلف الوعد من آيات النفاق.

4- صدق الحال: وفي الحديث الشريف "**من سمّع سمّع الله به ومن يرائي يرائي الله به**"[2]. ومعنى الحديث: أن من أظهر عمله رياءً للناس فضحه الله يوم القيامة[3].

فلماذا لا نأخذ أولادنا بالتربية السليمة ونربيهم على هذا الأدب الحسن ونحقق قول الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم-: "**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**"[4].

الأساس الخلقي الرابع: حفظ الأسرار

ينظر الإسلام إلى الأطفال على أنهم عدة الحياة وأمل المستقبل ولذلك يأخذهم دائما بالتهذيب والتأديب على مكارم الأخلاق ومن ضمن ذلك الدعوة إلى حفذ الأسرار مهما كان نوعها صغيرة أو كبيرة تخص الشخص نفسه أو غيره. وقد عني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتنشئة الأطفال على خلق كتم الأسرار، لأنه يمثل صلاح الطفل في حاله ومستقبله، وسلامة الأسرة والمحافظة على المجتمع وبنائه.

قال تعالى: ﴿**وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولا**﴾[5] وعن عبد الله بن جعفر قال: "**أردفني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم خلفه فأسرّ إليّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس**"[6].

مثال من تربية الأولاد على كتم الأسرار:

عن ثابت عن أنس -رضي الله عنه- قال: "أتى عليّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا ألعب مع الغلمان فسلّم علينا فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي. فلما جئت قالت: ما حسبك؟ فقلت: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرّ، فقالت المؤمنة الواعية، الذكية، البصيرة، لتعطي درسا للأمهات في تعليم الطفل حفظ الأسرار، قالت له، لا تخبرنّ بسر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحدا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدا لحدثتك به يا ثابت"[7].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب قول النبي-صلى الله عليه وسلم- من غشنا فليس منا)، رقم(101)، جـ1، المصدر السابق، ص99.

[2] صحيح البخاري، كتاب الرقاء، (باب الرياء والسمعة)، رقم(6134)، جـ5، المصدر السابق، ص2383 ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق،(بابمن أشرك في عمله غير الله)، رقم(2986)، جـ4، المصدر السابق، ص2289.

[3] النووي، رياض الصالحين، المصدر السابق، ص370.

[4] سبق تخريج الحديث، ص 114 من الرسالة.

[5] سورة الإسراء، الآية 34.

[6] صحيح مسلم، كتاب الحيض، (باب يستتر به لقضاء الحاجة)، رقم(342)، جـ1، المصدر السابق، ص268.

[7] المصدر نفسه، كتاب فضائل الصحابة-رضي الله عنهم-، (باب من فضائل أنس بن مالك -رضي الله عنه-)، رقم(2482)، جـ4، ص1929.

الحكمة من تربية الأولاد على كتم الأسرار:

هي أن ينشأ الطفل قوي الإرادة رابط الجأش ضابط اللسان، فتنشأ الثقة الاجتماعية بين الناس بحفظ أسرار بعضهم بعضا[1].

الأساس الخلقي الخامس: الأمانة:

والأمانة خلق أصيل دعا إليه دين الإسلام واتصف به جميع الرسل والأنبياء الكرام، فكان كل نبي يقول لقومه ﴿**أبلغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح أمين**﴾[2]. وكذلك اتصفبه رسولنا الكريم–صلى الله عليه وسلم– من عهد الطفولة إلى عهد الرسالة، حتى وصفه المشركون بـ"الصادق الأمين" وفي ذلك عبرة للطفل المسلم، أن يقتدي برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، لتساعده فيما بعد على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. وقد حدد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مسؤولية الولد في مال أبيه، فيكون أمينا على القيام به، بلا إسراف ولا تبذير، كما في الصحيح: "**والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته**"[3].

ونلحظ اهتمام الرسول –صلى الله عليه وسلم– بخلق الأمانة، وتأصيله في الطفل، أنه لم يرض من الطفل خطأه في هذا الركن، وإنّما عاقبة عندما أخلّ به، وشدّ أذن الطفل. قال النووي في الأذكار: روي عن عبد الله بن يسر الصحابي أن–صلى الله عليه وسلم– بقطف من عنب، فأكلت منه قبل أن أبلغه إيّاه، فلما جئت به أخذ بأذني، وقال:"يا غُدَر!".

إذا لولا الأمانة في أخلاق الأنبياء لتغيرت معالم الرسالات، ولهذا نجد السيدة عائشة أم المؤمنين تقول: لو كان محمد كاتما شيئا مما نزل عليه لكتم[4] هذه الآية الكريمة: ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه**﴾[5].

قال تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها**﴾[6].

وفي الحديث الشريف: "**أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**"[7].

---

(1) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية، المرجع السابق، ص304، الشيخ عبد الرحمن السعدي، الرياض الناضرة والحدائق النيّرة، ط1، دار الفيحاء، 1986م، ص273.

(2) سورة الأعراف، الآية 68.

(3) صحيح البخاري،كتاب الجمعة،(باب الجمعة في القرى والمدن)،رقم(853)،جـ1،المصدر السابق،ص304

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان،(باب معنى قول الله"ولقد رآه نزلة أخرى)، رقم(177)، جـ1،المصدرالسابق، ص160

(5) سورة الأحزاب، جزء من الآية 37.

(6) سورة النساء، الآية 58.

(7) سنن أبي داود، كتاب البيوع، (باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده)، رقم(3535)، جـ3، المصدر السابق، ص290، وسنن الترمذي، كتاب البيوع، رقم(1264)، جـ3، المصدر السابق، ص556.

ولفظ الأمانات هنا عام يشمل جميع الحقوق الواجبة على الإنسان وأمر بالقيام بها، ويدخل في ذلك: أمانات الولايات والأموال والأسرار بين الناس وغير ذلك مما لا يطلع عليه إلاّ الله تبارك وتعالى[1].

صورة واقعية من تأصيل خلق الأمانة في نفوس الناس:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يا رسول الله! قال: "**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس! من غشنا فليس منا**"[2].

الأساس الخلقي السادس: سلامة الصدر من الأحقاد

الحقد خلق مذموم وسببه الغضب والعجز عن التشفي في الحال[3].

فكيف نجعل قلوبنا سليمة من الأحقاد؟

والجواب: أن نتبع إرشادات الإسلام في معالجة الغضب عند هيجانه، وذلك بأمور منها:

1– أن نعلم ثواب كظم الغيظ قال تعالى: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين**﴾[4].

2– أن يخوف نفسه من عقاب الله تعالى، لأن قدرة الله تعالى أعظم من قدرته على من غضب عليه.

3– أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب وأنه مخالف لأخلاق الأنبياء والصالحين والعلماء.

4– أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يتوظأ وأن يجلس إذا كان واقفا وأن يتبع إرشادات الرسول –صلى الله عليه وسلم– في معالجته[5].

بعض الأمثلة الواقعية في الحلم وعدم الحقد والغضب:

1– قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**يطلع عليكم من هذا الفجر رجل من أهل الجنة، فطلع رجل فسئل عن عمله فقال: إني لا أجد لأحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حقدا على خير أعطاه الله إيّاه**"[6].

---

(1) محمد علي الصابوني، مختصر ابن كثير، جـ1، دار القرآن الكريم، 1981م، ص405.

(2) سبق تخريج الحديث، ص 240 من الرسالة.

(3) ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص239.

(4) سورة آل عمران، الآية 134.

(5) الغزالي، مختصر إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص164، وابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، المصدر السابق، ص234.

(6) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، (باب مسند أنس بن مالك–رضي الله عنه–)، رقم(12697)، جـ20، المصدر السابق، ص124.

2- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأشبح عبد القيس: "**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**"[1].

3- دخل عمر ين عبد العزيز المسجد في ليلة مظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، فهمّ الحرس، فقال عمر: مه، إنّما سألني أمجنون؟ فقلت: لا[2].

مثال عملي من خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع الأطفال:

وفي ختام هذا المطاف نقد لكم نموذج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القائد القدوة للأمة كلها، وكيف كان يتعامل مع الأطفال، يأمرهم، وينهاهم، يمازحهم، ويلحق بهم، يقف خلف الطفل ويبتسم له، لا يغضب في وجههم، ولا يعاتبهم، يرسخ عقيدة القضاء والقدر عمليا في نفوسهم، ونأتي على رواية الحديث بمختلف طرقه.

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم، وأحمد وأبو داود عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: خدمت النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر سنين، والله ما قال لي أفّ قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا[3].

وفي رواية مسلم: "كان النبي من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب، لما أمرني به النبي -صلى الله عليه وسلم- فخرجت حتى أمرّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: "**أنس! ذهبت حيث أمرتك؟**" قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله! قال أنس: "**والله خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا**"[4].

والآيات كثيرة تدعونا إلى التواضع والعفو وخفض الجناح، يقول تبارك وتعالى: ﴿**واخفض جناحك للمؤمنين**﴾[5]، إنّ المتواضعين هم أهل الله، والمتكبرين ليس لهم من بره حفظ ولا نصيب، لأن الكبرياء

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله)، رقم(17)، جـ1، المصدر السابق، ص48، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، (باب ماجاء في التأني والعجلة)، رقم(2011)، جـ4، المصدر السابق، ص366.

[2] أحمد عطا، محمود محمد حمودة، تربية الطفل في الإسلام، المرجع السابق، ص87.

[3] صحيح البخاري، كتاب، (باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل)، رقم(6038)، جـ8، المصدر السابق، ص14، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، (باب كان رسول الله أحسن خلقا)، رقم(2309)،جـ4، المصدر السابق، ص1804، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في الحلم واخلاق النبي-صلى الله عليه وسلم-)، رقم(4774)، جـ4، المصدر السابق، ص247، ورواه أحمد في مسنده، (باب مسند أنس بن مالك)، رقم(11974)، جـ19، المصدر السابق، ص63.

[4] صحيح مسلم،كتاب الفضائل، (باب كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس خُلقا)، رقم(2309)، جـ4، المصدر السابق، ص1805.

[5] سورة الحجر، الآية 88.

صفة مختصة بالله وحده. والتواضع شأنه أن يثبت دعائم الأخوة ويوطد قواعد الاستقرار والطمأنينة. فعن عياض –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**"[1].

ونحن كمربين واجبنا تربية أولادنا على العفو والتواضع، وتعليمهم أن يحفظوا صدورهم من الأحقاد والحسد، لأن الحقد يجر من ورائه عواقب وخيمة وأطفالنا في غنى عنها. وقد وجّه النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم– نداء للطفل الناشئ أنس بن مالك أن يغسل –رضي الله عنه– أدران نفسه صباحاً ومساءً فيسامح من أساء إليه، ويفرغ قلبه من أي بقايا من وساوس الشيطان ونفثه، في الرؤوس والنفوس.

وأخرج الترمذي عن أنس –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال لي: "**يا بني إن قدَرتَ أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غشّ لأحد فافعل، ثم قال: يا بنيّ وذلك من سنّتي ومن أحيا سنّتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنّة**"[2].

لذا فإن الالتزام بمكارم الأخلاق فيه تقوية لإرادة الإنسان وتمرينها على حب الخير وفعله والبعد عن الشر وتركه، وبذلك تتحقق سعادة القلب.[3]

رابعا: البناء العلمي والفكري

أولا: العلم في الشريعة الإسلامية:

- العلم في اللغة والاصطلاح والمنطق والعلم
- الشريعة تدعو إلى العلم بمعناه الشامل
- العلم في القرآن الكريم
- العلم الذي دعا إليه الإسلام وحثّ عليه القرآن والسّنة

ثانيا: العلم في السّنة النبوية المطهرة:

- بيان شرف العلم والمتعلّم في السنة النبوية
- فضائل العلم ومحاسنه
- الرسول الكريم – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يكرم طالب العلم
- مكانة العلماء في السّنة النبوية
- فضل العلماء ودرجاتهم الرفيعة
- عناية النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – بالتعليم

ثالثا: السّنة تحض على تعليم الصغار:

- السن الذي يبدأ منه التعليم الطفل وتأديبه

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في التواضع)، رقم(4890)، جـ4، المصدر السابق، ص274.

[2] سنن الترمذي، أبواب العلم، (باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم(2678)، جـ5، المصدر السابق، ص46.

[3] عبد الله غفيلي، مجلة جامعة القرى، أثر الإيمان في توجيه الأخلاق، العدد 23، ص 26.

- ما أثر عن السلف في تعليم الصغار

رابعا: اختيار المدرّس الصالح والمدرسة الصالحة للطفل:

- المدرّس وأثر شخصيته في تكوين الطفل
- ما ينبغي أن يحظى به المعلّم
- المدرسة ومصادر المعرفة ومهمتها في تكوين الطالب
- المدارس الأجنبية وأخطارها
- التدرّج في التعليم
- توجيه الطفل وفق ميوله العلمية، مع مراعاة الفروق الفردية.

خامسا: المكتبة المنزلية وأثرها في بناء المادة الفكرية للأبناء

- أهمية القراءة في تحصيل المعرف
- كيفية تعليم الأطفال القراءة
- أهمية القراءة ودورها في تربية العقل

سادسا: دور المسجد في التربية الإسلامية

- المسجد في اللغة
- رسالة المسجد
- أخذ الطفل إلى المسجد وربطه به

البناء العلمي والفكري

أولا: العلم في الشريعة الإسلامية

قبل أن نتطرق إلى اهتمام الإسلام بالعلم، يجب علينا التعريف بالعلم لغة واصطلاحا:

العلم في اللغة:

العلم من صفات الله عزّ وجلّ العليم والعالمُ والعلاّمُ، قال عزّ وجلّ:﴿**الخلاّق العليمُ**﴾، وقال: ﴿**عالمُ الغيب والشهادة**﴾، وقال: ﴿**علاّم الغيوب**﴾، فهو الله العالِمُ بما كان وما يكون قبل كونه .. والعلم نقيض الجهل، عَلِم علماً وعَلمُ هو نفسه ورجل عالم وعليم من قوم عُلماء فيهما جميعا .. وجمعُ عالمُ علماء ويقال: "عُلامُ"[1]. وقيل: "هو المعرفة بالشيء"[2].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، جـ 12، "مادة علم"، المصدر السابق، ص 416 – 417.

[2] عبد الله السيد حسن الموسوي البحراني المحراقي، فضل العلم والعالم، ط1، منشورات الأعظمي، بيروت، 1410هـ/1990م، ص 13.

العلم في الاصطلاح:

"هو تحصيل المعرفة والتزوّد منها بما يرفع جهل الإنسان بهذا الوجود"[1]. وقيل: العلم هو: "ما يبصر الإنسان في الغاية التي يطلبها، ويهديه إلى الحق، والعلم الحقيقي أو العلم الصحيح معناه التبصر في أي أمر من الأمور، والإتيان به على الوجه الأكمل بقدر الاستطاعة"[2].

تعريف العلم علميا:

"هو الجهد الذي يقوم به البشر.. بمحاولة منظّمة عن طريق الدراسة الموضوعية لاحظوها لاكتشاف سلسلة الأسباب والمسّببات والتحكم فيها، ويجمعون ما يتح من نُظم فرعية للمعرفة في صورة منسّقة من خلال تفكير وتصورّ منهجين يعبّرون عنها عادة برموز رياضية مهيئة لأنفسهم بذلك فرصة استغلال فهمهم للعمليات والظواهر التي تجري في الطبيعة والمجتمع لمنفعتهم وصالحهم"[3].

أمّا المعرفة فقد عرّفت بأنها: "إحاطة بعين الشيء كما هو"[4].

وقد وقع لفظ المعرفة في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**الذين آتيناهُمُ الكتابَ يعرفونَهُ كما يعرفُون أبناءَهُم...**﴾[5]، وأما لفظ العلم: فهو أوسع إطلاقا كقوله تعالى: ﴿**فاعلمْ أنّهُ لا إله إلاَّ اللّهُ...**﴾[6]، واختار سبحانه وتعالى لنفسه اسم "العلم" وما تصرف منه، فوصف نفسه بأنه عالم، وعليم، وعلاّم، وعَلمَ ويعلَم: وأخبر أنّ له علما دون لفظ "المعرفة" من القرآن، ومعلوم أنّ الاسم الذي اختاره الله لنفسه أكمل نوعه المشارك له في معناه[7].

وإنما جاء لفظ المعرفة في القرآن في مؤمني أهل الكتاب خاصة قال تعالى: ﴿**الذين آتيناهُمُ الكتاب يعرفونه ما يعرفون أبناءهم...**﴾[8].

الشريعة تدعو إلى العلم بمعناه الشامل:

لم تعرف البشرية دينا مثل الإسلام اهتم بالعلم اهتماماً بالغا حيث دفع العقول إلى مجال العلوم والمعرفة حيث دعاهم إلى العلم والتأمل والتفكّر في الكون للوقوف على أسراره، وإلى ذلك يشير تبارك الله وتعالى: ﴿**قُل انظُرُوا ماذا في السموات والأرض...**﴾[9]،يقول "سيد قطب" في تفسير هذه الآية: "لفت

---

(1) محسن محمد عطوي، زاد المبلغين، المرجع السابق، ص 86.

(2) علي زيعور، التربية وعلم نفس الطفل في الذات العربية، المرجع السابق، ص 401

(3) جون. ب. ديكنسون، ترجمة، شعبة الترجمة باليونيسكو، عدد 112، شعبان، 1407 هـ/أبريل 1987 م.

(4) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين "، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، المجلد الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1426 هـ/2005م، ص 946.

(5) سورة الأنعام، جزء من الآية 20.

(6) سورة محمد، جزء من الآية 19.

(7) سهام مهدي جبار، الطفل...، المرجع السابق، ص 366.

(8) سورة الأنعام، جزء من الآية 20.

(9) سورة يونس، جزء من الآية 101.

الحس والقلب والعقل للنظر إلى ما في السّموات والأرض، وسيلة من وسائل المنهج القرآني لاستحياء القلب الإنساني، لعلّه ينبض ويتحرك، ويتلّقى ويستجيب"[1].

إن العلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم بمفهومه الشامل، الذي ينظم كل ما يتعلّق بالحياة وكل ما يعود بالمنفعة والخير على المسلمين في الدنيا والآخرة.

لقد اعتنى الإسلام بالعقل فدعا إلى حريته وتفتح آفاقه، فهنالك حقائق واقعية ملموسة سواء عرفها الإسلام أو لم يعرفها، ولكن ما الوسيلة إلى معرفتها. فالوسيلة إلى معرفتها تكون بتنشيط الأذهان، والتفكّر العميق في ظواهر الكون.. لذلك جاء الأمر بطلب المزيد من العلم والمعرفة حيث يقول الله تعالى: ﴿...**وفوق كُلّ ذي علْم عَليمٌ**﴾[2].

– وقال الحسن البصري: "ليس عالم إلّا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عزّ وجلّ"[3].

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لميادين المعرفة التي فتحها الإسلام أمامنا ودعانا إلى استخدام الطاقات العقلية للتفكير والإمعان والتأمل في أسرار هذا الكون.

وذلك بالنظر والتأمل والتدبّر بها وسرّ ذلك "للتعرّف على الحقائق بشمول وعمق، وهو منهج العلم في أصدق أصوله، وأرسخ قواعده فهو المنهج الذي يرفع من شأن البحث العلمي الذي يوصل إلى معرفة الحق، ويؤدي إلى الإذعان له"[4].

لذا دعانا الإسلام إلى: التدبر في خلق الإنسان ووصف تكوينه العقلي والجسمي بقوله تعالى:﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)**﴾[5].

إن معرفة الإنسان لنفسه تدعوه إلى حتمية الإيمان بالله الخالق المبدع، وهذا المجال تناولته علوم الطب وعلم النفس[6].

التأمل في الكائنات الحية كالنباتات مما تتناوله علوم النبات، قال تعالى:﴿**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا(٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)**﴾[7].

---

(1) **سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ 3، المرجع السابق، ص 1823.**

(2) **سورة يوسف، جزء من الآية 76.**

(3) **تفسير ابن كثير، جـ 2، المصدر السابق، 257.**

(4) **عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت 1399هـ/1979م، ص 220.**

(5) **سورة الطارق، الآية 5– 7.**

(6) **سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص 368.**

(7) **سورة عبس، الآية 24– 32.**

كما دعا الإسلام إلى الإمعان في تكوين الحيوان مما تناوله علم الحيوان: يقول تبارك وتعالى:﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾[1].

كما دعا الإسلام إلى التأمل في الكون وما فيه من الأجرام السماوية: مما ساعد علماء الفلك التوصل إلى أن فضاء الكزن يسبح فيه أعداد تفوق الحصر من المجرات، قال تعالى:﴿**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[2].

وصف للأرض التي نعيش عليها وما فيها من جبال وأنهار وسهول وصحاري ووديان، مما تناولته علوم الجغرافيا وطبقات الأرض، قال تعالى:﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا(٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾[3]. إلى بقية الظواهر الطبيعية الأخرى.

وبهذا يقول "عمر عودة الخطيب": "بهذا المنهج الذي يهدم الخرافة والوهم والتقليد، وينبّه العقل للتأمل والتفكير، تسقط كل أنواع الأساطير وأنواع الخرافات مهما اختلفت من مظاهرها وصورها .. ثم لا يسمح لها بعد ذلك أن تحيا في المجتمع الإسلامي الذي يحرّر العقل ويحترمه، ويدعو إلى البحث الدقيق. ويحث على التفكير العميق، ويدفع إلى تقصي الحقائق، ويصون الكيان الفكري من آفات الجهل والخرافة والوهم والانحراف"[4].

العلم في القرآن الكريم:

عندما أنزل الله تعالى القرآن دعا فيه إلى العلم ونوّه فيه بالمعرفة وأشاد بدور العلماء في خدمة الحقيقة.. لأنهم قادة الفكر.. وصانعوا الحضارة وأنهم ورثة الأنبياء وجعلهم الله في مصاف الملائكة، قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[5].

وإنّ من نعم الله وكرمه على الإنسان أن علّمَهُ ما لم يعلم، فشرّفهُ بالعلم، وأن القدرة على التعلّم من أبرز صفات آدم –عليه السلام–، ويقتضي هذا التعليم من الله أن يكون آدم –عليه السلام– مفطورا على قابلية التعلّم والقدرة عليه، وقد استتبعت مثل هذه القابلية خلق أجهزة خاصة في الإنسان تكملها، مثل: العقل، والتكلم، القدرة على التخيل... الخ.

والقدرة على التعليم أبرز طاقات الإنسان التي أهّلته للخلافة، وما عليه إلّا أن ينمي هذه القدرة باستمرار ليتمكن من خلافة الأرض .. إنّ أول سورة نزلت على سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم–

---

[1] **سورة الملك، الآية 19.**

[2] **سورة يس، الآية 40.**

[3] **سورة النبأ، الآية 6–7.**

[4] **عمر عودة الخطيب، لمحات من الثقافة الإسلامية، المرجع السابق، ص 216.**

[5] **سورة آل عمران، الآية 18.**

ودعت إلى العلم ووجهت إليه سورة العلق: قال تبارك وتعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)**﴾[1].

وفي الآيات الكريمة السابقة: تبرز حقيقة التعليم، وتعليم الربّ للإنسان بالقلم، لأن القلم كان ومازال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان.. ثم تبرز مصدر التعليم وأن مصدره هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما يعلم.. والله هو الذي خلق، وهو الذي علّم، فمنه البدء والنشأة، زمنه التعليم والمعرفة والإنسان يتعلّم ما يتعلّم، ويعلم ما يعلم، فمصدر هذا كله هو الذي خلق والذي علّم .. ﴿**عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[2].

فهذه الآيات تدعو الرسول الأميّ الذي لم يمسك قلماً إلى القراءة كما فيها دعوة إلى جميع الناس للاستفادة من هذه النعمة لتستنار عقولهم ويتوجهوا إلى العلم والمعرفة.

ثم توالى الحديث عن العلم والتعليم فجاءت سورة القلم، وقال تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[3]. فقد جاء الحديث فيها عن آلة العلم وهو العلم الذي يكتب به.. والإشارة إلى القلم دليل على عظمة النعمة التي أنعمها الله على خلقه لأنه بواسطة القلم يتعلّم الإنسان الكتابة التي بها تنال العلوم التي تفتح لنا آفاق بعيدة حيث يخرج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة.

ثانيا: العلم في السنة النبوية المطهرة

تمهيد:

لقد وصف النبي –صلى الله عليه وسلم– بالمعلّم في كثير من الآيات، كما أسندت آيات من القرآن الكريم التعليم إلى الرسول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، ليبيّن الله تعالى لنا أن التعليم أول مهمة أوكلها الله إلى أنبيائه، قال الله تعالى على لسان خليله إبراهيم –عليه السلام–: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ.....**﴾[4].

لقد استجاب الله لدعوة إبراهيم وهي بعثة الرسول –صلى الله عليه وسلم– من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وإنّها لمنة عظمى يمُنّ بها الله على هذه الأمة حيث جاء النبيّ يعلّم الناس الكتاب والحكمة ويطهرهم من الرجس والدنس، فما قام به النبيّ من دور عظيم في إنشاء هذه الأمة، وتعليمها وتهذيبها وقيادتها، ونقلها من الضلال المبين إلى نور العلم والحكمة والطهارة[5]. قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى**

---

[1] **سورة العلق، الآية 1– 5.**

[2] **سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ 6، المرجع السابق، ص 3939.**

[3] **سورة القلم، الآية 1.**

[4] **سورة البقرة، جزء من الآية 129.**

[5] **سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 375.**

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

وبعث الله محمداً –عليه أفضل الصلاة والسلام– بشرع كامل عظيم شامل فيه الهداية والتبيان والخير والصلاح لجميع ما يحتاج الناس إليه من أمر دنياهم ومعادهم، وقد بُعث الرسول الكريم في أمّة أمية، أمية العقل والعلم معاً، وقد تحولوا بفضل هذه الرسالة إلى حلمة الهداية والعلم وقادة البشر، وحكماء الأرض وإن كانوا من قبل لفي ظلال مبين "ظلال الجاهلية التي وصفها "جعفر بن أبي طالب" "لنجاشي الحبشة"، فقال "جعفر": "أيّها الملك، كُنّا قوماً ذا جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، وتقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منّا. نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه..."[2].

ولا ريب في قدرة واستطاعة الإسلام الذي جاء بعقائد وعبادات ونور وهدى وصراط مستقيم أن ينقذ البشرية مرة أخرى من جاهليتها وظلالها الحالية من النواحي الأخلاقية والتربوية والاجتماعية، على الرغم من تقدمها العلمي والصناعي ورخائها الحضاري.

العلم في السنة وبيان مكانة العالم والمتعلّم:

لقد فاضت السنّة النبوية المطهرة بالكثير من الأحاديث التي تدعو إلى طلب العلم والمعرفة وبيان فضل العلم ومنزلة العلماء عند الله وعند الناس، وظلّ النبي –صلى الله عليه وسلم– يدعو للعلم، ويأمر بالتعليم ويُبيّن مكانته وفضله، حيث نهض بمهمة تعليم الصحابة وأبناءهم، وإن العلم الذي يدعو إليه هو العلم بمفهومه الشامل، الذي يحدد جميع الأنظمة الاجتماعية التي تحقق للمسلمين الخير والمنفعة والصلاح في الدنيا والآخرة.

فضل العلم ومحاسنه:

عن "معاذ بن جبل"–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**تعلّموا العلم، فإن تعليمه لله خشية وطلبة عبادة، ومذاكرته وتسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معلم الحلال والحرام، ومنار سُبل أهل الجنّة، وهو الأنيس من الوحشة.. وبه يُعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه، ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء**"[3].

وقد كان الرسول الكريم –عليه أفضل الصلاة والسلام– يكرم طالب العلم: فعن "أبي هريرة" – رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم، إلّا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة،**

---

[1] **سورة آل عمران، الآية 164.**

[2] **سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ6، المرجع السابق، ص 3567**

[3] **ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، جـ1، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص 66 وما بعدها.**

وذكرهم الله فيمن عنده، وما من رجُل يسلك طريقا يلتمس فيها علماً، إلّا سهلّ الله له طريقا إلى الجنّة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[1].

مكانة العلماء في السنة النبوية:

عن الحسين –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم في ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر**"[2].

فضل العلماء ومكانتهم العالية:

إن الفضل المذكور للعلماء في الأحاديث النبوية الشريفة إنّما هو للعاملين منهم الذين يقودون ويوجهون الناس إلى الحق ويبصرونهم بأمور دينهم ودنياهم[3].. فقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في فضل العلماء الصالحين والمصلحين أنهم: "**أُمناء الله على خلقه**"[4]. وقال: "**العلماء أُمناءُ أمتي**"[5].

وقال: "**فضل العالم على غيره كفضل النبيّ على أمّته**" [6]. ويشبّه الرسول الكريم مكانة العلماء وفضلهم بمكانة النجوم في السماء قائلا: "**إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدي بها في ظلمات البرّ والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تظلّ الهداة**"[7].

اهتمام النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتعليم:

لقد حثّ النبي –صلى الله عليه وسلم– على التعلّم، حتى يجعله فريضة لازمة حيث قال: عن "أنس بن مالك" –رضي لله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**"[8]، ولكن أي نوع من العلم الذي جعل الحديث طلبه فرضا على كل مسلم؟

---

[1] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، المصدر السابق، ص 20 .

[2] الكليني، الأصول من الكافي، جـ 1، المرجع السابق، ص 34.

[3] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 378.

[4] محمد الرّي شهري، ميزان الحكمة، باب فضل العلماء، جـ6، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، 1405هـ/1985م، ص 494.

[5] المرجع نفسه، ص 495.

[6] المرجع نفسه، ص 495.

[7] زين الدين العاملي، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، إعداد أحمد الحسيني، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص12.

[8] الكليني، الأصول في الكافي، (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه)، جـ 1، المرجع السابق، ص 31،.

قال "أبو طالب المكي": "هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام "بُني الإسلام على خمس..." لأن الواجب هذه الخمس، فيجب العلم بكيفية العمل فيها، وبكيفية الوجوب"[1].

فكل علم يتصل بالجوانب الخيرة لنفس الإنسان ويعود بالصلاح والسعادة الدنيوية والأخروية على البشرية فيكون هو ذلك العلم المطلوب تعلّمه وتعليمه في نظر الإسلام.

ولقد حرص النبي –صلى الله عليه وسلم– كل الحرص على نشر العلم والمعرفة، ما وجد إلى ذلك سبيلا. فكان –صلوات الله عليه– ، قدوة عمليّة لأمتّه فعندما جرت غزوة بدر الكبرى، ليلة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، وانتصر المسلمون فيها على المشركين وأسروا عددا هائلا منهم، أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كل أسير كاتب من المشركين، أن يعلّم عشرة من أبناء الصحابة القراءة والكتابة، وجعل التعليم فدية لهم، ووسيلة إلى تخليص رقابهم من الأسر[2]: وجاء في الطبقات الكبرى: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– "أسر يوم بدر سبعين أسيرًا وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلّمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه"[3].

وقد جاء في السنّة النبوية الكثير من النصوص التي تدعو إلى طلب العلم والمعرفة، حتى أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– أعلن أنّه لا خير في أحد من الناس إلّا كان عالماً أو متعلماً حيث قال: "**العالم والمتعلّم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس بعد**"[4]. وقوله: "**من يريد الله به خيراً يفقهه في الدين**"[5].

وهكذا جاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليقضي على الجهل والظلم فاتخذوا دار الأرقم التي ربىّ فيها قلّة من المؤمنين قوية بإيمانها عزيزة بكرامتها واستطاع بهذه القلة أن يكون هنالك فيما بعد أمة كبير تحمل الرسالة، وتقيم مبادئ الإسلام، وتنشأ حضارة ويتحقق بهم قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ...﴾[6].

أسس البناء العلمي والفكري للطفل:

وفي عملية البناء العلمي والفكري لابد من وضوح الأركان، والأسس التي يسير عليها الوالدين، لكي يضمنا لطفليهما البناء السليم، والعلم الغزير، والأفكار الصحيحة، لأن هذا البناء يُعدّ من أهم ما

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 1، المصدر السابق، ص 14.

[2] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 379.

[3] ابن السعد، الطبقات الكبرى، جـ 2، دار صادر، بيروت، لا ط، 1405هـ/1985م، ص 22.

[4] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، جـ1 المصدر السابق، ص 27.

[5] صحيح البخاري، متاب العلم، (باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)، رقم(81)، جـ 1، المصدر السابق، ص39.

[6] سورة آل عمران، جزء من الآية 110.

يُكوّن الطفل؛ لأنه بناء العقل، فإذا كان سليما كان الخير والبشرُ للوالدين، وإذا كان غير ذلك فقد أنجبا عدوًّا لهما من داخلهما، ويؤدي بهما إلى هاوية جهنم والعياذ بالله تعالى.

ويتبين لنا من هذه الأسس التي يقوم عليها البناء العلمي، أنها تعالج الطفل من داخله ليتجه نحو: العلم، والتعلم، وحب العلماء، كما تبين أهمية دور الوالدين في اختيار الأستاذ الناجح الصالح، الذي هو مرآة لقلب وعقل الطفل، فما يستحسنه المعلّم يستحسنه الطفل، لذلك لابد من معرفة هذه الأسس التي يحتاج إليها الوالدين، فما هي؟

الأساس العلمي الأول: حق الطفل في التعلم، وغرس حب العلم وآدابه في الطفل

وضع النبي –صلى الله عليه وسلم– قاعدة صلبة ومتينة بكسب مرحلة الطفولة في التعلم، وطلب العلم، تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل، فجعلت الآباء يحثون أبناءهم على طلب العلم وحبه، لأن: طلب العلم فريضة على كل مسلم[1]، سواء كان صغيراً أو كبيراً، رجلا أو امرأة، صبيا أو بنتاً، وهو أفضلُ العبادات التي يتقرب فيها العبد من ربه، لهذا كانت فترة الطفولة أخصب فترة في البناء العلمي والفكري للطفل.

فقد روى "الطبراني" عن "أبي الدرداء" –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء**"[2].

وما أحسن ما قال بعضهم، حيث ذكره "ابن عابدين" في حاشيته ثم قال: ومما أنشد نفطوَيْه لنفسه[3]:

أراني نسيت ما تعلمت في الكبر ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلّم إلّا بالتعلّم في الصبا وما الحلم إلّا بالتحلم في الكبر
وما العلم بعد الشيب إلّا تعسف غذا كُلَّ قلب المرء والسمع والبصر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا لأبصَرَ فيه العلم كالنقش في الحجر.

وقد أورد "السخاوي" في " المقاصد الحسنة "[4] عدداً من الأحاديث التي تؤدي هذا المعنى، منها:

ما رواه "أبو هريرة" –رضي الله عنه– مرفوعاً: "**من تعلّم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه، ومن تعلّمه في كبره فهو يفلت منه ولا يتركه، فله أجر مرتين**". رواه البيهقي، والديلمي، والحاكم.

وقال "ابن عباس": "**من قرأ القرآن قبل أن يحتلم، فهو ممن أوتي الحكم صبيا**".

---

[1] سنن ابن ماجة، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، (باب فضل العلماء والحث على طلب العلم)، رقم(224)، جـ1، المصدر السابق، ص81

[2] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ 1، المرجع السابق، ص 267.

[3] حاشية ابن عابدين، جـ 1، ط2، ص 157، وانظر السخاوي، المقاصد الحسنة، ص 461.

[4] انظر السخاوي، المقاصد الحسنة، رقم (660)، رواه ابن ماجة عن أنس رضي الله مرفوعا.

ولقد وعى الصحابة، والتابعون، وأصحاب الحديث أن تعلم الصغار له كبير الأثر في نشوء ونمو الطفل العلمي، ويجعله أقوى ثباتا، وأرسخ في الذاكرة مما يتعلمه الإنسان وهو كبير.

وقد أورد الخطيب "البغدادي"[1] طائفة من حياة السلف الصالح، واهتمامهم بالأطفال، فهذا الحسن يقول: قدّموا إلينا أحدائكم، فإنهم أفرغ قلوباً، وأحفظ لمَا سمعوا.

وكان "الحسن بن علي" –رضي الله عنهما– يقول لبنيه وبني أخنه: تعلّموا فإنكم صغار القوم اليومَ؛ تكونون كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب[2].

وكان "عطاء بن أبي رباح"[3] يقول للغلمان: "اكتبوا؛ فمن كان لا يُحسن كتبنا له، ومن لم يكن معه قرطاس، أعطيناه من عندنا" .

وكتب "بديع الزمان الهمداني" إلى ابن أخت له يحثه على الجد في طلب العلم، فقال: أنت ولدي مادُمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والقلم أليفك، والدفتر حليفك، فإن قصرت، وما إخالك، فغيري خالك، والسلام[4].

وذكر ابن عبد البر في كتابه: جامع بيان العلم وفضله (جـ 1/ص 103):

قال لقمان لابنه: يا بني، ما بلغت من حكمتك؟ قال: لا أتكلَّف ما لا يعنيني، قال: يا بني ! إنه قد بقي شيء آخر جالس العلماء، وزاحمهم بركبتك، فإن الله يُحيي القلوب الميتة بالحكمة، كما يُحيي الأرض الميتة بوابل من السماء[5] يا بُني! لا تتعلّم العلم لثلاث، ولا تدعه لثلاث.

لا تتعلمه: لتماري به، ولا تباهي به، ولا لتُرائي به.

ولا تدعه: زهادة فيه، ولا حياء من الناس، ولا رضا بالجهالة.

يا بني لا تجادل العلماء فتهون عليهم، ويرفضوك، ولا تُجادل السفهاء فيجهلوا عليك، ويشتموك، ولكن اصبرْ نفسك لمن هو فوقك في العلم، ولمن هو دونك؛ فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم، ولزمهم، واقتبس من علمهم في رفق.

يا بُني ! إن الحكمة أسكنت المساكين مجالس الملوك[6].

---

[1] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد رأفت سعيد، جـ 1، ص 245.

[2] الخطيب البغدادي، عن الكفاية في علم الرواية، ص 29.

[3] المحدث الفاصل، ص 3

[4] الشيخ محمد الخضر حسين، الهداية الإسلامية، ص 228.

[5] رواه الإمام مالك في الموطأ (161/2)، تنوير الحوالك بشرح موطأ للطفل، نقلا عن محمد سويد، منهج التربية النبوية للطفل، المرجع السابق، ص 258.

[6] شوكت الشطي، اللب في الإسلام والطب، ط 1، جامعة دمشق، ص 38.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه:"يا بُني ! تعلموا العلم، فإن كنتم وسطاً سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم"[1].

وذهب بعد ذلك الأدباء، والكتاب، والحكماء، والعلماء، كلهم ينصحون الأبناء، ويرشدون الأطفال إلى النهل من فترة الطفولة بالعلم، والمعرفة.

فهذا أحمد شوقي يدعو مرّبي الأمة، ومصلحيها إلى الاهتمام بتعليم الأطفال، والاعتناء بهم؛ ورعايتهم، لعلّ جيلاً منهم يفعل العجب العجاب، وينقذ الأمة من رقدتها:

فربّ صغير قوم علموه سما وحمى المسومة العُرابا
وكان لقومه نفعاً وفخراً ولو تركوه كان أذى وعابا
فعلّم ما استطعت لعل جيلاً سيأتي يحدث العجب العجابا[2].

حتى إذا ترسخ حبُّ العلم، وطلبه في نفس الطفل، وعقل، انطلق هو من تلقاء نفسه لطلبه، يتحمل الصعاب والمشقات في سبيله، وسهر الليالي في تحصيله، بدون إلحاح الوالدين.

الأساس العلمي الثاني: حفظ الطفل لقسم من القرآن والسنة

تقدم معنا في البناء العقدي للطفل أهمية القرآن والسنة في تكوين عقلية الطفل، وهما مصدرا إشعاع العلوم، ينيران العقل، ويقوياه، فعلى أقل تقدير يحفظ الطفل من القرآن الكريم الجزء الثلاثين –جزء عم– وعلى أقل تقدير يحفظ من الأحاديث النبوية أربيعين حديثا، لما فيهما من أحاديث تربوية للطفل تنهاه، وتوجّهه[3].

حيث كان الصحابة والسلف أن أول ما يلقنونه للطفل هو القرآن السُّنة؛ لأنهما الركنان الأساسيان في بناء الطفل علميا، ولهذا قال "ابن سينا" في كتاب "السياسة": فإذا تهيأ الصبي للتلقين، ووعي سمعه، أخذ في تعليم القرآن، وصورت له حروف الهجاء، ولُقّن معالم الدين[4].

وإليك نموذجا في حفظ الأطفال، واعتنائهم به كأساس علمي ينطلقون منه:

قال البخاري[5]: ألهمت حفظ الحديث، وأنا في الكُتّاب، قيل له: كم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين، أو أقل، ثم خرجت من الكُتّاب.

---

[1] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 258.

[2] أحمد شوقي: (1258–1351هـ/1842–1932م)، أمير شعراء العربية في العصر الحديث، وعلم من أعلام الشعر العربية في القرن 19 وبدايات القرن العشرين، ولد في القاهرة ونشأ منذ طفولته وعاش في سعة من الرزق ورغد في العيش بسبب صلته باسماعيل الخديوي، انظر الموسوعة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1416هـ/1996م، ص 273 – 274.

[3] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 258.

[4] ابن سينا، كتاب " السياسة" .

[5] انظر فيض الباري شرح صحيح البخاري، للعلامة الشيخ محمد أنور الكشميري، (33/1) .

وكان يجلس مع العلماء والشيوخ ابن إحدى عشرة سنة، ولما بلغ ست عشرة سنة حفظ كتاب ابن المبارك[1]، ووكيع[2]، وبعد ذلك بسنتين صنف كتاب: "قضايا الصحابة التابعين" ثم صنف "التاريخ" في المدينة عند قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم–، قال: "حاشد ابن إسماعيل"[3]:

كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه بعد ستة عشر يوما، فقال: قد أكثرتم عليّ، فاعرضوا عليّ ما كتبتن،فأخرجناه، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نُحْكم كُتُبنا من حفظه[4].

الأساس العلمي الثالث: اختيار المُدرّس الصالح، والمدرسة الصالحة للطفل

أولا: المدرس وأثر شخصيته في تكوين الطفل

يحتل التعليم أهمية ومكانة عظمى في المجتمعات الحديثة لأن التعليم كما يقول ابن خلدون في مقدمته: "التعليم ضروري وطبيعي في البشر .. لحاجة الإنسان إلى معرفة العلوم المختلفة التي لا تتيسر بالفهم والوعي فقط، بل لا تنال إلّا بملكة خاصة. والحصول على هذه الملكة في العلم والفن يكون بالتعليم. ولهذا كان السند في التعليم في كل علو أوضاعه إلى مشاهير المعلّمين فيها معتبراً عند أهل كل أفق وجيل"[5].

حيث يشير علماء النفس التربويون بأن التعديل هو "تعديل السلوك عن طريق كسب الخبرة"[6]. لأن التعليم ينمي الإدراك والسلوك ومن ثم يوجهها إلى الوجهة الصحيحة النافعة التي تخدم صالح الفرد والمجتمع.

فالتعليم قضية شاملة تضم تنظيم السلوك والعقل والجسم والوجدان. لذا يجب العناية في اختيار المدرّس الكفء لأن عملية التعليم تكون بين مُعط وآخذ.

---

(1) ابن المبارك:عبد الله بن المبارك المروزي(118هـ–181هـ) ولد بمدينة "مرو" وهي من مدن خراسان، نشأ في أسرة متواضعة، وهو عالم وإمام مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية، من أقواله:"ليس من الدنيا إلا قوت اليوم"، ومن كتبه "كتاب الزهد والرقائق"، انظر كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك، تحقيق أحمد فريد، ط1، دار المعراج الدولية، الرياض، 1995م، ص62 – 96

(2) وكيع:محمد بن حيان بن صدقة الضبي، أبو بكر الملقب بوكيع،قاض،باحث،عالم بالتاريخ والبلدان.ولّى بالأهواز وتوفي ببغداد(306هـ/918م)، له مصنّفات منها "أخبار القضاة وتواريخهم" و"الطريق" و"المكابيل و"الموازين"، انظر الأعلام، للزركلي، جـ6، المصدر السابق، ص347.

(3) حاشد ابن إسماعيل بن عيسى البخاري، توفي حوالي عام261هـ،أحد العلماء ومن رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة، كان ذا رحلة واسعة في طلب الحديث،وهو من أصحاب الإمام البخاري ومن أقرانه،انظر تذكرة الحفاظ للذهبي، جـ2، طبعة دار الكتب، ص110، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب للحنبلي، جـ3، طبعة دار ابن كثير، ص268

(4) محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 360.

(5) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 430.

(6) آرثر غيتس، وآخرون، علم النفس التربوي، جـ 2، المرجع السابق، ص 5.

والمدرّس الكفء يجب أن يتحلى بالصدق والأمانة والإخلاص مع الإيمان بعمله والثقة بنفسه، والتمكن من مادته وبالتالي يجعل من الطالب إنسانا واعيا قادراً على التفاعل مع نفسه مجتمعه والحياة بصدق ونجاح[1].

يقول "أحمد حسين عبيد": "يكاد يكون هنالك إجماع على أنّ المعلّم هو أهم عامل في العملية التربوية فالمعلم الجيّد حتى مع المناهج المختلفة يمكن أن يُحدث أثرا طيبا مع تلاميذه، وعن طريق الاتصال بالمعلّم، يتعلّم التلاميذ كيف يفكّرون وكيف يستفيدون ممّا تعلموه في سلوكهم. ومهما تطورت تكنولوجيا التربية واستعملنا وسائل مثل التلفزيون التعليمي فلن يأتي اليوم الذي نجد فيه شيئاً يعوّض تماماً عن وجود المّعلّم"[2].

إذن ليس هناك من تبعة أكثر من تبعة المعلّم في تشكيل شخصية الطفل إلّا تبعة الأبوين. فكثير ما يستلزم الحال من المعلّم أن يكون عمله تهذيبا خلُقيا وإرشاداً.

ولقد أشار "أرسطو طاليس" "Aristolle" بالمربين ودورهم فقال: "إنّ من يربي الأولاد بجودة ومهارة لأحق بالاحترام والإكرام من الذين ينجبونهم"[3].

فالطفل المجبول على التأمل وحب الإطلاع والتقليد والمحاكاة وشديد التأثير بالمخالطين له: فيقول أحد المرّبين في هذا المجال أنّ المحاكاة "ميل فطري في الإنسان يدعوه إلى تقليد غيره في أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته، قصداً أو عن غير قصد. فالطفل يُقلّد بطبيعته كل ما يحدث في البيئة التي تحيط به، حسنا كان أو قبيحاً، فهو يحاكي من لهم به صلة من حيث لا يشعر ولا يشعرون. ويتعلّم اللغة بمحاكاة من يعيشون به... وهو في العادة يحاكي الشيء المحبوب لديه. أمّا المقلَّد فيجب أن يكون نموذجا حسنا حتى لا يترك أثرا سيئا في الطفل"[4]. وبما أن المعلّم أقرب الناس بعد الوالدين إلى الأطفال لذلك كان تأثيره عظيما في عقولهم وبناء شخصيتهم، والتربية الحديثة لم تصل إلى مبدأ صحيح أفضل من اتخاذ القدوة الحسنة وسيلة إلى تحقيق أهداف التربية الخُلُقية والعقلية. والأطفال في رأي "ابن خلدون" ينبغي أن يؤخذوا بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يؤخذون بالنصح والإرشاد ويقتبس "ابن خلدون" هذا الرأي مما كتبه (عمر بن عتبة) إلى مؤدّب ولده حيث يقول: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم

---

[1] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 386.

[2] أحمد حسين عبيد، فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسات التربوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م، ص354.

[3] حنان غالب، التربية المتجددة وأركانها، مطبعة عيتاني الجديدة، بيروت، 1965 م، ص 353.

[4] جامد عبد القادر وآخرون، علم النفس التربوي، جـ 1، ط 4، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ/1965م، ص 162.

معقودة بعينيك فالحسن عندهم ماصنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علّمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيكرهوه...إلخ"[1].

فهذه الوصية تتناول إقرار مبدأ القدوة الحسنة في التربية... ولا يمكن لأحد أن ينكر ما للمدرّس الصالح الواعي لواجبه من الأثر الكبير في تربية الناشئة.

إن للقدوة دوراً هاما جدّا، وفعال في التربية والتعليم، والمعلّم بوصفه كثير الحضور والاتصال بطلابه فإنه أهم قدوة يمكن التأثير بها، "فمنه يكتسبون العادات الطيّبة، والاتجاهات السليمة، ومنه يستمدون حسن السلوك والتوازن فإن سيرته وهديه منفذان إلى أعماق قلوبهم"[2].

فالمدرس هو الخبير وهو القدوة الذي أقامه المجتمع لكي يحقق أغراضه التربوية، لأن التربية "إن لم تقم في حقل ملائم لا تثمر ولاتثمَّر، فالمعلّم والحقل والمتعلم وظائف مترابطة داخل الظاهرة الواحدة وفي عملية الإطلال على المستقبليات بعلومها ونسغها ورؤيتها"[3].

إذن فوجود المعلّم والمدرس المخلص قوي الشخصية في المدرسة غالبا ما يغيّر بيئتها وينهض بها. فيكون القوة والمثل الصالح لزملائه وتلاميذه. وهو في السنوات الأولى للطفل يمكنه أن يضع الأساس المتين ويغرس المبادئ والأخلاق الحسنة، وبهذا نتوصل إلى "أنّ للمدرس لأثر بالغ في التلميذ في علمه وأدبه وفي عمله مهارته وفي أخلاقه وتصرفات" [4].

ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الخليفة "هارون الرشيد" لمعلّم ولده محمد الأمين فقال: "يا أحمدُ إنّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وبصّره بمواقع الكلام ... ولا تمُرنّ بك ساعة إلّا وأنت مغتنم فرصة تفيده إيّاها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما– فعليك بالشدة والغلظة"[5].

ولقد كان الصحابة والسلف حريصين كل الحرص على اختيار المدرس الصالح لأطفالهم، وكانوا يعنون به عناية فائقة، ولهم ولع شديد به؛ لأنه هو المرآة التي يراها الطفل، فتنطبع في نفسه وعقله، وهو مصدر التلقي للطفل.

ومن شدة اهتمامهم به (أي المدرس) كانوا ينصحون أبناءهم في أخذ الأدب قبل العلم، وإذا ما تطلب الأمر الرحلة والسفر للوصول إلى المدرّس الصالح، فهذا حبيب إلى قلوبهم، سهل على نفوسهم،

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، جـ2، دار الفكر، بيروت، لا.ط، لا.ت، ص 243.

[2] باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، المرجع السابق، ص 176

[3] علي زيغور، التربية وعلم النفس الطفل في الذات العربية، المرجع السابق، ص 493.

[4] محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلسفتها، المرجع السابق، ص 295.

[5] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 541.

يتلقونه بصدر رحب بلا مشقة، أو أي صعوبة، وواضح أن الرحلة والسفر لها أعباؤها المالية على الأبوين، ولكن في سبيل بناء الطفل العلمي بشكل سليم، يهون عليهم كل مال، وكل غال ونفيس؛ ولهذا قال "ابن يسنا" في "كتاب السياسة": باب سياسة الرجل ولده: "فينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل، ذو دين، بصير برياضة الأخلاق، حاذق بتخريج الصبيان، وقور، رزين بعيد عن الخفة والسّخط، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، غير كز[1] ولا جامد، وأن يكون حلواً، لبيبا، ذا مروءة، ونظافة، ونزاهة"[2].

وروي أن "عتبة بن أبي سفيان" قال لمؤدب ولده: "يا عبد الصمد ! ليكن أول ما تبدأ به إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينيك، فالحَسَنُ عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلنهم كتاب الله، ولا تستكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفهم، وتهدّدهم بي، وأدّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلّا بعد معرفة الداء، وروّهم سير الملوك، وجنّبهم محادثة النساء، ولا تتكلّن على عذر مني، فإني اتكلت على كفاية منك، واستتزدني بزيادتك إياهم، أزدك إن شاء الله".[3]

ثم يؤكد "الماوردي" ضرورة، وأهمية اختيار المعلم، فيقول[4]: "ثم يجب أن يجتهد في اختيار المعلم، والمؤدب له اجتهاده في اختيار الوالدة، والظئر، بل أشد منه؛ فإن الولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق، والشمائل، والآداب، والعادات أكثر مما يأخذ من والده؛ لأن مجالسته له أكثر، ومدارسته معه أطول، والولد قد أمر حيث سلم إليه بالإقتداء به جملة، والائتمار له دفعة، وإذا كان هكذا فيجب ألا يقتصر من المعلم والمؤدب، على أن يكون قارئا للقرآن وحافظا للغة، أو راويا للشعر حتى يكون تقيا، ورعاً، عفيفا، ديّناً، فاضل الأخلاق، أديب النفس، نقي الجيب، عالماً بأخلاق الملوك وآدابهم، عارفا بجوامع أصول الدين والفقه، وافيا بما ذكرنا أنه يحتاج إلى أن يعلمه على الترتيب، فإن فاته شيء مما ذكرنا، فلا يفوته التقى، والدين، والفقه".

وقال "الترمذي" الحكيم رحمه الله: "صلاح الصبيان في المكتب، وصلاح قطاع الطريق في السجن، وصلاح النساء في البيوت"[5].

ثانيا: ما ينبغي أن يحظى به المعلم

لم ينل المعلّم اليوم حظه اللائق به ومكانته التي يجب أن يوضع فيها، رغم كفاءته وجدارته، مع العلم أننا جميعا ندرك أنه متى نال حظه وتقديره استطاع القيام بواجبه الذي لا يقتصر على إلقاء الدروس

---

(1) "الكز"، المنقبض واليابس، يقال: ذهب كزاً، أي: صلب جداً.

(2) ابن سبنا، كتاب السياسة، باب سياسية الرجل ولده، ص

(3) الماوردي، نصيحة الملوك، المرجع السابق، ص 172.

(4) المرجع نفسه، ص 170.

(5) الشعراني، الطبقات الكبرى، ص 91.

فحسب، بل العناية بتربية الطالب ورعايته سلوكيا وخُلُقيا ودينيا ووجدانيا، لذا يجب أن يحظى هذا المعلّم بالتقدير اللازم حيث جاءت الأحاديث بتوقير العلماء، وإكرامهم حتى بعد موتهم، عن "جابر بن عبد الله" "أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد (يعني في القبر) ثم يقول: "أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟" .فإذا أشير إلى أحدهما قدّمه في اللّحد[1]. وفي هذا التقدير رمز لتكريمه لفضل ما معه من قرآن، وعليه يجب العناية والاهتمام بشأن المعلّم وذلك بأن ينال حظّه من الدنيا، ويحصل ذلك بوضع سلم خاص بالمعلمين. وينبغي أن تكون منزلة المعلّم منزلة عالية، وأن ينظر إليه نظرة احترام وتقدير لأن المعلّم هو العنصر الفعّال في عملية التعليم، ويكفي المعلم شرفا وفضلا أنّ رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– سمى نفسه "معلّماً" حيث قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– "**إنّ الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلّماً ميسّراً** "[2].

ولهذا يجب الاهتمام بالمعلّم وتقديره ومنحه ما يستحقه من تقدير معنوي ومادي، لأن به يسمو ويعلو التعليم.

وفي هذا الشأن يقول "باقر القريشي": "إنّ الاهتمام بالمعلمين شأن من شؤون الحياة العامة في البلاد المتطورة فإنهم مركز التوجيه، ومصدر الانطلاق والنضوج العلمي في الأمة فلابد من العناية بهم، والتعاون معهم في جميع المجالات"[3].

المدرسة ومصادر المعرفة ومهمتها في تكوين الطالب:

يوجد مجالات متعددة للتعليم: فكل أجهزة الإعلام بأنواعها المختلفة، من مرئية ومسموعة ومقروءة وكذلك القراءة الحرة والمطالعة والتوجيه المنزلي كل ذلك يبين أن دور المدرسة في مجتمعاتنا هو الأقوى والأعمق أثراً.

أما "المدرسة كانت ولازالت وأغلب الظن أنها ستبقى موئل العلم وملاذ المعرفة ومكان البحث ومجال التطبيق... إذن فالمدرسة هي أداة التقدّم والتربية وهي المسؤولة عنه ودورهما أساس رئيسي في كل عملية تقدمية"[4]. يقول هذا من أحس بثقل المسؤولية الضخمة في إدارة المدرسة.

ويمكننا الآن أن نحدّد الاحتياجات الأساسية التي يأتي بها التلميذ إلى المدرسة في الآتي:

1- **احتياجات نفسية:** تتمثّل في شعور التلميذ أو المتعلم بالأمن والطمأنينة والتقدير وحرية التعبير والاستطلاع.

---

[1] صحيح البخاري، (باب من قتل من المسلمين يوم أُحُد)، جـ5، المصدر السابق، ص 227.

[2] صحيح مسلم، كتاب الطلاق، (باب بيان أنه تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلّا بالنية)، رقم(1478)، جـ2، المصدر السابق، ص1104.

[3] باقر القريشي، النظام التربوي في الإسلام، المرجع السابق، ص 111.

[4] فاخر عاقل، التربية قديمها وحديثها، المرجع السابق، ص 336.

2- **احتياجات اجتماعية:** "وتظهر في رغبة الطالب إلى الانتماء والمشاركة والتوافق الاجتماعي مع الجماعات التي يعيش فيها"[1] "ويتعلم بذلك أن يتعاون مع رفقائه في المجتمع... فعملية التطبيع الاجتماعي إذن عملية تكيّف من جانب الفرد للظروف والمواقف التي يبنيها المجتمع الذي يصبح الفرد عضواً فيه"[2].

3- **احتياجات تعليمية:** ويقصد بهذه الاحتياجات الرغبة في المعرفة واكتساب المهارات والخبرات التعليمية.

4- **احتياجات ترويجية:** "حيث يستطيع أن يمارس أنشطة وهوايات تقابل طاقاته وتكسبه مهارات ضرورية لحياته الاجتماعية والاقتصادية"[3].

فمهمة المدرسة تتمثل في أمرين: حمل الطالب على حب العلم، وذلك "اختيار المواد التي تلائم عقلية المتعلّم وتسدّ حاجاته ونبذ المواد التي يعسر عليه فهمها ويتعذّر هضمها، وتصنيف المواد وتدريجها من السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى المجهول، ومن المدركات الحسيّة إلى المدركات المجرّدة، وعلى هذا النحو تستطيع المدرسة أن تنجز ما تعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية"[4]. كما يتطلب من مواضيع المناهج أن تكون إسلامية دينية تربوية أخلاقية وثقافية وعلمية.

وأن تكون المدرسة وإدارتها ذات عناية واهتمام بالتلاميذ أو المتعلّمين، تراعي في التعليم "الفروق الفردية، وتحركه دوافع إيجابية داخلية، ويكون مبنيا على أهداف ومقاصد المتعلّم نفسه أو على أهداف يشترك هو في تعينها ويتبناها أهدافا خاصة له، كما يكون متنوع المواد، والوسائل والأساليب..."[5].

لذا وجب على المدرّس أن يتحلى بسمات القدوة الصالحة كالصبر والحُلُم والخُلُق لأن المدرسة توفّر لطلاّبها جميع أساليب الراحة والتعليم المفيد.

كما ينبغي أن تكون هناك علاقة بين تربية المنزل وتربية المدرسة "فإن البيت لا يفقد صفته التربوية، بل يظلّ محافظا عليها، يمد إلى المدرسة يد المعونة كلّما اقتضت الحاجة، فيكون الاثنان متكافلين متضامنين فيما يتعلق بتربية الولد"[6].

فينبغي أن نجعل المدرسة سعادة وموطنا يعلّم الطالب كيف يتعلّم، ونساعده على شق طريقه في الحياة وجعله يشعر بأنه قادر على المساهمة الإيجابية فيها وعلى الطالب أن يسير في تحصيله ومنهجه

---

(1) أحمد كمال أحمد وآخرون، المدرسة والمجتمع، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986 م، ص 19.

(2) محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، المرجع السابق، ص 85.

(3) أحمد كمال أحمد وآخرون، المدرسة والمجتمع، المرجع السابق، ص 19- 20.

(4) جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 302- 303.

(5) حنا غالب، التربية المتجددة وأركانها، المرجع السابق، ص 388.

(6) جورج شهلا وآخرون، المرجع السابق، ص 305.

باعتدال واتزان، حيث دعا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الشباب إلى الاعتدال حتى في العبادة وفي هذا المجال يقول: "**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**"[1].

المدارس الأجنبية وأخطارها:

لقد تسرب إلى البلاد الإسلامية نظام المدرسة المعاصرة الحديثة وهي على غرار ما هي عليه في أوروبا، مدرسة عصرية بنُظُم تعليمية مستوردة تبعد الطلاب على منهج الإسلام وشرعه. "وكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة، واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء، وشك وارتياب في الدين، واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر"[2].

وقال "طه حسين" وهو أحد قادة الفكر المعاصر بصدد المدارس الأجنبية: "لست أدعو إلى إغلاق المدارس والمعاهد الأجنبية، بل أنا بعيد عن ذلك كل البعد... ولكن الشيء الذي أدعو إليه، وألّح عليه، وأرى أن الواجب الوطني يفرضه على الحكومة والبرلمان فرضا وأرى أن التقصير فيه تقصير في ذات الوطن، وتفريط في حماية الاستقلال هو أن تراقب هذه المدارس مراقبة دقيقة"[3].

ويقول الإمام "محمد عبده": ينشىء الغربي المدارس للتعليم عندنا فينشأ الولد الصغير "ولا يحفظ عقائدهم (آباؤه وأسلافه الأولون) ولا هيئات أحوالهم... لقد انتفع الأجنبي بواسطة تلك الأداة فمرق وجذب إليه، وأدخل أنماطا في التفكير والاستهلاك والسلوك، فالمدارس الأجنبية تأثيرها مُضر، وتاريخها ضار... بؤرة تخدم الدولة التي تغذيها ومنجما غنيا بالمفرّق والجارح والمتوجه صوب الخارج"[4].

وفي هذا الصدد يقول عبد الحفيظ نور سويد: لقد شن اليوم أعداء الإسلام حملةً حاقدة، ورفعوا لواءً إلحاديا لئيما في تدمير الطفل المسلم، فاختاروا له المعلّم الكافر والفاسق، وهيئوا له مدرسة عصرية تبعده عن منهج الله وشرعه، وما هذا إلّا لجهل المسلمين، وهو دليل أكيد على غفلتهم، وهذا الذي نقوله ليس كلاماً جُزافاً، وإنّما الواقع الذي نعيشه اليوم، وما صرح به أولئك الغزاة المعتدون الآثمون خير دليل، وإليك بعض خططهم[5]:

فهذا القس "صموئيل زويمر" ينشر في كتابه "مهد الإسلام" خداعه للأطفال المسلمين، فيقول: التعليم المدرسي، والتربية الأخلاقية الغربية قد أسفرا عن نتائج جمّة، وأثمرا ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين على السواء، لقد استطعت أن أجمع التلاميذ المسلمين مرة، وأضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة

---

[1] سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية منهج التربية النبوية، المرجع السابق، ص 392.

[2] أبو الحسن النووي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1410هـ/1990م، ص 9.

[3] طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، جـ 1، 1938م، ص 78– 79.

[4] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 362– 363.

[5] المرجع نفسه، ص 363.

الأرضية، ثم حولت عليها نوراً قويا، وأقنعتهم بذلك الأمر بالصيام لشهر رمضان ليس آتيا من عند الله؛ لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد[1].

ولم يكتف هذا المجرم الحاقد اللئيم –والأكثر إجراماً الآباء الذين يرسلون أطفالهم لمثل هؤلاء– بهذا، بل عقد مؤتمراً لمجموعة المبشرين المنتشرين في البلاد الإسلامية في مدينة القدس عام (1935) في جبل الزيتون، فبعد أن استمع إلى مشاكلهم التي يلاقونها في البلاد الإسلامية، وصعوبة عملهم الشاق أمام العقيدة الإسلامية ، وقفَ يبيَّن لهم أهدافهم في تضليل عقل وفكر الطفل المسلم، فقال:

إنكم أعددتم نشأً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء الناشئ الإسلامي طبقا لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همّه في دنياه إلّا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، وإنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات[2]، وإذا علمت أن كلام القس هذا في عام (1935) فما بالك الآن بعد مضي خمسين سنة؟ !

أما المستشرق الحاقد "جيب" الذي هو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وهذا من عجائب البلاد الإسلامية الغافلة الجاهلة، فيقول في مقدمة كتاب: "إلى أين يسير الإسلام؟":

لقد استطاع النشاط التعليمي، والثقافي عن طريق المدارس العصرية، والصحافة أن يترك في المسلمين –ولومن غير وعي منهم– أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حدّ بعيد، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللبّ المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار[3].

فالواقع أن الإسلام كعقيدة وإن لم يفتقد إلّا قليلا من أهميته، وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه[4].

فما بال المسلم الذي يهبه الله ولداً ليسلك به هداية، ويعده لأن يكون عضواً يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أُسّست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة الإسلامية، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يقال لها: جمعيات التبشير.

فالذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، ولا تكزن جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد... ألم يقم الدليل إثر الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية، ويحملونهم على تقاليدها، ويتعرضون للطعن في شريعة الإسلام

---

[1] مقتبس من كتاب " الغارة على العالم الإسلامي "، نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 363.

[2] عبد الله التل، جذور البلاء، .

[3] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 364.

[4] سعيد رمضان البوطي، تجربة التربية الإسلامية، .

بطرق شأنها أن تؤثر على الأطفال، ومن هم في منزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفة تقيهم من شرّ ذلك الإغواء؟!

وليس الذي يزّج بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفسا واحدة، ولكنه يقتل خلقا كثيرا، ويجني بعد هذا على الأمة بأجمعها، فقد يصير هذا الولد أستاذاً من بعد، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم، ووطنيتهم، كما أفسد عليه أولئك القسس أمر دينه، ووطنيته.

إذن قد ينال الطالب في هذه المدارس علماً، وليس هذا العلم في جانب ما يخسره من دينه، وما يفوته من الإخلاص لأمته بالشيء الذي يثقل وزنه، ولكنها الأهواء التي أخذت القلوب، فتبعث الرجل على أن يأخذ بيد ابنه، وهو كالملاك طهراً وطيبةً، ويقوده إلى حيث يشهد ازدراء قومه، والطعن في دينه، فلا يلبث أن ينقلب ذلك الطهر رجساً، وذلك الطيب خُبثا، وتكون العاقبة ما نسمعه عن كثير من المتخرجين من هذه المدارس، وما نرى[1].

ولا نكثر من الإنكار واللوم على هؤلاء القسس، ولا على القائمين بشؤون هذه المدارس وحدهم؛ فهؤلاء يقضون حاجة في نفوسهم، أو ينفذون خطة رسمت لهم، نلوم أشد اللوم إخواننا المسلمين الذين يقذفون أبناءهم في بيئة ليست بيئتهم، ولا يخرجون منها إلّا وقد غشي نفوسهم ظلال من فوقه ظلال، ومن فوقه دنس أخلاق رذيلة... الخ.

فما هو الحل إذن؟

فالحل لهذه المشكلة يكون بالدعوة إلى بناء نظام حيث يقول الإمام "النووي": "إن البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع والسبك والترتيب، لا يخلو كتاب من كتبه، من أبسط كتاب يعلّم مبادئ اللغة المحلية إلى آخر كتاب في العلوم أو الآداب الانجليزية لا يخلو من روح الدين والإيمان"[2].

فالمدرسة التي لا تغرس الإيمان في نفوس طلابها، فإنها لا تخرّج إلّا أجيالا متناقضة حائرة... لأن المدرسة تعد من إحدى العوامل التربوية العاملة على تكوين الطفل، وبناء شخصيته وتربيته، فإن حسنت مقاصدها، وسلمت مناهجها وأشرف على إدارتها ورعايتها مرّبون مخلصون فإنها بلا شك سوف تثمر عن جيل واع مؤمن بمبادئ وأهداف أمّته. "إنّ الناشئ الصغير شأنه كشأن النبتة الرخصة – يحتاج إلى الحماية والرعاية حتى يتم نضجه ويقسو عوده، ويصير قادراً على مجابهة مفاسد المجتمع، ولذا فإن من واجب المدرسة أن تقيه شرّ هذه المفاسد، وتخلق له جوّاً مشبعا بالفضيلة والتقوى"[3].

فلنعلّم أبناءنا في مدارس إسلامية واعية تسير على منهج الإسلام وتعاليمه.

---

[1] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 364- 365.

[2] أبو الحسن النووي، التربية الإسلامية الحرة، المرجع السابق، ص 11.

[3] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 303.

الأساس العلمي الرابع: إتقان الطفل اللغة العربية

تعتبر اللغة العربية مفتاح العلوم كلها، ولكما قوي الطفل باللغة كانت سببا في قوته فيما بعد لأي علم من العلوم رغب في تعلّمه، وأحبّ أن يكسبه، واللغة العربية لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، رغّب في تعليمها النبي –صلى الله عليه وسلم– واهتم بنشوء الأطفال وقد أتقنوها، ومن شدة اهتمامه بها يقبل فداء أسرى بدر[1] بتعليم كتابتها، وقراءتها لأطفال المسلمين، فكان كل أسير يفدي نفسه بتعليم عشرة من صبيان الصحابة اللغة العربية، وإتقانها.

فهذا "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه– يمرّ على صبيّة يرمون بالنبال[2]، فيخطئ أحدهم في كلامه، فينصب المرفوع فيقول: يا أمير المؤمنين! إننا قوم متعلمين، فغضب عمر لهذا الخطأ، ويقول: والله! إن خطأكم في رميكم، أحبّ إليّ من خطئكم في لغتكم.

ولمّا كثر خطأ أطفال المسلمين في قواعد اللغة العربية، تنبه لذلك "علي بن أبي طالب" –رضي الله عنه– وخاطب العلماء بتقعيد القواعد، وتعليمها للأطفال، خشية من استفحال عجمة اللسان:

فقد روي أن ابنة "أبي الأسود الدؤلي" قالت له ذات يوم: ما أحسنُ السماء؟ فقال نجومُها، فقالت: ما أردت ذلك، وإنما أردت التعجب بعظمة السماء، وليس السؤال عما فيها، فكان عليها أن تقول: ما أحسنَ ! فتوجه أبو الأسود للإمام "علي" –كرم الله وجهه–، وأخبره بذلك، فرفع الإمام له أوراقا، وطلب منه تقعيد قواعد النحو.

وانطلق السلف الصالح في نصح الأطفال –طلبة العلم– بالاهتمام باللغة العربية؛ لأنها مفتاح العلوم الأخرى كافة.

وقد كانت نشأة الإمام "الشافعي" –رحمه الله– وهو صغير، يتعلم من القبائل العربية حيث رحل إليها، وعاش معها؛ ولهذا كان فصيح اللسان، وعمدة اللغة العربية بين العلماء.

ويوصي "ابن سينا" في كتابه "السياسة" باب: سياسة الرجل ولده، بما يلي: "وينبغي أن يحفظ الرجز، ثم العقيدة؛ لأن رواية الرجز، وحفظه أيسر، إذ أن بيوته أقصر، ووزنه أخف على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب، ومدح العلم، وذم الجهل، وما حثّ منه على برّ الوالدين، واصطناع المعروف، وقري الضيف، فإذا فزع الصبي من حفظ القرآن، وألّم بأصول اللغة، نظر عندئذ إلى ما يلائم طبيعته، واستعداده"[3].

أما "أبو الحسن الماوردي"، فينبه إلى أهمية تعليم الطفل اللغة العربية وإجادتها، فيقول:

---

[1] السهيلي، الروض الأنف، جـ 2، ص 92، وطبقات ابن سعد، قسم 1، جـ 2، ص14، والتراتيب الإدارية للكتاني، جـ1، ص49

[2] سعيد الأفغاني، أصول النحو، ص 254، ورواه العسكري، شرح المواهب، ص 314.

[3] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 368.

"فإذا بلغ التأدب، والتعليم، فالوجه أن يبدأ بتعليم القرآن مع اللغة العربية، لأنها اللغة التي انزل الله بها كتابه، وخاطب بها في شرائع دينه، وفرائض ملته، وبها بلغ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سُنته، وبها ألفت الكتب الدينية، والحكيمة، والجدية، والهزلية، وبها تكتب رسائلهم، والصكوك التي جعلها الله وثائق بينهم، فلابد للناشئ في هذه الملة من تعلمها، وإلّا كان جاهلا بالدين، منقوصاً في الملل"[1].

مع أن لهذه اللغة من الفضيلة ما ليس للغة من اللغات من الفصاحة، والبيان، والطلاوة على اللسان، والحلاوة في السماع والأذان، وكثرة التصاريف، واحتمال المقاييس النحوية، وسعة الألفاظ، ووسط الحروف بين القلة والكثرة، وأشباه هذه الخصال ما لو تعلمت تجملاً، واستفيدت تأدباً، لكانت لذلك موضعاً؛ ولهذا كان الملوك العجم يتعلمونها، فإن كثيراً منهم يستعملها في أوقات حَفْلَته، ومجالس زينته.

ويؤكد "الماوردي" رأي "ابن سينا" في تعلم الأخفّ من اللغة بقوله:

والوجه في تعليم اللغة: أن يقتصد إلى الأخف فالأخف من كتبها، والأسهل فالأسهل من مؤلفاتها، ومصنفاتها، وألاّ يشغل الأولاد بالغريب والوحشي، والنادر الأجنبي، ولا بدقائق النحو، ودواوين العروض، فإن ذلك مما يشغله عن المعاني، وإنما تتعلم الألفاظ قصداً إلى معرفتها، فإذا أفنى الإنسان عمره في تعلم الألفاظ فاتته المعاني، إلّا أن يكون ذلك لمن يجعله صناعة، مثل الأدباء، والمؤدبين، والمعلمين من النحويين، ويحتاج في الاستعانة على تعلم اللغة إلى رواية أشعار العرب، وأيامها، وأخبارها، والصواب في تدبير ذلك: أن تروى له، ويعلّم، ويحفظ الأشعار الحكيمة التي ضمت الحكمة، والتوحيد، والدين، والبعث على العلم، والزهد، والشجاعة، والجود، ومكارم الأخلاق، لينشأ على معرفة الفضائل، ومحبة نيل الممادح نشوءاً، ويعتادها عادة، فيجتمع له في ذلك فائدة الفصاحة، والبيان، ومعرفة المبتذل من الكلام، وكثير من الغريب، والوقوف على المعاني الفاضلة[2].

إذن فالمفيد والاهم من تعلم اللغة ليس تعلّم وحفظ عدداً أكبر من الألفاظ للتباهي أمام الناس ولكن المهم هو تعلّم المعاني والمفاهيم للكلمة، حتى لا يضيع عمر الإنسان في جمع الألفاظ وتعلمها كذلك. ومن المهم أيضا أن يتعلّم الإنسان الأشعار التي تتضمن الحكم، والدين، ومكارم الأخلاق، والفضائل، لينشأ على محبة نيل محاسن الأخلاق وممادحها، ويعتادها، فيكون بذلك قد تعلّم الفصاحة، والبيان، وتعرف على المبتذل من الكلام، والمعاني الفاضلة.

وهكذا نجد أن "للغة خمس وظائف هي:1– اللغة أداة للتعبير عن النفس. 2– أداة لتحصيل العلم وتوسيع الاختبار. 3– أداة للتفكير. 4– أداة للاتصال والتفاهم. 5– أداة لتوثيق الروابط القومية "[3].

ولقد اهتمت التربية الإسلامية باللغة العربية وآدابها لكونها لغة القرآن الكريم، حيث كان هذا الأخير صاحب الفضل العظيم في انتشار التعليم بين المسلمين فأقبلوا على دراسة اللغة العربية بشغف

---

[1] عبد الحفيظ نور سويد، المرجع السابق، ص368.

[2] الماوردي، نصيحة الملوك، المرجع السابق، ص 168.

[3] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 142– 146.

لترشدهم لقراءة القرآن وفهمه. كما اهتمت التربية الإسلامية بها لحيويتها وقدرتها في وظائفها وأهدافها التعليمية والتربوية لأنها تمتاز بسيمات قلّ ما نجدها في اللغات الأخرى ممّا جعلها مركز اهتمام المرّبين والقائمين على العملية التربوية، حيث تقول في هذا الصدد عائشة غلوم:

"إنّ لغتنا العربية لغة عبقرية، ولها من الخصائص ما جعلها لغة حيّة قوية، وقبل ذلك لا ننسى أنها لغة القرآن الكريم، وهذا الجانب هو الذي حفظ لها ذاتها ومنحها الحياة والخلود على مر العصور... وللغة العربية منطلقات معينة وسمات فريدة تتميّز بها عن غيرها من اللغات ممّا يجعلها تلقى اهتماما متواصلاً وعناية باللغة من جانب المربّين... وتزايد الاهتمام بها والعمل على تطوير مناهجها وبرامجها كلّما اتسعت مجالات البحوث والدراسات اللغوية والتربوية، وكلّما وقف المختصّون على الجديد ممّا يمكن أن تفيد منه مناهج اللغة العربية في بنائها وطرق توظيفها"[1].

وبما أن اللغة العربية لغة القرآن فقد حثّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على تعليمها وحثّ الأطفال على الاهتمام بها، وبهذا تصبح الوظيفة الأولى للأسرة اتجاه الطفل هي تعليمه اللغة التي يتواصل بها مع الناس انطلاقا من أفراد أسرته، لأن الطفل في نشأته الأولى لا يعرف من أمر اللغة شيئا.

ومادام الغرض والهدف الرئيسي من القراءة هو اقتباس الأفكار عن اللغة المكتوبة، كذلك الغرض من الاستماع هو اقتباس الأفكار عن اللغة المحلية، وبما أنه من الصعب على أبنائنا الإصغاء التام للمدّرس أو المرّبي وغيرهم، فبالتالي يتعذر عليهم فهم واستيعاب ما يُصغون إليه إن هم لم يألفوا ويتقنوا ويجبوا الرموز اللغوية لأهميتها "إنّ ظهور الرموز اللغوية قد أدى إلى زيادة الفهم المشترك واتساعه وعمقه وأتاح الإمكانيات الكثيرة للتعامل والاتصال بين الأفراد، والأفراد والجماعات"[2].

وعليه فعلى المرّبين والمدرسين وإدارة التدريس أن يتكلموا مع الطلاب باللغة الفصحى لا اللغة العامية، حتى يألف الطالب هذه اللغة بجميع مفرداتها وتراكيبها واصطلاحاتها وقواعدها على أتم وجه ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلّا بالتمرين والتعليم المتواصل، ونرجع ونقول بأن الناشئ أو الطالب إذا اعتاد على سماع اللغة العربية فإنه سوف يألفها وسوف يتكلم بها دون صعوبة، حيث قال أحد المرّبين بهذا المعنى: "يجب أن نجعل اللغة الفصيحة سليقة في الطالب، بأن تصبح آلة تفكيره ووسيلة تعبيره على البديهة، وعلينا أن نذكر أن طلاقة اللسان تكتسب بصورة آلية ودون شعور، ولذا يجب أن تكون اللغة التي يستعملها المعلّمون في جميع الدروس صحيحة"[3].

وهذا الإمام "الشافعي" –رضي الله عنه– قد عنيت أمه بتربيته وتعليمه وتوجيهه حتى بلغ القمّة بعد وفاة أبيه عقب ولادته، وصار منارة للأمة، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وذلك لأنه تعلّم اللغة

---

[1] عائشة عبد الله غلوم، قواعد اللغة العربية، أهميتها ومشكلاتها وتعلمها؟" " التربية المستمرة "، عدد أكتوبر 1962، ص 6.

[2] محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، المرجع السابق، ص 124.

[3] جورج شهلا وآخرون، المرجع السابق، ص 58.

الفصحى في قبيلة بني هلال في البادية، ودرس الأدب، وقرض الشعر، وتعلّم الرماية "كان أعدّ نفسه للغة والأدب ورواية الشعر وقوله، فقد لزم قبيلة هذيل في البداية لسنوات غير قليلة حتى حفظ أشعارهم وروى أخبارهم"[1].

الأساس العلمي الخامس: إتقان الطفل اللغة الأجنبية

وبعد أن يُتقن الطفل اللغة العربية بشكل جيد، ويحفظ شيئا من القرآن والحديث، فلا بأس بإتقان لغة أجنبية سائدة، وذلك لتكوين جيل مسلم يستطيع كشف خطط الأعداء، ويؤمن مكرهم، وينقل العلوم المادية البحتة إلى المسلمين، وهذا ما فعلاه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أول ما وصل المدينة المنورة مهاجراً من مكة:

فقد روى "أبو يعلى"، و"ابن عساكر" عن "زيد بن ثابت" –رضي الله عنه– قال: أتى بي النبي – صلى الله عليه وسلم– مقدمة المدينة، فقالوا: يا رسول الله ! هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأعجبه ذلك، قال: "**يا زيد ! تعلّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا كتب، وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه**"[2]. وعندهما أيضا ابن "أبي داود" عن "زيد" قال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أتحسن السريانية؟! فإنها تأتيني كتب؟" قلت: لا، قال: "فتعلمها"[3]. فتعلمتها في سبعة عشر يوماً.

وعلى هذا سار السلف في تعليمهم الأطفال، بالإضافة إلى اللغة العربية لغة أجنبية أخرى.

الأساس العلمي السادس: توجيه الطفل وفق ميوله العلمية

يعتبر الوالدان المدرسة التربوية الأولى التي يتلقن فيها الطفل مبادئ التربية في مجالات الحياة والعلم وهما مكلفان بتعليم الطفل حسب مقتضيات فهمه وقدراته واستعداده وميوله، فمحيط الأسرة مدرسة تستطيع أن تنمي في الطفل المواهب الكامنة والقدرات والميول في نفس الطفل.

إن الأساليب التربوية الحكيمة التي اتخذها الرسول الأعظم مع الإمام "علي": قد أحيت جميع مواهبه الكامنة وقدراته الكبيرة منذ طفولته حتى أوصلته في مدة قصيرة إلى أعلى مراتب الكمال والعلم والبلاغة وهذا الإمام يفتخر بالتربية التي تلّقاها في كنف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أيام طفولته فيقول: "وقد علمتم موضعي من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وأنا ولدٌ يضُمنّي إلى صدره، وكنفني إلى فراشه... ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه. يرفعُ لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به"[4].

---

[1] مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 39.

[2] رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه أحمد والفاكهي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (187).

[3] رواه أحمد والحاكم، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (187).

[4] محمد عبده، نهج البلاغة، جـ 2، المرجع السابق، ص 157.

ولا شك في أنه يوجد في داخل بعض الأطفال من المواهب الخاصة ما ليس موجودا عند باقي الأطفال، "والحق أن مراقبة الطفل الفطرية ودراستها، ومعرفتها معرفة تامة، من الأهمية ما لا ينبغي تجاهله... فإذا عرفت ميول الطفل تسنى لنا أن نبني تربيته على أساس مبين، فنشجع الحسن، ونقضي على القبيح"[1].

لذا يجب أن نعطي فرصة للطفل للاختيار في مجال التعليم بما يتناسب مع رغبته وقدراته وميوله دون أن يفرض عليه علم معين. يقول أحد التربويون: "إن الغرض من التربية هو تنمية ميول متعددة النواحي في نفس المتربي" .

وهناك حقيقة لا يمكن الجدال فيها تلك هي: أن الأطفال والمتعلمين يختلفون في ميولهم واستعداداتهم الطبيعية المكتسبة باختلاف بيئاتهم والأسس التي ينتمون إليها.... بالإضافة إلى ذلك نرى أن معرفة ميول التلاميذ تساعد المرّبين –ولاسيما– المدّرسين على السلوك معهم مسلكاً طبيعياً بالاتجاه إلى غرائزهم وإيقاظ ميولهم الطبيعي، وربط ما لا يميلون إليه بطبيعتهم[2].

فلنجعل أساس التربية والتعليم مراعاة ميول الأطفال واستعداداتهم ومراعاة الفروق الفردية بينهم. يقول "حنا غالب": ما من تلميذين يستجيبان لمؤثرات ظرف تعليمي معين الاستجابة نفسها، بل يسلك كل منهما سلوكاً فريداً خاصا به، نتيجة للفروق الفردية القائمة بينهما في الوراثة، والبلوغ الجسدي، والذكاء، والمهارات الفصلية والعقلية، والحالة الصحية، والخبرات السابقة، وللمواقف اللاحقة، وللحركات النفسية، والدوافع والأذواق[3].

وأيضا السبب في معرفة مراعاة وقدرات وميول الأطفال والفروق الفردية حتى لا يرهقوا بأعمال يصعب عليهم أداؤها لأنها لا تتوافق مع رغباتهم.

"فينبغي لدور المعلّمين أن تمهد لمعلمي المستقبل فهم الولد ودراسة ميوله وحاجاته، فإن مهمتهم التربوية تتطلب قدرة على معالجة المتعلّم... يفهمون أن كل ولد فريد في شخصيته، فيحاولون معرفته من حيث فوارقه الفردية"[4].

لذا قررت التربية الإسلامية أنه إذا أرهق الطفل بالتعليم مات قلبه وبطل ذكاؤه، لذلك ينبغي على المعلّم ألّا يثقل على التلاميذ وأن يلقي عليهم مالا تحتمله عقولهم.

يقول "ابن خلدون": "وإذا ألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له، كلّ ذهنه، وحسب ذلك في صعوبة العلم في نفسه. فتكاسل عنه وانحرف عن

---

[1] حامد عبد القادر وآخرون، علم النفس التربوي، جـ 1، المرجع السابق، ص 242– 243.

[2] المرجع نفسه، جـ 1، ص 242– 243.

[3] حنا غالب، التربية المتجددة وأركانها، المرجع السابق، ص 451.

[4] جورج شهلا وآخرين، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 345.

قبوله وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم"[1].

وكان معلّم البشرية الأول خير المراعين لهذا الجانب، نظراً وتطبيقاً فيقول –صلى الله عليه وسلم–: "**نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**"[2]. لذا نجده –عليه الصلاة والسلام– يعامل الأعراب القادمين من البادية بما لا يعامل به أصحابه الذين ربّوا في حجرة النبوة.

وقد نبّه المربون المسلمون إلى ضرورة مراعاة ميول الطفل وقدراته في تحديد مستقبله واختيار المهنة التي توافق استعداداته. فقال "ابن سينا" ينبغي "أن يعلم مدبّر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مؤاتية لكن ماشاكله طبعه وناسبهُ"[3]. ولذلك ينبغي لولي الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع لصبي وسر قريحته، ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعات بحسب ذلك.

وهذا "الشعبي"[4]: لقي "أبي حنيفة" وهو صبي، فلما تفرّس في وجهه سأله: ماذا تعمل؟ فأجاب "أبو حنيفة": أتعلّمُ التجارة، فقال له "الشعبي": عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة. فاتجه "أبو حنيفة" إلى طلب العلم، وجمع بينه وبين التجارة.

لهذا اهتمت معظم الدراسات التي أجريت على التحصيل الدراسي لأن الطالب الذي يلحق بنوع من الدراسة لا يميل إليه عادة ما ينخفض تحصيله ويزيد احتمال فشله. وهذا يضع المعلمين والآباء أمام مسؤولية وضع ميل الطالب في الاعتبار عند تقرير مستقبله التعليمي[5].

حيث يقول "حنا غالب": "لا يجوز لأي معلّم كان أن يُعلّم جماعة من الأولاد كأنما هم نظراء متشابهون متساوون. فما يحرّك رغبة ولد في الدرس قد ينفر فيه آخر، والوظيفة الدراسية التي تناسب زيداً، قد تكون أصعب وأسهل مما يناسب عمراً، رغم تشابههما في السّن، أو الصف، أو الجنس البيولوجي، أو الحجم، أو درجة الذكاء، أو مستوى التحصيل"[6].

إذ يوجد الآن عدد من الاختبارات يمكن عن طريقها التعرّف على ميول الأفراد حتى يمكن وضع هذه الميول في الاعتبار عند توجيه الطلاب لأنواع التعليم المختلفة بكافة مستوياتها.

---

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 534.

(2) الغزالي، كتاب قواعد العقائد، (باب مسألة الحقيقة والشريعة)، تحقيق موسى محمد علي، ط2، عالم الكتب، لبنان، 1405هـ/1975م، ص113.

(3) لويس شيخو وآخرين، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى، المرجع السابق، ص 14.

(4) الشعبي، هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي، ينسب إلى شعب بطن من همدان، يعد من كبار التابعين، وكان فقيها وشاعراً. روى عن خمسين ومائة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مات فجأة بالكوفة سنة 104هـ. انظر: عباس القمي، الكنى والألقاب، جـ 2، ط 2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 361 – 362.

(5) سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص402.

(6) حنا غالب، المرجع السابق، ص452.

ولقد ترتب على اكتشاف القدرات العقلية في التربية الحديثة: "آثار تربوية تمثّلت في التوجيه التعليمي والتربوي، المبني على التوجيه النفسي، وهو وضع الطالب في التعليم المناسب الذي تؤهله له قدراته واستعداداته ويمكن عن طريق التوجيه التربوي الإسهام في مشكلة مواجهة الفروق الفردية، وذلك عن طريق إعداد برامج تتفق مع قدرات التلميذ وميوله"[1].

الأساس العلمي السابع: المكتبة المنزلية الصالحة وأثرها في بناء الطفل

لكي يتعلم الطفل القرآن، والحديث، واللغة فلابدّ من احتواء البيت على مكتبة إسلامية علمية يشبُّ عليها، وينهلُ منها.

فوجود مكتبة في البيت يساهم بشكل كبير في بناء المادة الفكرية والعلمية للأبناء، والسبب في ذلك يرجع إلى أهمية الكتاب والاستفادة منه حيث يقول الإمام "الشافعي"–رضي الله عنه–: "من تفقه من بطون الكتب ضيّع الأحكام، وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية تشيخ الصحيفة أي الذين تعلموا من الصحف"[2]. ونظرا لأهمية الكتب عند المسلمين وأثرها في الحركة العلمية التربوية، حرص العلماء والزائرون على حمل أكبر قدر منها مما يستطيعون نسخه إلى بلادهم ليراجعوها ويدرسوها ويعلّقوا عليها ثم يتدارسونها مع طلابهم[3].

لذا فإن وجود الكتب المختلفة والمتنوعة في المكتبة تشكل الدعامة الأولى للمعرفة لما تقدم لهم من مناهل الثقافة، وتهديهم إلى مصادر المعرفة في أقصر وقت وبأيسر جهد، ولهذا نقول إن المكتبة تشكلّ جزءاً أساسيا من أركان البيت لأغراضها المختلفة والمتعددة والسؤال ما هي أغراض المكتبة؟

الجواب:

أولاً: للمكتبة **غرض تعليمي:** حيث تشجع الكبار والصغار على التعليم وتمكّن الأبناء من الحصول على المراجع التي تقوي موضوعات دراستهم.

ثانيا: غرض ثقافي: فهي تقدم للأبناء المعلومات العامة للاستزادة من المعرفة والثقافة العامة. "ولذلك فكثير من الأسر التي لا توفّر أجواء المطالعة والمكتبة يُعاني أبناؤها من الفقر الفكري، ولذلك فإن بيوت العلماء والمفكرين تخرج علماء ومفكّرين، في حين بيوت الصنّاع تخرج الصنّاع، فالجو العام في البيت له تأثيره الكبير في بناء الفكر المطلوب للأبناء والأجيال اللاحقة بشكل متكامل"[4]. وهذا ما يحصل غالبا.

ثالثا: ملئ أوقات الفراغ: إن وجود مكتبة في البيت تعمل على الانتفاع الجدي بأوقات الفراغ للأبناء بدلاً من تبديدها في اللهو واللعب وارتياد الجلوس في الطرقات يقول "الحسين" –رضي الله عنه:

---

(1) إبراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، ط 1، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1979 م، ص 174.

(2) ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم، المصدر السابق، ص 187.

(3) محمد منير سعد الدين، دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين، المرجع السابق، ص 226.

(4) عبد الله احمد، بناء الأسرة الفاضلة، المرجع السابق، ص 27.

"احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها"، وقال أيضا: "اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإن متّ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم"[1].

فعلى المرّبي أن يضع بين يدي الأبناء مكتبة تحتوي على كتب تفي بمطالب المطالعين والتي تُلبي رغباتهم في الاطلاع، على جميع الحقائق والتوسع في المعلومات أو ابتغاء المتعة بآثار الأدب، وتكون هذه المكتبة حسب ميول الأبناء، فمن سن السادسة إلى الحادية عشر تكون قصص خرافية أو رمزية على ألسنة الحيوان والطير، وقصص فكاهية، أو قصص واقعية من الحياة، وخاصة حياة الأطفال وتجاربهم وألعابهم ورحلاتهم، وقصص عن عادات الأطفال وأساليب معيشتهم في شعوب العالم المختلفة، أمّا من سن الحادية عشر إلى الرابعة عشر، فتكون نفس الموضوعات السابقة في أسلوب أرقى، كوصف عادات الناس وتقاليدهم وأساليب معيشتهم، ومن ثم نوّفر لهم إلى جانب ذبك الكتب العلمية المبّسطة، مجموعة من القصص الإسلامية تتكلم عن سيرة الأبطال وحكايات الأبرار[2].

مع الاهتمام بكتب عن السيرة النبوية، وتاريخ التراث الإسلامي، كما يجب أن تشمل المكتبة مجموعة من المجلات الإسلامية الهادفة، سيرة مشاهير الرجال وشهيرات النساء في البيئة المحلية والشعوب الأخرى في أطوار طفولتهم وصباهم... الخ[3].

حيث يقول "الجاحظ" في هذا المجال: "متى كان الأديب بارعاً وكانت مواريثه كتبا بارعة وآداباً جامعة كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظاً، وأجدر أن يسرع التعليم إليه، ويرى تركه خطأ، وأجدر أن يجري من الأدب على طريق قد أنهج له، ومنهاج قد وطئ له، وأجدر أن يسري إليه عرق من نجله، وسقي من غرسه، وأجدر أن يجعل بدل الطلب لكسب النظر في الكتب والاختلاف في سماع العلم إلّا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة"[4].

وعليه فعلى المربين أن يختاروا لأطفالهم من الكتب ما يتناسب وأعمارهم وثقافتهم حتى تكون الفائدة أكبر والقطاف أكثر، تلبية لقوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فيما رواه البخاري عن "علّي" – كرم الله وجهه– "**حدثوا الناس بما يعرفون أتُحبُون أن يكذّب الله ورسوله**"[5].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف نستفيد من القراءة، وللإجابة على السؤال نوضح الآتي:

---

[1] الكليني، الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث، جـ 1، المرجع السابق، ص 52.

[2] سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربوية النبوية، المرجع السابق، ص 404– 405.

[3] المرجع نفسه، ص 405.

[4] الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا.ط، لا.ت، ص101.

[5] صحيح البخاري، كتاب العلم، (باب ماخُصّ بالعلم قومه دون قوم كراهية أن لا يفهموا)، رقم(127)، جـ1، المصدر السابق، ص 37.

أولا: أهمية القراءة في تحصيل المعارف

تعتبر القراءة الأداة الأقدم والأفضل بين كل ما أنتجته عبقرية الإنسان من وسائل التلقين، وإن الشعب القارئ سوف يكون أكثر وعيا، وقدرة على مواجهة التحديات، ومن الضروري أن نحثّ أبناءنا على القراءة أكثر مما نتيح لهم فرصة مشاهدة التلفزيون مثلا، والقراءة هي السلوى التي ينبغي أن يلجأ إليها المرء في أوقات الفراغ.

ولهذا اهتمت الدول الراقية بالقراءة اهتماما بالغا من قديم الزمان وحرصت على تعليم أبنائها فنونها داخل المدارس وخارجها لترقي أبنائها إلى أرفع درجات الكمال والتحضّر. كما أن القراءة هي خير ما يتيح للعقل أن يقارن ويوازن ومن ثم يستنبط ويستدل ويستخلص ومن ثم يكون لهذا أثره في السلوك بالقول والكتابة والعمل[1].

ثانيا: كيفية تعليم أبناءنا القراءة

لقد توصل الباحثون والعلماء من خلال تناولهم لموضوع القراءة بالدراسة والبحث إلى عدة حقائق منها:

- أن القراءة لا يمكن أن تصبح عادة بالضغط والإكراه، وإنّما هي استجابة طبيعية لإشباع حاجات نفسية تدفع الأبناء إلى القراءة لذلك يجب أن نضع بين أيدي أبنائنا كتبا جميلة شائقة الموضوع حتى تصبح القراءة متعة وعادة منذ الصغر[2]، حيث يقول جورج شهلا وآخرون: "يجب أن نعوّد المتعلم القراءة الممتعة المتواصلة، وأن نعهد له مسكبها، فمهارة القراءة لا ترسخ في الذهن إلّا بالمران والاستعمال، فإذا أغري الولد بمطالعة الكتب التي تلائم سنّه وميوله ودُرّب على القراءة فتعودها وهو على مقاعد الدراسة، رافقته هذه العادة الحميدة كُلّ أيام حياته"[3].

ونشير هنا إلى نقطة جدّ مهمة يجب علينا عدم إغفالها وهي العلاقة بين حب القراءة والإطلاع وبين التحصيل الدراسي، حيث أنه لا يمكن لنا أن نرتفع بمستوى التحصيل الدراسي لتلاميذنا وطلابنا ما لم نحبّب إليهم القراءة والإطلاع، وذلك بربط المادة التي يدرسونها والقراءة.

ومن أجل تحقيق هذه العادة وتحصيلها نُعوّد أطفالنا بقراءة المعلومات الخفيفة من مختلف المعارف والفنون والآداب مثل القصص والسيّر والرحلات وغيرها، ويجب تعويدهم وتدريبهم أثناء القراءة فهم ما يقرؤونه، وأن نعوّدهم كذلك القراءة بتمعن وتأمل، وأن يفكرّوا في المعلومات التي تقع تحت نظرهم للاستفادة من المطالعة. ونعلّمهم أن يكتبوا مختصر لما قرؤوا أي معلّمهم التلخيص بحيث إذا عادوا للقراءة بعد التلخيص سهل عليهم فهم الموضوع...[4].

---

[1] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 406.

[2] المرجع نفسه، ص 406.

[3] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 367.

[4] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 407.

ثالثا: أهمية القراءة ودورها في تربية العقل

جاء اهتمام المسلمين بالقراءة والكتابة تلبية للأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)**﴾[1].

ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان "دائما يشجع المسلم على تعليم القراءة والكتابة حتى تنمو قدرات العقل وطاقاته"[2].

فعن "أبي هريرة" قال: لما فتحت مكة قام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الخطبة خطبة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– قال: فقام رجل من اليمين يقال له "أبوشاة" فقال رسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– اكتبوا "لأبي شاة" يعني الخطبة، فالقراءة تعتبر سبيل المعرفة التي تصنع الشخصية الجادة الواعية وهي من أهم وسائل الاستجمام، قال أحد المولعين بهذه الهواية: "القراءة وسيلة لتزجية أوقات الفراغ على أحسن وجه وأكمله، وليس ثمّ أمتع من الاستجمام بالقراءة... إن الإنسان الذي يكدح نهاره لا يمكن أن يجد متعة أطيب من متعة القراءة ساعة فغنها تجلو نفسه وتروح عنه وتحلق به في السموات العلى".

ويقول "عز الدين فراج": "والأمر بالقراءة موجه لعقل الإنسان فهو الوعاء القابل للنمو والتربية بالعلم والمعرفة واكتساب الخبرة الحياتية... توجه البحث العلمي وتربط الباحثين في شتى أنحاء المعمورة برباط قوي، وبذلك يسير موكب العلم والمعرفة نحو أهدافه السامية".

وقد نبه الكثير من العلماء لدور المكتبة المنزلية باعتبارها أنجع الوسائل في تربية النشء تربية إسلامية خالصة.

إذن فاحتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة هو أمر ضروري جدّا.

الأساس العلمي الثامن: رواية طفولة علماء السلف في طلب العلم أمام الأطفال

نظرا لما تلعبه القصة في شدّ انتباه الطفل، وتحريك مشاعره، وإثارة اليقظة الفكرية في عقله، وحيث أنّ أسلوب القصة كانت إحدى الوسائل النبوية في تربية الأطفال، وأحد الأركان القوية في شحذ همَمهم، وتطلعهم نحو مستقبل علمي زاهر، لهذا يمكننا تقديم بعض النماذج لتكون النواة التي ننطلق منها في توجيه الأطفال، واستنهاض هممهم، وهي كالتالي:

1- طفولة سفيان بن عيينة في طلبه للعلم:

ذكر "الخطيب البغدادي" عن "أحمد بن نضر الهلالي" قال: سمعت أبي يقول: كنت في مجلس "سفيان بن عُيينة"، فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكأن أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه، فقال

---

[1] سورة العلق، الآية 1- 5.

[2] أحمد شلبي، التربية الإسلامية، نُظُمها، فلسفتها، تاريخها، الكتاب الخامس من الموسوعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978م، ص 44- 45.

سفيان: ﴿**كذلك كُنتُم من قبلُ فمنَّ الله عليكُم**﴾[1]. ثم قال: يا نضر! لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثياب صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كأذان الفار، اختلفت إلى علماء الأمصار، مثل "الزهري" و"عمرو بن دينار"، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت المجلس قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير. قال: ثم تبسم "ابن عيينة"، وضحك، قال أحمد: فتبسم أبي، وضحك[2].

2- طفولة مالك ابن أنس رضي الله عنه:

قال "مطرف": قال "مالك": قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال، فالبس ثياب العلم، فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعمّمتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن.

وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه[3].

قال "ابن وَهَب": حدثني "مالك"، قال: كنتُ آتي نافعاً، وأنا غلام؛ حديثُ السن؛ فيحدثني، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد لا يكاد يأتيه أحد[4].

3- طفولة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

حفظ "أحمد بن حنبل" القرآن في صباه، وتعلّم القراءة والكتابة، ثم اتجه إلى الديوان، يمر على التحرير، ويقول في نفسه، كُنت وأنا غُليّم أختلف إلى الكتّاب، ثم أختلف إلى الديوان، وأنا ابن أربع عشرة سنة. وكانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد، حتى قال بعض الأدباء: وأنا أنفق على ولدي، وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا "أحمد بن حنبل" غلام يتيم، انظروا كيف؟! وجعل يعجب من أدبه،وحُسن طريقه.

4- طفولة الإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه:

قال "أبو يوسف": كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ، رثّ الحال، فجاء أبي يوما وأنا عند "أبي حنيفة"، فانصرفت معه، فقال: يا بني! لا تمدن رجلك مع "أبي حنيفة"، فإنا "أبي حنيفة" خبزه مشوي، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرتُ عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي، فتفقدني "أبو حنيفة"، وسأل عني، فجعلتُ أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش، وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إليّ صُرّة، وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: إلزم الحلقة، وإذا نفذت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع

---

[1] سورة النساء، جزء من الآية 94.

[2] الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص 112.

[3] ابن فرحون، مقدمة كتاب: " الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب " تحقيق محمد الأحمدي، نقلا عن محمد نور سويد، التربية في المنهج النبوي، المرجع السابق، ص 373.

[4] "التعليق الممجد على موطأ محمد" لأبي الحسنات عبد الحي اللكنوي، (239/1) وعزاه لتذكرة الحفاظ للذهبي في سيرة نافع. أو نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 373

إليّ مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلّة قط، ولا أخبرته بنفاذ شيء ما، وكان وكأنه يخبر بنفاذها حتى استغنيت، وتموّلت.

وهناك رواية ثانية في نشأة الإمام "أبي يوسف": قال "علي بن الجعد": أخبرني "أبو يوسف"، قال: توفى أبي "إبراهيم بن حبيب"، وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار أخدمه، فكنت أدع القصّار،وأمرّ إلى حلقة "أبي حنيفة"، فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة، فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يُعنى بي لما يرى من حضوري، وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي، وطال عليها هربي، قالت "لأبي حنيفة": ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقا يعود به على نفسه، فقال لها "أبو حنيفة": مُرّي لا رعناء! هو ذا يتعلم أكل الفالوج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرفت، وذهب عقلك.

قال "أبو يوسف": ثم لزمت "أبا حنيفة"، وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خَلّة، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلّدت القضاء، وكنت أُجالس "هارون الرشيد"، وآكل معه على مائدته.

فلما كان في بعض الأيام قدم إلى "هارون الرشيد" فالوذج، فقال لي "هارون": يا "يعقوب"! كُلْ منه، فليس يُعمل لنا مثله كل يوم، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا فالوذج بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكت؟ فقلت: خيرا أبقى الله أمير المؤمنين، قال: لتخبرني، وألّح عليّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب من ذلك وقال: لعمري إن العلم ليرفع وينفع دينا ودنيا، وترحمّ على "أبي حنيفة"، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه[1].

5- طفولة الفيلسوف ابن سينا رحمه الله في طلب العلم:

لما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن القرآن العزيز، والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين، والحساب والجبر، ثم أحكم علم المنطق، وفاق شيخه (الحكيم أبا عبد الله الناتلي) أضعافا كثيرة، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى "إسماعيل الزاهد"، واشتغل بتحصيل العلوم الطبيعي، والإلهي، وفتح الله عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك في علم الطب، وتأمل الكتب المصنفة فيه، وعالج تأدباً -أي: تعلّما وتعليماً- لا تكسبا، وعلم الطب حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح فيه عديم النظير، فقيد المثيل، وسنّه آن ذاك نحو ست عشرة سنة، وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكاملها، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ، وقصد المسجد الجامع، وصلى ودعا الله عز وجلّ أن يسهلها عليه، ويفتح مغلقها له، وكان نادرة عصره في عمله، وذكائه، وتصانيفه، وصنف ما يقارب مئة مصنف ما بين مطول، ومختصر، ورسالة في فنون شتى، رحمه الله[2].

---

[1] عبد الفتاح أبي، صفحات من صبر العلماء، نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 375- 376.

[2] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 378.

6-نموذج من أطفال الصحابة جمع بين العلم، والقرآن، والجهاد، وخدمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- :

روى الحاكم في مستدركه (3/ 421) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:

كانت وقعة بعاث وأنا ابن ست سنين، وكانت قبل هجرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخمس سنين، فقدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأت ست عشرة سورة[1] فلم أجز في بدر ولا أُحُد، وأجزت في الخندق.

قال ابن "عمر": وكان "زيد بن ثابت" يكتب الكتابين جميعا: كتاب العربية، وكتاب العبرانية. وأول مشهد شهده "زيد بن ثابت" مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الخندق، وهو ابن خمسة عشر سنة، وكان فيمن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**أما إنه نعم الغلام**".

وغلبته عيناه يومئذ، فجاء "عمارة بن حزم"، فأخذ سلاحه، وهو لا يشعر، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**يا أبا رقاد ! نمت حتى ذهب سلاحك!**"[2]. ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**من له علم بسلاح هذا الغلام؟**". فقال "عمارة بن حزم": أنا يا رسول الله !أخذته، فرّده، فنهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يُروع المؤمن، وأن يأخذ متاعه لاعباً أو جداً.

خامسا: البناء الجسمي والصحي

تمهيد: أهمية الصحة في حياة الفرد والمجتمع

أولا: أسس البناء الجسمي والصحي

الأساس الأول:

- ممارسة التربية البدنية وتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري
- فوائد الرياضة البدنية

الأساس الثاني: إفساح مجال اللهو واللعب وتنمية الهوايات

- ماهو اللعب؟
- الأغراض التي يحققها اللعب بالنسبة للطفل في مرحلة الطفولة.

الأساس الثالث: إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال

- اللعب والأصحاب
- لعب الكبار مع الصغار والأطفال
- ماهي الاعتبارات التي توضع في الحسبان عند شراء واختيار الألعاب لأطفالنا؟

---

[1] **محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 378.**

[2] **المرجع نفسه، ص 378.**

الأساس الرابع: إتباع السُّنن النبوية في الأكل والشرب

- منهج التغذية في الإسلام
- الأغذية المحرمة

الأساس الخامس: اتباع السُّنن النبوية في النوم على الشق الأيمن

- فوائد النوم
- كيفية النوم
- الحكمة من النوم على الجانب الأيمن

الأساس السابع: تعود الطفل سنة السواك

الأساس الثامن: تعلم الطفل للعلاج الطبيعي

الأساس التاسع: إبعاد الطفل عن الطفل المريض مرضا معديا (أو عن الأمراض المعدية)

ثانيا: العلاجات النبوية

1) السرعة في معالجة الطفل المريض
2) عيادة وزيارة الطفل المريض
3) العلاج باستخدام العود الهندي
4) العلاج بالحجامة والمشي
5) العلاج بالدعاء والرُّقى
6) العلاج من إصابة العين الحاسدة
7) تحريم تعليق شيء على الطفل

البناء الجسمي والصحي

تمهيد:

لم يهتم دين ولا شريعة بصحة الإنسان مثلما اهتم الإسلام بسلامة الجسم والمحافظة عليه، لذا أقر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –أن لبدن الإنسان عليه حقًّا فقال: "**فإنّ لجسدك عليك حقًّا**"[1]. فالصحة: "قيمة من القيم الإنسانية الأساسية، والعمل على ترقية الصحة الطيّبة التزام من الالتزامات الخُلقية الأساسية"[2].

فعندما جاء الإسلام اهتم بتربية الجسم كله: نفسيا وعقليا واجتماعيا وخُلُقيا.. وطلب من الإنسان أن يحافظ على جسمه قويا خاليا من الأمراض سليمًا معافى.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب حق الضيف)، رقم(2272)، جـ5، المصدر السابق، ص 5783.

[2] فيليب هـ. فينكس، التربية والصالح العام، ترجمة محمّد العزّاوي، يوسف خليل، مراجعة محمد سليمان شعلان، دار الجيل للطباعة، القاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة نفرانز كلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، 1965م، ص 169.

لذا أوجب الإسلام على المرّبين من آباء وأمهات ومعلمين مسؤولية التربية الجسمية والصحية لأبنائهم، لينشأ الأبناء على قوة الجسم وسلامة البدن[1]: حيث يقول في هذا الشأن "فاخر عاقل": "إن الصحة والقوة ونسبة النمو واللياقة البدنية العامة تساهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في نجاح الطفل في المدرسة وفي نمو عقله وشخصيته. ثم إنّ معرفة الطبيعة الجسدية للطفل هامة جدًّا من أجل دراسة سلوك الطفل في البيت والمدرسة وذات دلالة بالنسبة لمواقفه من ذاته ومن الآخرين"[2].

فهكذا أبدى الإسلام اهتماما كبيرًا بجسم الإنسان، فنراه يقيم للصحة اعتبارها، ويجعلها في عداد النعم العظمى، قال –عليه الصلاة والسلام–: "**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**" وما منح الإنسان بعد الإيمان بالله –عز وجل– ورسوله –صلى الله عليه وسلم– شيئا أعظم من نعمة العافية في البدن، والصحة في الجسم، والسلامة في الأعضاء، وعن أبي بكر –رضي الله عنه– قال : سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول : "**سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرًا من العافية**"[3]. وقوله أيضا: "**من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**"[4]. وقال أيضا : "**طهروا هذه الأجسام طهركم الله**" رواه ابن ماجة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما أهمية الصحة في حياة الفرد والمجتمع، "فالأمة القوية وحدها عي التي تستطيع أن تخلف حضارة راقية وتحافظ عليها، كما أن الفرد القوي وحده هو الذي يستطيع أن يحقق إمكانياته إلى أقصى مداها".

فالصحة نعمة عظمى وجب على الإنسان أن يحافظ عليها فمن الأقوال المأثورة (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلاّ المرضى) إنها هبة من الله، ومستقبل كل واحد منّا يتوقف على الاحتفاظ بعقل سليم في جسم سليم.

"بيد أنّ الصحة ليست مجرّد خلو من المرض، ولكنها فوق ذلك عافية في البدن، ورجاحة في العقل، وانسجام مع الناس، وإيمان بالله ومتعة طاهرة بالحياة"[5].

فالصحيح يعيش ناعم البال، يقدم على أعماله بهمة ونشاط. لذلك فإن "الطفل المتعب يكون عصبيا سريع التهجيع، والطفل السيء التغذية تعوزه الطاقة اللازمة للعمل المدرسي، كما أن الطفل الذي

---

(1) سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 414

(2) فاخر عاقل، علم النفس التربوي، المرجع السابق، ص 98

(3) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند. نقلا عن عبد المعز عبد الحميد الجزار، الإسلام ورعايته للطفولة، مجلة الأزهر المجانية، صفر 1420هـ/1999م في موضوع عناية الإسلام بصحة الأبدان، ص 35.

(4) سنن الترمذي، أبواب الزهد، رقم(2346)، جـ4، المصدر السابق، ص574.

(5) كليفورد. أندرسون، طريقك إلى الصحة والسعادة، مقدمة الكتاب، ترجمة شاكر خليل نصار، ط5، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، بيروت، 1972م، ص 54.

يكون مستوى نموه الجسدي دون مستوى رفاقه قد يشعر بالخجل وعدم الاطمئنان"[1].

يضاف إلى ذلك "أن الدفاع عن الأوطان وسلامة أراضيها يتطلب أجساما صحيحة ملؤها القوة والنشاط والدفاع في هذه الأيام لا يحضر في القوات المسلحة ولا في معترك خاص، وإنمّا يشترك فيه جميع المواطنين على السواء... "[2].

إلى جانب أن صحة الجسم تتطلب صحة النفس، حيث أن الإنسان السليم الجسم يكون سليم النفس وسليم العقل، لذلك وجب علينا أن نعطي التربية الصحية جانبا كبيرا من اهتمامنا، إن وظيفة التربية الاهتمام بالفرد عقليا وجسميّا وخُلُقيا "بترقية عقل الطفل لكي يدرك كل ما يطلب منه في حياته.. وترقية جسمه لكي يستطيع أن يقوم بكل ما يطلب منه ذلك العقل... وترقية أخلاقه لكي يستطيع التوفيق بين ما يتطلبه المجتمع، وبين ما تتطلبه نفسه من الحياة"[3].

فصحة الجيل الناشئ لها أهمية كبرى في البناء العربي، ولا ريب أن المدرسة –بالتعاون مع البيت– تستطيع أن تمثل دورًا خطيرًا في تحسين الحالة الصحية في المجتمع العربي، على اعتبار أنها تتناول الأفراد وهم في أول أدوار النمو وأكثرها قابلية للتكليف [4].

والآن نتناول أسس البناء الجسمي والصحي:

الأساس الأول: ممارسة التربية البدنية وتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل

تمهيد:

إن الاعتناء بالبدن وإعطائه حقه من الرعاية شيء طبيعي فطري في الإنسان، والرسول –صلى الله عليه وسلم– يقرُّ هذا الحق ففي الحديث عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "**إنّ لنفسك عليك حقّا، وإن لجسدك عليك حقّا، وإن لزوجك عليك حقّا، وإن لعينيك عليك حقّا**"[5].

فأعضاء الجسم وعضلاته تحتاج إلى الحركة والترويض كي لا تخمل وتترهل ولا تتعطل عن العمل والنشاط، إنّ التمرين الجسدي ضروري للحياة كالراحة غير أن الكثير من الناس يكسلون فمن أتيح لهم الركوب ولو إلى مسافة قصيرة يقلعون عن المشي، ليست هذه هي الطريقة الصحيحة للصحّة إذ يجب أن نمرّن عضلات الساقين والظهر وسائر عضلات الجسم فالمشي واستنشاق الهواء النقي من أهم مقويات الصحة. إذن فما هي التربية البدنية؟

---

[1] فاخر عاقل، علم النفس التربوي، المرجع السابق، ص 98

[2] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 280.

[3] ابراهيم ناصر، التربية وثقافة المجتمع، المرجع السابق، ص 23.

[4] جورج شهلا وآخرون، المرجع السابق، ص 287.

[5] البخاري، صحيح البخاري، جـ8، باب حق الضيف، المصدر السابق، ص 58

التربية البدنية هي: تلك "العملية التربوية التي تتم عند ممارسة أوجه النشاط التي تنمي وتصون جسم الإنسان"[1]. لذا وجه الإسلام عناية بالتربية الرياضية "وإن نظرة فاحصة إلى التكوين البدني للإنسان، وكثرة مفاصله، وتعدد أنواع هذه المفاصل، تدل دلالة واضحة على أن جسم الإنسان خلق ليتحرك... وإن الحركة أساسية للحفاظ على صحته، واكتسابه مكونات اللياقة البدنية اللازمة للحياة" [2].

إن التربية الجسدية تهدف إلى تمكن التكوين العضوي في الإنسان من القيام بوظيفته[3]، ولهذه الأهمية وضح الرسول –صلى الله عليه وسلم– ميادينها كما جاء في الحديث الشريف: عن "أبي هريرة" – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خيرٌ..** "[4]. من أجل ذلك دعا الإسلام إلى تعلّم السباحة والرمي وركوب الخيل والمصارعة وذلك في التوجيهات النبوية الآتية:

1- **السباحة:** تعتبر السباحة "وسيلة رائعة ذات تأثير مثمر في نمو الطفل وخبرة يعوّل عليها كثيرا في الحياة العملية. بالامكان البدء بها في السنة الرابعة –الخامسة للطفل، على أن يتم تعلمها بشكل تدريجي.. "[5]. وهذا رسول الله –عليه أفضل الصلاة والسلام– سبح وهو صغير في بستان أخواله بني النجار، ولعب مع الصبيان[6].

وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى الولاة ما يلي: "أمّا بعد فعلّموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل..."[7].

2- **الرماية وركوب الخيل:** قال تعالى: ﴿**وأعدُّوا لهم ما استطعتُم من قُوّةٍ ومِن رباطِ الخَيْلِ تُرهِبُونَ بهِ عَدُوَّكُمْ...**﴾[8].

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تلا قوله تعالى: ﴿**وأعدُّوا لهم مَا استَطَعتُم من قُوّةٍ**﴾ ثم قال: "**ألا إن القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي**"[9].ويقصد بالرماية التمرين على عمليات الحروب وحمل السلاح. فمن فوائد الرماية ما يلي:

---

(1) **تشارلز.أ. بيكر، أسس التربية البدنية، ترجمة كمال صالح، 1964، ص 34**

(2) **علي عمر المنصوري، الرياضة للجميع، ط1، 1980م، ص 23**

(3) **هشام إبراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الإسلامي، ط1، دار الأرقم، عمان، 1405هـ/1985م، ص 144**

(4) **سبق تخريج الحديث، ص 138 من الرسالة.**

(5) **د.م.ياسنو دينيكين، صحة واربية الطفل من مرحلة الحمل حتى مرحلة المراهقة، دار التضامن للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1989م، ص 213**

(6) **محمد نور سويد، منهج التربوية النبوية للطفل، المرجع السابق، ص 211**

(7) **عبد الله ناصح علوان، جـ2، المرجع السابق، ص 888**

(8) **سورة الأنفال، الآية 60**

(9) **سُنن أبي داود، كتاب الجهاد، (باب في الرمي)، رقم(2514)، جـ3، المصدر السابق، ص13.**

"نمو الحركة الحيوية في الجسم، وتوفير القوى الجسمية التي يحتاج إليها المُحارب القوي المؤمن، تقوية الإرادة عند المسلم، وتعويده الاعتماد على الله سبحانه وتعالى ثم على نفسه وقدرته"[1]. وقد أقام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سباقا للخيل. فعن عبد الله بن عمر قال: "أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق"[2].

وقال –عليه الصلاة والسلام–: "**لا سبق إلاّ في خف أو حافر أو نصل**"[3]. وحث الرسول –صلى الله عليه وسلم– على تعلم الفروسية لما لها من أثر في تربية الجسد وقوته فيقول: "**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة والأجر والمغنم**"[4]. وهناك أنواع أخرى للرياضة البدنية منها المشي، والركض، والمصارعة والصيد. ومن الألعاب الرياضية كذلك كرة القدم، وكرة السلة والطائرة والتنس وغيرها...[5].

والسؤال المطروح هنا ما فوائد التربية البدنية؟

إن فوائد الرياضة البدنية تتمثل بالآتي:

فقبل الخوض في فوائد التربية البدنية يمكننا أن نعرف الرياضة: فيقال "أنها نشاط بدني تطبيقي، يخضع لشروط الممارسة المستمرة، والمتواصلة، المتدرجة من الصعوبة، حتى تأخذ عناصر اللياقة البدنية، والمهارات الحركية الناقصة للحياة، طريقها إلى الاستقرار ويصبح التدريب عليها وممارستها عادة سلوكية يومية"[6].

أما فوائدها فهي:

1) أهم فوائد الرياضة كما يقول الطب الحديث أن لها تأثير في حرق المواد الدهنية الفائضة في الجسم وتقليل خطر المرض بالقلب[7].
2) "تعود البدن الخفة والنشاط، وتجعله قابلا للغذاء، وتصلب المفاصل، وتقوي الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته،

---

(1) يوسف مصطفى القاضي وآخرون، علم النفس التربوي في الاسلام

(2) صحيح البخاري، أبواب المسجد، (باب هل يقال مسجد بني فلان)، رقم(410)، جـ1، المصدر السابق، ص162.

(3) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، (باب في السبق)، رقم(2574)، جـ3، المصدر السابق، ص 29

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، (باب الجهاد ماض مع البر والفاجر)، رقم(2697)، جـ3، المصدر السابق، ص1048.

(5) سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 419

(6) علي عمر المنصوري، الرياضة للجميع، ط1، 1980م، ص168

(7) كليفوردر. اندرسون، طريقك إلى الصحة والسعادة، المرجع السابق، ص 323

وكان باقي التدبير صوابًا"[1].

3) والرياضة "لا تختص بالجسم وحده، وإنّما آثارها تمتد إلى مكونات الشخصية الإنسانية، كما لا تختص بالفرد وحده أو ذاته، وإنّما تستهدف المساهمة في بناء المجتمع، عن طريق إعداد المواطن الصالح، القادر على خدمة الجماعة والمجتمع"[2]

4) إن التربية البدنية لها "أهداف فكرية وتتضمن إدراك المعارف والمدركات... وأهداف جمالية: وهي تنمية التذوق للأداء الماهر ... وأهداف اجتماعية: وهي العمل على غرس صفات مرغوب فيها كالروح الرياضية العالية، والتعاون الصادق في حل المشكلات العامة"[3].

5) بالإضافة لدور التربية البدنية في تنمية الكفاءة البدنية والمحافظة على صحة الجسم تعمل كذلك على شغل أوقات الفراغ بطريقة نافعة مفيدة. وتنمي الروح الرياضية اللازمة في مجال الرياضة.

إذن فنحن كمربين مطلوب منا وواجب علينا أن نعلّم أولادنا الرياضة النافعة وأن نوضح لهم ونرشدهم إلى الغاية الشريفة والهدف السامي منها كي يستخدموا لتنمية قدراتهم البدنية لأن العقل السليم في الجسم السليم. وبالتالي هناك علاقة بين الكفاءة العقلية واللياقة الجسدية، وذلك بأن الطفل الضعيف جسديا قد يتضرر عقليا، ثم أن اللياقة البدنية هي أمر ضروري للتكيّف الاجتماعي.

أمّا الأساس الثاني من البناء الجسمي والصحي وهو:

الأساس الثاني: إفساح مجال اللهو واللعب وتنمية الهوايات

تمهيد:

نبدأ بتعريف اللعب؟ وضع رجال التربية وعلماء النفس المحدثون وغيرهم نظريات وتعريفات لتفسير ماهية اللعب، وفي هذا الشأن يقول "محمد عماد الدين إسماعيل" في تعريف اللعب أنه "ذلك النشاط الحر الذي يُمارس لذاته وليس لتحقيق أي هدف عملي"[4]، وعرف أيضا بأنه "التعبير العفوي للأنماط السلوكية الفطرية كاللهو والمرح الصاخب، فإن هذه الأنماط من السلوك قد طوّرت في دورة نمو الجنس الحيواني ووجدت من أجل البقاء" [5].

إنّ اللعب وسيلة للتخلص من الحيوية الفائضة في جسم الإنسان والطفل يميل بطبيعته إلى حب اللهو واللعب، لأنها حاجات فطرية لا يمكن استغناؤه عنها، أو حرمانه منها لهذا فقد ورد عن الإمام

---

[1] ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ط15، مؤسسة الرسالة، بيروت 1411هـ/ 1990م، ص 253

[2] علي عمر المنصوري، الرياضة للجميع، المرجع السابق، ص 168

[3] الإتحاد الأمريكي للصحة والتربية البدنية والترويح، ترجمة محمد محمد فضالي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م، نقلا عن سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 420

[4] محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، عالم المعرفة، المرجع السابق، ص 302

[5] ج.أ.هاد فيلد، الطفولة والمراهقة، المرجع السابق، ص 147

الصادق: "دع ابنك يلعب سبع سنين" [1]، وبما أن الأطفال أكثر تدفقا للحيوية فإنهم أشد ولعًا وطلبًا للعب من الكبار.

أما الهوايات فهي: شكل من شكل اللعب أيضا، توجه توجيها دقيقا نحو نشاطات خاصة ومتعة معينة، وقد تُمارس الهوايات بسبب من الشغف في شيء ما فحسب[2].

وعرفت الهوايات أيضا "هي الأعمال التي يهواهاالمرء ويشغف بها شغفا شديدا، فيخصص لها جزءًا من أوقات فراغه، ويجد فيها المتعة والاستجمام"[3].

فهذه الهوايات يجب أن يكون لها مكان في حياة كل طفل وفي كل منهج مدروس، لذا فواجب المدرسة أن تنمي وتشجع التلميذ منذ صغره على ممارسة هواية ما مثل جمع الطوابع أو الرسم، وغيرها، فإن لم يوجه الطفل وهو في المدرسة على ممارسة هواية فإن من الصعب أن يتيّسر له بعد ذلك تنميتها وممارستها وعلى الأسرة كذلك أن تشجع أطفالها على ممارسة نوع من أنواع الهوايات المختلفة، فإنها في حد ذاتها نشاطٍ ممتع، لأنها تمنح الطفل فرصة التعبير عن فرديته كما أنها تمنح منفذ للتعبير عن نزعاته الفطرية الطبيعية.

والسؤال المطروح الآن ماهي الأغراض التي يحققها اللعب بالنسبة للطفل في مرحلة الطفولة؟

للألعاب أهمية خاصة في حياة الطفل في عمر ما قبل المدرسة، إذ يتعرف الطفل عن طريق لهوه بالعالم المحيط به ممّا يمنحه السعادة والفرح وينمّي كافة جوانب الحياة فيه، وعلى رأس الفوائد:

- **القيمة الجسدية لأن:** "اللعب الحركي النشيط ضروري لنمو عضلات الطفل من ناحية، وضروري أيضا لتنمية مهارات الاكتشاف، وتجميع الأشياء التي إذا تراكمت جعلت من الطفل شخصا متوترًا عصبيا حاد المزاج"[4].لهذا كان من اللازم أن نُلّم بأنواع الخبرة التي ينبغي أن يمرّ بها الطفل وبصنوف الأدوات التي تيسر أمر الترتيب.
- **القيمة التربوية:** اللعب وسيلة الطفل في التعرف على ما يحيط به والتكيّف وفقه. "فهو يستطلع ويستكشف الألعاب الجديدة التي يأتيه بها والداه. وخاصة تلك التي تحتوي على أزرار، ومحولات تُحدث أصواتا، أو تشعل أضواء... وهو في كل ذلك يدرك ويتذكر ويتصور، ويُفكّر... إلخ فهو إذن يقوم بنشاط معرفي واضح"[5].

---

[1] المجلسي، بحار الأنوار، باب فضل الأولاد، جـ104، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1403هـ/1983م، ص95

[2] ج.أ. هادفيلد، الطفولة والمراهقة، المرجع السابق، ص 147

[3] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 275

[4] كتاب العربي، مرآة الطفل العربي، (الطفل العربي والمستقبل)

[5] محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، المرجع السابق، ص303

- **القيمة الاجتماعية:** يتفاعل الطفل اجتماعيا أثناء اللعب، لأنه يتصور نفسه مكان الآخرين "فهو من خلال اللعب يتعلّم كيف بتعامل مع المادة، وكيف يطوّر كفاءاته وكيف يتجنب المخاطر، وثم كيف يتعاون مع الآخرين"[1].
- **القيمة الابداعية:** للعب أثرا في إبراز مواهب الطفل وقدراته الشخصية وقوة التعبير، بحيث تصبح عنده القدرة على الابتكار والاستعداد الفني، من خلال الرسم أو التمثيل وغيرها، حيث قال في هذا الصدد الشاعر الألماني "شيلر"[2]: "إن كل المشاعر الجمالية الراقية، وخير ما أنتجه عقل الإنسان في العلوم والفنون والمباحث الفلسفية، تستمد من الدافع الطبيعي للعب"[3]

فوائد الرياضة للطفل:

على الرغم من أن اللعب هو بالنسبة للراشد لملء وقت الفراغ، إلاّ أنه بالنسبة للطفل هو عبارة عن عمل هام جدّا، ومن خلال انغماسه في اللعب يطوّر الطفل كُلاّ من عقله وجسده، ويحقق التكامل ما بين وظائفه الاجتماعية، والانفعالية، والعقلية التي تتضمن التفكير، والمحاكمات العقلية، وحلّ المشكلات، وسرعة التخيل، كما وتلعب البيئة الطبيعية، وتوجيه الآباء أدوارًا حاسمة في تطوير الطفل من خلال اللعب.

إن فترة ما قبل المدرسة فترة مهمة جدًّا للنمو العقلي للطفل من خلال اللعب، حيث يصل الطفل إلى أقصى طاقات النضوج باللعب.

ومن خلال اللعب أيضا يُكرّر الطفل خبراته السابقة حتى يستطيع أن يستوعبها، وتصبح جزءًا من شخصيته، كما أن اللعب يُهيء الطفل للتكيّف في المستقبل من خلال الاستجابات الجديدة التي يقوم بها أثناء لعبه، ولذا لا ينظر إلى اللعب الآن على أساس أنه مضيعة للوقت، ولكن على أساس أنه ضروري لنمو الطفل، والآباء الذين يحرمون أطفالهم من اللعب في البيت، أو مع أولاد الجيران، إنما يحرمون الطفل من حاجات الأساسية للنمو!! [4].

وللعب عدد من الفوائد، والقيم:

---

[1] ج.أ.هاد فيلد، الطفولة والمراهقة، المرجع السابق، ص 147

[2] شيلر (فردريش قون) Schiller (1759.-1805)، شاعر ومسرحي ألماني. صديق غوته. مؤلف مسرحيات دراما مشهورة، منها: "قطاعو الطرق"، "مؤامرة فييسكي"، "فتاة أورليان"، "ماري ستيوارت" وله "تاريخ حرب الثلاثين السنة"، وله قصائد غنائية، يعتبر مسرحه وسطا بين المأساة الكلاسيكية والدراما الشكسبيرية"، المنجد في اللغة والإعلام، ط36 طبعة منقحة ومزيّد عليها، منشورات دار المشرق، بيروت، 1997، ص 341.

[3] حامد عبد القادر وآخرون، علم النفس التربوي، ج1، ط4، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ/1965م، ص192

[4] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 349- 350

1) **القيمة الجسدية:** إنّ اللعب النشيط ضروري لنمو العضلات للطفل، فمن خلال اللعب يتعلم مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء.
2) **القيمة التربوية:** إن اللعب يفسح المجال أمام الطفل كي يتعلم الشيء الكثير من خلال أدوات اللعب المختلفة، كمعرفة الطفل للأشكال المختلفة، والألوان، والأحجام، والملابس... وفي كثير من الأحيان يحصل الطفل على معلومات من خلال اللعب، لايستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى.
3) **القيمة الاجتماعية:** يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبني علاقات اجتماعية مع الآخرين، ويتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح، كما أنه يتعلم من خلال اللعب التعاوني، واللعب مع الكبار الأخذ والعطاء.
4) **القيمة الأخلاقية:** يتعلم الطفل من خلال اللعب بدايات مفاهيم الخطأ والصواب، كما يتعلم بشكل مبدئي بعض المعايير الخلقية كالعدل، والصدق، والأمانة، وضبط النفس، والروح الرياضية.
5) **القيمة الإبداعية:** يستطيع الطفل عن طريق اللعب أن يعبّر عن طاقاته الابداعية، وأن يجرّب الأفكار التي يحملها.
6) **القيمة الذاتية:** يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشيء الكثير من نفسه كمعرفة قدراته، ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه، ومقارنة نفسه بهم، كما أنه يتعلم من مشاكله، وكيف يمكنه مواجهتها.
7) **القيمة العلاجية:** يصرف الطفل عن طريق اللعب التوتر الذي يتولد نتيجة القيود المختلفة التي تفرض عليه، ولذا نجد أن الأطفال الذين يأتون من بيوت تكثر فيها القيود، والأوامر، والنواهي يلعبون أكثر من غيرهم من الأطفال، كما أن اللعب وسيلة من أحسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت[1].

الأساس الثالث: إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال

كما سبق أن قلنا للرياضة أهمية كبرى، في تقوية الجسم، وصيانة الصحة وتنميتها، لذا الرياضة ينبغي أن تشكّل جزءًا أساسيا من برامج التربية والتعليم.

ولهذا يجب على الأهل أو الأولياء أن يعملوا على توجيه ألعاب الطفل وحتى من المستحسن أن يساهموا بأنفسهم في تنظيم مسابقات جماعية للأطفال سواء في المنزل أو البهو أو الحدائق العامة. فقد أجرى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مسابقة الجري بين أطفال بني عمّه العباس ويستقبل الفائز بصدره ثم الآخر وهكذا، أخرج الإمام "أحمد" عن "عبد الله بن الحارث" –رضي الله عنه– قال: كان رسول

[1] **محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 350– 351.**

الله –صلى الله عليه وسلم– يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس –رضي الله عنهم– ثم يقول: "**من سبق إلي فله كذا وكذا**"، **قال: "فيسبقون إليه فيقفون على ظهره وصدره فيتقبّلهم ويلتزمهم**"[1].

وإذا حصل وأُجريت هذه المسابقات يجب أن تكون "خالية من النعصب والإثارة، والمغالاة، والصراع الدامي.. بل يجب أن تكون مسابقات تفسح الطريق أمام ذوي المواهب الاستعداد لتنمية مواهبهم، وقدراتهم وصولاً إلى أعلى المستويات العالية"[2].

اللعب والأصحاب:

أما بالنسبة عن الصُّحبة ينبغي أن يصرف الطفل الشطر الأكبر من أوقات لعبه مع غيره من الأطفال الذين يماثلونه في السن أو يزيدون عنه قليلا. ذلك لأن الطفل يلقى إجهادًا كثيرًا لو أنه فُرض عليه أن يُلاحق ويلعب مع من يفوقونه من أترابه، وعلى الوالدين أن يختارا أطفال مهذبين قد ربُّوا تربية صالحة خشية أن يتعلم الطفل بذاءة اللسان، وسوء الخُلُق والانفعالات الغير مرضية في أثناء اللعب.

وقد شاهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في عدة مواطن لعب الأطفال ولم ينكر عليهم "خرج من عند رسول الله إلى طعام دعي إليه فإذا هو الحسين –رضي الله عنه–يلعب مع الصبيان فاستقبل النبيّ –صلى الله عليه وسلم– أمام القوم ثم بسط يديه.. فطفر الصبي ها هنا مرة وهيهنا مرّة وجعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يضاحكه حتى أخذه فجعل أحد يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه ووضع فاه على فمه وقبّله"[3]. أما عن مقدار الوقت المخصص للعب يعتمد على صحة الطفل العامة وعلى قدر المُتعة التي يحصل عليها أثناء اللعب.

لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

إذا أراد الأطفال اللعب مع الكبار وجب على الكبار تلبية ذلك وأثناء اللّعب يجب أن يخضع لزعامة الصغار، نتقبّل الفكرة أو الخطة التي يرسمونها ولا نفرض عليهم ما نريده نحن في اللّعب. وفي أثناء اللعب معهم نستطيع أن نوجه لعبه ونشاطه في لباقة وفهم، وأن نقف على أسلوبه في التفكير ودرجة نموه وإذا كان هنالك تقويم فلنقومه بالأسلوب الهادئ الناصح، وهذه أمور من المحال أن نقف عليها لو قمنا بدور القيادة والتوجيه في اللعب "فالطفل ليس في حاجة لتعليمة اللّعب.. ولكنه في حاجة إلى إرشاده، في عفوية لعبه"[4].

---

[1] رواه أحمد في مسنده، (ومن مسندبني هاشم: حديث تمام بن العباس بن عبد المطلب عن النبي–صلى الله عليه وسلم)، رقم(1836)، جـ3، المصدر السابق، ص335.

[2] على عمر المنصوري، الرياضة للجميع، المرجع السابق، ص 84

[3] الطبرسي، مستدرك الوسائل، باب استحباب التصابي مع الولد وملاعبته، جـ2، المصدر السابق، ص 636.

[4] علي عمر المنصوري، الرياضة للجميع، المرجع السابق، ص 117

وهذا نبيّ الأمة يلعب مع الأطفال... فعن أبي أيوب الأنصاري قال: "دخل على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– الحسن والحسين –رضي الله عنهما– يلعبان بين يديه أو في حجره فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: وكيف لا أُحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا"[1].

وأخيرا يمكننا أن نطرح السؤال التالي: ما هي الاعتبارات التي توضع في الحُسبان عند شراء واختيار أو انتقاء الألعاب لأطفالنا: إن الجواب يتمثل في الآتي:

1) إن الإسراف في عدد اللّعب تتوفر للطفل هي مفسدة لتنشئته من الناحية الوجدانية والعقلية والاجتماعية، كما أن قلّة اللعب له مفسدة كذلك، لهذا يجب أن يكون عدد اللعب محدودًا، فيها من الاختلافات ما يتناسب وميول الطفل، وهنالك مبدأ يقول: "بوجوب مسايرة اللّعب لعمر الطفل العقلي إن الألعاب التي تعتبر أعلى من مستوى الطفل قد تُسبّب له بعض الاضطراب الانفعالي.. فاللعبة المعقدة لطفل صغير لن تؤدي الغرض المنشود"[2]. أي يجب أن تتناسب اللعبة مع سن الطفل.
2) يجب أن تكون من النوع الذي يشجع تقليد سلوك الكبار وطرائق تفكيرهم.
3) ينبغي أن تكون اللعب من النوع الذي يمكن غسله كأن تكون من الخشب أو المطاط. كما أنها يجب أن تكون غير ذات حواف أو رؤوس حادة، وغير خطرة كأن تكون صغيرة يمكن بلعها كالأزرار وغيرها وأن تكون من النوع الذي يتيح التفكيك والتركيب[3]. وإذا توفرت هذه الشروط صارت لعبة مناسبة ومفيدة تربويا.

الأساس الصحي الرابع: إتباع السُّنن النبوية في الأكل والشرب

تمهيد:

يعد الغذاء ضروري لحياة الإنسان فهو يؤثر تأثيرا مباشرا على صحته وقدرته على العمل والحركة، فبالغذاء يعيش الإنسان ويستطيع أن يستمر في حياته، وإذا لم يتناول طعاما فإنه يموت. "والأصل في الأغذية أنها لبناء الجسم ولتعويض عما يفقد من مجهوداته المختلفة والنمو ولتقويته ولمناعته من الأمراض، وتقديم القدرة الكافية في الحفاظ على حرارته وفي قيام أجهزته بأعمالها"[4].

لذا دعا الإسلام للعناية بالطفل منذ الوهلة الأولى أي منذ أن يولد وللاهتمام بإشباع حاجاته الفيزيولوجية الأساسية والتي لابد له من إشباعها حتى يحتفظ ببقائه كالحاجة إلى الطعام والنوم وغيرهما.

---

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب رحمة الولد وقبلته ومعانقته، جـ10، المصدر السابق، ص 35

[2] كتاب العربي، مرآة العقل العربي (الطفل العربي والمستقبل)، المرجع السابق، ص 119.

[3] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 426

[4] هشام إبراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الإسلامي، المرجع السابق، ص 79.

لذا اهتمت التربية النبويّة بتكوين العادات الصحية في تناول الطعام والتي قد ذكرناها سابقا (أو التي قد نذكرها لاحقا) من غسل اليدين والفم والتسمية قبل الأكل وهيئته أو طريقة الجلوس الصحيحة.

ولقد وضع المربّون المسلمون في هذا الشأن المنهج الذي يتبع في تأديب الصبيان، فمن هذا المنهج تعلّم الصبي آداب تناول الطعام فهذا "مسكويه"[1]، يقول: "يعلّم الصبي أن يتناول الطعام لحفظ الصحة وليس للذة، فلا يجب أن يتناول من الطعام إلاّ ما يحفظ صحة البدن، ويدفع ألم الجوع أو يمنع من المرض ويقبح عند الشره، ويقول: "ويؤاخذ باشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة، ويُزين عنده خُلُق النفس، والترفع عن الحرص في المآكل خاصة، وفي الملذات عامة، ويُحبّب إليه إيثار غيره على نفسه بالغذاء، والاقتصار على الشيء المعتدل، والاقتصاد في التماسه"[2].

وقد نجد أن الله تعالى: طلب من الإنسان الاهتمام بجسمه فلا يفرط في أكله وشرابه حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿**يابني ءَادم خُذوا زينتَكُمْ عند كُلّ مَسْجِدٍ وكُلُوا واشربُوا ولا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحبُّ المُسْرِفِين**﴾[3] ففي الآية الكريمة يناديهم الله تعالى ليتمتعوا بالطيّبات من الطعام والشراب دون إسراف والسؤال الآن: ماهو منهج التغذية في الإسلام، وما هي الأحاديث النبوية التي توضح لنا هذا المنهج؟

لقد وضع الإسلام منهجًا خاصًا للتغذية، وأمر المسلمين بتطبيقه وهو:

أ) الاعتدال في الطعام:

مصداقا للآية الكريمة السابقة: ﴿**يابني ءَادم خُذوا زينتَكُمْ عند كُلّ مَسْجِدٍ وكُلُوا واشربُوا ولا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحبُّ المُسْرِفِين**﴾. لقد جمعت الآية الكريمة أُسُس حفظ الصحة الموجودة، "أن البدن لا بد له من ملاقاة أشياء ضرورية ينبغي تدبيرها وتعاهدها لحفظ صحة البدن، ويأخذ القدر الأصلح من كل منها، وهي: الأكل والشراب "[4]، وغيرها.

فقد أعطت الآية الكريمة قاعدة لسلامة الجسم وهو عدم الإفراط في الأكل لأن ذلك يُضر المعدة ويحملها ما لا طاقة لها به فإن النَّهْمَة –أي الشهوة المفرطة– تفتك بالجسم وتُسبّب إصابته بكثير من الأمراض، وتشلّ حركة تفكيره ونشاطه، وقد أكدّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– على الاقتصاد في الطعام من حيث كميته للمعدة، لأن ذلك فيه صحة للإيمان وللأجسام فيقول –عليه الصلاة والسلام– : "**طعام الإثنين كافي لثلاثة وطعام الثلاثة كافي لأربعة**" [5].

---

[1] مسكوية، هو أحمد بن محمد بن يعقوب الملّقب مسكويه، ويطلق عليه اسم أبي علي، (ت 1030)، مؤرخ له مشاركة في المنطق والكيمياء، عاش في أصفهان، خدم بني بُوَيه. من كتبه "تجارب الأمم وتعاقب الهِمَم" في التاريخ، ينتهي بعام 979 هـ و"تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق". انظر، المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 533

[2] مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لا.ط ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. ت، ص71

[3] سورة الأعراف، الآية رقم 31

[4] هشام ابراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الإسلامي، المرجع السابق، ص 77.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، (باب طعام الواحد يكفي الإثنين)، رقم(5392)، جـ7، المصدر السابق، ص 71.

ويقول الإمام الرضا في رسالته الذهبية[1] التي ألفها بطلب من المأمون: "فانظر يا أمير المؤمنين إلى ما يوافقك ويوافق معدتك، ويقوي عليه بدنك ويستمرئ به من الطعام فقدره لنفسك، واجعله غذائك"[2].

وهذا "ابن قيم الجوزية" يضع منهاجا للمربين لاتباعه في تعويد أطفالهم على الطريقة السليمة في الطعام فيقول: "من أنفع التدبير لهم أن يعطوا دون شبعهم ليجود هضمهم، وتعتدل أخلاطهم، وتقل الفضول في أبدانهم، وتصح أجسادهم وتقلّ أمراضهم لقلّة الفضلات في الغذائية"[3].

لكل هذا سنبيّن مضار الشره والإسراف في الطعام المتمثلة في الآتي:

1. **التعرض للبدانة والسمنة:** قيل: "كلما طال زنارك قصرت حياتك" وتبيّن أرقام شركات الضمان أن الذين وزنهم أقل من المقياس الطبيعي يأملون بحياة أطول كما أنه ليس فيهم استعداد للإصابة ببعض الأمراض التي يصاب بها عادة الذين وزنهم فوق الطبيعي [4].
2. اضطراب الجهاز الهضمي وقد يحصل الإسهال والإمساك، ويؤدي أيضا إلى توسع أو امتداد المعدة الحاد.. وتؤدي إلى الموت إذا لم تعالج، وإلى التخمة، وعسر الهضم، وكثرة الغازات وأوجاع في المنطقة السرسوفية (منطقة من البطن تقع أسفل القفص وفوق منطقة السرة)[5].

لذا فإن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لِنفسِهِ**"، رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة وإسناده صحيح[6].

3. بالإضافة إلى مرض النقرس.. وأمراض الجهاز الدوراني (القلب والأوعية الدموية، إلتهاب البنكرياس الحاد والمرارة، السكري..) كثرة التعرض للحوادث والإصابات.. التسممات الغذائية.. الضرر بالنفس والفكر فكثرة الأكل تؤدي إلى هموم في النفس وبلادة في التفكير وميل إلى النوم.. قال لقمان –عليه السلام–: "يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة"[7]. هذه هي بعض الأضرار الناتجة عن الشراهة والإفراط في الطعام.

---

(1) سميت: "الذهبية" لأنها نقشت بماء الذهب على قصر المأمون لتبقى أمام ناظريه، انظر رسالة الإمام الرضا الذهبية في الطب والوقاية، تحقيق محمد مهدي نجف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1403 هـ/1983م، ص 14

(2) المرجع نفسه، ص 14

(3) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود في أحكام المولود، المرجع السابق، ص 105.

(4) كليفوردر. أندرسون، طريقك إلى الصحة والسعادة، المرجع السابق، ص 503

(5) هشام ابراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الإسلامي، المرجع السابق، ص 85

(6) رواه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، رقم(17186)، جـ28، المصدر السابق، ص422، وانظر سنن الترمذي، أبواب الزهد، (باب ماجاء في كراهية كثرة الأكل)، رقم(2380)، جـ4، ص590، وسنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة، (باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع)، رقم(3349)، جـ2، المصدر السابق، ص1111.

(7) هشام ابراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الاسلامي، المرجع السابق، ص 85 – 86

ب) الأغذية المحرمة:

بعدما تحدثنا عن كمية الأكل نحدث الآن عن نوعيته بأن يكون الطعام مغذيا للجسم مفيدًا يحفظ الصحة، فملاءمة الأطعمة للمعدة والجسم أمر ضروري لصحته وعافيته، وقد أكدّ لنا الطبّ الحديث أن بعض الأطعمة تضر ببعض الأجسام وتظهر عليها عوارض الحساسية والعلل والضعف العام، لذلك كل ما يضرّ الجسم يعتبر حرامًا لأن الضرر مرفوض في الإسلام، فمن هنا حرّم الإسلام الأطعمة التي تؤدي إلى انهيار الجسم والصحة، والتي تؤخر المسلم عن آداء واجباته تجاه ربّه ونفسه وأمّته مثل الخمر ولحم الخنزير وجميع المسكرات والنجاسات منها ما حرم لضررها ومنها ما حرّم تعبدًا...

وهنالك أحاديث نبوية توضح لنا المنهج الإسلامي في التغذية إلى جانب الآيات الكريمة والتي منها: قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الخمرُ والمَيْسَرُ والأنصَابُ والأزلاَمُ رِجْسٌ من عَمَلِ الشيطانِ فاجْتَنِبُوهُ لعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1]، وهذا ردُّ الرسول الكريم الشافي للصحابي حين سأله عن الخمر يصفها للدواء فكان قوله – عليه الصلاة والسلام–: "**إنه ليست بدواء ولكنه داء**"[2].

ولهذا يمكن القول أن "فلسفة التربية الإسلامية عندما تحدد تحريم أنواع معينة من الطعامفي غذاء الإنسان فإن الهدف من ذلك هو المحافظة على الجسم قويا قادرًا كي يظل متلقيا أصول التربية الإسلامية بأقصى قدراته، وإمكانياته، وليس بجزء منها"[3].

ت) مضغ الطعام:

حثّ الإسلام على مضغ الطّعام جيّدا وندب إليه، وهذا ابن مسكويه يقول: "إذا جلس (أي صبي) مع غيره للطعام، فلا يبادر إلى الطعام، ولا يديم النظر إلى ألوانه، ولا يحدّق إليه شديدًا، ويقتصر على ما يليه ولا يُسرع في الأكل... ولا يعظم اللقمة، ولا يبلعها حتى يُجيد مضغَها"[4].ويكره الأكل والشرب متكئًا ونائمًا لأنه ضرر للمعدة والرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**إني لا آكل متكئًا**"[5]. ومنع الإسلام تناول الطعام الحار، فعن أبي داود والترمذي أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "ولا ينفخ في الطعام الحار"[6]. فهو منهي عنه بل يصبر إلى أن يبرد ويسهل أكله.

فهذا هو منهج الإسلام، ومنهج النبي الكريم في التغذية السليمة، إنّ تعليم أبناءنا الالتزام بهذا المنهج، بالتوسّط في الأكل قدر الحاجة والبُعد عن كل ما حرّمه الشرع من الأطعمة والأشربة لهو كفيل

---

[1] سورة المائدة، الآية 90

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، (باب تحريم التداوي بالخمر)، رقم(1984)، جـ3، المصدر السابق، ص1573

[3] عبد الجواد سيد بكر، فلسفة التربية الاسلامية في الحديث الشريف، المرجع السابق، ص 275.

[4] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، المصدر السابق، ص 71

[5] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، (باب الأكل متكئًا)، رقم(5083)، جـ5، المصدر السابق، ص 2062.

[6] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ2، المصدر السابق، ص15

بالمحافظة على صحته، ومن الجدير بالعلم أن الطعام لا يؤكل لأجل الطعام إنّما "الطعام له غايته وهي بناء الجسد بالقدر الذي يحتاجه هذا الجسد على أن لا يخضع الإنسان لشهوة الطعام ويصير عبدًا لها" [1]

والآن نتقل إلى اتباع السُّنن النبوية في النوم على الشق الأيمن:

الأساس الصحي الخامس: إتباع السُّنن النبوية في النوم على الشق الأيمن

تمهيد:

يُعد النوم ضرورة من ضروريات الحياة "لذا أصبح النوم حالة سوية لكل الناس، فمثلما أن الطعام يؤدي إلى نمو اللحم، نجد أن النخاع أو اللبّ الذي يزداد نحافة وضعفا بسبب طول فترة الاستيقاظ، يستعيد بناءه وتكوينه ونموه مرة ثانية أثناء النوم"[2]. ولقد دعا الإسلام إلى راحة الجسم بالنوم وقتا كافيًا، بعد العَناء والكدّ في النهار ولا يزول ولا يذهب تعب الإنسان إلاّ بالراحة ويكون ذلك بالنوم، فالنوم والتعب والراحة يتعاقبان على الإنسان على الدوام وهذا قانون طبيعي له علاقة وطيدة بالصحة كالتغذية ونحوها.

ويعرّف الكندي النوم: بأنه "ترك استعمال النفس للحواس جميعا، فإنا إذا لم ننظر، ولا نسمع، ولا نذق، ولم نشم، ولم نلمس، من غير مرض عارض، ونحن على طباعنا، فنحن نيام"[3]. والحاجة إلى النوم، كما يعرف الناس جميعا، تزداد كلما طالت الفترة التي قضيناها أيقاظًا. والسؤال هو ما هي فائدة النوم؟

فوائد النوم عديدة نذكر منها:

1. يقول ابن قيم الجوزية: "سكون الجوارح ورَاحَتِها مما يعرض لها من التعب، فيريح الحواس من نصب اليقظة، ويزيل الأعباء والكلال"
2. هضم الغذاء، ونضج الأخلاط لأن الحرارة الغريزية في وقت النوم تغور إلى باطن البدن، فتُعين على ذلك، ولهذا يبرد ظاهرة ويحتاج النائم إلى فضل دثار[4].
3. "علاج القلق.. والتخلص من السموم المتراكمة من الجسم وكذلك بناء أنسجة الجسم التالفة.."[5]

---

[1] عبد الجواد سيد بكر، المرجع السابق، ص 276

[2] الكسندر بوربلي، أسرار النوم، عالم المعرفة، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، العدد 163، يصدرها المجلس الثقافي للفنون والآداب، الكويت، ذي الحجة 1412 هـ/ يوليو 1992م، ص 20

[3] محمد عبد الهادي أبوريدة، الكندي، في ماهية النوم والرؤيا، نقلا من كتاب "رسائل الكندي الفلسفية"، بتصرف، دار الفكر العربي، القاهرة 1950م، ص 294 – 308

[4] ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص 248

[5] هشام ابراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الاسلامي، المرجع السابق، ص 101

ويقول "الكندي": "للنوم فائدة كبيرة للإنسان والحيوان، فإنه يؤدي إلى سكون الأعضاء عن الحركة، وتفريغ الآلة الهاضمة للهضم، وإفادة البدن من الغذاء، خلفًا من كل ما سال وتحلّل منه بالتعب"[1].

والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه: ما هي الآثار المترتبة على الحرمان من النوم؟

يقول "إلكسندر بوربلي" عن الآثار المترتبة عن الحرمان من النوم في قطاعات مختلفة من القوة العاملة "أنّه يمكن أن يؤدي إلى خفض في قدرة الشخص في أداء وظائفه بكفاءة، وقد تكون له عواقب مأسوية بالنسبة لسائقي السيارات أو عمال الصناعة وغيرهم..."[2]. فالإنسان الذي لم ينم تظهر عليه علامات التعب والإعياء، فيقلّ تركيزه كما ينقص وزنه، لأن النوم فيه تجديد لحيوية الإنسان ونشاطه.

وأما عن كيفية النوم وأهميته في حياة الطفل فنقول:

النوم هو من أعظم الأمور أهمية في حياة الطفل العقلية والبدنية، وخاصة أثناء السنوات الثلاث الأولى، فقد رأى المربّون المسلمون أن على الأم أن تعتني بمضجع الطفل وغذائه فيقول ابن سينا: "يجب أن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسده، ويحذر أن يلوي مرقده شيئًا من عُنقه وأطرافه وصُلبه"[3].

وإذا نظرنا إلى نوم رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– ويقظته لوجدناه: "أعدل نوم، وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أول الليل، ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم ويستاك، ويتوضأ ويصلي ما كتب الله له، فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظّها من النوم والراحة، وحظّها من الرياضة مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة" [4].

وأنفع النوم ما جاء به الحديث النبوي الشريف أنه من الأفضل أن ينام الإنسان على الشق الأيمن، فعن البراء بن عازب، أن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: "**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهمّ إني أسلمت نفسي إليك، ووجّهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبةً إليك لا ملجأ ولا منجا منك، إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيّك الذي أرسلت، فإن مِتّ متّ على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول**"[5].

وقد أيد الطب الحديث كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حين اكتشف أن الحكمة من النوم على الجانب الأيمن ترجع إلى :

---

[1] محمد عبد الهدي أبو ريدة، الكندي، في ماهية النوم والرؤيا من كتاب "رسائل الكندي الفلسفية"، المرجع السابق، ص 306

[2] الكسندر بوربلي، أسرار النوم، المرجع السابق، ص 201

[3] ابن سينا، القانون في الطب، جـ1، حققه وعلق عليه ادوار القش، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت، 1408هـ/1987م ، ص 200

[4] ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص 247

[5] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، (باب إذا بات طاهرا)، رقم(5952)، جـ5، المصدر السابق، ص 2326.

- استقرار الطعام بهذه الهيئة على المعدة استقرارًا حسنًا، فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلا، ثم يتحول إلى الشق الأيسر قليلا ليسرع الهضم بذلك لاستمالة المعدة على الكبد، ثم يستقر نومه على الجانب الأيمن، ليكون الغذاء أسرع انحدارًا عن المعدة.. وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه فتنصب إليه المواد...[1]

إذن فإن اتباع سنة رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– بالنوم على الشق الأيمن "يُبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– النوم على الوجه بنومة الشيطان، فعن أبي أمامة قال: مرّ النبي –صلى الله عليه وسلم– على رجل نائم في المسجد منبطح على وجهه، فضربه برجله، وقال: **قم أو أقعُدْ، فإنها نومةٌ جهنمية**"[2]، "فإذا نام الطفل على بطنه فيؤدي ذلك إلى كثرة حك أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة... فضلا عن أن النوم على الصدر يورث كثيرًا من الأمراض الجسمية... والأطباء جميعا بدون استثناء ينصحون الابتعاد عن النوم على البطن"[3]. وأسوأ أنواع النوم، هو النوم على الظهر بعد تناول الطعام، فإذا امتلأت المعدة بالطعام، تضغط على الشرايين والأوردة، وبهذا تعرقل وصول الدم من هذه المناطق إلى القلب ممّا يقلّل كمية الدم الواصلة إلى المخ...[4]

- لقد نهى نبي الله –عليه الصلاة والسلام– عن النوم في الشمس، ونوم الإنسان بعضه في الشمس وبعضه في الظل رديء، فقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**إذا كان أحدكم في الشمس فقلص عنه الظل، فصار بعضه في الشمس، وبعضه في الظل فليقُم**"[5].
- ونوم النهار رديء يورث الأمراض الرطوبية والنوازل، ويفسد اللون، ويورث الطحال، ويُرخي العصب، ويكسل، ويضعف الشهوة إلاّ في الصيف وقت الهاجرة، وأردؤه نوم أول النهار، وأردأ منه النوم آخره بعد العصر.

رأى "عبد الله بن عباس" ابنًا له نائما نومة الصبحة، فقال له: قم، أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق؟ [6]

فهذه بعض الإرشادات التي من خلال أدائها يحصل الإنسان على النوم الطيّب منها: "اجعل لنفسك موعدًا معينا ثابتا تأوي فيه إلى فراشك، احصل على مقدار النوم الذي تحتاج إليه، نَمْ في غرفةٍ

---

(1) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص 248

(2) سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، (باب النهي عن الاضطجاع على الوجه)، رقم(3725)، جـ2، المصدر السابق، ص1227.

(3) محمد نو سويد، منهج التربية النبوية، المرجع السابق، ص 264

(4) هشام إبراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الإسلامي، المرجع السابق، ص98

(5) سنن أبي داود، كناب الأدب، (باب في الجلوس بين الظل والشمس)، رقم(4821)، جـ4، المصدر السابق، ص257

(6) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص 249

هادئة مظلمة جيدة التهوية.. من الأمور التي ينبغي تجنُّبَهَا في ساعات المساء، الإفراط في تناول القهوة والكحول والنيكوتين. الوجبات الثقيلة، الأنشطة المجهدة الذهنية أو الجسمية، وتذكّر: أن ليلة واحدة تنقضي بدون نوم لا ينبغي أن تكون مدعاة للانزعاج والهمّ.. "[1].

وأخيرا، لو فُقنا نحن وغرسنا في نفوس أطفالنا ما ينبغي من العادات الطيّبة المتعلّقة بالنوم في صدر حياتهم، لاستطعنا أن نجنّبهم بذلك كثيرًا من الاضطراب والقلق والهلع الذي يرتبط بالأرق في حياتهم المقبلة، ولنعموا بنوم هادئ مفيد.

الأساس الصحي السادس: اهتمام الأطفال بالنظافة

تمهيد:

لقد عني الإسلام بالطهارة والنظافة عنايةً بالغة، لأن النظافة إحدى العناصر المهمّة في تكوين الجانب الصحي، وتجعل الإنسان بمأمن من التلّوث بالأمراض السارية والأوبئة الفتّاكة، لذا جاءت آيات كثيرة تحثّ على التطهر والنظافة منها، قال تعالى: ﴿**وثيابكَ فَطهِّر(٤) والرُّجزَ فاهْجُرْ(٥)**﴾[2]، أما رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقد حثّ كذلك على النظافة والطهارة.

روى أبو داود وغيره أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أوصى بعض أصحابه وهم قادمون من سفر بالاعتناء بالنظافة وحسن المظهر من هذه الوصايا قوله: "**إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم واصلحوا لباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة، فإن الله عزّ وجلّ لا يحب الفحشى والتفحُش**"[3].

فالنظافة إذا مهمّة دائما بصحة الولد حتى قيل النظافة من الإيمان، وكل واحد منا يفضل ويحبُ أن يعيش في بيئة نظيفة وصحية مع أفراد نظيفين متحلين بقواعد الصحة والنظافة، لذلك يجب أن يتعلم الولد منذ صغره كيف يجعل نفسه وثيابه وبيته نظيفا، وعادات النظافة تعتبر من أركان بناء الشخصية المتزّنة، الواثقة من نفسها، ومن واجبنا نحن كمرّبين أن نعلّم أولادنا وأطفالنا أن النظافة نوعان:

نظافة السرائر ونظافة الظاهر:

- **أمّا نظافة السرائر:** فتتمثل في تطهير القلب والصدر من الأخلاق الرذيلة المذمومة مثل الكذب والرياء والنفاق والشك والظن والحقد وغيرها.. لقوله –صلى الله عليه وسلم–: "**الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال**"[4].
- **ونظافة الظاهر:** فتتمثل بما شرعه الإسلام ودعا إليه من :

أ. **نظافة الجسم:**

---

[1] **إلكسندر بوربلي، أسرار النوم، عالم المعرفة، المرجع السابق، ص 272– 273.**

[2] **سورة المدثر، الآية 4– 5.**

[3] **مسند الإمام، مسند الشاميين، (باب حديث سهل بن الحنظلية)، جـ29، المصدر السابق، ص 164**

[4] **البيهقي، شعب الإيمان، مقدمة الكتاب، رقم(65)، جـ1، المصدر السابق، ص 158.**

وإزالة ما عليه من الأوساخ عن طريق الغسل: حيث أمر الإسلام غسل جميع البدن، والاغسال في الشريعة الإسلامية، منها واجبة ومنها مستحبة، والواجبة على ستة أقسام: "غسل الجنابة، والحيض، والاستحاضة، والنفاس والميّت، ومسّ الميت بعد برده وقبل تطهيره"[1]. وفي الغسل تخليص الجسم من الأوساخ والأتربة وما يتعلقبه من أدران.

ب. تقليم الأظافر والحلق:

دعا الإسلام إلى نظافة أجزاء البدن فقد حثّ على تقليم الأظافر والحلق، فقد جاء في الحديث: الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: "**الختان والاستحداد ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب**"[2]، "وتقليم الأظافر واجب على الفرد، لأنها تحمل تحت طياتها الأوساخ والميكروبات (الجراثيم) والفيروسات، وتتكاثر في هذه المنطقة وتنقل الأمراض للإنسان وتسبّب الإسهال والمغص البطني .. وتسبّب للعين التهابات متعددة، منها التهابات الجفن، والشحاد، والتهابات الملتحمة وغيرها... [3]. وتقليم الأظافر هو قص ما زاد منها على طرف الأصبع لما يتجمع تحتها من الأوساخ تتحول بعد ذلك إلى قذارة مؤذية. فلنعوّد أولادنا على قص أظافرهم متتبعين نهج رسول الله وأوامره، وتطبيق هذه الأوامر الصحية مما يوجب توفّر الصحة وسلامة الجسم ووقايته من الأمراض لأطفالنا.

ج. قص الشعر ونظافته:

يقول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم–: "**اللهم ارحم المحلقين**" **قالوا: والمقصرين، يا رسول الله، قال:** "**والمقصرين**"[4]، ففي هذا الحديث الشريف نجد أن في قص الشعر نظافة، ومن عناية الإسلام بالظهر حثّه على إصلاح شعر الرأس واللحية، روى الإمام مالك في الموطأ أن رجلاً جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول –صلى الله عليه وسلم– (كأنه يأمره بإصلاح شعره) ففعل، ثم رجع، فقال النبيّ –صلى الله عليه وسلم–: "**أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان**"[5]، فلنعتن بنظافة شعر أطفالنا بغسله (شعر الرأس) مرّة بالأسبوع على الأقل لأنه عامل قوي لحفظ جودة الشعر وسلامته والعناية بتمشيطه وترتيبه.

د. نظافة اسنان الطفل:

من الضروري والمهم أن يعتني الإنسان بمظهره الخارجي الذي يقابل به الناس، فإن من كريم العشرة أن لا يقع عين أخيك منك ما يكره، من قذارة على جسدك أو ملبسك، ومن رائحة تفوح منك، وإنّ

---

(1) محمد جواد مغنية، فقه الإمام جعفر الصادق، جـ1، المرجع السابق، ص 114

(2) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، (باب الختان بعد الكبر نتف الإبط)، رقم(5939)، جـ5، المصدر السابق، ص2320.

(3) هشام ابراهيم الخطيب، المرجع السابق، ص 117– 118

(4) صحيح البخاري، كتاب الحج، (باب الحلق والتقصير عند الإحلال)، رقم(1640)، جـ2، المصدر السابق، ص 616.

(5) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ2، المرجع السابق، ص 965

أول ما يلاحظه الناس عند مقابلتنا إياهم هو نظافة أسناننا وهيئتها لأن الأسنان المريضة تشوّه شكل الوجه وهيئته، لذا نجد أن قواعد الصحة تشمل دائما العناية بالأسنان[1].

لقد حثّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– على استعمال السواك، والسواك "يحصل عليه من شجرة الأراك واسمها العلمي هو السفادورا براسيكا (Salvadora Persica) وتنمو هذه الشجرة في مناطق عديدة حول مكة وفي المدينة المنوّرة وفي اليمن وفي إفريقيا.. والجزء المستعمل من السواك هو لب الجذو... [2]. فإنه من السُنّة الاستواك وهو حك الأسنان بعود السواك مما جاء عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن العباس بن عبد المطلب عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– قال: "**لولا أن أشق على المؤمنين لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة**"[3]، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم–: "**إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك**"[4].

ولقد ثبت علميا بعد تحليل أعواد السواك كيميائيا على أنّ "الأراك هذا النبات يتكوّن كيميائيا من ألياف السيليوز، وبعض الزيوت الطيّارة، وبه راتنج عطري، وأملاح معدنية، أهمها كلورور الصوديوم، وهو ملح الطعام وكلورير البوتاسيوم، وإكسالات الحبر"[5].

وكما أشرنا سابقا أن قواعد الصحة تشمل دائما العناية بالأسنان، ولكي يتم الفائدة منها يجب أن تبدأ باكرًا في حياة الإنسان أي في سن الطفولة فيتعلم كل طفل كيف يعتني بتنظيف أسنانه، ولا بد على الوالدين أن يكونوا قدوة لأولادهم في هذا المجال. فإذا تعود الطفل هذه العادة، وبدأ ينظف أسنانه بشكل منتظم، ومتواصل، فإنه يقضي على كثير من الأمراض التي تكون أحيانا من تسوس الأسنان، أو من مرض اللثة حيث أثبت الطب الحديث مفعول السواك، واحتواءه على مواد كيميائية تفيد الأسنان، وتقوي اللثة بشكل فعال.

وما أصدق القول القديم "الأسنان النظيفة لا يصيبها النخر ولا التسوّس"، وتنظيفها لا يتم إلاّ باستعمال الفرشاة بالطريقة السليمة بعد كل وجبة.

هـ. نظافة السبيلين والأعضاء التناسلية:

مما شرّعه الإسلام للنظافة الاستنجاء وهو تطهير مخرج البول بالماء أو مخرج الغائظ باستعمال الماء الكثير لإزالة التلّوث نهائيا، ثم تجفف هذه المخارج بورق نظيف حتى "لا تكون رطبة وتكون الفرصة سانحة لنمو الفطريات في هذه الأماكن، ونظافة هذه الأعضاء عند الإناث يجب أن يستحق اهتماما عند

---

[1] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص 439

[2] هشام ابراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الاسلامي، المرجع السابق، ص 113

[3] صحيح مسلم، كتاب الطهارة، (باب السواك)، رقم(202)، جـ1، المصدر السابق، ص 220.

[4] المصدر نفسه، رقم(255)، جـ1، ص 221.

[5] باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، المرجع السابق، ص 305– 306

التبول... لأن أي إهمال يؤدي إلى تكاثر الجراثيم وحدوث الالتهابات في المثانة عند صعودها عبر الإحليل.. وكذلك التهابات الرحم وغيرها.."[1]

و. نظافة الثياب:

لقد أمر الإسلام المسلمين بالعناية بنظافة ملبسهم وحُسن هيئتهم.. وبخاصة إذا ذهبوا إلى المسجد أو اختلطوا مع غيرهم في المناسبات الاجتماعية، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دقيق الملاحظة، فإذا رأى مسلما يهمل في ثيابه، وتنسيق هيئته، نهاه عن الاستمرار في هذا الاهمال، وحدث أن رأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال: "أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه" [2] .

وأخيرا لابدّ علينا من تعليم وتأديب أطفالنا وأبنائنا الامتثال أمام المنهج الإسلامي والأخذ بأساليب الإسلام بالتطهير والنظافة والمحافظة على الصحة والجسم من صغرهم، فإذا كبروا وبلغوا مبلغ الرجال أصبحت هذه الأعمال جزءًا من حياتهم وعادة متأصلة راسخة لا يمكن استئصالها ويكونوا بذلك قد اتبعوا نهج النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم– وفازوا بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه .

والآن ننتقل إلى الأساس السابع من البناء الصحي والجسمي وهو إبعاد الطفل عن الأمراض المعدية.

الأساس الصحي السابع : إبعاد الطفل عن الأمراض المعدية

لقد جاءت أحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– تدعو إلى الاهتمام بالصحة حيث تجنب الإصابة بالأمراض المعدية والسارية والوراثية والولادية، حيث أن ما تحدثنا عنه من التطهر والتنظيف من النجاسات والأوساخ المادية والمعنوية فيها خير وقاية من الأمراض.. فللطب الوقائي أهمية كبرى في منع انتشار الأمراض من المرضى إلى المعافين.. ومن الوقاية التي عيّنها الإسلام ما يسمى اليوم بالحجر الصحّي فقد ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها**"[3]. وقد جاءت أحاديث كثيرة للرسول الكريم تحضّ المرضى على عدم الاختلاط بالأصحاء وعدم التنقّل من أماكنهم إلى أماكن أخرى حتى لا تنتقل العدوى.

روى مسلم وابن ماجة وغيرهما من حديث جابر ابن عبد الله –رضي الله عنهما– أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم[4]، فأرسل إليه النبي – صلى الله عليه وسلم –: "**أنا قد بايعناك فارجع**"[5]

---

[1] هشام ابراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الاسلامي، المرجع السابق، ص 118 – 119

[2] سنن أبي داود، كتاب اللباس، (باب في غسل الثوب وفي الخلقان)، جـ4، المصدر السابق، ص 51

[3] صحيح البخاري، كتاب الطب، (باب ما يذكر في الطاعون)، رقم(5396)، جـ5، المصدر السابق، ص 2163.

[4] الجذام، مرض حبيبي مزمن معدي يصيب البشر، ويهاجم بأشكاله المختلفة والأغشية المخاطية للمسالك التنفسية العليا، وبعض الأعصاب الطرفية وقد انتشر الجذام في جميع العصور ويبلغ حاليا عدد المصابين في العالم حوالي 12.5 مليون نسمة، انظر هشام ابراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الاسلامي، المرجع السابق، ص 94.

[5] صحيح مسلم، كتاب الآداب،، (باب اجتناب المجذوم ونحوه)، رقم(2231)، جـ4، المصدر السابق، ص 1752.

وقوله –عليه أفضل الصلاة والسلام–: "**فرّ من المجذوم كما تفر من الأسد**"[1].

وللتربية دورها في تفهم الإنسان وتعليمه "أين يكمن الخطر ويوجد ميكروب المرض"[2] وكيف يحافظ ويحمي نفسه من الإصابة بهذه الميكروبات الجراثيم .

ومن أنواع الوقاية التي أشار إليها الحديث الشريف: الوقاية من الحيوانات التي تحمل "ميكروبات" ضارة فقال –عليه الصلاة والسلام–: "**إذا شرب الكلب في إناء أحدهم فليغسله سبعًا**"[3] والحديث يشير إلى أن لعاب الكلاب يحمل ميكروبات وعلى هذا قد ينتقل هذا الميكروب أيضا من "مداعبة الكلاب وتعويد الأطفال التوقي منها، فلا تترك تعلق أيديهم ولا يجوز إبقاء الكلاب بمجال نزهة الأطفال، وميادين رياضتهم، كما يجب أن لا تطعم الكلاب في الأواني المعدّةُ لأكل الناس وأن لا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العامة أو المطاعم، وعلى وجه عام يجب إبعادها عن كل ما له صلة بمأكل الإنسان ومشربه"[4].

ولهذا وضع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قاعدة عامة لجميع الناس كبيرها وصغيرها تدعوا المرضى إلى عدم ورود الاختلاط بالأصحاء، وعدم التنقل وزيارة أحد حتى لا تنتقل العدوى، وليجنب إصابة الأصحاء من الناس، ويؤيد هذا القول قوله –عليه الصلاة والسلام–: "**لا يوردنّ ممرض على مُصحّ**"[5].

إن "أكثر الأمراض التي يعاني منها الإنسان من صنع يديه ، ومن آثار سلوكه في البيئة التي يعيش فيها، ومن نتائج معاملاته مع نفسه ومع الناس، ومع الحياة، ومعظم هذه الأمراض قابل للتوقي..."[6]. لذا فإن معظم أمراض الأطفال تكون من جهل الأبوين بالوقاية الصحية فقد يأخذان طفلهما في زيارة الجيران أو الأقرباء ويكون بينهم طفل مصاب مُعدي، لذا يحذر الأبوان من أن يأخذا طفلهما إلى زيارة أحد في بيته طفل مصاب بمرض معدي. وكما ذكرنا أن هذه الأمراض قابلة للتوقي لو عرف كل فرد منا التزاماته الصحية وعمل بالهدي النبوي في الوقاية والتربية ورعاية الأجسام والحفاظ على صحة الأبدان.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الطب، (باب الجذام)، رقم(5380)، جـ5، المصدر السابق، ص 2158.

[2] صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، جـ2، ط 12، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1976م، ص 18

[3] البخاري، صحيح البخاري، جـ1، باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا، المصدر السابق، ص 90.

[4] سعيد حاوي، الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم – ط4، 1397هـ/1977م، ص 44.

[5] صحيح البخاري، كتاب الطب، (باب لا هامة)، رقم(5437)، جـ5، المصدر السابق، ص2177.

[6] كليفورد. اندرسون، طريقك إلى الصحة والسعادة، مقدمة الكتاب، المرجع السابق.

ولقد وجهنا الإسلام إلى الأخذ بعلاجين حين إصابة الطفل بالمرض:

أولا: العلاج النفسي والروحي للمرض بالصبر والتوكل

إن مايدور داخل الإنسان من أوهام نفسية قد تؤدي إلى المرض أو مضاعفته أو زيادته... فإذا مرض لنا الطفل وجب علينا التحلي بالصبر على هذا المرض واعتباره قضاء الله تعالى وابتلاء يؤجر الإنسان عليه، روى"الترمذي" عن"أبي هريرة" –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "**مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة**"[1].

لذلك لا ينبغي للمسلم أن يحزن على مرض ولده، لأن المسلم الصحيح الإيمان لا يفزع عند الضراء بحيث يفقده الصبر عن الإيمان بالله لنسمع ماقاله نبي الله –صلى الله عليه وسلم– "**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذاك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضّراء صبر فكان خيرا له**" [2].

ثانيا: السرعة في معالجة الطفل المريض

إنّ السرعة في أخذ الطفل إلى الطبيب تشكل عاملا كبيرا في التخفيف من المرض، إن استفحال كثير من الأمراض يرجع إلى تهاون الأهل في أخذ الطفل إلى عيادة الطبيب[3] لهذا نجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يعلمنا السرعة في معالجة الطفل فقد روى ابن سعد عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: عثر أسامة –رضي الله عن– على عتبة الباب أو أسكفة الباب فشج جبهته، فقال يا عائشة أميطي عنه الدم فتقذرته، قالت: فجعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يمص شجته ويمجه ويقول: "**لو كان أسامة جارية لسكوته وحليته حتى أنفقه**"[4].

ثالثا: عيادة الطفل المريض

وهذا علاج نفسي للطفل المريض، فإنه عندما يرى الكبار حوله جاؤوا لزيارته تقوى نفسه على مواجهة المرض، ويبدأ بالتحرك والكلام مع الضيوف شيئا فشيئا، وإذا صحب المجلس، وتلك الزيارة الدعاء للطفل كان خيرا على خير، وهذا علاج نبوي للأطفال فريد في معناه، فقد أخرج البخاري عن أنس –رضي الله عنه– قال: كان غلام يهودي يخدم النبي –صلى الله عليه وسلم– فمرض، فأتاه النبي –صلى الله عليه وسلم– يعوده، فقعد عن رأسه، فقال له : "أسلم" فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطعْ أبا القاسم !فأسلم، فخرج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو يقول:"**الحمد لله الذي أنقذه من النار**" [5].

---

[1] سنن الترمذي، أبواب الزهد، (باب الصبر على البلاء)، رقم(2399)، جـ4، المصدر السابق، ص 602.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 138 من الرسالة.

[3] سهام مهدي جبار، الرمجع السابق، ص 444.

[4] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ2، المصدر السابق، ص 218.

[5] سبق تخريج الحديث، ص 152 من الرسالة.

هكذا يعود الرسول –صلى الله على آله وسلم– الأطفال مؤمنهم وكافرهم، ويحرص عليهم، وما هذا إلا عناية منه بهم، واهتماما منه صلى الله عليه وسلم بالأطفال.

رابعا: معالجة المرض بالتداوي واستشارة الطبيب

يُعدّ الدواء والعلاج من وسائل تربية الجسد برعايته صحيحا. فرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمر بالتداوي في أكثر من حديث، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**ما أنزل الله داءا إلا أنزل له شفاء**"[1].

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: "**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل**"[2]، ولا يقال أن المريض يتكل على الله فلا يعالج بالدواء لأنه كما أن المرض من الله تعالى كذلك فإن الدواء منه أيضا وبذلك يرمي نفسه في بحور الاتكالية القدرية وهذا عين الجهل. فإن أخذ بالدواء لمعالجة مرضه فهو آخذ بما هو من الله لمعالجة ما هو آت منه تعالى أيضا.

كذلك بيّن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه عند استشارة الأطباء، يجب استشارة الأحذق والماهر في المعالجة الطبيّة، لذلك نصح –عليه الصلاة والسلام– سعد بن أبطي وقاص حين أصيب بمرض القلب قائلا: "**إنّك رجل مفؤدٌ، إئت "الحارث بن كلدة" أخا ثقيف، فإنه رجل يتطيّب...**"[3]. حيث نجد أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يدعو في هذا الحديث الشريف إلى احترام التخصص في فروع الطب، فينادي "الحارث بن كلدة" للمريض المفؤود.

إذن فما على الآباء إلا أن يتبعوا توجيهات رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بخصوص الاهتمام بالأولاد والأطفال حين يمرضون والمسارعة في معالجتهم والكشف عليهم عند أطباء متخصصين.

كما ينبغي الأخذ ببعض الأدوية والوسائل التي تشفي بعض الأمراض مثل: الحجامة: حيث وردت الحجامة في أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كإحدى طرائق المعالجة. مشتركة مع العسل والكي. حيث قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فيما رواه الإمام البخاري: "**الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم أو شربة عسل أو كيّة بنار وأنهي أمتي عن الكي**" [4].

"تجري الحجامة للحصول على احتقان موضعي في الجلد، بواسطة المحاجم التي تكون على شكل كؤوس صغيرة مصنوعة من زجاج كثيف مدور منفوخ القعر، وهذه الكؤوس يتراوح حجمها من 30 – 50 ملليتر"[5].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، (باب ما أنزل الله داء إلّا أنزل شفاء)، رقم(5354)، جـ5، المصدر السابق، ص2101.

[2] صحيح مسلم، كتاب الآداب، (باب لكل دواء واستجاب التداوي)، رقم(2204)، جـ4، المصدر السابق، ص 1729.

[3] أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الطب، (باب في تمرة العجوة)، رقم(3875)، جـ4، المصدر السابق، ص 7.

[4] صحيح البخاري، كتاب الطب، (باب الشفاء في ثلاث)، رقم(5357)، جـ5، المصدر السابق، ص 2152.

[5] هشام إبراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الإسلامي، المرجع السابق، ص 164.

أما التداوي بالعسل فقد ورد في القرآن الكريم حيث ألهم الله سبحانه النحل وهداها إلى أن تتخذ بيوتا لصنع عسلها في ثلاثة أماكن: الجبال والشجر وبيوت الناس، ويسرلها الطرق للوصول إلى ما تريد من الأزهار والثمار وغيرها، وفي عسلها شفاء وعافية للناس قال تعالى: ﴿**وَأَوحى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنِ اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعرِشونَ (٦٨) ثُمَّ كُلي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخرُجُ مِن بُطونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ أَلوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ (٦٩)**﴾[1].

كذلك ورد في الصحيحين عن "أبي سعيد الخدري" –رضي الله عنه– أن رجلا جاء إلى رسول الله –صلي الله عليه وسلم– فقال: "أن أخي استطلق بطنه فقال : "اسقه عسلاً" فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء، فقال يارسول الله أسقيته عسلاً مازاده ذلك إلاّ استطلاقا، فقال رسول الله –صلي الله عليه و سلم– "**صدق الله وكذب بطن أخيك**"، "**فسقاه فبرأ**"[2].

ويقول هشام إبراهيم الخطيب بشأن فوائد العسل بالنسبة للأطفال: "العسل يفيد في التغذية للأطفال.. ويستخدم أيضا العسل في معالجة التبول في الفراش عند للأطفال.. فبهذا يمكن معالجة هذه الحالة بإعطاء الطفل معلقة صغيرة من العسل قبل النوم يوميا.. بالإضافة إلى أنه فيه شفاء لأمراض العيون، والجهاز الهضمي.. وهو مبيد للجراثيم، ويستخدم العسل في معالجة الحروق، وفي سرعة التئام الجروح إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى"[3].

ومن بين العلاجات النبوية أيضا هناك :

العلاج باستخدام العود الهندي و السعوط:[4]

أخرج الإمام أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجة عن "أم قيس" بنت محصن أخت "عكاشة" – رضي الله عنه–، قالت: دخلت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بابن لي لم يأكل الطعام، فبال عليه، فدعا بماء فرشّه قالت: ودخلت عليه بابن لي، لقد أعلقت عليه من العذرة[5] فقال: "علام تدعرن أولادكن بهذا العلاق؟ عليكن بهذا العود الهندي: فإن فيه سبعة أشفية من سبعة أدواء: منها ذات الجنب ويسعاه من العذرة ويُلد به من ذات الجنب"

العود الهندي: أي الكُست بأن يدق ناعما، ويذاب، ويسعط به, فإنه يصل إلى العُذرة، فيقبضها لكونه حاراً يابساً.

---

[1] سورة النحل، الآية 68– 69.

[2] صحيح مسلم، كتاب الآداب، (باب التداوي يسقي العسل)، رقم(2217)، جـ4، المصدر السابق، ص 1836.

[3] هشام إبراهيم الخطيب، الوجيز في الطب الإسلامي، المرجع السابق 161، 163.

[4] "السعوط" ما يتداوى به شما، أو سائلا، يسكب في الأنف، محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 388.

[5] وفي رواية: " لا تعذبوا صبيانكم بالغمز في العذرة " والعذرة ": داء في الحلق، حيث كانوا ينظفون اللوزتين من القيح باليد، محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 388.

وذات الجُنْب[1]: السل،وقال "القرطبي": وجع فيه يسمي الشوصة. وقلما يسلم منه من ابتلي به.

ويسعط من العذرة : بضم المهملة و سكون المعجمة، وهو وجع، أو عقدة في الحلق تعتري الصبيان غالباً أو قرحة في الأذن و الحلق .

وُيلدُّ به : أي: يصب في احدى شقي الفم [2].

وقال البخاري: القسط الهندي البحري، وهو الكُست مثل الكافور، ووصف سفيان العلاق: يُحنك بالأصبع، وأدخل "سفيان" إصبعه في حنكه، وقال : إنّما يعني رفع حنكه بإصبعه [3].

وعن جابر –رضي الله عنه–: أنّ امرأة جاءت بصبي لها إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالت: إفقأ منه المعذرة، فقال: "تحرقون حلوق أولادكم، خذي قسطاً هنديا و ورساً، فأسعطيه إيّاه" رواه الحاكم في مستدركة (4/ 206) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم [4].

وعن جابر –رضي الله عنه– قال: كان عند أم المؤمنين "عائشة" –رضي الله عنها– صبي يقطر منخراه دما، فدخل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "ما شأن هذا الصبي؟" قالت به العذرة، فقال : ويحكن يامعشر النساء ! لا تقتلن أولادكن، وأي امرأة يصيبها عذرة، أو وجع برأسه فلتأخذ "قسطا هنديا" قال : وأمر عائشة، ففعلت ذلك، فبرأ. رواه الحاكم في مستدركة (205/4) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم[5].

وذكر أبو داود –بسند قوي–أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– استعط[6].

وقال ابن القيم –رحمة الله– في كتابه الطب النبوي[7]: "قسط" و "كست" بمعنى واحد، و هما نوعان:

- الأبيض الذي يقال له البحري.
- والآخر الهندي وهو أشدهما حرّا.
- والأبيض ألينهما، ومنافعهما كثيرة جدّا .

العلاج بالحجامة والمشيّ:

روى الترمذي –وقال حديث حسن– عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–، قال عكرمة: كان لابن عباس غلمة ثلاثة حجّامون و كان اثنان يغلان عليه و على أهله، وواحد يحجمه ويحجم أهله،

---

(1) قال ابن القيم في كتابه الطب النبوي (81): كل وجع في الجُنب قد يُسمى ذات الجُنب اشتقاقات من مكان الألم.

(2) يقال لدّه باللدّود، إذا سقاه الدواء في أحد جانبي الفم، عن كتاب "وفاء الوفا"، جـ 1، ص 70.

(3) انظر الأرناؤوط، جامع الأصول، جـ 7، ص 525

(4) محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 389.

(5) المرجع نفسه، ص389.

(6) المرجع نفسه، ص 389.

(7) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، الأرناؤوط، ص 353.

قال: قال ابن عباس: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "نعم العبد الحجّام، يذهب بالدم، ويُخفُّ، الصُلب، ويجلُو البصر... خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرون.. خير ما تداويتم به السعوط، واللدود[1]، والحجامة، والمشيّ"[2]. رواه الحاكم في مستدركة (4/ 209) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه . وأقره الذهبي

وعن عائشة –رضي الله عنها–: أنها استأذنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الحجامة، فأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– أبا طيبة أن يحجمها. قال: حسبت أنه قال: وكان أخوها من الرضاعة، أو غلاما لم يحتلم. رواه الحاكم في مستدركة (جـ4/ص210) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه[3].

العلاج بالدعاء والرُّقى:

روى مالك في الموطأ عن حميد بن قيس المكي –رضي الله عنه– قال: دُخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بابني جعفر بن أبي طالب، فقال لحاضنتهما: "مالي أراهما ضارعين؟" فقالت حاضنتهما: يا رسول الله! إنهما تُسرع إليهما العينُ، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما، إلّا أنا لا ندري ما يوافقك من ذلك؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**استرقوا لهما، لأنه لو سبق شيء القدر لسبقه العين**"[4].

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: أنّ امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقالت: **يا رسول الله! إنّ به لمماً**[5]**، وإنه يأخذه عند طعامنا، فيفسد علينا طعامنا، فمسح رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صدره، ودعا له فثع ثعة(وهو القيء) فخرج من فيه مثل الحجر الأسود، فشفي**"[6].

---

(1) "**اللدود**": **بالفتح هو الدواء الذي يُلدّ به، ويصب في طرف فم المريض، محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 390.**

(2) **المشيّ: الدواء المسهل، لأنه يحمل شاربه على المشي إلى الخلاء، قاله الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي على هامش تحقيقه لكتاب الشفا في الطب للإمام أحمد بن يوسف التيفاشي (ت 651 هـ)، ص 86، نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 391.**

(3) **محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 391.**

(4) **موطأ مالك ت الأعظمي، كتاب العين، (باب الرقية من العين)، رقم(3462)، جـ5، المصدر السابق، ص1374.**

(5) **أي: طرفاً من الجنون يلم بالإنسان، أي يقرب منه، ويعتريه، ويصيبه، انظر المنجد في اللغة والأعلام، مرجع سابق، ص 732.**

(6) **رواه أحمد في مسنده،ومن مسند بني هاشم، (باب مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي–صلى الله عليه وسلم)، رقم(2133)، جـ4، المصدر السابق، ص37.**

وأخرج البخاري ومسلم عن السائب بن يزيد –رضي الله عنه– قال: **ذهبت بي خالتي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقالت: يا رسول الله! إنّ ابن أختي وَجِعُ، فمسح رأسي، ودعا ودعا لي بالبركة**"[1].

وفي هذا الشأن إليك بعض الرقى المسنونة، والمستحبة، التي كان يطبقها نبي الله –صلى الله عليه وسلم–:

روى الترمذي عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان يعلّمهم رُقى الحُمى، ومن الأوجاع كلها: "**باسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من شر كلّ عرق نعّار، ومن شرّ حرّ النّار**". "عرق نعار: أي: نعر العرْق بالدّم؛ إذا ارتفع، وعلا"[2].

وروى البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا اشتكى الإنسان (الشيء منه) أو كانت به قرحةٌ، أو جرحٌ قال بإصبعه هكذا –ووضع سفيان سّبابته بالأرض، ثم رفعها– وقال: "**باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا بإذن ربّنا**"[3].

وروى الترميذي عن علمي –رضي الله عنه–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان إذا أتى مريضا، أو أُتي به إليه، قال:"**أذهب الباس ربّ الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلاّ شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**"[4].

(الباس): الشدّة والألم.

وروى البخاري ومسلم وأبو داود عن عائشة –رضي الله عنها–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "**كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرا عليه، وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها**" [5].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، (باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم)، رقم(5991)، جـ5، المصدر السابق، ص2337، وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، (باب اثبات خات النبوة وصفاته ومحله)، رقم(2345)، جـ4، المصدر السابق، ص1823.

[2] سنن الترمذي، أبواب الطب، رقم(2075)، جـ4، المصدر السابق، ص405.

[3] صحيح البخاري، كتاب الطب، (باب رقية النبي–صلى الله عليه وسلم)، رقم(5413)، جـ5، المصدر السابق، ص2168، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، (باب استحباب الرقية من العين والنَملة والحمى والنظرة)، رقم(2194)، جـ4، المصدر السابق، ص1724.

[4] صحيح البخاري، كتاب المرضى، (باب دعاء العائد للمريض)، رقم(5351)، جـ5، المصدر السابق، ص2147.

[5] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، (باب فضائل المعودات)، رقم(4728)، جـ4، المصدر السابق، ص1916، وانظر، صحيح مسلم، كتاب الآداب، (باب رقية المريض بالمعودات والنفث)، رقم(2192)، جـ4، المصدر السابق، ص1723، وسنن أبي داود، كتاب الطب، (باب كيف الرقى)، رقم(3902)، جـ4، المصدر السابق، ص15.

وآخر هذه الرقى رقية "جبريل" –عليه السلام– لرسولنا محمد –صلى الله عليه وسلم– فقد روى مسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–: أن "جبريل" –عليه السلام– أتى النبي–صلى الله عليه وسلم– فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "نعم" فقال "جبريل": "**باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك**"[1].

ولهذا قال"ابن عباس" وهو ينبّه لضرورة قراءة المعوذات: مامن مولود إلاّ على قلبه الوسواس، فإن ذكر الله خنس، وإن غفل وسوس، وهو قوله تعالى: ﴿**ومن شرّ النفاثات في العقد**﴾ رواه الحاكم في مستدركه (541/2) وقال: صحيح على شرط الشيخين،ولم يخرجاه[2].

العلاج من إصابة العين الحاسدة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت:"كان يؤمر العائن [أي: الحاسد] فيتوضأ، ثم يغتسل منه المُعين [أي: المحسود]" رواه أبو داود.

وروى مالك في الموطأ عن أبي أسامة بن سهل بن حنيف أنه قال: رأى عامر بن ربيعة سعل بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلُبط سهل، فأتى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقيل: يا رسول الله هل لك في سهل بن حنيف، والله! ما يرفع رأسه، فقال:"**هل تتهمون له أحدا**"، **قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، فتغيظ عليه، وقال:"علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برّكت،إغتسل له" فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صُبّ عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس**"[3].

وفي رواية لمالك: "**علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برّكت، إن العين حق، توضأ له" فتوضأ له عامر، فراح سهل مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليس به بأس**"[4].

تحريم تعليق شيء على الطفل مالم يكن قرآنا، أو حديثا نبويا:

يحرم الإسلام تعليق الحرز، أو الحلقات،التي عليها حبات الزرقاء، أو لبس الطفل أو الصبي لخلخال اعتقادا من أنه يقي من العين، مما يفعله الجاهلون بأحكام الشرع، والذي اعتبره رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي إذا أصّر صاحبه على وضعه بعد تنبيهه.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الآداب، (باب الطب والمرض والرقى)، رقم(2186)، جـ4، المصدر السابق، ص1718، ورواه الترمذي في سننه، أبواب الجنائز، (باب ماجاء في التعوذ للمريض)، رقم(972)، جـ3، المصدر السابق، ص294.

[2] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 393.

[3] موطأ مالك، كتاب العين، (باب الوضوء من العين)، رقم(3460)، جـ5، المصدر السابق، ص1373.

[4] المصدر نفسه، رقم(3459)، ص1372.

فعن عمرو بن الحارث أنّ بكيرا حدثه: أن أمه حدثته أنها أرسلت إلى عائشة –رضي الله عنها– بأخيه مخرمة، وكانت تداوي من قرحة تكون بالصبيان، فلما داوته عائشة، وفرغت منه، رأت في رجليه خلخالين جديدين، فقالت عائشة: أظننتم أن هذين الخلخالين يدفعان عنه شيئا كتبه الله عليه؟! لو رأيتها ما تداوي عندي رواه الحاكم في مسّدركه (218/4) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي[1].

ولهذا نجد بأن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يحذّر تحذيرا شديدا من أفعال الجاهلية ومعتقداتها بتعليق أشياء على صدور الأطفال خشية الحسد والعين، وعليه يجب أن نستمع ونتبع، ولا نبتدع.

سادسا البناء العاطفي والنفسي:

تمهيد: البناء العاطفي والنفسي:

أولا: تعريف العاطفة لغة واصطلاحا

ثانيا: كيف تتكون العاطفة وما أثرها في السلوك

ثالثا: تعريف النفس في اللغة وفي القرآن والحديث والفلسفة.

رابعا: الصحة النفسية وأسسها

خامسا: ماهي الحاجات النفسية؟ وما هي طرق توجيهها

أسس البناء العاطفي والنفسي

الأساس الأول: الرفق في معاملة الأطفال ويتمثل في الآتي:

أ– الرأفة والعطف والرحمة

ب– إدخال السرور والفرح في قلوب الأطفال

جـ– شراء اللعب والهدايا والعطايا للأطفال

الأساس الثاني: المداعبة والممازحة مع الأطفال مع ملاعبتهم والتصابي لهم

الأساس الثالث: العدل والساواة بين الأطفال في المعاملة والمحبة والعطاء

الأساس الرابع: تنمية ثقة الطفل بنفسه

- إشعار الطفل بقيمه الذاتية
- احترام شخصيته
- المدح والثناء
- الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب
- تحيّن الوقت المناسب للتوجيه

---

[1] **محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 394.**

- الترغيب والترهيب

الأساس الخامس: تشجيع الأطفال وزرع التنافس بينهم ومكافأة الفائز

البناء العاطفي والنفسي

تمهيد:

لابد من الاهتمام بالبناء العاطفي والنفسي للطفل لننهض بالطفل ونبني نفسيته الكاملة السليمة الخالية من كل عقد، لكي لا تحدث مشاكل نفسية وعاطفية للأطفال لا سيما في ظل الإسلام. لذا وجب الاهتمام بهذه الناحية العاطفية للأطفال لأنها من "أهم العوامل في نمو الشخصية وتقويتها، فالعواطف إذن مكتسبة في حاجة إلى الفرص التي تنميها وتقويها، فكلما كثرت الفرص المثيرة لها قويت وتنظمت وبالعكس"[1]

والسؤال الذي يمكننا طرحه الآن: كيف نبني عاطفة الطفل؟ وكيف نمده بهذه العاطفة ونشبعه إيّاها ليكون إنسانا سويا خاليا من العقد النفسية التي تؤثر حتما على مسيرة حياته؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال ننطلق إلى تعريف الآتي:

أولا: معنى العاطفة في اللغة والإصطلاح

ثانيا: كيف تتكون العاطفة وما أثرها في السلوك؟

ثالثا: تعريف النفس في اللغة وفي القرآن والحديث والفلسفة.

رابعا: تعريف الصحة النفسية وأسسها.

خامسا: ما هي الحاجات النفسية؟ وما هي طرق توجيهها؟

ولنبدأ أولا بتعريف العاطفة في اللغة:

أولا: العاطفة في اللغة:

العاطفة: "الرخم، صفة غالبة، ورجل عاطف عطوف: عائد بفضله حسن الخلوق... وعطفت عليه: أشفق وتعاطفوا أي عطف بعضهم على بعض. وتعطف عليه وصله وبره وتعطف على رحمه: رفّ لها"[2].

إذن العاطفة في اللغة: الشفقة والرحمة.

أما العاطفة في الإصطلاح فهي: "استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معيّن نتيجة لتكرار اتصال الفرد بهذا الموضوع"[3] "والعاطفة على هذا عبارة عن اتجاه وجداني نحو موضوع معين مكتسب بالخبرة والتعليم، وهي متجمع سيكولوجي تحتشد فيه الانفعالات المختلفة"[1]

---

[1] حامد عبد القادر وأخرون، علم النفس التربوي، جـ3، المرجع السابق، ص223.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة "عطف"، جـ9، المرجع السابق، ص249.

[3] أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، لا.ط، القاهرة، 1954م، ص126.

فالإنسان يشعر أكثر بكثير مما يفكر، لذا قال بعض علما النفس: "إن عقل الإنسان ليس سوى ذرة تعوم في بحر من الشعور"[2] ولهذا إذا أردنا أن نؤثر في حياة أطفالنا ونعمل على تنمية وصقل شخصيتهم فلا بد أن نهتم اهتماما بالغا بالناحية العاطفية فنهذبها خلقيا وروحيا.

ثانيا: كيف تتكون العاطفة وما أثرها في السلوك؟

كما أشرنا سابقا أن العاطفة هي جملة عواطف لدى الإنسان تتوزع حسب المتعلقات، والعاطفة "لا تظهر ولا تنمو فجأة، ولكنها تنشأ لأسباب ومثيرات تقتضي ظهورها، وتنمو نموا تدريجيا بكثرة مثيراتها، وتقوي توالي الفرص المثيرة لها، وقد تضعف ثم تنقرض لقلة هذه الفرص أو لعدمها، فالعاطفة في هذه الأحوال كلها تشبه العادة"[3].

أما أثرها في السلوك فلنضرب المثل الآتي: إن محبة الأطفال لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– قد أثارها عمل وتوجيه ومحبة وتعاطف رسول الله معهم كالملاعبة والممازحة والسلام عليهم كل هذه الأفعال والسلوكات ترعرعت في نفوس الأطفال حتى صارت عاطفة ثابتة في نفوسهم تثير انفعالاتهم وأحاسيسهم اتجاهه[4].

ثالثا: النفس في اللغة والقرآن والحديث والفلسفة:

النفس: "الروح... معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، والجمع أنفس ونفوس، قال ابن خالوية: النفس الروح، والنفس ما يكون به التمييز"[5].

أما الروح فقد أورد علماء اللغة بالنسبة لها نفس المعاني التي أوردها القرآن الكريم "وقالوا إنها ما به حياة الأنفس"[6]. ومعنى الروح والنفس عندهم واحد على الأغلب.

النفس في القرآن الكريم:

وأما النفس فلها تعريفات متعددة جملة القول فيها، كما يدل النص القرآني في قوله تعالى: ﴿**لا يُكَلفُ اللَهُ.....وسعها**﴾[7] وهي تدل على الإنسان، "إن النفس في القرآن تدل على الذات بمجموعها،

---

(1) هاد فيلد، علم النفس والأخلاق، ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم، مراجعة عبد العزيز القوصي، الألف والكتاب، لا.ط، لا.ت، ص26.

(2) quoted in bossing.N.L « teaching in seconddary »1952.p15

(3) حامد عبد القادر وآخرون، علم النفس التربوي، جـ3، المرجع السابق، ص221.

(4) سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص450.

(5) ابن منظور، لسان العرب، جـ6، مادة "نفس"، المصدر السابق، ص234.

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المرجع السابق، ص745.

(7) سورة البقرة، الآية 286.

مشيرة إلى عنصر الدوافع والنشاط الحيوي، أكثر من دلالتها على المعنى الواعي أو المفكر فيه فهو لفظ عام يشمل الإنسان كله، ولا يختص بالدلالة على التفكير أو الفهم..."[1].

النفس عند أهل الحديث والأثر:

اختلف أهل الأثر حول النفس والروح: "هل النفس والروح شيء واحد أو شيئان متغيران؟ فاختلف الناس في ذلك فمن قائل إن مسماهما واحد وهم الجمهور"[2] وسميت الروح روحا عند هؤلاء "لأن بها حياة البدن، كما سميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا إما من الشيء النفيس لنافستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا فلكثرة خروجها في البدن سميت نفسا... فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق الذات"[3].

من أخذنا لكل معاني الألفاظ في اللغة والقرآن والحديث يتضح لنا أنه ليس هنالك ما يؤكد النظريات المختلفة التي قامت حول هذه الألفاظ عند فلاسفة الإسلام، فلنرى تعريف النفس عندهم:

النفس عند العلماء والفلاسفة:

اختلف العلماء والفلاسفة في تعريف النفس، أتكون في الروح، أو تكون شيئا آخر، فقبل توضيح ذلك ينبغي أن نبين أن النفس هي جوهر لذا "جميع العلماء حكموا بأن الجوهر هو القابل للأضداد، مثاله أن الجسم الواحد يقبل تارة الحرارة وتارة البرودة فهو جوهر يقبل الأضداد المحسوسة. وقد ترى النفس تقبل العلم والجهل والفضائل والرذائل والخطأ والصواب، وهذه وأمثالها أغراض إذ لا وجود لها إلا بموضعها والنفس هي الموضوع لها. فالنفس إذن جوهر"[4].

وقد أجمع فلاسفة الإسلام بالقول أن هنالك وحدة بين النفس والروح فاستعملوا النفس الناطقة مرادفة للروح، كما اعتبروا النفس قبل إتصالها بالبدن روحا"[5].

ولنرى الآن معا تعريف علم النفس: "إن علم النفس يهتم بشخصية الإنسان، بإعتبارها دراسة النظم والعمليات النفسية التي تنظم الخبرات الإنسانية وتشكل أفعال الفرد واستجاباته للبيئة التي يعيش فيها"[6] "فعلم النفس يريد أن يفهم أحوال الرجل العقلية في نومه ويقظته، ويدرس نفسية الإنسان في بيته، والمعلم في مدرسته، والتلميذ في بيئته المنزلية والمدرسية، والصانع في مصنعه، والعامل في معلمه، يبحث في

---

(1) عبد الكريم العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1401هـ/1981م، ص55.

(2) ابن قيم الجوزية، الروح، ط2، دار القلم، بيروت، 1403هـ/1983م، ص195.

(3) ابن قيم الجوزية، الروح، المرجع السابق، ص196.

(4) لويس شيخو وآخرون، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب، مسلمين ونصارى عن مقالة مختصرة.

(5) ابن سينا، رسالة في القوى الإنسانية، مطبعة هندية، لاط، 1326هـ/1908م، ص65.

(6) فؤاد حيدر، الشخصية في الإسلام وفي الفكر العربي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1990م، ص28.

نفسيات الطفل كما يبحث في نفسية البالغ، ويدرس عقليات العقلاء والأذكياء، كما يدرس عقليات المجانين والشواذ والأغنياء...."[1].

ومن فروع علم النفس: علم نفسية الأطفال، أو سيكولوجية الطفولة الذي يدرس الأطفال ونموهم البدني والعقلي وطبائعهم ونفسياتهم وهذا هو الذي يهمنا الكلام فيه لأنه يخص بحثنا.

رابعا: الصحة النفسية وأسسها:

ونظرا لأثر التربية النفسية الخاطئ أو الصحيح على الأطفال نشأت علوم حديثة منها علم نفس الطفل، واهتم بالصحة النفسية وكيفية تنميتها.

تعريف الصحة النفسية:

عرفت الصحة النفسية بأنها: "التوافق التام أو التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ عادة على الإنسان، مع الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية"[2].

من هذا يظهر أن الغرض من الاتجاه العام للصحة النفسية هو الاهتمام بالاضطرابات النفسية والتخلف العقلي وغيرها من الاضطرابات، ومن ثم الإشراف على علاجها والوقوف إلى جانب المصابين بها بأساليب علمية إنسانية مدروسة، ثم مساعدة من تتحسن أحواله باستعادة التكيف مع بيئاتهم.

ومن أهم جوانب الصحة النفسية الجانب الوقائي الذي يعمل على قطع الطريق على الأمراض النفسية، ويمنع الاضطرابات النفسية من الوقوع، وذلك بلفت النظر للأسباب النفسية وللاضطرابات العقلية والنفسية الكامنة في تنشئة الأطفال والإشراف على رعايتهم بكل المؤسسات التربوية كما تهتم الصحة النفسية بتأثير المشاكل النفسية والانفعالية على الجانب العضوي للإنسان[3].

خامسا: الحاجات النفسية وطرق توجيهها:

لقد اختلف أصحاب نظرية الحاجات النفسية في عدد هذه الحاجات وتسميتها. فرأى البعض أن للمرء حاجتين أساسيتين لا غير، وهما حاجته إلى الطمأنينة وحاجته إلى المغامرة، ويرى البعض الآخر أن حاجات المرء النفسية تتلخص في ثلاث وهي: حاجته إلى النمو وحاجته إلى حب الآخرين له، حاجته إلى حب الآخرين ويذهب آخرون إلى أن الحاجان النفسية أربع: حاجة الإنسان إلى الطمأنينة، حاجته إلى المغامرة، حاجته إلى الحب المتبادل حاجته إلى تقدير الآخرين.

وقد أضاف آخرون فقالوا: إنها ست وهي: حاجته إلى الطمأنينة، حاجته إلى الحب المتبادل، حاجته إلى تقدير الآخرين، حاجته إلى الحرية، حاجته إلى سلطة ضابطة موجهة حاجته إلى النجاح، ودراسة أخرى توصلت إلى حاجات سبع: وسمتها بالحاجات الاجتماعية وهي: حاجة المرء إلى أن يَخدم

---

[1] حامد عبد القادر وآخرون، علم النفس التربوي، ج1، المرجع السابق، ص10.

[2] عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، المرجع السابق، ص6.

[3] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص454.

ويُخدَم، حاجته إلى العشرة، حاجته إلى الرابطة الزوجية، حاجته إلى السيطرة والخضوع، حاجته إلى المنزلة الاجتماعية، حاجته إلى القوة والنفوذ، حاجته إلى الطمأنينة[1].

طرق توجيه الحاجات النفسية:

يقول "عبد الرحمن العيسوي": لا تقتصر حاجات الإنسان على الحاجات البيولوجية أي الحيوية والشراب والجنس والإخراج، ولكن هناك الحاجات النفسية والاجتماعية.. وللحاجات النفسية أهمية كبرى في تحقيق تكيف الفرد "the indiwidualad gusment" وتمتعه بالصحة النفسية والعقلية وتفوق تأثير الحاجات البيولوجية"[2].

والإسلام يسعى إلى تنمية هذه الحاجات النفسية من العواطف والأحاسيس في شخصية الطفل ليحقق ذاته "وإن أنجح الوسائل لمعالجة الحاجات النفسية هي التي تقوم على أساس النظرية القائلة بتوجيهها، لا قمعها أو إطلاق العنان لها والتوجيه على نوعين: تنشيطها أو تثبيطها من جهة، وتحويل مجراها من جهة أخرى.. ومهما يكن من أمر فما دامت هذه الحاجات هي المحركات الرئيسية للسلوك، فلا بد للمعلم من أن يتفهمها ويعرف كيف يستعين بها على تربية المتعلم تربية حسنة"[3]. وعلى رأس الحاجات النفسية: الحاجة إلى الطمأنينة، والحاجة إلى تقدير الآخرين، الحاجة إلى الشعور بالانتماء إلى جماعة، وحاجته إلى المكانة الاجتماعية والنفسية، والحاجة إلى أن يشبه الفرد الآخرين، والحاجة إلى الحب المتبادل، كل تلك الحاجات سنتطرق إليها في البناء الاجتماعي.

ومما تقدم نصل للقول: ما دام البناء العاطفي والنفسي مهمّا فكيف تعامل الإسلام مع هذا الموضوع؟ أو بتعبير آخر: ما هي الأسس التي أرساها الإسلام للمحافظة على استقامة الصحة النفسية؟

إن الناظر في النصوص الإسلامية يجد أن هناك عدة أسس اعتمدها الإسلام في ذلك:

الأساس الأول: الرفق في معاملة الأطفال: ويشمل:

أ- الرأفة والعطف والرحمة

ب-إدخال السرور والفرح في قلوبهم

ج-شراء اللعب والهدايا لهم

تمهيد:

قرر القرآن الكريم والسنة النبوية للطفل حقوقه وواجباته بنظام ودستور كامل، لا مجرد وصايا يلتزم بها الوالدان والمجتمع بدافع الوجدان المحض، وإنّما التزاما يلتزم به الجميع ومن هذه الحقوق حقه في معاملة طابعها الحب والود والرأفة والرحمة. لأن الطفل يعيش في الأسرة، ولكنه لا يعيش في عالم الكبار وإذا لم ينزل الراشدون من حوله إلى مستواه الطفولي ليحيوا حياته وانفعاله، ولهوه، وتفكيره، فإنه

---

[1] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص88-91.

[2] عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لاط، لات، ص113.

[3] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي، المرجع السابق، ص 94 - 98.

يعيش وحيدا منعزلا ولو كان في منزل يعج بالناس، ذلك أن الطفل ليس رجلا صغيرا، كما أنّ الرجل أو المرأة ليسا طفلا كبيرا، فالطفل (طفل) له عالمه، ومفاهيمه وألعابه، وعلينا نحن الراشدون أن نعيش مع أطفالنا لبناء لون الحب المشترك والثقة المتجاوبة[1] والإسلام يشبع حاجة الطفل إلى الحب بوسائل متعددة منها:

أ- **القبلة والرأفة والعطف والرحمة:** إن للقبلة دورا كبيرا وفعالا في تسكين ثوراته وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالإرتباط الوثيق في تشديد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ وهي برهان على تواضع الكبير للصغير وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هي أولا وأخيرا السنة الثابتة عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- مع الأطفال[2] وأخرج البخاري وأحمد عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "**قدم ناس من الأعراب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم، قالوا لكننا والله ما نقبل، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أَوَ أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة**"[3].

ولم يقر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسلوب الشدة والعنف في معاملة الأطفال، بل ندّد بالجفاء والقسوة، واعتبر ذلك على فقدان الرحمة من ذلك القلب القاسي متوعدا مهدّدا القلوب الخالية من الرحمة بعدم بلوغها رحمة الله جزاء وفاقا على ما فرّغوا قلوبهم من الرحمة في الدنيا، ولذا قال: -صلى الله عليه وسلم- للأقرع بن حابس حين رآه يقبل الحسن بن علي _رضي الله عنهما- فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت واحدا منهم، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-:"**إنه من لا يَرحم لا يُرحم**"[4].

وإن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى: عن "أنس -رضي الله عنه- قال: "جاءت امرأة إلى عائشة -رضي الله عنها- فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيان التمرتين، ونظرا إلى أمهما فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة فجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبرته عائشة -رضي الله عنها- فقال: -صلى الله عليه وسلم-: "**وما يعجبك من ذلك لقد رحمها الله برحمتها صبيتها**"[5].

---

(1) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة، دمشق، سوريا، لاط، لات، ص121.

(2) محمد نور سويد، المرجع السابق، ص310.

(3) سبق تخريج الحديث، ص 113 من الرسالة.

(4) سبق تخريج الحديث، ص 113 من الرسالة.

(5) الطبراني، المعجم الصغير، (باب الميم: من اسمه محمد)، رقم(850)، جـ2، المصدر السابق، ص97.

ومن صور رحمة الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالأطفال ما جاء عن "أنس" –رضي الله عنه: "**إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**"[1].

وعن أبي قنادة –رضي الله عنه– قال: "كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصلي بالناس وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها"[2] أخرجه الستة إلا الترميذي.

لقد وضع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قواعد يلزم الناس في التعامل مع أبناء جنسهم، ومن هذه القواعد، معاملة بعضهم البعض بالرفق واللين، فلا يغلظ في قول، ولا يقسو في معاملة يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيما رواه مسلم عن عائشة –رضي الله عنها: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[3] إذن فكيف يغلظ أحدنا مع أطفاله ولا يعاملهم بالرفق واللين مع أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمرنا بالرفق ببعضنا البعض.

أخرج البخاري عن رواية أسامة بن زيد –رضي الله عنه–قوله: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمها، ثم يقول: "**اللهم ارحمهما فإني أرحمهما**"[4].

وإن القلب ليعجب عندما يرى أو يسمع الصغار يعلمون الآباء الرحمة بالحيوان، ويذكرونهم برحمة الله بهم، فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره: أن صيادا كان يصيد السمك، فصاد سمكة، وكان له ابنة، فأخذتها ابنته فطرحتها في الماء، وقالت: إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها.

قال الفخر الرازي معلقا: إلهنا تلك الصبية رحمت غفلة هاتيك السمكة، وكانت تلقيها مرة أخرى في البحر، ونحن قد إصطدتنا وسوسة إبليس، وأخرجتنا من بحر رحمتك، فارحمنا بفضلك، وخلصنا منها، وألقنا في بحار رحمتك مرة أخرى[5].

ومن صورة شدة رحمة الأمهات بأطفالهن، ما أخبرنا بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذه الصورة العجيبة التي لها دلالات على تفجر الرحمة من قلب الأم على طفلها.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، (باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي) رقم(688)، المصدر السابق، ص250.

[2] رواه ابن خزيمة في صحيحه (383/1 و41/2) نقلا عن محمد نور نسويد، المرجع السابق، ص311.

[3] سبق تخريج الحديث، ص 128 من الرسالة.

[4] البخاري، صحيح البخاري، جـ8، (باب وضع الصبي على الفخذ)، المصدر السابق، ص14.

[5] الفكر الرازي، التفسير الكبير، جـ22، ص 13.

ألا ليت كل أم تغدق بمثل هذه الرحمة على وليدها[1] "وتظهر الحاجة إلى الحب المتبادل عند الطفل في عطشه قبل أبويه وذويه وحنوهم عليه واحتضانهم لهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تظهر هذه الحاجة إلى ميله الشديد إلى أن يردّ العطف بمثله، ولذا نراه يتدلل على أبويه وذويه ويقبّلهم قبلا حارة كلما تيسر له ذلك"[2].

ب- إدخال السرور والفرح في قلوب الأطفال: لم يكن واجب الوالدين الإنساني في يوم من الأيام محددا بتقديم الأمور المادية لطفلهم من طعام وشراب ومسكن وثياب، بل إن طفلهما بحاجة لا تقلّ عن ذلك إلى أن يشعر أنه محبوب وآمن.

وقد يقول بعض الآباء: إن وقارة الأبوة يقتضينا ألا نلعب مع أطفالنا بألعابهم، أو نمازحهم وندعابهم.

نقول لهم لقد أخطأتم الفهم وإن هذا القول فيه نظر لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يدخل السرور والفرح إلى نفوس الأطفال وبأساليب شتى تارة بالركض وأخرى بالحمل وثالثة بتصغير الإسم ورابعة بالمضاحكة أو بوضعهم في حجره الشريف -عليه الصلاة والسلام-، أو بالسلام عليهم.

من ذلك ما جاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه قال: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: "يا ذا الأذنين" يعني يمازحه"[3] وأيضا: أنه -صلى الله عليه وسلم- إذا مر بالصبيان سلم عليهم، فقد ثبت أنه -صلى الله عليه وسلم- مر بصبيان فسلم عليهم"[4].

ومن مداعبته للصبيان أنه قال لأخ صغير لأنس بن مالك: "يا أبا عمير ما فعل النغير"؟[5] النغير إسم لطائر يشبه العصفور كان يلعب به أبو عمير فمات، من هذه النصوص يتضح لنا مدى عناية النبي الكريم بالأطفال ومدى شفقته بهم وحرصه على إدخال السرور عليهم. وقال عمر -رضي الله عنه-: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده فإذا ما التمس ما عنده وجد رجلا حتى أن عمر -رضي الله عنه- ليعزل أحد عماله عن الرئاسة لأنه وجد منه دليلا واضحا على قسوة قلبه تجاه أولاده، فعن محمد بن سلام قال: استعمل عمر بن الخطاب رجلا على عمل، فرأى الرجل عمر يقبّل صبيا له فقال الرجل: تقبّله وأنت أمير المؤمنين، لو

---

[1] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص312.

[2] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص242.

[3] سنن الترميذي، أبواب البر والصلة، (باب ماجاء في المزاح)، رقم(1991)، جـ4، المصدر السابق، ص358، وسنن أبو دادود، كتاب الأدب، (باب ما جاء في المزاح)، رقم(5002)، جـ4، المصدر السابق، ص301.

[4] سنن أبو داود، كتاب الأدب، (باب في السلام على الصبيان)، رقم(5202)، جـ4، المصدر السابق، ص352.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب الإنسان على الناس)، رقم(5778)، جـ5، المصدر السابق، ص2270.

كنت أنا ما فعلته قال عمر: فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة! إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء، ونزعه من عمله فقال: أنت لا ترحم ولدك فكيف ترحم الناس[1].

بهذه المداعبة والتصابي ومحاكاة الطفل، كان تعامل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع الأطفال وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيدا عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه.

ج– **شراء اللعب والهدايا والعطايا:** للهدايا أثر طيب في النفس والبشرية عامة وفي نفوس الأطفال خاصة، لذا من أهم وسائل إدخال السرور والفرح إلى قلوب الأطفال شراء اللعب والهدايا لهم، والرسول الكريم–صلى الله عليه وسلم بين لنا عمليا هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها.

وكثيرا ما نرى بعض الأطفال يحبون بعض الناس لأنهم اعتادوا أن يعطوهم بعضهم بعض الحلوى أو غير ذلك، ولذا فقد سن النبي –صلى الله عليه وسلم– قاعدة مباركة فيها نصح عظيم للأمة وهي قوله: "**تهادوا تحابوا**"[2].

وقد أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: كان الناس إذا أرادوا أول التمر جاءوا به إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فإذا أخذه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**اللهم بارك لنا في ثمارنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا ومدنا...**" **قال ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك التمر**"[3].

وروى أبو داود عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "قدمت هدايا من النجاشي فيها خاتم من ذهب فيه فصّ حبشي، فأخذه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعود أو ببعض أصابعه معرضا عنه، ثم دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته زينب فقال تحلي بهذا يا بنية"[4].

والسؤال المطروح الآن هو ما الغاية من عناية رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالأطفال وطلبه من المربين الرفق في معاملتهم وشفقتهم عليهم، وطلب إدخال السرور عليهم؟ فالجواب يتمثل في الآتي: فالرفق بالأطفال مفيد لصلاحهم، قال ابن خلدون: "إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلّم، سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم،

---

[1] الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت،1410هـ/1990م، (583/16) رواه الدينوري.

[2] الطبراني، المعجم الأوسط، (باب الميم: من اسمه محمد)، رقم(7240)، جـ7، المصدر السابق، ص190.

[3] الترميذي، سنن الترميذي، جـ5، باب ما يقول إذا رأى الباكورة من التمر، المصدر السابق، ص169.

[4] سنن أبي داود، كتاب الخاتم، (باب ما جاد في الذهب للنساء)، رقم(4235)، جـ4، المصدر السابق، ص92.

سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها، ودعاه للكسل، وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من إنبساط الأيدي بالقهر عليه.."[1].

تبين مما سبق أن "ابن خلدون" يدعو إلى الرحمة بالأطفال والرأفة بهم والإشفاق عليهم، فإذا أخذ الطفل بالقسوة والشدة ضاعت نفسه وذهبت ريحه ويحمله هذا على الكذب والخبث والنفاق ويظهر خلاف ما يبطن فيسري الفساد في نفسه منذ الصغر.

فالطفل الذي يتلقى ما يلبي حاجاته العاطفية والنفسية من العطف والحنان والرحمة من أبويه ويرتوي من ينبوع الحب يملك روحا غضة ونشطة ولا يشعر بالحرمان، ولا يصاب بالعقد النفسية، وتتفتح أزاهير الفضائل في قلبه وينشأ إنسانا عطوفا يحب الجميع ويبادلهم الود والمحبة[2].

إذن فالتعامل مع الطفل بطيبة ومحبة ولطف ولين مع احترامه وتقديره يساهم كل ذلك في صقل شخصيته وتنمية قدراته الإبداعية..فهم يحتاجون إلى بناء شخصيتهم وإشعارهم بالاهتمام والعناية وهذا بدون شك يترك آثار حسنة في نفوسهم ويعودهم على الثقة بالنفس ويربي فيهم العزة والأنفة وحب الغير والتآخي والتعاون ويشيع بينهم المودة والرأفة.

وأخيرا يمكننا أن نقول بأن شراء اللعب يجب أن يخضع لمواصفات معينة:

1. أن تكون اللعب ذات طابع فردي في البداية ثم ذات طابع جماعي فيما بعد.
2. أن تكون اللعب مأمونة، بحيث لا يكون لها زوايا (أو حواف) حادة، ولا تطلى بمواد قابلة للتسمم، وغير قابلة للفصل إلى أجزاء غير منتظمة (بل قطع تفك وتركب) وأن لا تكون من الصغر بحيث يمكن بلعها...إلخ.
3. أن تكون اللعب متناسبة مع مستوى نمو الطفل، وممهدة لنموه اللاحق.
4. أن تكون اللعب متناسبة مع النواحي النفسية للطفل: كأن تكون مشوقة، وقابلة للتكرار في اللعب، فعامل التكرار والمحاولات عامل هام للتعليم ولعب الطفل، بالإضافة إلى ميوله ورغبته في البناء والتركيب، لا أن تكون اللعبة جاهزة منسقة بحيث تعطل مبادراته وإبداعه...إلخ[3].

ويعبر دكتور "سبوك" عن ذلك بقوله: أفضل اللعب ما يستطيع الطفل أن يصنعها بنفسه، أو يكتشف بنفسه طريقة خاصة لإستعمالها، وكلما كانت اللعبة ذات نشاطات أكثر تعداد، كانت أشد إثارة

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص987.

[2] آرثر جيتش ورفاقه، تعريف إبراهيم حافظ ورفاقه، إشراف عبد العزيز القوصي، جـ1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1954م، لاط، ص160.

[3] الينجورث، رونالد (مترجم) في كتابة الرضع والأطفال والصغار، نقلا عن محمد محمود عبد الجابر، ومحمد صلاح النبابتة سيكولوجية اللعب والترويح عند الطفل العادي والمعوق، ط2، مكتبة الصفحات الذهبية، الرياض، 1408هـ/1988م، ص119.

لخيال الطفل، وزادت مما يستشعره من سعادة في اللعب بها، كما يؤكد على أهمية اللعب بشكل عام، وألعاب التركيب بشكل خاص ومن ضمنها ألعاب المكعبات الخشبية أو البلاستيكية، ويشدد على اعتبار مثل هذه الألعاب من ضمن التأثيث الضروري لأي مدرسة ابتدائية أو دار حضانة[1].

ومن هنا نستنتج بأن اللعب لا تقتصر حيوته على النمو الفيسيولوجي بل تتعداه إلى نواحي النمو النفسي والاجتماعي والعقلي.

والآن ننتقل إلى الأساس الثاني من البناء العاطفي والنفسي وهو: المداعبة والممازحة مع الأطفال مع ملاعبتهم والتصابي لهم:

الأساس الثاني: المداعبة والممازحة مع الأطفال مع ملاعبتهم والتصابي لهم:

وسبق وأشرنا إلى جانب من الأحاديث بهذا الخصوص ضمن إدخال السرور والفرح إلى قلوب الأطفال، ولا شك أن المداعبة والممازحة واللعب والمرح من أهم العوامل النفسية التي تنمي الثقة في نفسه وتساعده على إظهار مكنونها والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان يراعي عند معاملة الأطفال هذا الأساس المهم.

روى "الطبراني" عن جابر –رضي الله عنه– قال: كنا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فدعينا إلى طعام فإذا الحسين بن علي –رضي الله عنهما– يلعب في الطريق مع الصبيان فأسرع النبي –صلى الله عليه وسلم– أمام القوم: ثم بسط يده فجعل يفرّ ها هنا وها هنا فيضاحكه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبّله ثم قال: "**حسين مني وأنا من حسين**" **أحب الله من أحب حسينا**" **حسين سبط من الأسباط**"[2].

وفي رواية لأحمد عن أنس –رضي الله عنه–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يدخل على أم سليم ولها ابن من أبي طلحة، يكنى أبا عمير، وكان يمازحه، فدخل عليه فرآه حزينا، فقال: "**مالي أرى أبا عمير حزينا**" **فقالوا: مات نغره، الذي كان يلعب به، قال: فجعل يقول: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟**"[3] وقيل أن هذا الحديث فيه جواز الممازحة، وتكرير المزاح، وأنها إباحة سنة لا رخصة وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة وتكرير زيارة الممزوح معه، وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر، أو في البيت فيمزح.

---

[1] سبوك، (مترجم) في كتابه، مشاكل الآباء في تربية الأبناء نقلا عن محمد محود عبد الجابر، ومحمد صلاح النبابتة، المرجع نفسه، ص 119 – 120.

[2] سنن الترميذي، أبواب المناقب ، (باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما)، رقم(3775)، جـ5، المصدر السابق، ص658.

[3] مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، (مسند أنس بن مالك –رضي الله عنه–)، رقم(12957)، جـ20، المصدر السابق، ص282.

فعن عبد الله بن شداد قال: "بينما رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصلي إذا جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال: **إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجاته**"[1].

واقتدى الصحابة –رضوان الله عليهم– برسول الله –صلى الله عليه وسلم– فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم، وكانوا ينزلون إلى منازلهم، ويتصابون لهم ويلاعبونهم.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن الحارث –رضي الله عنه– قال: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يَصُفُّ عبد الله وعبيد الله وكثيرا بن العباس –رضي الله عنهم– ثم يقول: "من سبق إلي فله كذا وكذا" قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم"[2].

إذن فإنما شخصية الطفل يتطلب مشاركة الوالدين له في ألعابه، والتحدث إليه في شؤونه الخاصة إلى هذه النقطة الهامة يشير نبي الله –صلى الله عليه وسلم– حينما يقول: "**من كان عنده صبي فليتصابى له**"[3] أي ليجعل من نفسه صبيا يلعب معه، ويهتم بألعابه.

فبهذه المداعبة والملاعبة والتصابي ومحاكاة الطفل، كان تعامل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع الأطفال وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة بعيدا عن الجفاء والقسوة، وعدم إعطاء الطفل حقه.

ولنتساءل ما الحكمة من مداعبة الأطفال أو ما هي الآثار النفسية والفوائد التي يجنبها أطفالنا من مداعبة وممازحة ذويهم لهم؟

والجواب هو: أن مداعبة الطفل تصلح نفس الطفل وتدخل السرور إلى قلبه وتشعره بالعطف والحنان بخلاف القسوة فإنها تضر الطفل وتضيع حياته، لذا كان من الواجب الاهتمام بمداعبة الطفل وملاطفته من أجل تكوين وتحقيق الهدوء النفسي والانفعالي للطفل مع الابتعاد عن القسوة لما لها من سلبيات لا تظهر في واقع طفولة الفرد بل مبدأ ظهورها بالتزايد كلما تدرج الفرد في مراحله العمرية وتنعكس سلبا على شخصيته، وبالتالي يظهر ضررها على المجتمع مما يؤدي إلى ظهور المشكلات

---

[1] مسند أحمد، مسند المكيين، (باب حديث شداد بن الهاد)، رقم(16033)، جـ25، المصدر السابق، ص419.

[2] المصدر نفسه، مسند بني هاشم، (باب حديث تمام بن العباس بن عبد المطلب عن النبي–صلى الله عليه وسلم)، رقم(1836)، جـ3، ص 3.

[3] محمد الري شهري، ميزان الحكمة، (باب التصابي مع الصبي)، جـ10، المرجع السابق، ص700.

الاجتماعية الخطيرة وفي الحديث الشريف: "**يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**"[1].

ولهذا فإن المشروع الإسلامي عندما يطالب المربين بالتصابي مع الأطفال أو بإغداق الحب والحنان عليهم وتقبيلهم، تحسيسا بمشاعر الرعاية الكاملة في هذه المرحلة دون أن يصاحبها أي نمط من التدريب، وحين يطالبنا رسول الله –صلى عليه وسلم– بالتصابي مع الأطفال ندرك سرّ ذلك لأنه يترك أثرا على مشاعر الطفل وبنائه النفسي.

وإن من طرق إحياء شخصية الطفل مشاركة الكبار إياه أثناء اللعب، فعندما يشعر أن والديه شاركاه في لعبه يطفح قلب الطفل بالفرح والسرور وهذا الشعور ينمي شخصية الطفل ويركز فيه الشعور بأهمية ذاته مما يقوي اعتزازه وثقته بنفسه[2].

والآن ننتقل إلى بيان الأساس الثالث من البناء العاطفي والنفسي وهو: العدل والمساواة في المعاملة والمحبة والعطاء:

الأساس الثالث: العدل والمساواة بين الأطفال في المعاملة والمحبة والعطاء:

إن من أهم أسباب انحراف الأولاد نفسيا المفاضلة بينهم في العطاء، سواء العطاء المادي، أو العطاء المعنوي: من مودة ومحبة لذلك يجب على المربي ألا يفاضل بين الأطفال، كما يجب على الوالدين ألا يفاضلا بين أولادهما مفاضلة معنوية، من حب وعطف وحنان، ورحمة ورعاية، أو مفاضلة مادية من عطايا وميراث وخلافه، لذلك أمر –صلوات الله عليه وسلامه عليه– الآباء أن يتقوا الله ويعدلوا بين أولادهم، روى "ابن حبان" عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**رحم الله والدا أعان ولده على بره**"[3].

أ– التفضيل المعنوي:

يحكي لنا القرآن الكريم لقطة من قصة يوسف –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿**ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منّا ونحن عصبة**﴾[4].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب الرفق في الأمر كله)، رقم(5678)، جـ5، المصدر السابق، ص2242، وصحيح مسلم، كتاب الآداب، (باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم)، رقم(2165)، جـ4، المصدر السابق، ص1706.

[2] حسن محمد المرزوقي دور الأسرة في رعاية الطفل نفسيا وفكريا، بحث مقدم لندوة "رعاية الطفولة في الإسلام والمؤسسات المتخصصة"، الجزء الأول، نظمتها كلية الشريعة والقانون بجامعة الشارقة، في الفترة (27–28) شعبان 1419هـ الموافق (16–17) ديسمبر، 1998م، ص310.

[3] صلاح عبد الغني محمد، تربية الأولاد وبر الوالدين وصلة الرحم، موسوعة المرأة المسلمة، جـ6، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر، القاهرة، 1419هـ/1998م، ص78.

[4] سورة يوسف، الآية 8.

إن إيثار فرد بالحب دون الآخرين ينشئ في نفس الآخرين عقدة النقص، وهذه العقد قد تؤدي إلى أن يكون السلوك مخالفا للقيم والمبادئ الخلقية، وقد تتركز في نفس الإنسان وتسيطر على كل تصرفاته حتى بعد أن يكبر، ولذلك حينما أحس إخوة يوسف بأن يوسف وأخاه أحب إلى أبيهم منهم فكروا في التخلص منه، وليس معنى ذلك أن سيدنا يعقوب –عليه السلام– لم يكن يعدل بين أولاده في الحب والعطف، وإنما حيثية امتياز ذلك الصغير بالحب أن الإخوة الكبار اجتازوا المرحلة التي يعوزهم فيها الحب والعطف، وهو وأخوه صغيران وهما في المرحلة التي يعوزهما فيها العطف والحنان، فكل إنسان يحب صغيرا لأنه في حالة من العجز تجعله في حاجة إلى كثير من الحب، ولو أن إخوة يوسف فهموا تلك العلاقة ما جعلوها عيبا في الأدب، ولا أخذوها سبب حقد على ذلك الإبن[1].

وقال –صلى الله عليه وسلم–: "**إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل**"[2] وقال –صلى الله عليه وسلم–: "**أعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم**"[3].

وروى أنس أن رجلا كان عند النبي –صلى الله عليه وسلم– فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه، وجاءت إبنة له فأجلسها بين يديه، فقال له رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**ألا سويت بينهما؟**"

كل هذه التوجيهات النبوية تؤكد مبدأ تحقيق العدل والمساواة والمحبة والرعاية والعطف والرحمة ويجب مراعاة مشاعر الولد، خاصة إذا كان الولد مصابا بعاهة جسدية، مما قد يحتاج معه إلى معاملة خاصة، فينبغي أن يلقى ممن يعيش حوله كل رعاية وعطف ومحبة وأخلاق سامية، وتعاطف حسن جميل، وألا يخاطب بعاهته، تحقيقا لقوله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**﴾[4] وقوله –صلى الله عليه وسلم–: "**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من السماء**"[5] وقوله عليه الصلاة والسلام: "**لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك**"[6].

---

[1] صلاح عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص79.

[2] الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، (باب حرف الألف)، رقم(1712)، جـ1، الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة، المكتب الإسلامي، ص247.

[3] سبق تخريج الحديث، ص 112 من الرسالة.

[4] سورة الحجرات، الآية 11.

[5] سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، (باب ما جاء في رحمة المسلمين)، رقم(1924)، جـ4، المصدر السابق، ص323.

[6] المصدر نفسه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم(2506)، جـ4، ص662.

ب- التفضيل المادي:

1-**تحريم الوقف على بعض الأولاد دون البعض:** قال -صلى الله عليه وسلم-: "**اعدلوا بين أولادكم في العطية**"[1] لذا يحرم الوقف على بعض الأولاد دون البعض، فيجب على الوالدين أن يسويا بين أولادهما في العطية حتى يكونا لهم في البر سواء، ويحرّم عليهما أن يؤثرا بعض الأولاد بمنحة أو عطاء بغير سبب ولا حاجة حتى لا يزرعا الحقد والغل في صدور الآخرين ويوقدا بينهم نار العداوة والبغضاء فقال -عليه الصلاة والسلام-: "**اعدلوا بين أولادكم، أعدلوا بين أولادادكم، اعدلوا بين أولادكم**"[2] وقصة هذا الحديث الشريف، الذي يدل على تحريم الوقف على بعض الأولاد دون بعض وبطلانه، هو أن "عمرة بنت رواحة" إمرأة "بشير بن سعد الأنصاري" طلبت إلى زوجها أن يخص ولدها النعمان بن بشير بمنحة مالية، وأرادت توثيق هذه الهبة، فطلبت من زوجها أن يشهد على هذه الهبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذهب إليه فقال: يا رسول الله إن زوجتي سألتني أن أنحل إبنها هبة فقال صلى الله عليه وسلم- أله إخوة؟ قال: نعم قال -صلى الله عليه وسلم-: فكلهم أعطيت مثلما أعطيته؟ قال: لا فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**فليس يصلح هذا، وإنني لا أشهد إلا على حق لا تشهدني على جور إن لبنيك من الحق أن تعدل بينهم، كما لك من الحق أن يبروك اتقوا الله وإعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم،فرجع فرد عطيته**"[3] ومعنى قوله -صلى الله عليه وسلم- إنني لا أشهد إلا على حق" أن عمل والد النعمان ليس حقا، بل هو جور باطل، لأن الحق ضد الباطل، لقوله تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾[4] والحديث دليل على وجوب المساواة بين الأولاد في الهبة، وقد صرح به البخاري وهو قول أحمد بن حنبل، وإسحاق والثوري، وآخرين وإنها باطلة مع عدم المساواة، كما يؤكد القول بالتحريم والبطلان[5].

فالأطفال ذو حساسية شديدة، وذو ذكاء مناسب عموما فانحياز الوالدين أو أحدهما لطفل من أولادهما دون الآخرين أو محبة واحدة منهم وكراهية الآخر... كل ذلك يدركه الطفل بوضوح فوحدة السياسة التربوية للوالدين في معاملة الأطفال وعدلهما بين البنين والبنات من أكبر عوامل نجاح التنشئة التربوية، وعوامل الطمأنينة النفسية.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، (باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم)، جـ2، ص 913.

[2] الطبراني، المعجم الكبير، (باب ما روى المضل بين المهلب عن النعمان بن بشير) رقم(199)، جـ21، المصدر السابق، ص155.

[3] رواه الشيخان، نقلا عن صلاح عبد الغني محمد، تربية الأولاد وبر الوالدين، مرجع سابق، ص81.

[4] سورة الأنبياء، الآية 18.

[5] سبل السلام، شرح بلوغ المرام نقلا عن صلاح عبد الغني محمد المرجع السابق، ص81.

وقد أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين يعانون من تفضيل الوالدين بعض الأولاد دون الآخرين في المعاملة والمحبة أو الاهتمام يعيب نموهم الشخصي والاجتماعي ويميلون إلى البقاء غير ناضجين انفعاليا[1].

ومن هذا يتبين أن التسوية واجبة وأمرها حكمة، سواء في العطية أو المعاملة أو القبلة أو مسح الرأس، أو شراء الهدية أو... ما لم يوجد معنى يقتضي التفضيل ويقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "**سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء**"[2] والذي يبدو من ظاهر الحديث، هو وجوب التسوية بين الذكر والأنثى في العطية، وذلك بأن يعطى الذكر والأنثى على حد سواء دون التمييز بينهما أو الرجوع إلى كيفية الميراث، ولا سيما وأن المرأة في أمس الحاجة إلى المال[3] ولقد حبب الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– المساواة بين الذكور والإناث بطريقة التعامل حتى جعله أحد أسباب الدخول إلى الجنة وذلك في عدم تفضيل وإيثار الولد على البنت روى "أبو داود" عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده يعني الذكور عليها أدخله الله الجنة**"[4].

الأساس الرابع: تنمية ثقة الطفل بنفسه:

عندما يفقد الفرد الثقة بنفسه، وتفقد الأمة الثقة بنفسها يفقد الفرد مبررات وجوده ويأكله الضعف من داخله، كما أن الأمة تأخذ طريقها مسرعة نحو الذوبان والانهيار في حين أن الفرد الواثق بنفسه المعتز بأهدافه يعيش عزيز النفس، متوازن النظرة والموقف تجاه مصاعب الحياة، وكذلك الأمة الواثقة تراها متميزة الشخصية مؤثرة في العالم تعطيه من خصائصها الإنسانية وتترك بصماتها عليه على نحو ما فعلته أمتنا عبر التاريخ المجيد لها. من هنا حرص الرسول –صلى الله عليه وسلم– على تنمية الثقة بنفس الطفل من خلال عدد من الطرق منها:

1. إشعار الطفل بقيمة الذاتية.
2. إحترام شخصيته.
3. المدح والثناء عليه.
4. الإبتعاد على كثرة اللوم والعتاب.
5. تعيين الوقت المناسب للتوجيه.
6. الترهيب والترغيب.

---

[1] حسن محمد المرزوقي، دور الأسرة في رعاية الطفل نفسيا وفكريا، المرجع السابق، ص311.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، جـ5، المرجع السابق، ص161.

[3] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص469.

[4] سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في فضل من عال يتيما)، رقم(5146)، جـ4، المصدر السابق، ص337.

1. **الشعور بالقيمة الذاتية:** لعل حاجة الأولاد إلى الشعور بقيمتهم الذاتية من أهم حاجاته لأنه يريد أن يكون شخصا هاما معتنى به له مكانته في أسرته ومجتمعه وأن يعترف به كشخص له قيمة ومكانة يقول "فاخر عاقل": "الحاجة إلى تقدير الذات أو الشعور بالقيمة الذاتية كما يسمى أحيانا بما في ذلك الحاجة إلى تجنب الشعور بالحِطة هي فيما نعتقد أقوى الحاجات السيكولوجية، وهي في الواقع موجودة في أساس كل سلوك بشري وبشكل يفوق أية حاجة أخرى، وذلك طبعا بإستثناء الحاجات الفيزيولوجية"[1].
2. **إحترام شخصية الطفل:** إن مباشرة الطفل بالسلام إعلاء من شأنه، وإبرازه على أنه كائن ذو أهمية وإن الأحاديث الكثيرة في مباشرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– الصبيان بالسلام، وإفراد العلماء الأبواب الخاصة بالسلام على الصبيان إشعار واضح يدفع نحو احترام شخصية الطفل اليوم كي ينشأ متوازنا قويا سويا شابا فاعلا فعلا طيبا في غد الأمة القادم بإذن الله[2]. غير أننا وللأسف الشديد تركنا تعاليم الإسلام التي تؤكد على احترام الطفل بشكل واضح، ولم نقتد برسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أسلوب تعامله مع الأطفال بل نلحظ أن بعض المربين أصبحت السمة الأساسية لتعاملهم مع الأطفال هي احتقارهم وليس احترامهم.
3. **المدح والثناء على الطفل:** وحتى ننمي ثقته بنفسه أكثر يجب أن يحظى الطفل بمزيد من المدح والثناء ولا شك أن لمدح الطفل والثناء عليه أثرا كبير وفعالا في نفسه، حيث يحرك أحاسيسه ومشاعره فالطفل في بدء نموه يفعل الفعل وينتظر ردة فعل والديه أو معلمه أو مربيه اتجاه عمله، فإذا باركوا عمله وأثنوا عليه تولدت الراحة والسرور في قلبه وفاضت الفرحة جميع أنحاء جسمه وهذا يدل على مدى أهمية رأي الآخرين ومواقفهم عند الطفل والحق أنه لولا شعور الإنسان الفطري بمدى أهمية رأي الآخرين منه لما تقوت روابطه الاجتماعية، لذا فإن المدرسة عندما تمنح تلميذا صغيرا وساما، أو تقديرا مكتوبا على قطعة ورق فإن الطفل يدخل البيت تعلوه البسمة مزهوا بفعله وتفوقه لأنه حظي برضا المدرسة وكله ثقة بحيازته على رضا الولدين وأخوته في البيت أيضا[3].

إذن فالمدح والثناء على أي حال له علاقة بتنمية شخصية الطفل وبتعويده الاستقلال في الرأي في القضايا ذات الصفة الشخصية أو الاجتماعية

ولقد مدح رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عبد الله بن عمر فيما رواه عنه قال: "كان الرجل في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فتمنيت أن أرى رؤية أقصاها على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكنت غلاما شابا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ورأيت في النوم كأن مليكين أخذا بي فذهبا بي إلى

---

[1] فاخر عاقل، علم النفس التربوي، المرجع السابق، ص396.

[2] عبد المجيد طعمة الحلبي، المرجع السابق، ص213.

[3] المرجع نفسه، ص213.

النار فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي في الليل**" **فكان بعد لا ينام في الليل إلى قليلا**"[1] وبعد مدح الطفل والثناء عليه حين يصدر عنه سلوكا حسنا، قد يقدم على عمل يستحق اللوم والزجر والعتاب فإذا احتاج إلى أن يزجر، أشار المربون أن يزجر ما أمكن بطريقة التلميح الخفي غير المباشر، ورب تلميح أبلغ من تصريح كما أشار المربون أيضا إلى استخدام اللطف واللين خير من كثرة اللوم والعتاب والشدة، يقول أحدهم "يستحب للعالم إذا علم ألا يعنف، وإذا علم ألا يأنف"[2]

ترك كثرة اللوم والعتاب: إن المواجهة المباشرة لحل إرتكاب الخطأ ليس علاجا صحيحا، وكذلك تركه دون مواجهة أو عتاب ليس إجراء سليما إنما يجب توجيه اللوم بطريقة مهذبة أو بطريقة خفيفة وقد حدثنا الوقائع أن سيد المربيين رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما كان ليكثر اللوم والعتاب على تصرفات الأطفال، ولم يلجأ إلى الزجر والتأنيب، فعن أنس –رضي الله عنه– قال: "**خدمت رسول الله تسع سنين فما أعلمه قال قط لم فعلت كذا وكذا، ولا عيب علي شيئا قط...**"[3]. إنما إذا بدر من الطفل عمل فيه خطأ يقتضي التنبيه أو الزجر فإن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان يتحين الفرصة المناسبة والوقت المناسب للتنبيه وقد نقلت لنا كتب السيرة بعض الوقائع المشيرة إلى ذلك منها:

1. **وقت الطعام:** كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يأكل مع الأطفال، وقد يلاحظ على أساليب أكلهم ما لا يقبل أو يشاهد بعض الخلل في طريقة تناولهم للطعام، فكان –صلى الله عليه وسلم– يتحرّى تقديم الأسلوب الأمثل في تقويم اعوجاج الطفل في هذا المجال ممّا يجعل الطفل أشد قبولا وأكثر سرورا في استقبال توجيه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– له فقد قال عمر بن أبي سلمة –رضي الله عنه– كنت غلاما في حجر النبي –صلى الله عليه وسلم– فكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك**"[4].
2. **أثناء النزهة والطريق:** إن حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كنت خلف النبي –صلى الله عليه وسلم– يوما فقال: "**يا غلام...احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك...**"[5] وقد ذكرنا هذا الحديث سابقا بحيث يدل على أن هذه التوجيهات النبوية كانت في الطريق وهما يسيران إما مشيا على الأقدام، أو يسيران على الدابة ولم تكن هذه التوجيهات في غرفة محدودة

---

[1] صحيح البخاري، كتاب أبواب التهجد، (باب فضل قيام الليل)، رقم(1070)، جـ1، المصدر السابق، ص378.

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، جـ2، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لاط، لات، ص122.

[3] سبق تخريج الحديث، ص 252 من الرسالة.

[4] سبق تخريج الحديث، ص 129 من الرسالة.

[5] سبق تخريج الحديث، ص 162 من الرسالة.

وإنما في الهواء الطلق حيث نفس الطفل أشد إستعدادا للتلقي وأقدر على قبول النصائح والتوجيهات[1].

3. **وقت مرض الطفل:** المرض يرهق قلوب الكبار القاسية، ويهذّب من طباعهم الجافية فما بالك بقلوب الأطفال اللينة، وطباعهم الرقيقة.

فوقت المرض تشعر النفوس بضعفها، وتظهر حاجتها لمن يعينها لذا فإنها سرعان ما تستجيب لنادي الإصلاح، وصائح الخير.

فعن أنس –رضي الله عنه– قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي –صلى الله عليه وسلم– فمرض فأتاه النبي يعوده فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: "أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو يقول: "**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**"[2].

هذه ثلاثة أوقات مناسبة لتوجيه الطفل وبناء شخصيته وقد يكون هناك أوقات أخرى قد يجدها الأبوين مناسبة لتوجيه أولادهم.

4. **الترغيب والترهيب:** لقد دعا النبي –صلى الله عليه وسلم– الآباء والمربين إلى استخدام الترغيب والترهيب في إصلاح أبنائهم، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يستخدمه مع الأطفال في كثير من الحالات فمثلا بر الوالدين حيث رغب في برّهما، فعن عبد الله بن عمر أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**رضا الرب من رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**"[3] وقد أرهب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في عقوق الوالدين وجعله من أكبر الكبائر: روى البخاري عن أبي بكرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**" **قلنا بلى يا رسول الله قال:** "**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**" **وكان متكئا فجلس فقال:** "**ألا وقول الزور، وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت**"[4].

والسؤال المطروح الآن هو لماذا اتبع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كل هذه الأساليب في تربية الأطفال نفسيا وعاطفيا وما الثمار التي يجنيها الأطفال من وراء استخدام تلك الأساليب؟ والجواب هو أن النبي –صلى الله عليه وسلم– اتبع عددا من الأساليب لتنمية ثقة الطفل بنفسه وذلك حتى ينشأ قويا، ثابت الشخصية وإن إشباع غريزتي حب الذات وحب التكامل لا يتحقق إلا باحترام شخصية الطفل، وإكرامه، وإشعاره بأنه واحد من أفراد الأسرة، وبأنه عضو فعال في مجتمعه ومن ثم يشعر بأن له مكانة

---

[1] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص61-62.

[2] سبق تخريجه، ص 152 من الرسالة.

[3] المعجم الكبير للطبراني، مقدمة التحقيق، (باب عبد الله بن عمرو بن العاص)، رقم(14367)، جـ13، المصدر السابق، ص494.

[4] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب عقوق الوالدين من الكبائر)، رقم(5631)، جـ5، المصدر السابق، ص2229.

عالية بين أهله وأبناء مجتمعه فيسعى جاهدا لخدمة أسرته ومجتمعه[1] "ومن الصفات التي يحتاجها الإنسان في حياته ليواجه بها مصاعب الحياة وتقبل المسؤولية هي شعوره بالثقة بالنفس.. إنها حالة اقتناع القدرة والكفاءة داخل النفس.. فتكون ملكة من ملكاته يقويها بالعلم والتجارب"[2].

ولعل حاجة الطفل إلى المكانة والشعور بقيمة الذات تشعره بأنه شخص ذو أهمية وأنه عضو فعال في جماعته، ومن ثم يتولد عنده الإحساس بالمسؤولية، وكيف يتخذ قرارا إزاء المواقف التي يتعرض لها والأفضل للمربيين أن يتركوا للطفل حرية اتخاذ القرارات الشخصية المتعلقة به.

لأنه متى وجدت الثقة بالنفس وجدت وقويت الإرادة، ومن ثم تعوده حفظ الأسرار وكتمها فتنمو شخصيته "ولا شك أن لمدح الطفل أثرا فعالا في نفسه، فتحرك مشاعره وأحاسيسه، فيسارع الطفل إلى تصحيح سلوكه وأعماله، وترتاح نفسه وتزهو لهذا الثناء وتتابع في النشاط وتستمر به"[3].

أما الذم الجارح للطفل الذي يستحق ذلك فسيولد عنده شعورا بالنقص، وبالتالي فعلى المربين أن يبينوا للطفل أخطاه ويصححونها له، ويمدونه بالطريقة الملائمة لتجنب مثل تلك الأخطاء، وذلك لمساعدته على تجنبها والامتناع عن ارتكابها مرة أخرى لذا ينبغي الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب والذم للطفل، واستخدام بدل ذلك أسلوب الترهيب والترغيب لأنه يعد من الأساليب الناجحة والمؤثرة إيجابا على سلوك الأطفال بحيث يدفعهم إلى المسارعة لتصبح سلوكهم وتصرفهم.

سابعا :البناء الاجتماعي

- المجتمع لغة واصطلاحا
- البيئة الاجتماعية للطفل
- أسس البناء الاجتماعي

الأساس الأول: تربية الطفل على الحرص من تحقيق الإخاء والترابط والتعاطف والتواد مع الآخرين

الأساس الثاني: ترشيد الطفل على ممارسة التكافل

الأساس الثالث: ترشيد الطفل على ممارسة التناصح

الأساس الرابع: ضررة تنشئة الطفل على التزام الآداب الإجتماعية

الأساس الخامس: تقوية الإندماج الجتماعي في الطفل وشعوره بواجب التعاون معهم

الأساس السادس : تقوية اتصال الطفل وعلاقته مع الأطفال الآخرين، واختيار جماعة الرفاق

الأساس السابع: اصطحاب الطفل إلى مجالس الكبار

الأساس الثامن: إرسال الأطفال لإنجاز بعض الحاجات يسهم في تطوير شخصياتهم

---

[1] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص474.

[2] عبد الله أحمد، بناء الأسرة الفاضلة، دار البيان العربي، بيروت، 1410هـ/1910م، ص255.

[3] محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، المرجع السابق، ص349.

البناء الاجتماعي:

مما لا شك فيه أن المجتمع مدرسة كبيرة يتلقى فيها الفرد دروسا عملية كثيرة، ونحن عندما نقصد ببناء الطفل اجتماعيا نسعى إلى جعل الطفل يتكيّف اجتماعيا مع أبناء جنسه كبارا وصغارًا وفق القيم والأعراف والعادات الموجودة داخل مجتمعه، والغاية هي مساعدة الطفل على التكيّف مع المجتمع الذي ينتمي إليه عن طريق التعلّم والتدريب الاجتماعي، لأن الخيرات الاجتماعية للأطفال هي الأساس الاجتماعي من تكون الشخصية على الأسلوب الذي يجب أن يتّبعه من تصرفاته، ليتعاون مع المجتمع على تشكيل سلوكه الاجتماعي، والسؤال المطروح الآن هو ما هي عملية التطبيع الاجتماعي؟. يقول بعض المتخصصين في مجال التربية أن: "عملية التطبيع الاجتماعي من أهم العمليات الأولية والأساسية في تحديد سلوك الأطفال وتشكيله بعد ميلادهم، فهي عملية تعلم اجتماعي، تتشابك وتتداخل فيها عدة مهام وأساليب، لتحقيق أهدافها"[1]. التي تشتمل على ما يلي:

"التكيّف والتآلف مع المجتمع والآخرين، فالتكيف عامل مهم في نمو الصحة النفسية والاجتماعية عند الأفراد، ومن مظاهر التآلف والتكيّف، الرغبة في تكوين الصداقات وتنمية الذات الاجتماعية، والرضوخ لقوانين المجتمع وعاداته وتقاليده دون تذمّر"[2].

ويقول محمد لبيب النجيحي: "ومن نتاج هذا التفاعل والتكيّف بين الشخصية الفردية، والحضارة الإنسانية" [3].

"إذن الإنسان مدين إلى المجتمع في أكثر من صفته وخصاله، فهو الذي ترعرع فيه وليدًا، وتعاهده بالتوجيه، والتعليم يافعًا، وأخذ منه اللغة في طفولته، فهو الذي علمه كيف يفكّر وكيف يعمل، وكيف يتعامل ويأخذ ويعطي مع أبناء جنسه. فالإنسان الذي يستطيع أن يكيّف نفسه وفقا لبيئته ويساير روح عصره، تكتب له الحياة ويكون عضوا عاملا في مجتمعه"[4].

ويقول مصطفى الخشاب: "إن البلاد التي ركنت إلى العزلة وتجنبت الاختلاط قد أصابها التأخر والجمود وأخذت في الهرم والانحلال مهما كانت الأصول والإتنولوجية التي تنتمي إليها. فالبلاد الاسكندناوية لم تشهد حضارة عريقة كالتي ازدهرت في الشرق (حضارة مصر وبابل والصين القديمة) مع أنها تنتمي إلى الجنس الآري الذي يعتبر أرقى الأجناس في عرف الفلسفة الألمانية"[5].

---

[1] أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، ط1، دار الشروق للنشر، عمان 1993، ص 141

[2] عطوف محمود ياسين، مدخل في علم النفس الإجتماعي، ط1، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، 1982م، ص61- 62.

[3] محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، المرجع السابق، ص 86.

[4] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 44

[5] مصطفى الخشاب، علم الإجتماع ومدارسه، المرجع السابق، ص 166

فكذلك المجتمعات يجب أن يكون بينها التلاقي والتفاعل والاحتكام للاستفادة من قيمها وعاداتها ومعاييرها الاجتماعية.

تعريف المجتمع لغة واصطلاحا:

المجتمع في اللغة:

جاء في لسان العرب: أن جماع الشيء: جمعه... والرجل من المُجْتَمِع: الذي بلغ أشده... ورجل جميعٌ: مُجْتمِعُ الخَلْقِ. وفي حديث الحسن –رضي الله عنه–: أنه سمع "أنس بن مالك" –رضي الله عنه–، وهو يومئذ جميعٌ أي مُجْتَمَعُ الخلْقِ قوي لم يهرم ولم يضعف، والضمير راجع إلى أنس، وفي صفته – صلى الله عليه وسلم–: كان إذا مشى مشى مُجتمِعًا أي شديد الحركة قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي... وكل ما تجمع وانضم بعض إلى بعض جماعٌ... والإجْمَاع: تُجَمِعَ الشيء المتفرق جميعا...[1].

المجتمع اصطلاحا:

المجتمع مجموعة من الأحياء تعيش معًا بتعاون وتضامن في مكان معين. وهذا التعريف ينطبق على المجتمعات الحيوانية... ويمكن تعريف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد يعيشون معًا فوق بقعة معينة بتعاون وتضامن، ويرتبطون بتراث ثقافي معين، ولديهم الإحساس بالانتماء بعضهم لبعض والولاء لمجتمعهم، ويكونون مجموعة من المؤسسات تؤدي لهم الخدمات اللازمة في حاضرهم، وتضمن لهم مستقبلا مشرفا في شيخوختهم، وتنظم العلاقات فيما بينهم[2].

البيئة الاجتماعية للطفل[3]:

إن منشأ المجتمع وأساسه هي الأسرة، وفي سبيل التربية الاجتماعية للطفل، اهتم الإسلام بدور الأسرة لما لها من دور فعال في المجتمع لأنها تقوم بالوظائف الأساسية التالية:

1) "تزويد المجتمع بالأعضاء الجدد، أي بالقوة الانتاجية في المجتمع، وتعتبر بالنسبة لهم وعاء تربويا مسؤولا عن تشكيل شخصياتهم، وتنشئتهم تنشئة مبكرة ومستمرة ليقوموا بدورهم على أكمل وجه.
2) تهيئة فرص الحياة المختلفة لأفرادها وإعدادهم إعدادًا جيّدا، ليتمكنوا من المشاركة الفعّالة في قطاعات الحياة المختلفة، عن طريق تعليمهم أساليب الاتصال والتفاعل مع الآخرين.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة جمع، جـ8، المرجع السابق، ص 55– 56.

[2] ابراهيم ناصر، التربية وثقافة المجتمع، المرجع السابق، ص 51 .

[3] البيئة الاجتماعية: "يقصد منها المجتمع البشري وعلاقات أفراده وجماعاته بعضهم ببعض"، فالبشر والعلاقات البشرية، على اختلاف أنواعها سواء أكانت إقتصادية أم سياسية أم مهنية أم ثقافية أم سيكولوجية أم غير ذلك، يتآلف منها البيئة الاجتماعية. أنظر جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص 42.

3) "تزويد أفرادها بالأساليب والوسائل المختلفة لمواجهة التغيرات الاجتماعية الحاصلة، والمواقف الصعبة والتكيّف معها"[1].

ولقد سبق وأن تطرقنا إلى مدى تقدير الإسلام إلى الأخلاق التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء وإلى اهتمام الإسلام بعامل الوراثة فالأسرة "هي الخلية الأساسية في تربية الطفل قبل أن ينتقل إلى المؤسسات الاجتماعية الأخرى وهي الوسيط الرئيسي بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها... وكما يقول "بستالوزي": "إن الأسرة هي مصدر كل تربية صحيحة يتأثر بها الطفل"[2]. فالأسرة إذن هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يعيش ويتعامل معها الطفل لذا فإن لها كما قلنا وظائف عظيمة وحيوية في المجتمع، "ويعتبر البيت المؤسسة الأولى للتربية، ففيه يولد الطفل وفيه يتلقى درسه الأول في مجال التنشئة الاجتماعية[3] لكي يتحول من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي. والأم هي أول وسيط للتنشئة الاجتماعية، فهي أول ممثل لتجمع يقابله الطفل"[4]. فهي تعلمه وتلقنه آداب المجتمع الإسلامي ليستطيع العيش فيه، وتعلّمه كيف يفرّق ويميّز بين الصواب والخطأ والحسن والقبيح، لذا يمكن القول بأن "البيئة الاجتماعية تكون الميول العقلية والعاطفية من سلوك الأفراد إذ تدفعهم إلى ألوان من الأعمال تزكي فيهم ضروبا من البواعث وتقويها، أعمال لها أهدافها ونتائجها المعينة"[5]. أما وظيفة البيئة الاجتماعية فيقول "محمد ناصر"، "تبسيط وتنظيم عناصر الميول التي يراد إنماؤها –تطهير العادات الاجتماعية الموجودة والسمو بها إلى مراقي المثل العليا... خلق بيئة للناشئين أكثر سعة واتزانا من البيئة الراهنة التي قد يتأثرون بها لو خلوا وأنفسهم"[6].

فالطفل لا يتلقى تربيته من الأسرة وحدها، بل يتلقى تربيته أيضا من المدرسة التي يتعلّم فيها المدرسة "مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتقبل حاجة من حاجاته الأساسية وهي تطبيع أفراده تطبيعا اجتماعيا يجعل منهم أعضاء صالحين في المجتمع"[7]. فهي من المؤسسات الاجتماعية الأساسية كالأسرة

---

(1) أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، المرجع السابق، ص 153- 154.

(2) إبراهيم ناصر، التربية وثقافة المجتمع، المرجع السابق، ص 159

(3) التنشئة الاجتماعية: socialisation "هي تربية الفرد وتوجيهه والاشراف على سلوكه وتلقينه لغة الجماعة التي ينتمي إليها وتعويده على الأخذ بعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، وسنن حياتهم والاستجابة للمؤثرات الخاصة بهم، والخضوع لمعاييرهم، وقيمهم والرضا بأحكامهم، وتطبعه بطباعهم وتمثله لسلوكهم" أنظر، إبراهيم ناصر، المرجع السابق، ص 38- 39.

(4) أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، المرجع السابق، ص 283.

(5) محمد ناصر، قراءات في الفكر التربوي، جـ1، المرجع السابق، ص 459.

(6) المرجع نفسه، ص 466.

(7) محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، المرجع السابق، ص 53.

والمسجد والدولة وغيرها... إلخ. ويقول بسمارك (أوتوقون) Bismarck[1] "إن الذي يدير المدرسة الاجتماعية يدير مستقبل البلاد"[2].

وبالتالي فإن وظيفة المدرسة الاجتماعية "لم تعد مهمتها قاصرة على الناحية العقلية، بل تطورت إلى العناية بالسلوك والاتجاهات والمواطنة الصالحة بصفة عامة... والمدرسة لا تعمل للمستقبل دون اعتبار للحاضر، وإنما هي تركّز على حاضر التلميذ من جميع نواحيه"[3]. ولكي تنمو شخصية الطفل سوية متعافية كاملة تسير في اتجاه واحد، فهذا يتطلب ويستلزم أن تسير المدرسة والأسرة على نهج واحد يسمح للطفل بالاندماج فيه والتعاون بينه وبين الأفراد الآخرين. "فالمدرسة لا تلغي دور الأسرة، فالمدرسة التي تعمل بمعزل عن الأسرة مدرسة ضعيفة، والمعلم الناجح هو الذي ينظر إلى الآباء بوصفهم شركاء في العملية التربوية لذا فإن على المؤسسة التربوية أن تؤكد على دور الأسرة وأن تعمل كل ما من شأنه تسهيل قيامها بهذا الدور بشكل فعّال"[4].

إذن فكل ما نقصده ببناء الطفل اجتماعيا: أن يكون متكيفا مع وسطه الاجتماعي، سواء مع الكبار، أو مع الأصدقاء ومن هم في سنه، وليكون فعالا إيجابيا، بعيدا كل البعد عن الانطواء، والخجل المقيت، يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشتري، ويخالط ويعاشر، ومن خلال التأمل في الأحاديث النبوية نجد هناك أمورًا خصها الرسول–صلى الله عليه وسلم– في تكوين الطفل اجتماعيا، وهي:

الأساس الأول: تربية الطفل على الحرص على تحقيق الإخاء والترابط والتوادّ والتعاطف:

إن الإسلام يلزم مجتمعه بالأخذ بمفهوم الودّ والعطف والأخوة فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا المؤمنُونَ إخوةٌ**﴾[5]. فنداء القرآن بجعل المؤمنين إخوة من شأنه أن يربط المسلمين ببعضهم، فعن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنّه قال: "**قال الله عزّ وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيّون والشهداء**"[6]، وقال أيضا –عليه الصلاة والسلام– في الثناء على الأخوة في الدين: "**من أراد الله به خيرًا رزقه خليلاً صالحًا**"[7].

---

(1) بسمارك "Basmarck" (1815–1898)، سياسي ألماني، عمل على تحقيق الوحدة الألمانية. أصبح مستشار الأمبراطورية بعد الإنتصار على فرنسا 1870. جعل من بلاده قوة أوروبية ودولة استعمارية. أنظر، المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، قسم المنجد في الأعلام، ص128.

(2) ابراهيم ناصر، قراءات في الفكر التربوي، جـ2، المرجع السابق، ص 154.

(3) محمد لبيب النجيحي، المرجع السابق، ص 62.

(4) أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع السابق، ص 455.

(5) سورة الحجرات، الآية 10.

(6) سنن الترمذي، أبواب الزهد، (باب ماجاء في الحب في الله)، رقم(2390)، جـ4، المصدر السابق، ص597.

(7) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 2، المصدر السابق، ص 230.

ويقول الغزالي: "إن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين. وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح فكذا عقد الأخوة، فلأخيك عليك حق في المال والنفس، اللسان والقلب والعفو والدعاء بالإخلاص والوفاء..."[1].

وما من شك أنّ الحب يقوي الرابط الاجتماعي، ويجعل القلوب متراصّة، تشاطر بعضها الآلام والفرح، فيصبحون كتلة واحدة وجسدًا وفق تصوير الرسول –صلى الله عليه وسلم– لمجتمع المؤمنين "**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**"[2].

وهكذا اعتبر الإسلام المجتمع الإسلامي كجسم الإنسان إذا اشتكى منه عضو اشتكت سائر الأعضاء كلها. فأي تآخ أحسن من هذا التآخي.

أما التوقير والاحترام فإنه يرفع قدر كل فرد في نظر الآخر، على الرغم من الفروق الاجتماعية فلا يعتدي مسلم على مسلم، ولا يحقره ففيما يروى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال : "**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**"[3].

والسؤال المطروح: ما النتائج التي نحصّلها من تربية أبناءنا الأطفال على محبّة الآخرين؟

فالجواب هو يمكننا أن نقول: إننا نحصّل الكثير من هذه التربية مثل: "إن إعلان الأخوة بين الأفراد يهدّئ النفوس، ويطمئن القلوب، فينصرف كل شخص إلى عمله وقلبُه نظيف من الأنانية، يحبّ لغيره ما يحب لنفسه، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "**لايؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**"[4].

وعلى المرّبي "أن يلاحظ من الطفل... المشاعر النبيلة مع الآخرين فإذا وجد الولد يتصف بالأنانية، أرشده إلى الإيثار، وإذا وجده يميل إلى نزعة التباغض غرس فيه بذور المحبة والصفاء"[5].

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 2، المصدر السابق، ص 251.

[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم)، رقم(2586)، جـ4، المصدر السابق، ص1976.

[3] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله)، المصدر السابق، رقم(2564) جـ4، ص 1976.

[4] سبق تخريج الحديث، ص 194 من الرسالة.

[5] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ2، المرجع السابق، ص746.

الأساس الثاني : ترشيد الطفل على ممارسة التكافل

النصيحة حق للمؤمنين على إخوانهم الآخرين في الإيمان، فالمؤمن مرآة أخيه يُنبِّهه إلى أخطائه وعيوبه بروح الحرص على تنقية أخلاق أخيه من كلّ نقص أو عيب من خلال الاشتراك في أعمال لها مردود اجتماعي مثل:

1. الحرص على الصالح العام المتمثل في الاهتمام بالمرافق والمنشآت العامة:

وهذا يتجلى بعدم الهدر والعبث والغصب، وهذا ما يظهره حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا**"[1].

2. الاشتراك في أعمال البر والمعروف :

الأمر بالمعروف والمشاركة في أعمال الخير والبر والإحسان. والإشارة إلى مواطن الخطأ في حياة الجماعة الإنسانية من الأمور المهمّة إلى درجة كبيرة في دفع حياة المجتمع نحو الأفضل.

وفي هذا إشعار للطفل بأنه عضو فعّال هام في مجتمع كبير، وأنه صاحب دور ومسؤولية عليه أن يؤدّيها خير آداء. بهذا تترسخ الروابط بينه وبين محيطه الاجتماعي على أسس من الخير والحبّ والودّ والغيرة المحمودة[2].

الأساس الثالث: ترشيد الطفل على ممارسة التناصح

المؤمن مرآة أخيه ينصحه ويرشده، يقوّم عوجه، ويشجّع دوافع الإحسان ومشاريع الخير لديه. فالتناصح الصادق يقوّم السلوك ويهذّب المشاعر، ويكوّن الصالح الحسن من المجتمعات والأفراد، لذا كانت دعوة الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**الدّين النصيحة**" **قلنا لمن؟ قال:** "**لله وكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامّتهم، وأئمة المسلمين وعامّتهم**"[3].

كما أن التناصح يمكن أن يشتمل على مجالات حياتية متعددة تتعدد يتعدد حاجات المجتمع إلى النهضة والرقي والاستقرار. ومن أهم مجالات التناصح:

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الشركة، (باب هل يقرع في القسمة والإستهمام فيه)، رقم(2361)، جـ2، المصدر السابق، ص882.

[2] عبد المجيد طعمة الحلبي، التربية الإسلامية للأولاد منهجا وهدفا وأسلوبًا، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م، ص248.

[3] سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في النصيحة)، رقم(4944)، جـ4، المصدر السابق، ص286.

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو الوصف الذي وصف الله سبحانه وتعالى به الأمة الإسلامية. ونظرا لارتباط الفرد بالأمّة مجموعة أو أنّ الأمّة مجموعة أفراد كان الفرد المسلم آمِرًا بالمعروف ناهيا عن المنكر. فالأمر بالمعروف بمعروف بالكلمة الطيّبة الواعية البانية، والنهي عن المنكر لغاية إزالة الخطأ والانحراف، وليس تشفيا بالمخطئين وإنّما شفقة عليهم وبهم

ومحافظة على هذه الفريضة جاء الطلب الشرعي منسجمًا مع واقع البشر وإمكاناتهم وظروفهم فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1]. وهذه المواصفات إنّما يغرسها المرّبون في نفوس الأطفال كي يكونوا شجعانا أقوياء، بناةً واعين، هادين مهديين.

2. منع الظالم من التمادي في ظلمه:

وذلك رأفةً به، ورحمة بالرّعية، فإذا ما ذكّر الناس الظالم وردُّوه عن ظلمه خلّصوه من سوء العاقبة في الحياة الآخرة، وأزالوا الحيف عن الناس في الدنيا، وخرج من الدائرة التي حرّمها الله على نفسه وعباده بقوله في الحديث القدسي: "**ياعبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا**"[2].

3. الشورى:

وهي من أهم مظاهر التناصح والتعاون في الوصول إلى اكتشاف الحق والصواب من أجل خير الناس ليعملوا به، وليبينوا طريق الشر والخطأ كي يبتعدوا عنه. وقد امتدح الله تعالى المسلمين في قوله: ﴿**وأمْرُهُم شُورَى بينهُمْ**﴾[3]. وطلب من رسوله أن يحقق الشورى وتبادل الرأي وصولًا للحق في قوله: ﴿**وشَاوِرْهُم في الأمْرِ**﴾[4].

الأساس الرابع: ضرورة تنشئة الطفل على احترام الآداب الاجتماعية

كما ينبغي أن نركز على ضرورة تعويد منذ نشأته على احترام والتزام الآداب الاجتماعية العامة مثل: إفشاء السلام، وآداب السير، وآداب الطعام، وآداب الشرب، وآداب اللقاء، وآداب الحديث وغير ذلك[5].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان)، رقم(49)، جـ1، المصدر السابق، ص29.

[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (باب تحريم الظلم)، رقم(2577)، جـ4، المصدر السابق، ص1994.

[3] سورة الشورى، الآية 38

[4] سورة آل عمران، الآية 159.

[5] عبد المجيد طعمة الحلبي، المرجع السابق، ص 249.

وأكدتا على وجوب التمسّك بها لأن هذه الآداب والأعراف قوام المجتمع والنّسغ الذي يجري داخل عروقه فيكسبه القوة والحيويّة، بحيث نذكر بعض الآداب الاجتماعية في هذا السياق كي تتكامل صورة التربية الإسلامية في أذهان المرّبين إن شاء الله ومنها:

آداب الزيارة:

الزيارة بين أفراد المجتمع ظاهرة طبيعية ما دامت دوافع الخير والودّ هي السائدة بينهم والزيارات تحدث لأسباب متعددة ومناسبات مختلفة مثل أوقات التهنئة بالأعراس أو القدوم من سفر، أو التّعازي أو عيادة المريض. وهناك مناسبات أخرى كثيرة. والولد قد يشارك والديه أو أحدهما في هذه الزيارات أو بعضها فجدير بالمرّبين أن يبصرّوه بآداب الزيارة وآداب اللقاء مع الآخرين. ويمكن الإشارة إلى بعض من هذه الآداب:

- أن نعلّمه الأوقات المفضلة للزيارات على ما تعارف عليه الناس والابتعاد عن أوقات تناول الطعام أو النوم.
- أن نعلّمه آداب الاستئذان والوقوف على يمين الباب أو شماله بعد قرعه مستأذنا الدخول.
- أن يسلّم الطفل إذا كان زائرا على من يورهم، وأن يبالغ في ردّ السلام إذا كان مُزارًا. وأن يبشّ في وجوه من التقى بهم. لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "**تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة**"[1]. وقوله –صلى الله عليه وسلم-: "**من لقي أخاه ممّا يحب ليسرّه بذلك سرّه الله يوم القيامة**"[2].
- أن يتعلم الحديث من زارهم أو من زاروه بكل لطف بهم واحترام لهم، وهذا يظهر بعدم رفع الصوت أكثر من حاجة السّامع.
- أن يجلس جلسة وقورة رفيعة فلا يمدّ رجليه أو يضع الأولى فوق الأخرى أو يجعل ظهره موّجهًا لوجه زائره، فهذا يتنافى مع الاحترام والإكرام.

وكذلك أن يتعلم الجلوس حيث يجلس ربّ البيت إذا كان زائرا، أو حيث ينتهي به المجلس، وأن يدع العبث بمحتويات المنزل المُزار من كتب وأثاث وغير ذلك.

ويستأذن بالمغادرة إذا انتهت الزيارة، فإذا كان مُزارًا واستأذن الزائر أذن له ورافقه خارج البيت مودِّعًا وداعيا له بالحفظ والتوفيق.

---

[1] سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، (باب ماجاء في صنائع المعروف)، رقم(1956)، جـ4، المصدر السابق، ص339.

[2] أخرجه الطبراني، المعجم الصغير، (باب الياء: من اسمه يحي)، رقم(1178)، جـ2، المصدر السابق، ص288.

آداب عيادة المريض :

إن عيادة المريض خُلق اجتماعي شرعه الإسلام ليقوّي الروابط الاجتماعية، إذ فيه مواساة للمرضى، وإشعار لهم أن إخوانهم يتحسسون آلامهم ويشاركونهم الظروف الصعبة التي يعيشونها.

ويمكن للمرّبي أن يزوّد الطفل ببعض الإشارات العملية المترافقة بالسلوك العملي بحسن الأسوة والقدوة فيما يتعلق بزيارة المرضى المسمّى بـ (عيادة المريض) وذلك:

1. نعلّمه أن تكون زيارة المريض قصيرة، وذلك بعد أن نرغبّه بزيارة المرضى لأنهم أخوانه وأحبابه، وخاصة عندما يعلم أن أجرًا كبيرًا ينتظره عند الله سبحانه يوم القيامة حيث قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**أطعموا الجائع وعُودُوا المريض وفكّوا العاني**"[1].
2. نعلّمه الدعاء للمريض عند الدخول عليه لما روي عن عائشة –رضي الله عنها– أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض أهله فيمسح بيده اليمنى ويقول: "**أذهب الباس ربّ الناس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلاّ شفاؤك شِفاءً لا يُغادر سقمًا**"[2].

إذن فهذه هي أهم آداب عيادة المريض، فعلينا كمربين أن نعمل بها ونعلمها لأولادنا ليعتادوا عليها في حياتهم الاجتماعية، وفي تعاملهم مع أبناء مجتمعهم.

الأساس الخامس: تقوية الاندماج الاجتماعي في الطفل وشعوره بواجب التعاون معه

إن دور الفرد في المجتمع كدور اليد في الجسم، والمجتمع هو الحاضن للفرد المفجَّر لطاقاته وإبداعاته. فإذا عزل الإنسان نفسه عن مجتمعه أو عُزل لأي سبب من الأسباب فإن الفرد يفقد المحطة الهامة التي تغذّيه بالقيم الإنسانية الخيّرة.

وبالتالي يخسر المجتمع كوادره وطاقاته لأن الحياة الاجتماعية هي الحياة المناسبة لاكتمال نماء الشخصية على نحو شامل في كل مجالات الحياة. ومن خلالها يتم تأسيس قاعدة هامة متقدّمة لأساليب العيش الجماعي لأفراد المجتمع[3]. وفي هذا يقول المرّبي "جون ديوى" John dewey "يعيش الناس عيشة جماعية بفضل الأمور التي يشتركون فيها، والسبيل إلى حصولهم على هذه الأشياء المشتركة هو اتصال بعضهم ببعض، أمّا الذي يجب على الناس أن يشتركوا فيه لتتآلف منهم جماعة أو مجتمع هو الأهداف والعقائد والأماني والمعارف، ومعنى هذا أن يكون بينهم تفاهم أو تشابه فكري كما يسميه علماء الاجتماع"[4].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المرضى، (باب وجوب عيادة المريض)، رقم(5325)، جـ5، المصدر السابق، ص2139.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 314 من الرسالة.

[3] عبد المجيد طعمة الحلبي، المرجع السابق، ص252.

[4] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، المرجع السابق، ص465

"إذن فالتعاون عملية اجتماعية يرجع الفضل في ترويض الأفراد عليها إلى الأسرة أولاً ثم إلى البيئة الخارجية، لأن وحدة المصالح ووحدة الأهداف تؤدي بالأفراد إلى التعاون لتحقيق المصلحة المشتركة والخير العام"[1].

وإذا كان علماء التربية الحديثة بدؤوا ينظرون لمجتمعاتهم فحَسْبُ التربية الإسلامية فخرًا أن كتابها الأول الذي تستقي منه آراءها ونظراتها التربوية القرآن الكريم الذي قد أكد على أهمية التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم الذي يجب أن تشدّه أواصر الإيمان والعقيدة والتقوى كي تنبت فيه شجرة حبّ التعاون ونكران الذات والإيثار، فقد قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البرّ والتَّقْوَى ولا تَعَاونوا على الإِثْمِ والعدوان واتّقوا الله إن الله شديد العِقَابِ**﴾[2].

فالمجتمع المسلم الذي يسعى الإسلام لبنائه يقتضي وجود جماعة متكافلة تقوم بالتكاليف الجماعية.

حيث يقول الإمام الصادق –عليه السلام–: "وليعن بعضكم بعضًا، فإن آبانا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كان يقول: **معاونة المسلم خير، وأعظم أجرًا من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام**"[3].

إذًا واجبنا كمربين أن نغرس في نفوس أطفالنا التّعاون لأنه عمل كبير يدفع إلى الاندماج في الحياة الاجتماعية، ويشعر الطفل بقربه من قلوب الناس، خاصة إذا رأى من يقدّر له هذا السلوك الاجتماعي التعاوني أو يثني عليه، فإن هذا الثناء وهذا التقدير سيسهمان في ربط الطفل بالجماعة التي تحيط به مما يهيئ للطفل مستقبلا تربويا أخلاقيا اجتماعيا متوازنا تنعدم فيه الأنانية وعبادة الذات وتحلّ محل ذلك الغيريّة والتضحية والشعور بالانتماء إلى المجتمع الذي ربّاه وعلّمه وزوّده بالمعرفة والأخلاق المحببة لهذا الطفل مما يسهم على نحو أوسع في تأسيس مجتمع متآلف وقوي.

الأساس السادس: تقوية اتصال الطفل مع الأطفال الآخرين واختيار جماعة الرفاق

يقول محمد لبيب النجيحي: "التفاعل الاجتماعي لا يمكن حدوثه ما لم يوجد شرطان أساسيان: أولهما الاتصال الاجتماعي Social contact وثانيهما التواصل Communication والاتصال معناه أن يقترن فرد أو جماعة من فرد أو جماعة أخرى عبر المسافات الفيزيقية عن طريق الوسائل التي تحمل الانطباعات المختلفة... والاتصال الاجتماعي إذن هو أولى مراحل التفاعل"[4].

ولتقوية علاقة الطفل مع الأطفال الآخرين يجب حثّه على المشاركة في نشاط الجماعة فالطفل يحصل على أفضل النتائج من خلال مشاطرة الآخرين لعبهم والتعاون معهم "إنّ هذه الدور دور

---

[1] مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، المرجع السابق، ص203

[2] سورة المائدة، الآية 2.

[3] محمد رضا الحكيم وآخرون، الحياة، جـ6، ط2، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت 1400هـ/1980م، ص93.

[4] محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، المرجع السابق، ص 185

الاجتماعية الطبيعي الذي يحب الأطفال فيه اللعب مع بعضهم بشكل جماعة ويتعاونون في نشاطاتهم يختلف كثيرا من الدور السابق (الفردية)... وسن الفردية يتم بين السن الرابعة أو السابعة"[1].

ويمكن تعريف العلاقات الاجتماعية بأنها "مجموعة التفاعلات العمليات الناتجة عن تفاعل الأفراد مع البيئتين الطبيعية والاجتماعية، وخصائص أي مجتمع تتكوّن نتيجة هذه العلاقات وما وصلت إليه من تطوّر نتيجة تأثرها بمختلف العوامل الاجتماعية التي تبلورت في قواعد، ومعايير ونُظُم وقيّم حددّت العلاقات المختلفة بين أفراد المجتمع والتي تميّزه عن غيره من المجتمعات"[2].

وفي هذا الشأن يقول زهير الأعرجي: من المهم جدًّا أن يعلم الطفل طريقة التعامل مع بقية الأطفال، خصوصًا بين عمر الثلاث سنوات حتى الست سنوات، أن يتعلم كيف يختلط بهم اجتماعيا، وكيف يشاركهم ألعابهم وهمومهم وكيف ينتظر دوره لعمل ما، وكيف يسأل طفلاً آخر حول حاجة معينة..."[3]. لقد حرص رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن ينشأ الطفل في جو جماعي بين الأطفال بعيدًا عن العزلة والانطواء فقد مرّ بصبيان يلعبون فسلّم عليهم.

فعن أنس قال: "**انتهى إلينا رسول الله وأنا غلام مع الغلمان، فسلم علينا...**"[4]. إن اتصال الطفل بالأطفال الآخرين وخصوصا في فترات الطفولة الباكرة تترك آثارًا دائمة في شخصيته. لذا "فالأطفال الذين يعزلون عن جماعاتهم الانسانية لسبب أو لآخر لا يستطيعون أن يكونوا شخصيات إنسانية إذ أن هذا التكوين لا بد له من أشخاص آخرين يتفاعلون معهم.. وتعمل العزلة الاجتماعية على تعويق التفاعل الاجتماعي وبالتالي على صبغ الثقافة بصيغة الركود والجمود وبالتالي التقهقر والاضمحلال.."[5]. وبما أن الإنسان مطبوع على الاندماج والاجتماع ميّال إلى معاشرة الناس، والاندماج معهم –هو اجتماعي بطبعه– لهذا نصح المربّون باختيار صحبة الطفل وأترابه ورفقائه.

ومن العلاقات الثابتة بين الناس الصداقة والصحبة، لأن النفس البشرية ميّالة إلى التعارف والمخالطة والمعاشرة وبالتالي فهي تختار جماعة تشعر بالاندماج والاقتراب معهم دون غيرهم من الناس. فعندما يبلغ الطفل مرحلة معينة من العمر يحس بالرغبة إلى الاندماج بالمجتمع أكثر، وأول خطوة للدخول به هو الدخول إلى عالم الرفقة والأصدقاء، لذا من المهم والضروري على الوالدين أن يختاروا لأطفالهم أصدقاء يتصفون بصفات أوردها "محسن محمد عطوي" في "زاد المبلغين" حيث يقول: "وأهم ما في الأمر أن يكون الصديق، مؤمنا، أخلاقيا، عاقلا، جامعا لمحاسن المكارم من جميع النواحي، حيث يعكس ذلك

---

(1) ج.أ.هاد فيلد، الطفولة والمراهقة، المرجع السابق، ص 42

(2) أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، المرجع السابق، ص137

(3) زهير الأعرجي،الأخلاق القرآنية، جـ1، المرجع السابق، ص243

(4) سنن أبي داود، كتاب الأدب، (باب في السلام على الصبيان)، رقم(5203)، جـ4، المصدر السابق، ص352

(5) محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، المرجع السابق، ص 187– 188.

أخلاقيتك أنت، ليكون ميلك إلى الكمال جزءًا من كمالك وأخلاقيتك.."[1]. وهنا يبدو دور الوالدين أو الأبوين مهمًا في إرشاد الطفل إلى حسن اختيار الصحبة والأصدقاء لأن "الصداقة مادة من مواد الأخلاق، والصديق صورة ترسم للإنسان مستقبله وتحدّد له سعادته وكماله"[2]، وقد قال الشاعر العربي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي[3]

ويقول ابن سينا في تربية الولد قوله: "أن تكون مع الصبي في مكتبة صبية حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم، لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس"[4].

وهذا رسول الأمة يحذّر من قرين السوء لأنها تهدمه ففيما رواه الشيخان: "**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإمّا أن تبتاع منه وإمّا أن تجد منه ريحًا طيّبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**"[5]. والإمام الصاق –عليه السلام– يقول: "**إيّاك ومخالطة السفلة فإن السفلة لا تؤدي إلى خير**"[6].

الأساس الاجتماعي السابع: اصطحاب الطفل إلى مجالس الكبار

من الضروري ألاّ يكون الطفل حبيس البيت لأن هذا يعني الانعزال عن المحيط الذي يجب أن يعيش فيه، ويعني خسرانه تجارب الكبار الذين خبروا الحياة وعايشوها وعرفوا مرّها وحلوها. وكنّا قد ذكرنا من قبل ضرورة تنمية روح التعاون وهذه الروح يجب أن تستند أولاً على قاعدة معرفية ثقافية وهذه المعرفة لا تتأتى إلاّ بمخالطة الكبار[7].

والإسلام بحكم نظامه التربوي حريص على هذه الحياة الاجتماعية ففي حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مصداق هذه الدعوى: "**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**"[8].

كما كان حرص الصحابة –رضي الله عنهم– على اصطحاب أطفالهم إلى مجلس الكبار شديدة كي يحصّلوا الفائدة المعرفية والاجتماعية التي تعينهم على مواجهة المستقبل الحياتي الذي ينتظرهم، فقد كانوا

---

[1] محسن محمد عطوي، زاد المبلغين، المرجع السابق، ص51

[2] سهام مهدي جبار، المرجع السابق، ص509

[3] محمد أمين زين الدين، الأخلاق عند الإمام الصادق، منظمة الإعلام الإسلامي، قسم العلاقات الدولية، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 112

[4] لويس شيخو وآخرون، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب، مسلمين ونصارى، المرجع السابق، ص 13

[5] سبق تخريج الحديث، ص 127 من الرسالة.

[6] محمد أمين زين الدين، المرجع السابق، ص 113

[7] عبد المجيد طعمة الحلبي، المرجع السابق، ص253

[8] الطبراني، المعجم الأوسط، (باب الميم: من اسمه أحمد)، رقم(5953)، جـ6، المصدر السابق، ص2275.

يصحبون أطفالهم إلى مجالس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فهذا عمر –رضي الله عنه– يصطحب ابنه إلى مجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقد ورد عن ابن عمر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**اخبروني عن شجرة مَثَلُها مثل المسلم تُؤتي أكلها كل حين، بإذن ربّها، ولا تحتّ ورقها" فوقع في نفسي النخلة، فكرهت أن أتكلم وثمَّ أبو بكر وعمر، فلمّا لم يتكلّما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–:"هي النخلة**"[1]. فلما خرجت مع أبي، قلت: ياأبتاه!وقع في نفسي النخلة قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنتَ قلتها، كان أحبّ إليّ من كذا وكذا، قال: ما منعني إلاّ أني لم أركَ، ولا أبا بكر، تكلمتما، فكرهتُ. وفي رواية: فإذا أنا أصغر القوم، فسكتُّ.

وكان –صلى الله عليه وسلم– يعاشر ويخالط الأطفال: فعن أنس –رضي الله عنه– قال: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يُخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: "**يا أبا عُمير!ما فعل النُّغير؟!**"[2]. طائر كان يلعب به، ونُضِخ بساط لنا: فصلى عليه، وصفنا خلفه.

والسؤال: ما الثّمار التي يمكن أن يجنيها الأطفال من ارتيادهم مجالس الكبار؟

لاشك بأن هناك عدة فوائد نحصلها من هذا الارتياد منها: ظهور نواقص الطفل واحتياجاته التربوية، حيث يستطيع المرّبي عند ذلك توجيهه نحو الكمال، ويشجّعه على الجواب عندما يطرح السؤال فيتكلم بعد استئذان بكلّ أدب ووقار فينمو عقله، وتتهذب نفسه، وينطلق لسانه، ويتعرّف إلى أحاديث الكبار شيئا فشيئا فيتهيّأ لدخول المجتمع رويداً وريدًا[3].

كما روي عن "ابن عباس" –رضي الله عنه– قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال له "عبد الرحمن بن عوف": لماذا تُدْخلِ هذا الفتى معنا، وبنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمته. فدعاهم ذات يوم ودعاني، وما رأيته دعاني إلاّ ليُريهُم منّي، فقال: ما تقولون في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إذا جاء نصرُ الله والفتحُ (١) ورأيت النّاسَ يدخُلُون في دين الله أفْواجًا (٢) فسَبِّح بحمد ربِّك واستغفرهُ إنَّه كان توَّابًا**﴾[4]. فقال بعضهم: أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري. وبعضهم لم يقل شيئا. فقال لي: يا ابن عبّاس أكذلك تقول؟ قلت: لا، لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعلمه

---

[1] سبق تخريج الحديث، ص 124 من الرسالة.

[2] رواه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، (باب مسند أنس بن مالك–رضي الله عنه)، رقم(12199)، جـ19، المصدر السابق، ص233.

[3] محمد نور عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية، المرجع السابق، ص 272–273

[4] سورة النصر

الله إياه. وتلا السورة. وقال: الفتح فتح مكّة، فذلك علامة أجلِك فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّابًا. فقال عمر: ما أعلم منها إلاّ ما تعلم[1].

وفي رواية الحاكم في مستدركه (540/3) قال المهاجرون "لعمر بن الخطاب": "أدعُ أبناءنا، كما تدعو "ابن عباس"، قال: ذاكم فتى الكهول، إنّ له لسانًا سؤولاً، وقلبًا عقولاً"[2].

وعن أبي جُحيفة –رضي الله عنه– وهو من صغار الصحابة – قال: كنت عند النبيّ –صلى الله عليه وسلم– فقال لرجل عنده: " **إني لا آكل متكئًا**".[3].هكذا حضر الطفل الصحابي مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ثم روى الحديث عنه.

ومن صور نصح الكبار للأطفال في مجالس الكبار ما رواه عبد الرزّاق في مصنّفه أن ابن سيرين قال: جلس إلينا رجلٌ ونحن غلمان، فقال: كتب إلينا عمر بن الخطّاب زمن كذا وكذا أن اتّزروا وارتدوا وانتعلوا، وقايلوا النّعال، وعليكم بعيش معد، وذروا التنعّم وزيّ الأعاجم.

هكذا جلس السلف الصالح يعلّمون أطفالهم ويرشدونهم الإرشادات الكريمة كي يصيغوا شخصيّاتهم الصيآغة الصحيحة[4].

الأساس الاجتماعي الثامن: إرسال الأطفال لإنجاز بعض الحاجات يسهم في تطوير شخصياتهم

وهذا عامل هام في نشوء الطفل اجتماعيا، إذ أن قضاء الحاجات للمنزل، أو لأحد الوالدين، ذو أثر فعال، وإيجابي في حياة الطفل، فعال في طفولته، إذ هو يتعرف على مجاهيل الحياة، فيشعر بفرح، وتأخذه نشوة المعرفة، وتنمو في نفسه مشاعر الثقة بنفسه في مواجهة المصاعب وإمكانات التغلّب عليها لأنه اكتسب الخبرة اللازمة لتحدّي الصعوبات في طفولته بقوّة دون تردد واضطراب.

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم واللفظ لأحمد[5] عن ثابت البناني عن أنس –رضي الله عنه– قال: خدمت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوما، حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمتي، قُلت: يُقيل – أي: ينام بعد الظهر– رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فخرجت إلى صبيان يلعبون، قال: جئت أنظر إلى لعبهم، قال: فجاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فسلم على الصبيان يلعبون، قال: فدعاني رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فبعثني إلى حاجة له فذهبت فيها، وجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في فيء، حتى أتيته، واحتسبتُ عن أمي، عن الإيتيان الذي كُنت آتيتها فيه، فلمّا أتيتها قالت: ماحبسك؟ قلت: بعثني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حاجة له، قالت: وماهي؟ قلت: هو سر لرسول الله –

---

[1] أخرجه الطبراي وابن جرير وابن سعد وأبي سعد نقلا عن عبد المجيد طعمة الحلبي، المرجع السابق، ص255

[2] محمد نو سويد، المرجع السابق، ص273

[3] سبق تخريج الحديث، ص 300 من الرسالة.

[4] الحديث أخرجه عبد الرزاق بالمصنّف، نقلا عن عبد المجيد طعمة الحلبي، المرجع السابق، ص 255

[5] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص275

صلى الله عليه وسلم- قالت: فاحفظ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سرّه، قال ثابت: قال لي أنس: لو حدثتُ به أحدًا من النّاس، أو لو كنت محدثًا به، لحدَّثتك به يا ثابت.

ومن الخدمة التي يتدرب الطفل على فعلها وضع مائدة الطعام، وذلك ليشارك الأسرة في العمل، ويساهم في الإعداد، ويتعرف إلى أماكن الأشياء ومسمياتها:

روى النسائي عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: وذلك عند السحور-:"يا أنس! إني أريد الصيام، فأطعمني شيئا" فأتيته بتمر وإناء فيه ماء، وذلك بعدما أذّن بلال، (أي: الآذان الأول للفجر) قال: "يا أنس! انظر رجلا يأكل معي" فدعوت زيد بن ثابت فجاء، فقال: إني أريد شربة سويق، وأنا أريد الصيّام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**وأنا أريد الصيّام**"، **فتسحر معه، ثم قام، فصلى ركعتين، ثم خرج إلى الصلاة**[1].

تلك التربية العملية التي تجعل الطفل لا ينسى، ويُحدّث بها في كِبَره، وتزيد من رصيد تجربته، وتنمي شخصيته في أبعادها الاجتماعية والأخلاقية من خلال تبادل الخبرات والتجارب والتفاعل مع الجماعة البشرية المحيطة به، ولا ينتابه الخجل المقيت، والتوقع على نفسه، بل ترفده وتعينه خبرته مع والديه، مما يجعله واثقا من نفسه، لا تهزه المواقف الاجتماعية مهما اختلفت حدّتها وقسوتها[2].

الأساس التاسع: حضور الأطفال الحفلات المشروعة والأعراس

وهذا مكان تجمع آخر، يذهب إليه الأطفال، فيتعارفون فيه، على هذا الحفل الكريم، الذين سيكونون يوما ما أحد أعضائه الأساسيين، فيشاهدون الكبار الصغار، ويسمعون الأحاديث الوديّة، والأفراح الجميلة، فتبتهج نفوسهم، وتتحرك مشاعرهم، وتصقل اجتماعيتهم.

فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يشاهد الصبيان في حفل الزفاف، فيقرهم على مجيئهم، وإقبالهم على الحضور، ولا ينكر عليهم، ويدعو للحاضرين جميعًا. فتشمل دعوته هؤلاء الأطفال.

وعن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس -رضي الله عنه- أن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- رأى الصبيان والنساء مقبلين، قال عبد العزيز: حسبت أنه قال: من عرس، فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- مُمْتَنًا فقال: "اللهم أنتم أحب النّاس إليّ، اللهم أنتم من أحب الناس إليّن اللهم أنتم أحب الناس إليّ" يعني الأنصار، وبهذا تلاحظ اهتمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تكوين الطفل اجتماعيا، وأخذه إلى المجتمعات الصغيرة والكبيرة، وإلى المجالس العامة والخاصة، وإلى أماكن الأفراح[3].

---

[1] سنن النسائي، كتاب الجنائز، (باب السحور بالسويق والتمر)، رقم(2167)، جـ4، المصدر السابق، ص147.

[2] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 276

[3] صحيح البخاري، كتاب النكاح، (باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس)، رقم(4885)، جـ5، المصدر السابق، ص1985.

الأساس الاجتماعي العاشر: مبيت الطفل عند أقربائه الصالحين

إن خروج الطفل من بيته إلى بيت أحد أقربائه الصاحين، ونومه عندهم، فيه تدريب له، على رؤية أسرة ثانية، فيتدرب على التعامل مع أقربائه، ويستفيد منهم علمًا، وفهمًا، وعبادة، وصلاحًا كما فيه تدريب على صلة الأرحام، وزيادة أواصر المحبة مع أقربائه، بالإضافة إلى ترك أثر طيّب في كبره، عندما يتذكر مبيته، وزيارته الطفولية، فيرويها ويعتز بها، كما فيها تدعيم لحسن العلاقة الاجتماعية، وإذا نبّه الوالدان الطفل إلى الاستفادة من مبيته، عند أقربائه، من علمهم وتقواهم، كان خيرًا على خير[1].

فهذا "ابن عباس" –رضي الله عنه–، يعلم الأطفال جميعًا الحرص على زيارة الأقرباء الصالحين والاستفادة منهم.

أخرج البخاري عن "ابن عباس" –رضي الله عنهما– قال: بتُّ في بيت خالتي "ميمونة" بنت الحارث –رضي الله عنها–، زوج النبيّ –صلى الله عليه وسلم– وفي رواية غير البخاري: لأرقب صلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... الحديث.

وفي رواية ابن خزيمة في صحيحه (89/3):

"أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته، فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأهله في طولها، فنام حتى انتصف الليل أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فجلس يمسح وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شنّ معلقة، فتوضأ منها، فأحسن وضوءه، ثم قام يُصلي، قال ابن عباس: فقمتُ إلى جنبه، فوضع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يده اليُمنى على رأسي، وأخذ بأُذُني اليمنى، ففتلها، وصلى ركعتين، ثم ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصُّبح"[2].

الأساس الحادي عشر: تربية الحرية في نفس الطفل

الحرية ومفهومها:

لقد وضع الإسلام مبادئ للقيم الإنسانية، والعلاقات الاجتماعية، من بينها الحرية التي فطر الإنسان عليها، ولهذا كانت أول ما دعا إليه الإسلام، ومفهومها فيه أن يملك الإنسان نفسه، ويمارس أعماله وأقواله بإرادته، فلا يكون عبدًا لغير الله، ولا يخشى أحدًا إلاّ الله. وبتقرير هذه الحرية للإنسان تحقق له حق الاختيار، وتقرر مبدأ الجزاء. "إن الله خلق الإنسان حرّا، وهذه الحرية تحمله عواقب

---

[1] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 280

[2] صحيح البخاري، أبواب العمل في الصلاة، (باب استعانة اليد في الصلاة إذا كان من أمر الصلاة)، رقم(1140)، جـ1، المصدر السابق، ص401.

الخطيئة، وثواب الخير"[1]. وإذا تمتع الإنسان بحريته فإنها ستخلصه حتما من تحكم أية سلطة بشرية تفرض عليه تصرفات وأفعال تتنافى مع دينه وتغضب ربّه.

وحين أُعلنت هذه الحرية أخفقت كل الاعتبارات التي كان الناس يتفاخر بها وانعدمت قيمتها. فالناس سواء أمام الله وقد أكدّ النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه المساواة بقوله في خطبة الوداع: "**أيها الناس إن ربّكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربيّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلاّ بالتقوى**"[2].

"فالحرية هي القدرة على الاختيار بين الخير والشر إنها ميزة وهبها الله للإنسان، وموهبة فطرية لا تعطي ثمارها إلاّ بإيجاد الجو الصالح والفرص المناسبة لها ليتم الاختيار، في جو التفكير من السليم..."[3]. وفي نطاق هذا المفهوم للحرية انطلق الإنسان يمارس حياته آمنًا على نفسه وأهله، لا يخشى إرهاب حاكم، ولا بطش ظالم، يعمل ما يشاء، ويقول ما يشاء بغير عدوان على حق غيره، أو إساءة إلى مجتمعه، لأنه لو فعل شيئا من هذا يكون قد عرّض نفسه للحرمان من هذه الحرية وعرضها للاعتداء عليها جزاء وفاقًا.

الحرية مضبوطة بقاعدة لا ضرر ولا ضرار:

يرى بعض الناس أن الحرية هي أن يعملون ما يشاؤون وأن يقولون ما يريدون دون رعاية لحقوق غيرهم من الناس، ومشاعرهم، إنّما هي نوع من الفوضى، يفسد الحياة، ويمزق المجتمع، ويقضي على أمنه وسلامته، وقد جاء قول النبي –صلى الله عليه وسلم– في تصوير مثل هذه الحال: فقال: –صلى الله عليه وسلم–: "**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّ خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا**"[4].

فهذا المثل الذي ضربه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ينطبق على جماعة المسلمين تمام الانطباق. السفينة هي وطنهم وما يمتلكونه، لكل سهمه، ولكل نصيبه فيه، والناس في السفينة هم أفراد المجتمع، والذي يخرق السفينة هو العاصي، الواقع في حدود الله.

---

(1) محمد ميشال الغريب، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، لا.ط، لا.ت، ص23

(2) محمد الري شهري، ميزان الحكمة، جـ1، باب التقوى مفتاح الكرامة، المرجع السابق، ص 628

(3) عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المرجع السابق، ص 148

(4) سبق تخريج الحديث، ص 342 من الرسالة.

إذن "الحرية لا يمكن أن تكون مطلقة، في أي دولة من دول الأرض، وفي أي مضمار من المضامير، فإن كانت هكذا، تجاهلت حريات الآخرين، وبطلت أن تكون حريات عامة، لتنقلب إلى امتيازات إفرادية جائرة..."[1].

فالحرية التي أرادها الإسلام مصدر أمن وأمان، ومجال تعاون وسلام، ومناط مسؤولية ونظام. والسؤال المطروح هنا هو، بما أنّ الحرية فطرة الإنسان، ودعوة الإسلام وعدم الإساءة إلى الآخرين فكيف إذن نربي هذه الحرية في نفوس أطفالنا؟

الجواب:هو أنه يجب علينا ألاّ ننسى ونحن نهتم بتربية أولادنا أننا أمام طفل صغير يرى الحق لنفسه أن يفعل ما يشاء. ويقول ما يريد، حيث لا إرادة تنظم أعماله وأقواله. ولكن بتعليمه حدود التعاليم الإسلامية فلا يعتدي بحريته على حقوق الآخرين ولا يتعدى العرف الاجتماعي السائد، ولا يؤذي مجتمعه بأن يقول ما يريد ويعمل ما يشاء بغير رعاية لحقوق غيره من الناس، ولا يتجاوز في التمتع بحريته على غيره، ويلحق الضرر به، متناسيا قول النبي: "لاضرر ولا ضرار"، ولمنع هذا التجاوز وضع الإسلام مبدأ حرمة الدماء والأموال والأعراض قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: "**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**"[2]. فلنفهمه أنه "ليست حرية الإنسان مطلقة، إنه ليس حر التصرف بكل ما يعنيه، بل أن هناك أشياء لا يملكها، وحدودًا لا يستطيع أن يتخطاها"[3]. لأن الحرية لها حدود، "فحرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين، كما أن الحرية هي مجموعة من السلوكيات المتمثلة في قدرة الأفراد على الاختيار الصحيح لعناصر تجربتهم الحياتية من خلال تفاعلهم وسعيهم لتحقيق أهدافهم وأهداف مجتمعهم"[4].

وعلى هذه الأساس من واجبنا كمربّين أن نقوّي عند الطفل الشعور والإيمان برقابة الله في كل خطوة يخطوها وبكل قول يقوله والخوف من الله واليوم الآخر.

وهكذا نجد أن الإسلام منح الإنسان الحريات التي تستمتع بها في حياته، ولكنه أحاطها بما يمنع من المغالاة في استخدامها، والانحراف بها عن الصواب، وبذلك حقق للمجتمع القوة، وحماه من نوازع الشرّ التي تمزّق وحدته، وتلحق به الضعف والانحلال.

---

[1] محمد ميشال الغريب، الحريات العامة في لبنان والعالم، ط2، 1980، ص7

[2] صحيح البخاري، كتاب البر والصلة والآداب، (باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله)، رقم(2564)، جـ4، المصدر السابق، ص 1986.

[3] عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المرجع السابق، ص 150

[4] أحمد أبو هلال وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، المرجع السابق، ص 156-157.

ثامنا: البناء الجنسي:

تمهيد:

الحديث عن التربية الجنسية حديث يشوبه شيء من الحرج، خاصة في مجتمعاتنا العربي، تبعا للعرف والتقاليد السائدة في هذه المجتمعات، ولكن تجنب الحديث عن التربية الجنسية مثله كمثل تجنب الحديث عن التربية القومية أو التربية الاجتماعية أو التربية الخلقية أو التربية الدينية، فما من شك أن تجنب مثل هذا الحديث يؤدينا بنا إلى مخاطر تجنب مشكلة موجودة أمامنا فعلا ونود الهروب منها لسبب أو لآخر[1].

فالسلوك الجنسي مشكلة هامة في الطفولة بصفة هامة والمراهقة بصفة خاصة، حيث يبلغ النشاط الجنسي أعلى قمة ويحس المراهق بالتناقض بين ما يسمع وما يرى بخصوص الجنس ويتساءل هل الجنس خير أم شر؟ مقدس أم مدنس؟ يؤدي إلى السعادة أم الشقاء؟[2]

وتفرض التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الخلقية قيودا على النشاط الجنسي للشباب لما يحقق مصلحة الفرد والجماعة، ورغم ذلك فإنه يبدو أن المجتمع لم ينجح تماما في محاولته بفرض التكتم الشديد والمنع التام للسلوك الجنسي.

ومن المسلم به أنه إذا أحيط السلوك الجنسي بغلاف من التحريم والتكتم والتمويه، وإذا أغمض الوالدان أو المربون أعينهم وصموا آذانهم ولم يقوموا بواجبهم في التربية الجنسية نحو أبنائهم، بحث هؤلاء الأطفال والمراهقون عن مصادر أخرى لإشباع حاجتهم إلى المعرفة في هذا الشأن، وربما اتجهوا إلى أدعياء المعرفة وربما تطوع هؤلاء بهذه المعلومات في غير أوانها، وربما اتجهوا إلى الأفلام الجنسية والصور الجنسية والكتب المثيرة، والنتيجة المؤسفة هي المعلومات الخاطئة والوقوع في التجريب أو الخبرات الحقيقية، والشعور بالإشمئزاز والإثم والخوف والقلق والإستغراق في أحلام اليقظة والانحراف الجنسي"[3].

لذا فإن الحاجة ماسة وضرورية للتربية الجنسية:

فموضوع التربية الجنسية يهم ولاة الأمور من حيث التربية الجنسية السليمة، وتنظيم النسل، وآداب العلاقات الجنسية ومعاييرها وقوانينها، كما أن هذا الموضوع يهم المربيين الذين طالما يسألهم التلاميذ عن موضوع الجنس والموضوع يهم المراهقين الذين تم بلوغهم الجنسي ويميلون للجنس الآخر ولا يعلمون ما يفعلون[4].

---

[1] أحمد زكي صالح، علم النفس التربوي، المرجع السابق، ص279.

[2] حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، المرجع السابق، ص407.

[3] المرجع نفسه، ص 408.

[4] المرجع نفسه، ص 409.

والدين الإسلامي يقوم على إدراك فطرة الإنسان، وفطرته هذه وهي إشباع الدافع الجنسي، اعترف بها الإسلام وأمر بتعريفها وإشباعها بالطرق المشروعة، كما حدد لها القواعد، حتى لا يصطدم إشباعها مع مصالح وقيم بقية أعضاء المجتمع[1]، والطريق الذي رسمه الإسلام لإشباع الرغبة الجنسية هو الزواج، وخاصة الزواج المبكر يقول الله تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[2]

ومن هنا أوجب الإسلام الزواج، وحرم الرهبانية والزهد فيه بدعوى التقرب إلى الله، ودعا كذلك إلى تبسيط إجراءات الزواج من مهر، وشروط في الزوجة أو الزوج[3].

وهذا التشجيع من الإسلام لشبابه في الإقبال على الزواج حفاظا لفروجهم وأخلاقهم وعقيدتهم، لم يجعله أكبر همهم، وشغلهم، بل دعا غلى التوسط في إشباع الرغبات الجنسية، بحيث لا يشغل ذلك عن مصالح الدنيا والجهاد في سبيل الله بكل صوره.

وخير مثال على ذلك قصة الصحابي "حنظلة بن أبي عامر" الذي خرج لداعي الجهاد يوم عرسه وكان جُنُبا، وجاهد مع صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– واستشهد في غزوة أحد، فأطلع الله نبيه على حال "حنظلة" فقال الرسول لأصحابه: "**إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة**"، **ويسرع الصحابة إلى حنظلة ينظرون إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فأرسلوا إلى إمرأته يسألونها فأخبرتهم أنه سمع هيعة الحرب حتى خرج وهو جنب لم يغتسل فغسلته الملائكة**"[4].

هذا بشأن الإسلام وموقفه من حفظ الرغبات الجنسية وإشباعها بالطرق المشروعة، ودعوته الصريحة إلى الزواج، أما فيما يتعلق بشأن التربية الجنسية، فقد شجع الرسول –صلى الله عليه وسلم– نساء المؤمنين وكذلك الشباب المسلم على الاستفسار عن كل ما يعن لهم من أسئلة واستفسارات بشأن المشكلات الجنسية التي تصادفهم.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ومن ذلك:

- عن المقداد "أن عليا –رضي الله عنه–، أمره أن أسأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الرجل إذا دنا من امرأته فخرج منه المني، ماذا عليه، فإن عندي ابنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأنا أستحي أن أسأله قال المقداد فسألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: إذا وجد أحدكم ذلك فلينضح فرجه بالماء، وليتوضأ وضوءه للصلاة"[5].

---

[1] المبروك عثمان أحمد، تربية الأولاد والآباء في الإسلام، المرجع السابق، ص 223.

[2] سورة الروم، الآية21.

[3] المبروك عثمان أحمد، المرجع السابق، ص 30– 33.

[4] الحديث رواه الترميذي والإمام أحمد، أحمد نقلا عن عبد الله علوان، جـ1، المرجع السابق، ص556.

[5] سنن أبي داود، كتاب الطهارة، (باب في المذي)، رقم(207)، جـ1 المصدر السابق، ص53.

وعن عائشة رضي الله عنها "سئل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن احتلام الرجل؟ فقالت أم سليم: وكذا المرأة إذا احتلمت أعليها غسل؟ قال: نعم، النساء شقائق الرجال"[1] (الشقيق: المثل والنظير).

ننتقل بعد ذلك التمهيد لمناقشة أبعاد موضوع التربية الجنسية، ونتناول فيها النقاط التالية:

1. تعريف التربية الجنسية.
2. أهداف التربية الجنسية.

أولا: تعريف التربية الجنسية:sex education:

يعرف "حامد عبد السلام زهران" التربية الجنسية بأنها "ذلك النوع من التربية التي تمد الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصالحة والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية، بقدر ما يسمح به نموه الجسمي والفسيولوجي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وفي إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، مما يؤهله لحسن التوافق في المواقف الجنسية ومواجهة مشكلاته الجنسية في الحاضر والمستقبل مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة النفسية"[2].

ويعرفها أحمد زكي صالح بأنها "هي ذلك النوع من التربية التي تساعد الطفل على مواجهة مشاكله الجنسية مواجهة واقعية، وأن يطلع على تطورات الحياة الجنسية عند الحيوان والإنسان بطريقة علمية عقلية على قدر ما يسمح به نموه العقلي والجنسي"[3].

كما يعرفها "حامد عبد العزيز الفقي" بأنها "تهدف –في البيت والمدرسة– إلى تحقيق فهم أفضل لطبيعة الجنس، وتكوين الإتجاهات الإيجابية لدى كل من الجنسين نحو الآخر تمهيدا لحياة زوجية سعيدة تقوم على الحب، وتحقق الإشباع الجنسي والنفسي للزوجين"[4].

ومن استعراض التعاريف السابقة يتضح أن التعريف الأول هو التعريف الشامل، حيث شمل أبعادا متعددة مثل نوعية المعلومات، ومناسبة المعلومات مع المراحل العمرية المتعددة للفرد بصفة عامة، وليس الطفل فقط، ومراعاة الجانب الديني والاجتماعي، وأيضا الهدف المرجو منها سواء حاليا أو مستقبليا[5].

أهداف التربية الجنسية:

تتمثل أهداف التربية الجنسية فيما يلي:

1. تزويد الفرد بالمعلومات الصحيحة عن ماهية النشاط الجنسي.

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الطهارة، (باب في الرجل يجد البلة في منامه)، رقم(236)، جـ1، المصدر السابق، ص61، وسنن الترمذي، كتاب الطهارة، (باب فيمن استيقظ فيرى بللا ولايذكر احتلاما)، رقم(113)، جـ1، المصدر السابق، ص189

[2] حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص406.

[3] أحمد زكي صالح، المرجع السابق، ص282.

[4] حامد عبد العزيز الفقي، دراسات في سيكولوجية النمو، ط3، عالم الكتب، القاهرة 1974م، ص258.

[5] المبروك عثمان أحمد، المرجع السابق، ص237.

2. تعليمه الألفاظ العلمية المتصلة بأعضاء التناسل والسلوك الجنسي، مسترشدا بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأيضا الأصول العلمية الحديثة.
3. إكسابه التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية الخاصة بالسلوك الجنسي.
4. تشجيعه على تنمية الضوابط الإرادية لدوافعه ورغباته الجنسية، وشعوره بالمسؤولية الفردية والاجتماعية، ومعرفة خطورة الحرية الجنسية على الفرد والمجتمع.
5. ضمان إقامة علاقات سليمة بين الجنسين قائمة على فهم دقيق واتجاهات صحية، ومراعاة للقواعد الدينية والأخلاقية الإسلامية.
6. تصحيح ما قد يكون هناك من معلومات وأفكار واتجاهات خاطئة نحو بعض أنماط السلوك الجنسي الشائع.
7. تزويد الفرد، حسب مراحل العمر المختلفة، بالمعلومات الصحيحة واللازمة، في ضوء الفقه الإسلامي فيما يخص ألوان النشاط الجنسي[1].

هذا ويمكننا أن نتساءل ما هي المرحلة العمرية التي تبدأ عندها التربية الجنسية؟

فبالنسبة للمرحلة العمرية التي تبدأ عندها التربية الجنسية:

فالبعض يرى[2] أن تبدأ عقب الولادة مباشرة، بل إن الميول والاتجاهات الجنسية لدى الطفل قد تتأثر بإتجاهات الوالدين وميولهما نحوه قبل أن يولد، فقد تؤدي رغبة الوالدين في إنجاب أنثى إلى معاملة المولود الذكر على أنه أنثى.

والبعض الآخر[3] يرى أن التربية الجنسية "عملية مستمرة" ولا تقتصر على سن معينة، بل تبدأ من الطفولة ثم تستمر خلالها وفي مرحلة المراهقة حتى الرشد، وقبل الزواج وبعده.

وأما البعض[4] فيرى أن التربية الجنسية يجب أن يركز عليها المربون خلال أربع مراحل متتالية هي: (7–10) سنوات ويلقن فيها الطفل آداب الاستئذان والنظر، (10–14) سنة ويجنب الولد (المراهق) كل الاستشارات الجنسية، (14–16) سنة ويعلم فيها الولد (البالغ) آداب الاتصال الجنسي إذا كان مهيئا للزواج، وفي سن البلوغ (الشباب) يعلم فيها آداب الاستعفاف إذا كان لا يقدر على الزواج.

وتبعا لهذه الآراء نستنتج أن التربية الجنسية عملية مستمرة تبدأ مع الطفولة وتستمر لما بعد الزواج.

---

[1] المبروك عثمان أحمد، المرجع السابق، ص 237.

[2] حامد عبد العزيز الفقي، المرجع السابق، ص 250.

[3] حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص 413.

[4] عبد الله علوان، جـ1، المرجع السابق، ص 503 – 504.

وبالنسبة لنوعية المعلومات الجنسية فيمكن أن تنقسم إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى تتعلق بالجوانب الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية وهذه الموضوعات يمكن أن تبدأ بأبسط المسائل الأولية المتعلقة بالصحة الجنسية وتمتد إلى أعقد المشكلات الجنسية والنفسية التي ترتبط بالسعادة الزوجية وحياة الأسرة، ولمعرفة التفاصيل ودقائق المسائل يمكن الرجوع إلى المراجع المختصة[1].

وأما المجموعة الثانية من المعلومات الجنسية فتتعلق بالمسائل الفقهية الإسلامية ويمكن في هذا العودة إلى كتب الفقه الإسلامي، وكذلك ما كتبه ملخصا الأستاذ "عبد الله علوان" في كتابه "تربية الأولاد في الإسلام، جـ1" حيث وضع برنامجا متكاملا للتربية الجنسية يقوم على الروح الإسلامية والمنهج الإسلامي.

إذن فبعد ما تكلمنا عن معنى التربية الجنسية وعن أهدافها، وعن المرحلة العمرية التي تبدأ فيها التربية الجنسية، وأيضا عن نوعية المعلومات الجنسية التي تقدم إلى الفئات المعنية من الأفراد، تنطلق إلى الحديث عن التهذيب الجنسي للأطفال وهو ما يهمنا في بحثنا هذا.

التهذيب الجنسي للأطفال:

من واجب الوالدين والمربين الاهتمام بتهذيب الدافع الجنسي للأولاد حتى ينشأ الطفل في المستقبل نشأة متوازنة تمكنه عند البلوغ من الحياة الطبيعية دون مثيرات خارجية تدفعه إلى الانحراف والتلوث بالزنا واللواط وغير ذلك من المنكرات.

أسس التهذيب الجنسي للأطفال:

أولا: تعويد الطفل على الإستئذان:

للاستئذان فوائد وآداب كثيرة يجب على المربي تعويد الولد عليها وترسيخها في ذهنه امتثالا لقوله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها**﴾[2]. و قوله: ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم**﴾[3].

فمن هذه الآداب:

1. أن لا يدخل الدار قبل أن يجد قبولا من أهلها ورغبة في دخوله، لقوله تعالى: ﴿**حتى تستأنسوا**﴾[4].

---

(1) **حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص 416 – 419.**

(2) **سورة النور، الآية 27.**

(3) **سورة النور، الآية 59.**

(4) **سورة النور، جزء من الآية 27.**

2. أن يبدأ من يزورهم بالسلام، لقوله تعالى: ﴿**فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيّبة**﴾[1].
3. أن لا يتعود مد البصر إلى داخل البيت عند الاستئذان لقوله –صلى الله عليه وسلم–: "**إنما جعل الإستئذان من أجل البصر**"[2].
4. أن يستأذن ثلاث مرات فقط، وأن يرجع إن لم يؤذن له أو شعر بانشغال أهل الدار أو بأنهم غير راغبين في زيارته لقوله تعالى: ﴿**فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**﴾ [3] وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**الإستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع**"[4].
5. أن يعود الأطفال منذ الصغر ألا يدخلوا غرفة النوم ما دام الرجل مع زوجته حتى يستأذنوا ويدقوا الباب وأن لا يسمح لهم بالدخول في الأوقات المعدة للنوم وهذه الأوقات هي:

أ– عند الصباح قبل الفجر.

ب–بعد الظهر: وقت الراحة ووضع الثياب.

ج–بعد العشاء.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس هليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**﴾[5] .

هذا وقد أثبت العلم الحديث أن للاستئذان فوائد جمة في حياة الطفل النفسية والاجتماعية[6]، وتظهر آثار هذه الفوائد في التوازن النفسي والانفعالي والاجتماعي للطفل ونموه نموا سويا في المجالين النفسي والاجتماعي.

---

[1] سورة النور، الآية 61.

[2] صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، (باب الاستئذان من أجل البصر)، رقم(6241)، جـ8، المصدر السابق،ص54، ورواه الترمذي في سننه، أبواب الاستئذان والآداب، (باب من اطلع في دار قوم بغير إذنهم)، رقم(2709)، جـ5، المصدر السابق، ص64.

[3] سورة النور، الآية 28.

[4] صحيح مسلم، كتاب الآداب، (باب الاستئذان)، رقم(2153)، جـ3، المصدر السابق، ص1694، ورواه الترمذي في سننه، أبواب الاستئذان والآداب، (باب ما جاء في الاستئذان ثلاثة)، رقم(2690)، جـ5، المصدر السابق، ص53.

[5] سورة النور، الآية 58.

[6] أحمد عطا عامر، ومحمود محمد حمودة، المرجع السابق، ص116.

الأساس الثاني: تعويد الطفل على غض البصر وحفظ العورة:

إن الإسلام يحرم الزنا، ولذلك يحرم كل ما يفضي إليه من طرق ووسائل ومقدمات مؤداة لذلك، ومن هذه الوسائل التي حرمها الإسلام النظر إلى الجنس الآخر بشهوة قال تعالى:﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**﴾[1]، وقال تعالى:﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾[2].

وفي الحديث الشريف: "**أعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطرق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**"[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**"[4] والمقصود بالنظر إلى العورات في هذه الآيات النظر المقصود أو لغير ضرورة، وأما النظرة البريئة والخاطفة التي تقع من الإنسان بغير قصد أو تكون من أجل المعالجة والإسعاف فهي غير مقصودة في هذه الاحاديث وليست محرمة لقول "جرير" –رضي الله عنه– سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن نظر الفجأة فقال: "**اصرف بصرك**"[5] ولقوله تعالى:﴿**فمن اظطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**﴾[6] والآية الكريمة أساس لقاعدة عند العلماء هي: أن الضرورات تبيح المحظرات.

فالنظرة المحرمة كثيرا ما تسبب الانحراف والشقاء لذلك يجب تحذير الأولاد والبنات منها وفي الحديث الشريف: "**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**"[7].

فائدة في مواصفات اللباس الشرعي للمرأة:

ينبغي أن تكون ملابس المرأة المسلمة موافقة لآداب الشر ع الإسلامي، واللباس الشرعي هو الذي يجمع الأوصاف التالية:

---

[1] سورة النور، الآية 30.

[2] سورة النور، الآية 31.

[3] صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، (باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات)، رقم(2465)، جـ3، المصدر السابق، ص132، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، (باب النهي عن الجلوس في الطرقات)، رقم(2121)، جـ3، المصدر السابق، ص1675.

[4] صحيح مسلم، كتاب الحيض، (باب تحريم النظر إلى العورات)، رقم(338)، جـ1، المصدر السابق، ص266، وسنن الترمذي، أبواب الأدب، (باب في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة)، رقم(2793)، جـ5، المصدر السابق، ص109.

[5] سنن أبي داود، كتاب النكاح، (باب ما يؤمر من غض البصر)، رقم(2148)، جـ2، المصدر السابق، ص246.

[6] سورة البقر، الآية173.

[7] سنن الترمذي، كتاب النكاح، (باب ماجا في غض البصر)، رقم(2149)، جـ2، المصدر السابق، ص246، ورواه الترمذي في سننه، أبواب الأدب، (باب ما جاء في نظرة الفجأة)، رقم(2777)، جـ5، المصدر السابق، ص101.

1. يغطي جميع البدن، واختلفوا في تغطية الوجه.
2. أن لا يشف ولا يصف.
3. أن لا يحدد معالم الجسم ويبرز مفاتنه كالثياب الضيقة وغيرها.
4. ألا يكون مما اختص بلبسه الرجال.
5. 5أن لا يكون مما اختص بلبسه الكافرات.
6. ألا تتعمد جذب الرجال بما تخفيه من الزينة بالعطور والرنين[1].

الأساس التهذيبي الثالث: التفريق في المضاجع بين الأطفال:

وهو ركن أساسي في تهذيب الطفل جنسيا، وعد إثارة غريزته بشكل سيء، وهذا لا نظير له في العالم كله من تشريعات إنها نظرة النبوة، والدقة النبوية في تهذيب الطفل، والاهتمام به، فروى "أبو داود" بسند حسن عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**".[2]

وفي رواية الحاكم في مستدركه (201/1) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي: "**إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم، وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم على الصلاة**" ورواه الدارقطني (230/1).

إذا فهذا التفريق يبدأ في سن العاشرة، حيث تكون الغريزة في طريقها للنمو، ولكن كيف يتم التفريق في المضجع؟ إنه عدم نوم طفلين تحت لحاف واحد، أو ينامان في سرير واحد، أما على فراش واحد، وبلحافين مختلفين فلا حرج وكلما ابتعدا عن بعضهما فهو أفضل[3].

قال العلامة "شاه ولو الله الدهلوي": "وإنما أمر بتفريق المضاجع، لأن الأيام أيام مراهقة فلا يبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه"[4]

لذلك فإن النوم في فراش تحت لحاف واحد، يؤدي بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة، وأن تتأجج فلا تجد طريقا لإنفاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، والشذوذ الجنسي وكم تحدث شذوذات تحت اللحاف التي لا يشعر بها الأبوان، فتكون سببا في دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آباءهم عن أحوالهم، فوضعوه في مخالفة أوامر النبي –صلى الله عليه وسلم–.

---

[1] أحمد عطا عمر، محمود محمد حمودة، المرجع السابق، ص117.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 204 من الرسالة.

[3] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص401.

[4] شاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، جـ1، ص186، نقلا عن محمد نور سويد، المرجع السابق، ص401.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[1] ، يقدم لنا أمرا صريحا: "وفرقوا" فالمؤمن يمتثل فيفرق، وأين التفريق؟ إنه "بينهم في المضاجع". فأين التربية الغربية والشرقية من هذا التوجيه النبوي الرائع؟[2].

الأساس التهذيبي الرابع: نوم الطفل على شقه الأيمن وابتعاده عن النوم على بطنه:

إن اتباع سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالنوم على الشق الأيمن يُبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف –صلى الله عليه وسلم– النوم على الوجه بنومة الشيطان... فإذا نام الطفل على بطنه، فيؤدي ذلك إلى كثرة حك أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل في هذه الحالة نائما غيرا من حالته، وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن، والابتعاد عن النوم على الصدر... فضلا عن أن النوم على الصدر يورث كثيرا من الأمراض الجسمية... والأطباء جميعا بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن[3].

الأساس التهذيبي الخامس: ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية:

إذا تعرضنا إلى التجربة الأوربية في الاختلاط، وما نتج عنها بين الأطفال ذكورا وإناثا، الأمر الذي تشمئز منه النفوس الطاهرة العفيفة، فقد أورد الشيخ "وهبة سليمان الغاوجي" عن التجربة الغربية، وإننا إذ نقدم هذه التجربة الفاشلة للآباء والمربين، لأن النفوس المسلمة الضعيفة تعودت أن تأخذ التجربة الأوربية محل إعتبار وتقدير، وتتثاقل مسامعها من وعظ الواعظين في المساجد والخطب وهم يحذرونهم من وباء الاختلاط، فإليكم هذه المجموعة من الحوادث، إن في ذلك لذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد، فنقلنا عن الدكتور "محمد نور سويد" الذي قال:"حدثني الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين في رحلة علمه إلى بلجيكا، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك وهي تقوم بجولات في مدارسها، جميع طلابها بنات، فسأل المديرة: لماذا لا تخلطون البنين مع البنات في هذه المرحلة؟ قالت: "قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سن المرحلة الابتدائية"[4].

وحتى تصدقوا فإليكم الأرقام لتتكلم معكم: قال القاضي "لندسي" في كتابه "تمرد النشء الجديد": إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جدا يشتد فيهم الشعور الجنسي"، ويحدث هذا القاضي عن أحوال (312) صبيّة على سبيل النموذج فيقول : إن 255 صبيّة منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشر والثالثة عشر من سني أعمارهن، فيهن من أمارات الشهوة الجنسية، والمطالب الجنسية ما لا يكون عادة إلا في بنات الثامنة عشرة فما فوقهن سنا"[5].

---

[1] سورة النجم، الآية 3 – 4.

[2] محمد نور سويط، المرجع السابق، ص401.

[3] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 402.

[4] المرجع نفسه، ص 402 – 403.

[5] المرجع نفسه، ص 403.

ويقول الدكتور "أديت هوكر" في كتابه "القوانين الجنسية": "إنه ليس من الغريب الشاذ، حتى في الطبقات المثقفة أن بنات سبع، أو ثماني سنين منهن يخادّن لذاتهن مع الصبيّة وربما تلوثن معهم بالفاحشة.

بنت في السابعة من عمرها من بيت عريق في الشرف والمجد ارتكبت الفحشاء مع أخيها، وعدد من أصدقائه. ونفر آخر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاورين، متقاربي البيوت، وجدوا متعلقين ببعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضا، وكان أكبر أولئك سنا ابن عشر سنين، وبنت أخرى في التاسعة كانت في ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة وجدت سعيدة لكونها حبيبة عشاق ذوي عدد[1].

وقد جاء في تقرير طبيب من مدينة "بالتيمور": أنه رفع إلى المحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة في مدة سنة واحدة، كلها من ارتكاب الفاحشة مع الصبايا دون الثانية عشر من العمر[2].

"يخمن القاضي لندسي الأمريكي أن (45%) من فتيات المدارس تدنّس قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيرا في مراحل التعليم العالمية فيكتب: "أن الطالب في المدرسة الثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة وإلتهابا، فالصبية هي التي تتقدم أبدا، وتأمر، وما يفعل الصبي إلا أن يتبع ويأتمر"[3].

ومن المؤسف والمؤلم والمحزن أن كثيرا من البلدان الإسلامية بدأت تسير على هذا المنهج في اختلاط الصبيان مع البنات... وهذا تآمر على إفساد المجتمع، وتوهين بنية الأجيال[4] .

الأساس التهذيبي السادس: تعلم الطفل المميز فروض الغسل وسننه:

حينما يتوقع الأبوان قرب بلوغ الصبي، والبنت على السواء عند ذلك وجب عليهما تعليم الأطفال فرائض إسقاط الحدث الأكبر –الجنابة– وسننه، وكذلك يحدثانهم عن أسبابه وعن طبيعة المادة التي تخرج، ولونها، أي يقدمان لهم درسا في فقه الغسل من كتب الفقه، ولأن يحدثهم الآباء حديثا هادئا عن هذه الأمور، خير من أن تمتد أيدي السوء لتنتشلهم، ويقدمون لهم السّم الزعاف، و"عمر بن الخطاب" – رضي الله عنه– يقول: "ينقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية"[5].

فلا بد من أن يقدم الأب لصبيه والأم لبنتها حديثا وأحاديث عن فقه الإسلام في هذه المادة، التي تخرج من جسم الإنسان، وماذا يفعله الإنسان في مقابل ذلك، وما يعني خروج هذه المادة بالنسبة للشرع؟.

---

(1) محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 403.

(2) المرجع نفسه، ص 403.

(3) المرجع نفسه، ص 403.

(4) المرجع نفسه، ص 404.

(5) المرجع نفسه، ص 404.

إنه يعني دخول سن التكليف في الحياة... إنه بدء الفرائض على الإنسان، والنواهي الربانية له... وبذلك أصبح الإنسان محاسبا على الصغيرة والكبيرة على أعماله، وأقواله وأن الملكيين رقيبا وعتيدا، بدأ كل منهما مهمته في تسجيل الحسنات والسيئات... إلى غير ذلك من مواعظ هادئة، ننبه الطفل حول العمل الصالح، وكراهية العمل الطالح.

الأساس التهذيبي السابع: شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز:

بعد بلوغ الطفل سن العاشرة، يفرّق في مضجعه عن إخوته فهذا يعني أن بعض الدلالات الجنسية بدأت بالظهور رويدا رويدا ففي هذه السن نبدأ بوضع الوقايات النفسية، والمناعات الإيمانية في نفس الطفل، ليقوى بها على التحكم في غريزته وضبط نفسه، والحفاظ عليها من ارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى، فكان السلف –رضوان الله عليهم– يقدمون لأطفالهم سورة النور كوقاية لهم مع الشرح والبيان، ويهمون بتحفيظها في سن المراقبة قبيل البلوغ وخاصة البنات.

روى مجاهد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "**علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نسائكم سورة النور**"[1] وقد أوضح الجاحظ: "بأن المعلمين كانوا يعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور"[2].

وكان أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه– يكتب في الآفاق: "لا تدخلن امرأة مسلمة الحمّام إلا من سقم، وعلموا نساءكم سورة النور"[3].

الأساس التهذيبي الثامن: المصارحة الجنسية، والتحذير من الفاحشة:

قلنا: إن الطفل يُعلّم، ويُحفّظ سورة النور، التي تتضمن البناء الخلقي، والتهذيب الجنسي للطفل، وتحذّره من الوقوع في الفاحشة.

وبعد تعلمه فرائض الغسل، وإسقاط الجنابة، يحذر تحذيرا شديدا من الوقوع في الفاحشة، ويشرح له وذلك حسب البلد الذي يعيش فيه، هل في بلد متحلل مثل الغرب وأمريكا؟ أم في بلد إسلامي محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التي بلغ فيها ذلك الطفل هي إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الإباحية فيجب أن يشرح للطفل المسلم البالغ ما هو الزنى، حتى يجتنبه ويبتعد عنه، وذلك من أجل ألا يقع في الزنى، ثم يقول أنا لا أدري كيف هو؟ وما هو حكمه؟

ويروى له حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– التالي: روى أحمد الطبراني[4] عن أبي أمامة أن فتى من قريش أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنى، فأقبل القوم

---

[1] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص405.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، جـ2، المرجع السابق، ص92.

[3] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص405.

[4] الطبراني، المعجم الكبير، (باب الصاد: حريز بن عثمان،عن سليم بن عامر)، رقم(7679)، جـ8، المصدر السابق، ص 126.

عليه وزجره، فقالوا: **مه..مه..** فقال: "**ادنه**" **فدنا منه قريبا، فقال: "أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله يا رسول الله! اجعلني الله فداك! قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم"، قال: أفتحبه لإبنتك؟ قال: لا والله يارسول الله! اجعلني الله فداك، قال ولا الناس يحبونه لبناتهم" قال: أفتحبه لأختك قال: لا والله يا رسول الله! اجعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم" قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله !اجعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحيبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه**"، قال: فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء ويعرّف كذلك بعقوبة الزنى، وإقامة الحد، وفي الصحيحين عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قال في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: فقال: أحدهما: إن ابني هذا كان عسيفا يعني: –أجيرا– على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت ابني منه بمئة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على بني جلد مئة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب الله تعالى: الوليدة والغنم ردّ عليك، وعلى ابنك مئة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس –لرجل من أسلم– إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها".

الأساس التهذيبي التاسع: الزواج المبكر:

الزواج هو الوضع الطبيعي والشرعي لحل المشكلة الجنسية بين الرجل والمرأة، والعلاج الوحيد لتربية الولد من الصغر على الاتزان وعدم الانحراف، ولذلك جاء في فضله آيات وآحاديث متعددة منها: قوله تعالى:﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**﴾[1]، وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**يا معشر الشباب من إستطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**"[2] .

وسبق وأن ذكرنا فوائد الزواج في الفصل وأشرنا أن من بينها كسر الشهوة والمحافظة على سلامة المجتمع من الانحلال والفساد.

فالزواج ينقذ الأولاد من الكثير من الهواجس النفسية والتأملات الجنسية، ولذلك يجب عدم التهاون فيه لأمور تافهة، وهذه الأمور تختلف باختلاف المجتمعات من حيث درجة التعلم أو العمل أو صغر السن أو درجة الجمال وغيرها، ومن هنا على المجتمع وضع قواعد صحيحة مرنة تساعد الأفراد على حسن الاختيار في ظل عقيدته الإسلامية، إلا أنه نجد بأن أسس اختيار الزوج أو الزوجة واضحة في سنة نبي الله –صلى الله عليه وسلم–.

---

[1] سورة النور، الآية 32.

[2] صحيح مسلم، كتاب الحج، (باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه)، رقم(1400)، جـ2، المصدر السابق، ص1018.

أمثلة على الزواج المبكر:

1. أخرج الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**تزوجني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لست سنين، وبني بي وأنا بنت تسع سنين**"[1].
2. عن عكرمة قال: تزوج "عمر بن الخطاب" "أم كلثوم" بنت "علي بن أبي طالب" وهي جارية تلعب مع الجواري، فجاء إلى أصحابه فدعوا له بالبركة فقال: لم أتزوج من نشاط بي ولكن سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**" فأحببت أن يكون بيني وبين نبي الله –صلى الله عليه وسلم– سبب ونسب[2] .

ويمكننا أن نتساءل: ما هو سن زواج الصغيرة؟

إذن فالجواب الفقهي هو: قال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حدّ ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح وليس في حديث عائشة –رضي الله عنها– تحديد، ولا المنع من ذلك في سن أطاقته قبل تسع، ولا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعا[3].

وهكذا قال جمهور أهل العلم بجواز تزويج الصغيرة قبل سن البلوغ، فإنما قصدوا بذلك إبرام عقد النكاح، وهذا لا يعني أن تزف وتسلم لزوجها مباشرة، بل وضع جمهور الفقهاء ضابطا لذلك فقالوا لا تسلم أو تزف إلى زوجها حتى تطيق الجماع، وهذا يختلف باختلاف النساء ولا ينضبط بسن[4].

وطريق معرفة ذلك راجع إلى نظر القاضي فإن كانت المرأة ممن تخرج ويمكن إحضارها إلى المحكمة نظر إليها فإن رأى أنها تطيق الرجال وتتحمل الجماع أمر بها أو وليها بدفعها للزوج، وإن كان ممن لا تخرج أمر القاضي من يثق فيهن من النساء أن ينظرا إليها فإن قلن إنها تطيق الرجال أمر بدفعها لزوجها وهذا كله مشروط بأن يكون الزوج قد دفع المهر المقدم[5].

وقد ذكر بعض المالكية أن وطء الزوجة الصغيرة التي لا تطيق النكاح يعد من باب الجناية عليها ولا يسمى ذلك استمتاعا[6].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الحج، (باب تزويج الأب البكر الصغيرة)، رقم(1422)، جـ2، المصدر السابق، ص1039.

[2] الحاكم، المستدرك، جـ3، المصدر السابق، ص141.

[3] محمد نور سويد، المرجع السابق، ص 408.

[4] النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، لاط، لات، ص883.

[5] ابن عابدين، تنقيح الفتاوى الحامدية، مسائل منشورة من أبوابه النكاح، جـ1، ص27–28.

[6] القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، المعونة على مذهب عالم المدينة باب في العدة، فصل في أدلة من تعتد بالشهور، تحقيق حميش عبد الحق، جـ2، دار الفكر، بيروت، لا.ت، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص917، نقلا عن باسل محمد الحافي، المرجع السابق، ص653.

هذا ويمكننا أيضا أن نتكلم ونوضح علامات البلوغ:

هناك علاماتان لدخول الطفل سن البلوغ والتكليف، وهما الاحتلام أو ظهور شعر العانة تحت السرة.

1. **الإحتلام:**

فقد نصت الآية:﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم**﴾[1]

وروى أبو داود عن "علي" – كرم الله وجهه– قال: حفظت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل**"[2].

2. **ظهور شعر العانة:**

عن عطية قال: "عُرضنا على النبي –صلى الله عليه وسلم– يوم قُريظة فكان من أنبتت عانته قُتل ومن لم ينبت خُلي سبيله، فكنت ممن لم ينبت فخُلي سبيلي"، رواه الخمسة وصححه الترمذي[3].

وفي لفظ: "فمن كان محتلما أو أنبتت عانته قتل ومن لا ترك" رواه أحمد والنسائي.

وعن سمرة بن جندب أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم**". والشرخ الغلمان الذي لم ينبتوا رواه الترمذي وصححه[4].

وهكذا نستنتج بأن الإسلام غني واهتم اهتماما شديدا بتربية الطفل من الناحية الجنسية باعتبار هذا الجانب جزء لا يتجزأ ولا ينفصل عن بقية جوانب شخصية الطفل التي ينبغي علينا الاهتمام به في رعاية وبناء شخصية الطفل المسلم.

---

[1] سورة النور، الآية 59.

[2] سنن أبي داود، كتاب الوصايا، (باب ما جاء متى ينقطع اليتم)، رقم(2873)، جـ3، المصدر السابق، ص115.

[3] سنن الترمذي، أبواب السير، (باب ما جاء في النزول على الحكم)، رقم(1584)، جـ4، المصدر السابق، ص145

[4] المصدر نفسه، أبواب السير، (باب ما جاء في النزول على الحكم)، رقم(1583)، جـ4، ص145

الفصل الخامس

الفصل الخامس

أساليب تربية الطفل ورعايته في المنهج الإسلامي

أولا: أساليب التربية الإسلامية

ثانيا: الأساليب المتبعة في رعاية الطفل المسلم

المبحث الأول: أساليب التربية الإسلامية:

هناك العديد من الأساليب التي تتم بها التربية الإسلامية، وهي أساليب تربوية أصيلة ومعاصرة، فهي أصلية لأنها تمتد بجذورها إلى أربعة عشر قرنًا من الزمان أو يزيد، وهي معاصرة لأنها تناسب العصر الحالي، وكل عصر.

فما تنادي به التربية المعاصرة، من ضرورة تنويع طرق وأساليب التربية والتعليم والتدريس، وهو ما قالته وعملت به التربية الإسلامية، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم–. تلك الأساليب التي عمل بها ودعا إليها المعلم الأول في التربية الإسلامية، فكانت هناك القدوة، والموعظة الحسنة، والممارسة العملية، وكان هناك الحوار والنقاش، والترغيب والترهيب، وكانت هناك التربية بالقصة، وبضرب الأمثلة، وبالأحداث الجارية، إلى غير ذلك من أساليب تربوية.[1]

ويمكن التطرق إلى تلك الأساليب التي تتم بها التربية الإسلامية، في عشرة أساليب، هي كالتالي:

1. أسلوب العبرة والموعظة.
2. أسلوب القدوة.
3. أسلوب الممارسة العملية.
4. أسلوب الحوار والمناقشة.
5. أسلوب التأمل الفكري.
6. أسلوب الترغيب والترهيب والثواب والعقاب.
7. أسلوب القصص.
8. أسلوب الأمثلة.
9. أسلوب الأحداث الجارية.
10. أسلوب الترويح.

أولاً: أسلوب الموعظة:

وهو من أوسع أساليب التربية انتشارًا، ومن أكثرها تغطية للمواقف التربوية. فلا يكاد يخلو موقف تربوي من المواعظ والنصائح والإرشادات التي توجه للمتربيين، ولا يكاد يستغني عن ذلك الأسلوب مرب من المربين.

وقد أمر الحق تبارك وتعالى رسوله الكريم أن يستخدم هذا الأسلوب في الدعوة إلى الدين الجديد، فيدعو الناس بالموعظة الحسنة، حيث قال سبحانه: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" [2]

والقرآن الكريم ملئ بالمواعظ والنصائح والتوجيهات، التي تهدف إلى تربية الإنسان الصالح، التربية الشاملة– ليكون صالحًا في ذاته ولذاته، وصالحًا لغيره من جميع أفراد الجنس البشري والحياة

[1] سعيد إسماعيل القاضي، أصول التربية الإسلامية،الطبعة الأولى، عالم الكتب، 1422هـ/2002 م، القاهرة، ص130
[2] سورة النحل، الآية 125

بأكملها... والقرآن الكريم: ﴿**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**﴾[1] وهو الموعظة الإلهية: ﴿**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم**﴾[2]، بل هو خير موعظة وفيه توجيهات من قبل العليم الحكيم: "**إن الله نعما يعظكم به**"[3]

والقرآن كله مواعظ وتوجيهات لا يتسع المجال لذكرها، ولكن يمكن الإكتفاء بذكر بعضها في آيات قلائل بسورة واحدة–وهي سورة الإسراء لنرى منها ما هو موجه لتربية الفرد، وما هو موجه لتربية المجتمع والأمة، حين يقول الحق سبحانه:

﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولا (٢٢) وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكِبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب إرحمهما كما ربياني صغيرًا (٢٤) ربكم أعلم بما في نفوسكم أن تكونوا صالحين. فإنه كان للأوابين غفورا (٢٥) وآت ذا القربى حقه والمِسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا (٢٦) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (٢٧) وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورًا (٢٨) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا (٢٩) إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا (٣٠) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئًا كبيرًا (٣١) ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا (٣٢) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يُسرف في القتل إنه كان منصورًا (٣٣) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً (٣٤) وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا (٣٥) ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا (٣٦) ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهًا﴾"[4]

أنظر لتلك الآيات، لتجد فيها ما يوعظ الفرد ويوجهه نحو نموه الاعتقادي، حيث الإيمان بالله وحده، وعدم الإشراك به، وفيها ما يوجهه نحو نموه الاجتماعي ونحو تحقيق التماسك الاجتماعي في المجتمع بأسره، حيث الإحسان إلى الوالدين وبرهما، وعدم نهرهما، وحيث صلة الرحم وإعطائهم حقهم وكذلك حق المساكين وأبناء السبيل، والبعد عن مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والوفاء بالعهد مع الآخرين... وفيها ما ينمي الفرد ويضبطه جنسيًا، بالبعد عن الزنا لأنه من اكبر الفواحش وفيها ما يوجه نحو التربية العلمية بضرورة التأكد والتحقق من المعلومات قبل إصدار الأحكام، وضرورة البحث عن

---

[1] سورة آل عمران، الآية 138

[2] سورة يونس، الآية 57

[3] سورة النساء، جزء من الآية 58

[4] سورة الإسراء، الآية من 22 – 38

المعرفة الصحيحة والإلمام بها.. وفيها ما يوجه نحو التعاملات الاقتصادية السليمة، كالبعد عن التبذير والبعد عن التقتير وإعطاء الكيل حقه، والوزن بالقسطاس المستقيم، إلى غير ذلك مما تضمنته الآيات، – وكل آيات القرآن الكريم– من مواعظ ونصائح تفيد في تربية الفرد والمجتمع.

وكذلك أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها مواعظ وتوجيهات مربية، كما أن في كتابات السلف وآرائهم الكثير من المواعظ والنصائح بل وحاليًا، تقدم المواعظ والتوجيهات من الآباء للأبناء، ومن المعلمين والمربين لطلاب والمتربين ومن العلماء والمشايخ بالمساجد وخارجها، ومن الإعلاميين والفنانين لمختلف الجماهير، ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالطرقات وبالأسواق، ولكل من هو بحاجة إلى موعظة ونصيحة إلى غير هؤلاء ممن يستخدمون هذا الأسلوب التربوي.

ثانيا: أسلوب القدوة:

تعد القدوة من أنجح أساليب التربية، ومن أوقعها تأثيرًا، وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية، مع فطرة الإنسان، مع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة.

ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

وللقدوة تأثيرها الإيجابي، أو السلبي، تبعًا في ذلك لاختلاف نوعية القدوة، حسنة كانت أم سيئة، حيث لا يقتصر التقليد على حسنات السلوك، بل قد يتعداها إلى غيرها، ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك من يمثل القدوة.

وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة، باعتبارها أسلوبًا تربويًا هامًا في تنشئة الأجيال تنشئة سليمة، تحقق الخير لهم ولغيرهم، فدعانا الحق تبارك وتعالى إلى الاقتداء بخير قدوة وخير أسوة، حيث قال: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[1]

فقد كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خير قدوة للبشرية أن يكون بالكلام الذي ينطق به[2]، ولازال صلى الله عليه وسلم بسيرته العطرة خير أسوة لكل الأجيال، فصلى عليه أفضل الصلاة والسلام أمام صحابته وأمرهم بالاقتداء به، قائلاً لهم: "**صلوا كما رأيتموني أصلي**".

وحج معهم وأدرى مناسك الحج وأمرهم بالاقتداء به قائلاً: "**لتاخذوا مناسككم**"[3]

بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة في شؤون الدنيا والدين، حيث كان "رجل سياسة يشيد أمة من الفتات المتناثر، فإذا هي بناء ضخم لا يطاوله بناء في التاريخ، وكان رجل حرب، يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر كقائد ستخصص كل همه القتال: وكان أبا وزوجًا أسرة كبيرة كرجل متخصص للأبوة على أعلى نسق شهدته الأرض، ومتخصص للأسرة، لا يشغله عنها

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 21

(2) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 225

(3) صحيح مسلم، كتاب الحج، (باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا و قوله صلى الله عليه و سلم "لتاخذوا مناسككم ")، رقم (1297)، جـ 2، المصدر سابق، ص 943

شاغل من الحياة فكان الأب الحنون الكريم، المفجوع بأبنائه والولوع ببناته وأحفاده، والأب الروحي لجميع الأطفال، وهو الزوج المثالي حبًا للمرأة وإكرامًا لها وعفوًا عنها وإعانة لها، وكان صديقًا وقريبًا وصاحبًا للناس تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، ويعودهم ويزودهم ويعينهم ويمنحهم من مودته وعطفه ما يشغل رجلاً إنساني القلب يهب حياته كلها لشؤون الناس وكان عابدًا متحنثًا لربه، كرجل منقطع للعبادة، ومع ذلك كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض"[1].

وهذه القدوة باقية ما بقية السماوات و الأرض، فشخصيته صلى الله عليه وسلم ليست آية عصر ولا جيل ولا أمة ولا مذهب ولا بيئية إنها آية كونية للناس كافة وللأجيال كافة.

﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾[2]

﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[3]

فقد أرسله الحق تبارك وتعالى للناس كافة وللعالمين وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير، وقد جعله القدوة الدائمة للبشرية، يقبسون من نوره، ويتربون على هديه، ويرون في شخصه الكريم الترجمة الحية للقرآن الكريم[4].

ويؤكد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على القدوة الصالحة ودورها في التربية، فيقول: "من نصب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبها[5].

وحين يتكون مجتمع إسلامي، فإنه يشرب أطفاله وأبنائه، مبادئ الإسلام عن طريق القدوة القائمة في هذا المجتمع. متمثلة في الأسرة والوالدين، وفي المدرسة والمعلمين، وفي العلماء والإعلاميين، وفي الزعماء والمسؤولين فمتى وجد الطفل من هؤلاء قدوة حسنة، حذى حذوهم وجاء سلوكه حسنًا بينما "الولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق، والوالد الذي يرى أمة تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه لا يمكن أن يتعلم الأمانة. والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون..."

والولد الذي يرى أستاذه يتقاعس في عمله، ولا يخلص فيه، أو يعالمه بقسوة ويفرق بينه وبين زملائه في المعاملة أو يرى من بعض الفنانين والإعلاميين التجاوزات والانحرافات الخلقية مثل هذا الولد سيتأثر حتما بتلك النماذج السيئة.

---

[1] محمد قطب، منهج التربية الاسلامية، المرجع السابق، 224-225، وانظر عابد توفيق الهاشمي، طرق تدريس الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1974م، ص310

[2] سورة سبأ، الآية 28

[3] سورة الأنبياء، الآية 107

[4] محمد قطب، المرجع سابق، ص 226-227

[5] عابد توفيق الهاشمي، المرجع سابق، ص 138

لذلك لا بد للطفل من قدوة حسنة "في أسرته ووالديه" وفي مدرسته ومعلميه، لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع، ولا بد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة، لكي يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال. ولا بد للمجتمع من قدوة في قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم، تتحقق في شخصه المبادئ، وينسج على منواله المحكومين"[1]

فاستقامة الظل من استقامة العود، وصلاح الرعية من صلاح الراعي. والكل راع والكل مسؤول عن رعيته.

ثالثًا: أسلوب الممارسة العملية:

يعد أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية–كإتقان العمل، "وتعود الدقة، وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل، وحب العمل، واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل ..."[2]

ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه. وهو دين يجعل العمل أساسا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة.

فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرا فشر وخسران.

ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا.

فأول ركن من أركان الإسلام هو الشهادة: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله". وإذا كانت هذه الشهادة لفظية، فإن ترجمتها عملية، تتمثل في بقية اركان الإسلام[3].

والصلاة تؤدى عمليًا، بالركوع والسجود، والقيام والجلوس... كما يتطلب أداؤها وضوءًا عمليًا، وطهارة وغسلا عمليًا، والصيام فيه امتناع عملي عن الاكل والشرب والملامسة الجنسية طوال النهار: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**﴾، ﴿**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾[4].

"والزكاة إنما تؤدى عمليًا، إذ العلم بالزكاة لا يمكن أن يكون مفيدًا إلا إذا اقترن بعملها وفعلها" [5]. وليس أبلغ من قول الحق تبارك وتعالى في التأكيد على ذاك، حيث يقول: ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ [6]

---

[1] محمد قطب، المرجع سابق، ص 228– 229

[2] عبد الرحمن النحلاوي، المرجع سابق، ص 296 – 270

[3] علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980، ص 219

[4] سورة القبرة: الآية 187

[5] علي خليل أبو العينين، المرجع سابق، ص 220

[6] سورة المؤمنون، الآية 4

وللحج شعائره ومناسكه، التي تتطلب الآداء العملي: من نية بالحج تترجم بأعمال الحج ذاته من تجرد من الثياب المخيطة، وطواف، وسعي، ووقوف، ومبيت، وحلق أو تقصير، ثم الطواف ببيت الله الحرام، كلها أعمال ومناسك إنما تؤدى عمليًا.

بل وكل تعاليم الإسلام، إنما جاءت لكي تنفذ وتطبق على الواقع، ولا يكون المسلم مسلمًا إسلامًا حقيقيًا إلا إذا مارسها وأداها عمليًا، إذ إن "تكوين أخلاق الإنسان وروحانيته، وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده، ولا بالحفظ وحده، بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان، لتتكون أخلاقه عمليًا، ليبني علاقات مع بني الإنسان بالواقع... فتعود المرء على النظام في الحياة، وعلى ضبط النفس، وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية، وعلى التضحية في سبيل المجموع، كلها تتطلب تمرًنا وممارسة يومية تلازم حياة الإنسان ليل نهار"[1]

والقرآن يدعو إلى اتخاذ التجارب العملية طريقًا لإثبات الحقيقة تأكيدًا لما يعتقده الفرد، وتثبيتًا لما يؤمن به، وطمأنينة لقلبه، وهذا ما نجده في سؤال إبراهيم –عليه السلام– لربه:

﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن لتطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على جبل منهن جزءًا ثم ادعوهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾[2].

إنها رغبة إبراهيم –عليه السلام– التي لا تتعلق بوجود الإيمان، إنما هو شوق منه إلى ملابسة السر الإلهي، في أثناء وقوعه العملي، إنه أراد ان يرى القدرة وهي القدرة وهي تعمل، ليحصل على مذاق هذه الملابسة ومتعتها. ومن ثم أمره ربه بالقيام بالتجربة، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير ويتعرف عليها جيدًا، ثم يذبحها، ويمزق أجسادها، ويفرق أجزاء هذه الطيور على الجبال، ثم يدعوها، فتتجمع الأجزاء مرة أخرى وترتد إليها الحياة، وتعود الطيور إليه ساعيات[3].

إنها دعوة إلى التثبت من الحقيقة بالتجربة العملية.

كما يدعونا الحق تبارك وتعالى إلى عدم الوقوف عند القول، إلى حيث الممارسة والعمل، بل ويتوعد بكبر مقته، وعظم كرهه لمن يخالف قوله فعله. فيقول سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ملا تفعلون (٢) كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾**[4]

---

[1] علي خليل أبو العينين، المرجع السابق، ص 219، نقلا عن محمد فاضل الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1972، ص 104 – 105.

[2] سورة البقرة، الآية 260

[3] علي خليل أبو العينين، المرجع سابق، ص 228

[4] سورة الصف، الآية 2 – 3.

وذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي اهتم باستخدام أسلوب الممارسة العملية والتطبيق العملي لكل تعاليم الإسلام، على شخصه أولا، وفي تربيته لصحابته ثانيًا. "فصلى (عمليًا) وقال لصاحبته: صلوا كما رأيتموني أصلي.

واقتدوا به وأدوها (عمليًا) بكيفيتها الصحيحة. وكان يصحح (عمليًا) لكل من يخطئ في صلاته أو في غير صلاته كما جاء في حديث المسيء صلاته، عندما أخطأ الرجل في صلاته وصححها له الرسول الكريم وأدى صلى الله عليه وسلم مناسك الحج (عمليًا)، وقال لصاحبته: خذوا عني منساككم. فاقتدوا به وطبقوها عمليًا... بل وفي كل معاملاته، كان ترجمة عملية للقرآن الكريم... وكانت تصرفات الصحابة ومعاملاتهم تطبيقا (عمليًا) مثاليًا لتصرفاته ومعاملاته"[1].

وهكذا يعلمنا رائد التربية الإسلامية ومعلم البشرية –صلى الله عليه و سلم– أن نتعلم ونمارس ما نتعلم، وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي. "فكل معلم يمارس العمل"–المراد تعليمه– "ثم يتابعه المتعلم، أو يمارس كل متعلم العمل أمام معلمه، ثم يناظره المعلم ويصحح له أخطائه" متى وجدت "كما صحح رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لفظ دعاء النوم للبراء بن عازب، وكما صحح صلاة المسيء صلاته"[2].

وينبغي على المربي المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة، كما يجب أن يهتم المعلم بإظهار الجوانب الوظيفية والتطبيقية لما يتعلمه التلميذ في واقع الحياة"[3]. بل وأن يراعي واضعو المناهج أن تكون هذه المناهج وظيفية ويمكن تطبيقها والإستفادة منها في واقع الحياة.

رابعًا: أسلوب الحوار والمناقشة:

استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة، والذي له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع والإقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف[4].

والقرآن الكريم ملئ بأيات قامت على المحاورة والمناقشة، كقوله تعالى: ﴿**أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**﴾[5].

---

[1] سعيد إسماعيل القاضي، المبادئ التربوية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة"، مجلة كلية التربية بينها، جـ1، كلية التربية بينها، جامعة الزقازيق، يناير 1995، ص ص 26، 27.

[2] عبد الرحمن النحلاوي، المرجع السابق، ص 242.

[3] محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، 1977، ص 60.

[4] سعيد إسماعيل القاضي، أصول التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 180.

[5] سورة القيامة، الآية 40.

- ﴿ **ألم يجدك يتيمًا فآوى (٦) ووجدك ضالا فهدى (٧) ووجدك عائلا فأغنى**﴾[1]
- ﴿ **فبأي آلاء ربكما تُكذبان**﴾[2]
- ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[3]
- ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[4]

إلى غير ذلك من الآيات التي تقوم على الحوار والمناقشة وعلى الأسئلة والاستفسارات، أو توجه إليها.

وفي قصة الخضر وموسى–عليهما السلام–كما جاءت بسورة الكهف– عرض لحوار مطول تم بينهما خلال رحلتهما معًا. فكان موسى عليه السلام حريصًا على فهم كل ما يحدث بمختلف المواقف، حين قام الخضر السفينة، وبقتل الغلام وبناء الجدار.

﴿**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءها ملك يأخذ كل سفينة غصبًا (٧٩) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا (٨٠) فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحما (٨١) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا**﴾[5]

والسنة النبوية مليئة بالمواقف التي قامت على المحاورة وطرح الأسئلة والاستفسارات. فذلك حديث المصطفى مع معاذ بن جبل–على سبيل المثال– عندما كان يتحدث عن اللسان وزلاته. فسأله معاذ: "أمؤاخذون بما نتكلم به؟" فرد عليه الرسول المعلم: " **ثكلتك أمك يا معاذ. وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟**"[6]

وقوله: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قالوا: وإن كان فيه يا رسول الله؟ قال: إن كان فيه فقد اغتبته..." وقوله: "أتدرون ما المفلس؟ ..." "وقوله: أتدرون ما الكوثر؟..." [7]

وذلك حواره المقنع المربي –صلى الله عليه وسلم– مع الرجل الذي استأذنه في أن يبيح له الزنا. فصاح الحاضرون به. فقال النبي –صلى الله عيه وسلم–: "**قربوه. فلماذا دنا فيه؟ قال له –عليه**

---

(1) سورة الضحى، الآية 6 – 8

(2) سورة الرحمن، الآية 31 مرة

(3) سورة محمد، الآية 24

(4) سورة النحل، الآية 43

(5) سورة الكهف، الآية 79– 82

(6) سنن ابن ماجة، رقم(2973)، جـ2، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، 1403هـ/1983م، ص 379

(7) صحيح مسلم، كتاب البر و الصلة و الآداب، (باب تحريم الغيبة)، رقم (2589)، جـ4، المصدر السابق، ص2001

السلام-: ألك أم؟ قال: نعم، فرد عليه الرسول: أتحبه لأمك؟ قال: لا قال عليه السلام: أتحبه لأختك؟ أتحبه لبنتك؟ ... والرجل يقول: لا ... لا وكان الرسول يقول له: فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، ولا لأخواتهم، ولا لبناتهم، ثم وضع النبي يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه"[1].

وذلك الفاروق عمر -رضي الله عنه-، يعتلي المنبر يومًا ويقول: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا. فيصيح أعرابي: لا نسمع لك يا عمر ولا نطيع.

فيقول عمر: ولماذا؟ ويجيبه الأعرابي: توزع على كل منا ثوبًا واحدًا، وتستأثر أنت بثوبين-إذ كان عمر طويلاً لا يسعه ثوب واحد. فينادي عمر ابنه عبد الله قائلاً: قم يا عبد الله فأحبه. فيجيب عبد الله: والله لقد أخذ من ثوبي نصفه، وضمه إلى ثوبه حتى وسعه، وبقيت بنصف ثوب. فيرد الأعرابي-بعد اطلاعه على الحقيقة- الآن نسمع لك يا عمر، فتكلم... فلم يؤذه عمر، لأن كان يطالب بالعدل[2]، ولأن عمر كان مؤمنًا بأحقية رعيته في مناقشته ومساءلته طلبًا للعدل وإحقاقًا للحق، وتوثيقًا لرأيه في الوقت نفسه.

فكان علماء المسلمين يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة، ويوجبون عليهم التمرن عليها. فقد نقد ابن خلدون الركود الذهني في بلاد المغرب العربي في القرن الرابع عشر الميلادي، وغزاه لرداءة طرق التدريس، لأنها أهملت المناقشة والمناظرة في التعليم، وهو يرى أن المناظرة في المسائل العلمية تساعد على فهمها وعلى التعبير عنها، وينتقد سكوت الطلبة وعدم تكلمهم فيما عرفوا من العلوم. كما يأخذ عليهم العناية بالحفظ أكثر مما تقتضيه الحاجة... ويرى الزرنوجي أن قضاء ساعة واحدة ي المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من مكث سهر كامل في الحفظ والتكرار[3].

وعلى المعلم المسلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة، ليشحذ أذهانهم، ويقوي الحجة لديهم، ويعودهم الإرتجال والمواجهة والثقة بالنفس. كما أن عليه أن يكون واسه الصدر، فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة و مناسبة لمستويات نموهم، حتى يكون على وعي و اقتناع بما يلقيه عليهم، وحتى يفيدهم بذلك[4].

---

[1] سبق تخريج الحديث، ص 366 من الرسالة

[2] عابد توفيق الهاشمي، المرجع سابق، ص 149

[3] محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976، ص 204.

[4] سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 183

خامسًا: أسلوب التأمل الفكري:

يعد التأمل الفكري أحد أساليب التربية، إذ من المعارف ما يكتسب عن طريق العقل والتأمل الفكري واستنتاج حقائق غير مدركة بالحواس. فالاستلال العقلي مسلك من مسالك إكتساب المعارف والعلوم، وما يرتبط بذلك الاستلال من تحليل وتركيب وقياس واستنتاج وربط[1].

ذلك الأسلوب الذي يقوم على التأمل وعلى التفكير المنطقي السليم، حيث يتأمل الإنسان ما يقابله من مواقف وأحداث، وما يواجهه من قضايا ومشكلات، محاولاً تبين الأسباب والعلل التي تكمن وراء الأشياء... ومحاولاً معرفة نتائج ما نقوم به من أعمال. بل هو –أي التفكير المنطقي– أكثر من مجرد تحديد الأسباب أو النتائج، إنه يعني الحصول على أدلة تؤيد أو تثبت صحة وجهة نظرنا أو تنفيذها.

إنه يقوم على الأدلة" مما "يساعدنا على الوصول إلى أفضل إجابة للأسئلة التي نسألها، وإلى أفضل الحلول للمشكلات التي نحاول أن نجدها لها حلاً"[2].

وللتأمل في الطبيعة، والتفكر في مخلوقات الله، الكثير من الفوائد والآثار التربوية، فالطبيعة" تلهمنا بمعان كثيرة، وهي معلمة الشعراء والفانين والأدباء والعلماء"[3]. وبالتأمل والتفكر فيها يزداد الإيمان بخالق هذه الطبيعة، لدى هؤلاء المتفكرين والمتدبرين، كما تزداد فرص الابتكار والاكتشاف بكل مجالات الحياة. ويحث الدين الإسلامي على استخدام ذلك الأسلوب التربوي.

حيث التأمل والتفكر والتدبر في كل مخلوقات الله.

فيحفل القرآن الكريم "بالأمثلة التي تحث المسلمين على استخدام عقولهم وتفكيرهم في الاختيار والتمييز والمفاضلة بل وتحث المسلمين أيضًا على تحكيم العقل في الأمور التي لم يرد فيها نص ديني صريح"[4]، فقال سبحانه حاثًا على تدبر معاني القرآن الكريم: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[5]

وقال حاثًا على التفكر والتدبر فب عظيم صنعه: ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت (١٧) وإلى السماء كيف رُفعت (١٨) وإلى الجبال كيف نُصبت (١٩) وإلى الأرض كيف سُطحت**﴾[6]

---

[1] محمد منير موسى، أصول التربية الثقافية والفلسفية، عالم الكتب، القاهرة، 1977م، ص 190.

[2] وليم شائر، الطريق إلى التفكير المنطقي، ترجمة، عطية محمود هنا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص16– 17.

[3] محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، ط3، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، 1977، ص 93.

[4] محمد منير موسى، أصول التربية الثقافية والفلسفية، المرجع السابق، ص 190.

[5] سورة محمد، الآية 24

[6] سورة الغاشية، الآية 17– 20

﴿أو لم يتفكروا في أنسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾[1]
﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[2]
﴿وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تُبصرون﴾[3]

والإسلام حيثما يأمر بالتأمل والتفكر إنما يأمر بأن يكون ذلك بالأسلوب الصحيح، وبعيدًا عن الخرافات وعن المشاعر المتطرفة، يأمر بالتفكر في جو من التؤدة وعدم التحيز أو التسرع في إصدار الأحكام.

فيحارب الإسلام الخرافات، تلك "الأفكار المختلطة، التي تتعلق بأسباب الأشياء وعللها، في الوقت الذي لا توجد فيه أية صلة بين هذه الأشياء والنتائج التي تفترض أنها تنشأ عنها[4]. ويحارب –تبعًا لذلك– السحر والشعوذة وقراءة الكف والطالع، وكل ما من شأنه تعطيل العقل وعدم استخدامه في التفكير المنطقي السليم"[5].

ويحذر الإسلام من التعجل في إصدار الأحكام، دون تفكير ورية ودون تدبر للأمر، فذلك قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز، ويتردد دومًا على الأسماع: **﴿يا أيها الذين امنوا اءن جائكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**[6]

لذلك، فعلى المربي والمعلم المسلم، أن يعود طلابه التفكير المنطقي السليم، وأن يوجههم إلى التفكر والتأمل في عظيم صنع الله. وأن يبعدهم عن كل ما يشوش العقل أو يعطله، أو يجعله ينحرف عن جادة الصواب.

سادسًا: أسلوب الترغيب والترهيب والثواب والعقاب:

ذلك الأسلوب الذي يتماشى مع الطبيعة البشرية. والذي "لا يستغني عنه المربي في كل زمان ومكان". إذ "لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة"[7].

---

(1) سورة الروم، الآية 8
(2) سورة آل عمران، الآية 190– 191
(3) سورة الذاريات، الآية 20 – 21
(4) وليم شانر، المرجع سابق، ص 102
(5) سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 185
(6) سورة الحجرات، الآية 6
(7) علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980، ص 240

مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر.

والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي والأمثلة على ذلك يصعب حصرها، في الكتاب أو السنة.

فمنها–على سبيل المثال–قول الحق تبارك وتعالى:

﴿**من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**﴾[1]

وقوله سبحانه: ﴿**فمن يعمل ذرة خيرًا يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره (٨)**﴾[2]

وعندما تستخدم التربية الإسلامية هذا الأسلوب، فإنها تقدم الترغيب على الترهيب. فنرجع لقول الحق تبارك و تعالى بالآيتين السابقتين في سورة الزلزلة، لنجد أن الإثابة على الخير والترغيب فيه، جاءت قبل الترهيب من الشر والعقاب عليه، وكذلك قوله عز وجل بسورة البقرة: ﴿**فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير**﴾[3].

وكذلك قوله سبحانه الذي يرغب فيه لعمل الخير بمضاعفته لحسناته كل من يعمل الخير: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها وهم لا يُظلمون**﴾[4].

بل ويمتدح الحق تبارك وتعالى رسوله الكريم في استخدامه لأسلوب اللين والترغيب في الدعوة، ويدعوه إلى المزيد منه، قائلاً: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**﴾[5].

﴿**لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾[6].

﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾[7].

بل ولا تستخدم التربية الإسلامية الترهيب والعقوبة إلا إذا لم يفلح الترغيب والثواب. "وحين لا تفلح القدوة الموعظة" ولا غير ذلك من الأساليب التربوية... ساعتها" لا بد إذا من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح... والعلاج الحاسم هو العقوبة.

حين استخدام الترهيب والعقوبة، فإنما يستخدمان بدرجات متفاوتة، لدرجات من الناس، فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف ومنهم من

---

[1] **سورة فصلت، الآية 46**

[2] **سورة الزلزلة، الآية 7 – 8**

[3] **سورة البقرة، الآية 284**

[4] **سورة الانعام، الآية 16**

[5] **سورة آل عمران، الآية 159**

[6] **سورة فصلت، الآية 33 – 34**

[7] **سورة النحل، الآية 125**

لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ومنهم بعد ذلك فريق لا بد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم"[1].

فالإسلام يتبع جميع وسائل التربية، وأساليبها. ولا يترك منفذًا في النفس لا يصل إليه. إنه يستخدم القدوة، والموعظة، والترغيب والثواب، لكنه يستخدم التخويف والترهيب، بجميع درجاته، من أول التهديد إلى التنفيذ.

فهو مرة يهدد بعدم رضا الله، وذلك أيسر التهديد، وإن كان له فعله الشديد في نفوس المؤمنين: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ففست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**﴾[2].

ومرة يهدر يغضب الله صراحة كما جاء في حديث الإفك وتلك درجة أشد: ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم**﴾[3]

ومرة يهدد بعقاب الآخرة: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل يلق أثامًا (٦٨) يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهانا**﴾[4]

ومرة يهدد بالعقاب في الدنيا: ﴿**إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قومًا غيركم**﴾[5]

ثم يأمر بتوقيع العقاب[6] :

﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد كل واحد منهما مائة جلدة**﴾[7]

﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا**﴾[8]

﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين، والأنف والأذن بالأذن والسن، والجروح قصاص ...**﴾[9]

فيطلب المولى العقوبة على الجاني يمثل ما فعل بالمجني عليه.

---

[1] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 236

[2] سورة الحديد، الآية 16

[3] سورة النور، الآية 14

[4] سورة الفرقان، الآية 68 – 69

[5] سورة التوبة، الآية 39

[6] محمد قطب، المرجع السابق، ص 235 – 236

[7] سورة النور، الآية 2

[8] سورة المائدة، الآية 38

[9] سورة المائدة، الآية 45

وقد أكد علماء المسلمين على تشجيع المتربين على السلوك الحسن وإثباتهم عليه، كما أكدوا على عدم التعجل في إيقاع العقوبة على الخطأ، واستخدامها بقدر ما يعالج هذا الخطأ، وبعد عدم جدوى طرق الإصلاح والعلاج باللين والامتناع.

وفي هذا الشأن نجد الإمام "الغزالي"، يؤكد على إثابة الطفل على السلوك الحسن وعدم التسرع في معاقبته إذا أخطأ، بل تعطى له الفرصة ليرجع عن خطئه ويصححه أو يشارك في تصحيحه.

وفي ذلك يقول: "ومهما ظهر من الصبي خلق جميل، وفعل محمود، فينغي أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرّة واحدة، فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره ولا يكاشفه، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه. فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة. فعند ذلك إن عاد ثانيًا، فينبغي ذلك إن عاد ثانيًا، فيبغي أن يعاتب سرًا، ويعظم الأمر فيه، ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفضح بين الناس..."[1].

ويرى أيضًا "العبدري" أن من الواجب التفكير في طبيعة الطفل المخطئ" قبل تقدير العقوبة وإيقاعها عليه. "فإن نظرة عابسة إليه قد تكون كافية لزجره وإصلاحه. وقد يحتاج طفل آخر إلى استعمال التوبيخ والتأنيب في عقوبته. وقد يستدعي الأمر مع نوع آخر من الأطفال ضربهم وتحقيرهم. ويجب ألا يلجأ المربي إلى استعمال العصا إلا في حالة اليأس من نجاح طريقة الإصلاح واللين والشفقة"[2]

كما يرى "ابن سينا" بأن "لا يعامل الطفل المخطئ بالشدة والعنف في البدء، بل باللين واللطف ويُستعمل معه الترغيب تارة، والتخويف تارة أخرى، ويستخدم العبوس والتوبيخ والتأنيب إذا اقتضى الأمر. وأحيانًا يكون النصح والتشجيع أو المدح أجدى أثرًا في الإصلاح من التوبيخ والتأنيب"[3].

وهكذا نستنتج بان العقوبة قد تكون الحل، بعدما تستنفذ كل الأساليب الأخرى من وعظ ونصح، أو توبيخ وتأنيب. لكنها العقوبة المناسبة للموقف وملابساته، وللخطأ وحجمه، كما يجب أن يكون الهدف من إيقاع العقاب هو التأديب والإصلاح لا أكثر.

سابعًا: أسلوب القصص:

إن الإسلام يدرك ما للقصة من تأثير ساحر على النفوس، فيستخدمها كأسلوب تربوي ناجح، فيقدم القرآن الكريم العديد من القصص. قال سبحانه: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾[4].

ولم تقدم القصة لمجرد السرد أو العرض، وإنما للتذكرة وللاعتبار والاتعاظ.

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، المرجع السابق، ص 1469

[2] سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 190

[3] محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، المرجع السابق، ص 204

[4] سورة يوسف، الآية 3

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثًا يفترى﴾[1].

﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما تثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[2].

ويربي القرآن الكريم بالقصة جميع جوانب الشخصية فيربي تربية اعتقادية إيمانية ببيان قدرة الله عز وجل والتنبيه إلى حظر غواية الشيطان، كما في قصة أبينا آدم –عليه السلام–، وقصص أخرى غيرها... ويربي تربية أسرية واجتماعية كما في يوسف –عليه السلام– ... ويربي تربية جنسية كما في قصتي يوسف ولوطًا –عليهما السلام– ... إلى غير ذلك من جوانب تربوية: عقلية ونفسية وأخلاقية وإرادية وجسمية وجمالية... ينميها القصص القرآني.

ويمكن للمعلمين وللمربين المسلمين، في المدرسة وفي المنزل وفي المسرح وفي السينما، وفي وسائل الإعلام المختلفة... يمكن لهؤلاء جميعًا أن يستخدموا أسلوب القصص في التربية من أجل تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

ثامنًا: أسلوب الأمثلة:

تستخدم الأمثلة لتقريب غير المحسوس بالمحسوس، أو لتقريب محسوس غامض وبعيد إلى محسوس آخر أكثر منه وضوحًا وقربًا، وذلك حتى يدركه الإنسان ويتفهمه[3].

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب التربوي.. فضرب العديد من الأمثال:

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾[4]

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾[5]

وذلك "للتذكر والوعظ والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل في تصويره المحسوس، لأن ذلك أثبت في الأذهان وأسرع إلى الإقناع"[6].

وقد استخدم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذا الأسلوب التربوي، لتقريب غير المحسوس بالمحسوس، وفي مواقف كثيرة.. فيضرب –عليه السلام– –على سبيل المثال–مثل الجليس الصالح والجليس السوء، مشبهًا لهما ببائع المسك ونافخ الكير. فيقول –عليه السلام–:

---

[1] **سورة يوسف، الآية 111**

[2] **سورة هود، الآية 120**

[3] **سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 193**

[4] **سورة الزمر، الآية 27**

[5] **سورة الحشر، الآية 21**

[6] **عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ط 17، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص 39**

"**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يجذبك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**"[1]

موجهًا بذلك نحو التخير الواعي للصديق: فنتخير لأنفسنا ولأبنائنا أو نطمئن لاختيارهم القرين الصالح والقدوة الحسنة، للانتفاع بهم والإستفادة منهم. ولنتبعد عن مخالطة قرناء السوء، تجنبًا لشرورهم ودفعًا لضررهم وإيذائهم. كما يشبه –صلى الله عليه وسلم– بالنخلة. فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سأل صحابته فقال:

"**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر لبوادي، فقال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال عليه السلام: هي النخلة**"[2].

وهو يريد بذلك أن يوصل إلى أذهان صحابته–وكل من يقرأ أو يسمع هذا الحديث–حقيقة المسلم ومدى نفعه، وأنه كله خير–كما النخلة كلها خير: في جذعها وفروعها وأوراقها وعسيرها وليفها وتمرها ورطبها وظلها. حتى إذا رُميت بالحجارة ردت على راميها بأطايب ثمرها[3].

كما ضرب –صلى الله عليه وسلم– بعضًا من الأمثلة العملية، مستخدمها في ذلك الإشارات والحركات والرسومات، هادفًا بتلك الأمثلة تقريب غير المحسوس بالمحسوس لدى السامعين. فانظر إلى حديثه –صلى الله عليه و سلم– عن كافل اليتيم مقرونًا بتمثيله بإصبعيه، حيث يقول: "**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة. وأشار بالسبابة والوسطى**"[4].

وذلك ليوضح وفي إيجاز وتمثيل بليغين مكانة كافل اليتيم وقرب منزلته من منزلة المصطفى في الجنة.

كما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: "**خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، ثم قال: هذه سبيل الله. ثم خط خطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سُبل متفرقة، على كل سبيل شيطان يدعو إليه**"[5].

---

[1] سبق تخريج الحديث، ص 127 من الرسالة.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 124 من الرسالة.

[3] سعيد إسماعيل القاضي، مرجع سابق، ص 22.

[4] سبق تخريج الحديث، ص 133 من الرسالة.

[5] رواه أحمد في مسنده، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، (باب مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)، جـ7، المصدر السابق، ص 208.

ثم قرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾[1].

كما سلك علماء المسلمين بذلك الأسلوب التربوي، واهتموا بالتعليم عن طريق المحسوسات. فذلك الإمام الغزالي الذي "اتصفت طريقته في التدريس بالاستقرارية في معظمها، حيث الانتقال من المحسوس- لأنه أسهل-إلى المجرد"[2].

فكثيرًا ما يسوق الأمثلة، لقرب لها المعنى المقصود، فيوصي المتعلم مثلا"ان لا يتكبر على العلم، ولا يتامرعلى المعلم. بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق"[3].

مشبهًا للمتعلم وحاجته للنصح والتربية بالمريض وحاجته للمداواة، مع تشبيهه للمعلم المربي بالطبيب الماهر ذي القلب الرحيم والمشفق على مرضاه والحريص على علاجهم.

وذلك ابن خلدون يحث على الاعتماد على الأمثلة الحسية في تفهيم المتعلمين، ولا سيما في البداية، لأنهم في البداية ضعيفي الفهم قليلي الإدراك[4]... هؤلاء وغيرهم من علماء التربية المسلمين، كثيرًا ما كانوا يسوقون الأمثلة لتوضيح المعنى المقصود من توضيحاتهم ونصائحهم المربية.

تاسعًا: أسلوب الأحداث الجارية:

يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه. وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها.

ومزية الأحداث -كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال. فيكون من الحكمة-هنا-استخدام الدواء عند حدوث الداء.

وقد قام القرآن الكريم-وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها-باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالا عجيبًا عميق الأثر... وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطرق والحديد ساخن.. حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى[5].

والأمثلة على استغلال القرآن الكريم للأحداث الجارية في التربية كثيرة. منها حادثة التيمم. حيث كان -صلى الله عليه وسلم- في أحد أسفاره، وأقام والناس معه بالصحراء، وليسوا على ماء، وناموا حتى

---

[1] سورة الأنعام، الآية 153

[2] محمد زياد حمدان، التدريس المعاصر تطوراته وأصوله وعناصره وطرقه، دار التربية الحديثة، عمان، 1408هـ/1988 م، ص 33.

[3] الغزالي، إحياء علوم الدين، المرجع السابق، ص 84

[4] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المرجع السابق ، ص 1031

[5] محمد قطب، المرجع سابق، ص 255، 256، 264

أصبحوا وليس معهم ماء، فأنزل الله تعالى آية التيمم: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبًا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورًا**﴾[1].

وحادثة انهزام المسلمين يوم حُنين، يوم أعجبوا بكثرتهم وافتتنوا بها: ﴿**ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثركم فلم تُغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾[2].

"لقد كان الدرس هنا قاسيا عنيفًا يوم اعتز المسلمون بكثرتهم وأعجبتهم قوتهم، فقالوا: لن نغلب اليوم من قلة. كان الدرس هو ردهم إلى الله، ليعتزوا به وحده، ويستمدوا منه القوة وحده"[3]

وهكذا، ومن خلال الاطلاع على أسباب النزول، نجد آيات كثيرة نزلت لأسباب وحوادث. ذلك أن الله يربي أمته، فكان أن ربّاها بالأحداث الجارية.. وهذا–في الوقت نفسه–إيماء وإيحاء من القرآن الكريم باتباع هذا الأسلوب في تربية الإنسان، بحيث لا تتاح فرصة إلا ويستغلها المربي في تحقيق أهداف التربية عن هذا الطريق. وحتى يتحقق النمو المنشود في ربط المتعلمين بأحداث مجتمعهم الإسلامي، والعالم كله[4]، وحتى تكون التربية تربية واقعية حية ملائمة للزمان والمكان.

عاشرًا: أسلوب الترويح:

إن النفس البشرية مجبولة على محبة السرور، ومفطرة على الميل إلى المرح، فالإنسان، وبخاصة طالب العلم، يجب أن يكون دائمًا في نشاط موفور، لا يعرف الملل أو الكلل.

وإذا استمر طالب العلم في عمله الجاد دون أن يجد ما يخفف عنه أعباء الحياة وييسر عليه صعوبة العلم ويذلل له وعورة الطريق في التدريب والتربية ويخفف من شعوره بالملال.. إذا استمر طالب العلم بهذه الكيفية ما استطاع أن يواصل طريقه العلمي، وما استطاع أن يحقق المستوى العلمي الرفيع. ومن ثم فهم في حاجة بين الفينة والفينة إلى أن يروح عن نفسه، وينفس عن جدّه وتعبه[5].

ويمكن للمربين والمتربيين أن يستخدموا الترويح كأسلوب وكمدخل تربوي، تتم من خلاله التنمية لعديد من جوانب الشخصية، بحيث يكون هذا الترويح ترويحًا تربويًا بناءً.

والتربية الإسلامية، وبقيادة المربي الأعظم –صلى الله عليه وسلم–، قد راعت ذلك الأسلوب التربوي واستخدمته، فجعلت للترويح مكانًا في المواقف التربوية والتعليمية. سواء في ذلك بالسماح باللعب،

---

(1) سورة النساء، الآية 43

(2) سورة التوبة، الآية 25

(3) محمد قطب، المرجع السابق، ص 260

(4) علي خليل أبو العينين، المرجع سابق، ص 249

(5) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب، السبق التربوي في فكر الشافعي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1409هـ/1989م، ص 178

ولا سيما لصغار المتربين، أو بتخليل فترات الدرس والتعليم بفترات راحة، أو بالفكاهة والمرح أو بالخروج للفسح والمنتزهات، أو بغير ذلك من وسائل الترويح المباحة والمربية[1].

فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "**كنت ألعب بالبنات عند النبي –صلى الله عليه وسلم– وكان لي صواحب يلعبن معي. فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن (أي يرسلهم) إليّ فليعبن معي**"[2]. كما كان عليه السلام يمازح أهل بيته من النساء أو الأطفال. ففي وصف أم المؤمنين عائشة له قالت: وكان في مهنة أهله، يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويداعب أهله، ويلاعب أحفاده...[3].

وكان –صلى الله عليه وسلم– حريصًا على إدخال السرور على حفيديه (الحسن والحسين) كلما رآهما، فكثيرًا ما كان "يندمج في اللعب معهما، ويبرك لهما على يديه ورجليه، ويركبهما على ظهره، ويطوف بهما أركان البيت، ويقول: "**نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما**"[4].

وقد تعددت ألوان الترويح في مجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم "كالحداء، والإرتجاز، والغناء، والترويح بالمداعبة والممازحة، والترويح بالفروسية، والرمي، وبالمسابقات الرياضية كالمصارعة وسباق الأقدام وسباق الخيول والجِمال. والترويح بالصيد"[5]، إلى غير ذلك من ألوان الترويح المباحة.

كما لاقى الترويح التربوي اهتمامًا وتأكيدًا من قبل صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ومن قبل علماء التربية المسلمين.. فذلك الإمام "علي" –رضي الله– عنه يقول: "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عمى" ويقول: "إنّ القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة"[6] تجديدًا لنشاطها ووقاية لها من السآمة والملل.

وذلك الإمام الشافعي –رحمه الله–، كان يحبب للطلبة الانطلاق في اللعب في الجو الطلق أثناء الرحلات، ويطلب منهم أن يكون كل واحد منهم حرًا مرحًا طليقًا.. كما كان يتخير الدعابة الحلوة والطرافة الجميلة، يضفي بها على المجلس جوًا من المرح والترويح يحكيها لطلابه.. وذلك وصولا للهدف الذي يريده.. وهو الترويح وتجديد نشاط الطلاب، حتى لا يقعوا في الملل من شدة العلم وطول الحياة الجدية في طلبه[7].

---

(1) سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 200

(2) صحيح البخاري،كتاب الادب، (باب الانبساط الى الناس)، رقم (5779)، جـ 5، المصدر السابق، ص 2280

(3) خالد فهد العودة، الترويح التربوي رؤية إسلامية، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، 1414هـ، ص 112

(4) بدر محمد ملك، وخليل أبو طالب، المرجع سابق، ص 163

(5) خالد فهد العودة، المرجع سابق، ص 85 – 106

(6) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب، المرجع سابق، ص 178

(7) المرجع نفسه، ص 182

وذلك "الإمام الغزالي" –رحمه الله–، ينصح بأن يسمح للطفل باللعب والمرح بعد الإنتهاء من دروسه، لتجديد نشاطه ولاستمراره في التعليم وعدم كرهه للعلم وطلبه للخلاص منه. فقال: "وينبغي أن يؤذن له (أي للصبي) بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعبًا جميلا، يستريح إليه من تعب المكتب. بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه إلى التعليم دائمًا، يُميت قلبه، ويُبطل ذكائه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا"[1]. تلك النصائح التي يؤكد فيها الغزالي على جملة من الفوائد التربوية للعب: الجسمية والعقلية والنفسية..

وهكذا، يمكن للمعلم والمربي أن يوجه إلى الترويح التربوي، وأن يستخدمه كأسلوب تربوي لما له من مساهمات في تحقيق أهداف التربية الإسلامية في التنمية الشاملة للفرد، والتي من أبرزها:

1 – المساهمة في تحقيق التربية العقيدية المتوازنة:

فيتيح الترويح التربوي فرصًا هامة للتأمل والتفكير في عظمة الله الخالق المبدع. كما أن الترويح التربوي في الإسلام يحد من غلو العباد الذين لا يرون في الحياة إلا الجد المرهق والعمل المتواصل. كما أنه يسهم في التربية الجهادية وهي جزء من عقيدة المسلم.

2 – تنمية القدرات العقلية:

فيسهم الترويح في تنشيط قدرات الإنسان العقلية، وزيادة قدراته على التركيز والتفكير، ويسهم في إبعاد الخمول والكسل الفكري.

3 – المحافظة على الصحة الجسمية:

حيث يسهم الترويح واللعب في المحافظة على صحة الجسم وأطراد نموه، بما يتيحه من رياضات أو حركات تسهم في تحريك وتنمية عضلات الجسم الكبيرة والصغيرة، كما تسهم في تنشيط الوظائف الحيوية للإنسان.

4– المساهمة في التنمية الخلقية:

حيث يتيح الترويح التربوي فرصة كبيرة لتدريب الممارسين على السلوك الإسلامي في العلاقات والمعاملات وفي حالات المرح واللعب كمثل حالات الجد والعمل. ويعمق الترويح قيم التعاون والمنافسة الشريفة وتحمل المسؤولية واحترام آراء الآخرين، ورعاية مصالحهم.. إلى غير ذلك من القيم البناءة.

5 – تحقيق التكيف النفسي السليم:

فيسهم الترويح التربوي في تخليص الإنسان من التوترات والصراعات الداخلية، ويسمح له بالتنفيس عن مشاعره وانفعالاته. ويحقق له شعورًا بالسعادة والرضى، ويشبع لديه حاجاته النفسية، كالحاجة إلى التقدير وتحقيق الذات والتخلص من الكبت والإحباط، الذي قد يعيشه في فترة من الفترات كما يسهم في علاج بعض المشكلات النفسية أو الاجتماعية ذات الأثر النفسي.

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 1، مرجع سابق، ص 182

6 – تنمية الجانب الاجتماعي:

حيث يسهم الترويح في تهيئة مناخ جيد لنمو الروح الاجتماعية، فينشأ الممارس على حب الاجتماع وبغض العزلة والإنفراد. كما يحرص على زرع القيم الاجتماعية الأخلاقية الجيدة.. فهو يمنع السخرية والإيذاء والظلم والتعصب للرأي... وينمي بدلاً من ذلك قيم الأخوة والتفاهم والألفة والعدل والتسامح...

7 – تنمية الحواس الذوقية:

فجمال الطبيعة ومناظرها الخلابة، وجمال الكلمة في الشعر، وجمال اللحن أو الأداء، وتناسق الحركة والإيقاع، وجمال اللوحة واللون، وغير ذلك من مواقف تجلي الجمال.. تساعد الإنسان على التذوق والإحساس بالجمال من حوله[1].

8 – تنمية الجانب الإرادي:

فالنشاط والترويض، والتنافس وقبول التحدي، والحرص على الفوز والتفوق، مع عدم الغرور عند النجاح، وعدم اليأس عند الإخفاق أو الفشل...كل ذلك ينمي إرادة الفرد ويصقلها.

المبحث الثاني : الأساليب المتبعة في تربية الطفل المسلم

إذن فبعد عرضنا للأساليب التربوية المعتمدة في التربية الإسلامية بشكل عام يمكننا الآن أن نختصر ونقتصر في هذا الفصل على أمهات هذه الأساليب التربوية المتبعة في تربية الطفل بشكل خاص، حيث يمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأساليب المخاطب بها الوالدان والمربون

القسم الثاني: الأساليب الفكرية المؤثرة في عقلية الطفل

القسم الثالث: الأساليب النفسية المؤثرة في عواطف ونفسية الطفل

أولاً: الأساليب المخاطب بها الوالدان والمربون:

1 – القدوة الحسنة: هي أنجح الوسائل المؤثرة في تربية الولد وإعداده من جميع الجوانب الخلقية والنفسية والاجتماعية، ومن ثم كان الواجب على الوالدين أو من يقوم مقامهما أم يظهرا دائمًا بالصورة التي يرضاها الله سبحانه وتعالى منهما العقل السليم[2].

أهمية أسلوب القدوة الحسنة:

1. جعل الله تعالى لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل وقص على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر بإتباعهم والاقتداء بهم فقال: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾[3]

---

[1] خالد فهد العودة، المرجع سابق، ص 47-53

[2] أحمد عطا عمر، ومحمود حمودة، المرجع السابق، ص 140

[3] سورة الأنعام، الآية 90

وقال: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[1].

2. من طبيعة البشر وفطرتهم أن يتأثروا بالمحاكاة والتقليد أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع ولا سيما في الأمور العملية ومواقف الشدة وغيرها.

ويدل على ذلك: حديث أم سلمة في قصة الحديبية عندما أمر الرسول الصحابة بالحلق والنحر ولم يقم منهم أحد، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكرها لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا كلمة حتى تنحر بذلك ويدعو خالقك، فيحلق لك، فقام فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعلوا بعضهم يحلق بعضًا[2].

3. أن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم حتى الأمي منهم فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره ويقلده ولو لم يفهمه.

ومن هنا كان فضل الصحبة للصحابة الكرام عظيمًا لا يعدله شيء، وكان انكار الله عظيمًا لمن يخالف قوله عمله... قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾[3]

نماذج من القرآن والسنة في تنبيه المربي على إعطاء القدوة الحسنة:

1. قال تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾[4]

وقال تعالى اخبارًا عن شعيب –عليه السلام–: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾[5]

2. عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق إقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار من الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت أمر بالمعروف ولا أتيه وأنهى عن المنكر وأتيه**"[6].

3. عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– قاعد في بيتنا فقالت: يا عبد الله تعال حتى أعطيك. فقال– صلى الله عليه وسلم–: "**ما أردت أن تعطيه؟**

---

[1] سورة الأحزاب، الآية 21

[2] رواه احمد في مسنده، كتاب مسند الكوفيين، ('باب حديث المصورين مخرمة الزهري ومروان بن الحكم)، جـ31، المصدر السابق، ص251

[3] سورة الصف، الآية 2–3

[4] سورة البقرة، الآية 44

[5] سورة هود، الآية 88

[6] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعل وينهى عن المنكر ويفعله)، رقم(2989)، جـ4، المصدر السابق، ص2290

قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها: أما إنك لو لم تعطه شيئًا كُتبت عليك كذبة"[1]

والذي نستنتجه مما تقدم أن القدوة الحسنة من أعظم وسائل التربية ترسيخًا وتأثيرًا.

فالطفل حين يجد من أبويه ومربيه القدوة الصالحة في كل شيء فإنه يتشرب مبادئ الخير ويتطبع على أخلاق الإسلام[2].

2 – اختيار الوقت المناسب للتوجيه:

أفادت التجارب العملية في التربية أثر اختيار الوقت المناسب في التوجيه، ومن هنا فقد كان رسول الله –صلى الله عليه و سلم– دقيق النظر في تحين الوقت والمكان المناسبين للتوجيه.

ومن الدراسة العملية لسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– نلاحظ أنه اختار لنا ثلاثة أوقات أساسية في توجيه الأطفال وهي:[3]

أولاً: **النزهة و الطريق و المركب:** ويدل على ذلك أحاديث متعددة منها: حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– : كنت خلف النبي –صلى الله عليه و سلم– يوما فقال: "**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...**"[4]

وحديث عبد الله بن جعفر –رضي الله عنهما– قال: "**أردفني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس**"[5]

ففي هذه الأحاديث الشريفة دلالة صريحة في أن هذه التوجيهات النبوية كانت لهؤلاء الأطفال وهم في الطريق، ولم تكن موجهة إليهم وهو في غرفة مغلقة، وما ذلك إلاّ لقوة تأثر الطفل للتلقي في تلك اللحظات.[6]

ثانيًا: وقت الطعام: ويدل على ذلك حديث عمر بن أبي سلمة –رضي الله عنه– قال: "كنت غلامًا في حجر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكانت يدي تطبيش في الصحفة فقال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك وكل مما يليك**" **فما زالت تلك طعمتي بعد**"[7]

---

(1) سبق تخريج الحديث، ص 115 من الرسالة

(2) عبد الله ناصح علوان، تبية الأولاد في الإسلام، المرجع السابق،ص 659 وانظر عبد الغني أحمد ناجي، الأمومة والطفولة في الإسلام، دار بوسلامة، تونس، د.ت، ص 37

(3) محمد نور عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، المرجع السابق، ص 91

(4) سبق تخريج الحديث، ص 162 من الرسالة.

(5) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة –رضي الله عنهم–، (باب فضائل عبد الله بن جعفر–رضي الله عنهما–)، رقم(2429)، جـ4، المصدر السابق، ص1886.

(6) محمد نور محمد سويد، المرجع السابق، ص91– 92.

(7) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، (باب التسمية على الطعام والأكل باليمين)، رقم(5376)، جـ7، المصدر السابق، ص68

ففي هذا الحديث دلالة واضحة أن الأطفال يخلون بالآداب الاجتماعية أحيانًا وينصرفون إلى أفعال شنيعة فإذا لم يجلس معهم المربّي باستمرار ويرشدهم إلى الصواب فإن الطفل سيبقى في براثن العادات السيئة المنفرة، وكذلك فغن عدم الجلوس معهم في أثناء طعامهم سيفقد الوالدين وقتنًا مناسبًا لتلقي الطفل وتعلمه[1].

ثالثًا: وقت المرض:

ويدل على ذلك حديث أنس –رضي الله عنه– قال: **كان غلامًا يهودي يخدم النبي –صلى الله عليه وسلم– فمرض فأتاه النبي –صلى الله عليه وسلم– يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"**[2].

ففي هذا الحديث نلاحظ بأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد تحين الوقت المناسب لدعوة هذا الغلام حيث رقة القلب وتأثره بزيارة هذا الغلام حيث رقة القلب وتأثره بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم. فبهذا نستنتج بأن اختيار الوقت المناسب له دور فعال في ترسيخ القدوة والموعظة ونجاح مثل هذا الأسلوب التربوي في تربية الأطفال.

رابعًا: المساواة بين الأطفال:

هذا ركن ثالث من الأساليب المخاطب بها الوالدين لتربية الأولاد تربية صحيحة.

صور التمييز بين الأولاد:

1– التمييز بين الجنس الواحد في بعض النواحي المادي كتفضيل الأب أحد أبنائه على إخوانه من النفقة أو العطية والهدية أو الميراث وغير ذلك.

ويدل على هذا حديث النعمان بن بشير –رضي الله عنهما–: أن أباه أتى به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: إني نحلت (أي أعطيت) إبني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: فأرجعه**"[3]

2– التمييز بين الجنس الواحد في النواحي المعنوية كالمفاضلة في الملاحظة والمعاملة.

---

[1] أحمد عطا عمر، ومحمود محمد حمودة، المرجع السابق، ص 143

[2] سبق تخريج الحديث، ص 152 من الرسالة.

[3] صحيح مسلم، كتاب الهبات، (باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة)، رقم(1623)، جـ3، المصدر السابق، ص1241، وصحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، (باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولد شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم)، رقم(2446)، جـ2، المصدر السابق، ص913.

ويدل على ذلك حديث أنس –رضي الله عنه–: أن رجلاً كان جالسًا مع النبي –صلى الله عليه وسلم–فجاء بني له فقبله، وأجلسه في حجره ثم جاءت بينة فأخذها فأجلسها إلى جنبه، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**فما عدلت بينهما**"[1].

3–التمييز بين الذكور والإناث، وقد كان هذا التمييز من الأعراف الجاهلية المحضة والتقاليد الاجتماعية البغيضة قال تعالى: ﴿**وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا**﴾[2]

حكم التمييز بين الأولاد:

التمييز بين الأولاد بجميع صوره حرام، وقد دل على ذلك نصوص كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة منها قوله تعالى: ﴿**أعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾[3].

وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**"[4].

النتائج السلبية المترتبة على المفاضلة بين الأولاد:

1 – ظهور الحقد والحسد بين الأولاد.

2 – عدم العدل ظلم والظلم يؤدي إلى الانتقام والفساد.

3 – ظهور الكراهية والفرقة بين الأولاد، ومن ثم ظهور التفكك في المجتمع الواحد.

4 – تؤدي إلى انحراف بعض الأولاد نفسيًا.

5 – تؤدي إلى الإنطواء والخوف والحياء.[5]

ونستنتج مما تقدم هو ضرورة العدل والمساواة بين الأولاد، وأهمية المساواة في تنشئة الأولاد تنشئة اجتماعية ونفسية سليمة، وما أحرى المربين من المسلمين أن يأخذوا بتعاليم دينهم الحميد في وجوب العناية بالأولاد وتحقيق العدل والمساواة بينهم لينالوا ما وعدهم الله تعالى به من الجنات والنعيم المقيم.

فائدة: قد تبين في عرض القرآن الكريم لقصة يوسف –عليه السلام– أن الذي أشعل حقد إخوته عليه وأدى إلى تآمرهم عليه، ما بدا لهم من إيثار أبيهم ليوسف واختصاصه بألوان من القرب والكرم فكان من الشر ما كان، قال تعالى: "**إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين**"[6].

---

(1) أخرجه ابن عدي في "الكامل" (4/ 1553)

(2) سورة النحل، الآية 58

(3) سورة المائدة، الآية 8

(4) صحيح مسلم، كتاب الهبات، (باب كرامة تفضيل بعض الأولاد في الهبة)، رقم(1623)، جـ3، المصدر السابق، ص1242.

(5) محمد عقلة، تربية الأولاد، ص 210–211

(6) سورة يوسف، الآية 8 – 9

خامسا: الاستجابة لحقوق الأطفال:

للأطفال إرادة ينبغي أن تراعى بقدرها حتى يعتادوا حرية التفكير منذ الصغر فيدلون بآرائهم بما يناسب تفكيرهم وقدراتهم من أمور الحياة، وهم في هذا قد يصيبون وقد يخطئون، فإن أصابوا وجب التشجيع وان أخطأوا وجب التنبيه والتوضيح من غير تسفيه مخزي أو زجر محطم[1].

احترام الصغير وقبول الحق منه:

أمثلة من قصص السلف الصال في قبول الحق من الصغير:

أورد الأستاذ محمد نور في كتابه منهج التربية أمثلة متعددة ورائعة من قبول الحق من الصغير والاستماع لكلامه منها:

1. طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز الموعظة من غلام: لما وُلي الإمام عمر بن عبد العزيز الخلافة وبدت الوفود تزوره للتهيئة بالمنصب الجديد، تقدم أحد الوفود غلام صغير ليتكلم باسم الوفد، فقال الخليفة عمر: "أما وجد القوم من هو أسن منك ليتكلم؟!" فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! لو كان الأمر في كبر السن لكان من هو أكبر منك في مقامك هذا. يا أمير المؤمنين! أما علمت أن المرء بأصغريه: قلبه ولسانه؟! فقال الخليفة عمر: عظني يا غلام! فوعظه حتى أبكاه.
2. الإمام أبو حنيفة طفلا يلعب بالطين، فقال للطفل: إياك والسقوط في الطين، فقال الغلام الصغير للإمام الكبير، إياك أنت من السقوط، لأن سقوط العالِم سقوط العالَم، فما كان من أبي حنيفة إلا أن تهتز نفسه لهذه المقولة، فكان لا يخرج فتوى بعد سماعه لهذه المقالة من الطفل الصغير إلا بعد مدارستها شهرًا كاملاً مع تلامذته...[2].

فوائد الإستجابة لحقوق الأطفال:

نستخلص مما سبق أن إعطاء الطفل حقه وقبول الحق منه يعطيه ثقة بنفسه وشعورًا إيجابيًا نحو الحياة ويتعلم أن الحياة أخذ وعطاء، ومن ثم يستطيع أن يكشف عن مواهبه وميولاته التي قد تجعل منه عبقريًا حقيقيًا إذا أحسنا فهمه وأحسنا التعامل معه.

سادسا: الدعاء للطفل:

الإسلام ينكر الجفاء والغلظة بالأولاد ويوجب الشفقة والرحمة بهم، ومن مظاهر هذه الرحمة أنه يوجب الدعاء للأبناء ويحذر من الدعاء عليهم[3].

أهمية الدعاء للأبناء:

1. يدخل السرور إلى قلوب الأولاد، فيهذب نفوسهم ويشجعهم على الالتزام بالآداب.

---

[1] عبد الغني أحمد ناجي، المرجع السابق، ص 44، وأنظر أيضًا محمد نور سويد، المرجع السابق، 98

[2] محمد نور عبد الحفيظ سويد، المرجع السابق، ص 100- 102

[3] أحمد عطا عمر، ومحمود محمد حمودة، المرجع السابق، ص 148

2. يغرس في نفوس الأولاد أصول التربية النفسية الصحيحة التي تجعل منه إنسانًا مستقيمًا.
3. دعوة الأب لابنه مستجابة، فربما تغير من سلوك وتصرف الطفل، ففي الحديث **الشريف "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده"**[1].

ولذا كان من سنة الأنبياء والمرسلين الدعاء للأبناء والبنات، وقد دل على ذلك آيات كثيرة ومتعددة من كتاب الله العزيز منها ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿**ربّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دُعاء ربّنا اغفر لي ولولدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿**ربّنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتّقين إمامًا**﴾[4]

خطورة الدعوة على الأولاد:

الدعوة على الأولاد مظهر من مظاهر الجفاء والقسوة معهم، ولذلك نهى الإسلام الآباء والأمهات وحذرهم منها:

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم**"[5].

وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**إن اللعانين لا يكونوا شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**"[6]

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال، قيل: **يا رسول الله! أدع على المشركين. قال: "إني لم أبعث لعانًا وإنما بُعثت رحمة**"[7].

والخلاصة أن الدعوة على الأولاد عامل خطير في انحرافات الأولاد وتؤدي بهم إلى الشعور بالنقص وضعف الشخصية والرغبة في الثأر والإنتقام وغير ذلك[8].

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، (باب ماجاء في في دعوة الوالدين)، رقم(1905)، جـ4، المصدر السابق، ص314.

(2) سورة البقرة، الآية 128

(3) سورة إبراهيم، الآية 40-41

(4) سورة الفرقان، الآية 74

(5) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر)، رقم(3099)، جـ4، المصدر السابق، ص2304.

(6) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (باب النهي عن لعن الدواب وغيرها)، رقم(2598)، جـ4، المصدر نفسه، ص2006.

(7) المصدر نفسه، كتاب البر والصلة والآداب، (باب النهي عن لعن الدواب وغيرها)، رقم(2599)، جـ4، المصدر السابق، ص2006.

(8) عبد الله ناصح علوان، المرجع السابق، جـ1، ص 317، وانظر عبد الغني أحمد ناجي، المرجع السابق، ص 43

أمثلة عملية من تأثير الدعوة للأولاد:

أ- عن أنس -رضي الله عنه- قال: جاءت أمي أم أنس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله! هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: "**اللهم أكثر ماله وولده**"، **قال أنس: فو الله، إن مالي لكثير، وإنّ ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المئة اليوم**[1].

ب- ذكر الإمام "الغزالي" في الإحياء أنه جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوق ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟ فقال: بلى، فقال عبد الله بن المبارك أنت أفسدته[2].

سابعا: مساعدة الطفل على البر والطاعة:

تكلمنا في الفصل السادس عن حق الأبوين في البر والإحسان إليهما وعدم عقوقهما، والذي نريد الحديث عنه هنا هو تهيئة الأسباب للطفل ومساعدته على بر الوالدين وطاعتهما، لأن هذا البر والاحترام أساس قويم لجميع الفضائل الاجتماعية الأخرى كاحترام الجار والكبير والعلم، واحترام الناس أجمعين.

بعض المعالم الشرعية في مساعدة الأبناء على بر الآباء:

بدراسة الآيات القرآنية وبعض الأحاديث الشرعية تظهر لنا وسائل كثيرة لمساعدة الأبناء على بر الآباء ومنها:

بعض المعالم الشرعية في مساعدة الأبناء على بر الآباء:

1. **المساواة بين الأولاد:** وفي الحديث الشريف: "**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**" وفي رواية أخرى لنفس الحديث "**أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذا**"[3].
2. أن يكون المربي على وعي كامل بأساليب التربية، وأن يستخدم الحكمة في التربية ويستخدم كل أسلوب في المكان الصحيح. قال تعالى: "**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا**"[4].

وقال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾[5].

---

(1) **صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله عنه-، (باب من فضائل أنس بن مالك-رضي الله عنه-)، رقم(2481)، جـ4، المصدر السابق، ص1929.**

(2) **أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ 2، المرجع السابق، ص 217**

(3) **صحيح مسلم، كتاب الهبات، (باب كرامة تفضيل بعض الأولاد في الهبة)، رقم(1623)، جـ3، المصدر السابق، ص1243.**

(4) **سورة البقرة، الآية 269**

(5) **سورة النحل، الآية 125**

3. **التخلق بالأخلاق الحسنة أمام الأولاد:** التخلق بالخلق الحسن أهم صفة في جانب صلة الآباء بالأبناء، وقد وصف الله عز وجل المربي الأول لهذه الأمة بقوله: ﴿**وإنك لعلى خُلق عظيم**﴾[1]. وقوله: ﴿**فبما رحمة من الله لنتَ لهم ولو كنت غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾[2].

فعلى الأب أن يجاهد نفسه للتحلي بالأخلاق الحسنة أمام الأبناء وهي كثيرة جدًا ومنها أن يكون مطيعًا لأبيه وأمه، ويدل على ذلك قول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**بروا آباءكم تبركم أبنائكم**"[3].

4. **معاملة الأولاد باللطف والحنان:** لأن المعاملة اللينة تزيد في حب الولد لأبيه ومن ثم تساعده على بره، وقد مرّ معنا حديث الأقرع بن حابس:إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "**من لا يَرحم لا يُرحم**"[4]
5. **التزام الوسطية في توجيه الطفل وتقويمه:** العنف في تربية الأولاد يشبه الإهمال والتدليل، إذ النتيجة واحدة، فالأطفال الذين يعيشون في هذين المتضادين يصلون في النهاية إلى نتيجة مضطربة وإن تفاوت الإضطراب. ففي ظل العنف يكون الخوف والحقد وضعف الشخصية، وفي ظل التدليل يكون الإنمياع والحيرة وفقد الاعتماد على النفس وغير ذلك، والقاعدة الشرعية لا إفراط ولا تفريط[5].
6. **اختيار الام المثالية والإسم الحسن:** ومعروف أن الأم هي المدرسة الأولى للطفل والمنبع الأول لغرائزه وميولاته.. وكذلك الإسم الحسن له تأثير في سلوك الطفل ونفسيته، ولذلك لا يجوز للأب تسمية ولده بأسماء أو ألقاب ذميمة تؤثر في انحرافه نفسيًا واجتماعيًا ويكفينا في الدلالة على ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تنابزوا بالألقاب**﴾[6].
7. **الإبتعاد عن كثرة اللوم والعتاب:** من الأساليب المهمة في تربية الأولاد استعمال اللوم والتوبيخ بحكمة، وقد أشار مؤدبوا الأطفال "كالغزالي" و"ابن خلدون" وغيرهم إلى ضرورة هذا الأصل التربوي[7].

---

(1) سورة القلم، الآية 4

(2) سورة آل عمران، الآية 159

(3) المستدرك للحاكم، كتاب البر والصلة، رقم(7259)، جـ4، المصدر السابق، ص172.

(4) سبق تخريج الحديث، ص 113 من الرسالة.

(5) عبد الغني أحمد ناجي، الأمومة والطفولة في الإسلام، المرجع السابق، ص43.

(6) سورة الحجرات، الآية 11

(7) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط2، نشر عيسى البابي الحلبي، 1969، ص 280–306، ص 242–279، وأنظر عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، ط2، دار العلم للملايين، 1973، ص 229–242، ص 242 –252

ويؤدي هذا أن الإسلام يدعو إلى الرفق وينهى عن العنف وفي الحديث الشريف: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[1]. ولهذا فإننا نلاحظ أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ما يكثر العتاب على تصرفات الصحابة وأهل بيته من العبيد والخدم والأطفال...

وفي حديث أنس: "**والله، لقد خدمته –صلى الله عليه وسلم– تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته: هي فعلت كذا وكذا؟**"[2].

وعن أبي هريرة قال: بال أعرابي في المسجد فقام الناس ليقعوا فيه، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–"**دعوه وهريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسّرين**"[3].

النتائج المترتبة على كثرة العتاب واللوم للأطفال:

إذن فكثرة اللوم والعتاب للطفل تجعل منه إنسانًا ناقصًا يشعر بالخوف والإضطراب وضعف الشخصية بالإضافة على عدم مقدرته مستقبلاً على وضع القرار أو الإدلاء برأيه بحرية أو المشاركة الفعالة في أي مجال من مجالات الحياة فيكون تابعًا للآخرين في تصرفاته وجميع أنواع سلوكه.

ثانيًا: الأساليب الفكرية المؤثرة في عقلية الطفل: وهي كثيرة جدًا منها:

1– رواية القصص:

أثبتت التجارب العملية أهمية القصة المحكمة والدقيقة في شد انتباه الطفل ويقظته، بخلاف الدروس التلقينية التي تورث الملل ولا يستطيع الطفل متابعتها واستيعابها إلا بصعوبة.

والأصل ألا يكون الهدف من القصة التسلية والترفيه وإنما العظة والعبرة وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية بالنسبة للقصص القرآنية. قال تعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عِبرة لأولي الالباب**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾[5].

بعض القصص المفيدة في تربية الأطفال:

1. قصص الأنبياء، المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، كقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف ومحمد عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

[1] **سبق تخريج الحديث، ص 128 من الرسالة.**

[2] **سبق تخريج الحديث، ص 252 من الرسالة.**

[3] **صحيح البخاري، كتاب الوضوء، (باب صب الماء على البول في المسجد)، رقم(217)، جـ1، المصدر السابق، ص89.**

[4] **سورة يوسف، الآية 111**

[5] **سورة الأعراف، الآية 176**

2. قصص القرآن الأخرى كأصحاب الكهف ومريم وأصحاب الأخدود وغير ذلك[1].
3. القصص والأحداث التي وقعت زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم– كالهجرة، وغزوة بدر وأحد والخندق وفتح مكة والإسراء والمعراج وغير ذلك.
4. قصص وبطولات الصحابة وغيرهم كالخلفاء الراشدين وبعض العلماء كالشافعي ومالك بن أنس وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم.

هذا ولا تكون القصة مفيدة فعلاً للأطفال إلا إذا كانت مناسبة لمستواهم وبالأسلوب الذي يؤثر فيهم.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى نجاح كثير من قصص الأطفال الديني لعدد كبير من الكتاب والمربين كسيد قطب، وعلي الجارم والسّحار وأبو الحسن الندوي وغيرهم.

2- الخطاب المباشر للطفل:

والمقصود بهذا الأساس: أن نخاطب الأطفال بصراحة ووضوح حيث ينبغي مخاطبة الأطفال على قدر عقولهم ولا نستخدم معهم الأساليب الأخرى من اللف والدوران والسر في ذلك أن الطفل له حدوده العقلية والفكرية التي لا يستطيع تجاوزها في أي حال من الأحوال.

ومخاطبة الناس على قدر عقولهم قاعدة شرعية ومبدأ تربوي هام أقره دين الإسلام، ويدل عليه الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "**نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم**"[2]، وقوله: "**ما أحد يحدّث قومًا بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم**".

3- **الحوار الهادئ مع الأطفال:**

والمقصود بهذا الأصل أن نسمع لآراء الأطفال وأن نصحح لهم أخطاءهم بهدوء، وأن نحذر التأنيب القاتل والتسفيه المخزي والزجر المحطم للشخصية، فإنها ذات خطر جسيم على شخصية الطفل وقد لا يدركه كثير من المربين والآباء إلا بعد انتقال الأطفال من سن الطفولة إلى الشباب[3]

نماذج عملية للاستماع للأطفال وغيرهم:

1. عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: أتيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو يصلي في آخر الليل فقمت وراءه فأخذني فأقامني حذاءه، فلما انصرف قال: "**مالك؟! أجعلك حذائي**

---

[1] محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، طبعة 1390هـ، ص 100، وانظر مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، 1997م، ص310.

[2] الديلمي، مسند الفردوس، رقم(1611)، جـ1، المصدر السابق، ص 398.

[3] محمد نور سويد، منهج التربية النبوية، المرجع السابق، ص 119، وأنظر أيضًا عبد الغني أحمد ناجي، الأمومة والطفولة، المرجع السابق، ص 44

فتخنس" قلت: ما ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله فأعجبه، فدعا الله أن يزيدني فهمًا وعلمًا"[1]

2. عن أبي بردة بن أبي موسى –رضي الله عنهما– قال: "**شهدت أبا موسى، وهو ببيت أم الفضل فعطست فشمتها وعطست فلم يشمتني، فلما جئت إلى أمي أخبرتها، فلما جاء أبو موسى قالت له: عطس عندك إبني فلم تشمته وعطست امرأة فشمتها؟ فقال: إن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وأنها عطست فحمدت الله فشمتها وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه" قالت أحسنت، أحسنت**"[2]

4 – تدريب حواس الطفل بالتجارب العملية:

تدريب حواس الطفل بالمشاهدات والتجارب العملية يساعد الطفل على اكتساب العلوم والمعارف.

ولأهمية هذا الأساس فقد جعل الله تعالى الأنبياء –عليهم السلام– قدوة عملية للمؤمنين في تعليمهم للأخلاق والسلوك وأمور العبادات.

قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[3]

وجاء في الحديث الشريف: "**صلوا كما رأيتموني أصلي**"[4]، و "**لتأخذوا مناسككم**"[5].

ثالثًا: الأساليب أو (العوامل) النفسية المؤثرة في نفسية الطفل: وهي كثيرة جدا، ومنها:

1 – صحبة الطفل:

تلعب صحبة الطفل دورًا كبيرًا وهامًا في التأثير في نفسية الطفل حيث أنها تدخل السرور إلى قلبه وتشعره بالعطف.

وقد أرشد الإسلام إلى مثل هذا في كثير من الأحاديث منها:

مصاحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– لبعض الأطفال في بعض أسفاره وقد مرّ تخريج مثل ذلك فيما سبق.

ويدل على ذلك أيضًا أحاديث جواز حمل الصبيان في الصلاة ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: "**رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص**

---

[1] المستدرك للحاكم، كتاب معرفة الصحابة –رضي الله عنهم–، (باب ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب–رضي الله عنهما–)، رقم(6279)، جـ3، المصدر السابق، ص615.

[2] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (باب تشميت العاطس وكرامة التثائب)، رقم(2992)، المصدر السابق، ص2292.

[3] سورة الأحزاب، الآية 21

[4] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب رحمة الناس والبهائم)، رقم(6008)، جـ8، المصدر السابق، ص09.

[5] سبق تخريجه، ص 373.

وهي ابنة زينب بنت الرسول –صلى الله عليه وسلم– على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها"[1].

2 – إدخال السرور والفرح إلى نفوس الأطفال: ويكون ذلك بأساليب كثيرة ومتعددة منها:

1. الإستقبال الجيد لهم.
2. تقبيلهم وممازحتهم.
3. مسح رؤوسهم.
4. حملهم وملاعبتهم.
5. الإستماع لآرائهم.
6. الأكل معهم.
7. شراء الأطعمة الجيدة والألعاب المفيدة لهم.

وقد كان يفعل الرسول –صلى الله عليه وسلم– مثل هذا مع كثير من أطفال الصحابة كما مرّ معنا سابقًا.

أهمية هذا الأساس:

هذا الأساس مهم جدًا في تكوين شخصية الأطفال وتهذيب طباعهم وعاداتهم.. وإشعارهم بالفرح والعطف والحنان الذي يورث الانطلاق والحيوية في نفوسهم وأعمالهم.

3 – تشجيع التنافس بين الأطفال:

وأهمية هذا الأساس تظهر من وجوه:

1. أنها تحرك في الطفل مشاعره وأحاسيسه نحو الفوز وبذلك تظهر طاقاته الفكرية والرياضية ومواهبه الفطرية التي لا يمكن تحريكها إلا بذلك.
2. تنمي في الطفل روح الجماعة والابتعاد عن الفردية وبذلك يتدرب على فهم الحياة البشرية فتارة يخطئ وتارة يصيب.
3. تعطي الأطفال حرية التفكير منذ الصغر فيدلون بآرائهم بما يناسب تفكيرهم.
4. تعطي الطفل فرص كبيرة للتعلم وتصحيح كثير من الأخطاء[2] السلوكية لديهم.

أمثلة من منافسات الرسول –صلى الله عليه وسلم_ للأطفال وغيرهم:

1. من المنافسات الفكرية نجد ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عمر **حين سأل الرسول –صلى الله عليه وسلم– الصحابة عن شجرة لا يسقط ورقها، فوقع في نفس ابن عمر أنّها النخلة فأراد أن يقول: إنها النخلة، فنظر فإذا هو أصغر القوم فسكت، ثم ذكر ذلك لعمر فقال عمر: "لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا"[3].**

---

[1] صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة)، رقم(543)، جـ1، المصدر السابق، ص358.

[2] محمد نور سويد، منهج التربية النبوية، المرجع السابق، ص 128، وأنظر أيضًا عبد الغني أحمد ناجي، الأمومة والطفولة في الإسلام، المرجع السابق، ص 44–46

[3] سبق تخريج الحديث، ص 124 من الرسالة.

2. ومن المسابقات الرياضية نجد ما رواه ابن عمر –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سابق بالخيل التي قد اضمرت من الحفياء وكان أمرها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق وكان ابن عمر فيمن سابق بها[1].

4 – تعزيز الطفل بالمدح والثناء:

أكد الباحثون من العلماء والمربين ضرورة تشجيع الأطفال بالمدح والثناء إذا أصابوا في إجابتهم أو قاموا بأعمال حميدة تستحق المكافأة والتشجيع، وهذا من المبادئ النفسية التي تعتمد عليها كل النظريات وهو مبدأ الترغيب والترهيب.

أهمية تعزيز الطفل:

لمدح الطفل وتشجيعه أثر فعال في تحريك مشاعره وأحاسيسه نحو النشاط والزيادة من أعمال الخير والنجاح، وذلك أن الإنسان بطبعه يحب المدح والثناء من جهة، وشعوره بالنجاح مرة يزيد من نجاحه وإنجازه من جهة أخرى[2].

1– منها قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– لحفصة عن عبد الله بن عمر:

"**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**" قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً[3].

2– ومنها حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– في فضل عبد الله بن سلام: "**من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**"[4].

3– ومنها حديث أنس –رضي الله عنه– قال: "جمع القرآن في عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد"[5].

4– ومنها المكافأة والجوائز المالية التي كانت سائدة في الأوساط التعليمية لدى المسلمين وكلنا يعرف ممن قرأ الأدب والتاريخ ما كان يخصصه المأمون وغيره من جوائز لطلبة العلم والمتفوقين منهم.

---

(1) سبق تخريج الحديث، ص 291 من الرسالة.

(2) أنظر محمد عطية الأرباشي، المرجع السابق، ص 175، وأنظر محمد نور سويد المرجع السابق، ص 131، أنظر صالح الهندي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، دار الفكر 1520 هـ / م، ص 126

(3) سبق تخريج الحديث، ص 334 من الرسالة.

(4) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، (باب وجوب الزكاة)، رقم(1333)،جـ2، المصدر السابق، ص506، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة)، رقم(14)، جـ1، المصدر السابق، ص44.

(5) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، (باب القواء من أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–)، رقم(4717)، جـ4، المصدر السابق، ص1913، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، (باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار)، رقم(2465)، جـ4، المصدر السابق، ص1914.

5 – تنمية ثقة الطفل بنفسه:

وقد ذكر الأستاذ محمد نور طرقًا متعددة لتنمية ثقة الطفل بنفسه منها:[1]

أ – تقوية إرادة الطفل: ويكون ذلك بتعويده على الصبر والصيام وحفظ الأسرار.

ب – تنمية الثقة الاجتماعية: ويكون ذلك بتعويد الطفل مجالسة الكبار، والاعتماد عليه في قضاء حاجات المنزل الضرورية من طعام وشراب.

جـ –تنمية الثقة العلمية: ويكون ذلك بتعليمه القرآن الكريم والسنة المطهرة والعلوم النافعة الأخرى لأنها أصل العلوم الصحيحة البعيدة عن الخرافات والأساطير.

د – تنمية الثقة الاقتصادية والتجارية: ويكون ذلك بتعويد الطفل على البيع والشراء وغير ذلك.

6 – الترغيب والترهيب:

ويعتبر هذا الأساس من أبرز الأساليب العاطفية في تربية الأطفال وتنشئتهم، ولذلك نجده واضحًا تمامًا في القرآن الكريم وفي تربية الرسول الكريم للصحابة الكرام وقد تحدثنا في الفصل السادس عن الترغيب في بر الوالدين والترهيب من عقوقهما.

والمهم في استخدام هذا المنهج أو الأساس هو أن نختار الأسلوب العاطفي المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب والحالة المناسبة، وقد نجمع بينهما أحيانًا كما في أسلوب القرآن الكريم من ذكر الجنة مع النار غالبًا[2].

ومن هنا نلاحظ اختلاف أسلوب الرسول –صلى الله عليه وسلم– مع الأعرابي الذي بال في المسجد والرجل الذي لبس الذهب.

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم–: "**دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذَنوبًا من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**"[3].

وعن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه، وقال: "**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يد**" **فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله، لا أخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–**"[4].

---

[1] أحمد عطا عمر، محمود محمد حمودة، المرجع السابق، ص 161

[2] المرجع نفسه، ص161.

[3] سبق تخريج الحديث، ص 400 من الرسالة

[4] صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، (باب طرح خاتم الذهب)، رقم(2090)، جـ3، المصدر السابق، ص1655.

7 – التكرار:

أهمية هذا الأساس: أنه يؤثر في النفس ويثبت المعلومات ويساعد على جعل الأخلاق الطيبة عادة عند الأطفال.

ولأهمية هذا الموضوع نجد أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد استخدمه في أكثر من موقف وحديث ويدل على ذلك أحاديث منها:

1. حديث أنس –رضي الله عنه–: "**أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وأنه إذا أتى على قوم فسلم سلّم عليهم ثلاثًا**"[1].
2. وحديث أبي بكرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر–ثلاثًا، قلنا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئًا فجلس فقال: "ألا وقول الزور وشهادة الزور" فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**"[2].

ويدخل في أسلوب التكرار ضرورة التنويع في طرح المعلومات وعدم الثبات على شكل واحد، ويدل على ما جاء من ضرورة هذا التنويع آيات وأحاديث لا يمكن استقصاؤها. ومنها: الأحاديث التي تبين فضل قراءة القرآن. فإنها رغم كثرتها وتعددها نجدها تصب في قالب واحد وهو ضرورة تعلم القرآن الكريم.

ومنها قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**"[3]، وقال في حديث آخر: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**"[4]

وقال أيضًا: "**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة...**"[5]

وقال: "**لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل أتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**"[6].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب العلم، (باب من أعاد الحديث ثلاث ليفهم عنه)، رقم(95)، جـ1، المصدر السابق، ص48.

[2] سبق تخريج الحديث، ص 335 من الرسالة.

[3] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة)، رقم(804)، جـ1، المصدر السابق، ص553.

[4] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، (باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، رقم(5027)، جـ6، المصدر االسابق، ص192.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، (باب ذكر الطعام)، رقم(5111)، جـ5، المصدر السابق، ص2070، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (باب فضيلة حافظ القرآن)، رقم(797)، جـ1، المصدر السابق، ص549.

[6] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، (باب قول النبي–صلى الله عليه وسلم–:"رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم")، رقم(7091)، جـ6، المصدر السابق، ص2737، ورواه مسلم مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها)، رقم(815)، جـ1، المصدر السابق، ص558.

8 – حسن النداء:

المقصود بهذا الأساس أن نكلم الأطفال بعبارات لطيفة وألفاظ قريبة من نفوسهم.

وقد دل على هذا الأساس آيات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة منها: أمر الله الصريح باستعماله مع الناس قال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾[1]

وقوله: ﴿**فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى**﴾[2]، وقوله: ﴿**وقولوا للناس حسنا**﴾[3]، وقوله: ﴿**وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغًا**﴾[4]

أهمية هذا الأساس:

1. يشعر الطفل بأهميته عند الكبار ومن ثم تسهل عليه الإستجابة للأوامر الموجهة إليه.
2. تغرس المحبة والمودة في قلوب الأطفال.

3.تساعد على القضاء على المنكرات والأخطاء عند الأطفال، فيخجل الطفل من عدم الإستجابة لمن يعظه بالحسنى ويريه حبه وقربه منه[5].

أمثلة عملية من تربية الرسول –صلى الله عليه وسلم– بضرورة حسن النداء للأطفال:

1. حديث ابن عباس "**يا غلام إني أعلمك كلمات...**"[6]

2. ومنها مناداة الصحابة لأولاد الصحابة والتابعين بقولهم (يا ابن أخي) ويدل عليه أحاديث كثيرة.

ومنها قول زيد بن أرقم –رضي الله عنه– لحصين بن سبره وهو طفل صغير "**يا ابن أخي! والله لقد كبرت سني وقدم سني ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيه**"[7]

---

[1] سورة النحل، الآية 125.

[2] سورة طه، الآية 44.

[3] سورة البقرة، الآية 83

[4] سورة النساء، الآية 63

[5] محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، 1991م، ص 261، وأنظر محمد نور عبد الحفيظ سويد، المرجع السابق، ص 137

[6] سبق تخريج الحديث، ص 162 من الرسالة.

[7] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة–رضي الله عتهم–، (باب من فضائل علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–)، رقم(2408)، جـ4، المصدر السابق، ص 1873.

الفصل السادس

الفصل السادس

مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام
والأصول التربوية المتبعة

أولا: مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام

1- التعليم الأولي في الكتاتيب

- ✓ السن التي يلتحق بها الأطفال في الكتاتيب.
- ✓ المدة التي يقضيها الأطفال في الكتاتيب.
- ✓ مواد التعليم في الكتاتيب "الحذقة أو الختمة".
- ✓ أساليب التدريس في الكتاتيب.

2- تعليم الأطفال في المسجد بعد التعليم الأولي في الكتاتيب

- ✓ مواد التعليم في المساجد
- ✓ أساليب التعليم في المساجد

3- التعليم في المدارس النظامية

- ✓ مواد التعليم في المدارس.
- ✓ أساليب التعليم في المدارس.

4- التأديب في القصور والبيوت الخاصة

- ✓ تأديب الامراء وولاة العهد من أبناء الخلفاء.
- ✓ تأديب الإناث في البيوت.

1- مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام

حث الإسلام على تعليم الأطفال، بل إنه شجع الإنسان على أن يستمر في طلب العلم، لقوله -عليه الصلاة والسلام- "أطلب العلم من المهد إلى اللحد"، ولا غرابة في ذلك، فقد كانت أول آية نزلت في القرآن على الرسول – صلى الله عليه وسلم – ﴿إقرأ **باسم ربك الذي خلق...إلخ**﴾.

لقد أولى المسلمون التعليم كل اهتمامهم وعنايتهم، وليس أدل على ذلك من طلب الرسول – صلى الله عليه وسلم – من أسرى "بدر" تعليم بعض المسلمين مقابل فك أسرهم، لذلك انتشرت مؤسسات التعليم عبر العصور الإسلامية، فشملت:

- الكتاب.
- المسجد.
- المدارس.
- الربط.
- الزوايا.
- الخوانق.

كما كان التعليم يتم في القصور والمنازل، وفي الساحات العامة، وقد مر الرسول -صلى الله عليه وسلم- على جماعتين، إحداهما تدعو إلى الله، وأخرى تتناقش وتتدارس القرآن، فترك الأولى قائلا، هؤلاء يدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، ثم اتجه إلى الجماعة الثانية للمشاركة في دراسة القرآن، قائلا، إنما بعثت رسولا ومعلما[1].

1. التعليم الأولي في الكتاكيب:

كانت الكتاتيب موجودة قبل ظهور الاسلام، ولكن وجودها كان قليلا، وكانت لتعليم القراءة والكتابة، وبعد ظهور الإسلام زيد عليهما تحفيظ الأطفال القرآن الكريم، وتعليمهم الدين الإسلامي والخط والحساب ومبادئ اللغة.

وقد ازداد عدد الكتاتيب ومعلموها (مشايخها) حتى صار في كل قرية كتاب أو أكثر. وكانت الكتاتيب في الغالب عبارة عن حجرة في منزل أحد المعلمين، أو كانت ملحقة بالمسجد[2].

ولقد كانت غاية المسلمين بتعليم الخط كبيرة لأنه فن من الفنون الجميلة، وكان له معلم يختص بتعليمه لا يشتغل بغيره، وقد استخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- المسلمين الذين يستطيعون الكتابة والقراءة في كتابة ما كان يمليه عليهم من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكان عددهم قليلا، فاضطر

---

(1) أحمد محمد زيادي، إبراهيم ياسين الخطيب، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1410هـ/1989م، ص 77.

(2) سعيد اسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 152.

الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن يستعين بغير المسلمين من اليهود والمسيحيين في تعليم المسلمين، الراغبين في التعليم والقراءة والكتابة[1].

كان اللوح يستعمل في الكتاب منذ زمن قديم، فقد قالت "أم الدرداء" أنها قد كتبت على اللوح عبارات في الحكمة ليحاكيها تلميذ كانت تعلمه القراءة والكتابة.

وبعد معرفة القراءة والكتابة كان التلاميذ يقرأون القرآن الكريم ويكتبون كل يوم قدرا منه في ألواحهم، ويحفظون ما يكتبون، بهذه الوسيلة كانوا يدربون على القراءة ويتعلمونها، ويحفظون القرآن ويحسنون خطهم، فقد كان الأطفال في الكتاب يتعلمون المطالعة والقراءة والكتابة وكانوا يحفظون بعض الأحاديث ويدرسون قصص الأنبياء ويتعلمون قواعد للغة العربية ومبادئ الحساب.

وفي عصر الترجمة قام المثقفون الذين يجيدون بعض اللغات الأجنبية بترجمة بعض الكتب الثمينة والقيمة إلى اللغة العربية.

وللجاحظ أثر كبير في النهوض بتعليم القراءة والكتابة والحساب والإقبال عليها، وقد قال في رسالة المعلمين "ولولا الكتابة لاختلت أخبار الماضي، وانقطعت آثار الغائبين، وقد رأينا عمود صلاح الدين والدنيا إنما يعتدل في نصابه يقوم على أساسه بالكتابة والحساب، في الوقت الذي كان المعلم يخصص حجرة من منزله يجعلها كتابا لتعليم الأطفال الراغبين في التعليم، كان في كتاب أبي القاسم "3" آلاف طالب أو تلميذ ومعنى هذا أن الكتاب في الغالب كان حجرة واحد أو أكثر في النادر، وكان بعضها كبيرا فسيحا جدا يتسع لآلاف التلاميذ، وقد ازداد عدد الكتاتيب، وعدد المعلمين في القرن الثاني الهجري والقرون التي بعده حتى صار في كل قرية كتاب أو أكثر[2].

وقال الإمام الشافعي –رضي الله عنه– "كنت يتيما في حجر أبي فدفعني في الكتاب فلما ختمت القرآن دخلت المسجد لطلب العلم والتوسع في الثقافة الدينية"[3].

فالكتاب كان المكان الأول لتعليم الأطفال القرآن، وكان للكتاب منزلة كبيرة لأن تحفيظ القرآن فيه كان أمرا هاما في الإسلام، وقد ورد في بعض المراجع العربية أن الحجاج بن يوسف المعروف كان معلما في إحدى الكتاتيب، يأخذ الخبز من الأطفال أجرا له، وقد أسهم كثير من المسلمين في إنشاء الكتاتيب لتعليم الأطفال، وتنافسوا في بنائها للتقرب إلى الله، ونشر التعليم من الأغنياء والفقراء، وكانت الكتاتيب تلحق بالمساجد حينا وتبعد عنه أحيانا، وكان المعلمون من المسلمين ينظرون إلى الأطفال نظرة واحدة دون تمييز بين الغني والفقير، في المساواة وفي المعاملة والتعليم[4].

---

(1) أحمد محمد زيادي، ابراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 78.

(2) المرجع نفسه، ص 79.

(3) المرجع نفسه، ص 79.

(4) المرجع نفسه، ص 79.

وكانت التربية في الإسلام، تربية ديمقراطية لا تعرف التفرقة ولا تعرف نظام الطبقات، ولم يكن لدى المسلمين مدارس خاصة بالأغنياء والأشراف، فكان يتعلم فقيرهم مع غنيهم في مكتب واحد ومدرسة واحدة وفصل واحد من غير تمييز لهذا على ذاك، فمبدأ المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص كان مراعى لدى الجميع، فالتعليم في الاسلام لم يكن محتكرا ولم تستحوذ عليه طبقة لأنها غنية ولم تحرم منه طبقة لأنها فقيرة.

وفي الإسلام لم يكتف بتعليم الأطفال مجانا دون مقابل، فقد كان الطعام والكساء يقدمان لهم في بعض الكتاتيب وفي بعض العصور الإسلامية كان بعض المعلمين يهتمون بالتعليم بدون أجر ابتغاء مرضاة الله، وبعضهم يقبلون أجرا زهيدا حتى يحصلوا فقط على الضروريات في الحياة لا أكثر[1].

كيف كان يجري التعليم في الكتاتيب:

كان الطفل يرسل إلى الكتاب الذي كان يكون في الغالب إلى جانب المسجد وقد يكون بعيدا عنه، ونادرا جدا ما يكون فيه لعدم تحرز الأطفال عن الوساخة والضوضاء، وكان يشرف على الكتاب معلم قارئ حافظ مثقف، يتخذ التعليم حرفة ومكتسبا، وقد يشترك أكثر من معلم واحد في كتاب واحد إذا كان عدد الأطفال كثيرا ولم تكن للحكومة أية رقابة على هذه الكتاتيب إلا حينما وجدت وظيفة المحتسب، وكان الآباء ينتقون لأبنائهم الكتاتيب، ويتفقون مع معلميهم على الأجر، ويشارطونهم على مقدارها أسبوعا أو مشاهرة، كما يشارطونهم على ما يجب أن يتعلمه أبناؤهم، ولم يكن الكتاب في الغالب دار متعددة الغرف كما هو الحال اليوم في دور الحضانة أو المدارس الابتدائية أو الأولية، وإنما هي غرفة واسعة أو ضيقة، وغرفتان على الأكثر متواضعة الفرش والأثاث تتسع لعدد من الاطفال يشرف عليهم المعلم والنقيب.

وكان من العادة أن يذهب الطفل إلى الكتاب مبكرا فيبدأ يومه يحفظ جزء من القرآن الكريم، وبعد أن يحفظه يبدأ بالنسخ والكتابة والتمرن على تجويد الحفظ إلى وقت الظهر، ثم يعود إلى بيته للغذاء، أو يتغذى في الكتاب، ثم يبدأ عمله ثانية بعد صلاة الظهر حتى فترة العصر، يقرأ ويكتب إلى حين الانصراف إلى أهله بعد العصر.

وكانت عطلة الأطفال الأسبوعية تبدأ من نصف يوم الخميس وطول يوم الجمعة حتى يتمكنوا من الاستراحة[2] بالإضافة إلى أيام عيد الفطر الثلاثة، وأيام عيد الأضحى الخمسة، وبعض عطل أيام المناسبات كيوم ختم أحدهم القرآن أو طهوره أو ما شابه ذلك.

وأما عن مدة بقاء الطفل في الكتاب فكانت بين خمسة أعوام إلى ستة ويبدأ من سن الخامسة أو السادسة من عمره إلى سن العاشرة أو الحادية عشرة، يحفظ الطفل خلالها القرآن الكريم كله أو بعضه عن ظهر قلب، رواية واتقانا، كما يتقن فيها فني الكتابة والخط، ويلم بمبادئ العربية ومبادئ الحساب الأولية.

---

[1] أحمد محمد زيادي، ابراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 79.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

وكان في الكتاب عقوبات يتلقاها الطفل المخطئ أو المهمل أو الكسول، وأول تلك العقوبات التوبيخ وحده ثم أمام زملائه، ثم التهديد العلني ثم الضرب باليد أو العصا[1].

وإذا أكمل الطفل مدة الدراسة في الكتاب وحفظ القرآن أو رواه، امتحنه المعلم لمعرفة ذلك أو التأكد منه، فإذا اجتاز الامتحان احتفل بالختمة، ثم يدخل بعد ذلك الحياة العملية، ويبدأ الدراسة الثانوية فالعالية إذا ما أراد ذلك.

ومن أشهر معلمي الكتاتيب "الضحاك بن مزاحم" 105هـ. و"الكميت بن زيت" 126هـ. و"عبد الحميد الكاتب" 132هـ.

فلقد كان الكتاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحالي إلى حد كبير، وكان من الكثرة بحيث "ابن حوقل" 300 كُتاب في مدينة واحدة من مدن صقلية. وكان بعضها من الاتساع أحيانا بحيث يضم الكُتاب الواحد مئات وآلاف الطلاب، وسبق وأن ذكرنا ان كُتاب "أبي القاسم البلخي" كان يتعلم به 3000 تلميذ، وكان كُتابه فسيحا واسعا بحيث يحتاج إلى أن يركب حمارا ليتردد بين طلابه، وليشرف على شؤونهم[2].

ولقد كان بيت "الأرقم ابن أبي الأرقم" أول مؤسسة تربوية، وبعد الهجرة لم تعد دار الأرقم وغيرها تتسع لأعداد المسلمين، وإنما أصبح المسجد هو المؤسسة التربوية في الإسلام، ولم تظهر المؤسسة التربوية الثالثة إلا بعد فترة طويلة من الحكم الأموي ألا وهي المدرسة.

وكان الشخص الذي يقوم بالتدريس في هذه الكتاتيب شخص يدعى معلم الصبيان "المؤدب" ويشترط في المؤدب:

أ- أن يكون أمينا على أطفال المسلمين.

ب-حسن الخلق.

ت-أن يكون متزوجا وان يهتم بأولاد المسلمين كأولاده.

ث-أن تكون معاملته حسنة دون تفريق بين غني وفقير.

السن التي يلتحق بها الطفل في الكتاتيب:

لم تكن هناك سن محددة لطلب العلم، إذ كان من واجب المسلم أن يطلب العلم في أي فترة من فترات عمره[3] وفقا لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "**أطلب العلم من المهد إلى اللحد**".

---

[1] أحمد محمد زبادي، ابراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 81.

[2] أحمد فؤاد الاهواني، التربية في الإسلام، المرجع السابق، ص 153.

[3] ابراهيم ياسين الخطيب، توظيف التعليم لتحرير القدس، ص 122، نقلا عن أحمد محمد زبادي، ابراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص82.

وكان على كل فرد أن يقرأ القرآن لأداء الشعائر الدينية، لذلك كان الآباء يعلمون أبناءهم قبل تراكم الأشغال[1]. حيث يتنافس الاطفال في الجلوس المبكر أمام المدرسين للاستماع، ورغم أنه لم تكن هناك سن محددة لإرسال الأطفال إلى الكتاب، إلا أننا نجد بأن معظم المربين دعوا إلى التحاق الأطفال في سن مبكرة، وليس أدل على ذلك من أن "الشافعي" حفظ القرآن وهو ابن سبع[2]، وأن "تاج الدين الكندي" أكمل القراءات العشر وهو في العاشرة.

يروي "الزرنوجي" " أنه ليس لصحيح البدن والعقل عذر في ترك طلب العلم مهما كان عمره، وقال أنه على المعلم أن يشخص طبيعة الطفل المبتدئ ومستوى ذكائه، ويعمله على مقدار قدراته وميوله واستعداداته".

وكان الأطفال يلتحقون بالمدارس بعد دراسة بضع سنين في الكتاتيب، وفي الغالب كانوا يجلسون في حلقات الدراسة في الدراسة في المساجد أو المدارس في سن العاشرة أو الحادية عشرة، ويستمرون في الدراسة لعشر سنوات.

وكان التعليم فرديا، أي أن المؤدب يعني بكل طفل على حده، وفي هذا تلتقي التربية الإسلامية مع التربية الحديثة التي تأخذ بتفريد التعليم.

مواد التعليم في الكتاتيب:

كان الأطفال يبدأون دراستهم بحفظ قصار السور من القرآن الكريم[3]، عن طريق التلقين بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض أصول الحساب، وحفظ المأثور من الحكم، وقصص الأنبياء، وحاكيات الأبرار، والخط، وبعض الاشعار التي تخلو من المجون والخلاعة، وتحث على الأخلاق والفضائل.

وكان المؤدب يبذل جهده لتحسين خطوط الأطفال، وكان الصبيان يتعلمون الخط في الشعر والنثر، ولا يتعلمونه بالآيات القرآنية، تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الأطفال له بالإثبات والمحو[4]، وكان المعلمون يركزون على تحفيظ البنات سورة النور[5].

وكان المعلم يدرب الاطفال على النحو على غيرهم، والتعامل الحسن فيما بينهم، واحترام كل من هو أكبر سنا، ويعودون على التواضع، والإكرام لكل من عاشرهم، وطاعة الوالدين والانقياد لهما والبر بهما، ومساعدتهما، وتقبيل أيديهما عند الدخول عليهما، كما يعلمونهم حسن الحديث، وتبصيرهم مواقع

---

(1) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 302.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ1، المرجع السابق، ص 3.

(3) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص 103.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 33/8.

(5) أحمد الشلبي، تاريخ التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 57.

الكلام، وبدئه ونهايته وعدم الضحك إلا في أوقاته، والإقلال من الكلام، والكف عن لغو الكلام، وفحشه، والاعتماد على النفس.

وكانت تقام الاحتفالات البسيطة للطفل الذي يحفظ القرآن أو يحفظ جزءا منه، فكانت الحلوى توزع، ويعطي المعلم هدية، ويركب الطفل على حصان، ويزف في الحارة ابتهاجا في حفظه لبعض أجزاء القرآن، ثوابا على المجهود الذي بذله الطفل في التعليم.

أساليب التدريس في الكتاتيب:

كانت طريقة التعليم في الكتاتيب هي أن يقرأ المعلم آية من القرآن ثم رددها الطفل حتى يحفظها، فينتقل إلى آية أخرى سواها، أو يكتب الآيات المطلوبة في لوح من الحجر أو اللخاف أو العظام أو الجلود ثم يحفظها، فإذا حفظها محاها في إجانة ماء يلقى به في مكان طاهر فتبتلعه الأرض[1].

ويفهم من ذلك أن الوسائل التعليمية ومن بينها اللوح استخدم في الكتاتيب منذ وقت مبكر جدا، فقد روي عن أم الدرداء أنها كتبت على لوح من هذا النوع عبارات في الحكمة ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة القراءة[2]. كما يفهم أن طريقة التدريس كانت تعتمد على الحفظ والاستظهار، وتعرف هذه لطريقة في علم التربية الحديثة بالتعليم اللفظي... فالمنهج المتبع بطبيعته يتجه إلى التعليم اللفظي، ويعتمد على الذاكرة، وبخاصة إذا عرفنا أن القرآن وهو أهم العلوم يجب حفظه بألفاظه دون تحريف أو تبديل[3]، ولهذا السبب كانت الطرق التعليمية التي أوصى بها القابسي لا تخرج عن الطرق الموصلة إلى جودة الحفظ، وعدم النسيان فيما يختص بالقرآن... ويرى أن طرق الحفظ ثلاث: التكرار والميل والفهم..[4].

وقد أيدت التجارب الحديثة في علم النفس أن الحفظ مع الفهم أسرع وأثبت، وأدعى إلى عدم النسيان، وأقوى على الاسترجاع[5].

ولتنفيذ هذه الطريقة في التعليم كان الذين يعلمون في الكتاتيب يسمون معلمو الكتاب أو معلموا الصبيان، أما من انشغل منهم في تعليم أبناء الخاصة فيسمى مؤدبا. ومن أشهر هؤلاء المعلمين والمؤدبين

---

(1) محمد أسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1957، ص 78.

(2) أحمد الشلبي، تاريخ التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 26.

(3) القابسي،(324هـ-403هـ/936م-1012م)، هو علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني، أبو الحسن القابسي، عالم المالكية بافريقية في عصره. كان حافظا للحديث وعلله ورجاله، فقيها أصوليا أعمى. من أهل القيروان، له تصانيف منها "المهد" كبير جدا، في الفقه وأحكام الديانات، و"المنقذ من شبه التأويل"، و"مخلص الموطأ-خ" و"الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين-خ". انظر خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ5، ط2، المصدر السابق، ص 145.

(4) أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 182.

(5) صالح دياب الهندي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ط 1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990، ص 92.

الذين عرفهم التاريخ "الحجاج بن يوسف الثقفي"، و"الضحاك بن مزاحم"، و"الكميت بن زيد" و"عبد الحميد الكاتب"، وكان يشترط في المؤدب أن يكون تقيا، أمينا على تعليم الصبيان، خلوقا، متزوجا، صاحب ثقافة واسعة...[1].

2. تعليم الأطفال في المسجد بعد التعليم الأولي في الكتاتيب:

يرتبط تاريخ التربية الإسلامية ارتباطا وثيقا بالمسجد، والحديث عن المسجد حديث عن المكان الرئيسي لعبادة الله وتعليم ونشر الإسلام وأحكامه. ويعد مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام، حيث ارتبط بناء المسجد بالدعوة الإسلامية منذ يومها الأول، وكما يروي "البلاذري"[2] أن هذا المسجد أسسه الذين هاجروا من مكة إلى المدينة قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد ورد في كتاب إحياء علوم الدين "للغزالي" أن حلقات العلم كانت تعقد في مسجد قباء، ويلتقي فيه المسلمون ليعلموا ويتعلموا دينهم ودنياهم[3].

وبتوسع الإسلام كثرت المساجد وازداد انتشارها، وصبح من المتبع أن يبنى مسجد أو اكثر في كل مكان فتحه المسلمون، أو في كل قرية أو مدينة أسسوها، ولعل ما يؤكد ذلك انتشار المساجد وحملها أسماء القادة والفاتحين المسلمين الأوائل في العواصم والحواضر الإسلامية.

وقد ارتبط المسجد بالتعليم والثقافة الإسلامية للأسباب التالية:

أ- إن الدراسات في أيام المسلمين الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه، وهذه المهمة تتصل بالمسجد أوثق الاتصال.

ب-إن التلقي والتعليم والتثقيف متاح للجميع في المسجد، وهذا يفسر دعوة المسلمين إلى لتبكير في إنشاء المساجد، ذلك لأن بيوتهم الخاصة كانت تضيق بهم إذا اجتمعوا، ولا تتيح لهم حرية العبادة واللقاء كما يرغبون، فكان تأسيس المسجد الذي أطلقوا عليه بيت الله، إشارة إلى أنه لا يحتاج الداخل فيه إلى استئناس ولا استئذان.

ت-إن المسجد يتيح للمتعلم الكثير من الخبرات التي لا يحصل عليها في غيره، فقد اتخذه المسلمون بيتا لعبادة الله والتقرب إليه، ومعهدا للثقافة الإسلامية والتربية الدينية، ومدرسة لتعلم قواعد الإسلام وأحكام الدين، ومحكمة للقضاء العادل، وميدانا لاجتماع الجيش الباسل، وبيتا لاستقبال السفراء، ومركزا للحياة الروحية والاجتماعية والسياسية.

---

[1] أحمد الشلبي، المرجع السابق، ص 36.

[2] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري،توفي(279هـ-892م)، مؤرخ، جغرافي، نسابة، له شعر. من أهل بغداد، جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد، من كتبه: "فتوح البلدان"، "القرابة وتاريخ الأشراف"، ويسمى"أنساب الأشراف"، و"كتاب البلدان الكبير"،انظر الأعلام، للزركلي، جـ1، المصدر السابق، ص252.

[3] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 93.

ث–إن المسجد أفضل مواضع التدريس، وأسباب ذلك كما يقول "العبدري":[1] لأن الجلوس للتدريس فيه إنما فائدته أن تظهر به سنة، أو تخمد به بدعة، أو يتعلم به حكم من احكام الله تعالى، والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافرا، لأنه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم، وعالمهم وجاهلهم[2].

مواد التعليم في المساجد:

سبق وأن ذكرنا أن الكتاتيب كانت ملحقة في كثير من الاحيان بالمساجد، وتحتل زوايا منها، وظل القرآن الكريم في الكتاتيب والمساجد وحتى إلى يومنا هذا محورا لمواد التعليم وبخاصة تعليم القراءة والكتابة وأصول الدين كالحديث والفقه، ويمكن الصورة التي كانت عليها مواد التعليم في المساجد على النحو الآتي:

أ – مواد التعليم في صدر الإسلام والعصر الاموي:

كان محور التعليم في المسجد القرآن والحديث وأخبار العرب واللغة قراءة وكتابة. ففي المسجد النبوي والمساجد الأولية الأخرى التي شيدت في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخلفائه كانت تقوم حلقات العلم ومجالس القصاص الذين كانوا يذكرون الناس ما نسوا من أمر الآخرة، ويعلمونهم أمور دينهم، ويمزجون ذلك ببعض ضروب من العلم والحكمة والمعرفة والموعظة الحسنة من نثر ونظم، وقد ظهر هؤلاء القصاص في عهد أو زمن مبكر جدا، ويقال أن اول من قص في المسجد النبوي هو الصحابي العالم "تميم الداري"، فقد رووا أنه كان يحلق حوله حلقات يعظ فيها الناس في مسجد النبي كل يوم جمعة قبل الصلاة في أيام عمر بن الخطاب[3].

ب– مواد التعليم في العصر العباسي وما بعده:

تطورت الحياة الاجتماعية في هذا العصر، وتنوعت تبعا لذلك العلوم العديدة، وبتنوع العلوم تنوعت حلقات الدرس، فكان منها لتدريس الفقه والحديث، ولرواية الشعر والأدب، والأنساب وأخبار الأمم والحساب والفلك والطب وغيرها.

---

(1) العبدري، أحمد بن علي العبدري ثم الميورقي، فاضل مالكي، من أهل الطائف(بالحجاز)، ووفاته فيها بوجّ في(678هـ–1280م)، أصله من المغرب، له"بهجة المهّج في بعض فضائل الطائف ووُجّ"، انظر الأعلام، للزركلي، جـ1، المصدر السابق، ص170.

(2) محمد عطية الأبرشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، المرجع السابق، ص 78 – 79.

(3) محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص 61 – 62.

فكان المعتزلة[1] يمارسون علم الكلام[2] ويعلمونه في مسجد "المنصور" ببغداد، كما درس الطب والميقات (الفلك) بجامع أحمد بن طولون في القاهرة.

وأخذت المساجد سمة المساجد الجامعة التي تجمع بين العبادة والتدريس في مواد تعليمية متخصصة إلى حد كبير. ومن اشهر المساجد التي اتخذت للتدريس مساجد مكة والمدينة والكوفة، ومسجد عمرو بن العاص بالقاهرة، والمسجد الأموي بدمشق، ومسجد المنصور ببغداد، ومسجد القيروان بتونس، ومسجد قرطبة في الأندلس، والمسجد الأقصى في القدس الشريف، والجامع الأزهر في القاهرة الذي يعد الآن من اشهر العلوم الدينية والدنيوية من طب وهندسة وصيدلة وغيرها.

ويمكن أن نتخذ المسجد الأزهر نموذجا لما كان عليه الحال في المساجد من حيث البرنامج الدراسي المتبع، فقد كان من العادة أن يجعل الصباح المبكر بعد صلاة الفجر للتفسير أو الحديث، والضحى للفقه، وتجعل الدراسة في الظهر للنحو أو المعاني أو البيان أو البديع أو الأصول، وبعد العصر تدرس العلوم الحديثة، وبين المغرب والعشاء تدرس مواد اختيارية مختلفة، ويتمرن كبار الطلاب على التدريس للمبتدئين منهم[3].

أساليب التعليم في المساجد:

كان التعليم في المساجد حرا، فكان الطالب حرا في اختيار أساتذته، يختار من يشاء، ويجلس في الحلقة التي يريدها، ويعتمد على نفسه في إعداد دروسه، ويطلب العلم لذات العلم، وليس لديه امتحان شهري أو سنوي، ولم يكن هناك من يحاسبه على الحضور أو الغياب، وتختلف سعة الحلقة باختلاف العلماء ومهاراتهم.

وكان الطلاب قبل أن يحضروا حلقة الدرس، يعدون المطلوب منهم اعدادا تاما، بحيث يقرأون المتن وشرحه، وما كتب عليه في الشرح والحاشية مرة أخرى أو أكثر، جماعات أو فرادى، وإذا وجدوا صعبة ولم يستطيعوا حلها سألوا الشيخ عنها وقت الدرس[4].

---

[1] المعتزلة: فرقة إسلامية،غلّبت العقل على الأصول والأدلة والقياسات الأخرى،مؤسسها هو واصل بن عطاء على أشهر الأقوال، ويختلف العلماء في وقت ظهورها،من أشهر رجالهم: واصل بن عطاء، ومحمد بن الهذيل العلاف، وابراهيم بن سيار النظّام... وغيرهم، انظر الموسوعة العربية العالمية، جـ23، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1416هـ/1996م، ص440-441.

[2] علم الكلام ويسمى أيضا علم التوحيد، فهو يعتمد على النظر العقلي في إثبات العقائد الإيمانية،ويبحث في ذات الله وصفاته وأفعاله في الدنيا والآخرة كالحشر والبعث الرسل...،انظر المعجم الفلسفي، لجميل صليبا، جـ2، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م، ص235.

[3] صالح عطية الأبرشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، المرجع السابق، ص 83.

[4] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 95.

وكان للشيخ أو الأستاذ مكانه الخاص في المسجد، يوضع له كرسي بجوار يعرف به، وكان يعد درسه في عدة كتب، ويطلع على كثير من المراجع، حتى يستحضر أطراف المسائل، ويستعد للإجابة عنها..

وكان الطلبة إذا جلسوا في حلقة حول الشيخ قال في بدء الدرس الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أخذ يشرح الدرس، ويوضح ما عينه لهم في الدرس السابق، وقرأ لهم التعيين في الكتاب، وقابلوا عليه الدرس بكل دقة، وسألوه عما صعب عليهم من الاسئلة، وشرح لهم ما بدا أمامهم من الصعوبة، وبعد الانتهاء من الدرس يعين لهم درسا لإعداده لليوم التالي. وكان من عادة الأذكياء والنابهين من الطلبة أن يطالعوا للباقين درس الشيخ مطالعة بحث وفهم وتدقيق، حتى الأزهرية القديمة، وتتفق في كثير من المبادئ مع طريقة دالتون في التربية الحديثة[1].

ولم يكن يقوم بوظيفة التدريس في المساجد إلا العلماء المعرفون بسعة الإطلاع وغزارة المادة، والقدرة على حل المشكلات العلمية، والإجابة عن كل اعتراض من الطلبة الذين يجتمعون حولهم، وفي النهاية كان يجري امتحان لكل من يريد التدريس من المستجدين في أحد عشر علما وهي: التفسير والحديث والأصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق[2].

ومن كل ما سبق يمكن أن نستخلص أبرز اساليب التعليم التي شاعت في المساجد:

أ- الحلقات لتي تشبه اليوم الندوات العلمية أو حلقات البحث والتي تعتمد على المناقشة والمجادلة وتبادل الرأي ولمناظرة وطرح الدليل.

ب-الشرح والعرض والبيان وهي من الأساليب المتبعة اليوم.

ت-الحفظ والاستظهار للنصوص القرآنية والأدبية وما تتضمنه الحواشي، إذا كان الطلبة يحفظون الكثير من المتون في المواد المختلفة لاعتقادهم أن من حفظ المتون حاز على الفنون.

ث-التدريس والإعداد والتهيئة واعتماد نظام المعيد الذي يتبع في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي.

ج- القصص، ومما يجب ملاحظته أن التعليم كان يماشي القصص، ولا نستطيع أن نميز بين النواحي التعليمية والنوحي القصصية في عمل القصاصين، فقد كانوا يمزجون بين معلومتهم ومواعظهم مزجا يصعب التمييز بينهما، وكان لهؤلاء القصاصين كراسي يجلسون عليها،

---

[1] محمد عطية الابراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، المرجع السابق، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص 82 – 83.

ويشرفون منها على طلاب الفقه والحدث وطلاب العلم والمعرفة، كما كانوا يحلقون حولهم حلقات صغيرة أو كبيرة[1].

وهكذا يتبين لنا أن المسجد كان بمثابة مؤسسة تعليمية فريدة خاصة بالمجتمع الإسلامي، نشأت من دون نموذج سابق لها، وظلت من دون نظير يماثلها، عنيت أولا بالكبار، فكانت نموذجا للمؤسسات غير النظامية في تعلمها، وضمت إليها تعليم الصغار في كثير من الأحيان، غير أنها برزت أكثر وبشكل واضح في الحلقات المتخصصة، فكانت بهذا طلائع لمؤسسات التعليم العالي[2].

3. التعليم في المدارس النظامية:

ظهرت المدارس النظامية إلى الوجود عند نهاية القرن الرابع الهجري حتى تشارك المساجد في وظائفها التعليمية، وتقوم بدورها المتخصص في التعليم على مستوى عال. وقد نشأت هذه المدارس للأسباب التالي:[3]

أ- ازدياد اقبال الناس على التعليم وبالتالي عدم مقدرة المساجد على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب والمصلين.

ب-كثرة الحلقات التعليمية في المساجد بجانب الصلاة والعبادة، وشعور المسلمين بالحاجة إلى إنشاء مدارس علمية ومعاهد عالية، تجنبا للضجيج في المساجد الضيقة أثناء الدرس، بسبب الجدل والمناقشة في الدروس.

ت-قيام الدولة بمسؤولياتها في التعليم، وفي تنظيم الدراسة والإشراف عليها واستمرارها بتوفير المتطلبات اللازمة لها.

ث-المحافظة على الدين الإسلامي بتقوية مذهب أهل السنة ومواجهة أفكار الشيعة التي نشرها البويهيون.

حيث يرى "المقريزي" في كتابه "الخطط" أن المدارس لم تعرف في عهد الصحابة والتابعين، ولم تنشأ إلا في نهاية القرن الرابع الهجري، وأن أهل نيسابور أول من بنوا مدرسة في الإسلام وسموها المدرسة "البيهيقية"[4]. غير أن المدارس النظامية تنسب إلى الوزير السلجوقي العظيم "نظام الملك"، الذي أسس أول مدرسة نظامية في بغداد عام 459هـ. ويعد عمل نظام الملك هذا أول عمل رسمي قامت به الدولة الإسلامية لتنظيم الدراسة وترتيبها بتهيئة الأسباب وإيجاد المواد الضرورية، وإعداد الرواتب والنفقات

---

[1] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص 62 - 63.

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، استراتيجية تطوير التربية العربية، ط1، تنس، 1979م، ص 62.

[3] أحمد الشلبي، المرجع السابق، ص 94.

[4] محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، المرجع السابق، ص 94.

للأساتذة والطلاب، وتثبيت بعض التقاليد التي كانت غير مستقرة من قبل، مما يتعلق بأنظمة الدروس وتقاليد العلم[1].

وبفضل المدارس النظامية خصصت مرتبات ثابتة للمدرسين، وزود الطلاب في حالات كثيرة بالسكن، مما ساعد بالضرورة على إيجاد نظام ثابت وتقاليد للتدريس والإدارة.

وقد تسابق الخلفاء والأمراء المسلمون في بناء المدارس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وأعدوها إعدادا كاملا، وبنوا في كل مدرسة كبيرة إيوانا، أي قاعة متسعة للمحاضرات، بحيث تسع عددا كبيرا من الطلبة المتشوقين لطلب العلم، وقسما داخليا ليقيم فيه الطلاب، ومساكن خاصة للمدرسين والعلماء، وجميع وسائل الراحة من المرافق ودورات المياه والمطابخ والمطاعم. وكان لكل مدرسة إيراد خاص يؤخذ من الاوقاف التي وقفت على المدرسة للإنفاق على طلبتها وأساتذتها[2].

ومن أشهر المدارس النظامية التي عرفها التاريخ الإسلامي المدرسة النظامية في بغداد، والمدرسة المستنصرية في بغداد، والمدرسة الناصرية في القاهرة، والمدرسة النورية الكبرى في دمشق، والمدرسة الصلاحية في القدس الشريف[3].

مواد التعليم في المدارس:

ارتبطت مواد التعليم في المدرس بأهداف التعليم عند المسلمين، وبطبيعة ظروف حياتهم. وقد اختلفت آراء المربين والمفكرين المسلمين حول هذه الأهداف، ومن يمعن النظر في دراسة آرائهم لمعرفة أهداف المسلمين في التعليم يرى أن أهدافهم انحصرت في ثلاثة: أهداف دينية، ودنيوية، وعلمية[4]. ونتيجة لذلك قسموا العلوم إلى درجات أو مراتب، حيث رأوا أن أول ما يجب على الطالب دراسته بعد القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية والعلوم العربية هو علم التفسير ثم علم الحديث ثم علم أصول الدين ثم علم أصول الفقه ثم الفقه ثم علم الخلاف بين المذاهب الإسلامية... وقال بعضهم بتقديم علم النحو واللغة العربية على العلوم الأخرى[5].

وإذا تصفحنا وتتبعنا المناهج التي ذكرها المؤلفون الإسلاميون في كتبهم قديما وحديثا نجد أنها تدور حول محورين:[6]

أولهما: محور المواد الواجب دراستها: ويشمل هذا المحور تعليم القراءة والكتابة ودراسة القرآن الكريم وبعض أخبار السنة ومعرفة مبادئ الدين والعربية والحساب وترويض الجسم.

---

(1) محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص 126.

(2) صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 98.

(3) المرجع نفسه، ص 98.

(4) محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص 144.

(5) المرجع نفسه، ص 145.

(6) المرجع نفسه، ص 147.

ثانيهما: محور المواد الاختيارية ويستهدف هذا المحور التوسع في دراسة علوم القرآن الكريم والدين وبحوث اللغة وآدابها ودراسة الحساب وغيرها من علوم الطلب والهندسة والفلك.. إلخ.

ونستنتج من ذلك أنه بعد نشوء المدارس، وتطور الحياة الإسلامية، تطور التعليم ليواجه متطلبات الحياة الجديدة، وليخدم من خلال ذلك أمور الدين ولدنيا بشكل متخصص وعميق في المواد التعليمية. وليس بالغريب في ذلك إذا عرفنا رأي "الغزالي" الذي يعتبر هذه المواد العلمية من فروض الكفاية فيقول: "أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان على الصحة، والحساب فهو ضروري في المعاملات وقسم التركات والوصايا والمواريث وغيرها، وهذه العلوم لو خلا البلد عمن يقوم بها جرح أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، فلا تتعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفاية، فأصول الصناعات أيضا من فروض الكفاية كالملاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة"[1].

وهكذا عملت المدارس النظامية واجتهدت في ترقية مستوى التعليم، وخدمة متطلبات الحياة الإسلامية، فازدهرت العلوم والصناعات الإسلامية، وأصبحت العلوم تدرس في مدارس متخصصة كالطب الذي كان يدرس في مدارس القاهرة وبغداد ودمشق والقدس، ويدرب طلبته في المستشفيات تحت إشراف أطباء مهرة أكفاء. وكالنحو الذي كان يدرس في المدرسة النحوية في القدس، وفي المدرسة المعظمية في دمشق، وكذلك كان الحال بالنسبة لعلم الحديث الذي كان يدرس في المدرسة الكاملية في القاهرة، ودار الحديث، والنورية في دمشق... إلخ[2].

أساليب التعليم في المدارس:

اعتمدت المدارس النظامية أساليب مختلفة ومتنوعة في التعليم كان من أبرزها:[3]

أ- أسلوب المحاضرة والمناقشة والعرض وهي من الأساليب التي استخدمت في الكتاتيب وظلت دارجة في المدارس النظامية.

ب-أسلوب المناظرة بين الطلبة وبين الطلبة والمدرسين لإثراء المعلومات أو الكشف عنها الوصول إلى الحقائق.

ت-أسلوب الرحلة في طلب العلم حين تفرق الأئمة من العلماء والقراء في الأقطار الإسلامية النائية بعد أن اتسعت رقعة ديار الإسلام. فكثيرا ما كان الطلبة يسافرون من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق لتلقي العلم في مدارسه، وحسبنا في ذلك أن نذكر الوقفيات التي أوقفت

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ1، المصدر السابق، ص 232.

[2] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 99.

[3] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص 150.

على طلبة العلم المغاربة من قبل القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي في القدس الشريف، حيث تجمع فيها أولئك الطلبة، وحملت اسمهم "حارة المغاربة إلى يومنا هذا".

ث-أسلوب الإملاء والتدوين: وهي من أساليب التعليم التي شاعت في المدارس الإسلامية، وبخاصة في تدريس العلوم الدينية كعلم الحديث.. وهذا الأسلوب لا يزال متبعا في التدريس حسبما يتطلبه الموقف التعليمي. حيث كان من عادة المعلم أو المدرس أن يملي فيسمعه الطالب فيقوم بتدوين وتسجيل ما يسمعه في دفتره الخاص. وقد أفرد المربين المسلمين السابقين أدبا "خاصا" اسموه أدب الإملاء والاستملاء كما فعل "ابن السمعاني"، نظرا لأهمية هذا الأسلوب[1].

4. التأديب في القصور والبيوت الخاصة:

كانت قصور العظماء وبيوت العلماء قبل انتشار المدارس تعد أمكنة للحلقات والاجتماعات العلمية والأدبية، يؤمها الطلاب الراغبون في البحث والعلم ودراسة بعض الكتب.

وقد ظهر التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء كي يجد فيه أبناء هؤلاء ما يؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها في المستقبل، وقد ارتبط هذا النوع من التعليم والتأديب في القصور بالتعليم في الكتاتيب، لأن مهمتهما تغذية الصبيان بنوع من الثقافة وقليل من المعرفة.

غير أن التعليم والتأديب في القصور يختلف عن الكتاتيب لأن منهاج التعليم في القصور والبيوت يضعه الأب أو يشارك في وضعه ليكون ملائما لابنه، كما أن المعلم في القصور لا يسمى معلم صبيان أو معلم كتّاب، بل يطلق عليه لفظ مؤدب. واشتق اسم المؤدب من الأدب، والأدب إما خلق أو رواية، وقد أطلق اسم مؤدب على معلمي أولاد الملوك إذ كانوا يتولون الناحيتين معا كما ذلك الجاحظ في رسالة المعلمين[2].

وكان المتعلم في هذا النوع من التعليم والتأديب يتلقى العلم حتى يجاوز عهد الصبا، وينتقل من مستوى تلميذ الكتاب إلى مستوى الطالب في حلقات المساجد أو المدارس.

وكان كثيرا أيضا ما يخصص للمؤدب جناح في القصر يعيش فيه ليكون إشرافه على الطفل الأمير أحكم وأشم.

ذلك أن عمل المؤدب لا يقتصر على التعليم فقط بل يشمل تأديب الطفل وإكسابه طريقة التعامل مع الآخرين، وأدب الحديث والتوجيهات التي يراها ولي أمر الطفل ضرورية لحياة الطفل المقبلة.

---

[1] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 100.

[2] المرجع نفسه، ص 100، وانظر أيضا أحمد محمد الزبادي وإبراهيم ياسين الخطيب، في صورة الطفولة في التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 91.

إذن فالتعليم في القصور لم يكن مجرد تعليم فحسب وإنما كان تأديبا وتربية لأبناء الملوك والعظماء. ولعل طبيعة التعليم في القصور وأهدافه تتضح مع وصية "عبد الملك بن مروان" لمؤدب ولده، تلك الأهداف التي تتجاوز التعليم لتشمل تربية المؤدب عقل الولد وقلبه وجسمه[1].

ويتضح من مضمون رسائل الملوك والخلفاء والعظماء لمؤدبي أبنائهم، أن المنهاج الذي كان يتبع في تأديبهم يلتقي في أسسه العامة مع منهاج التعليم الذي وضع لجميع الصبيان، باستثناء مع ما يضيفه أو يحذفه الوالد تمشيا مع رغبته في إعداد الصبي إعدادا خاصا يلائم المسؤوليات التي ستواجهه في حياته المستقبلية. وفيما يلي نماذج من الإرشادات لتي وضعها الآباء بين أيدي المؤدبين ليسيروا في ضوئها وليعملوا على تحقيقها[2].

- قال "هشام بن عبد الملك" "لسليمان اللكبي" لما اتخذه مؤدبا لولده: إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد ولّيتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم، وبصّره طرفا من الحلال والحرام والخطب والمغازي.
- ومن أحسن المناهج التربوية التي قدمها الآباء للمؤدبين ذلك المنهج الشامل الذي تقدم به "هارون الرشيد" "للأحمر" معلم ولده "الأمين" وفيه يقول: يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيِّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرّفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السّنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تَمُرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مساحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشّدة والغلظة[3].

ومثلما كانت القصور مكانا لتأديب الأمراء وولاة العهد من أبناء الخلفاء، كانت المنازل الخاصة للعلماء مركزا لطلبة العلم الراغبين فيه، يتوافدون عليها بشكل دائم ومستمر. حيث كان الشيخ الرئيس "ابن سينا" يدرس لطلبته كتاب "الشفاء" وكتاب "القانون" في بيته ليلا لأنه كان مشغولا بعلاج المرضى نهارا. كما اعتاد الطلبة والمدرسون الذهاب إلى دار الإمام "أبو حامد الغزالي"، ليستفيدوا من علمه ودراسة بعض الكتب معه. ويخبرنا التاريخ أن قصور الخلفاء والأمراء والقادة مثل معاوية بن أبي سفيان والمأمون كانت تقام فيها الحلقات والندوات والمناظرات الأدبية والعلمية حتى صارت بمثابة الجامعات في عصرنا هذا.

---

[1] أحمد الشلبي، تاريخ التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 37.

[2] المرجع نفسه، ص 39.

[3] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 101.

وإلى جانب المؤسسات التعليمية التي سبق ذكرها ظهرت مؤسسات تجمع بين شؤون الثقافة العامة، وتشجيع الحركة العلمية وما تتطلبه من نقل الكتب من اللغات الأجنبية، ومن إنشاء مراكز علمية وثقافية كالمراصد والمكتبات، وقد عرفت أول هذه المؤسسات بدار الحكمة التي أنشأها المأمون. وظلت دار الحكمة التي هي أقرب إلى التعليم العالي تقوم برسالتها من نسخ وترجمة إلى جانب التدريس وبخاصة تدريس العلوم الدنيوية كالعلوم الرياضية والطب لغاية استيلاء التتار على بغداد. وقد أنشأ "الحاكم بأمر الله" في القاهرة دارا للعلم على غرار دار الحكمة في بغداد[1].

تأديب الإناث في البيوت:

حث الإسلام على تعليم الإناث وتأديبهن، وقد أقرّ الفقهاء ومنهم "القابسي" بحقهن في التعليم للضرورة الدينية، لأن المؤمنين والمؤمنات مكلفون جميعا بنص القرآن لكريم، دون تمييز بين الجنس، ولا تتيسر معرفة الدين إلاّ بنوع من التعليم. فليس ما يمنع من تعليمهن كما يتعلم الصبيان، وليس ما يمنع من ذهابهن إلى الكتاتيب في الصغر، ونستدل مما كتبه "القابسي" أن البنات كن يتعلمن في الكتاتيب حيث قال: "ومن صلاحهم ومن حسن النظر لهم ألا يخلط بين الذكران والإناث"، وقال "ابن سحنون": "أكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان، لأن ذلك فساد لهن"[2]. ومن ذلك يظهر أن "القابسي" و"ابن سحنون" يريان فصل البنات عن الصبيان خشية الفساد، ولعل الخشية على البنات من فساد أخلاقهن هي التي جعلت كثيرين من الفقهاء منذ زمن بعيد يحرمون عليها تعلم الكتابة ويبيحون لها تعلم القراءة وقراءة القرآن ويوصونها بتعلم سورة النور خاصة لما فيها من الوعظ، والتأديب والتعليم المتعلق بها[3]. كما أن الخوف أو الخشية على البنات نتيجة اختلاطهن بالأولاد جعلت الكثيرين من الآباء يعلمون بناتهم على حده، فكان الأمراء يعلمونهن في داخل الدور والقصور، ويجلبون لهن المعلمين والمؤدبين مثلما فعل "أسد بن فرات" فاتح صقلية بابنته "أسماء"، والإمام "ابن سحنون" بابنته "خديجة"، وما كان يجري في قصر الأمير "محمد بن الأغلب" حيث كان المؤدب يعلم الأطفال بالنهار والبنات في الليل[4].

ولولا انتشار التعليم بين البنات لما ورد في كتب الأدب ذكرا لأسماء النساء الكاتبات والشاعرات، ولا سمعنا عن الأديبات من المسلمات كن يعقدن المجالس الأدبية لدراسة الأدب والشعر، ونقد الشعراء والموازنة بينهم، ومن أشهر هؤلاء السيدة "سكينة بنت الحسين"، و"الولاّدة بنت الخليفة المستكفي"[5]. وهذا قد يكون أكبر دليل على انتشار التعليم بين النساء.

---

(1) صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 102.

(2) أحمد فؤاد الهواني، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي، المرجع السابق، ص 95.

(3) محمد سعد طلس، المرجع السابق، ص 92.

(4) المرجع نفسه، ص 93.

(5) محمد عطية الأبرشي، المرجع السابق، ص 88.

هذا وإلى جانب المؤسسات التربوية الأساسية التي كان يتم فيها تعليم وتأديب الطفل المسلم، هناك مؤسسات أو وسائط تربوية أخرى يمكننا الإشارة إليها، نظرا للدور الكبير والمهم الذي لعبته في نشر التعليم في المجتمع الإسلامي، وهي على النحو التالي:

1. دور الحكمة (المكتبات):

لقد شهد تطور الحركة الفكرية والثقافية في العصر العباسي ميلاد دور الحكمة، والذي انتشرت فيه المكتبات انتشارا كبيرا، مع انتشار استخدام الورق في نسخ الكتب، وظهور كثير من الوراقين وانتشار حلقات الأدباء والعلماء.

وقد كانت دور الحكمة مركزا علميا للدراسة والبحث، يفدوا إليها العلماء ومحبوا العلم ليجدوا فيها غايتهم، كما كانت تدرس فيها بعض العلوم، وكان يلحق ببعضها مساكن لإقامة الطلاب، وكان يصرف لهم لغذاء والكساء.

ومن أشهر دور الحكمة، بيت الحكمة "ببغداد"، وبيت الحكمة التونسي في "رقادة"، ودار الحكمة في "القاهرة"، وخزانة سابور للكتب "بالكرخ"، ومكتبة قرطبة... وغيرها من المكتبات المشهورة[1].

وقد أسس الخليفة "هارون الرشيد" بيت الحكمة في بغداد وجمع فيها الكتب المؤلفة والمترجمة، وجعلها مركزا للترجمة... واهتم بها المأمون لشغفه للعلوم والآداب، وألحق بها عددا كبيرا من أشهر علماء عصره مترجميه، وأصبحت مراكزا عظيما للترجمة والنسخ والتأليف والمطالعة.. حيث كانت بيت الحكمة في بغداد أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي. وظلت قائمة حتى استولى المغول – وكبيرهم هولاكو– على بغداد سنة 656هـ، وأحرقوا المكتبة وألقوا بكل ما فيها من كتب في مياه النهر حتى تغير لون المياه من كثرة الحبر على حسب القول[2].

وبالمغرب العربي بنى الأمراء الأغالبة بيت الحكمة التونسي في مدينة "رقادة" بالقرب من القيروان، وأرادوا له أن يضاهي بيت الحكمة الذي اسسه "هارون الرشيد" في بغداد. وينسب بناء بيت الحكمة هذا إلى "إبراهيم الثاني الأغلبي" الذي اشتهر بولعه وشغفه الشديد بحب العلوم والحكمة، وهو الذي أنشأ أيضا مدينة رقادة سنة 264هـ/878م. ومن المرجح أن بيت الحكمة كان ملحقا بقصر رقادة، وكان يشمل على مجالس كثيرة، بعضها للمكتبة وبعضها للنسخ وبعضها للدرس والمناقشة والمناظرة وبعضها الآخر للرصد.

وإلى جانب هارون الرشيد، وأمراء الأغالبة في القيروان، أسس "أبو نصر سابور" خزانة للكتب في عام 383هـ بالكرخ ببغداد، وأسماها دار العلم، وقف عليها أوقافا للإنفاق عليها. وكانت مركزا ثقافيا للبحث والدراسة والإطلاع والمناظرات والمحاورات والمجادلات، يجتمع فيها الباحثون والمتناظرون

---

[1] سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 152.

[2] المرجع نفسه، ص 153.

والمحاضرون والعلماء والأدباء، حيث كان فيلسوف الشعراء الكبير "أبو علاء المعري" لا يتركها ولا ينقطع عنها إذا نزل ببغداد.

وبالقاهرة سنة 395هـ أنشا "الحاكم بأمر الله الفاطمي" دار الحكمة، وكانت أروع من نظيرتها في بغداد وذلك كما أرادها. بحيث يؤكد ذلك وصف "المقريزي" لها بأنها كانت من عجائب الدنيا. ولم يكن لها نظيرا إطلاقا في الأمصار الإسلامية. حيث حوت وضمت عددا هائلا من الكتب ممّا يزيد عن المليون ونصف، في وقت لم تخترع فيه المطابع والطباعة، وضمت أيضا النفيس النادر من المخطوطات في شتى العلوم والآداب. ويروى أنها كانت تحوي أو تضم حوالي ستة آلاف كتاب في الطب وحده[1].

وهناك مجموعة من المكتبات العامة الكبيرة، مثل مكتبة "الموصل" التي كان الطلبة يتزودون فيها بالورق والكتب. ومكتبة "الري" التي كانت تضم عددا هائلا من الكتب لدرجة أن فهارس كتبها بلغت إلى عشرة أجزاء، ومكتبة "البصرة" التي كانت تمنح معاشات شهرية للعلماء المشتغلين فيها[2].

ومكتبة "مرو وخوارزم" التي يروى أن "ياقوت الحموي" قضى فيها ثلاث سنوات يجمع فيها معلومات "لمعجم بلدانه" ومكتبة "القيروان" التي كانت ملحقة بجامع القيروان، وكان لها نظام المكتبات نفسه في الشرق. ومكتبة "قرطبة" التي أنشاها "الحاكم المستنصر" في مقر حكمه بقرطبة، وكانت تضم في خزائنها أربعمائة ألف مجلد، وتحتوي على أربعة عشر مجلدا للفهارس. وكانت تضم الباحثين والعلماء والناسخين والمجلدين والمزخرفين.

هذا بالإضافة إلى مكتبات المدارس التي انتشرت في مصر وسورية والعراق وخراسان وغيرها من البلدان الإسلامية، والتي كان من أشهرها مكتبة المدرسة النظامية ببغداد... ومكتبات المساجد ومكتبات أخرى بين العامة والخاصة التي يملكها الخلفاء والملوك والعلماء والأدباء.

ومن أشهر المكتبات الخاصة التي أنشاها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، مكتبة "الفتح بن خاقان" ومكتبة "جمال الدين القفطي"، ومكتبة "عماد الدين الأصفهاني" وخزانة كتب "ابن العميد"، وغيرهم كثيرون... وتلك شهادة للمستشرقة الالمانية "زيغريد هونكة" حيث تقول: إن عشق الكتب لم يكن وقفاً على مجموعة من العلماء فقط، بل كان هواية العرب والمسلمين على اختلاف طبقاتهم. فلكل متعلم –في القرن العاشر الميلادي– من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم، ومن قاضي المدينة إلى مؤذن المسجد، هو زبون دائم عند بائع الكتب. وتؤكد قائلة: إن متوسط ما كنت تحتويه مكتبة خاصة لعربي في القرن العاشر الميلادي كان أكثر مما تحتويه كل مكتبات الغرب مجتمعة[3]. وهذه الشهادة حتى وإن كانت فيها مبالغة،

---

[1] سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 153.

[2] المرجع نفسه، ص 154.

[3] المرجع نفسه، ص 154.

لكنها لا تخلو من الصواب، بحيث تدل على مدى اهتمام المسلمين بالمكتبات وحرصهم الشديد على تزيدها بكل جديد من الكتب والمؤلفات.

والدافع الذي أدى إلى انتشار المكتبات الإسلامية ونهوضها بمهامها المتعددة من بحث واطلاع وتأليف وترجمة ونسخ إلى غير ذلك... هو حث الإسلام على طلب العلم وتعليمه، وتشجيع الخلفاء الذين كانوا علماء، أسهموا بأنفسه في تلك النهضة وشجعوا العلماء عليها... فكانوا يمنحون العلماء المؤلفين والمترجمين وزن كتبهم ومؤلفاتهم وترجماتهم –في مختلف العلوم– ذهبا، تحفيزا وتشجيعا لهم على تقديم المزيد للمكتبة الإسلامية.

2. حوانيت الوراقين:

ظهرت حوانيت الوراقين في مطلع الدولة العباسية، واتخذت للتجارة في الكتب، بيعا وشراء وكان الوراقون يقومون –قبل اختراع الطباعة– بنسخ الكتب ونقلها وبيعها لمن يريدها. كما كانت للقراءة والاطلاع، والمناقشات العلمية والأدبية والدينية بين العلماء والأدباء والفقهاء، الذين يجتمعون فيها كل يوم من أجل البحث والدراسة والجدل والنقاش.

وقد كان بائعو الكتب في أغلب الأحيان على إطلاع واسع بالثقافة العلمية والدينية والأدبية، بحيث كانوا يشاركون العلماء والفقهاء والأدباء في اطلاعهم وتأليفهم ونقاشهم.

ومن أشهر الوراقين الذين شغلوا أنفسهم بالتأليف "ابن النديم" صاحب كتاب "الفهرست"، "ياقوت الحموي" مؤلف "معجم الأدباء" و"معجم البلدان"، كما استفاد المؤرخ الكبير "ابن مسكوية" من كونه خازنا لمكتبتين من أشهر مكتبات عصره، وهي مكتبة "عضد الدولة البويهي" ومكتبة "ابن العميد"[1]. كما أحسن "ابن الفوطي" استخدام الكتب التي وجدها تحت تصرفه في مكتبتي الرصد في "مراغة"، والمدرسة المستنصرية في بغداد.

ومما يروى أيضا، أن "الجاحظ" كان يستأجر حوانيت الوراقين ويبيت فيها للبحث والقراءة والاطلاع على ما فيها من كتب متنوعة[2].

وهكذا تعددت المكتبات التجارية في عواصم البلاد الإسلامية، وكثرت عجيب مما يدل ذلك على شدة إقبال المسلمين على العلوم والآداب والدراسات الدينية في جميع أقطار الدول الإسلامية.

---

[1] سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 155.

[2] المرجع نفسه، ص 155.

فكان في مصر –على سبيل المثال– أيام الطولونيين[1] والأخشيديين[2] سوق كبيرة لحوانيت الوراقين لبيع الكتب ونسخها والمناظرات والمناقشات. كما كان أيضا في بغداد –في القرن السادس الهجري– سوق كبيرة للوراقين وتجارة الكتب، وهي مجلس العلماء الأدباء والشعراء والفقهاء.

3. منازل العلماء ومجالسهم:

استخدم المنزل كمكان لنشر العلم وللتعليم منذ الصدر الأول للإسلام، وذلك عندما اتخذ الرسول –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين– دار "الأرقم بن أبي الأرقم" مكانا لتعليم مبادئ الإسلام. وكان –صلى الله عليه وسلم– يلتقي في بعض الأحيان بأصحابه في منزله أو في مجالسه بأي مكان ليرشدهم ويعلمهم أمور دينهم[3].

وقد كان بعض المربين يتخذون منازلهم مكانا للتعليم، فكان "ابن سينا" يدرس لطلبته "كتاب الشفاء" وكتاب "القانون" في بيته ليلا، لأنه بالنهار كان مشغولا بعلاج المرضى، كما اعتاد طلاب العلم الذهاب إلى دار الإمام "أبو حامد الغزالي" للاستفادة من علمه وخلقه ودراسة بعض الكتب معه.

وكان "مالك بن أنس" يقدم أول الأمر في المسجد النبوي، وبعدها صار يقدمه في بيته، يقصده العلماء والطلاب والعامة من الناس لسماع الحديث والاستفتاء في المسائل التي كانت تطرح، وكان يخاطب كل فئة تطيق من العلم، أي على قدر عقولهم وحسب قدراتهم العقلية.

وإلى جانب "مالك بن أنس" كان منزل "ابن حزم الأندلسي" يحظى بالنصيب الأكبر من درسه. وقد كان ينتقل بين مدن الأندلس، ثم بعدها انتقل إلى القيروان بالمغرب، فكانت له فيها مجالسه العلمية، حيث تعلم وتتلمذ على يديه العديد من الطلاب فأخذوا عنه وتعلموا وأجادوا وأصبحوا علماء معلمين.

هذا وكان أيضا منزل "أبي العلاء المعري" –العالم والأديب المشهور– يمتلئ ويعج بالتلاميذ الذين أخذوا عنه وتعلموا منه الكثير. واشتهر منهم "أبو المكارم عبد الوارث الأبهري"، و"أبو تمام بن عيسى الأنباري"، و"الخليل القزويني" وغيرهم[4].

وهكذا نجد بأن معظم منازل العلماء أسهمت بنصيب وفير في نشر العلم والثقافة وبخاصة قبل انتشار المدارس.

---

[1] الطولونيون، نسبة إلى الدولة الطولونية، وهي دولة حكمت في مصر وسورية مستقلة عن العباسيين 254–292هـ/868–905م. أسسها أحمد بن طولون، خلفه ابنه خمارويه. أضعفتها الخلافات بعد مقتل خمارويه فقضى عليها العباسيون، امتازت بنهضة معمارية إسلامية، أهم آثارها ابن طولون في القاهرة، انظر المنجد في اللغة والإعلام، ط 36، المرجع السابق، ص 360.

[2] الإخشيديون، دولة خلفت الطولونيين في حكم مصر وسورية 323–358هـ/935–969م. أسسها محمد بن طغج. أشهرهم الوصي كافور. قضى عليهم الفاطميون. أنظر المنجد في اللغة والإعلام، المرجع السابق، ص 29.

[3] سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 156.

[4] المرجع نفسه، ص 156– 157.

وإلى جانب المجالس التي كان يقيمها العلماء في منازلهم، أو في المساجد، أو تنقلها وسائل الإعلام، لهم في مجالسهم التي كانت تقام بالمناسبات العامة أو الخاصة، أو في أي مكان يلتقون فيه مع طالبي العلم والتفقه إلا ويفيدونهم وينفعونهم ويمدونهم بالمعارف.

ولم تكن مجالس العلم تلك تقتصر على مجالس علماء الدين وحدهم، بل كل المجالس العلمية، التي تقدم فيها شتى ضروب العلم والمعرفة النافعة، كالمؤتمرات والندوات واللقاءات والمنتديات الشعرية والأدبية والعلمية والطبية والنفسية والتربوية.. وغيرها من المجالس التي تسهم في التربية الإسلامية.

4. البادية:

كانت لغة العرب فصيحة خالية من الخطأ وظلت كذلك حتى صدر الإسلام، غير أنه بعد انتشار الإسلام اضطر المسلمون العرب إلى الاحتكاك والاختلاط بالفرس والأجانب المختلفين في اللغة، في المدينة المنورة ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة، حيث تزوج العرب المسلمون بالأجنبيات، ففسد اللسان العربي في المدن والبيوت، ولم يتمكن الأجانب من معرفة قواعد اللغة العربية كما ينبغي، فظهرت لغة المولدين[1]، وبدأ الخطأ في الكتابة والتخاطب. ولم يقتصر اللحن على الأعاجم فحسب، بل تجاوزهم إلى العرب أنفسهم.

وفي الوقت الذي انتشر فيه اللحن في اللغة لعربية بالمدن لاختلاط العرب بالأعاجم فيها، ظلت لغة العرب سليمة تماما في البادية والصحراء لعدم الاختلاط فيها..

فانتهز عرب البادية فرصة انتشار اللحن في المدن وانتقلوا إليها يعلمون الناس فيها اللغة العربية الفصيحة.. غير أن بعض سكان المدن لم يكتفوا بالاعتماد على هؤلاء –سكان البادية الذين نزلوا المدن– بل هاجروا المدن والعواصم والمدينة وذهبوا بأنفسهم إلى البادية، وعاشوا فيها يتعلمون لغة العرب من منبعها الأصيل، ويتجنبون استماع لغة المولدين[2].

فقصد العديد من الأمراء وأبنائهم والكثير من العلماء والأدباء والفقهاء، ولاسيما خلال القرنين الأول والثاني من الهجرة، قصدوا الصحراء والبادية لتعلم اللغة العربية الفصحى.. ومن بين هؤلاء الأديب النابغة "الخليل بن أحمد"، وهو مبتكر العروض والمعاجم وصاحب الشكل العربي المستعمل. والذي سأله "الكساني" ذات مرة: من أين علمك هذا؟ فأجاب: من بوادي الحجاز ونَجْدُ وتُهامة.. ومنهم أيضا "الكساني" نفسه، الذي خرج إلى البادية حيث تعلم فيها وهو إمام الكوفيين في النحو واللغة.. ومنهم الإمام الشافعي الذي قال في وصف حياته الأولى: ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هُذيلا في البادية أتعلم

---

[1] المولدون، مشتقة من المولّد(مفع): بمعنى المُحدَث من كل شيء. ومنها "المولدون" من الشعراء أو الأدباء سموا بذلك لحدوثهم، رجل مولّد وكلام مولّد: عربي محض، انظر النجد في اللغة والأعلام، ط36، طبعة منفتحة ومزيد عليها، دار الشروق، بيروت، 1997م، ص918.

[2] سعيد اسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 158.

كلامها، وأنزل بنزولهم. فلما عدت إلى مكة بدأت وصرت أنشد الأشعار، وأذكر الآداب والأخبار وكذلك أيام العرب[1].

5. الرباطات أو الأربطة:[2]

كانت الأربطة في أصلها منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المجاهدون للتعبد، والاستعداد للجهاد، والتربص لأعداء الإسلام الذين يغيرون على بلادهم[3]، وقد اشتق اسمها من الآية الكريمة ﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل**﴾[4]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلكم تفلحون**﴾[5]. ومع مرور الزمن أصبحت الأربطة أو الرباطات مجرد مأوى يقيم بها الفقراء والمتصوفة المنقطعون للعبادة. وهذا الاستعمال هو الذي كان شائعا في الحجاز في العصر المملوكي، فقد انتشر التصوف في مصر في عصر المماليك[6]، وامتد انتشاره ليشمل الحجاز أيضا وأطلق الصوفية[7] على أنفسهم اسم "الفقراء"[8]، لذلك كثيرا ما نجد أن واقف الرباط اشترط في وقفيته أن يكون للفقراء المنقطعين.

وقد شايع كثير من سلاطين المماليك حركة التصوف، واستتبع انتشار التصوف حتى زاد عدد البيوت التي خصصت للصوفية التي أطلق عليها خوانق وربطا وزوايا[9].

إذن فالرباط هو حصن دفاعي أخذ تسميته من مرابطة المجاهدين في سبيل الله. حيث كان المجاهدون يرابطون فيه ويقضون يومهم وليلهم في العمل والعبادة. وقد استكثر المسلمون من إقامة

---

(1) سعيد اسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 158.

(2) الرباط: من ربط، والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله: أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، وربما سميت الخيل أنفسها رباطا"، والرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، والرباط هو أحد الأبنية. أنظر ابن منظور، لسان العرب،جـ7، المصدر السابق، ص 302-303.

(3) الباشا حسن، المدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص 133.

(4) سورة الانفال، الآية 60.

(5) سورة آل عمران، الآية 200.

(6) المماليك، عبيد أتراك وجراكسة ومغول جندهم الأيوبيون في الخدمة العسكرية، تمكن بعضهم من الوصول إلى الحكم وأسسوا في مصر سلالتي: المماليك البحرية والمماليك البرجية. -البحريون (1253-1382م): ودعوا بالبحريين لإقامتهم في جزيرة الروضة على النيل. وأولهم أيبك المعز وأشهرهم بيبرس الظاهر، وقلاوون المنصور. البرجيون (1382- 151م)، أقاموا في برج قلعة القاهرة، أولهم برقوق الظاهر آخرهم طومان باي الذي أعدمه السلطان سليم العثماني. بسط بعض سلاطين المماليك سيطرتهم على سورية وأجزاء من آسيا الصغرى وحاربوا الصليبيين والمغول، المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 546.

(7) ابن الجوزي، (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن)، تلبيس إبليس، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص 257 - 161.

(8) المصدر نفسه، ص 161، وانظر كذلك، ابن منظور، لسان العرب، جـ5، المصدر السابق، ص 61.

(9) عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص 165- 168.

الرباطات مدفوعين بغيرتهم على الدين. لأنه ما أقام شخص رباطا على نفقته أو عزز حصون رباط قائم، إلاّ اعتبر واحتسب ذلك عملا من أعمال الخير والبر والتقوى.

وكان الرباط مدرسة يؤمها العلماء والطلبة.. وكان المؤلفون وأصحاب التصانيف يعطون مؤلفاتهم الأصلية التي كتبوها بخط أيديهم إلى الرباطات لتنسخ منها نسخ أخرى، ويحتفظ بالأصل للرجوع إليه عند الالتباس. وكان المرابطون يقومون بنسخ الكتب وتوزيعها على طلاب العلم مجانا[1]. وكان العلماء يرابطون فيها ويمكثون فترة ليدرّسوا العلم ابتغاء مرضاة الله أي لوجه الله، بدون مقابل. كما كان الطيب يرابط فترة من أجل علاج المرضى، وغيرهم.. فالكل يرابط من اجل الجهاد في سبيل الله.

هذا ولقد انتشرت "الرباطات" أو "الأربطة" بشكل بارز في المجتمع المكي، فقد ذكر "تقي الدين الفاسي" أكثر من خمسة عشر رباطا كانت موجودة بمكة حتى نهاية القرن السابع الهجري[2] وهذا على عكس ما ذكرته "دائرة المعارف الإسلامية"، حيث جاء في هذه الأخيرة أنه حتى عصر "ابن بطوطة" لم يكن بمكة سوى رباطين[3].

وكان أهل مكة حتى بداية القرن الخامس الهجري يستقبلون الحجاج في دورهم من غير أجر، فلما ضعفت الخلافة العباسية، وقلت الأعطيات التي كانت ترسل من قبل الخفاء إليهم بدؤوا يطلبون أجرا عن سكن الحجاج في دورهم، مما دفع أغنياء المسلمين من تجار ووزراء وسلاطين إلى بناء أربطة في مكة ليقيم فيها فقراء الحجاج والفقراء من أهلها[4].

ولقد كان لهذه الأربطة أثر مهم في الحياة الاجتماعية لسكان الحرمين الشريفين، فقد عملت هذه الأربطة على توفير وسائل الراحة لطلاب العلم الوافدين إلى الحرمين الشريفين من شتى البلاد الإسلامية، وللفقهاء والمجاورين في مكة والمدينة المنورة، وكان هؤلاء لهم أثر عظيم في نشر العلم والمعرفة في المجتمع المكي والمديني، كما كان هؤلاء المجاورون يجدون في هذه الأربطة راحة لهم، مما حفزهم على زيادة نشر العلوم والثقافة.

وإلى جانب ما كانت تقدمه هذه الأربطة من راحة للطلاب والمجاورين، فقد كانت مأوى للحجاج حيث يسكنون فيها، وتقدم لهم المأكل والمشرب، كما ضمت هذه الأربطة مساكن لسكن المجاورين[5]،

---

(1) سعيد إسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 159.

(2) الفاسي (تقي الدين محمد)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، جـ1 دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 330– 336.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية جماعة من الأساتذة، جـ10، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص 192.

(4) خالد محسن حسان الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، (648–923هـ/1250–1517م)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، 1426هـ/2005م، ص 418.

(5) ابن بطوطة، تحفة النظار عن غرائب الامصار وعجائب الأسفار، القاهرة، 1386هـ/1966م، ص 140– 154.

وكل رباط مقسم إلى غرف، وكذلك يضم الرباط بئرا تمد الساكنين بالماء[1]، ومطبخا لتقديم الأطعمة لساكنيها. وبهذا كان لها الفضل أيضا في رفع وتحسين المستوى العلمي والثقافي بسبب ما تقدمه من خدمات جيدة لساكنيها، مما جعل طلاب العلم يتسابقون إلى السكن فيها، خاصة بعد أن أوقفت عليها أوقافا كثيرة من طرف السلاطين والأغنياء، حيث كانت تحت رعاية أهل الحجاز، حيث كان أهل الطائف يخرجون العشر من منتجات بساتينهم لرباط "ربيع مكة"[2].

وكان لهذه الأربطة بعض الأثر في تنشيط الحركة الفكرية، فقد كان يسكنها الكثير من طلبة العلم، والعلماء الفقراء، وما كان يحدث فيها من سماع ومناقشات، ومجالس للتدريس والوعظ، إلى جانب كونها أربطة خاصة بالصوفية، وأعمال التصوف من أمور الذكر وغير ذلك. ولما كانت بعض الرباطات تضم بين طياتها أعدادا غير قليلة من الكتب على سبيل الوقف، مما أتاح لنزلائها فرصة المطالعة والدراسة ضمن تلك الأربطة[3].

ومن أشهر هذه الأربطة نذكر على سبيل المثال ما يلي:

أ. **رباط السدرة:** أوقف سنة 400هـ/1009م، ويقع في الجهة الشرقية من المسجد الحرام، بجوار بني شيبة[4]، وهو أحد الأربطة التي لعبت دورا بالغا في رفع المستوى العلمي بمكة. وذكر "ابن بطوطة" أن هذا الرباط كان يقصده أهل الشام، وأهل مصر، ويقدمون لساكنيه المعونات، ويتصدقون عليهم كثيرا، مثل المقرئ "برهان الدين ابراهيم المصري" الذي كان يعلّم فيه الأيتام كتاب الله تعالى، بالإضافة إلى مساعدته لهم بالكسوة والغذاء[5].

ومن أشهر شيوخ هذا الرباط: "خضر بن محمد بن علي" الإربلي الصوفي (ت 730هـ/1329م).

ب. **رباط الدمشقية:** أنشأه تجار من مدينة دمشق، ولذا سمي برباط الدمشقية، وأوقف سنة 529هـ/1134م، وشُرط في وقفيته على تخصيصه للفقراء من أهل الشام والعراق، العرب منهم والعجم[6]. كما أوقفه على الصوفية والعلماء والقراء[7].

---

(1) الفاسي (تقي الدين محمد)، جـ1، المصدر السابق، ص 340.

(2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 154.

(3) خالد محسن حسان الجابري، المرجع السابق، ص 421.

(4) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، ماعدا جـ1 محمد حامد الفقي، و جـ8 تحقيق محمود الطناحي، جـ1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م، ص 104-118، شفاء الغرام، جـ1، ص 330.

(5) ابن بطوطة، تحفة الناظر، المصدر السابق، ص 153- 154.

(6) الفاسي، شفاء الغرام، جـ1، المصدر السابق، ص 335.

(7) الفاسي، العقد الثمين في...، جـ3، المصدر السابق، ص 155.

وإلى جانب هذه الرباطات توجد رباطات كثيرة مثل رباط رامشت، ورباط أم الخليفة العباسي زمرد خاتون، ورباط ربيع، ورباط الموفق، ورباط الخوزي.. وغيرها من الرباطات، كلها كان لها أثر فعال ومهم في الحياة الاجتماعية والعلمية في مجتمع أهل مكة والمدينة.

6. الخانقاه:

ويقال لها الخانكاه وتجمع على خوانق وخوانك، وهي كلمة فارسية الأصل معناها البيت، وكانت تبنى على شكل مساجد الصلاة، إلا أن فيها غرفا عديدة لمبيت الفقراء والصوفية، وبيت كبير لصلاتهم مجتمعين ولأداء الأذكار والأوراد، ولا يكون فيها منبرا لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها، وذكر المقريزي في خططه إحدى هذه الخوانق وهي (الخانقاه الكبرى الصالحة) التي كان يسكنها الصوفية، وبين أنهم كانوا يتلقون دروسا في الفقه والدين والعربية والتصوف والحديث في تلك الخانقاه، كما كان بها خزانة كتب، وقد رتب لكل طالب في اليوم الطعام واللحم والخبز، وفي الشهر الحلوى والصابون، وفي بعض الخوانق كان يعمل على توفير حاجات الطلاب داخل الخانقاه من المأكل والملبس والأشربة والأدوية، بل كان يوجد فيها من يقوم بحلق رؤوس الطلاب، وتدليك أجسامهم حتى يمكنهم التفرغ للدرس والعبادة داخل الخانقاه حتى لا يكونوا في حاجة للاتصال الخارجي[1].

7. الزوايا:

الزاوية[2] هي في الأصل ركن البناء، وكانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في الشرق، حيث أنهم يفرقون بينها وبين المسجد الذي يفوقها شانا، والذي يعرف هو الآخر باسم الجامع.

ويطلق مصطلح الزاوية على المسجد الصغير أو المصلى وهي مرادف للرابطة أو الصومعة التي يعتزل فيعا الشيخ المعلّم الولي، ويعيش وسط تلاميذه ومريديه.

ومن الناحية الوظيفية، يتبين أن من الزوايا ما أنشئ للتربية الروحية وللحياة الصوفية، كزوايا الصوفيين الذين ينقطعون فيها للعبادة والتصوف وحدهم أو مع مريديهم. ومنها ما أنشئ لهدف تعليمي، كزوايا العلماء، التي كانت ترتب فيها دروس الفقه وغيره، وكانت متسعا لمناقشات حرة بين العلماء غير متقيدين بعلم معين. وساعدهم على ذلك أن بعض زواياهم كانت بها مكتبات كبيرة يؤمها الطلاب... وكثيرا ما كان العلماء والفقهاء يتخذون من بعض الزوايا مكانا لاجتماعاتهم ومناقشاتهم العلمية، وذلك يعود بالدرجة الاولى إلى مكانة شيخ الزاوية بين العلماء والفقهاء، وقدرته على إفادة الوافدين إليه منهم[3].

---

[1] عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 160 – 161.

[2] الزاوية: مركز ديني ثقافي اجتماعي اقتصادي في بعض البلدان، يضم مسجدا ومدرسة ومضافة وبيوتا، له شيخ يدير شؤونه. وقد انتشرت الزوايا في ليبيا في ظل السنّوسية، انظر جبران مسعود، "الرائد" معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقا لحروفها الأولى، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، آذار/مارس 1992م، ص 412.

[3] سعيد اسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 160.

8. البيمارستانات والمستشفيات:

البيمارستانات كلمة فارسية مركبة من كلمتين: بيمار: مريض، وستان: دار، فهي إذن دار المرضى، وظلت هذه الكلمة تطلق على دور العلاج والمرضى حتى حلت محلها كلمة مستشفى عند إنشاء مستشفى أبو زعيل في مصر عام 1825م وكانت البيمارستانات أهم الاماكن لعلاج المرضى ودراسة الطب ويقول "المقريزي": إن أول من بنى البيمارستانات في الإسلام "الوليد بن عبد الملك" سنة 88هـ وجعل فيها الأطباء وأجرى فيها الإنفاق. وهذا خلاف ما ذكره (ديورانت) أن أول بيمارستان معروف لنا أنشئ في بغداد أيام هارون الرشيد[1].

وقد انتشرت دور الاستشفاء أو المستشفيات في العالم الإسلامي بشكل كبير، بحيث تحصيها كتب التاريخ بثلاث وأربعين دارا كانت منتشرة من فارس إلى مراكش ومن شمال سوريا إلى مصر. وكان في بغداد وحدها سنة 913 ثمانمائة وستون طبيبا مرخصا، وكانت أجورهم ترتفع حسب قربهم من بلاط الخلفاء[2]. وقد حقق بعضهم ثروات هائلة، فقد جمع ابن "بختيشوع" طبيب "هارون الرشيد" و"المأمون" و"البرامكة" ثروة تقدّر بحوالي سبعة ملايين دينار. ويقول عنه المؤرخون أنّه كان يتقاضى من الخليفة مائة ألف درهم نظير حجامته مرتين في العام ومثل هذا المبلغ لإعطائه مسهلاً كل نصف عام[3].

وقد أسس "ابن طولون" أول مستشفى في مصر سنة 872م ومن بعده كان هناك البيمارستان "المنصوري الكبير" الذي بني 683هـ وكان من أشهر البيمارستانات، وأنشأ "نور الدين" في دمشق سنة 1160م ببيمارستانا ظل ثلاثة قرون يعالج المرضى من غير أجر ويمدّهم بالدواء من غير ثمن. ولما قدم "ابن جبير" إلى بغداد سنة 1184م دهش من بيمارستانا العظيم الذي كان يرتفع كما ترتفع القصور الملكية على شاطئ نهر دجلة. وكان يطعم المرضى ويعالجهم ويمدهم بالدواء من غير ثمن[4].

وربما يكون مستشفى "السلطان قلوون" الذي تأسس بالقاهرة سنة 1285م أعظم مستشفيات العالم الإسلامي وأكثرها شهرة في العصر الوسيط، وقد أورد له "المقريزي" وصفا رائعا في خططه[5].

وقد كانت هذه البيمارستانات معدّة ومنظّمة بشكل جيد بحيث كان بها قسم للرجال وآخر للنساء وكل قسم مجهز بالآلات والعدد والمشرفين والخدم وفي كل قسم قاعات لمختلف الأمراض. قاعة للأمراض الباطنية وأخرى للجراحة وثالثة للحاملة ورابعة للتجبير. وكان للبيمارستان صيدلية سميت "شرانجاز" في العصر المتأخر ولها رئيس يسمى شيخ صيدلي البيمارستان.

---

(1) ديورانت، قصة الحضارة، (مترجم) نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1980م، ص13.

(2) محمد منير مرسي، التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، طبعة منقحة ومزيدة، عالم الكتب، 1993م، ص 222.

(3) المرجع نفسه، ص 222 – 223.

(4) المرجع نفسه، ص 223.

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار بكر الخطط والآثار الدينية، جـ4، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، لا.ت، ص 260.

وكان كل بيمارستان يشرف عليه رئيس أطباء يلقي دروسه على طلبة الطب ويأذن لمن أتم وأنهى دراسته منهم وقدم رسالة في فرع الطب الذي ينتقيه بممارسة المهنة ويمنحه ترخيصا كتابيا أو إجازة بذلك، ولم يكن يسمح لأحد أن يمارس هذه المهنة إلاّ إذا قدم لامتحان يعقد لهذا الغرض[1].

إذن فهكذا كان الاهتمام بالبيمرستانات والمستشفيات كبيرا، إذ جعل بعض الخلفاء فيها خزائن للكتب وأمكنة لتدريس الطب والصيدلة ولتطبيق العملي على المرضى، كما فعل ذلك الخليفة المستنصر إذ جعل في مدرسته المستنصرية العظمى معهدا لتدريس الطب والصيدلة، وإلى جانبها شيّد البيمارستان ليطبق الطلاب علومهم النظرية تطبيقا عمليا على مرضى ذلك المستشفى. فكان البيمارستان مكانا لعلاج المرضى ولدراسة الطب في ذات الوقت[2].

وتقوم المستشفيات بجانب ما تقدمه من خدمات التعليم لطلبة الطب فإنها تقوم أيضا بتقديم خدماتها التربوية للكبار والصغار، المرضى منهم والأصحاء، فتقدم خدمات الوقاية والعلاج من الأمراض، وخدمات التوعية والإرشاد الصحي.. وذلك من أجل سلامة أفراد المجتمع وصحتهم الجسمية، والعقلية والنفسية.. والغاية من ذلك كله الحفاظ على صحة المجتمع وسلامته، من أجل تنميته وتقدمه.

وبهذا نستنتج أن ما فعله المسلمون يشبه المستشفيات الجامعية التي تبنى في العصر الحديث، ويقوم فيها الطلاب بعمل تدريباتهم العملية بها، وقد كان للمسلمين فضل السبق في هذا المضمار.

9. الجمعيات الخيرية:

وهي مؤسسات أنشات لتقديم الخير لمستحقيه.. منها جمعيات رسمية تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية، ومنها ما هو غير رسمي يقوم على إدارته أهل الخير والصلاح. وجمعيات أخرى تقوم بدور الوسيط بين القادرين والمستحقين. فتقدم المساعدات وتجمع الزكاة وتتلقى التبرعات–العينية والمالية– من الأغنياء وتقوم بتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمعوزين. وتحقق بذلك عدة أدوار تربوية على المستويين الفردي والاجتماعي، منها الديني والأخلاقي والاجتماعي والإنساني.

10.النوادي الرياضية ومراكز الشباب:

وهي تلك النوادي والمراكز التي يقصدها الصغار الكبار، من الطلائع والشباب، ويقضون فيها أوقات فراغهم ويستثمرونها فيما يفيدهم، ويمارسون فيها هواياتهم المفضلة من الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية وغيرها.. بحيث تسهم هذه الأخيرة في تنميتهم جسميا واجتماعيا وفكريا، فتعمل على تثقيفهم وإمتاعهم عقليا وترويحهم نفسيا، كما أنها تسهم بشكل كبير في توفير الجانب الأمني لهم وللمجتمع بدلا

---

[1] محمد منير مرسي، المرجع السابق، ص 223.

[2] سعيد اسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 160.

من جلوسهم على الطرقات أو التسكع في الشوارع والأسواق.. إلى غير ذلك من الفوائد والأدوار التربوية[1].

11.الملاجئ ودور رعاية للمسنين:

تلعب هذه المؤسسة دور تربوي وديني وأخلاقي مهم جدا في المجتمع، حيث تقوم الأولى برعاية وتربية من لا عائل لهم من الأيتام واللقطاء، فيجدون فيها الغذاء والمأوى والرعاية الشاملة التي تعوضهم عن فقدان أسرهم. وتقوم الثانية برعاية المسنين الذين لا عائل لهم من الأبناء والأهل والأقارب. فتوفر لهم من يخدمهم ويرعى شؤونهم، وتوفر لهم جوا عائليا واجتماعيا جديدا يسد من فراغهم الاجتماعي، كما توفر لهم الرعاية والعناية الصحية والترفيهية، وغير ذلك من أنواع الخدمة والرعاية، في وقت هم فيه إلى أمس الحاجة إلى الخدمة والرعاية[2].

12.هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهي جماعة من المسلمين يقومون بدور توجيهي إرشادي لسلوكيات الجماهير، وإصلاحي علاجي للخاطئ منها، وذلك في ضوء تعاليم الدين الإسلامي. وتقوم بدورها هذا في الشوارع والأسواق، وفي المحال التجارية وفي الحدائق العامة وغير ذلك من أماكن التجمع الجماهيري... مسهمة بذلك في القيام بأدوار تربوية منها الوقائي ومنها العلاجي والإصلاحي، منها: الأخلاقي والديني، والاجتماعي، وغير ذلك من أدوار تربوية.

وبهذا نستنتج بأن كل هذه المؤسسات التربوية السالفة الذكر لعبت دورا كبيرا وعظيما في تجسيد وتحقيق أهداف التربية الإسلامية داخل المجتمع الإسلامي المتمثلة في التربية الدينية والاجتماعية والصحية والثقافية والإرشادية والترفيهية.. إلى غير ذلك، ولا زالت إلى يومنا هذا تسهم في بناء ورعاية أفراد المجتمع الإسلامي لدفع هذا الأخير نحو التنمية والتقدم والازدهار وفق التصور الإسلامي لمعنى التقدم والفلاح.

ثانيا: الأصول التربوية التي اتبعها معلموا ومؤدبوا الأطفال

التزم المعلمون والمؤدبون المسلمون جملة من المبادئ والقواعد التربوية في تعليم وتأديب الأطفال تشابه إلى حدّ كبير ما يستخدمه المربّون المعاصرون، ممّا يدل على المقام العالي الذي وصل إليه الفكر التربوي الإسلامي. وهكذا يمكننا إبراز وتقديم هذه المبادئ والقواعد التي تسمى بالأصول التربوية التي اعتمدت في تعليم وتأديب الأطفال وهي كالتالي:

---

[1] سعيد اسماعيل القاضي، المرجع السابق، ص 161.

[2] المرجع نفسه، ص 161 – 162.

1- مراعاة الفروق الفردية:

شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل الأفراد متفاوتين في قدراتهم ومواهبهم واستعداداتهم وظروف وإمكانيات حياتهم، وهذا التفاوت والاختلاف بين الأفراد هو ما نسميه بالفروق الفردية، وهو كفيل بتجديد الحياة الاجتماعية وتنويعها واستمرارها، حتى تتكامل إمكانيات الأفراد ومواهبهم في خدمة الصالح العام لحياتهم.

ومن يتأمل في آيات القرآن الكريم يرى أنها تشير إلى أن من دلائل قدرة الله اختلاف ألسنة الناس وألوانهم... واختلاف درجاتهم في العلم والرزق والتمكين قال تعالى: ﴿**ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم**﴾[1] وهذا التفوق في المكانة القدرة هو ابتلاء للناس واختبار لمدى تسخير ذلك في الخير والمصلحة العامة للجماعة[2].

وبناء على ذلك فقد اهتم المربون المسلمون بالفروق الفردية بين الأطفال وراعوها في التربية والتعليم، لأن رعاية هذه الفروق من آداب التعليم ومبادئه وقيمه الأصلية التي جاء بها الإسلام، ولأن معلم البشرية الأول –صلى الله عليه وسلم– كان خير المراعين لهذا الجانب نظرا وتطبيقا. وقد ذكر بعض الباحثين الأدلة على اعتبار هذه الفروق ومراعاتها[3]:

1. اختلاف وصاياه –صلى الله عليه وسلم– باختلاف الأشخاص الذين طلبوا منه الوصية فنجد أناسا عديدين سألوه أن يوصيهم فأوصاهم بوصايا مختلفة:
فبعضهم قال له: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم.
وبعضهم قال له: قل آمنت الله ثم استقم وبعضهم قال له: لا تغضب ولم يزد على ذلك...
وهكذا كان الرسول الكريم –عليه الصلاة والسلام– يراعي حال طالب الوصية، ويعطي كل واحد ما يراه أحوج إليه. فشأنه مع السائلين كالطبيب من المرضى، يعطي كل واحد من الدواء ما يناسبه.
2. اختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين، فنجده –صلى الله عليه وسلم– يسأل: أي العمل أفضل؟ أو أي الإسلام أفضل؟ فيجيب هذا بغير ما يجيب به ذاك. فتارة يقول الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله. وتارة أخرى يقول: الإيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ولا تفسير لهذا الاختلاف في الجواب مع اتحاد السؤال، إلا مراعاة أحوال السائلين، وما بينهم من فروق يجب اعتبارها.

---

[1] سورة الأنعام، الآية 165.

[2] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 107.

[3] يوسف القرضاي، الرسول والعلم، ص 135 وما بعدها.

3. اختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف الأشخاص الذين يتعامل معهم، فنجده يعامل الأعراب القادمين من البادية بما لا يعامل به أصحابه الذين ربوا في حجر النبوة، ويتألف قلوب مسلمة الفتح وزعماء القبائل بما لا يضع مثله مع المهاجرين والأنصار، ويعامل أصحابه على منازلهم وطبائعهم فهو يغطي ساقيه، ويسوّي ثيابه عند دخول "عثمان" عليه، ولم يفعل ذلك مع أبي بكر وعمر، مراعيا طبع الحياء في عثمان قائلا: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟
4. اختلاف أوامر وتكليفاته باختلاف من يكلفهم من الأشخاص واختلاف قدراتهم. فنجده يكلف كل إنسان، بما يقدر عليه، وما يليق به، وملا يلائم حاله، فيولي "خالد بن الوليد" "عمرو بن العاص" على بعض السرايا الحربية، في حين يكلف "حسان بن ثابت" بأن يدافع عنه –أمام هجاء الشعراء من قريش– بسلاح الشعر الذي هو أشد عليهم من وقع الحسام.
5. قبوله من بعض الأفراد موقفا أو سلوكا لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف. فنجده –صلى الله عليه وسلم– يقبل من بعض الأعراب الاقتصار على أداء الفرائض حتى قال له بعضهم: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال: أفلح إن صدق.

فهذا هو موقف المربي الحق –عليه الصلاة والسلام– الذي ينبغي للمعلم أو المربي أن يسير على دربه، فيراعي ظروف طلابه وقدراتهم العامة والخاصة، وأحوال كل فئة منهم، بل كل واحد منهم ليعالجه بما يناسبه ويشاكله، فلا يكلم الصغير بما يكلم الكبير، ولا يخاطب الفتاة بما يخاطب به الفتى، ولا يعطي العوام ما يعطيه للخواص، ولا يكلف الذكي ما يكلف به العادي من الناس، ولا يأمر البدوي بما يأمر به الحضري، بل ينبغي أن يخاطب كل متعلم على قدر عقله وقدرته.

إذن فمراعاة الفروق الفردية تتطلب من المعلم ألاّ يبث كل ما عنده من العلم لكل من يجده دون تمييز بين من يفهم ومن لا يفهم، وبين من ينتفع بما يسمع ومن يتضرر به. وليس هذا من كتمان العلم أبدا، بل من حسن إنفاقه في محله، وإعطائه لمن هو أهله، ولكل مقام مقال، ولكل علم رجال... ومن الحكم المأثورة: لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم[1].

وقد ذكر "أبو حامد الغزالي" : "أن من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه مالا يبلغه عقله فينفره، أو يخبط عليه عقله، اقتداء بالرسول الكريم –صلى الله عليه وسل– ولا يبث إليه الحقيقة إلا إذا علم أنه يستقل بفهمها"[2].

وهكذا نجد أن مراعاة الفروق الفردية أصلا من الأصول التربوية التي اتبعها معلموا ومؤدبوا الأطفال في الإسلام، وهذا يبيّن لنا بأن المسلمين هم أول من تنبه إلى وجد الفروق الفردية بين الناس،

---

[1] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 109.

[2] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ1، المصدر السابق، ص 57 – 58.

ويؤكد لنا أيضا سبق التربية الإسلامية إلى الأخذ بهذا المبدأ التربوي وتطبيقه في المواقف التربوية والتعليمية، وهو ما لم تعرفه التربية الحديثة إلاّ منذ زمن قصير.

2- التكرار المتصل:

ذكرنا في السبق أن القرآن الكريم كان محور المواد التعليمية التي تدرس للأطفال، وهو يستلزم حفظه بألفاظه دون تحريف أو تبديل، ولهذا السبب كانت الطرائق التعليمية تقوم على الحفظ والاستظهار والتكرار ضمانا وحرصا على عدم النسيان فيما يخص القرآن.

ويذكر "القابسي" أن طرائق التكرار هي الحفظ والميل والفهم، وقد جاء ذكر التكرار في حديث عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يختص بحفظ القرآن فقال: "**مثل القرآن كمثل الإبل المعلقة، إذا عاهد صاحبها على عقلها أمسكها، وإذا أطلقها ذهبت، إذا قام صاحب القرآن بالليل ذكره، وإذا لم يقرأه نسيه**" ويعلّق "القابسي" هنا على ما ورد في هذا الحديث قائلا: وقد بين في هذا الحديث كيف (كيفية) المعاهدة التي يثبت بها حفظ القرآن، ويقوى على الحفظ حتى لا يتلعثم فيه[1].

وطبيعي جدا أن يرد التكرار في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فالتكرار من طرق التربية، ويمكن أن تظهر أهميته للأطفال في حفظ الكلمات وفي ذكر الأشكال، والتكرار مقصده التأثير في النفس، وتثبيت المعلومات أو المطلوب[2]. وقد استخدم الرسول المربي –صلى الله عليه وسلم– هذه الطريقة في التربية الإسلامية في أكثر من موقف وفي أكثر من حديث.

ففي الحديث الشريف عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه –رضي الله عنه– قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم– : "**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا: قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكرهه حتى قلنا ليته سكت**"[3].

وفي الحديث الشريف أيضا: "**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**"[4].

وفي هذا السياق ينبغي أن نذكر ما قاله "القابسي" بأن مراحل الذاكرة الثلاث الأساسية هي: الحفظ والوعي والاسترجاع، وما يسمى الآن بمصطلح الوعي يطلق عليه التثبيت، وسهولة الاسترجاع أي عدم التلعثم. ولا يفوتنا أن نذكر أيضا أن وسائل الحفظ مع الاستفادة من جميع الحواس أفضل بكثير من استعمال حاسة واحدة، وخاصة إذا علمنا أن الناس ليسوا سواء في الإفادة من حواسهم. فهناك من يحفظ

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني، التربية والتعليم في الإسلام، أو التعليم في رأي القابسي، المرجع السابق، ص182.

[2] عبد الجواد سيد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983م، ص331.

[3] سبق تخريج الحديث، ص 335 من الرسالة.

[4] صحيح البخاري، كتاب الأدب، (باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه)، المصدر السابق، ص 2240

منهم عن طريق البصر بالقراءة الظاهرة الصادقة، وهناك من يستفيد عن طريق السمع بالقراءة جهرا بصوت عال، وهناك من يستفيد بالحركة عن طريق الكتابة[1]، وهذه الوسائل أو الطرائق كلها كانت متبعة في تعليم الصبيان، فالعين تستفيد من القراءة، واليد من الكتابة، والأذن من الاستماع... فإذا اجتمعت هذه الوسائل وتعاونت كله من التكرار والإقبال والفهم فلا شك أن يصل الصبي إلى حفظ القرآن.

هذا ويرى "ابن خلدون" هو الآخر أن التحصيل المفيد إنما يحدث بثلاث تكرارات فيقول "ووجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه"[2].

في حين يرى الزرنوجي في كتابه تعليم المتعلم أن التكرار الموزع أفضل من التكرار المتصل فيقول: إن التكرار يتبع فيه الطريقة الآتية: وهي خمس مرات أول يوم، ثم أربع مرات في اليوم الثاني، وثلاث مرات في اليوم الثالث، ومرتان في اليوم الرابع، ومرة في اليوم الخامس، فهذا أدعى إلى الحفظ. وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه علماء التربية الحديثة. هذا فإن المربين المسلمين قد سبقوا إلى الأخذ بالتكرار قبل أن يعرف عند المربين الغربيين أمثال "طولمان".

3- مراعاة ميول واستعدادات الأطفال الفطرية:

إهتم المربون المسلمون بمراعاة ميول الطفل في تعليمه لينبغ في ذلك ويحقق أفضل ما يمكن تحقيقه لنفسه وأمته، وقد أشار "ابن سينا" إلى ذلك فقال: "فإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة، نظر عنه ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته، فوجّه لطريقه، فإذا أراد مدبره به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومفاضلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك، وطورح الحساب ودخل به إلى الديوان، وعني بخطه وإن أريد أخرى أخذ به فيها، بعد أن يعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مؤاتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملائمة إذن ما كان أحد غفلا من الأدب وعاريا من صناعة، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات"، ويستمر "ابن سينا" في تفصيل هذه الناحية ويضرب أمثلة على ذلك منها: إن الأدب مثلا سهل على قوم وصعب على آخرين، وإن إنسانا يختار دراسة الحساب وآخر يختار علم الهندسة وآخر يختار علم الطب، وربما وجدت إنسانا يكره جميع الآداب والصنائع فلم يتعلق بشيء منها على الرغم من اهتمام أهلهم وإنفاقهم الأموال الطائلة على أولئك الأبناء في سبيل تعليمهم وتأديبهم "فلذلك ينبغي لمؤدب الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولا طبع الصبي، ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له إحدى الصناعات بحسب ذلك، فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرّف قدر ميله إليها، ورغبته فيها، ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا، وهل أدواته وآلاته

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 184.

[2] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 533.

مساعدة له عليها أم خاذلة، ثم يبت لعزم، فإن ذلك أحزم في التدبير وأبعد من أن تذهب أيام الصبي فيما لا يؤتيه ضياعا"[1].

ويرى المربون المسلمون أن اختيار العلم تبعا للموهبة والقابلية ويتعاون فيهما المعلم والطالب وقد يشاركهما والد الطالب، ومما ينصح به الزرنوجي في كتابه "تعليم المتعلم" ألا يختار الطالب نوع العلم بنفسه بل يفوض أمره إلى الأستاذ، فإنه قد حصل له من التجارب في ذلك، فهو أعرف بما ينبغي لكل واحد، وما يليق بطبيعته. أما المدرس فكان عليه أن يتصفح طلابه كما يتصفح خطاب حرمه، كما ذكر الأصفهاني[2] وألا يدع إلى حلقته إلا من كان قادرا على استيعاب ما يجري فيها، فليست كل صناعة يرومها الصبي ممكنة مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه، كما يقول ابن سينا في كتاب القانون.

إذن لم يقف مربو المسلمين في أمر توجيه الطلاب عند هذا الحد، بل خطوا خطوة أخرى، فأشاروا إلى ضرورة إعادة توجيه الطالب إذا استبان خطأ توجيهه في البداية، وهذا ما يعرف اليوم باسم (Rearientation) وهو أهم ما انتهت إليه الإصلاحات التعليمية في البلدان المتقدمة، فأتيح المجال أمام الطالب عن طريق مرونة المنهاج ومرونة مراحل التعليم وفروعه للانتقال من فرعه ولتغيير نمط دراسته إلى فروع أخرى[3].

ونجد هذا واضحا في الإصلاح التعليمي الذي جرى في فرنسا في السنوات الأخيرة[4].

وفي إعادة توجيه الطالب يقول "ابن جماعة"[5]: "إذا علم أن تلميذا لم يفلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه فلاحه".

وروى أن يونس بن حبيب كان يختلف إلى الخليل بن أحمد يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال الخليل له يوما:

من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن لما عناه الخليل، فترك العروض، وأخذ يتعلم النحو وقواعد اللغة، حتى أصبح في ذلك إماما شهيرا. وقد بدأ "محمد بن اسماعيل البخاري" يتعلم الفقه على "محمد بن الحسن" فقال له هذا:

---

[1] ابن سينا، السياسة – مختارات – محمد ناصر، جـ2، الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص243.

[2] الأمين محمد عوض، أساليب التربية والتعليم في الإسلام، ط2، دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع، دبي، 1410هـ/1990، ص 75.

[3] المرجع نفسه، ص 75.

[4] عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق، ص 191.

[5] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص57.

"اذهب فتعلم علم الحديث، لما رأى ذلك العلم أليق بطبعه، فطلب علم الحديث، فصار فيه مقدما"[1].

ومثلما قررت التربية الإسلامية مراعاة ميول واستعدادات الأطفال الفطرية أكدت على مراعاة ميول الأطفال لبعض المواد الدراسية حتى يسهل عليهم فهمها. وقد بيّن "ابن خلدون" أن مطالبة الأطفال بدراسة المسائل الصعبة التي فوق إدراكهم تؤدي إلى إجهادهم إجهادا عقليا، وإلى كراهيتهم الدائمة للعلم والتعلم، ونادى بأن تكون المادة مناسبة في سهولتها وصعوبتها لإدراك الطفل، وانتقد من كانوا يقولون بتقديم المواد الصعبة للطفل ظانين أن ذلك يساعد في تقوية تفكيره. وهذا ما يريده علماء التربية من قولهم "الانتقال من السهل إلى الصعب"[2].

ويقول "ابن خلدون": "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا، يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن"[3]. ويقول : "وقد شادهنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلّها، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه، ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها".

"فابن خلدون" يتفق مع فلاسفة التربية الحديثة الذين يطالبون بمراعاة ميول الطفل وجعلها أساسا لتعليمه، وينادون بأن نجاح الطفل في أي عمل يساعده على النجاح في أعمال أخرى، لأن النجاح يؤدي إلى النجاح، وهذا يساعده على إشباع ما لديه من ميل فطري إلى حب التقدم.

وإذا كانت الدروس صعبة، والمواد فوق مستواه، صعب على الطفل فهمها، وضاعت ثقته بنفسه، لأنه لم يجد الغذاء العقلي المناسب والملائم لنموه وقدراته.

ومن كل ما سبق، نرى أن تألق الفكر التربوي الإسلامي في عالم التربية، وسبقه إلى الأصول التربوية في هذا المجال وخاصة فيما يتعلق بالتوجيه المهني للمتعلم كما مر معنا عند "ابن جماعة" وابن خلدون" وغيرهم من المربين المسلمين، ولا يمكن لأحد أن ينسى ما بيّنه وقدّمه "ابن خلدون" من الآراء الهامة والأفكار التربوية القيمة، والملاحظات الدقيقة الخاصة بمراحل النمو، وهي لا تختلف إطلاقا عن الاتجاهات التربوية الحديثة وعن آراء علماء النفس في عصرنا الحاضر، فقد بيّن طبيعة مرحلة الطفولة وما تمتاز به من الطاعة والهدوء والاستقرار، ولهذا اهتمت التربية الإسلامية في هذه المرحلة بالحفظ

---

[1] الزرنوجي، تعليم المتعلم...، المرجع السابق، ص 13.

[2] محمد عطية الابراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، المرجع السابق، ص 194.

[3] محمد ناصر، الفكر التربوي العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص 473.

والاستظهار والتكرار، والانتفاع بما لدى الطفل من استعدادات وميول حتى يتعلم ما هو أهلّ له وأليق به من العلوم والفنون.

وسوف نتطرق بدقة في الفصل الأخير الموسوم بـ "آراء بعض المفكرين المسلمين في تربية الطفل" إلى الآراء والأفكار التربوية لابن خلدون بشكل مستفيض.

4- تقنين البرنامج التعليمي من حيث الدوام وساعات الدراسة والعطل الرسمية والأعياد:

اتبع المسلمون برنامجا تعليميا مقننا في تعليم وتأديب الأطفال، ومن مظاهر تقنين وضبط هذا البرنامج ما يلي:

أولا: الدوام وساعات الدراسة:

كان الأسبوع الدراسي يبدأ في صباح السبت، وينتهي في عصر الخميس، وبهذا يعتبر الأسبوع وحدة التعليم، حيث يستمر التعليم يوميا من الصباح إلى غاية العصر، ويتناول الطلاب أثناء ذلك طعام الغذاء، كما يقومون بأداء صلاة الظهر[1].

ثانيا: العطل الرسمية والأعياد:

كان الطلاب يعطلون بعد ظهر يوم الخميس ويوم الجمعة، والغرض من عطلة الجمعة راحة الصبيان، وتعظيم هذا اليوم عند المسلمين كما جرت العادة.

وكان المعلم يراقب أعمال الصبيان عند آخر الأسبوع، ويقف معهم وقفة قصيرة ليرى مبلغ ما حصلوا.

وكان الطلاب يعطلون في الأعياد، وبطالة الأعياد تجري حسب العرف، فقد تكون يوما واحد في عيد الفطر أو ثلاثة أيام، وقد تبلغ في عيد الأضحى من ثلاثة أيام إلى خمسة أيام، وكذلك الشأن في باقي الأعياد التي اصطلح الناس على التعطيل فيها. كما كانوا يرتاحون عندما ينهي الطالب حفظ القرآن، حيث كان يؤذن للطالب الذي ختم القرآن في التعطيل يوما أو بعض يوم، إجلالا لهذا الحادث المبارك في تاريخ الصبي، حيث يصبح بعده من حملة كتاب الله[2]. فكانت تقام له حفلة بسيطة، يركب الحصان وتوزع الحلوى لإتمامه حفظ القرآن، أو إتمام حفظ جزء من القرآن الكريم. وقد ذكر "القابسي" عن "ابن سحنون" فقال: "وأما بطالة الصبيان من أجل الختم، فقيل "لسحنون" أيضا: أترى للمعلم في أذنه للصبيان اليوم ونحوه، قال: مازال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك إلاّ بإذن آبائهم كلهم لأنه أجير لهم"[3].

---

(1) أحمد محمد الزبادي، إبراهيم ياسين الخطيب، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص102.

(2) أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 177.

(3) حسن مملا عثمان، الطفولة في الإسلام مكانتها وأسس تربية لطفل، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ/1982م، ص 142.

5- الترويح والترفيه عن النفس:

من المبادئ والأصول التي اتبعها المسلمون في تعليم وتأديب الأطفال والمقتبسة من هدي النبوة، الاقتصاد في التعليم والاعتدال في قدر ما يقدم منه، من حيث الزمن والنوع، ترويحا وترفيها عن النفس، وتحقيقا للاعتدال وعدم الإملال.

فقد روى البخاري بإسناده قال: كان "عبد الله بن مسعود" يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: "**يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما أنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم، وإني أتخولكم (أي أتعهدكم) بالموعظة كم كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يتخولنا بها مخافة السآمة علينا**"[1].

وكان "ابن مسعود يقول : "**إن للقلوب لنشاط وإقبالا، وإن لها تولية وإدبارا، فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم**"[2].

وقال "الحسن البصري": كان يقال: حدّث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا فاعلم أنّ لهم حاجات[3]. وتعني هذه النصوص ضرورة مراعاة الطاقة النفسية للأطفال والكبار، فإن من يستمع أو يتعلم وهو كاره، لا يستفيد مما يتلقاه، فهو يسمع بأذنه ولا يعي بقلبه.. ومن حسن الطريقة في التعليم أن يدخل المعلّم على درسه بعض المروّحات عن النفس من النكت والطرائف أو الأشعار حتى لا تسأم النفوس وتمل القلوب، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يمزح ولا يقول إلا حقا[4].

والإسلام وهو الدين الواقع والحياة يعامل الناس على أنهم بشر لهم أشواقهم القلبية وحظوظهم النفسية، فهو يقدّر طبيعة الإنسان وما لديه من ميول فطرية وحاجات غريزية لابد من إشباعها، فقد شرع ألوانا من اللهو والترفيه الحلال منها[5]: مسابقة العدو، المصارعة، اللعب بالسهام، اللعب بالحراب، ألعاب الفروسية، الصيد، اللعب بالشطرنج، وفي المقابل حرّم على المسلمين أصنافا من اللهو وألوانا من الترفيه لضررها البالغ على أخلاق الأفراد وحياة المجتمع مثل اللعب بالنرد (الطاولة)، والميسر، الاستماع إلى الغناء والموسيقى، رؤية السينما والمسرح والتلفزيون وما يعرض من الأفلام الهابطة.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب العلم، (باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة)، رقم(70)، جـ1، المصدر السابق، ص 39.

[2] سنن الدرامي، كتاب العلم، (باب من كره أن يمل الناس)، رقم(462)، جـ1، المصدر السابق، ص411.

[3] المصدر نفسه، كتاب العلم، (باب من كره أن يمل الناس)، رقم(463)، جـ1، ص 412.

[4] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 120.

[5] يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ط7، المكتب الإسلامي، بيروت 1973، ص 211.

ومن أهم وسائل الترويح والترفيه عن النفس بالنسبة للطفل اللعب لأن اللعب حاجة غريزية في النفس، أودع الله عند الطفل ميلا قويا إلى تحقيقها لحكمة يريدها، إما لإعداده وإما لصرف طاقاته الزائدة بأسلوب يقوي جسمه، وإما لتهدئة أعصابه، واستعادة نشاطه وتغيير جو قاتم ممل سيطر على نفسه[1].

وأيا كان التفسير لضرورة اللعب، فإن الإسلام والتربية الإسلامية قد راعيا هذه الغريزة عند الناشئ، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يراعي عند معاملة الأطفال حاجتهم إلى اللعب والمرح. ففي صحيح البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "**دخل عليّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، فدخل "أبو بكر" فنتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ فأقبل عليه رسول الله فقال دعهما**"[2].

ومن هنا فإن اللعب يعد من الحقوق الأساسية التي لا ينبغي أن يحرم منها الطفل لأي سبب من الأسباب، وعليه فقد تنبه وأحس علماء التربية الإسلامية بحاجة الطفل إلى اللعب والترويح عن نفس الطفل بعد ساعات الدرس، والفيلسوف والمربي، الغزالي الذي نصح أن يسمح للطفل باللعب بعد الانتهاء من دروسه لتجديد نشاطه بشرط ألا يتعب نفسه فيقول:

"وينبغي أن يؤذن له (أي لصبي) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن مُنِع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائما يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا"[3]. وقد سبق الغزالي في هذا الرأي علماء النفس وفلاسفة التربية الحديثة في القرن العشرين في تحليل حاجة الطفل إلى اللعب وضرورة الاعتراف له بهذا الحق.

6– الثواب والعقاب:

يعتبر الثواب والعقاب من المبادئ التربوية التي أجمع الناس في العالم، وفي كل عصر من عصوره على ضرورتها وأثرهما في تربية الأطفال. ذلك أن النفس البشرية بطبيعتها وفطرتها مجبولة على المديح والثناء والمكافأة، وعلى الخوف والرهبة والحساب. ومن هذا المنطلق كان استخدام المربين المسلمين للثواب والعقاب أصلا تربويا في تعليم وتأديب الأطفال، التزاما منهم بالإسلام الذي يتبع جميع وسائل التربية فلا يترك منفذا في النفس لا يصل إليه، إنه يستخدم القدوة والموعظة، والترغيب والثواب.. والتخويف والترهيب بجميع درجاته، من التهديد إلى التنفيذ[4].

---

[1] عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 143– 144.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، (باب الدرق)، رقم(2750)، جـ3، المصدر السابق، ص1064.

[3] الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ3، المصدر السابق، ص 163.

[4] المصدر نفسه، ص 163.

فقد قال "سليمان الحكيم" من يمنع عصاه يمقت ابنه، ومن أحبّه يطلب له التأديب[1].

تنوعت العقوبات والمكافآت، فشملت:

- **الحث والترغيب:**

من الاعتبارات الإسلامية الهامة في معاملة الصبي الرفق به وعدم التشدد معه وحسن رعايته عن طريق حثه على الخير وترغيبه فيه. والترغيب يقصد به وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة مؤكدة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن عمل سيء ابتغاء مرضاة الله[2]. أما الترهيب فهو وعيد وتهديد لعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به. قال تعالى: ﴿**فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل، ذلك يخوف الله به عباده، يا عباد فاتقون**﴾[3].

ومما يمتاز به الترغيب في التربية الإسلامية عما يسمونه في التربية الغربية بالثواب أنه صادر عن الطبيعة الربّانية المواتية لفطرة الإنسان التي تتسم بها التربية الإسلامية.

ويعتمد الترغيب القرآني والنبوي على الإقناع والبرهان، كما يعتمد على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الإنسانية كعاطفة الخوف من الله تعالى التي هي أساس التعامل الصادق في الحياة، وكعاطفة الخشوع والانقياد والعبودية لله، وعاطفة المحبة والرجاء في ثوابه[4]. وغرس هذا الرجاء في قلوب ونفوس الأطفال يبنى على الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى الإكثار من وصف الجنة ونعيمها بشكل لا مثيل له. ويتم الحث والترغيب بالموعظة الحسنة، والدعوة إلى عمل الخير، والصبر الطويل على انحراف النفوس عساها تستجيب قال تعالى: ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**﴾[5] قال: ﴿**واصبر على ما يقولون**﴾[6]. والموعظة لها عدة وسائل حتى تجني ثمارها وتؤدي دورها، والقرآن الكريم مليء باللمسات الدقيقة اللطيفة المؤثرة التي تحفز النفوس وتؤثر فيها بكل وسائل التأثير.

وبهذا أدرك المربون المسلمون أهمية دور الحث والترغيب في تربية الناشئة أو الأطفال، فأكثروا منه، وضمّنوه في وصاياهم ورسائلهم لتلاميذهم والمقربين إليهم ومن عملوا على تأديبهم، حيث يقول "الغزالي" في رسالة أيها الولد:

---

[1] أحمد محمد الزبادي، ابراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 104.

[2] عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية...، المرجع السابق، ص 257.

[3] سورة الزمر، الآية 15- 16.

[4] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 122.

[5] سورة فصلت، الآية 33.

[6] سورة النحل، الآية 125.

أيها الولد: من جملة ما نصح به النبي –صلى الله عليه وسلم– أمته قوله –عليه الصلاة والسلام–: علامة إعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وإن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له من العبادة، لجدير أن تطول عليه حسرته، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم..[1]

ولو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعدا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا"[2].

- **التوبيخ:**

تعتبر العقوبة في الإسلام وسيلة وليست غاية، فتبنتها التربية الاسلامية بغرض الإرشاد والإصلاح لا الزجر والانتقام. وقد حرص المربون المسلمون على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته، وشجعوه على أن يشترك بنفسه في إصلاح الخطأ الذي وقع فيه، وتناسوا غلطاته وهفواته بعد إصلاحها ولهذا عني فلاسفة التربية الإسلامية بموضوع العقوبة عناية كبيرة، ساء أكانت عقوبة معنوية أم كانت عقوبة جسدية، واتفقوا على أن الوقاية خير من العلاج، ولهذا نادوا باستخدام كل وسيلة لتأديب الأطفال وتهذيبهم منذ الصغر، حتى يعتادوا أحسن العادات في الكبر، فلا نحتاج إلى معاقبتهم[3].

ويرى "ابن سينا" أنه ينبغي البدء بتربية الطفل، وتعويذه الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة والسيئة، لأنه من الصعب أن يتخلص منها إذا اعتادها وتمكنت من نفسه، وإذا اضطر المربي اللجوء إلى العقوبة وجب عليه أن يتخذ الحكمة من تحديدها. وقد نصح ألا يعامل الطفل بشدة والعنف في البدء، بل باللين واللطف ويستعمل معه الترغيب تارة والتخويف والترهيب تارة أخرى، ويستخدم العبوس والإنذار والتوبيخ والتأديب والضرب إذا تطلب الأمر ذلك[4].

فالتوبيخ كما يرى "ابن سينا" هو أحد وسائل تربية الطفل الذي لا يجوز للمربي أن يلجأ إليه إلا عند الضرورة وذلك بعد استنفاذ كل الوسائل الأخرى، وفي هذا الشأن يقول ابن "مسكويه"[5]: "فإن خالف في بعض الأوقات.. فالأولى أن لا يوبخ عليه، ولا يكاشف بأنه أقدم عليه، بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله أنه قد تجاسر على مثله ولا هم به، لاسيما إن ستره الصبي واجتهد في أن يخفي ما فعله على الناس، فإن عاد فليوبخ عليه سرا وليعظم عنده ما أتاه، ويحذر من معاودته، فإنك إن عودته التوبيخ والمكاشفة، حملته على الوقاحة و حرّضته على معاودة ما كان استقبحه، وهان عليه سماع الملامة في ركوب القبائح من اللذات التي تدعو إليها نفسه، وهذه اللذات كثيرة جدا.

---

[1] الغزالي، أيها الولد، المصدر السابق، ص 7 – 8.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

[3] صالح ذياب الهندي، المرجع السابق، ص 122– 123.

[4] المرجع نفسه، ص 123.

[5] محمد ناصر، الفكر التربوي العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 164.

ويمكن توضيح موقف التربية الإسلامية من التوبيخ كما يتبين من كلام "ابن مسكويه" في النقاط التالية:

1- إن التوبيخ أحد وسائل العقوبة في الإسلام، والأولى أن لا يوقع بحق الطفل عند المخالفة الأولى.

2- إن التوبيخ يوقع بحق الطفل سرا إن هو خالف للمرة الثانية، ثم يحذر من تكرار مخالفته.

3- إن التوبيخ العلني للطفل محظور، لأنه كما يرى "ابن مسكويه" يحمل الطفل على الوقاحة، وعلى معاودة ما كان استقبحه، على البلادة وعدم الاكتراث من سماع الملامة في ركوب القبائح من اللذات التي تدعو إليها نفسه، وهذا يتفق مع ما قاله "الغزلي" أن التوبيخ يؤدي إلى الحزن والخوف وقلة الثقة بالنفس.

4- إن التوبيخ بأصوله عندما لا يجدي مع الطفل يتبعه الضرب الذي يشعره بالذنب والوقوع فيه.

الضرب وشروطه:

يخلق الطفل ضعيفا، لا يدرك معاني الحلال والحرام، ومعاني القيم التي يتعامل الناس على أساسها فيما بينهم، لذلك فهو في حاجة إلى من يرشده ويأخذ بيده، ومن طبيعة الطفل كثرة الحركة وحب الاستطلاع والتجريب لمعرفة الأشياء واختبارها حبا منه في معرفة ماهيتها، ومن هنا تكثر أخطاء الأطفال، وبالتالي يعاقبون في بعض الأحيان نتيجة لبعض التصرفات الطائشة غير اللائقة في نظر الكبار.

وقد تدرج الإسلام والتربية الإسلامية في عقاب الأطفال على النحو التالي:

أ. الحث والترغيب والوعظ.

ب. العبوس كإشعار بالخطأ.

ت. التنبيه والإنذار على الخطأ.

ث. التوبيخ يستخدم إذا لم يجد الإنذار والعبوس نفعا.

ج. الضرب.

وقد أقر المربون المسلمون مبدأ عقاب الصبيان بالضرب عند الضرورة، وجعلوه آخر عقوبة، لا يلجأ إليه إلا بعد استنفاذ الإجراءات التأديبية الأخرى، واشترطوا الرفق بالأطفال تمشيا مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو.

وفي هذا الشأن يرى "ابن سينا" أنه إذا اضطر المربي إلى معاقبة الطفل، فعليه ألا يلجأ إلى العقوبة إلا عند الضرورة، ولا يلجأ إلى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء.. لإحداث الأثر المطلوب في نفس الطفل.

وكان "الغزالي" ضد الإسراع في معاقبة الطفل المخطئ، فقد نادى بإعطائه فرصة ليصلح خطأه بنفسه، حتى يحترم نفسه ويشعر بالنتيجة. ويرى "العبدري" ألا يلجأ المربي إلى استعمال العصا إلا في

حالة اليأس من نجاح طريقة الإصلاح واللين والشفقة. ومن الأفضل أن يقلل المربي من اتباع الشدة والعنف، وإذا اقتضت الضرورة توقيع عقاب على الطفل فإنه يكفي ثلاث ضربات خفيفة، وعلى أية حال لا ينبغي أن يتجاوز عدد الضربات عشرا.

وقال "ابن خلدون"، لا ينبغي لمعلم الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا دعت الحاجة إليه عن ثلاثة أسواط، شريطة أن يكون الضرب على المواضع التي لا يخشى منها مرض ولا غائله، ولا يكون الضرب على الرأس ولا على الوجه، ولا يضرب بعصا غليظة تكسر العظم، ولا رقيقة تؤلم الجسم، بل تكون وسطا، ويتخذ جلدا عريض السير.

شروط الضرب:

قرر "القابسي" وغيره من الفقهاء عقوبة الضرب، ثم أحاطوا بهذه العقوبة وحددها بجملة من الشروط، حتى لا يخرج الضرب من الزجر والإصلاح إلى التشفي والانتقام. ومن أهم شروط الضرب التي ذكرها "القابسي" ما يلي:[1]

1- ألا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب.
2- أن يوقع المعلم الضرب بقدر الذنب.
3- أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث، ويستأذن القائم بأمر الصبي في الزيادة إلى عشرة ضربات.
4- لا يجوز ضرب الأطفال قبل سن العاشرة، كما لا يجوز ضرب الأطفال الذين تقدمت أعمارهم.
5- أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الصبيان الذين تجري بينهم الحمية والمنازعة.
6- ألا يكون الضرب مؤلما يتعدى إلى التأثير المشنع أو الهن المضر.
7- أن يكون الضرب على الرجلين، فهو آمن وأحمل للألم في السلامة، وليتجنب رأس الصبي أو وجهه، إذ قد يوهن الدماغ أو تطرف العين.
8- أن يكون الضرب بعود رطب مأمون.

فهكذا نجد أن معظم المربين المسلمين "كالقابسي" و"ابن سينا" و"الغزالي" و"العبدري" و"ابن خلدون" قرروا منع الشدة في عقوبة الأطفالن وقرروا أن يعامل كل طفل المعاملة التي تلائمه، بحيث لا يلجأ المعلم إلى العقاب إلا عند الضرورة القصوى، وبعد استنفاذ كل وسائل العقاب، وأن يكون ذلك في أضيق الحدود، وضمن الشروط، محافظة على كرامة الطفل الإنسانية.

---

[1] القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م، ص 101.

أنواع الإثابات:

مر معنا أن العقوبات التي قررتها التربية الإسلامية كانت متنوعة تناسب وتلائم أحوال الصبيان وما بينهم من فروق في الطبائع والاستعدادات فإن الإثابات والمكافآت كانت متنوعة بحسب حال استجابات الأطفال وما يبدونه من خلق جميل وفعل وسلوك حسن.

وقد تكون أنماط وصنوف التقدير والإثابة إما معنوية كالمدح والثناء والتشجيع وإما مادية كالمكافآت والعطايا والجوائز. وقد حرص المربون المسلمون على تقديم الإثابات وحثوا عليها في وصاياهم وكتاباتهم.

"فالغزالي" يرى بضرورة مدح الطفل وتشجيعه إذا قام بأعمال حميدة تستحق المكافأة والمدح والتشجيع، لأن التشجيع يدخل السرور على النفس فتتشجع وتتقدم[1] وقال "ابن مسكويه": ولمدح (الصبي) بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه[2].

أما المكافآت والجوائز المالية فقد كانت منتشرة في الأوساط التعليمية لدى المربين المسلمين، والتاريخ يذكر لنا ما خصصه المأمون من جوائز مالية لطلبة العلم، وما جعله الملك الأشرف على مدرسته في دمشق، حين خصص ثمانية دراهم لكل طفل، وزاد على ذلك لمن كان نشيطا، مجتهدا، مقبلا على حفظ الكتب. وهذا ليس غريبا إذا استرجعنا ما سبق ذكره من قبل على أن التعليم كان مجانيا، يوفر للطالب فيه المسكن والطعام واللباس.

تعزيز النجاح:

أكد المربون المسلمون على ضرورة تعزيز إجابات الطفل، وأخذه إلى النجاح، لأن الشعور بالنجاح أدعى إلى النجاح والإنجاز والتحصيل العالي.

وهذا "ابن جماعة الكتاني" يوصي بتعزيز النجاح فيقول: فمن رآه مصيبا (الطفل) في الجواب، ولم يخف عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد.

وهكذا نستنتج بأن المربين المسلمين قد سبقوا علماء التربية الحديثة في التنبه والقول والأخذ بالاصل التربوية التي يستخدمها المربون في أيامنا هذه وما هذا إلا دليل على تقدم الدولة الإسلامية في مجال التربية والتعليم والذي يؤول بدوره إلى تقدم المجالات الأخرى من سياسة واجتماع، واقتصاد ودين...إلخ.

وبهذا نكون قد انتهينا من الفصل السادس وقد أجبنا عن السؤال السادس من أسئلة البحث وهو: ما الأصول التربوية التي اتبعها معلموا ومؤدبوا الأطفال في الإسلام؟

---

[1] محمد عطية الابراشي، المرجع السابق، ص 157.

[2] محمد ناصر، الفكر التربوي العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص 164.

الفصل السابع

الفصل السابع

الطفولة فكر في فكر المربين المسلمين

1- أبو حامد الغزالي

2- عبد الرحمن ابن خلدون

نماذج في نظريات رعاية وتربية الطفل في التراث العربي الإسلامي:

تمهيـد:

يشهد التاريخ العربي والإسلامي على أن رعاية الطفل وتربيته قد حظيت باهتمام كبير جسّده القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فكانا خير عون على تقديم أفضل أساليب الرعاية للطفل وتربيته، وضمانا لحسن نشأته، وحمالة له من الزلل والانحراف وإساءة المعاملة. كان كتاب الله وسنّة نبيّه النبع الذي لا ينضب، والنور الذي أضاء بشعاعه مجالاً إنسانيا مهمًا، ألا وهو مجال رعاية الطفل وتربيته كما كانا في غيره من مجالات الحياة.

وقد كان لهذا الاهتمام الربّاني والنبوي الشريف بالطفل أثره في اهتمام الكثير من العلماء والمفكرين العرب والمسلمين بموضوع رعاية الطفل وتربيته، مما يعتبر بحق خير شاهد على عظمة هذه الأمة وعظمة مساهمتها في تراكم وتواصل المعرفة الإنسانية، خاصة تلك التي تهتم بدراسة الإنسان في نموه ونشأته، وفي سلوكه ومعاملاته، وفي تربيته وتوجيه سلوكه، وفي رعايته، والعناية به وحفظه.

وهكذا، نجد في مسيرة حضارتنا العربية الإسلامية شموع مضيئة أنارت الطريق أمام البشرية ومهدته لها بإسهاماته الكبيرة، ليس فقط في مجال تربية ورعاية الطفل والاهتمام به وحفظ حقوقه وإعداده للحياة، بل أيضا في غيره من مجالات العلم والمعرفة.

ويعتبر "أبو حامد الغزالي" مثالاً لما ميّز التراث العربي الإسلامي في مجال رعاية الطفل، بل مؤسسا للكثير من النظم والأساليب في مجال رعاية الإنسان في سني حياته الأولى التي تعد، ومن ثوابت تربية ورعاية الطفل حتى يومنا هذا، ولا زلنا نجد آثارها واضحة عند العديد من مفكري التربية والرعاية. وقد سبق الغزالي بأفكاره هذه الكثير من المفكرين المحدثين الذين يدعون لأنفسهم الفضل في هذا المجال، بل إنّ ما نادى به الغزالي منذ أكثر ما يزيد عن 1300سنة قد سبق حتى الإعلان العالمي حول التربية للجميع الذي صدر عن منظمة اليونسكو وغيرها عام 1990م.

وقد ضمن "الغزالي" آراءه وأفكاره التربوية هذه العديد من المؤلفات، منها كتابه "إحياء علوم الدين"، و"المنقذ من الضلال"، ورسالة عَنْوَنَهَا الغزالي مباشرة للولد وسمّاها "أيها الولد" و"كتاب السياسة". ومع كثرة تشعّب آراء الغزالي وخصبها، أصبح من الصعب تناول كافة آرائه ووجهات نظره في هذا المجال الإنساني الهام والذي أولاه عناية واهتمام خاصين.

وإن المتتبع لأراء "الغزالي" في رعاية الطفل والاهتمام به وحسن تربيته سيقف بدون شك أمام جهد علمي وتربوي غاية في الخصب والثراء، استلهم فيه "الغزالي" آراء من سبقه، واستوحى فيه كتاب الله وسنّة رسوله محمّد –عليه الصلاة والسلام–، وعالج فيه مستجدات الحياة في واقعيتها الاجتماعية والعلمية، وكيف لا وهو كان يقوم بالتدريس، ويتحلّق في مجلسه عشرات الدارسين من مختلف أرجاء الدنيا.

فمن هو إذًا أبو حاد الغزالي؟

الغزالي:

شخصيته:

هو أبو حامد الغزالي ولد بطوس من أعمال خراسان سنة 450هـ-1085م ومن المرجح أن نسبته للغزالي ترجع إلى مهنة والده وهي غزل الصوف وهناك من يقول أنها نسبة إلى غزالة وهي بلد ينسب إليها[1].

بعض آراء الغزالي التربوية:

لقد تناول "أبو حامد الغزالي" شؤون التربية في عدد من مؤلفاته، وأهم آرائه في هذه النواحي جاءت في كتاب "فاتحة العلوم" وكتاب "أيها الولد" ثم كتاب "إحياء علوم الدين" والباحث أو الدارس لما كتب الغزالي عن التربية يجد أنه وضع نظاما تربويا كاملا يمكن للتربية المعاصرة أن تستفيد منه. ونتطرق إلى بعض جوانب تربية الأطفال لدى "الغزالي" على النحو التالي:

أولا: الأهداف الخاصة بتربية الصبيان وتتمثل في:

أ- **تحقيق التربية الروحية لدى الصبيان:** من خلال تعليمهم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم ليغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله[2].

وإذا بلغ الطفل سن التمييز "فينبغي ألا يسامح في ترك الصلاة ويؤمر فيه بالصوم في بعض أيام رمضان"[3]، وذلك حرصا من الغزالي على تدريب الصبي منذ الصغر على الصبر ومجاهدة النفس، وتهذيب الشهوات إعدادًا له لمرحلة التخلية والتحلية، بالإضافة إلى أنّ اعتدال القوى من وجهة نظر الغزالي يسهل اكتساب التعليم وأداء العبادات.

ب-**غرس القيم الأخلاقية:** يحرص "الغزالي" على أن يعلم الصبي أن "لا يستدبر غيره ولا يضع رجلاً على رجل يضع كفة تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام"[4]. فهذه السلوكيات عند "الغزالي" تعوّد الصبي على التواضع واحترام الغير حتى لا ينشغل بلذات الحياة الدنيا والتذكير الدائم بأنها دار مقر لا ممر، ويجب إكثار الصمت والتأمل في الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته، وذلك تدريب للصبي على منهج الصوفية لكي يسهل انقداح روح العلم في روحه ليحظى بالسعادة في الحياة الدنيا.

---

[1] الذهبي، سير النبلاء، جـ12، نقلا عن عبد الرحمان بدوي، مؤلفات الغزالي، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م، ص453.

[2] الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص63.

[3] المصدر نفسه، جـ3، ص63.

[4] المصدر نفسه، جـ3، ص63.

ت-**اكتساب القيم الاجتماعية:** وبما أن الصبي في هذه المرحلة يبدأ بالاختلاط في المكتب بقرنائه من الصبيان ومعلميه ويتبادل معهم العلاقات التي تعكس قيم الصبي وبيئته حرص "الغزالي" على تهذيبه ورياضته "فينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنًّا قريبا وأجنبيا وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والعظيم"[1]. ويُعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام والخيانة والكذب والفحش وأن لا يأخذ من الطعام إلاّ بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل ممّا يليه[2].

وذلك حرصا من "الغزالي" على أن ينشئ أجيالا يؤمنون بآداب وقيم اجتماعية موحّدة في ضوء الشريعة الإسلامية فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعمر بن أبي سلمة -رضي الله عنهما- وكانت يديه تطيش في الصفحة "**يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل ممّا يليك**"[3].

ث-**الاهتمام بالتربية الجسمية:** دعا "الغزالي" إلى الاهتمام بالإعداد أو البناء الجسمي من أجل القيام بآداء العبادات حيث نصح بأن "يُعود في النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل"[4]، وأن يُمنع الصبيان "عن النوم نهارًا فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلاً ولكن يمنع الفراش الوطيئة حتى تتصلب أعضاءه ولا يسمن بدنه ولا يصبر عن النعم بل يعوّد الخشونة في المفرش والملبس والمطعم"[5]، وأن يُعود الصبيان على الخبز القفار في بعض الأوقات حتى "لا يصير بحيث يرى الأدم حتمًا"[6]. ويُعود القناعة بالطعام الخشن أي طعام كان لما لكثرة الأكل من آثار قد تعوق العبد عن تحقيق السعادة الأبدية نتيجة لعدم الخشوع عند ذكر الله وإعاقته عن آداء العبادات، وانشغاله بالشهوات، لذا يرى أن للجوع فوائد عظيمة "فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلوة المعدة وهو السبب الأظهر فيه[7]، ودفع النوم ودوام السهر (لأجل العبادة) فإن من شبع شرب كثيرًا ومن كثر شربه كثر نومه"[8].

---

(1) **الغزالي، إحياء....، جـ3، المصدر السابق، ص63.**

(2) **المصدر نفسه، جـ3، ص63.**

(3) **سبق تخريج الحديث، ص 129 من الرسالة.**

(4) **الغزالي، إحياء.....، جـ5، المصدر السابق، ص63.**

(5) **المصدر نفسه، جـ3، ص63**

(6) **المصدر نفسه، جـ2، ص62.**

(7) **المصدر نفسه، جـ3، ص73.**

(8) **المصدر نفسه، جـ3، ص74.**

وبهذا يمكننا أن نحدد مجمل أهداف تربية الصبيان عند "الغزالي" بأنها التنشئة الإسلامية الحقة للصبي، لأن الإسلام يشمل تربية الروح والجسم والعقل. وقد اعتمد الغزالي على الشريعة الإسلامية كمصدر لمنطلقاته التربوية في تربية ورعاية جوانب شخصية الفرد المختلفة من الناحية الروحية والجسمية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية، بالإضافة إلى بعض الأفكار الأخرى في آرائه المستمدة من الفكر الصوفي[1].

منهج تربية الصبيان:

انطلاقا من نظرة "الغزالي" إلى أن تعلم بعض العلوم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وحرصه على مراعاة قدرات الصبيان في هذه المرحلة وضع معيارًا يتم على أساسه "اختيار المناهج وهو فائدة العلم للمتعلم والمجتمع وبذلك تأخذ العلوم الدينية حيزًّا كبيرا ووزنا أثقل في مناهج الدراسة من العلوم الطبيعية وغيرها ممّا يبحث في أحوال الدنيا"[2].

ومنهج "الغزالي" هنا يركز على العلوم التي هي فرض عين على كل مسلم وهي القرآن والأحاديث، وتعليم الفرائض الإسلامية كالصلاة والصوم، وتعليم أسس الحلال والحرام بالإضافة إلى بعض العلوم المباحة كعلم التاريخ والأشعار التي لا سخف فيها، وذلك لتربية الصبي أخلاقيا واجتماعيا.

كما نجد "الغزالي" يركز على عدم تعليم الصبي علوم الكلام والفلسفة لأنها تشوش فكره وتزعزع عقيدته ولذلك يرى أن الطريقة الوحيدة لتثبيت العقيدة الإسلامية لدى الصبي والعامي هي: التكرار "وليس الطريقة في تقويته وإثباته أن يعلم صناعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات"[3].

وحرص "الغزالي" على أن يكون الصبي متفاعلاً مع المعلّم مقبلا عليه لذا حث المعلمين أن يتركوا للصبيان فرصة للترفيه والترويح وإبعاد الملل النفسي عنهم وتنشيطهم الذاكرة من خلال الرياضة والحركة، والمشي لكي يتحقق النشاط بعد الانتهاء من اللعب، والرجوع مرة أخرى إلى التعليم "لتتبعث دواعيه إلى التعليم ابتداء وطعمًا فيما راعيناه آخر تدريجيا"[4].

ونظرا لمعرفة وخبرة "الغزالي" الكبيرة بنفسية الصبي حيث أدرك أن كثرة التعليم المتواصل يؤدي إلى إرهاق الصبي والضغط عليه نفسيا ممّا يؤدي إلى كرهه للتعليم وإماتة القلب فيضطر إلى اللجوء للحيلة

---

(1) محمد عبد السلام العجمي، صلاح حسن خضر وآخرون، المرجع السابق، ص 213.

(2) محمد نبيل نوفل، أبو حامد الغزالي فلسفته وآراؤه في التربية والتعليم، ص 377، نقلا عن محمد عبد السلام العجمي وآخرون، المرجع السابق، ص 213.

(3) فتحية حسن سليمان، المذهب التربوي عند الغزالي، ص 47.

(4) الغزالي، ميزان العمل، مطبعة الجندي، القاهرة، 1328هـ/1910م، ص 142.

والخلاص منه وبذلك يتسرب الصبيان من الكتاتيب. لذا اهتم "الغزالي" بإتاحة التسلية واللعب للأطفال وفق الوسائل المتاحة[1].

وهكذا نجد أن ما دعا إليه "الغزالي" تنبهت إليه التربية الحديثة فشملت جميع "جوانب شخصية المتعلم لأن المتعلم لن يصل إلى الحقيقة وحده مهما نما عقله وكثر عمله، وإنما يصل إليها إذا تكاملت شخصيته من جميع جوانبها وتهذبت، ولذلك لا ينبغي أن تقتصر تربية الطفل على تعليمه في المكتب أطرافا من العلوم المختلفة بل توجه العناية إلى تهذيب نفسه ومراعاة سلوكه فتسير عملية تربية متكاملة من جميع جوانبها[2].

وبهذا أصبحت الألعاب تحتل أهمية كبيرة في نمو الأطفال بمختلف الجوانب من الناحية الجسمية والعقلية واللغوية، والاجتماعية، وذلك لأن الأطفال يكتسبون عن طريق اللعب الكثير من الخبرات والمهارات والقدرات التي لم يكن من السهل اكتسابها من وسائل أخرى، فالطفل يميل إلى اللعب بغريزته الفطرية، كما يميل بإرادته الذاتية لأن اللعب هو أحب شيء إلى الطفل وأرغب شيء لديه[3].

ومن خلال اللعب يتم النمو الاجتماعي عن طريق تكوين مفاهيم تلازم الحق والواجب فالواجب هو الأساس ولا يحصل الفرد على حق إلاّ إذا كان يؤدي في المقابل واجبًا وهذا يشعر الطفل بأن مصالحه لا يمكن أن تتحقق إلاّ ضمن أو في إطار المصالح المشتركة[4]، مما يتطلب علاقات متفاعلة مع الآخرين وحرصًا على مشاعرهم وهذا يقوي انتماء الصبي مع الجماعة ويكسبه الأمن والتقبل مع الآخرين وهي حاجتان نفسيتان يطلبهما كل إنسان.

أساليب تربية الصبيان:

اعتمد "الغزالي" على أساليب متعددة ومتنوعة لتحقيق الأهداف المرتبطة بتربية الصبيان وذلك لاختلاف المواد الدراسية والمواقف التعليمية ومدى استجابة الصبيان لها وفي مقدمتها:

أ- الاقتداء والتقليد: يعتبر "الغزالي" الاقتداء والتقليد أحد الوسائل التربوية التي لها أثر مهم في تكوين شخصية الصبي ولذلك نجده يهتم في اختيار البيئة التي تحيط بالصبي من مرحلة الحضانة فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلاّ امرأة متدينة"[5] ثم بعد ذلك يحفظ من قرناء السوء فأصل تأديب الصبيان الحفظ

---

(1) الغزالي، ميزان العمل، المصدر السابق، ص 142.

(2) محمد نبيل نوفل، أبو حامد الغزالي فلسفته وآراؤه في التربية والتعليم، المرجع السابق، ص 266.

(3) محمد بسام ملص، عرض كتاب الميسر في سيكولوجية اللعب، مجلة التربية، تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 72، 1405هـ/1985م، ص 80.

(4) المرجع نفسه، ص 83.

(5) الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص 62.

من قرناء السوء[1]، ويحث على ابتعاده عن الصبيان الذين عودوا الرفاهية والتنعم ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغب فيه[2].

وهذا ما نادت به التربية الحديثة حيث رأت أن تحقيق الغاية المرجوة من التربية لا يمكن أن تتم على الوجه الأكمل إلاّ بوجود مثال حي يقتفي أثره ويحتذي حذوه، ووجود القائد المثالي في جماعة ما أشد تأثيرًا وأكبر فعلاً في خلق المثالية في أفراد تلك الجماعة من مئات المحاضرات وألوف المجلدات... وهذه الفكرة تنبئ على أن الإيحاء العلمي أقوى وأشد تأثيرًا من القولي[3]، لأن الإيحاء العلمي تجسيد حي أمام الصبي لما تطالب به التربية من قيم.

إذ أن القدوة الحسنة هي أنجح الوسائل المؤثرة في تربية الطفل وإعداده من جميع الجوانب الخلقية والنفسية والاجتماعية، ومن ثم كان الواجب على الوالدين أو من يقوم مقامها أن يظهرا دائما بالصورة التي يرضاها الله سبحانه وتعالى منهما ويقرها العقل السليم. لأن من طبيعة البشر وقطرتهم أن يتأثروا بالمحاكاة والتقليد أكثر ممّا يتأثرون بالقراءة والسماع ولا سيما في الأمور العلمية ومواقف الشدة وغيرها.

ب- الحفظ: أيقن "الغزالي" بحاجة الطفل إلى أساليب أخرى لتقوية الأفعال الحسنة التي اكتسبها من خلال التقليد وإزالة الأفعال السيئة والإقلاع عن العادات السيئة ومنها الحفظ لاعتباره الأسلوب المناسب لعقلية الصبي لأن الله عزّ وجلّ فطر قلب الصبي على الإيمان فلا يحتاج إلى براهين وحجج ودلائل لإقناعه به وإنما مجرد ترسيخ الإيمان بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه فينبغي أن يقدم الصبي في أول نشوة ليحفظه حفظًا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئًا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق به، وذلك مما يحصل به في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه وتعالى على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوة الإيمان من غير حاجة إلى حجة البرهان[4].

جـ- التربية بالعادة: يرى "الغزالي" أن السبيل الوحيد إلى تزكية النفس هو اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية الكاملة حتى إذا صار ذلك الفعل معتادًا بالتكرار مع تقارب الزمان وحدث فيها هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها بحيث يصير ذلك له بالعادة كالطبع فيخفف عليه ما كان يستثقله من الخير[5]، ويكون ذلك أول الأمر تكلفًا وقد يبدو ثقيلاً على النفس ولكن بالتكرار يصبح عادة فمن أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليمًا متواضعًا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفًا حتى يصير ذلك طبعًا له[6]، فيجب عليه مثلا أن يكثر التصدق في وجوه الخير، وهبة المحتاجين ويدرّب نفسه باستمرار حتى يصبح

---

(1) الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص 63.

(2) المصدر نفسه، جـ3، ص 62.

(3) المصدر نفسه، جـ3، ص 63.

(4) محمد أمين المصري، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، ط4، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/1978م، ص 67.

(5) الغزالي، إحياء.....، جـ1، المصدر السابق، ص 63- 64.

(6) الغزالي، ميزان العمل، المصدر السابق، ص 46.

عادة له، لا تتحرك إلاّ على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أكثر إلى القلب والأمر فيه دور[1].

وقد اشترط الغزالي لتكوين العادة أمرين:

الأمر الأول: كثرة التكرار سواء كانت العادة المكتسبة حركية أو عقلية أو خلقية لأن التكرار هو الذي يساعد الإنسان على أن يصدر فعله بشكل آلي من غير فكر ولا رويّة[2] فيكون خفيفًا على النفس.

و**الأمر الثاني:** تقارب الزمن بين تكرار الفعل حتى يستطيع ضبط ايجابيات الفعل والقضاء على سلبياته، فمن أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبًا بالطبع فلا طريق له إلاّ أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن[3].

الجزاء عند الغزالي:

انطلاقا من نظرة الغزالي إلى الفطرة الإنسانية بأنها قابلة للخير والشر وأن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصور وهو قابل لكل ما نقش عليه ومائل إلى كل ما يُمال به فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة[4].

ونظرا للفروق الفردية بين الصبيان في الالتزام بما يلقى عليهم من توجيهات ورعاية لمصالحهم الضرورية رأى أنه لا بد من وسائل لجذبهم إلى ما فيه الصلاح لهم ووقايتهم مما فيه الضرر بهم، وهذا لا يتأتى إلاّ بالثواب والعقاب.

أولاً: الثواب:

حرصا من الغزالي على مداومة الصبي على الأفعال الحسنة وتكرارها أكدّ على ضرورة إثابة الصبي على ذلك الفعل الصادر منه وإن كان ذلك الفعل ليس ذا أهمية كبيرة فينبغي أن يكرم بما يفرح به[5]. ونظرا لاختلاف طبائع الصبيان فقد يفرح بعضهم بالأشياء المادية المحسوسة كأن يعطى هدية أو يولي الرئاسة على الصبيان وقد يكتفي بعضهم بأن يمدح بين أظهر الناس[6]، فإنه يجب على المعلم المربي أن يحاول معرفة الحافز الذي يؤدي إلى تشجيع الصبي على تكرار الأفعال الحسنة لكي تصبح عنده عادة راسخة لكثرة التكرار، وذلك لا يتيسر إلاّ إذا كان المعلّم فاهمًا نفسية الصبيان ومجالات اهتمامهم وما يرضيهم وما يُؤلمهم.

---

[1] الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص 49.

[2] المصدر نفسه، جـ3، ص 51.

[3] الغزالي، ميزان العمل، المصدر السابق، ص 66.

[4] الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص 63.

[5] المصدر نفسه، جـ3، ص 62.

[6] المصدر نفسه، جـ3، ص 63.

ثانيا: العقاب:

لقد حرص "الغزالي" على إثابة الصبي على الأفعال الحسنة لكنه لم يستعجل عقاب الصبي عندما يصدر عنه فعل سيء وذلك لأن "الغزالي" يرى أن كثرة العقاب والإفراط فيه تفقده أهميته نتيجة لعدم مبالاة الصبي به أحيانًا، ونتيجة لعلمه بأحوال النفس البشرية اعتمد على مبدأ التدرج فجعل عقاب الصبي يمر بمراحل متعددة هي كالتالي:

أ- التغافل: نصح "الغزالي" المعلم وولي ومربي الصبي بالتغافل عن الخطأ الذي يرتكبه الصبي أول مرة بقدر الإمكان لأن مكاشفته بالمعرفة قد تزيده جسارة وإقدامًا وجرأة فلا يصبح يخشى تكرار فعلته المذمومة[1]، فلا يظهر له أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا استمر الصبي واجتهد في إخفائه لأن حرصه على إخفائه[2] اعترافًا منه على خطئه وقد يكون زلة يندم على فعلها فلا يكررها مرّة أخرى ولكن يشترط "الغزالي" أن يتحقق المعلّم والمربي من عدم معرفة الصبي بانتباهه إليه، لأن تركه بدون عقاب عند معرفة الصبي بانتباهه إليه يؤدي إلى استهانته بذلك الذنب الذي ارتكبه فيتكرر مرّة أخرى.

ب- التعريض: التعريض يؤثر في الزجر والتصريح بالزجر، مما يغزي بالمنهي عنه... وذلك أن النفس الفاضلة لميلها إلى الاستنباط والتنبيه للخفيات تميل إلى التعريض شغفا باستخراج معناه بالفكر، والتعريض لا يهتك حجاب الهيبة، والتصريح يرفعه بالكلية فيستفيد المنهي جزاءه على المخالطة إذا اضطر إلى المخالفة مرة أخرى[3].

ويربط "الغزالي" بين التعريض والرحمة فلا يوبخ الصبي ولا يصرح له بما فعله حتى تتأكد إثارة مداركه بالتعريض والإشارة ليربط مواقفه بنتائجها، كي يتأكد اتباع سياسة الرحمة حتى لا تحمله على اتخاذ مواقف الجرأة على الهجوم بالخلاف أو الحرص على الإصرار[4].

وقد حث "الغزالي" على هذا الأسلوب تأثرا بمعاملة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه فكثيرا ما كان يقول: "**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**".

جـ- الضرب: والمرحلة الأخيرة من مراحل العقاب عند "الغزالي" هي الضرب، وواضح من كلام "الغزالي" عن الضرب أنه يهتم بالأثر النفسي للعقوبة أكثر من تقيد المعلم بمقدار الضرب وطريقته فكأنه ترك الأمر مطلقا للمعلم بمقدار الضرب لأنه نظر إلى المعلم وشفقته على المتعلم وفهمه لمصلحته من مرآة نفسه وقد طالب المعلم بالشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنية قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**" و"الغزالي" هنا يرى أن التعليم وتنمية المدارك لا يتحققان في تكوين

---

[1] الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص 63.

[2] فتحية حسن سليمان، المرجع السابق، ص 60.

[3] الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص 62.

[4] الغزالي، ميزان العمل، المصدر السابق، ص 143.

الصبي إلاّ باهتمام مماثل بوجدان الصبي[1] ولا يتأتى الجزاء كما أراده "الغزالي" إلاّ بمعلم ذي مواصفات فريدة.

المعلم (مكانته وخصائصه):

تتجلى وتبرز فضيلة المعلم عند الغزالي من ثمرة تعليمه وهي القرب من الله عزّ وجل، وهو متصرف في قلوب البشر ونفوسهم والإنسان هو أشرف المخلوقات على الأرض وقبله أشرف جزء فيه والمعلّم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله سبحانه وتعالى[2]. ولذلك رأى أن عمل المعلم عبادة الله سبحانه وتعالى لتحقيق الأهداف التي يرمي إليها المجتمع المسلم إلى غرسها في نشئه.

فمن ناحية الإعداد العلمي اهتم "الغزالي" بأن يكون المعلّم ملمًّا بأصول العقيدة والشريعة الإسلامية لأن من واجبه أن يعلمهم الصلاة والطهارة ويعرفهم بما يلحقهم من نجاسة[3]، بالإضافة إلى ضرورة أن يكن المعلم ملّما وحافظا لكتاب الله عز وجل والسنة النبوية الشريفة والقراءة والكتابة، وإذا كان "الغزالي" لم ينص على ذلك صراحةً فيظهر أن السبب تعارف مجتمعه على ذلك ومما يؤكده ضرورة أن يكون المعلم ملّما بالقرآن الكريم والسنة النبوية هو حرصه على تعليمها للصبيان من قبل المعلم وفاقد الشيء لا يعطيه.

أما من ناحية المواصفات المهنية للمعلم فينصحه "الغزالي" بأن يكون قدوة لهم فيبدأ بإصلاح نفسه فهم لا يكتفون بما يلقيه عليهم من معلومات ويعملون بتطبيقها وإنما أعينهم إليه ناظرة وآذانهم إليه مصغية فما استحسنه من القيم والعادات فهم عندهم حسن وما استقبحه فهو عندهم القبيح ولذلك يجب عليه أن يطبق على شخصه ما يلقيه عليهم من معلومات فلا يكذب قوله وفعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وقد استمد "الغزالي" تلك الوظيفة للمعلم من منطلق إسلامي فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾[4]، فالمعلم الصالح الكفء هو التجسيد الحي والواقعي لكل مبادئ المثالية والأخلاق الحميدة التي تدعو إلى ترسيخها التربية الإسلامية وتطالب أفراد المجتمع المسلم بتمثيلها والعمل على هديها فالمسألة ليست مسألة علم نظري بحت ولكنها تطبيق علمي أهم[5].

---

(1) الغزالي، إحياء.....، جـ1، المصدر السابق، ص 50.

(2) ابن حجر، فتح الباري، جـ10، المصدر السابق، ص 421.

(3) الغزالي، إحياء.....، جـ3، المصدر السابق، ص 12.

(4) سورة البقرة، جزء من الآية 44.

(5) فيصل فتحي عبد المنعم، إعداد المعلم في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة طنطا، 1401هـ، ص 39.

وللمعلّم في نظر "الغزالي" يجب أن يكون على دراية بأخلاق الصبيان وأفعالهم وينصحهم بشتى الوسائل، فلا يقتصر دوره على تحفيظ الصبيان جملة من المعلومات فقط بل لابد أن يتحرى تطبيقهم لتلك المبادئ في أفعالهم وسلوكاتهم فينهاهم عن التحريش ويكفهم عن التفتيش ويقبح عندهم القبيح ويوحش عندهم الكذب والنميمة وغيرها من الأفعال السيئة[1].

ومن الصفات المهنية لمعلم الصبيان أن يكون بهم شفيقا فيعاملهم معاملة الوالد لولده خصوصا أن مهمته أخطر من مهمّة الوالد فالوالد سبب الوجود في الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية.[2]

كما يجب أن يكون المعلم على درجة كبيرة من المرونة الفكرية والتصرف وإدراك طبيعة الموقف التعليمي ومتغيراته وألاّ يطغى على سلوكه الخوف الدائم من فقده لهيبته وسلطانه لو أنه تبسط مع تلاميذه[3]، فلكل ذلك أثره على مدى تقبل الصبي لما يلقيه عليه المعلم.

وأما فما يخص الصفات الأخلاقية للمعلم عند "الغزالي" يجب أن يكون زاهدًا مترفعا عما في أيدي الصبيان يتنزه عمّا يعطونه ويتوزع عما بين يديه يطرحونه... ولا يسألهم عن أمر ينوء بهم فيثقلوه ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه[4]. وهدف "الغزالي" من ذلك كله أن يوفر للمعلم احتراما وتأثيرًا في صبيانه نتيجة عفته ونزاهته إلى انجذابهم إليه والفهم لما يلقيه عليهم وقد استمد ذلك من تقبل المزيد وتلقيه لكل ما يقوله له شيخه.

وهكذا نجد أن "الغزالي" قد تأثر بمعاملة الرسول –صلى الله عليه وسلم– للصحابة، فقد روى معاوية ابن أبا الحاكم السلمي فقال: "بينما أنا أصلي مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت وأثكل أماه ما شأنكم تنظرون إلي جعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما – صلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فو الله ما قهربي ولا ضربني ولا شتمني قال: "**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**"[5].

وهذا وأراد "الغزالي" أن تكون العلاقة بين المعلم والمتعلم كعلاقة الأب بالأبناء تسودها الشفقة والرحمة والرعاية والأمن النفسي للصبيان والمكانة المؤثرة للمعلم بسلوكه ومعاملته لا بعصاه وقدوته

---

(1) فيصل فتحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 173.

(2) محمد عبد السلام العجمي وآخرون، المرجع السابق، ص 221.

(3) الغزالي، إحياء.....، جـ1، ص 49.

(4) فيصل فتحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 113.

(5) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته)، رقم(537)، جـ1، المصدر السابق، ص 381.

العظمى هو الرسول والمعلم –عليه الصلاة والسلام– الذي كان أعظم وأبجل المعلمين وأرحمهم بالمتعلمين.

وأخيرا نستنتج أن كل ما اهتم به "الغزالي" ودعا إليه، نادت به التربية الحديثة فأوجبت على المعلّم أن يتعرف على شخصيات تلاميذه والفروق الفردية بينهم ومراعاتها، كما يجب عليه معرفة الخصائص العامة لمرحلة نموهم وكذا المشاكل النفسية الاجتماعية التي يمرون بها وعلاجها[1].

ملامح رعاية وتربية الطفل عند ابن خلدون:

هو أبو زيد، وليّ الدين، عبد الرحمن بن خلدون، الحضرمي، ولد بتونس عام 1332م، وتوفي عام 1406م، عن عمر يناهز 74 سنة.

يُعد "عبد الرحمن بن خلدون" من المفكرين العرب الذين أثروا الفكر التربوي والاجتماعي، واهتموا بشكل عميق برعاية الطفل وأساليب تربيته، مستندًا في آرائه ونظرياته إلى ما جاء به الدين الاسلامي الحنيف، وما بشر به من أساسيات لرعاية الطفل وحسن تربيته... كما جاءت آراء "ابن خلدون" في مجالي التربية والاجتماع متأثرة بثقافات أخرى اتصل بها في أسفاره واطلاعاته الواسعة والمتعددة.

وقد كانت حياة "عبد الرحمن بن خلدون" مليئة بالبحث والدراسة والتجوال، وتقلّد العديد من المناصب كالسفارة والقضاء والكتابة.

يقول عنه "دون مارتندال" (Don, Martindal) [2] بأنه يعد من كبار العلماء الذين لهم احترامهم الكبير في مجال علم الاجتماع خاصة، وأنه المؤسس الحقيقي لهذا العلم. وقال عنه الأستاذ "علي أومليل" أمين اللجنة العلمية لندوة "ابن خلدون"[3]: إن "عبد الرحمن بن خلدون" منظّر كبير، وقد نشر ظلاً واسعا بتنظيره هذا على تاريخ المغرب. أمّا الأستاذ "محمد أركون"[4] فيرى أنّ الاهتمام "بابن خلدون" يندرج في تيار ثقافي نفساني سياسي، بدأ في عصر النهضة، مستهدفا استرجاع القيم الثقافية والعلمية والاعتماد عليها لحماية الشخصية العربية الإسلامية من الغزو الفكري الغربي.

وتأتي أهمية "ابن خلدون" في مجالي التربية والاجتماع في أنه من المفكرين المتشبعين بالعقيدة الإسلامية على الطريقة السنية التي سادت عصره، وعنده الإسلام هو أسمى الديانات"[5].

---

[1] محمد عبد المؤمن حسين، مشكلات الطفولة النفسية، دار الفكر الجامعي، د.ط، ص 29.

[2] Martindale, Don The Nature and Types of Sociological Theory. Hougthon Mifflin Company, Boston 1981, p134.

[3] علي أومليل، أعمال ندوة ابن خلدون، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1979، نقلا عن عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص 160.

[4] محمد أركون "أستاذ بجامعة السربون، باريس"، نقلا عن عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص 160.

[5] عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص 160.

وقد اشتهر من مؤلفات "ابن خلدون" كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، وأشهر ما في هذا الكتاب مقدمته التي تُعرف "بمقدمة ابن خلدون". حيث يقول عنها الأستاذ "جاك لانغاد"[1] وعن بقية مؤلفات "ابن خلدون"، في بحثه عن نفسه "فلسفة اللغة عند ابن خلدون"، وكما عرضه في ندوة أعمال "ابن خلدون": "في حقيقة الأمر لا نزال نجد في مؤلفاته، وخاصة في المقدمة، آراءً وأفكارًا عميقة، جعلت "ابن خلدون" يشتهر كعلاّمة في ميدان التاريخ وفي ميدان علوم الاجتماع والاقتصاد".

ولقد وضع "ابن خلدونط في مقدمته أسس البحث العلمي التاريخي معتبرا أن التاريخ أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعد من علومها، وأنه في ظاهره لا يزيد عن الإخبار، ولكن في باطنه نظر وتحقيق. كما أشار "ابن خلدون" في مقدمته إلى اكتشافه لعلم العمران البشري والذي يقول فيه: "واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصفة غريب النزعة غزير الفائدة وكأنه علم مستنبط النشأة..."[2].

لقد اهتم "ابن خلدون" بمسألة التربية والتعليم وتنشئة الطفل تنشئة تُمكّنه من التعاون مع غيره لصالحه ولصالح المجموع، حتى تتحقق إرادة الله، ويستمر العمران البشري، وتنتظم الحياة بوازع يكبح العدوان.

هذا وقد ركز "ابن خلدون" على تحديد أساليب التعليم للناشئة، والبدء من البسيط إلى المركب على سبيل التدرج، ونادى بالعديد من المبادئ التربوية والتعليمية التي لا زالت لها مصداقيتها حتى يومنا هذا، وقد نجد آثار أراء "ابن خلدون" هذه موجودة في كتابات العديد من علماء الغرب كما هو الحال عند "مونتسكيو"، وبشهادة "جاستون بوتول"[3] الذي قال: "إن "ابن خلدون" قد أبدى من الآراء ما جعله مبشرًا بالأفكار الاجتماعية الحديثة، وعلى الأخص تلك التي نشرها "مونتسكيو" في أوروبا". كذلك نجد للآراء التربوية والاجتماعية "لابن خلدون" صداها في المدرسة السوسيولوجية في فرنسا وعند الفيزيوقراطيين[4].

ولهذا فإن الاهتمام بدراسة آراء ونظريات "ابن خلدون" يفيد ويساهم في إثراء المعرفة الإنسانية واستجلائها كما هي في تطورها وتراكمها وتواصلها، كما أنه يفيد أيضا في احقاق الحق ونسبة الأعمال لأصحابها ومبدعيها الحقيقيين الذين هم من أمة الإسلام.

الطبيعة الإنسانية ومسألة التربية والتعليم:

ركز "ابن خلدون" في مقدمته على تحليل الطبيعة الإنسانية وعلاقتها بسلوك الإنسان في مواجهة متطلبات الحياة، مؤكدا على أهمية التربية والتعليم في توجيه سلوك الفرد وتنمية قدراته ومهاراته، حيث تحرك الإنسان في حياته نزعاته ورغباته، فهو يحتاج إلى الغذاء والكساء والأمن بالدفاع ضد ما يهدد كيانه

---

[1] عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص 160.

[2] المرجع نفسه، ص 161.

[3] المرجع نفسه، ص 161.

[4] المرجع نفسه، ص 161.

ووجوده، وهو يسعى في إشباع حاجاته ومتطلباته حياته إلى التعاون –مع بني جنسه– الذي يعكس الطبيعة الاجتماعية للإنسان، حيث يقول في هذا الصدد من خلال مقدمته:

"إن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بطبعه أي لا بد له من الاجتماع".

فهو يرى بأن تركيبة الإنسان هي التي تدفعه إلى أن يتعاون مع غيره، وعليه أن يتعلم كيف يتعاون، وذلك: "... لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبّه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلاّ بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله، إلاّ أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجاته من ذلك الغذاء... فلا بد له من اجتماع القدرات الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية... وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركّبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه... فيعالجه الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر وإذا كان التعاون حصل له القوت والغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه"[1].

فالطبيعة البشرية عند "ابن خلدون" تميل إلى الاجتماع الذي يؤدي إلى التعاون الذي تقتضيه ضرورة الحياة وعجز الإنسان بمفرده عن إشباع حاجاته. ثم إن مسألة التعاون تقتضي من الإنسان القدرة على العمل الذي يساعد على إشباع الحاجات، ويقتضي ذلك تعلم حرفة الرعي والزراعة والصناعات كطحن الحبوب، وضع الآلات والمعدات والمواعين، حيث يرى "ابن خلدون" أن حاجات البشر تحتاج في إشباعها أيضا "...إلى آلات متعددة وبضائع كثيرة"[2].

وإذا كان الإنسان اجتماعيا بطبعه ومحتاجًا لغيره وميّالاً إلى التعاون، فإن في طبعه أيضا نوعا من العدوانية التي يشير إليها "ابن خلدون" في مقدمته، ويرجعها إلى الطباع الحيوانية في الإنسان، مستخدمًا في ذلك وجهة نظر "أرسطو" في تقسيمه الطبيعة البشرية إلى حيوانية وشهوانية وعاقلة، فنجده يقول في مقدمته: "...ثم أن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم... وحتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان"[3].

وتتأثر طباع الإنسان بالتربية والتعليم والتوجيه، وكذلك بالوازع أو الرادع من عقاب ونحوه..

وبالإضافة إلى الميل الطبيعي في الإنسان للاجتماع بأخيه الإنسان والتعاون معه، وبالإضافة إلى ما في الجانب الحيواني في الإنسان من عدوانية لا يحد من غلوائها غير وازع قوي يمنع اعتداء الناس

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، الباب الأول، المجلد 1، المصدر السابق، ص 54 – 55.

[2] المصدر نفسه، المقدمة الأولى في الاجتماع الإنساني، العمران البشري، ص 54.

[3] المصدر نفسه، ص 55.

بعضهم على بعض، فإن للطبيعة الإنسانية جانبا آخر، وهو الميل الطبيعي في الإنسان للقياس والمحاكاة"[1].

فالإنسان يميل بطبعه إلى قياس الأمور بعضها ببعض وإلى التقليد والمحاكاة وفي هذا يشير "ابن خلدون" إلى نظرية مهمة في التعلم، ويفطن لها بشكل يدل على عمق الفهم وقوة الاستنتاج، ويؤكد هذه النظرية في مقدمته بقوله: "لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة"[2].

ويتابع ابن خلدون تحليله للطبيعة الإنسانية بالتركيز على أنها طبيعة قد تجعل الإنسان يخطىء ويصيب، فهو غير مأمون في هذا الجانب، لأن فيه ضعفًا كالغفلة والذهول والنسيان وما إليها. والطبيعة الإنسانية: "طبيعة معروفة، ومن الغلط غير مأمونة، تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده، وتعوّج به عن مرامه"[3].

ومن خلال هذا يبدو لنا أن "ابن خلدون" متأثر في وجهة نظره بما جاء به الدين الإسلامي الحنيف من تحديد لطبيعة الإنسان وميله إلى التعاون والخطأ والإعتداء، وتحديد للضوابط والأسس التي توجه الطبيعة الإنسانية إلى التعاون على البرّ والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وإلى حثّ الناس والشعوب على التعارف، وإلى التنبيه إلى عدم الاعتداء.

كما يبدو من الواضح أن "ابن خلدون" متأثرا بالفلسفة اليونانية، وعلى الأخص بآراء "أرسطو" في الطبيعة الإنسانية وتقسيمها إلى ثلاث مراتب، إلى نفس حيوانية وشهوانية وعاقلة.[4]

ويمكن تحديد الملامح الأساسية لعلاقة الطبيعة الإنسانية بالتربية والتهذيب في مرحلة الطفولة كالتالي:

1- يميل الطفل بطبعه للاجتماع والالتقاء بغيره، فهو اجتماعي أو مدنيٌّ بطبعه. وفي هذا جانب تربوي وتعليمي مهم؛ إذ أن التقاء واجتماع الطفل بغيره يؤدي إلى إكسابه الكثير من المعارف والمهارات، وإلى عملية التنشئة الاجتماعية.

2- الطفل -خاصة عند ولادته- عاجز عن إشباع حاجاته بمفرده، فهو ضعيف، وهذا الضعف أو العجز يتطلب التدخل من الآخرين لمعاونته على إشباع حاجاته وتحقيق ذاته وتربيته وحسن رعايته.

3- يتعلم الطفل بالتقليد والمحاكاة والقياس، لأن ذلك يمثّل جزءًا من طبيعته. فهو يتأثر بما يجري حوله، ويدرك الكثير من أمور الدنيا وأنواع السلوك عن طريق تقليد الآخرين الأكثر منه خبرةً وعلمًا أو معرفة أو قوةً. فالقياس والتقليد طريقان من طرق التعلم.

---

(1) عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص 163.

(2) ابن خلدون، المقدمة، جـ1، ط2، المصدر السابق، ص 38.

(3) المصدر نفسه، كتاب تاريخ ابن خلدون، جـ1، ص 38.

(4) عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص 164.

4- تتسم الطبيعة الإنسانية في جانبها الحيواني بالعدوانية، ولهذا: فليس مستغربا أن يعتدي الطفل على غيره، وأنه لكي يتم توجيه وتغيير الطبيعة العدوانية، فلا بد من وازع.

5- تتصف ردة فعل الإنسان في جانبها الحيواني بالانتقام أيًّا كان عمر هذا الإنسان، وذلك إما لِغيره أو منافسة أو عدوانٍ أو غضب. "...وسبب هذا الانتقام في الأكثر إمّا غيرة ومنافسة، وإمّا عدوان وإمّا غضب..."[1]. ولهذا، فإن على المعلم والمربي أن يتوقع حدوث هذا من الطفل.

6- ينمو الإنسان ويتطور من البسيط إلى المركب، في أطوار ثلاثة من النمو: "من الطفولة، إلى الرشد، إلى الشيخوخة والموت، وينتقل الإنسان في أطوار مختلفة وحالات متجددة، ويكتسب في كل طور خُلقًا من أحوال ذلك الطور..."[2]، وبهذا ترتبط التربية والتعليم بالنمو.

7- تعتقد النفس البشرية منذ صبى الإنسانب الكمال في من تفوّق عليها أو غلبها، وتنقاد إليه "إما لنظرة بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تُغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنّما هو لكمال المتفوّق أو الغالب. فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادًا فانتحلت جميع مذاهبه وتشبهت به وذلك هو الاقتداء.."[3]

ومن هنا، فإن القدوة تلعب دورًا مهمًا في توجيه طبيعة الطفل وتحدّد سلوكه وتصرفه. فإن كانت قدوة حسنة، حسن تقليده، واقتداؤه، وإن كان العكس ساء تقليده وساء اقتداؤه، وتأثرت تبعًا لذلك تربيته وتعليمه.

8- الإنسان أقرب إلى الخير منه إلى الشر. فهو خيِّرٌ أكثر منه شرير "... الإنسان أقرب إلى خلال الخير من خلال الشرِّ بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة؛ لأن الشر إنما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه... وأما من حيث هو إنسان، فهو إلى الخير وخلاله أقرب"[4]، فينبغي أن تستهدف التربية تنمية الجانب الخيِّر في الطفل.

3- يتأثر الإنسان في سلوكه وتصرفاته بالبيئة التي يعيش فيها. ففي الأقاليم المعتدلة، تجد الناس في سلوكهم على غاية من التوسط. أما البعيدون عن الاعتدال، فيقرب "عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات"[5] وهنا لا بد من الأخذ في الحسبان علاقة التربية بالبيئة، سواءٌ كانت جغرافية أو بشرية؛ وذلك لما لها من أثر على الطفل.[6]

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، من كتاب تاريخ ابنن خلدون، جـ1، المصدر السابق، ص 38

[2] المصدر نفسه، ص 38.

[3] المصدر نفسه، الفصل 23، ص 184.

[4] المصدر نفسه، ص 178.

[5] المصدر نفسه، ص 103 – 108.

[6] عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص166.

تربية وتعليم الطفل عند ابن خلدون:

عرض "ابن خلدون" في مقدمته آراء تربوية وتعليمية ذات قيمة إيجابية للمرّبين وأولياء الأمور، وانعكاسات جيدة على الأطفال تنشئة وإعدادًا، ونصحًا وإرشادًا وتوجيهًا، حيث يرتبط "ابن خلدون" في منهجه في التربية والتعليم بين الاستعدادات والقدرات التي يولد بها الإنسان، وبين المؤثرات الخارجية.

ويشير "ابن خلدون" إلى أن التربية تستهدف إخراج القوى والاستعدادات من مجرد قوى كامنة إلى وجود فعلي[1]، وفي هذا الشأن يقول: "إن النفس الناطقة (العاقلة) للإنسان إنّما توجد فيه بالقوة، وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنّما هو بتجدد العلوم والإدراكات عن المحسوسات أولاً، ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكًا بالفعل وعقلاً محضًا"[2].

وفي هذا النص يؤكد "ابن خلدون" على نظرية نادى بها العديد من المختصين في مجالات التعليم والتربية وهي التفاعل بين الذات والموضوع، أو تأثير العلوم والمعارف على الخصائص الذاتية للطفل.

ويؤكد "ابن خلدون" أن الخبرات والتجارب الحياتية العلمية، والعيش في مجتمع معين وحضارة معينة يؤثر في النمو العقلي للإنسان منذ طفولته ويشير إلى ذلك بقوله في مقدمته:

"... فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا فريدًا والصنائع أبدًا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة. فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا، والحضارة الكاملة تفيد عقلاً، والملكات تفيد عقلا، لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل، ومعاشرة أبناء الجنس، وتحصيل الآداب في مخالطتهم، ثم القيام بأمور الدين، واعتبار آدابها وشرائطها. وهذه كلها قوانين تنتظم علومًا فيحصل منها زيادة عقل"[3].

ويرى "ابن خلدون" أنه من أهم الأمور في مجال التربية والتعليم، هو تعليم الطفل الكتابة لأنها مفيدة في التحصيل: "والكتابة من بين الصنائع الأكثر إفادة لذلك، لأنها تشتمل على العلوم والأنظار، بخلاف الصنائع، وبيانه: إن في الكتابة انتقالاً من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني... فيحصل للنفس ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة"[4].

ويؤكد "ابن خلدون" على أهمية تعليم الكتابة باعتبارها تُمكّن الإنسان من الإدراك الصحيح والنظر العقلي العميق، وبهذا يربط "ابن خلدون" بين القدرة على القراءة والكتابة وبين نمو الإدراك العقلي وبالكتابة

---

[1] عبد السلام الدويبي، المرجع السابق، ص 166.

[2] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الفصل 23، ط3، المصدر السابق، ص 767.

[3] المصدر نفسه، الفصل 23، ط3، ص 767.

[4] المصدر نفسه، ط 3، ص 768.

على الأخص: "....يكسب.. ملكة من التعقل يكون زيادة عقل ويحصل به مزيد فطنة وكيّسٍ في الأمور... وتعوّدًا للاستدلال والنظر"[1].

بعض الأساليب التربوية والتعليمية الخلدونية:

أولا: التدرج من البسيط إلى المركب وربط النظرية بالتطبيق: تطرق ابن خلدون في الفصل السادس عشر من مقدمته المشهورة إلى أحد الأساليب المهمة في عمليات التربية والتعليم ويتمثل هذا الأسلوب في ربط النظرية بالتطبيق، وفي البدء من البسيط إلى المركب. ويشير في ذلك إلى أن الصناعة والعمل هما ملكة عملية وفكرية معًا، فهما ملكة عملية لأنهما يرتبطان بالجسم وأحواله والمحسوسات وتغيراتها، وهو يوصي بنقلهما للمتعلم بالمباشرة، وذلك بقوله:

"اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر علمي فكري وبكونه عمليًا هو جسماني محسوس. والأحوال الجسمانية المحسوسة يكون نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتمّ فائدة. والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكَرُّرِهِ مرّة بعد أخرى حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة"[2].

ويربط "ابن خلدون" بين التربية والتعليم وبين أهمية الوسائل التوضيحية التي تساعد على الفهم والاستيعاب، مشيرًا إلى ".. أن نقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم"[3].

كما ضمّن "ابن خلدون" الفصل السادس رأيا تربويا وتعليميا، داعيا فيه إلى ضرورة أن تقوّم عملية التربية والتعليم:

"والمتقدم في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم"[4].

ثم إن عقل الطفل المتعلم يدرك الأشياء ناقصة ثم يقوم بإخراج أصنافها وفهم علاقاتها بشيء من التدرّج، وباتباع أسلوب الاستنباط. ويرى "ابن خلدون" أن عملية التفكير عند الطفل تنتقل من البسيط إلى المركب، حتى يدرك الأشياء في كمالها. ويقول في ذلك:

".. فلا يزال الفكر يُخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئًا فشيئًا على التدرج حتى تكمل، ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان"[5].

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط3، المصدر السابق، ص 768.

[2] المصدر نفسه، الفصل 16، ط3، ص 712.

[3] المصدر نفسه، ص 713.

[4] المصدر نفسه، ص 713.

[5] المصدر نفسه، ص 713

وأكد "ابن خلدون" على أهمية مبدأ التدرج في تربية الطفل وتعليمه في الفصل التاسع والعشرين من المقدمة قائلا: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنّما يكون مفيدًا إذا كان على التدرج شيئًا فشيئا وقليلاً قليلاً"[1].

ولا يكتفي "ابن خلدون" بتأكيد مبدأ التدرج في تعليم الصبيان وتربيتهم، بل يبيّن السبيل إلى ذلك بقوله: "يُلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال"[2].

وبهذا ينبه "ابن خلدون" إلى النظرية الشمولية والكلية في التعليم والتربية. وفي كل الأحوال، فإن "ابن خلدون" يرى أنه لابد للمربي والمعلم وهو يتبع الأساليب التربوية والتعليمية من أن يأخذ في اعتباره قدرات الطفل واستعداداته. ويقول في ذلك: "... ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه.. وإذا ألقيت عليه الغايات في البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كلّ (تعب) ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه[3].

وهكذا، يؤكد "ابن خلدون" على أهمية دور المتعلم بكل ما أوتي من إمكانات وقدرات واستعدادات في عمليات التربية والتعليم، وأن تجاهل هذا الجانب وعدم مراعاته يسبّب تعبًا ذهنيا وكرهًا للعلم، وهو ما اعتبره "ابن خلدون" "سوءٌ في التعليم".

ثانيا: ومن الأساليب التربوية والتعليمية التي نادى بها "ابن خلدون" في مقدمته، ضرورة اتصال وتواصل عمليات التعليم والتربية حتى لا ينسى الطفل ما تعلّمه ويفقد الاهتمام به. ويشير إلى ذلك بقوله:

"... ينبغي ألاّ تطوّل على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من البعض، فيعسر حصول الملكة بتفريقها. وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة، مجانيةً للنسيان، كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتياطا وأقرب صبغة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره. وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه"[4].

ثالثا: يُبدأ في التعليم والتربية من الصغر، وتكون البداية بالقرآن الكريم، لأنه يؤدي إلى رسوخ الإيمان وعقائده، وقد جعل "ابن خلدون" القرآن أصل التعليم، وأفرد لتوضيح ذلك الفصل الواحد والثلاثين من مقدمته، وقد قال في ذلك: ".... واعلم أن تعليم الوِلدان للقرآن شعار الدين أخَذَ به أهل الملّة ودرجوا

---

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط2، المصدر السابق، ص 743.

(2) المصدر نفسه، ص 743.

(3) المصدر نفسه، ص 735.

(4) المصدر نفسه، ص 735.

عليه... لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات"[1].

إذا "فابن خلدون" يؤكد على أهمية التعليم والتربية منذ الصغر مبتدئًا بالقرآن الكريم، ويرى: "... أن التعليم في الصغر أشدّ رسوخًا، وهو أصل لما بعده"[2].

وإذ أكد ابن خلدون في بداية الفصل الحادي والثلاثين على ضرورة البداية بالقرآن الكريم، إلاّ أنه يعود عن ذلك باستحسانه رأي القاضي "أبي بكر بن العربي"، الذي قدّم اللغة العربية والشعر على سائر العلوم، كما كان الحال عند أهل الأندلس، وذلك لأن الشعر ديوان العرب، ثم ينتقل من ذلك إلى الحساب فيتدرب فيه، حتى يعرف الصبي القوانين، ثم ينتقل بعد ذلك إلى درس القرآن، فإنه يتيسر عليه. واستشهد "ابن خلدون" في ذلك بقول القاضي "ابن العربي": "...يا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله، في أوامره، يقرأ ما لا يفهم"[3].

ثم يعقب "ابن خلدون" على قول القاضي "ابن العربي" في أوليات التعليم بقوله: " ... وهو لعمري مذهب حسن، إلاّ أن العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال، ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إيثارًا للتَّبَرُّك والثواب"[4].

رابعا: تجنب الشدة في التعليم: كما يؤكد "ابن خلدون" في مقدمته على مبدأ مهّم ينبغي أخذه بعين الاعتبار في عمليتي التربية والتعليم وهو ابتعاد المربي عن استخدام أسلوب الشدة على المتعلمين.

وقد أفرد "ابن خلدون" فصلاً كاملاً من كتابه "المقدمة" لهذا الموضوع معنونا فصله هذا بقوله: "في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم"[5].

وهكذا يلح ويؤكد "ابن خلدون" في منهجه التربوي والتعليمي على ضرورة تجنب العسف والشدة في التعامل مع الصبيان، وفي تربيتهم وتوجيههم، لأنه يضيق على النفس، ويؤثر سلبًا على نشاطها. وقد أوضح "ابن خلدون" هذا الرأي بقوله: "... إن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم، وذلك لأن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد... ومن كان مَرْبَاه بالعسف والقهر من المتعلمين... سطا به القهر، وضيق عن النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحُمل على الكذب والخُبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلّمه المكر والخديعة"[6].

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 740.

[2] المصدر نفسه، ص 740.

[3] المصدر نفسه، ص 742.

[4] المصدر نفسه، ص 742.

[5] المصدر نفسه، الفصل 40، الباب السادس، ط3، ص 1042.

[6] المصدر نفسه، ص 1042.

وهكذا يسبق "ابن خلدون" برأيه هذا العديد من النظريات في هذا المجال، بحيث أرسى "ابن خلدون" قاعدة مهمّة في التعامل مع الطفل، وفي القيام على تربيته وتعليمه. وهو بهذا يؤكد أيضا حقا من حقوق الطفل، ويُنبه إلى خطورة العسف والشدة على الأطفال في سلوكهم ومعتقداتهم، إذ بدلاً من يؤدي القهر والشدّة إلى ما توخّاه المرّبي من تهذيب للولد وحمله على التعلم يؤدي نتائج عكسية حددها "ابن خلدون" في ضيق النفس بعد انبساطها والكسل والكذب والمكر والخديعة. وكلما تكرر أسلوب الشدة مع الطفل، صارت هذه المظاهر السلوكية المنحرفة عادةً وخلقًا، وفسدت بالتالي معاني الانسانية، وكسلت نفسه عن اكتساب الفضائل والخُلق الجميل.

والواضح أن "ابن خلدون" قد استند في رفضه ومعارضته لأسلوب العنف والشدة مع الأطفال إلى المبادئ التي جاء بها الدين الاسلامي الحنيف، والتي تدعو للرحمة والعطف واللّين والعفو والتسامح، ثم هو يستمد أفكاره أيضا من قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– الذي حرص على صون النفوس من مذلة التأديب، مستشهدا بقول عمر –رضي الله عنه–: "من لم يؤدبّه الشرع لا أدبّه الله"[1].

ثم هو –ابن خلدون– يستحسن الأسلوب الذي وضعه "هارون الرشيد" الذي أوصى به معلم ولده "محمد الأمين"، وهو تبنّي أسلوب الملاينة والتقرب، إلاّ إذا لم تؤد الملاينة والتقرب دورهما التربوي ولم يستجب الولد لهما، فإن عليه أن يلجأ إلى استخدام الشدة والغلظة. وقد ذكر "ابن خلدون" قول "هارون الرشيد" باعتباره أحسن مذاهب التعليم، مشيرا إلى أن "هارون الرشيد" طلب من معلم ولده ألاّ يحزنه فيميت ذهنه، وألا يمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وأن يقوّمه ما استطاع بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعلى المعلّم بالشدة والغلظة.[2]

كما يستحسن "ابن خلدون" الأسلوب الذي دعا إليه "محمد بن أبي زيد" في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين والذي قال فيه: "... لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواطٍ شيئًا"[3].

فهكذا وضع "ابن خلدون" أسسًا في غاية الأهمية على مستوى تطور نظريات التربية والتعليم وعلى مستوى الاسترشاد بهما في تربية وتعليم الأولاد حتى يومنا هذا.

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط2، المصدر السابق، ص 158.

[2] المصدر نفسه، ص 158.

[3] المصدر نفسه، ص 744.

خاتمـــــة

بعد هذا الاستعراض السريع عن تربية الطفل ورعايته في الإسلام يتضح لنا أن ديننا الحنيف اهتم بالطفل واعتنى به اهتماما وعناية لا نظير لهما في مراحل حياته الأولى بل وحتى في مرحلة ما قبل الميلاد ومن مظاهر ذلك:

1- الحث على الزواج من الصالحات لأنهن أمهات المستقبل والمشرب الأول للطفل للدين والأخلاق.

2- الحفاظ على صحة (الجنين) الطفل أثناء حمله في بطن أمه من إباحة فطر أمه في رمضان وعدم تنفيذ الحدود والقصاص على الأم الحامل إن ارتكبت ما يوجب ذلك إلاّ بعد الولادة، وتحريم الإجهاض.

3- سبق الإسلام (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) العلم الحديث في إثبات أن الجينات الوراثية التي يحملها الطفل تعود إلى والديه من ذوي القرابة، إذ أثبتا أن نسبة كبيرة من التشوهات التي يولد بها الطفل تعود إلى زواج الأقارب.

4- تلقين الطفل بعد الولادة عقيدة التوحيد حتى تكون هذه العقيدة أول شيء يسمعه الطفل في مستهل حياته، وذلك بالتكبير في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى.

5- أهمية الرضاعة الطبيعية في القرآن والسنة، ولقد أجمع الفقهاء المسلمون –منذ قرون خلت– على وجوب الإرضاع على الأم ديانة. وهو الإجماع المبني على كتاب الله وسنة رسوله. وهو ما أدركته وأكدت عليه الدراسات الحديثة من أن الرضاعة من ثدي الأم أفضل الوسائل لتغذية الطفل، بل إنّ حرمان الطفل منها هو بدء الشقاء له ولذويه. لذلك تنادي المنظمات الدولية والهيئات العالمية والاطباء وكل من له اهتمام بشؤون الطفل بضرورة إرضاع الأم لوليدها ولو على الأقل في الشهور الأولى من عمره.

6- لكل مولود عطاء من بيت المال: من المعروف أن فكرة الضمان الاجتماعي، والمساعدات التي تقدم للأسر بمناسبة ميلاد كل طفل، لم تكن معروفة للقوانين الوضعية إلاّ منذ وقت قريب. ولكن فكرة الضمان الاجتماعيفي جميع صوره بالنسبة للمواليد، أو الشيوخ والمسنين، أو المحتاجين بصفة عامة، نزل بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا كاملة. والآيات القرآنية التي تحث على مساعدة اليتامى والفقراء والمساكين والمحتاجين بصفة عامة، كثيرة ومتعددة، ومن أهمها آية الزكاة، والآيات الأخرى التي تجعل الزكاة حقا معلوما للمحتاجين.

7- وهذا عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين (13-24هـ) يفرض لكل مولود عطاء من بيت المال... وكلما نما الولد زاد العطاء. وكان يفرض للقي مئة درهم، ولوليه كل شهر رزقا يعينه عليه، ويجعل رضاعه ونفقته من بيت المال، ثم يسويه عند كبره بسواه من الأطفال. وهذه سماحة من عمر –رضي الله عنه– توجبها سماحة الإسلام فاللقيط بريء.

8- ومن بعض مظاهر التكافل الاجتماعي الإسلامي الخاصة بالأطفال ظهور نظام الوقف الإسلامي، الذي يقوم على تخصيص أغنياء المسلمين جزءا من أموالهم لأفعال الخير عامة

كالتعليم والصحة، فإن بعضهم قد أنشأ أوقافا خاصة لمساعدة الأطفال في بعض الحالات العامة، والخاصة، ومن المصلحة العامة توزيع الحليب الأطفال، ومن الخاصة مساعدة متعلمي الحرفة من الأحداث.

9- وجوب المساواة بين الأبناء في كل شيء (في الحب والعطية) حتى لا يحدث بينهما نفور.

10-معاملة كل من الذكر والأنثى بما يناسب مع تكوينه وميوله والاهتمام بالبنات على وجه الخصوص والعدل والمساواة بين الأبناء في المعاملة المادية والمعنوية.

11-الإسلام يحمّل الأبوين مسؤولية رعاية وتربية الأطفال وذلك بأن يكونا قدوة حسنة لهم.

12- تأديب الأطفال على حب الله وطاعته، وحب القرآن الكريم وحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وحب آل بيته وحب الصالحين.

13- اختيار الرفقة الصالحة للولد، حتى يكتسب منهم كل خلق كريم، وأدب رفيع، وعادات فاضلة.

14- تنشئة الأطفال على العلم والثقافة والمعرفة منذ صغرهم، فنغرس في نفوسهم العقيدة الصحيحة، ويعوّدون على العبادات، والأخلاق الحسنة الكريمة.

15- ومن النتائج الهامة التي توصل إليها الباحث "التبني وكفالة اليتيم"، حيث حرم الإسلام التبني وأقر كفالة اليتيم واشترط على المتبيني (الكفيل) أن لا ينسب الطفل إلى نفسه وإنما ينسبه إلى أبيه الحقيقي حفاظا على الحقوق الشرعية، وكذلك حفاظا على النسب وهذا ما أوضحه الدستور القرآني والسنة وقانون حقوق الطفل الدولية حديثا.

16- لقد أظهر البحث اهتمام التربية الإسلامية بالعقل والعلم، مفندا النظرة الجاهلة أو المعادية التي صورت التربية الإسلامية معادية للعقل والعلم.

17- أظهر البحث أيضا امتياز التربية الإسلامية على غيرها باعتبار الغريزة الجنسية مسألة فطرية غير مذمومة بذاتها، إنما الذم والمدح يقع على طريقة إشباعها. فالزواج من أجل أسرة ومجتمع يجعل الإشباع محمودا، وأما الزنا والاغتصاب فهو الذي يحول الغريزة إلى شر. وما قيل عن الناحية الجنسية يقال عن كل الغرائز والميول النفسية، أي الحكم بالسوء والحسن إنما يتوجه لطريقة الإشباع، لأن الغرائز قوى دافعة تتطلب الإشباع، فمن إشباعها ينتج السلوك الذي نحكم عليه بالخير أو الشر، أو القبح أو الحسن.

آراء ومقترحات:

1- أن نجعل العناية بالطفولة وتنميتها في كل مراحلها من أهم القضايا التي تعنينا وهدفا استراتيجيا في جهود التنمية الشاملة، واختبارا ومحكا لنمو الوعي الحضاري في الأمة والذي يكون منطلقه من الأسرة.

2- السعي الجاد لإيجاد جمعيات الأطفال لتحقيق حوائجهم، ورفع مستويات معيشتهم، وجعل حياتهم أكثر سعادة.

3- توعية الزوجين بأهمية الرعاية الجسدية والنفسية للجنين لأن أي تقصير منهما في حق الجنين قد يلحق به ضررا كبيرا.

4- أن يولي الباحثون اهتمام كبيرا بدراسة الجنين ويستفيدوا من الدراسات الحديثة عنه ويبيّنوا مدى سبق الإسلام بالاهتمام برعليته جسديا ونفسيا كلما سمحت بذلك الفرصة.

ونختم القول: إن الإسلام بتشريعاته الحكيمة قد ضمن رعاية كاملة جسدية ونفسية لكل من الجنين والحامل قبل الحمل وأثناءه وبعده، وجعل الحمل وسام شرف للأم تستحق به كل احترام وتقدير، وطلب من الزوج تأمين كل مايلزم لها ولجنينها كالمعاشرة بالمعروف، وراعى وضع الحامل فأسقط عنها التكاليف التي تؤثر عليها كالصوم وخفف عنها البعض كالصلاة قاعدة، وأمر بالمحافظة على الجنين أحسن محافظة وكل ذلك رحمة بالأم وجنينها، وليخرج الجنين إلى عالمه سليما جسدا ونفسا، ويترعرع في أسرة يسودها الحب والوئام فيصير عنصرا سليما نافعا في مجتمعه.

حاول هذا البحث الإجابة عن شؤال رئيسي يدور في أذهان الكثيرين، ممن لم يحضوا بالمراجعة والاطلاع على التربية الإسلامية، والتراث التربوي الإسلامي والوقوف على مضامينه، وهذا السؤال: ماموقف المنهج الإسلامي من الطفل والطفولة، وماهي الصورة التي يرسمها الإسلام للطفولة؟

وقد استخدم الباحث في محاولته الإجابة عن هذا السؤال المنهج التحليلي المقارن، وبذلك حدد في فصول البحث نموذج لرعاية وبناء الطفولة في الإسلام، فبعد أن عرض في الفصل الأول خطة البحث والغرض منه، تناول في الفصل الثاني الزواج المثالي وبناء الأسرة، وأسس اختيار الزوجين –اللذين سيقومان التربية– كما ورد في القرآن والسنة النبوية.

وتناول في الفصل الثالث حقوق الطفل في الإسلام قبل ولادته وبعد ولادته. فحقوقه قبل الولادة تتمثل في حق اختيار أمه، وحق أمه الحامل في الصحة الجسدية والنفسية. أما عن حقوقه بعد ولادته، فتتمثل في حقه في الحياة وفي الإسم الحسن، وفي النسب، والرضاعة، والحضانة والنفقة، في التربية والتأديب، وفي المعاملة الحسنة، وفي المساواة بين إخوته، وفي الحماية، وفي عدم استغلاله جنسيا... وفي التوجيه...

وتناول الفصل الرابع بناء شخصية الطفل وفق المنهج الإسلامي من جوانبها المختلفة، كالجانب العقائدي، والجانب العبادي، والأخلاقي، والعاطفي والنفسي، والجانب الفكري العلمي، والجتماعي، والجانب الجنسي.

ثم تناولنا في الفصل الخامس أساليب التربية الإسلامية بشكل عام بعد ذلك انتقينا أهم الأساليب المتبعة في تربية الطفل بشكل خاص، حيث قسمناها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ويتضمن الأساليب المخاطب بها الوالدان والمربون.

القسم الثاني: الأساليب الفكرية المؤثرة في عقلية الطفل.

القسم الثالث: الأساليب النفسية المؤثرة في عواطف ونفسية الطفل.

وتناول الفصل السادس مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في ظل الإسلام والأصول والمبادئ التربوية المتبعة. بالنسبة لمؤسسات التعليم والتأديب، كانت بدءا بالكتاتيب ومرورا بالمساجد، وقصور الخلفاء والبيوت الخاصة، وانتهاءا بالمدارس النظامية، وما كانت تشهده من تنظيم للتعليم بشكل متقن، وما يتعلق بالأصول التربوية التي اتبعها المربون المسلمون في تعليم وتأديب الأطفال فتتمثل في: مراعاة الفروق الفردية، استخدام أسلوب التكرار في الفهم والحفظ، مراعاة ميول واستعدادات الاطفال الفطرية، تقنين البرنامج التعليمي بشكل منضبط هادف سواء من حيث الدوام وساعات الدراسة أو من حيث العطل الرسمية والأعياد، والأخذ بمبدأ الترويح والترفيه عن المتعلمين، استخدام أسلوب الثواب والعقاب، والتأكيد على الرحمة بالمتعلّم وعدم الشدّة على المتعلمين خشية المضرة بهم، وتجنبهم للتوبيخ والضرب إلاّ عند الضرورة وفق شروط معيّنة، وحرصهم على الإثابات والمكافآت المعنوية والمادية كالجوائز والعطايا، تعزيزا منهم للنجاح.

أما في الفصل السابع والأخير فتطرقنا فيه إلى نماذج في نظريات حول رعاية وتربية الطفل في التراث العربي الإسلامي حيث اخترنا الفيلسوف المربّي أبو حامد الغزالي والعلامة عبد الرحمن ابن خلدون كمثالين مميّزين لما قدماه من إسهامات جبارة في إخصاب وإثراء التراث التربوي الإسلامي.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1) القرآن الكريم.
2) ابن الجوزي:(جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن)، تلبيس إبليس، دار الفكر، د.ت.
3) ابن السني: (محمد بن أحمد السلام خضر الشقيري الحوامدي): ت: بعد 1302هـ، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر، د.ط، د.ت .
4) ابن العربي: (الإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الأندلسي)، ت: 542هـ، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، 1376هـ/1957م.
5) ابن الديبع الشيباني: (عبد الرحمن بن علي)، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، لا.ت، الجزء الثاني.
6) ابن قيم الجوزية: (أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر)، ت:751هـ، زاد المَعَاد في هدي خير العباد، طبعة المطبعة المصرية، 1379هـ/1963م.
7) ـــــ ـــــ ـــــ: التبيان في أقسام القرآن، طبعة حجازي، 1352هـ/1952م.
8) ـــــ ـــــ ـــــ: الروح، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م.
9) ـــــ ـــــ ـــــ: تحفة المودود في أحكام المولود، تحقيق محمد بشير عيون، مكتبة البيان، دمشق، بيروت، الطبعة الخامسة، 1416هـ/1996م.
10) ابن بطوطة: (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي)، ت:779هـ، تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، 1386هـ/1966م.
11) ابن تيمية: الفتاوي، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، الرياض، الطبعة الأولى، 1381هـ/1961م.
12) ابن جزي: القوانين الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت.
13) ابن جماعة : (أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة الكناني): ت:733هـ/1332م، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتكلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.ت، لا. ط.
14) ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني)، ت:852هـ/1448م، فتح الباري بشرح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1408هـ/1988م، (13 جزء).
15) ـــــ ـــــ ـــــ: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق رضوان محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972م.

16) ابن حجر الهيثمي:(أحمد بن محمد بن علي)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، راجعه وصححه لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، لصاحبها مصطفى محمد، 1357هـ/1983م، (عدد الأجزاء عشرة)، الجزء السابع.

17) ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي)، ت:456هـ/1063م، المحلى طبعة عبد الفتاح مراد، القاهرة، لا، ط، لا، ت.

18) ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد)، ت:808هـ/1405م، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960م.

19) ابن خلكان: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي زكريا) :681هـ، وفيات الأعيان بأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

20) ابن سعد: (محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري)، ت:230هـ/844م، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، الجزء الثالث، (تسعة أجزاء).

21) ابن سينا: (أبو علي الحسين بن عبد الله): ت: 428هـ/1036م، كتاب السياسة: مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين نصارى، لويس شيخو وآخرون، دار العرب بستاني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1985م

22) ـــــ ـــــ ـــــ: السياسة، دار العرب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1985م.

23) ـــــ ـــــ ـــــ: السياسة، –مختارات– محمد ناصر،الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م، الجزء الثاني.

24) ابن عابدين:(محمد أمين الشهير بابن عابدين): ت:1152هـ، حاشية رد المختارشرح تنوير الأبصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، الطبعة الثانية،1386هـ/1961م.

25) ابن عبد البر: (أبو عمر بن عبد الله القرطبي)، ت:463هـ، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1388هـ/1968م.

26) ابن قتيبة: عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة، طبعة دار الكتب، القاهرة.

27) ابن قدامة:(عبد الله محمد بن أحمد المقدسي)، ت: 620هـ، المغني، تحقيق عبد الله المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، 1414هـ/1995م.

28) ـــــ ـــــ ـــــ: مختصر منهاج القاصدين، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله الليثي الأنصاري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م.

29) ابن كثير: (عماد الدين الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقي)، ت: 774هـ، تفسير القرآن الكريم، جـ2، دار الأندلس، 1400هـ/1980م.

30) ـــــ ـــــ ـــــ: المختار من فضائل القرآن، هدية مجلة الأزهر المجانية، رمضان، 1412هـ/1992م .

31) ـــــ ـــــ ـــــ:(عماد الدين أبي الفدا بن كثير الدمشقي): ت: 774هـ، تفسير ابن كثير،الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت، الجزء الأول.

32) ابن ماجه: (أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني): ت: 273هـ.سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1372هـ/1952م.

33) ابن مسكويه: (أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه)، ت: 421هـ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1326هـ/1908م.

34) ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي)، ت: 771هـ/1311م، لسان العرب، (خمسة عشر جزء)، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م.

35) أبي داود:(سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي): ت: 275هـ، سنن أبي داود، جمعية المكنز الاسلامي، القاهرة، مصر، 1421هـ/2000م.

36) أحمد بن حنبل الشيباني: ت:241هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1413هـ/1993م، الجزء الثالث.

37) إخوان الصفا: (في القرن الرابع هجري)، رسائل إخوان الصفاو خلان الوفا، العلوم الناموسية الإلاهية والشرعية الدينية، مكتب الاعلام الاسلامي، 1405هـ/1985م، المجلد الرابع.

38) الباجوري: (الشيخ ابراهيم): حاشية الباجوري علي متن أبي شجاع، طبعة مصطفى الحلبي،1343هـ/1927م.

39) الآلوسي أبو الفضل محمود ، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، الجزء الأول.

40) الألباني: (محمد بن الحاج نوح بن نجاتي الألباني الأرناؤوطي المعروف باسم محمد ناصر الدين الألباني)، ت: 1914–1999م، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة المزيدة والمنفتحة والمنقحة، المكتب الإسلامي، د.ت، الجزء الأول.

41) الباجي: (القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي)، المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1332هـ/1912م.

42) البخاري: (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن براهيم بن المغيرة)، ت:256هـ، صحيح البخاري، ضبطه ورقمه، وشرح الفاظه ووضع فهارسه،مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط/1992م.

43) ـــــ ـــــ ـــــ: الأدب المفرد، خرج أحاديثه ووضع حواشيه محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م.

44) البهوتي: (منصور بن يونس بن إدريس البهوتي)، كشاف القناع على متن الإقناع، طبعة عالم الكتب، 1403هـ/1983م.

45) البيهقي: (الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي)، ت: 458هـ، شعب الإيمان، تحقيق وتصنيف محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، الجزء الرابع.

46) ـــــ ـــــ ـــــ: السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، 1354هـ/1935م.

47) الترمذي: (أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة)، ت: 279هـ، سنن الترمذي، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، مصر، 1421هـ/2001م.

48) الثعالبي: (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي): ت: 429هـ، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م، الجزء الثاني.

49) الحاكم: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري)، المستدرك على الصحيحين للحاكم، و بذيله التخليص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

50) الحراني: (أبو محمد الحسن بن علي بن الجسين بن شعبة)، من أعلام القرن الرابع هجري، تحفة العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة، 1394هـ/1972م.

51) ـــــ ـــــ ـــــ: (أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة)، من أعلام القرن الرابع الهجري، تحفة العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة، 1304هـ/1974م.

52) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1375هـ/1956م.

53) الجصاص: (أبو بكر بن علي الرازي الجصاص)، ت: 370هـ، أحكام القرآن، المطبعة المصرية، 1347هـ/1927م.

54) الدارقطني: (الإمام علي بن عمر الدارقطني)، ت: 385هـ، سنن الدارقطني، تعليق ابن الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، وتصحيح عبد الله هاشم يماني المدني، مطبعة دار المحاسن، القاهرة، 1386هـ/1996م.

55) الدارمي: (عبد الله بن الفضل الدارمي)، سنن الدارمي، دار الفكر، بيروت، 1978م.

56) الدردير: (أبي البركات سيدي أحمد بن محمد بن أحمد الدردير)، ت:1201هـ، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، تحقيق مصطفى كمال وصفي، طبعة دار المعارف، مصر، 1392هـ/1972م.

57) الديلمي: (شيرويه بن شهردار، أبو شجاع الديلمي الهمداني)، ت: 445-509هـ/ 1053-1115م، مسند الفردوس، لا.ط، لا.ت، الجزء الأول.
58) الرازي: (فخر الدين محمد الرازي)، ت:606هـ، التفسير الكبير، مطبعة دار إحياء التراث العربي، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الثانية.
59) الرملي: (شمس الدين محمد بن شهاب الدين)، ت:1004هـ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، مطبعة مصطفى الحلبي، لا.ط، 1357م.
60) ـــــ ـــــ ـــــ: (شمس الدين محمد بن شهاب الدين): ت: 1004هـ/1500م، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، المكتبة الإسلامية، رياض الشيخ، الجزء الثامن.
61) الزركلي:(خير الدين بن محمود بن علي الزركلي الدمشقي)، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثانية عشر، دارالعلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997م.
62) الزرنوجي: (برهان الدين الزرنوجي)، ت:6هـ، تعليم المتعلم طريق التعليم، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 2003م.
63) الزمخشري: الطشاف، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1972م.
64) السندي: (محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن نور الدين السندي): ت: 1138هـ/1726م
65) السيوطي: (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن)، ت: 911هـ، طبقات الحفاظ، مكتبة وهبة، القاهرة، 1994م.
66) الشربيني الخطيب:(الشيخ محمد الشربيني)، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، طبعة مصطفى الحلبي، 1377هـ/1958م.
67) شرح سنن ابن ماجة القزويني، " باب بر الوالدين والاحساناالى البنات"، دار الجيل، بيروت، د.ت، الجزء الثاني.
68) الشوكاني: (محمد بن علي بن محمد): ت: 1255هـ/1839م، نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، طبعة دار الفكر، بيروت، 1973م
69) الشيخ عبد الرحمن السعدي: الرياض الناضرة والحدائق النيّرة، دار الفيحاء، الطبعة الأولى، 1986م
70) الشيرازي: (أبو إسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروفي أبادي الشيرازي)، ت: 476هـ/1083م، المذهب في فقه الإمام الشافعي، طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثالثة، 1396هـ/1976م، (عدد الأجزاءثلاثة)، الجزء الثاني.

71) الصنعاني:(محمد بن اسماعيل بن صلاح المعروف بالأمير اليمني)، سبل السلام في شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة: 1379هـ/1906م.

72) الطبراني: (سليمان بن محمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو قاسم الطبراني)، ت:360هـ/971م، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، المعجم الكبير، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (عدد الاجزاء خمسة وعشرون).

73) ـــــ ـــــ ـــــ: المعجم الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

74) الطبرسي: (ميرزا حسين النوري الطبرسي)، مستدرك الوسائل، باب أحكام الأولاد، المكتبة العلمية، النجف الأشرف، 1383هـ/1964م.

75) العاملي: (زين الدين علي بن أحمد)، ت:965هـ/1557م، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، إعداد السيد أحمد الحسيني، دار الكتاب الاسلامي، بيروت، لا.ط، لا.ت.

76) العبدري ابن الحاج: (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري)، ت: 737هـ/1336م، مدخل الشرع الشريف، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، 1348هـ/1929م، الجزء الرابع.

77) الغزالي: (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي)، ت: 505هـ/1111م، أيها الولد، مكتبة الغزالي، دمشق، وطبعة دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م.

78) ـــــ ـــــ ـــــ: إحياء علوم الدين، دار الهدى للطباعة والنشر ولتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

79) ـــــ ـــــ ـــــ: ميزان العمل، **مطبعة الجندي، القاهرة، 1328هـ/1910م**.

80) الفاسي: (تقي الدين محمد)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق و تعليق، لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، الجزء الأول.

81) ـــــ ـــــ ـــــ: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م، الجزء الأول.

82) القابسي: (علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني)، ت: 403هـ، رسالة مفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م.

83) القرطبي: (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي)، ت: 671هـ، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتب المصري، 1351هـ/1933م.

84) ـــــ ـــــ ـــــ: الجامع لأحكام القران، تحقيق ابراهيم محمد الجمل، القاهرة، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م.

85) القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، داراحياء التراث العربي، بيروت، لا.ت، جـ 4.

86) الكاساني: (علاء الدين ابي بكر مسعود الكاساني الفقيه الحنفي)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق محمد عدنان، ابن ياسين درويش، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1421هـ/2000م.

87) المازني: (اسماعيل بن يحي بن اسماعيل، أبو ابراهيم المزني)، ت: 264هـ، مختصر المازني لهامش كتاب الأم للشافعي ، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ/1990م، الجزء الخامس.

88) الماوردي: (أحمد بن محمد بن حبيب)، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، طبعة: 1375هـ/1955م.

89) ـــــ ـــــ ـــــ: الأحكام السلطاني في الولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1973م.

90) المجلسي: (محمد باقر المجلسي)، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1983م، الجزء الخامس.

91) المقريزي:(تقي الدين محمد بن علي)، ت:845هـ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، لا.ت، الجزء الرابع.

92) المناوي:(محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي): ت:952هـ، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، دار الحديث، القاهرة، د.ت، الجزء الرابع.

93) النسائي: (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب)، سنن النسائي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى: 1348هـ/1630م.

94) النووي: رياض الصالحين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1403هـ/1983م.

95) ـــــ ـــــ ـــــ: (أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي)، ت:676هـ، المجموع شرح المذهب، طبعة دار الفكر، جـ6.

96) ـــــ ـــــ ـــــ : صحيح مسلم بشرح النووي، إشراف حسن عباس قطب، الطبعةالأولى، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1424هـ/2003م.

97) الهندي:(علي بن حسام الدين بن عبد الملك الشهير بالمتقي الهندي)، ت: 975هـ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.

98) محمود محمد بن داود الدمشقي، أدب الخلق في الإسلام، تحقيق علي عبد الحميد، ومعروف زريق، دار الخير، الطبعة الثانية، 1990م.

المراجع

99) أبادير حكيم، التربية الأخلاقية، مطبعة السعادة، القاهرة، لا.ط، لا.ت.

100) ابراهيم سعادة، الإسلام وتربية الإنسان، الطبعة الأولى، المنار، الأردن، 1985م.

101) أحمد أبو هلال، وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر، عمان، 1993م.

102) أحمد دهمان، فن التوليد، مطبعة دار الحياة، دمشق، 1407هـ/1987م.

103) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة، لا.ط، 1954م.

104) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، لا.ط، 1980م.

105) أحمد محمد زبادي، ابراهيم ياسين الخطيب، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989م.

106) آرثر جيتس ورفاقه، علم النفس التربوي، تعريب ابراهيم حافظ ورفاقه، إشراف عبد العزيز القويصي، لا.ط، 1954م.

107) إلكسس كارل، تأملات في سلوك الإنسان، ترجمة محمد القصاص، مكتبة مصر، القاهرة، لا.ط، لا.ت.

108) آمال صادق، فؤاد أبو الحطب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، (طبعة جديدة مزيدة ومنفتحة)، 1999م.

109) أمين عبد المعبود زغلول، رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، مصعه الأمانة، شبرا، مصر، 1411هـ/1991م.

110) أمين محمد عوض، أساليب التربية والتعليم في الإسلام، دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع، دبي، الطبعة الثانية، 1410هـ/1990م.

111) أمينة منير جادو، البرامج التربوية للطفل، سلسلة إقرأ، العدد 475، دار المعارف، القاهرة، 1989م.

112) إيناس عباس ابراهيم، رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، دار البحوث العلمية، مصر، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م.

113) الباشا حسن، المدخل إلى الآثار الإ سلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م.

114) السيد سابق، فقه السنة، الطبعة السابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م، المجلد الثاني، الجزء الثالث.

115) المبروك عثمان أحمد، تربية الأولاد والآباء في الإسلام (حقوق الأبناء على الآباء ومضامينها التربوية في الإسلام)، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.

116) باسم علي حوامدة، أحمد رشيد القادري وآخرون، تربية الاطفال في الإسلام، الطبعة الأولى، دار جرجير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1426هـ/2005م.
117) باقر شريف القريشي، النظام التربوي في الأسرة، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.
118) ـــــ ـــــ ـــــ، نظام الأسرة في الإسلام، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.
119) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب، السبق التربوي في فكر الشافعي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1409هـ/1989م.
120) جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م
121) حسن ملا عثمان، الطفولة في الإسلام مكانتها وأسس تربية الطفل، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ/1982م.
122) خالد فهد العودة، الترويح التربوي رؤية إسلامية، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، 1414هـ/1994م.
123) خالد محسن حسان الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، 1426هـ/2005م.
124) ديورانت، قصة الحضارة، (مترجم)، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1980م.
125) ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1984م.
126) رشاد حسن خليل، نفقة الأقارب في الفقه الإسلامي، (أحكام الأسرة والمواريث)، عالم الفكر، القاهرة، 1989م.
127) زكريا البري، الأحكام الأساسية للأسرة في الفقه والقانون، الطبعة الرابعة، دار الشباب للطباعة، القاهرة، 1984م.
128) زكي بدوي، أصول الخدمة الاجتماعية، دار الفكر العربي، 1956م.
129) زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، 1400هـ/1980م.
130) سعد جلال، الطفولة والمراهقة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
131) سعود بن عبد الله الخزيمي، الأولاد وحقوقهم، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد الأول، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.
132) سعيد اسماعيل القاضي، أصول التربية الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م.

133) سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، جمعية المطابع التعاونية، عمان، الطبعة الأولة، 1409هـ/1989م.

134) سليمان بن قاسم الفيفي، قول الرشاد في إنجاب وتربية الأولاد (تذكرة، توعيو وأحكام)، دار الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/1992م.

135) سمير عبد السيد تناغو، نظام التأمينات الاجتماعية، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت.

136) سمير محمد محمود العقبي، الحضانة في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، دار المنار، القاهرة، 1986م.

137) سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1417هـ/1997م.

138) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، 1394هـ/1974م.

139) ـــــ ـــــ ـــــ، في ظلال القرآن، الطبعة السابعة عشر، دار الشروق، بيروت، 1412هـ/1992م، الجزء السادس.

140) ـــــ ـــــ ـــــ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة، 1402هـ/1982م.

141) ـــــ ـــــ ـــــ، معالم الطريق، دار الشروق، بيروت، الطبعة العاشرة، 1403هـ/1983م.

142) ـــــ ـــــ ـــــ، نحو مجتمع إسلامي، دار الشروق، بيروت، الطبع السادسة، 1403هـ/1983م.

143) صالح ذياب الهندي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990م.

144) عادل محمد صالح أبو العلا، حقوق الطفل من وجهة نظر الإسلام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م.

145) عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، النهضة العربية، 1962م.

146) عاطف سالم، الوحدة العقائدية عند السنة والشيعة، دار البلاغة، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.

147) عامر الزمالي، حماية الأطفال في حالات النزاع لمسلح، دراسات في القانون الدولي، دار المستقبل العربي واللجنة لدولي للصليب الأحمر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م.

148) عباس علي الموسوي، الوصية الخالدة، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م.

149) عبد الباري محمد داود، التربية النفسية للطفل، إيتراك للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
150) عبد الجواد سيد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983م
151) عبد الجواد سيد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1983م.
152) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م.
153) عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م.
154) عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 1408هـ/1988م.
155) عبد الرحمن صالح عبد الله، المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1406هـ/1986م.
156) عبد الرحمن عيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لا.ط، لا.ت.
157) عبد الرزاق حسين، الإسلام والطفل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1409هـ/1989م.
158) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة السادسة، 1409هـ/1989م.
159) عبد الغني أحمد ناجي، الأمومة والطفولة في الإسلام، دار بوسلامة، تونس، د.ت.
160) عبد الكريم العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1401هـ/1981م.
161) عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة، مؤسسة الرسالة، 1993م، جـ10.
162) عبد الله أحمد، بناء الأسرة الفاضلة، دار البيان العربي، بيروت، 1410هـ/1910م.
163) عبد الله المامقاني، مرآة النجاة، علق عليه وحققه محي الدين المامقاني، مطبع الخيام، قم، إيران، الطبعة الثالثة، 1397هـ/1977م.
164) عبد الله حسن باسلامة، الاستفادة من الأجنة المجهضة والفائضة في زراعة الأعضاء.
165) عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981م.

166) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1401هـ/1981م، الجزء الأول.
167) عدنان حسن صالح باحارثن، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، 1412هـ/1996م.
168) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة عشر، 1978م.
169) علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ/2002م.
170) علي خليل مصطفى أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، مكتبة ابراهيم حلبي، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1405هـ/1985م.
171) علي عبد الحكيم محمود، المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1976م.
172) علي محمد الحسين الأديب، منهج التربية عند الإمام، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1370هـ/1967م.
173) فؤاد بسيوني متولي، الأمومة والطفولة، سلسلة المكتبة التربوية، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندري، الكتاب السادس، 1958م.
174) فؤاد حيدر، الشخصية في الإسلام وفي الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1990م.
175) فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1979م.
176) كمال الدين عبد الغني مرسي، الأسرة المسلمة والرد على ما يخالف أحكامها وآدابها، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 2002م.
177) كمال دسوقي، علم النفس ودراسة التوافق، الطبعة الثانية، مطبعة جامعة الزقازيق، مصر، 1979م.
178) كمال صالح البنا، مرافقات الأحوال للولاية على النفس في ضوء الفقد وأحكام النقض، عالم الكتب، القاهرة، 1987م.
179) لبيب بيضون، خلق الإنسان، دار زيدون للطباعة والنشر، دمشق، 1390هـ/1970م.
180) ليلى عبد الرشيد عطار، الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية، تهامة جدة للنشر (رسالة جامعية).
181) محسن محمد عطوي، زاد المبلغين، دار التعارف الإسلامية، بيروت، 1409هـ/1988م.
182) محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، 1991م.

183) محمد أبو زهرة، الأحوال الشخصية، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، 1377هـ/1957م.
184) ـــــ ـــــ ـــــ، تنظيم الإسلام للمجتمع، مطابع الدجوى، القاهرة، طبعة 1975م.
185) محمد أسعد أطلس، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى، 1957م.
186) محمد الحسن بن محمدالديلمي، إرشاد القلوب، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة، 1398هـ/1978م.
187) محمد بشير المفشي، المواريث في الشريعة الإسلامية،
188) محمد بن أحمد الصالح، الطفل في الشريعة الإسلامية، نشأته، حياته، حقوقه التي كفلها له الإسلام، الطبعة الثانية، طبع بالرياض، 1403هـ/1983م.
189) ـــــ ـــــ ـــــ، نظام الأسرة للشيخ ابن تيمية، 1395هـ/1975م.
190) محمد بن البشير، نحو تطبيق النظام الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1979م.
191) محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، 1387هـ/1967م.
192) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، قم، طهران، الطبعة الثالثة، 1393هـ/1973م.
193) محمد حسين هيكل، حياة محمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، 1965م.
194) محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، بيروت، الطبعة العاشرة، 1400هـ/1980م.
195) محمد رضا الحكيم وآخرون، الحياة، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، 1400هـ/1980م، الجزء الأول.
196) محمد زياد حمدان، التدريس المعاصر تطوراته وأصوله وعناصره وطرقه، دار التربية الحديثة، عمان، 1408هـ/1988م.
197) محمد شديد، قيم الحياة في القرآن، دار الشعب، القاهرة، 1973م.
198) ـــــ ـــــ ـــــ، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1399هـ/1979م.
199) محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، بيروت، الطبعة العاشرة، 1400هـ/1980م.
200) محمد عبد الجواد محمد، حماية الطفولة في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، والسوداني، والسعودي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1397هـ/1977م.

201) محمد عبده، نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لا.ط، لا.ت.
202) محمد عطية الأبرشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالة، 1976م.
203) محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م.
204) محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، طبعة 1390هـ/1970م.
205) ـــــ ـــــ ـــــ، مختصر ابن كثير، دار القرآن الكريم، 1981م، الجزء الأول.
206) محمد فاضل الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، الدر التونسية للنشر، 1492هـ/1972م.
207) محمد فتحي، على عتبة الأمومة، دار الأندلس، بيروت، الطبعة السادسة، 1404هـ/1984م.
208) محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب الإيمان، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، لا.ط، لا.ت.
209) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت.
210) محمد كمال عبد العزيز، الرضاعة والفطام في الطب والقرآن، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر، القاهرة، 1998م.
211) محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة السابعة، 1987م.
212) ـــــ ـــــ ـــــ، في الفكر التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م، الجزء الثالث.
213) محمد متولي الشعراوي، الإسلام حداثة وحضارةن دار العودة، بيروت، طبعة 1982م.
214) ـــــ ـــــ ـــــ، منهج التربية في الإسلام، توزيع دار الإعتصام، مصر، د.ت.
215) محمد محي الدين عبد الحميد، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، 1386هـ/1969م.
216) محمد مصطفى شلبي، أحكام الأسرة في الإسلام، الطبعة الثانية، دار النهضة، مصر 1977م.
217) ـــــ ـــــ ـــــ، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، مطبعة التأليف، مصر، 1385هـ/1966م.
218) محمد منير مرسي، أصول التربية الثقافية و الفلسفية، عالم الكتب، القاهرة، 1977م.
219) ـــــ ـــــ ـــــ، التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، طبعة منقحة ومزيدة، عالم الكتب، 1993م.

220) ـــــ ـــــ ـــــ، الطفل في التربية الإسلامية، رسالة المعلم، المجلد الرابع، السنة الثالثة والعشرون، عمان، وزارة التربية والتعليم، كانون الأول، 1980م.
221) محمد ناصر، الفكر التربوي العربي الإسلامي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م، الجزء الأول.
222) محمد نور عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1988م.
223) محمد عزت عبد الموجود وزلاؤه، أساسيات المنهج وتنظيماته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م.
224) محمد فاضل الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية للنشر، لا.ط، 1392هـ/1972م.
225) محمد فتحي، على عتبة الأمومة، دار الأندلس بيروت، الطبعة السادسة، 1404هـ/1984م.
226) محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثالثة، 1977م.
227) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدراسه، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1387هـ/1976م.
228) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، 1397هـ/1977م.
229) مظاهري، تربية الطفل في الإسلام، دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الاولى، 1413هـ/1993م.
230) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1997م.
231) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، استراتيجية تطوير التربية العربية، تونس، الطبعة الأولى، 1979م.
232) مهدي عبيد، التربية النفسية للأطفال، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م.
233) نتيلة راشد، مسيرة ثقافة الطفل العربي، دراس توثيقية حول جهود خبراء ثقافة الطفل وتوصياتهم، المجلس العربي للطفول والتنمية، القاهرة، 1988م.
234) نجيب محفوظ، فن الولادة، الطبعة الرابعة، لا.ط، لا.ت.
235) نعمة الله عبد الله الموسوي الجزائري، قصص الأنبياء، لا.ط، لا.ت.
236) هاد فيلد، علم النفس والأخلاق، ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم، مراجعة عبد العزيز القويصي، لا.ط، لا.ت.

237) هدى محمد قناوي، حقوق الطفل بين المنظور الإسلامي والمواثيق الدولية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1988م.

238) وليم شانر، الطريق إلى التفكير المنطقي، ترجمة عطية محمود هنا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961م.

239) ياسين محمد يحي، المجتمع الإسلامي في ضوء فقه الكتاب والسنة، توزيع منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت.

240) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، 1973م.

241) ـــــ ـــــ ـــــ، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1985م.

242) يوسف قاسم، حقوق الأسرة في الفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، مصر، طبعة 1401هـ/1981م.

243) يوسف مصطفى القاضي، مقداد يالجن، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1401هـ/1981م.

المراجع باللغة الأجنبية

244) Elisabeth, hurlock, child devellop, 5th, ed, mc Granhill, 1972

245) Martindale, Don The Nature and Types of Sociological Theory, Hougthon Minfflin Company, Boston 1981.

246) Oveted in brubacher.J.D, A History of the problems of Education, 1960.

247) Quoted in bossing.N.L, Teaching in secondary, 1952.

الرسائل الجامعية

248) إيناس عباس ابراهيم، رعاية الطفولة في الشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه في الفقه والأصول، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، 1400هـ/1980م.

249) حسن ابراهيم عبد العال، أصول تربية الطفل في الإسلام، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة طنطا، سنة 1980م

250) فيصل فتحي عبد المنعم، إعداد المعلم في الإسلام، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا، 1401هـ/1981م.

251) محمد علي أبو الحسن السنوسي، عناية القرآن والسنة بتنشئة الطفل، رسالة ماجستير، كلية أصول الربية، جامعة الأزهر، 1981م.

252) وفاء ابراهيم محمد الديب، حقةق الطفل في الشريعة الإسلامية (دراس مقارنة) بما ورد في قوانين الأحوال الشخصي وقانون الطفل رقم 12 لسنة 1996م، رسالة دكتوراه في الحقوق، قسم الشريعة الإسلامية، جامعة القاهرة، 1428هـ/2007م.

الدوريات

253) الإتحاد العالمي لتنظيم الوالدية، الإسلام وتنظيم الأسرة، رثبت كامل الأبحاث ومناقشات المؤتمر الإسلامي، المنعقد في الرباط، في الفترة ما بين 12 إلى 1971/12/29م، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1973م.

254) أحمد عبد الغني محمد النجولي الجمل، "تربية الطفل ورعايته في الإسلام"، مجلة كلية التربية، العدد الرابع والأربعون، سبتمبر 2000م.

255) أسامة حسين ابراهيم باهي، "دور الأسرة تجاه متطلبات طفل ما قبل المدرسة"، مجلة التربية للأبحاث التربوية، العدد الخامس عشر، كلية التربية، جامعة الأزهر، السنة 1989م.

256) السيد عبد الحكيم السيد عبد الله، "أهمية الرضاعة الطبيعية دينيا وصحيا" هدية مجلة الأزهر، ذو القعدة، 1406هـ/1986م.

257) رابح تركي، "حقوق الطفل بين التربية الإسلامية والتربية الغربية الحديثة"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الثاني، السنة الثامنة، جامعة الكويت، الكويت، تموز، 1980م، أو يوليو، 1980م.

258) رمضان حافظ السيوطي، "موقف الشريع الإسلامية من بنوك بيع لبن الأمهات"، هدية مجلة الزهر، ذوالحج، 1407هـ/1987م.

259) عبد الستار ابراهيم وآخرون، "العلاج السلوكي للطفل"، عالم المعرفة، العدد مئة وثمانون، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الثانية 1414هـ/ديسمبر 1993م.

260) عبد الله غفيلي، "أثر الإيمان في توجيه الأخلاق"، مجلة جامعة أم القرى، العدد الثالث والعشرون.

261) عبد الله مبروك النجار، "موقف الإسلام من بنك لبن الأمهات"، مجلة الأزهر، ربيع الآخر، 1407هـ/1987م.

262) عبد الستار ابراهيم وآخرون، "العلاج السلوكي للطفل"، عالم المعرفة، العدد 180، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الثانية 1414هـ/ ديسمبر 1993م.

263) فايز قنطار، الأمومة، "نمو العلاقة بين الطفل والأم"، مجلة عالم المعرفة، العدد مئة وستة وستون، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ربيع الثاني، 1413هـ/أكتوبر 1992م.

264) كتاب العربي، مرآة العقل العربي، (الطفل العربي والمستقبل)، سلسلة فصيلة تصدرها مجلة العربي، الكويت، الكتاب الثالث والعشرون، 15 أفريل، 1989م.

265) كلير فهيم غبريال، "أطفالنا وحاجاتهم النفسية"، كتاب اليوم الطبي، أخبار اليوم، العدد الثالث عشر، مارس 1983م.

266) محمد أبي زهرة، "الحضانة"، مجلة العربي، العدد الثالث والثلاثون، الكويت، صفر 1381هـ/ أغسطس 1961م.

267) محمد بسام ملص، "عرض كتاب الميسر في سيكولوجية اللعب"، مجلة التربية، تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 72، 1405هـ

268) محمد البهي، حقوق الإنسان في القرآن في صلة الفرد بالجماعة، من بحوث المؤتمر السادس لمجتمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبوع ضمن بحوث المؤتمر، بعنوان حقوق الإنسان في الإسلام ورعايته للقيم والمعاني الإنسانية، د.ت.

269) محمد الدنيا، الطفل والوفاق بين الوالدين، "دور العاطفة في تطور الطفل ذهنيا"، بناة الأجيال، مجلة فصلية تربوية ثقافية منوعة، تصدر عن المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين في القطر العربي السوري، العدد العشرون، السنة الخامسة، تشرين الأول، 1996م.

270) محمد بن أحمد الصالح، "الطفل في نظر الشريعة الإسلامية"، مجلة أضواء الشريعة، مجلة دورية تصدرها كلية الشريعة، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ت.

271) محمد عماد الدين اسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي الاجتماعي للطفل): في سنوات التكوينية، عالم المعرفة، العدد التاسع والتسعون، مجلة يصدرها المجلس الوطني.

المعاجم والموسوعات

272) أحمد حسن اللقاني، وعلي الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المنهاج وطرق التدريس، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 1416هـ/1996م.

273) أحمد زلط، معجم الطفولة "مفاهيم مصطلحية"، الطبعة الأولى، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، القاهرة، 1422هـ/2001م.

274) دائرة المعارف الإسلامية، تأليف مجموعة من المستشرقين، مطبعة بيروت، الجزء السادس.

275) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية جماعة من الأساتذة، دار المعرفة، بيروت، د.ت، الجزء السادس، الجزء العاشر.

276) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، طبعة دار الفكر، بيروت، 1401هـ/1981م.

277) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ/1984م.

278) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م.

279) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الصادر عن مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزء الثاني.

280) المعجم الوسيط، إخراج ابراهيم أنيس وزملاؤه، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ/1972م.

281) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول.

282) معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1407هـ/1987م.

283) المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة السادسة والثلاثون، دار المشرق، بيروت، 1997م.

فهرس المحتويات

مقدمة:..... **09**

الفصل الأول: الطفولة منهج الإسلام في بنائها ورعايتها

- إشكالية البحث..... **16**
- أهمية البحث..... **18**
- أهداف البحث..... **18**
- حدود البحث..... **19**
- مصطلحات البحث..... **20**
- منهج البحث..... **21**
- الدراسات السابقة..... **22**
- علاقة الدراسات السابقة بالبحث..... **25**

الفصل الثاني: الزواج وبناء الأسرة

- معنى الأسرة في اللغة..... **29**
- معنى الأسرة في الاصطلاح..... **29**
- معنى الأسرة في علم الاجتماع..... **29**
- الأسرة في الإسلام..... **30**
- وظيفة الأسرة..... **30**
- تكوين الأسرة في الإسلام..... **31**
- الزواج فطرة إنسانية..... **33**
- الزواج مصلحة اجتماعية..... **34**

1. المحافظة على النوع الإنساني..... **35**
2. المحافظة على الأنساب..... **36**
3. إقامة منهج الله في خلقه..... **37**
4. سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي والمرض..... **37**
5. السكن النفسي..... **38**

- الزواج انتقاء واختيار..... **39**

1. الاختيار على أساس الدين..... **40**
2. الاختيار على أساس الأصل والشرف..... **41**
3. الاغتراب في الزواج..... **42**
4. تفضيل ذات الأبكار..... **43**

- **القوامة والحقوق الزوجية..... 44**
1. حقوق الزوج على زوجته..... **45**
أ- حق القوامة والتوجيه والطاعة والقرار في البيت..... **45**
ب-القرار في بيت الزوجية..... **50**
ت-حق التأديب..... **51**
2. حقوق الزوجة على زوجها..... **55**
أ- حق المعاشرة بالمعروف..... **55**
ب-حق العدل إذا كان الرجل متزوجا بأكثر من زوجة..... **57**
ت-حق المهر..... **58**
ث-حق النفقة..... **59**
3. الحقوق المشتركة للزوجين..... **59**
أ- حق الاستمتاع..... **59**
ب-حرمة المصاهرة..... **59**
ت-التوارث فيما بينهما..... **60**

الفصل الثالث: رعاية المنهج الإسلامي لحقوق الطفل

تمهيد..... **63**
المبحث الأول: حقوق الطفل في الإسلام قبل ولادته..... **63**
1. تحديد مفهوم الطفولة **63**
- الطفل في اللغة..... **63**
- الطفل في الاصطلاح..... **63**
- الطفل شرعا..... **64**
- الطفل من خلال الاتجاهات التربوية والنفسية الحديثة..... **65**
- ما هي الطفولة؟..... **65**
2. التعريف بالجنين..... **66**
3. الأطوار التي يمر بها الجنين..... **67**
- تكوين الجنين في القرآن الكريم..... **67**

الطور الأول: مرحلة ما قبل الجنين أو مراحل تكوين النطفة..... **70**
- مكان النطفة..... **71**

الطور الثاني: العلقة..... **72**
- العلقة في اللغة..... **72**
- العلقة: تركيبها..... **73**

الطور الثالث: المضغة..... 74
- تخليق المضغة..... 75
- واجب الرعاية الأم للجنين..... 77
حقوق الطفل في الإسلام قبل ولادته..... 77
1. حق الطفل في حسن اختيار والديه في الإسلام..... 77
أ- الاختيار على أساس الدين..... 78
ب- الاختيار على أساس الشرف والأصل..... 78
ت- الاختيار على أساس الملاحة والجمال..... 79
ث- الاختيار على أساس الود وحسن الخلق..... 80
2. حق الطفل في الحفاظ على حياته وصحته جنينا..... 81
3. حق الجنين في العناية به وبأمه أثناء الحمل..... 82
4. حق الطفل في العناية بالصحة النفسية له وهو جنين..... 83
5. الحفاظ على الحق المالي للجنين..... 84
المبحث الثاني: حقوق الطفل في الإسلام بعد ولادته..... 85
1. حق الطفل في الحياة..... 85
2. حق الطفل في النسب..... 86
3. حق الطفل في التسمية..... 90
4. حق الطفل في السرور والفرح بولادته..... 91
أ- عقيقة المولود..... 91
ب- حلق رأس المولود..... 93
ت- الختان..... 93
5. حق الطفل في الرضاعة الطبيعية من الأم..... 97
6. حق الطفل في الحضانة..... 101
7. حق الطفل في النفقة..... 107
8. حق الأطفال في الإعاشة من بيت مال المسلمين عند الحاجة..... 108
9. حق الطفل في المساواة..... 111
10. حق الطفل في حسن المعاملة..... 113
11. حق الطفل في التأديب والتهذيب..... 115
12. حق الطفل في التعليم والتربية..... 117
13. حق الطفل في التعليم بما يناسب مراحله العمرية..... 118
14. حق الطفل في اللعب..... 119

15. حق الطفل في الرحمة به والترويح عنه والملاعبة..... 121
16. حق الطفل في تنمية ثقته بنفسه..... 121
17. حق الطفل في التقدير والاحترام من الآخرين..... 122
18. حق الطفل في توفير الصحبة والرفاق..... 123
19. حق الطفل في التوجيه والإرشاد..... 123
20. حق الطفل في تعويده على الشجاعة والحرية في إبداء الرأي..... 124
21. حق الطفل في حمايته من الجنوح والانحراف..... 125
22. حق الطفل في عدم إيذائه بالضرب..... 127
23. حق الطفل في أن تكون عقوبته تهذيبية..... 128
24. حق الطفل في عدم تحميله مالا يطيق وعدم استغلاله..... 130
25. حق الطفل في عدم استغلاله جنسيا..... 131
ثالثا: حقوق الأطفال اليتامى في الرعاية الكاملة..... 131
رابعا: حقوق اللقيط في الإسلام..... 135
خامسا: حقوق المعاقين في الإسلام..... 136
سادسا: حقوق الأطفال العرب..... 140
سابعا: حقوق الطفل العالمية..... 142
الفصل الرابع: بناء شخصية الطفل المسلم من الولادة إلى قبيل سن الرشد
أولا: البناء العقائدي..... 149
تمهيد..... 149
الأساس الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد بالآذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى.... 152
الأساس الثاني: تثبيت اعتقادهم بالله الواحد الأحد، وترسيخ حب الله تعالى..... 156
الأساس الثالث: ترسيخ حب النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته الأطهار وأصحابه الكرام.. 169
الأساس الرابع: الإيمان بالملائكة..... 177
الأساس الخامس: الإيمان بكتب الله ورسله..... 183
الأساس السادس: الإيمان باليوم الآخر..... 186
الأساس السابع: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره..... 189
الأساس الثامن: تعليم الطفل القرآن الكريم..... 191
الأساس التاسع: الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها..... 193
ثانيا: البناء العبادي..... 195
تمهيد..... 196
الأساس الأول: الصلاة..... 200

- الصلاة لغة واصطلاحا..... **202**
- مراحل تعليم الصلاة..... **203**

المرحلة الأولى: مرحلة الأمر بالصلاة..... **203**

المرحلة الثانية: مرحلة تعليم الطفل بالصلاة..... **203**

المرحلة الثالثة: مرحلة التطبيق بأمره بالصلاة والضرب على تركها..... **203**

المرحلة الرابعة: مرحلة اصطحاب الأطفال إلى المساجد وتدريبهم على حضور صلاة الجماعة..... **206**

الأساس الثاني: الصوم..... **208**

تمهيد..... **208**

- التعريف بالصوم..... **210**
- الصوم في اللغة والشرع والاصطلاح..... **210**
- استحباب تمرين الطفل على الصوم..... **210**

الأساس الثالث: الزكاة..... **212**

- الزكاة في اللغة والشرع..... **213**
- الزكاة في الاصطلاح..... **213**
- مكانة الزكاة في الإسلام..... **213**

الأساس الرابع: الحج..... **216**

- الحج في اللغة والشرع..... **216**
- الحج في القرآن والسنة..... **217**
- شروط الحج..... **218**

ثالثا: البناء الأخلاقي..... 219

تمهيد..... **220**

- تعريف الخلق..... **222**
- تعريف الأدب..... **223**
- التهذيب..... **223**

أسس البناء الأخلاقي..... **224**

الأساس الأول: خلق تأديب الأطفال..... **224**

الأساس الثاني: خلق الحياء..... **245**

الأساس الثالث: خلق الصدق..... **247**

الأساس الرابع: خلق حفظ الأسرار..... **249**

الأساس الخامس: خلق الأمانة..... **250**

الأساس السادس: خلق سلامة الصدر من الأحقاد..... 251
رابعا: البناء العلمي والفكري..... 253
- العلم في الشريعة الإسلامية..... 254
- العلم في السنة النبوية المطهرة..... 258
أسس البناء العلمي والفكري..... 261
الأساس الأول: حق الطفل في التعلم، وغرس حب العلم وآدابه في الطفل..... 262
الأساس الثاني: حفظ الطفل لقسم من القرآن والسنة..... 264
الأساس الثالث: اختيار المدرس الصالح، والمدرسة الصاحة للطفل..... 265
الأساس الرابع: إتقان الطفل اللغة العربية..... 274
الأساس الخامس: إتقان الطفل اللغة الأجنبية..... 277
الأساس السادس: توجيه الطفل وفق ميوله..... 277
الأساس السابع: المكتبة المنزلية الصالحة وأثرها في بناء الطفل..... 280
الأساس الثامن: رواية طفولة علماء السلف في طلب العلم أمام الأطفال..... 283
خامسا: البناء الجسمي والصحي..... 286
تمهيد: أهمية الصحة في حياة الفرد والمجتمع..... 287
أسس البناء الجسمي والصحي..... 289
الأساس الأول: ممارسة التربية البدنية وتعليم السباحة..... 289
الأساس الثاني: إفساح مجال اللهو واللعب وتنمية الهوايات 292
الأساس الثالث: إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال..... 295
الأساس الرابع: اتباع السنن النبوية في الأكل والشرب..... 297
الأساس الخامس: اتباع السنن النبوية في النوم على الشق الأيمن..... 301
الأساس السادس: اهتمام الأطفال بالنظافة..... 304
الأساس السابع: إبعاد الطفل عن الأمراض المعدية..... 307
سادسا: البناء العاطفي والنفسي..... 316
تمهيد..... 317
1. تعريف العاطفة لغة واصطلاحا..... 317
2. تعريف النفس في اللغة وفي القرآن والحديث والفلسفة..... 318
أسس البناء العاطفي والنفسي
الأساس الأول: الرفق في معاملة الأطفال..... 321
الأساس الثاني: المداعبة والممازحة مع الأطفال مع ملاعبتهم والتصابي لهم..... 327
الأساس الثالث: العدل والمساواة بين الأطفال في المعاملة والمحبة والعطية..... 329

الأساس الرابع: تنمية ثقة الطفل بنفسه..... 332
سابعا: البناء الاجتماعي..... 336
- تعريف المجتمع لغة واصطلاحا..... 338
- البيئة الاجتماعية للطفل..... 338
أسس البناء الاجتماعي
الأساس الأول: تربية الطفل على الحرص على تحقيق الإخاء والترابط والتواد والتعاطف..... 340
الأساس الثاني: ترشيد الطفل على ممارسة التكافل..... 342
الأساس الثالث: ترشيد الطفل على ممارسة التناصح..... 342
الأساس الرابع: ضرورة تنشئة الطفل على احترام الآداب الاجتماعية..... 343
الأساس الخامس: تقوية الاندماج الاجتماعي في الطفل وشعوره بواجب التعاون معهم..... 345
الأساس السادس: تقوية اتصال الطفل مع الأطفال الآخرين واختيار جماعة الرفاق..... 346
الأساس السابع: اصطحاب الطفل إلى مجالس الكبار..... 348
الأساس الثامن: إرسال الأطفال لإنجاز بعض الحاجات يسهم في تطوير شخصياتهم..... 350
الأساس التاسع: حضور الأطفال الحفلات المشروعة والأعراس..... 351
الأساس العاشر: مبيت الطفل عند أقربائه الصالحين..... 352
الأساس الحادي عشر: تربية الحرية في نفس الطفل..... 352
ثامنا: البناء الجنسي (تهذيب الدافع الجنسي)..... 355
1. تعريف التربية الجنسية..... 357
2. أهداف التربية الجنسية..... 357
أسس التهذيب الجنسي..... 359
الأساس الأول: تعويد الطفل على الاستئذان..... 359
الأساس الثاني: تعويد الطفل على غض البصر وحفظ العورة..... 361
الأساس الثالث: التفريق في المضاجع بين الأطفال..... 362
الأساس الرابع: نوم الطفل على شقه الأيمن وابتعاده عن النوم على بطنه..... 363
الأساس الخامس: ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية..... 363
الأساس السادس: تعلم الطفل المميز فروض الغسل، وسننه..... 364
الأساس السابع: شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميّز..... 365
الأساس الثامن: المصارحة الجنسية، والتحذير من الفاشحة..... 365
الأساس التاسع: الزواج المبكر..... 366
الفصل الخامس: أساليب تربية الطفل ورعايته في المنهج الإسلامي
المبحث الأول: أساليب التربية الإسلامية..... 371

1. أسلوب العبرة والموعظة..... 371
2. أسلوب القدوة..... 373
3. أسلوب الممارسة العملية..... 375
4. أسلوب الحوار والمناقشة..... 377
5. أسلوب التأمل الفكري..... 380
6. أسلوب الترغيب والترهيب والثواب والعقاب..... 381
7. أسلوب القصص..... 384
8. أسلوب الأمثلة..... 385
9. أسلوب الأحداث الجارية..... 387
10. أسلوب الترويح 388
المبحث الثاني: الأساليب المتبعة في تربية الطفل المسلم..... 391
- القسم الأول: الأساليب المخاطب بها الوالدان والمربون..... 391
- القسم الثاني: الأساليب الفكرية المؤثرة في عقلية الطفل..... 400
- القسم الثالث: الأساليب النفسية المؤثرة في عواطف ونفسية الطفل..... 402
الفصل السادس: مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام والأصول التربوية المتبعة
المبحث الأول: مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الإسلام..... 410
1. التعليم الأولي في الكتاتيب..... 410
- السن التي يلتحق بها الطفل في الكتاتيب..... 413
- مواد التعليم في الكتاتيب..... 414
- أساليب التدريس في الكتاتيب..... 415
2. تعليم الأطفال في المسجد بعد التعليم الأولي في الكتاتيب..... 416
- مواد التعليم في المساجد..... 417
- أساليب التعليم في المساجد..... 418
3. التعليم في المدارس النظامية..... 420
- مواد التعليم في المدارس..... 421
- أساليب التعليم في المدارس..... 422
4. التأديب في القصور والبيوت الخاصة..... 423
المبحث الثاني: الأصول التربوية التي اتبعها معلموا ومؤدبوا الأطفال..... 437
1. مراعاة الفروق الفردية..... 438
2. التكرار المتصل..... 440
3. مراعاة ميول واستعدادات الأطفال الفطرية..... 441

4. تقنين البرنامج التعليمي من حيث الدوام وساعات الدراسة والعطل الرسمية والأعياد..... **444**
أ- الدوام وساعات الدراسة..... **444**
ب- العطل الرسمية والأعياد..... **444**
5. الترويح والترفيه عن النفس..... **445**
6. الثواب والعقاب..... **446**
الفصل السابع: الطفولة في فكر المربين المسلمين
تمهيد..... **454**
أولا: تربية الطفل عند الإمام أبو حامد الغزالي..... **455**
1. الأهداف الخاصة بتربية الصبيان..... **455**
2. منهج تربية الصبيان..... **457**
3. أساليب تربية الصبيان..... **458**
4. مكانة المعلم وخصائصه..... **462**
ثانيا: رعاية وتربية الطفل عند ابن خلدون..... **464**
1. الطبيعة الإنسانية ومسألة التربية والتعليم..... **465**
2. تربية وتعليم الطفل عند ابن خلدون..... **469**
3. الأساليب التربوية والتعليمية الخلدونية..... **470**
خاتمة (نتائج البحث)..... **475**
آراء ومقترحات..... **476**
ملخص الرسالة **479**
بيبليوغرافيا..... **482**
فهرس المحتويات..... **502**